الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر — قسم التاريخ

الخطاب النهضوي في الجزائر

1925 – 1954

أطروحـــــة لنيـــل شهادة دكتــــــوراه دولـــة

في التـــاريخ الحديث والمعـــاصر

تقديم الطالب :

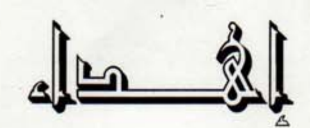
• عبد المجيد بن عـــدة

تحت إشراف :

أ . د : ناصر الدين سعيدوني

الجزء I

السنة الجامعية : (1425 – 1426 هـ) (2004 – 2005 م)



إلى الوالدين العزيزين

إلى كل من يعمل من أجل نهضة الجزائر

وازدهارها

الطالب : عبد المجيد بن عـــدة

بسم ا الرحمن الرحيم

المقـدمة

توالت على الجزائر جحافل الاستعمار الفرنسي، وتوالت مع قدومها المشين المصائب والنكبات، حيث راح الاستعمار الفرنسي منذ تمكنه من احتلال مدينة الجزائر سنة 1830 يعمل جاهدا على تغيير كل المعالم التاريخية والحضارية والاجتماعية ، حيث كان الهدف المسطر من قبله هو إلحاق الجزائر بفرنسا عن طريق الجيوش والمدرسة، والكنيسة، وفي مقابل ذلك كان التدمير المنظم لكل بنية المجتمع الجزائري من أساسها.

إن أي راصد لأعمال المستعمرين الفرنسيين في الجزائر، ليندهش لشراهة هؤلاء المعتدين وتجردهم من كل شعور إنساني وحضاري في سعيهم للقضاء على مقومات المجتمع الجزائري حيث مورست سياسة الأرض المحروقة، والإبادة الجماعية في حق الوطن والشعب.

وكرد فعل على ذلك راح الشعب الجزائري يقاوم المعتدين على أرضه ومقدساته بكل ما يملك من قدرات مادية وأدبية، فكانت الثورات والمقاومات الشعبية والعرائض وكل أشكال المقاومة السلبية، وكان الهدف المتوخى من ذلك هو استعادة السيادة الجزائرية في إطارها العربي الإسلامي.

وإذا كان الجانب السياسي والعسكري في هذه المقاومة الجزائرية، قد نال حظه بشكل كبير في اهتمامات الدارسين والباحثين، فإن الجانب الفكري والثقافي ما زال في حاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات، لإبراز ملامحه حتى يتسنى لنا معرفة تاريخنا الوطني، بشكل متكامل وواضح المعالم ، ذلك أن البعد الروحي والثقافي الذي كان يسري في الكيان الجزائري هو الذي مثل عملية التحدي الأكبر للوجود الاستعماري في الجزائر حيث كانت كل المواجهات ضد العدو تغذيها القيم الدينية والوطنية على مدار القرن التاسع عشر والقرن العشرين، فما من مقاومة أوانتفاضة في أي جهة من ربوع البلاد إلا وكان قادتها من الرموز الدينية وشعاراتها كذلك دينية و وطنية.

دواعي اختيار الموضوع:

والحق أن الذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع الموسوم بـ" الخطاب النهضوي في الجزائر (1925-1954 م) هو جملة من الأسباب يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

1- قلة الأبحاث والدراسات التي تعتني بالخطاب النهضوي الجزائري الحديث عموما وفترة ما بين الحربين العالميتين خصوصا حيث كانت كل الدراسات الأكاديمية تجعل منها فصولا تمهيدية لدراسة الحركة الوطنية (السياسية) والثورة التحريرية، ولذلك وجدت أن الاهتمام بالنهضة ورجالها هو اهتمام يفرضه الفراغ الملحوظ في المكتبة التاريخية الجزائرية حول هذه الحقبة.

2- إحياء أعمال وجهود الكثير من رموز الخطاب النهضوي الذين ساهموا كثيرا في إعادة الصياغة لبنية الذهنية الجزائرية الحديثة خاصة وأن الاهتمام عند الكثير من الباحثين كان منصبا على الأقطاب متجاوزا عن قصد وعن غير قصد الكثير من الأعلام الذين تعرضوا للإهمال.
3- إعادة الاعتبار لمسيرة النهضة الجزائرية في فترة ما بين الحربين لإعطاء تلك المحاولة النهضوية الرائدة حقها والكشف عن الصلة الوثيقة التي تربطها بثورة أول نوفمبر 1954 المباركة، وكيف كانت ثورة العقول منطلقا لثورة التحرير للإنسان والوطن.
4- تناول الموضوع من منظوره الشمولي حتى يمكن إدراك الأهداف التي يتوخاها الخطاب النهضوي وقصد الوصول إليها ، بعيدا عن التناول الجزئي لمظاهر الخطاب النهضوي الذي لا يمكن في كل الأحوال أن يبرز كل ملامحه التي تشكل مشهدا واحدا وإن تعددت وسائله وأشكاله التعبيرية.
5- البحث عن البديل لحل الأزمات الثقافية والفكرية التي تتخبط فيها اليوم بفعل الارتجالية التي طغت على سلوكات التوجيه عند أولى الأمر في بلادنا من دون التفاتة لأطرنا المرجعية الحقيقية في كل مسارها التاريخي، ذلك أن هذا البحث يتوخى الرغبة في استعادة اللحظة التاريخية النهضوية كما كانت في الفترة السابقة لاندلاع الثورة التحريرية ، حتى يمكن أن نستلهم من ذلك ما يمكننا من تحقيق نهضة فكرية ومعرفية وتنويرية جديدة تل.... ما انقطع من مسار نهضتنا السابقة.

الإطار الزماني:

يمكن أن نعتبر بداية الربع الثاني من القرن العشرين كمنطلق للدراسة بناء على أن هذا التاريخ يشكل منعطفا تاريخيا هاما في حياة الجزائر الفكرية والثقافية حيث برزت مؤسسات بث للخطاب النهضوي إذ أسست جريدة المنتقد سنة 1925 م وبعدها الشهاب سنة 1926 .
- تأسيس نادي الترقي سنة 1927 م وتأسيس الشيخ مبارك الميلي لفصلين للدراسة العصرية المنظمة بمدينة قسنطينة سنة 1929 م كل هذا جعلنا نتخذ من 1925 م بداية لميلاد النهضة الجزائرية الحديثة ونفقه انغلاق من الفعل النهضوي الفردي إلى الفعل النهضوي الجماعي.
- كما تعد فترة ما بين الحربين وبعدها قليلا مرحلة التشكيل الحقيقي لمعالم الخطاب النهضوي الناضج الذي ينشد بناء مجتمع مزدهر متطور، ويعمل بكل هوادة على التصدي للمشاريع الاستعمارية التي تستهدف تفويض أركان المجتمع من جهة والعمل للقضاء على الذهنيات المتخلفة التي ورثت الكثير من ركام الأفكار العقيمة التي تعود إلى عصر الانحطاط ، فهذه الفترة تعد فترة خصبة للتفاعل الحضاري في شتى الميادين.
-أما جعل سنة 1954 م كنهاية للإطار الزماني للبحث فذلك راجع إلى أن اندلاع الثورة يعد منعطفا جديدا في تاريخ البلاد نقلها من عهد المقاومة السياسية والثقافية إلى عهد المقاومة المسلحة، كما أن جل

وسائل الخطاب النهضوي عطلها الاستعمار في فترة لم تزد على عامين من اندلاع الثورة، بعد أن تيقن بأن القائمين عليها صاروا يؤمنون بالثورة ، ويدعمونها ماديا وأدبيا.

- في المنهج ومصادر الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا هذه منهج التحليل التاريخي، حيث حاولنا رصد مظاهر وأشكال الخطاب النهضوي في كل أنحاء البلاد وعلى امتداد كل الفضاء الزماني للدراسة، وقد اتسم المنهج بقراءة الأثر وتحليله وفق ما يستجيب لمنطق السياق التاريخي بعيدا عن كل الوسائط والتأويلات المسبقة للنصوص النهضوية، التي رأينا في التعامل المباشر معها خير ما يمكن أن يكشف لنا الصورة الحقيقية التي تعكس اللحظة النهضوية في كل أبعادها وتجلياتها.

وتجنبنا الطريقة التعسفية مع النصوص التي يخضعها أصحابها أي المتعاملون معها إلى نوع من التشريح والتجزئة التي تفقدها حرارتها الحركية وروحها التي تسري فيها إن لم تكن في أحيان كثيرة إسرافا في توظيفها توظيفا غير عقلاني ، كثيرا ما يزيف الحقائق ويشوهها.

أما مصادر دراستنا فقد تطلبت منا عملية بحث وتنقيب مضنية عن أماكن تواجدها وكيف يمكن الوصول إليها والاستفادة منها بالقدر الكافي الذي يسمح بالإجابة على إشكالية الموضوع حيث انصب اهتمامنا أساسا على المصادر الأولية ثم ذهبنا إلى العناية بالمصادر الثانوية، التي تخدم الموضوع، وقد وجدنا صعوبة كبيرة في الحصول على الكثير منها لعدم نشرها و وضعها في متناول الباحثين حيث ما زالت هذه المصادر مبثوثة في دور الأرشيف الوطنية والأجنبية وفي ثنايا الصحف والمجلات التي توزعت على أكثر من مكتبة عامة وخاصة وفي اكثر من مدينة وقطر.

ويمكن أن نرتب المصادر التي اعتمدنا عليها في الدراسة حسب أهميتها على النحو التالي:

- الوثائق: التي تتمثل في تقارير عن نشاطات رجال النهضة الجزائرية في فترة ما بين الحربين وتتوزع ما بين:

- أرشيف ما وراء البحار بمرسيليا بفرنسا، والأرشيف القومي التونسي وكذاأرشيف عمالة قسنطينة الجزائر و وهران.

- الصحافة العربية الإسلامية الصادرة في الجزائر في الفترة التي سبقت اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 م حيث تمثل مصادر أساسية للخطاب النهضوي، فمن خلال هذه الصحف أمكننا معرفة مجمل طروحات الفكر النهضوي وتوجهاته وأشكال الحداثة الفكرية التي عرفتها الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين ومن أبرز هذه الصحف والمجلات التي اعتمدنا عليها في دراستنا:

- جرائد ومجلات المنتقد والشهاب والبصائر والإصلاح والصحافة اليقظانية، مثل وادي ميزاب، المغرب، الأمة.

- تراث رجال النهضة ومؤلفاتهم التي عبرت عن أفكارهم وتوجهاتهم والبدائل التي جاءوا بها للنهوض بالمجتمع، كمؤلفات الأستاذ مالك بن نبي، و"رسالة الشرك ومظاهره" للعلامة مبارك الميلي و"شعراء الجزائر في العصر الحاضر" للشيخ الهادي السنوسي الزاهري .

- المذكرات التي تعد بمثابة شهادة حية لمعرفة مظاهر النهضة ورجالاتها، ونذكر من هذه المذكرات، حياة كفاح للأستاذ توفيق المدني، مذكرات الشيخ خير الدين، مذكرات عبد الرحمن بن العقون، صراع السنة والبدعة للشيخ أحمد حماني.

-المؤلفات والأبحاث الأكاديمية التي تناولت الحركة الوطنية الجزائرية والحياة الفكرية والثقافية للجزائر في الفترة الحديثة وأخص هنا بالذكر، أعمال الأستاذ الدكتور أبي القاسم سعد الله،ممثلة في مؤلفاته الحركة الوطنية الجزائرية، وتاريخ الجزائر الثقافي وأبحاث وآراء في تاريخ الجزائر وغيرها، مؤلفات الدكتور محمد ناصر كالصحف العربية الجزائرية، المقالة الصحفية الجزائرية وأبي اليقظان وجهاد الكلمة، الإصلاح الإسلامي في الجزائر للدكتور على مراد كما لا ننسى مؤلفات الأستاذ الدكتور صالح خرفي والأستاذ الدكتور عبد الله الركيبي و أطروحة الدكتور محمد القورصو حول جركة الاصلاح بالغرب الجزائري .

- مراجع وكتب تناولت بالدراسة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، وسبعة فصول وخاتمة كانت عبارة عن حوصلة عامة للدراسة ومجموعة من الملاحق والصور التاريخية.

فقد تناولت في **الفصل التمهيدي** "حرب الإبادة الاستعمارية ضد الأمة الجزائرية كيف عمد الاستعمار الفرنسي إلى تحطيم مقومات الأمة الجزائرية المادية والأدبية لكي يكرس وجوده في بلادنا وإلى الأبد رغم التاريخ والجغرافية والذي دعانا إلى تخصيص فصل كامل لهذا الموضوع حتى يدرك كل مهتم بتاريخ الجزائر إلى أي حد تعرضت بنية المجتمع إلى الدمار والتحطيم الذي كاد أن يخرجها من التاريخ ويجعل منها نسيا منسيا عن الأمم فيقدروا بالتالي المجهود الكبير لرجال النهضة الجزائرية في مواجهة التحدي الاستعماري، والمحافظة على الكيان الجزائري من الذوبان والانحلال الأخلاقي.

أما الفصل الأول: فقد تناولت فيه أصول الخطاب النهضوي وأطره المرجعية التي تغذى منها حيث أبرزت فيه العوامل الداخلية المتمثلة في مجهود الرواد المصلحين، وعودة بعض المتعلمين الجزائريين إلى وطنهم لإصلاح أحواله، وحركة التعليم الباديسية والعوامل الخارجية التي أسهمت في بلورته وتطوره وشكلت روافد مهمة وأساسية للخطاب النهضوي الجزائري الحديث، كأفكار جمعية العروة الوثقي وزيارة محمد عبده إلى الجزائر،والتفاعل الثقافي بين الجزائر وباقي بلدان العالم العربي الإسلامي، والصحافة العربية المغربية والمشرقية.

وفي الفصل الثاني: الذي عنوانه" قنوات الخطاب النهضوي" فأبرزت أهم الهياكل التنظيمية والوسائل التي اعتمد عليها رجال النهضة لتبليغ خطابهم إلى الجمهور العريض من أبناء المجتمع مثل الجمعيات،المدارس،المساجد،الصحف والمجلات والنوادي الثقافية، وحاولت أن أكشف أن دور هذه المؤسسات المذكورة في تفعيل المشهد الثقافي وإرساء دعائم نهضة وطنية، اعتمدت على إمكاناتها الذاتية المتواضعة بعيدا عن كل وصاية استعمارية ، الأمر الذي كان يجعلها دوما عرضة لكل أشكال التضييق والتعسف.

وخصصت الفصل الثالث: للبعد الديني في الخطاب النهضوي مستقرئا ذلك المجهود المبذول من قبل العلماء المصلحين لإعادة الاعتبار للدين الإسلامي وتفعيل دوره في الحياة الروحية والاجتماعية للأمة من خلال تنقيته من كل مظاهر الخرافات وأعمال الدروشة التي ألصقت به والتصدي لأعدائه الجاهلين لمبادئه من طرقيين والحاقدين عليه من مبشرين ومستشرقين ماكرين.

أما الفصل الرابع الذي عنوانه" الخلفية الاجتماعية والاقتصادية في الخطاب النهضوي"فقد استعرضت فيه مجهود النهضويين الجزائريين في مجال التربية الاجتماعية والاقتصادية حيث مثلت جهودهم في هذا الصدد حيزا كبيرا وتمحورت أبرز مشاغلهم في الميدان الاقتصادي والاجتماعي حول المواضيع التالية:

- تحصين المجتمع أخلاقيا وذلك بمحاربة كل الآفات الاجتماعية، الدعوة إلى العمل وتثمينه ومكافحة الكسل والخمول.
- العناية بالشباب باعتباره عماد المجتمع ومعقد طموحاته وأمال المجتمع وذلك بتكوينه تكوينا وطنيا.
- إبراز قضية المرأة في الخطاب النهضوي، وكيف دعا المثقفون الجزائريون إلى النهوض بها والدعوة إلى تربيتها وتعليمها أمور دينها ودنياها حتى تقدر على أداء وظيفتها في الحياة على أكمل وجه.

وبينت كيف تصدى رجال النهضة إلى دعاة السفور الذين يردون تغريب المرأة الجزائرية كمنطلق لتغريب كل المجتمع ، كما عالجت في هذا الفصل هموم العمال الجزائريين في منظور الخطاب النهضوي وكيف كانت الدعوة إلى تحسين ظروفهم المعيشية وحل مشاكلهم المهنية بما في ذلك العمال المهاجرون إلى أوربا.

و في الفصل الخامس الذي عنوانه" المشروع التربوي في الخطاب النهضوي" تتبعت من قضايا التربية والتعليم في الجزائر وكيف سعى المربون الجزائريون إلى معالجتها، وكانت أبرز المحاور التي دعوا إلى النهوض بها إعداد الناشئة الجزائرية إعدادا وطنيا.

- إعادة النظر في طرائق التدريس والمناهج التربوية وذلك بالعمل على تخليصها من الجمود والتلف، وترقيتها وعصرنتها حتى تتحقق الفائدة المرجوة من وجودها.
- إعادة الاعتبار للغة العربية، وذلك بالعمل على ترقيتها ترقية علمية حتى تستطيع أن ترفع التحدي العلمي والأدبي كما كانت في عصور الإسلام الذهبية.

- العمل على تأسيس منظومة تربوية تجمع ما بين التعليم الأصلي والعصري والحث على العناية بالتاريخ الوطني.

أما في الفصل السادس والذي حمل عنوان" الهوية في الخطاب النهضوي " فقد أردت من خلاله تسليط الضوء على صراع الهوية بين الأنا والآخر، وكيف كان التصدي لسياسة الإدماج والتجنيس التي تستهدف الهوية الجزائرية في الصميم، وكيف حدد النهضويون الجزائريون هويتهم في أبعادها الجزائرية والمغاربية والعربية الإسلامية، وأبرزت في هذا الفصل كذلك ملامح الأدب الثوري الذي ظهر في الجزائر في الفترة السابقة للثورة المسلحة، والذي حمل في طياته ومضامينه روح الثورة والتمرد على كل ما هو استعماري .

أما الفصل السابع والأخير فقد تناولت فيه الأبعاد الثورية والمواقف السياسية في الخطاب النهضوي حيث سلطت الضوء على أشكال من المواقف الثورية التي ترمي إلى توعية الشعب لكي يتجند ويتوحد استعدادا لمعركة التحرير.

أما الخاتمة : فقد جاءت على شكل استنتاجات لهذه الدراسة وذيلت العمل في الأخير بجملة من الملاحق.

ولا يفوتني في الأخير أن أتوجه بشكري الخاص إلى أستاذي الدكتور ناصر الدين سعيدوني الذي تحمل عبء الإشراف على هذه الرسالة، وكان لتوجيهاته السديدة بالغ الأثر في إنجازها ،كما أشكر الأستاذين عبد الله ركيبي ومحمد ناصر على مساعدتهما لي في هذا المجال، وإلى كل من قدم لي يد المساعدة سواء من قريب أو من بعيد.

البليدة يوم 28 رجب 1425 هـ

الموافق لـ: 13 سبتمبر 2004 م

الفصل التمهيدي:

حرب الإبادة الاستعمارية ضد الأمة الجزائرية

توطئة

1- الإبادة المادية

2- الإبادة الروحية

خلاصة

توطـئــــــــــة

تعرضت الجزائر عام 1830م لهجمة استعمارية شرسة من قبل القوات الفرنسية مدفوعة بحقد كبير دفين على الأمة الجزائرية، و كان الملك الفرنسي شارل العاشر و هو يعد العدة لغزو الجزائر قد عبّر عن نوازعه الصليبية حين قال في خطاب له بمناسبة ذكرى اعتلائه العرش: " إن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الفرنسي، سيكون بإعانة العلي القدير لفائدة المسيحية جمعاء."[1]

و أبدت العديد من الدول الأوروبية ارتياحها للغزو رغم المنافسة التي كانت قائمة بينها على اقتسام مناطق النفوذ في إفريقيا و آسيا و الأمريكيتين، و لكن يبدو أن الروح الصليبية في نفوس قادتها كانت أقوى من روح المنافسة على المصالح المادية، ضف إلى ذلك روح التشفي و الانتقام بعد أن حاول معظمهم غزو الجزائر أكثر من مرة مثل الاسبان و الإنجليز، فضلا عن الفرنسيين أنفسهم و لكنهم منوا في كل مرة بالفشل الذريع. [2]

و قد قامت استراتيجية الاستعمار في الجزائر أساسا على حرب إبادة و تصفية للوجود الجزائري و الإجهاز على قيمه و مؤسساته الروحية و المعنوية وذلك حتى يتسنى للدولة الاستعمارية احتواء الكيان الجزائري و إذابته في بوتقة الحضارة الفرنسية و تحقيق السيطرة الأبدية على البلاد.

وقد قام في أول الأمر على فكرة الفتح بالبندقية والمحراث واستمد منطلقاته وخططه البعيدة من تقاليد الاستعمار الروماني القديم[3]

1- الإبــادة الـمـاديـة :

لقد كانت الإجراءات العملية الأولى في مخطط حرب الإبادة الشاملة ضد الشعب الجزائري،تتمثل في مواصلة الغزو الاحتلال و توسيع رقعة الحرب من أجل الإستيلاء على كافة أراضي الجزائر من أقصاها إلى أقصاها و منذ 12 نوفمبر 1830م أكد الماريشال جيرارد(GERARD) بعد تسلم أوامر لملك أنه أعلم جنرال جيش إفريقيا كلوزيل(CLAUZEL) أن الحكومة الفرنسية عزمت على الاحتفاظ بالجزائر لفتح أراضي واسعة للفائض من سكانها ،و لتسويق إنتاج مصانعنا" [4]

وأمام توسيع البرجوازية الأوروبية و أمام ازدهارها التجاري إن برجوازية فرنسا وحسب فرحات عباس [4] ما كان لها أن تبقى مخنوقة في نطاق ضيق من جراء انهزاماتها المتوالية.

1- المدني، هذه ه الجزائر، مكتبة النهضة العربية القاهرة 1956 ص 78
2- أحمد منور،أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية رسالة دكتوراه مخطوطة جامعة الجزائر 1420هـ/2000م ص 19.
3- سعيدوني، الجزائر منطلقات و آفاق دار الغرب الاسلامي ط(1)2000 بيروت ،ص36
4- اندري برنيان.....الجزائر بين الماضي و الحاضر ترجمة رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المخطوطات الجامعية الجزائر 1984 ص 233
5-ولد بالطاهير بجيجل سنة 1899 ينحدر من أسرة فلاحية ،ثقافته واسعة باللغة الفرنسية يحمل شهادة للصيدلة من جامعة الجزائر،ناضل وهو طالب بالجامعة ضد السياسة الاستعمارية من خلال ودادية الطلبة التي كان رئيسها،اعتقل أثناء حوادث 8 ماي 1945 م مؤسس حزب الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري،نظم الثورة المسلحة وأصبح رئيسا لأول حكومة مؤقتة من 1958 إلى 1961 م وبعد الاستقلال اعتزل السياسة عارض في 1976 مع بن خدة وخير الدين ولحول الميثاق الوطني،وصار تحت الرقابة من

1976 إلى 1979م توفي رحمه الله سنة 1985 بمدينة الجزائر.انظر Ben Jamin Stora et Daoud Zakia, Ferhat abbas et autre Algerie, Edition Casbah1995

إن المنافسات العديدة القائمة بين الدول الأوروبية على مناطق النفوذ تفسر وحـــــدها الأعمال الاستعمارية التي قامت بها الرأسمالية الفرنسية .[1] حيث عرفت الفترة الني احتلت فيها الجزائر ظروف دولية تميزت بنمو الذهنية العدوانية في الغرب الأوروبي منذ نهاية القرن الثامن عشر.[2]

إن الشغل الشاغل لفرنسا الرأسمالية هو تكوين إمبراطورية جديدة قوية و إنشاء مستعمرات لا تكون أسواقا للاستهلاك و مصدرا للمواد الأولية لصناعتها فقط بل لتكوّن أيضا مناطق نفوذ للغة الفرنسية و للجنس الفرنسي ،فوقع اختيار البرجوازية الفرنسية على الجزائر و المغرب العربي ، ضاربة عرض الحائط بكل الاعتبارات الإنسانية و غير مكترثة بحضارة الشعوب و شخصيتها العتيدة.[3]

وقد كان الهدف الصريح أو الخفي للاستعمار هو إبادة الشعب الجزائري و إحلال شعب آخر محله،و أن حرب الإبادة هذه بنتائجها المباشرة و غير المباشرة قد أدت بين 1830 و 1870م إلى هلاك عدة ملايين من السكان، وخاصة سكان الأرياف الذين أهلكتهم المجاعات، أعمال التخريب والمعارك الطاحنة ،والتشريد و كذلك سكان المدن الذين أخرجوا من ديارهم، وأصبحوا يعيشون في المنفى. [3]

ب) انتهاك حرمة الأملاك وتشجيع الاستيطان.

منذ البداية المشؤومة لاحتلال الجزائر في سنة 1830م كشف الفرنسيون حكاما و معمرين عن وجههم الحقيقي المتمثل في الرغبة الجامحة لوضع يدهم على أملاك الجزائريين واستعمال كل الوسائل أو الذرائع لتحقيق ذلك، فمالا يجوز اقترافه في أوربا و لا تبيحه القوانين هنالك يصبح اقترافه مباحا بل وواجبا في الجزائر ،و قد ذكر عباس فرحات نقلا عن الدكتور بوديشون في كتابه " خواطر عن الجزائر 1954 " لا يهم فرنسا أن تخرق في سياستها الاستعمارية المقاييس الأخلاقية و قيمها ، و لكن الذي يهمنا قبل كل شيء هو تأسيس مستعمرة تملكها بصفة نهائية و تنشر على الشواطئ البربرية المدنية الأوربية. و من البديهي أن أقصر الطرق لبلوغ غايتها هو نشر الرعب ففي استطاعتنا أن نحارب أعداءنا الإفريقيين بالحديد و النار و أن نضرم نار الفتنة بين قبائل التل و الصحراء و أن نبلو السكان باستهلاك الكحول و نشر الفساد و بث عقارب النزاع و الفوضى بينهم " .[5] و حتى تجد فرنسا حلولا لمشاكلها الاجتماعية اقترح استعماري آخر الحل لذلك بالسطو على البلاد الجزائرية : " يجب علينا أن نستولي شيئا فشيئا بدون هوادة و لا شفقة على جميع مراتعهم و مراعيهم ، و نثقل كواهلهم بضرائب مرهقة فيصبحون حينذاك بين أمرين لا ثالث لهما : إما أن يثوروا و إما أن ينخرطوا في جيش فرنسا

1- فرحات عباس : ليل الاستعمار ترجمة أبو بكر رحال،دار فضالة المغرب د.ت ص 55

2- جمال قنان/ دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر/ منشورات متحف المجاهد، الجزائر 1994 ص70

3-عباس المصدر نفسه ص 55

4- مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة و التاريخ ترجمة حنفي بن عيسى المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1830 ص 22

5- عباس، المرجع نفسه،ص 74،73

للدفاع عنها " [1] .

واقترح استعماري آخر أيضا بأن تسوى المشاكل الاجتماعية القائمة في فرنسا باستعمار الجزائر فقال:" إن نزع الملكية من يد الأهالي هو الشرط الأساسي الذي لا مناص منه لاستيطان الفرنسويين" وهذه الفكرة نفسها هي التي خامرت عقل عالم اجتماعي آخر شارل فوري الذي يقول بأن هجرة الأوروبيين إلى الجزائر يجب أن تكون عارمة جارفة ، يجب أن نبعث هناك جحافل دهماء من الأوروبيين إن في استطاعة فرنسا أن تبعث دون أن تنهك نفسها أربعة ملايين نسمة ثم تبعث أوربا ما تبقى " [2]

و الحق أن فرنسا طيلة سبعين عاما (1900/1830) قد نهبت الجزائريين و سلبتهم و طاردتهم وشردتهم لتعمر القطر الجزائري بالإيطاليين و المالطيين و الإسبان. [3] الذين جاءوا يحملون أهدافا متعددة كان بعضهم بدافع المغامرة الاقتصادية، و كان البعض الآخر بحوافز وطنية واجتماعية وسياسية متعددة فتمركز الفلاحون الاسبان في غرب الجزائر بينما استقر الإيطاليون و المالطيون والفلاحون و الصيادون الكورسيكيون في شرق الجزائر. [4]

و قد تميزت الفترة التي أعقبت فشل ثورة الحاج المقراني في عام 1871م حتى 1919م سعي سلطات الاحتلال لاستكمال عملية هدم جميع مقومات المجتمع الجزائري التي قطعت فيها أشواطا بعيدة خلال الفترة السابقة.

و من ذلك عمدت هذه السلطات إلى تجريد الأهالي من أراضيهم ممّا زاد من توسيع دائرة الفقر و الحرمان في صفوف الأهالي تقول جوان غيليسي" وأدت ثورة فاشلة وقعت في عام 1870م إلى اغتصاب عدة ملايين أخرى من الأفدنة[5] مما أنزل ضربة أخرى بالمجتمع الريفي الجزائري و أدى هذا العمل إلى إفقار الكثير من القبليين الذين كانوا من أشد الناقمين على فرنسا بين أبناء الجزائر ودفع بهم إلى مختلف أنحاء الجزائر بحثا عن العمل..."[6]

و طبقا لقانون 26 جويلية 1973م الصادر عن مجلس النواب الفرنسي اعتبرت كل الأملاك العقارية بالجزائر خاضعة للقانون الفرنسي .[7]ومدمجة كلية وبسرعة وفقا لنظام الملكية الفرنسي وفرنسة الأرض التي كانت تستغل وفق الشريعة الاسلامية[8]

و بموجب ذلك لم يعد من حق الملاك الجزائريين المحافظة على الأملاك الجماعية التي هي

1- عباس، المصدر السابق،ص 74

2- عباس،المصدر نفسه...ص 74

3-عباس، المصدر نفسه...ص 50

4- عبد الكريم بوصفصاف ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،مطبعة البعث، قسنطينة،ط1، 1981، ص 27 -28.

5-قدرت الأراضي المصادرة بـ 204933 هكتارا فيها 121827 هكتارا بعمالة قسنطينة و83106 هكتار بعمالة الجزائر مع فرض غرامة بقيمة مائة فرنك على كل بندقية محتجزة للمزيد د/ سعيدوني ،الجزائر ، منطلقات وأفاق ، دار الغرب الاسلامي بيروت (ط1) 2000 ص 24

6- جوان غيليسي، الجزائر الثائرة ترجمة خيري حماد دار الطليعة بيروت ط (1) 1961،ص 31

7- Charles Robert Ageron.Les AlgeriensMusulmans et la France.P.U.F.Paris1968 T1p 79.

8- Djamal Kharchi,.Colonisations et politique D'Assimilation en Algerie1830-1962,Casbah

Editions Alger 2004 p255

عادة مرعية في الشريعة الإسلامية ،و ترتب عن هذا القانون نوع من المضاربة و التسابق إلى التخلص من الأراضي مما ولّد نزاعات بين المواطنين الجزائريين واستغلت السلطات الفرنسية هذه النقطة بالذات إذا ما آل الأمر إلى المحاكم لتبث في الأمر . و الذي لا جدال فيه هو أن عددا لا يستهان به من سكان البلد الأصليين قد خسروا أراضيهم في النهاية و ذلك لقلة إلمامهم بالإجراءات القانونية التي ينبغي اتباعها لإثبات حقوق الملكية و ربح المعركة ضد المهاجرين الأجانب .(1)

و بناء على القانون الصادر بتاريخ 30 ديسمبر 1887م من قبل سلطات الاحتلال الفرنسية أصبحت عملية انتقال ملكية الأرض من الأوروبيين إلى الجزائريين عن طريق الشراء محظورة حتى و لو كانت إمكانات البعض تسمح بذلك فإنهم لا يستطيعون شراء أراضي الدومين و لا أراضي الكولون.(2) الأمر الذي جعل المستوطنين يحصلون في أقل من ثلاثين عاما من 1871 إلى 1893 م على مليون هكتار تقريبا.(3)

و في الوقت الذي تقلص وجود العائلات الجزائرية الفلاحية في المناطق الزراعية الخصبة بفعل الحروب و أعمال الإرهاب و المطاردة و المصادرة أخذ المد الاستيطاني يزداد تغلغلا و تصعيدا خاصة في السبعينيات من القرن التاسع عشر و العقود التي تلتها. حيث أصبحت خطة الاستعمار مدروسة ومرفوقة بتشريعات فرنسية لحماية المستوطنين و تدعيم وجودهم وارتفع عدد المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين في الجزائر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر من ربع مليون إلى 376 ألف نسمة.(4)

و لم يتوقف الأمر عند حد فتح باب الهجرة على مصراعيه أمام الأوروبيين فحسب ، بل إن إدارة الاحتلال عمدت إلى إصدار مرسوم يوم أكتوبر 1870م والذي تم بموجبه إعطاء الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر بصورة جماعية .

و تبعا لذلك نزع اليهود بدلتهم القديمة و لبسوا لباس الأوروبيين القشيب بعد أن تطبعوا بأخلاقهم وعاداتهم و كل مظاهر الحياة الأخرى .(5)

و ساعدت سياسة الاستيطان هذه على تعمير المناطق الحيوية في البلاد بالعناصر الأوروبية ذات المصالح الاقتصادية الخالصة مما جعل عدد المستوطنين يرتفع ليصل في عام 1911 إلى 562931 نسمة و المراكز الاستعمارية تنتشر في مناطق لم تعرفها من قبل مثل وادي الشلف في الغرب والصومام و سطيف في الشرق و بلغ ما أنشئ من قرى استعمارية 264 في مدى عشر

1-Ageron :op.cit.t.1. p.200

2- جمال قنان، الشعب الجزائري في مواجهة الاحتلال،جريدة الشعب عدد 11 أكتوبر 1984.

3- شارل روبير أجيرون،تاريخ الجزائر المعاصرة،ترجمة عيسى عصفور ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط (2) 1982 ص 88

4-عبد المالك خلف التميمي الإستطان الأجنبي في الوطن العربي الكويت 1983، ص.23

5- جريدة المبشر عدد 724 (10 نوفمبر 1870)

سنوات (1904-1914) . [1]

و هكذا تفنن المعمرون في السيطرة على أملاك الجزائريين بشتى الطرق و اختلاف الوسائل وتحول الجزائريون إلى عمال زراعيين "خماسة" [2]. و أجراء في ضيعات المعمرين و كثيرا ما كان ينتهي عدد كبير منهم إلى الطرد ممّا زاد في تفاقم الأحوال و كرس بالتالي ظاهرة البطالة في المجتمع الجزائري بأبشع صورها و أشكالها و تأسست بلا خجل ولا ورع ما يعرف بالجزائر النافقة و هي جزائر الأوروبيين خلافا للجزائر العربية المسلمة التي تطاولت عليها أيدي الخراب و الإهمال والمجاعة والإملاق. [3]

و تدهورت الأحوال الاقتصادية لعامة الجزائريين بانتقال موارد الرزق من الجزائريين إلى المستوطنين ، فزيادة على نهب الأراضي حيث انتزع من الأهالي من سنة 1840-1950م حوالي2,703,000 هكتار [4] راحت قطعان الماشية و الحيوانات تقل تدريجيا تبعا لنقصان أراضي الرعي وذلك لأن المساحات الشاسعة حيث كانت تربى القطعان الكبيرة صارت ملكا للاستعمار،و هذا ما أدى إلى نقص في التغذية و سبب الهجرة من الريف. [5] و أصبح المستوطنون مسيطرين على 28,65% وعلى 75% من القطاع الثالث و المعاملات التجارية .[6] و استحوذ المستعمرون على السوق الجزائرية بصورة فظيعة مما أدى إلى تفكك الإنتاج الحرفي و عزله و هو الذي كان مزدهرا عام 1830م[7] فقد ساهمت حركة الاستعمار و توطين الأجانب من طرق عديدة في أضعاف الحرفيين الجزائريين و ذلك بإفقار زبائنهم الريفيين الذين أرغموا على ارتداء الرث من الثياب بدلا من ألبستهم التقليدية المنسوجة من الصوف.[8].

1- صلاح العقاد ،المغرب العربي من الاستطان الفرنسي إلى التحرر القومي ، الجزء 2 ،مكتبة الأنجلو مصرية د-ت ص 19.

2- هو الفلاح الذي لا أرض له يعمل عند الملاك الزراعيين بجهده بحيث يأخذ خمس الإنتاج ذلك لأن المحصول يتركب من خمسة أجزاء و هي : جزء للأرض ،جزء للزرع، جزء للحيوانات المستخدمة في الحرث، جزء للأدوات و جزء للعمل .و ما دام المالك بيده الأرض،الزرع،الحيوانات، الأدوات يبقى نصيب الفلاح الخماس خمس الإنتاج فقط للمزيد انظر الأستاذ محمد بلقاسم حسن بهلول ، القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1985 ص 10،11

3- فرحات عباس ، المرجع السابق،ص.117

4- التميمي،المرجع السابق، ص 93

5- د/ عدي الهواري ،الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاجتماعي و الاقتصادي تقريب جوزيف عبد الله ط (1)1983 دار الحداثة ، بيروت ص 75

6- شارل روبير اجيرون ، المرجع السابق، ص 124

7- لقد هدم الفرنسيون محلات سوق المقايس التي تصنع فيها الاساور كحلي للنساء وكانت تشكل فرعا رئسيا من فروع الصناعة بمدينة الجزائر وكان الانتاج يصدر للخارج، كما تم القضاء على مصانع الحرير ومحلات الصباغين وورشات صناعة الاواني و الادوات الحديدية وغيرها للمزيد انظر حمدان خوجة المرآة ترجمة العربي الزبيري ط2 –ش و ن ت الجزائر 1982 – ص 277 وما بعدها.

8- هنري كلود و آخرون ، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي تقريب محمد عيتابي ، دار المعارف، بيروت ص 93

و حرمت الجزائر من الصناعة الحديثة لأن الاستعمار قد تعمد القضاء على كل حركة تصنيع في البلاد فالذي كان يهمه فقط هو نهب و استنزاف خيرات البلاد ليزدا د رفاهية و ترفا [1] بالإضافة إلى تخوف الفرنسيين من حدوث تغيير في عقلية الجزائريين نتيجة إذا ما ارتفع مستواهم المادي والاجتماعي فيؤثر سلبا على امتيازات المعمرين الذين سيفقدون اليد العاملة الرخيصة و بالتالي سيفقدون تحكمهم في جهاز الدولة.

وعليه فإن الجزائر تركت دون صناعة تذكر عدا بعض معامل الزيت و الصابون وصناعة السجائر و التبغ ، و ما بقي بأيدي المسلمين من الصناعات التقليدية مثل نسج الزرابي و حياكة الأصواف للاستهلاك المحلي .[2]

و حتى هذه الصناعات المحلية التقليدية لم تستطع الصمود أمام الصناعة الأوربية الحديثة نتيجة لسياسة فتح أسواق الجزائر في وجه الصناعة الأوروبية دون قيود و لا حدود، الأمر الذي حوّل الجزائر إلى سوق حرة للبضائع الأجنبية.

ب) سياسة الضرائب التعسفية :

و ما أرهق أكثر الإنسان الجزائري سواء أكان عاملا في القطاع الفلاحي أم الصناعي هي "الضرائب" المفروضة بصفة خاصة على المسلمين الجزائريين دون حصولهم على ميزات مقابل دفعها[3] و الأوروبيون لا يدفعون أبدا أية ضريبة سوى على أراضيهم و أعمالهم في حين أن الجزائريين تفرض عليهم سلسلة من الضرائب العديدة يطلق عليها اسم " الضرائب العربية " و زيادة على ذلك فإن هذه الضرائب الباهضة قد طغت على رأس المال البسيط الذي يملكه الجزائري بحيث أنه لم يعد في الإمكان استثماره في الإنتاج و إنما أصبح يحتفظ به كاحتياط لتسديد الضرائب.[4]

و منذ احتلال البلاد أخضع الجزائريون إلى نوعين من الضرائب : الضرائب التقليدية التي كانت تجبى في مختلف أنحاء البلاد قبل عام 1830م و التي ألحقت بها سنة 1871م عدة ضرائب تكميلية يطلق عليها اسم " السنتيمات الإضافية " و الضرائب الجديدة هي التي فرضتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر يضاف إلى ذلك الضرائب غير المباشرة التي كانت تفرض على السلع و الخدمات

1-عمد الاستعمار إلى تدمير الحرف الصناعية التقليدية عندما أغرق الأسواق بمنتوجاته و عندما أصدر قانون إلغاء النظام الحرفي فزادت صعوبات الإمداد بالمواد الأولية و التعريف بالمنتوجات للمزيد أنظر د/ عبد اللطيف بن اشنهو ، تكون التخلف في الجزائر 1962/1830، ترجمة نخبة من الأساتذة ، ش-و-ن-ت الجزائر 1979 ص 244

2- أحمد توفيق المدني هذه هي الجزائر ...ص 126

3- عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا ش-و-ن-ت الجزائر ، 1974، ص.94

4- جمال قنان ، الشعب الجزائري في مواجهة الاحتلال جريدة الشعب 10 أكتوبر 1984.

و أصبح الممول الجزائري بالتالي يخضع لنظام ضرائبي فريد من نوعه.[1]

و لقد تمكن الأوروبيون من تكوين ثروة لا مثيل لها على حساب الجزائريين ، بحيث أنهم حققوا فائضا من هذه الضريبة العربية المفروضة على أبناء الوطن في الفترة الممتدة من 1887 إلى 1891م تقدر بـ 11 إلى 13 مليون فرنك قديم .[2]

و كانت الإجراءات التي يتم عن طريقها استخلاص هذه الغرامات دنيئة جدا ، و من ذلك أنه عندما يعجز إنسان عن أداء ما عليه من الغرامة ، فإن المحصل يقصده إلى منزله لحجز كل ما لديه من الأشياء ذات القيمة ثم يسوقه هو وزوجته تحت حراسة فرقة من الدرك إلى المركز الإداري لبيع هذه الأشياء في السوق فإذا ما غطى ثمنها ما عليه من الغرامة فإنه سيطلق سراحه مع زوجته و إلا تبقى زوجته رهينة إلى أن يستوفي ما عليه.[3] و في هذا الصدد فإن جحافل المرابين هم له بالمرصاد لقد كان دارجا أن يقرض هؤلاء فرنكا مقابل خمسة أضعاف في آجال لا يتجاوز بضعة أشهر ولقد اشتدت ظاهرة الربا و نموه في هذه الفترة إلى درجة لا تتصور، فقد كانت البنوك تقرض الجزائريين بسعر فائدة يصل إلى 30% في الوقت الذي لم يكن يتجاوز في فرنسا عند آواخر القرن التاسع عشر 03% .[4] ولا ينبغي أن ننسى كذلك طريقة جباية الضرائب حيث تتطلب عمليات معقدة و محاكمات واللاعدالة والاستدعاءات المتكررة ممّا يزيد في نفقات الدافع و مشكلة المواصلات و تكرر حساب الأشياء التي تلحقها الضريبة [5]

لقد كان للإجراءات التعسفية في حق الجزائريين و المتمثلة في تجريدهم من أملاكهم وعمليات المصادرة لأراضيهم ، و الضرائب الباهضة المسلطة على رقابهم انعكاسات سلبية جدا على الأوضاع الاجتماعية.

ت) سياسة الإبادة عن طريق المجاعات :

و لقد كانت عمليات السلب و النهب و التفقير المنتهجة من قبل سلطات الاحتلال تستهدف في الحقيقة إبادة الشعب الجزائري و محوه من أرضه ، بناء على الاعتقاد الذي كان سائدا عندها من أن الشعب الجزائري مآله الانقراض بحكم قانون " البقاء للأصلح" خاصة و أن الوضعية الديمغرافية

---

1 -Charles Robert ageron: Jules Ferry et la question algerienne ,en 1982 ; Revue d histoire modérne et contomporaine,avril-juin 1963 ,p131

2- جمال قنان الشعب الجزائري في مواجهة الاحتلال جريدة الشعب 10 أكتوبر 1984.

3- المرجع نفسه

4-المرجع نفسه

5-رزاقي عبد الرحمن ،الضرائب في الجزائر ما بين 1871و 1974 ،مجلة الباحث نوفمبر 1985 عدد 3، المطبعة المركزية ص42.

المتدهورة التي كان عليها كانت تدعم لديهم هذا الاعتقاد .[1]

و قد شهدت الجزائر سلسلة من الأزمات الحادة تواصلت من سنة 1866 إلى سنة 1870م وألحقت أضرارا بالغة الأثر بالوضعية الديمغرافية للجزائر.[2] ، فأدى الجفاف و الأوبئة و الجراد إلى حدوث مجاعات حادة في صفوف الجزائريين أدت إلى تدحرج عدد سكان الجزائريين من 27.0000 نسمة إلى 2100000 نسمة[3].

و ارتفعت الأسعار و تجاوزت مستوى 50 فرنكا للقنطار الواحد من القمح الصلب و 40 فرنكا للقنطار من الشعير في ربيع 1868، و بالمقارنة مع القمح عرف الشعير زيادة كبيرة لإقبال الفلاحين عليه لرخصه، و لأداء الضرائب كان الفلاحون يبيعون حيواناتهم و لكن الماشية لحقها الضرر من جراء الجفاف[4]، و كان صيف 1867 م فصل المجاعة، ووصف لافيجري.[5] هذه المشاهد المرعبة بقوله : " منذ عدة أشهر و العرب لم يجدوا ما يقتاتون به إلا الأعشاب في الحقول و أوراق الأشجار التي يرعون فيها مثل الحيوان والآن مع شدة الخريف ضعفت أجسامهم فماتوا جوعا فهم عراة يرتدون لباسا رثا. يتسكعون ضالين على الطريق و حول المدن التي أخرجوا منها خوفا من الفوضى التي قد يتسببون فيها فهم ينتظرون جمع النفايات و الفواضل للصراع حولها فلا يرجعهم شيئا و يحفرون الأرض للتقوت من الحيوانات الجيفة و هم يغيرون علىعلف حيوانات المعمرين الذين كانوا يحرسون حقولهم بالسلاح والأفضع من كل ذلك موت الكثير عبر الحقول و تناثرهم كل صباح دون حركة الحياة .[6]

وحين قصدت الرحالة الإنكليزية ايديث هالفورد نلسون مدينة بوسعادة في بداية القرن العشرين شاهدت بأم عينيها كيف كان الفقراء الجزائريون ينتظرون في الصباح أمام مقر الحاكم ليرمي لهم من الشرقات قليلا من الخبز فقد رأت اللفائف الصغيرة ترمى على النساء و أطفال يوشكون على الهلاك وكان ذلك يحدث مرة واحدة في الأسبوع.[7]

و في الوقت الذي أصبح فيه الجزائريون محرومين من حقوقهم السياسية ، و يجردون بشكل سافر من ممتلكاتهم، و يشدد عليهم الخناق في مجال العمل ، نجد المعمرين يتمكنون في نهاية العقد الأخير من إقناع حكومة باريس من إعطاء الجزائر نوعا من الحرية في تسيير شؤونها بنفسها و فعلا تم ذلك و وصارت الجزائر ابتداء من سنة 1900م مستقلة بميزانية خاصة [8]

و عندما جاءت الحرب العالمية الأولى ساءت أوضاع الجزائريين أكثر فأكثر، حيث ارتفعت

1- جمال قنان ، المرجع السابق.
2 - لقد هلك في هذه المجاعات زهاء نصف مليون نسمة حسب Burzetأما صاري فقدرها بمليون نسمة انظر Burzet Abbe Histoire des desastres de lAlgerie,Impremrie cex ntrale Alger 1869 p71وجيلالي صاري الكارثة الديموغرافية 1867 1868 المجلة التاريخية المغربية عدد 21 22 أفريل 1981 ص179
3- أندري برنيان و آخرون ، المرجع السابق،.. ص 340.
4-انخفض عدد قطعان المواشي (الأغنام) إلى 3.6 مليون رأس سنة 1900 أنظر سعيدوني، الجزائر ..منطلقات وآفاق، ص 41
5- كاردينال فرنسي ولد ببايون سنة 1825 دكتور في التيولوجيا وأستاذ في التاريخ بكلية باريس في 1867 انتقل إلى الجزائر وراح يعمل لخدمة التنصير أسس جمعية الآباء البيض سنة 1872 وجعل مركزها بالحراش كما أرسل الوفود التبسيرية إلى إفريقيا السوداء وامتد نشاطه النبشيري إلى تونس توفي سنة 1894 انظر Narcisse Faucon Le livre d Or de lAlgerie T1 Paris 1889 PP339 340والشيخ بوعمران الأسقف لافيجري ونشاطه التبشيري في وادي الشلف الأصالة عدد 83 84 1980
6- أندري برنيان و آخرون، المرجع السابق ،.. ص 341.
7- عبد الله الركيبي الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز دار الحكمة الجزائر 1999 ص 107
8- Victor piquet ,la colonisation française dans l’algerie du nord,lib, armand,colin,paris,p 262

أسعار المواد الأكثر استهلاكا مثل الحليب و البطاطا و البيض واللحم و الدقيق، ففي الوقت الذي كان فيه سعر القمح في فرنسا يقدر ب 100 فرنك للقنطار نجده بـ 120 فرنك يباع في الجزائر،و في الوقت الذي كان فيه رغيف الخبز يباع بـفرنك في باريس كان في الجزائر يباع بـ 51. فرنكا. [1]

كما يضاف إلى هذا ذلك الضعف الفضيع في الخدمات الصحية فحتى سنة 1918 لم يكن يوجد في الجزائر إلا 77 طبيبا، بل أن هناك مناطق داخلية لم ير الناس فيها طبيبا[2] .

جـ) الإبادة عن طريق الإكراه على الهجرة : لقد أدى تجريد الجزائريين من ممتلكاتهم العقارية ، و من موارد الرزق التي كانت بحوزتهم إلى أن صاروا يعيشون في ظروف قاهرة يفترشون الأرض و يلتحفون السماء عرضة لكل الأمراض والأوبئة الفتاكة، و أصبحوا في حالة يأس و إحباط من تحسن أوضاعهم ، فقد كان الجزائريون تحت رحمة القوانين الاستثنائية وقانون الاهالي ونظام الغابات وغياب الحرية وكانت القطرة التي أفاضت الكأس هي إصدار فرنسا لمرسوم الخدمة العسكرية الإجبارية في فبراير1912م توفر أعداد كبيرة من الناس في الجزائر للزج بهم في الحرب العالمية الأولى و الإسهام بطريقة مباشرة في خدمة المجهود العسكري الفرنسي(3).

فقد شارك زهاء 30000 شابا جزائريا في الحرب منهم 173000 ساهموا في العمليات العسكرية و أجبر الباقي على العمل في المؤسسات العسكرية و المدنية بفرنسا و حصدت الحرب العالمية الأولى 25.171 شابا جزائريا بينما أصيب 72.035 بجروح .[4]

و لكن الجزائريين وجدوا أنفسهم رغما عنهم يقومون بواجباتهم كاملة بينما هم محرومون من أبسط حقوقهم في وطنهم ، فقد عبروا بكل سخط و رفضوا أشكالا عديدة منها القيام بانتفاضات مسلحة ضده. كانتفاضة معسكر 1914. [5] و بعدها انتفاضة الأوراس سنة 1916 [6] و القيام بمظاهرات وإرسال الوفود إلى فرنسا للاحتجاج لدى الحكومة الفرنسية المركزية.

كما كانت الهجرة ملاذا للكثير من الجزائريين من الناحية الروحية و المادية معا ، فمن جهة كانت رفضا لقانون التجنيد الإجباري بعد أن تعذر عليهم التصدي له فخرجوا من بلادهم فارين بدينهم وقيمهم إلى أقطار الشرق الإسلامي حيث حطوا رحالهم بعد أن سئموا من الحياة في ظل الإجراءات الاستثنائية التي جردتهم من جميع حقوقهم و صيرتهم عبيدا بعد أن كانوا سادة. و لم تعد مسألة البحث عن منصب شغل عند الجزائريين هي الشغل الشاغل فقط بقدر ما أصبح البحث عن وطن آخر يكون مساعدا للمسلم الجزائري لكي يحافظ فيه على هويته هو الغاية المنشودة أيضا " إن الحياة الاستعمارية

1- Jacques Jurquet; la révolution nationale algérienne, éditons du centenaire, paris 1974,p 51 .
2-Gilbert Meynier, L'Algerie Revélée Geneive 1981 , p 198.

3- Mahfoud Kaddache, Djilali Sari, l'algerie dans l'histoire(5), OPU, ENAL, Alger, 1989, p. 58.

4- انظر مقال الأستاذ محمد عالم ، انتفاضة معسكر أو دينامية النضال الشعبي في مطلع القرن العشرين ، مجلة التاريخ المركز الوطني للدراسات التاريخية ،النصف الأول من سنة 1986،عدد 211986 ،ص .103.

5- المرجع السابق ص 89و ما بعدها.

6- السلطات الفرنسية استقدمت قوات عسكرية لسحق مقاومة الفلاحين في الأوراس الذين تمكنوا من القضاء على العديد من الموظفين الفرنسيين أنظر André Nouschi , la naissance du nationalisme algérien, minuit, Paris, 1962 p25

الجديدة كانت من بين الأسباب التي قادت الهجرة الجزائرية لأن الاستعمار قضى على الظروف التقليدية لحياته المادية و الروحية" .[1]

لقد كانت الهجرة جماعية فقد سجل رحيل بعض الأسر الكبيرة بمدينة مليانة سنة 1899م، وسطيف سنة 1910 م في اتجاه سوريا و في سنة 1911م هاجر مئات الجزائريين من قسنطينة وسطيف نحو سوريا [2] و نزوح ما بين 1907-1908م زهاء 140 شابا من دائرة تلمسان و بلديات سيدي الرمشي وندرومة،كما رغب 1200 آخر في مغادرة تلمسان من أصل 25.000 مسلم يقطن تلمسان المدينة و لم تكن قضية التجنيد العسكري إلا القطرة التي أفاضت الكأس.[3]

و قد بلغ مجموع من توطن من الجزائريين في البلاد السورية وحدها 20000 مهاجر.[4]كما هاجر آخرون إلى باقي البلاد العربية والاسلامية[5].

أما الهجرة صوب أوربا و فرنسا على وجه الخصوص فقد قدر عدد المهاجرين إلى فرنسا في سنة 1912م بحوالي 14.000 و5000 عامل و نصف هؤلاء كانوا في ضواحي مدينة مرسيليا و كانت فرحة الفرنسيين عظيمة بوجودهم لأنهم كانوا يقبلون القيام بأعمال يأبى الفرنسيون إنجازها و يرضون بالأجور البسيطة التي تسلم لهم مقابل عملهم الشاق .[5]

و في سنة 1924 ارتفع عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا إلى 10000جزائري منهم71.028 شخص وصلوا سنة 1924م في الوقت الذي استقر فيه 10000مغربي في فرنسا سنة1924م [6]

و عندما جاءت الأزمة الاقتصادية العالمية سنة 1929م انخفض عدد المهاجرين الجزائريين بشكل ملموس بسبب قلة فرص العمل ، فانخفضت نسبة المهاجرين إلى درجة أن عدد العمال الذين التحقوا بفرنسا عام 1934 أو 1935 م لا يصل إلى ثلث من الذين هاجروا في عام 1929م [7]

و بعد الحرب العالمية الثانية ساهمت اليد العاملة الجزائرية في إعادة بناء فرنسا و قد نتج عن سياسة فتح باب الهجرة التحاق عدد كبير من الجزائريين بفرنسا بحيث أن عددهم بلغ في سنة 1947 م حوالي

1- شارل أندري جوليان إفريقيا الشمالية تسير تقريب المنجي السليم و الطبيب المهيري، و الصادق المقدم و فتحي زهير و الحبيب الشطي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع تونس 1976 ص .128

2- Victor démontes a- f 1912 p 37.5

3- Agero , historie de l a l'Algérie contemporaine t2 p 230

4 -Victorie a –f 1912 p 37

5- نحو المغرب الأقصى حوالي 20.000 (1907) بتونس ما بين 20.000 إلى 30.000 (1921) الحجاز ما بين 10.000 و 15000 (1921) تركيا من50000 إلى 60000 (1921) أنظر د/ سعيدوني الجزائر منطلقات وآفاق ص 40

6- د/ عمار بوحوش ، العمال الجزائريون في فرنسا ، ص .134

7- Taib Belloula ,Les algériens en France Alger 1965, p 29.

8- بوحوش ، المرجع السابق ، ص 138 .

67.000 عاملا ثم ارتفع سنة 1948م إلى 80.7000 عاملا و لعل السبب الذي جعل عدد الجزائريين المتوجهين إلى فرنسا يتضاعف هو انعدام المشاريع الصناعية بالجزائر و انتشار الأمية ممّا حتّم على عدد كبير من الجزائريين البحث عن وسائل العيش في مكان آخر. [1]

و مع منتصف القرن العشرين بلغ عدد الذين بارحوا الجزائر إلى فرنسا ما يقارب نصف مليون شخص جزائري أغلبهم لم يتجاوز سن الثلاثين و قد بقي الكثير منهم في ديار الغربة دون عمل ،بطالين عن العمل لا يجدون ما يسدون به رمقهم دون سكن يأويهم فساءت حالة الكثير منهم قياسا إلى ما كانت عليه بالجزائر. [2]

حـ) الإبادة بالتصفية الجسدية الجماعية :

ذهبت المخططات الرهيبة لإدارة الاحتلال إلى العمل على التقتيل الجماعي للأهالي العزل من السلاح وفق استراتيجية مدروسة و مرتبة تعتمد على أساليب الدمار و الفناء الرهيبة و المرعبة و لعل أخبار المجازر التي كان يقوم بها الضباط الفرنسيون و يفتخرون بالكتابة عنها بكثير من التفاصيل وصارت بين أيدي الباحثين اليوم شهادات تاريخية على قدر من الدقة تعكس ذلك و تؤكده

و قد كانت عمليات التقتيل و الإبادة(3) في العشرية الأولى من الاحتلال تتم بصورة عفوية حيث أمر القائد العام لقوات الاحتلال و هو الجنرال سفاري savary و الملقب بدوق دي روفيقو [4] duc de revigo بإبادة قبيلة العواقبة التي قام بتنفيذها الجنرال فودونس في ليلة 06-07 أفريل 1832م حيث حاصرت قواته أفراد القبيلة و هم نائمون بالقرب من برج القنطرة و هي المحمية الموجودة قبل الاحتلال بمركز الحراش فذبح الجنود كل من وجدوه ،كما تبينه الشهادة التالية : "قتل كل حي و بدون تمييز بين الأعمار ولا الأجناس و بعد هذه العملية الشنيعة رجع فرساننا وهم يحملون على الرماح الرؤوس (للسكان) و يقال أن أحد الجماجم قد أكلت في احتفال فضيع ، و كان القطيع الذي غنم أثناء الإبادة قد بيع إلى قنصل الدانمارك ، و أما باقي الغنيمة فقد عرض في سوق بابا عزون و قد لوحظ فيه بدهشة صورة للنساء وهي مشدودة في قطع أيدي لا زالت ملطخة بالدم، و لوحظ أيضا قطع من المصيغ لازلت مرتبطة بالأذن. و قد وزعت أموال هذه الغنيمة على السفاكين كما أن بيانا أذيع في يوم 8 أفريل أشاد بالارتياح العميق للجنرال أمام شجاعة

1- المرجع السابق ، ص 141.

2 - أحمد بن عمر ، الحالة الاقتصادية في الجزائر، جريدة المنار عدد 4 (21 ماي 1951).

3- يذهب المؤرخ محمد شريف ساحلي إلى أن قوة المقاومة الشعبية هي التي تفسر لجوء الاستعمار الفرنسي إلى سياسة الابادة الجماعية والسلب والنهب . أنظر أحمد شرف الدين، محمد الشريف الساحلي فيلسوف ومؤرخ، المدرسة التاريخية الجزائرية ، منشورات اتحاد الؤرخين الجزائريين، الجزائر ، 1998، ص 129.

4- حل بالجزائر في آخر ديسمبر 1831 م خلفا للجينرال بيرتيزين (خلف كلوزيل) تميز بتصرفاته الغير السديدة و كرهه للجزائريين ، و انفصلت في عهده السلطة العسكرية عن السلطة المدنية بأمر ملكي ، استولى على المؤسسات الدينية ،انظر د/ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ،الجزء1، ص44 و ما بعدها.

الجـنود أثناء الإبادة...[1]

هذا و لم يكتف هذا الجنرال الإرهابي بهذه الإبادة[2] فقط بل ألقي القبض علـى شيخ القبيلـة و هو ربيعة بن سيدي غانـــم وحاكمه أمام محكمة عسكرية فحكم عليه بالإعدام و نفذ فيه الحكم في يوم 19 أبريل بالرغم من وجود الأدلة لنفي التهمة الموجهة لباقي القبيلة. [3]

و مع بداية العشرية الثانية للاحتلال التـي تـولى فيهـا قيـادة جيوش العدو الفرنسـي الجنـرال بيجو صـارت مخططـات القـوات الفرنسـية واضـحة و أهدافها محـددة سـلفا ،كمـا تطـورت فيهـا أدوات التقتيـل وتعـددت وسـائل الإبـادة مثـل القتـل المباشـر بالرصـاص أو بالسـيف أو بسـلاح النـار أو بـالخنق بالـدخان أوبغيره من وسائل القتل، و تدمير القرى، و حرق المحاصيل ،و مصادرة المواشي.

و لعل من أفظع هذه الجرائم التي ارتكبهـا الفرنسيون فـي حق الشـعب الجزائـري عمليـة الحـرق الجماعية التي تمت في حق قبيلة أولاد رياح بغار الفراشيشن من ناحية الظهرة في شـهر جـوان مـن عـام 1845م و جلاد هذه المجازر العقيد بيليسية الذي ترقى فيما بعد علـى جرائمـه إلـى جنـرال ثـم مارشـال ثـم حاكما للجزائر خلال الستينات من القرن 19 م .[4]

و كان أولاد رباح قد لاذوا مع نسائهم و أطفالهم بغار الفراشـيش الـذي كـان لـه مـدخلان الرئيسـي فـي الجنـوب الغربـي و الثـانوي فـي الجنـوب الشـرقي وكـان عددهم أكثـر مـن ألـف شـخص سـدّ علـيهم المحتلون مخـارج الغـار ثـم أضـرموا فيـه النـار و ضـيقوا الحصـار علـى الغـار و ضـاعفوا مـن إيقـاد النـار فكانت " عملية تمحيص العرب و شوائهم على النار بدم بارد حقيقية كانت الحصيلة الفظيعة اختنـاق أزيـد من ألف شخص في ذلك الغار بعد أن حاصـرته النيـران و الـدخان منذ يـومين و ليلتـين و تحيطـه الـذئاب الجائعة لفرائس الإنسان .[5]

و عندما أحدثت هذه المجزرة استياء و أعرب حتى أعضاء مجلس النواب الفرنسي عن قلقهم و طلبوا من وزير الحربية المارشال سولت إيضاحات، كان رد فعل الجيش و قائده بيجو الاحتجاج على ذلك معتبرا الكلمات الصادرة عن النواب غير لائقة، لأنها ستحدث- حسب تعبيره- أثرا سيئا في الجيش."....**يؤسفني أن أراك متحاملا بدون أي تحفظ، على سلوك الكولونيل بيليسي،وأرى لزاما على نفسي أن اعتبر**

1- أنظر مقال د/ جيلالي صاري ، إبادة قبيلة العواقبة (وادي الحراش) مجلة الثقافة عدد 77، (1983) ص 126.

2- من أبشع ما روي عن هذه المجزرة أن أحد السفاحين تحدث عن هذه المجزرة بكل كبرياء وقال كان هناك طفل واقفا في مؤخرة الخيمةفصحت به: أخرج يا حقير وإلا سوف أطلق رصاصة في فمك! ولكن البهيمة لم يطعن، وعندما ضغطت الزناد طار نصف رأسه وتعلق بكتان الخيمة" ويعلق المؤلف على رواية الجندي القاتل فيقول في سخرية مرة"كان ينبغي للطفل البدوي البريئ الفزع أن يطيع أمرا وجه إليه بلغة أجنبية أي لا يفهمها! هذه هذه أعمال العسكريين الذين يشغلون وظائف في السجون ويجلسون فوق منصات المحاكم أنظرد/أبو العيد دودو :الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان 1830-1855 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989 ص 20 .

3- جيلالي صاري،المرجع السابق ، ص .126

4- د/أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية الجزء 1 القسم الأول المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1992،ص 238 و ما بعدها.

5- سعد الله، المرجع السابق، ص 239

الكلمات الصادرة عن النواب في جلسة 11 يوليو غير لائقة،لأنها ستحدث أثرا سيئا في الجيش، و أنا أرى أن مراعاة القواعد الإنسانية تجعل الحرب في إفريقيا تمتد إلى مالا نهاية،كما أن الثورة فيها لن تخمـــــد أبدا....."[1]

و علـى خطـا بيليسـي الدمويـة المـدعوم مـن قائـده السـفاح بيجـو(2) راح ضـباط آخـرون ينجـزون مهمـاتهم القـذرة أيضـا و قـد بـرز مـن بيـنهم علـى الخصـوص الجنـرال سـانت آرنـو الـذي فعـل فـي الجهـة الشرقية من البلاد ما فعله" كافنتاك" " و بيليسي" في الجهة الغربية.

ففي شهر أوت من عام 1845م أي شهرين فقط من جريمة "بيليسي" و بالطريقة نفسـها أقدم هذا الجنرال على" تحويل بعض المغارات إلى مقابر جماعية[3]و يروى عن هذا العسكري المحترف للجريمة أنه كان يردد قوله:" لن أترك شجرة واحدة واقفة في بساتينهم و لا رأسا واحدة على أكتاف هؤلاء العرب البؤساء"[4].

و في موضـع آخـر مـن مشـاهد أعمـال الـدمار قـال أيضـا للقـوى الجزائريـة" تركـت ورائـي حريقـا هائلا يندلع لظاها فيما يقرب من مائتي قرية أصبحت طعما للهيب، لعبت بالبساتين يد الخـراب كمـا لعبت يد المناشير بأشجار الزيتون (1851) عثنا في الأراضـي فسادا وأصليناهم نارا و أحرقنـا أكثـر مـن مـائتي دار مغطاة بالقرميد، و قطعنا أكثر من ألف شجرة من الزيتون".[5]

و عنـدما اسـتولى الفرنسـيون علـى مدينـة"الأغـواط" واحتلوهـا سـنة أمعنـوا فيهـا تـذبيحا و تقتـيلا أفصح عنه العقيد" بان" المشرف على هذه العملية المخزية وهو الشاهد على ذلك، و الحق مـا شـهدت بـه الأعداء حيث كتب يقول: كانت المجزرة فظيعة، أصبحت الخيم التـي يسكنها الأجانـب فـي سـاحة المدينـة وفي الأزقة و المنازل تغص بالجثث.

إن الإحصائيات التي أقيمت بعد فتح المدينة في هدوء المكاتب و حسب استعلامات استقيناها مـن مصادر موثوق بها أسفرت عن 2300 قتيل....و قدم أولاد سعيد أولادهم و نساءهم في الأدغال، كان في استطاعتي أن أبيدهم عن فكرة أبيهم و لكن لـم يكـن معـي العـدد الكـافي مـن الجنـود لتشـغيل أنفسـنا بهـذه الأمور التافهة،كان لزاما علينا أن نتمسك بمكان حصين منيع لنقتل من كانوا يقتلوننا .[6]
و من الأمثلة المرعبة أيضا عن جرائم الإبادة و التصفية الجسدية للجزائريين شهادة ذلك الشاب المتخرج من سار سير حيث كتب يقول عن جرائمه..." إننا و الحق يقال أتينا ببرميل مملوء آذانا غنمناها أزواجا

1- الأشرف، المرجع السابق، ص 113

2- وجه بيجو رسالة إلى بيليسي وهو بالشلف في 1845/6/11 يقول له فيها (إذا إلتجا هؤلاء قطاع الطرق إلى مغاراتهم فافعل معهم مثلما فعل كافينياك بقبيلة صبيحة شدد في تدخينهم حتى يموتوا كالثعالب). أنظر:
Marcel Egretaud, realite dela nation algerienne, ed socials, Paris, 1961, p 66.

3- كوليت و جانسون، المرجع السابق، ص 33

4- منور، المرجع السابق، ص 25

5- عباس، المصدر السابق، ص 83 6 - المصدر السابق،ص84/83

و قطعناها من الأسرى ،الأعداء و الأصدقاء...اقترفنا جرائم يذوب لوحشيتها الجلمود،و كثيرا ما حكمنا بالإعدام بثبات جنان و رباطة جأش،و نفذنا ذلك الإعدام رميا بالرصاص أو بحد السيوف، فذهب ضحية تلك الاغتيالات أبرياء لا ذنب لهم إلا أنهم نعتوا لنا مطامير فارغة، إننا حرقنا و نهبنا جميع القرى التي مررنا بها و التي أهلها قد فروا منها، قطعنا نخيلها و أشجار المشماش لأن أصحابها لم يصمدوا في وجه أميرهم بل سمحوا له بعبور مجاز مفتوح لجميع الناس عند تلك القبائل الرحالة، و كل هذه الجرائم ارتكبت بدون إطلاق أي رصاصة لأن السكان كانوا يفرون حين نقترب منهم،دافعين أمامهم قطعان غنمهم و نساءهم هاجرين قراهم. [1]

ولم تسلم المقابر هي الأخرى من الأذى فقد كانت عظام موتى المسلمين تهرب على مرسيليا من قبل بعض الأوربيين لبيعها إلى رجال الصناعة لاستخدامها في معامل تبييض السكر(2).

2)الإبادة الروحية و الثقافية :

لقد اقترنت حرب الإبادة الجسدية و المادية للجزائريين على مدار سنوات الاحتلال في القرن التاسع عشر و ما تلاها ،بحرب إبادة أخرى لا تقل فتكا و تحطيما ،و ربما كانت الأخطر من الأولى كونها استهدفت الإنسان الجزائري في كيانه الروحي و الثقافي و كل بنيته الحضارية، و قد تأكد هذا من البداية حين راهن القادة الاستعماريون الفرنسيون على اقتطاع الجزائر من أرومتها العربية الإسلامية وجعلها جزءا لا يتجزأ من الأمة الفرنسية مهما كلفهم ذلك من غال و نفيس، فبعد يومين فقط من إمضاء معاهدة الاستسلام بين الجنرال بورمون و الداي حسين إثر سقوط مدينة الجزائر و التي نصت صراحة على احترام الديانة الإسلامية و ضمان حرية ممارستها ،نصب الجنرال يوم 06 جويلية الصليب على أعلى بناية بالقصبة في موكب مهيب و قد كتب شاهد عيان فرنسي يدعى Stefen destry يصف هذا الحفل : " عادت المسيحية من جديد للاستحواذ على بلد كانت من قبل مزدهرة به (يقصد الفترة الرومانية بالجزائر) و قد قام قسيس بمراسيم الحفل الديني فأحنى الجنود و هم في غمار انتصار الليلة السابقة جباههم مكشوفة للإله فإنه الانتصار في المعارك و كانت التضحية توحي بالعودة للحرية والحضارة". [2]

و يمكن لنا أن نحدد مظاهر حرب الإبادة الروحية و الثقافية في الميادين التالية :

1- المصدر السابق ص 85/84.

2- أنظر حول هذه النقطة مذكرات أحمد باي، حمدان خوجة بوضربة، ت العربي الزبيري، ش و ن ت، الجزائر 1973،ص 150. ومقال مارسال إيميري، استغلال عظام المسلمين في تبييض السكر، ت عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، عدد1، 1974، ص 9

3-د/ شاوش عباس ،المظاهر الروحية الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر،مجلة الدراسات التاريخية،جامعة الجزائر،عدد 10 (1997) ص 78

أ) الإستلاء على الأملاك و الأوقاف الإسلامية :

لم يكتف الفرنسيون بعد سيطرتهم على البلاد بوضع أيديهم على أملاك الدولة الجزائرية العثمانية و هي الأملاك المعروفة " أملاك البايلك" بل راحوا ينهبون بكل نهم و جشع الأملاك المحبوسة "الأوقاف"[1] و التي عادة ما كانت مواردها تغطي تقريبا غالب نفقات التعليم في كل أطواره ، وكذالك الخدمات الاجتماعية حتى يبقى المجتمع بكل فئاته و طبقاته متماسكا و مستقرا، فقد أصدر القرار المشؤوم بمجيء الجنرال كلوزيل إلى الحكم بشأن أملاك الأوقاف الإسلامية العامة في الثامن من ديسمبر1830 م، و هي مصادرة الأوقاف و ضمها إلى الدومين، و جعل ريعها لصالح الإدارة الاستعمارية دون تعويض أصحابها و دون صيانتها بل إن الكثير منها قد هدم و أذيب دخله في الميزانية العامة للدولة .[2]

و قد كان عدد هذه الأوقاف يقدر بـ 2600 وقف.[3] و كان شغف الجزائريين بحبس أموالهم على المساجد و أضرحة الأولياء و أندية العلم و الحرمين الشريفين يعد عاملا أساسيا لكثرة الأوقاف الإسلامية في قطر الجزائر حيث بلغت نحو66% في المائة من مجموع الأملاك العقارية و الزراعية. [4]

و اشتملت على الأملاك العقارية و الأراضي الزراعية و تضم العديد من الدكاكين و الفنادق والسواقي و الصهاريج،و أفران معالجة الجير، بالإضافة إلى الكثير من الضيعات و المزارع و البساتين و الحدائق.[5]

و تنقسم أملاك الأوقاف التي كانت موجودة عند الاحتلال إلى قسمين : أوقاف عامة و أوقاف خاصة

الأوقاف العامة :

هي أوقاف بيت المال، و أوقاف الطرقات و أوقاف العيون و أوقاف الأندلس وأوقاف الأشراف و أوقاف مكة و المدينة[6]يستعمل لصيانة المؤسسات الدينية في مكة و المدينة بالذات ولإعانة المنتسبين إلى الحرمين الشريفين المقيمين بالجزائر)، وأوقاف سبل الخيرات.[7]

1- الوقف أو الحبس نظام اسلامي معروف وله أهمية اجتماعية واقتصادية وعلمية كبيرة في المجتمع استحدثه المسلمون لتغطية الكثير من النفقات على مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية وغيرها أنظر.
د/ أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ،الجزء 5،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1998،ص152 وما بعدها
2- المرجع السابق، ص 161.
3- خديجة بقطاش،الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، مطبعة دحلب،الجزائر 1992 ص.24
4- صالح خرفي، الجزائر و الأصالة الثورية،ش-و-ن-ت الجزائر ص 171.
5- بحث مؤتمر تاريخ الحضارة العربية الإسلامية بدمشق 1981: الوقف و مكانته ،ص89.1370 هـ-1951 م
6-تعيد السجلات التي استحوذ عليها الفرنسيون إثر احتلالهم لمدينة الجزائر سنة 1246 هـ1830.انه كان للحرمين الشريفين من الأملاك الموقوفة ما يلي:840 دارا.258 حانوتا.33 مخزنا 82 بيتا.3 حمامات 11 فرنا 4 مقاهي 1 فندق57 بستانا 62 مزرعةفلاحية 6 أرحية المجموع 1357 يضاف لها 261 من المستغلات المنقولة غير الثابتة أنظر عب الوهاب بن منصور أوقاف الحرمين الشر]]
7-انظر سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي...الجزء 5 ص 153.

- **الأوقــاف الـخـاصــة :** أوقاف الجامع الكبير و أوقاف الشيخ عبد الرحمن الثعالبي ،و أوقاف مختلف المساجد والزوايا والقبات والجنات- كل منها على حدى وأوقاف الشيخ القنيعي الذي تأسس سنة1868.[1]

و قد كان لمصادرة أملاك الأوقاف أثر سيئ في نفوس المسلمين كما أحدث موجة استنكار وسخط العلماء و الأعيان .

و قد ذكرها بار أن قرار المصادرة كان ضربة للدين و الثقافة الإسلامية لانعكاس آثاره على الحياة الدينية و الاجتماعية للسكان. [2]

ووصف المؤرخ أحمد توفيق المدني بناء على ما جاء في تقرير لجنة البحث الرسمية التي قدمت من باريس لاطلاع البرلمان الفرنسي على حقيقة ما وقع من مظالم في الجزائر عملية الاستحواذ على الأملاك فقال:".إننا ضممنا ممتلكات الدولة و سائر عقارات الأوقاف الإسلامية ووضعنا تحت الحجر ممتلكات طائفة من السكان تعهدنا باحترام أشخاصها و ممتلكاتها ...كما أجبرناهم على دفع نفقات تهديم المسجد ولقد اعتدينا دون أي مراعاة على حرمة الأضرحة والزوايا والمساجد." [3]

وبناء على قرار صادر عن الحاكم العام بتاريخ 03 أكتوبر 1848م، فقد أصبحت كل العقارات التابعة للمساجد، المرابطين والزاويا وبصفة عامة كل العقارات التابعة للمؤسسات الدينية الإسلامية صارت تتبع لأملاك الدولة (الدومان) وتحت إدارتها. [4]

وجاء قانون 1873 م ليقصى نهائيا مؤسسة الأوقاف لصالح الاستيطان وهكذا فقدت الجزائر إحدى الوسائل المادية و الروحية للوقوف في وجه المطامع الاستعمارية.[5]

واعتبارا من سنة 1877 حسب تقرير خاص بمنطقة سيدي بلعباس وحدها وقع بيع 82 ملكا للأوروبيين بمجرد منح العقود الشخصية و قد مس ذلك حوالي 2197 هكتارا و قد لاحظت الإدارة في هذا المجال أن مبلغ بيع الملك كان يضيع دون أن تستفيد منه العائلة و تنبأت بأن تطبيق القانون سيترتب عليه كوارث بالنسبة للعنصر العربي.[6]

و تفننت الإدارة الفرنسية في التصرف في أملاك الأوقاف بواسطة البيع و التأجير لصالح المعمرين في بعض الأحيان و هدمت البعض منها في أحيان أخرى،أو عرقلتها عن أداء مهامها،فضلا عن تحويل بعضها أماكن للاحتلال العسكري و المدني، و رغم ذلك فإن مدا خيلها من التبرعات والصدقات قـــد ارتفعت من 36000 فرنكا سنة 1834 م إلى72,000 فرنكا سنة 1839 . [7]

1- سعد الله،نفس المرجع ص 153.
2-أنظر بقطاش، أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي 1830 مجلة الثقافة عدد 62(1981) الجزائر ص 76.
3-أحمد توفيق المدني،هذه هي الجزائر..ص92.93.
4- Fernand. Dulout. Le HABOUS dans le droit Musulmon et la législation Nord Afriquaine. La maison des Livres. Alger, 1938, P : 110 .
5- د/ ناصرالدين سعيدوني ،دراسات في الملكية العقارية ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1986،ص.106.
6-Ageron les Algériens musulmans et la France t 1.p91
7 -Aumerat (j.f) laproprite urbaine et le bureau de bien faisances musulman d’Alger in r .a t-43-1899 p188

ولقد كانت الأوقاف المحبسة على المؤسسات الخيرية وخاصة دور العبادة والتعليم تؤدي خدمات اجتماعية وثقافية واقتصادية أساسية في المجتمع الجوزائري ولا سيما في المدن الكبرى مثل مدن الجزائر وتلمسان وقسنطينة والبليدة والمدية ومليانة ومعسكر و وهران [1]

وإن عملية المصادرة لأملاك الجزائريين العامة و الخاصة لم تتوقف عن العمل و لكي تـقـــوم الإدارة الاستعمارية بذر رماد في أعين الفقراء و المساكين التجأت إلى تكوين ما يعرف بالمكتب الخـيـــري الإسلامي[2] بمقتضى مرسوم 1857م لتدارك بعض التعويضات التي حرم منها المسلمون منذ الاحتلال نتيجة إستلاء الإدارة الاستعمارية على أملاك الوقف و مصادرتها.[3]

هذا و قد قدرت ميزانية المكتب الخيري الإسلامي بحوالي 113510 فرنكا سنويا و بعد صدور مرسوم 1857 ببضعة أشهر وقع تعديل جذري في هيكلة الإدارة الاستعمارية في الجزائر بإنشاء وزارة الجزائر و المستعمرات و إلغاء منصب الحاكم العام مما جعل الولاية تتبوأ مكانة هامة، إذا أصبحت تنوب عن الدولة في تحديد المبلغ المستحق للمكتب الخيري الإسلامي مما جعل ميزانية هذا المكتب تتناقص من سنة لأخرى حتى بلغت سنة 1869 حوالي 23,000 فرنكا و بهذا التحايل و التلاعب بمداخيل الأوقاف أصبحت تنفق على الفرنسيين في حين أصبح هذا المكتب تحت تصرف الولاية منذ 1858م و في 1868 تحول مرة أخرى إلى مؤسسة بلدية تحت إشراف رئيس البلدية. [4]

و بالجملة يمكن القول أن استحواذ الإدارة الاستعمارية على الأوقاف الجزائرية كان بضربة قوية للبنية الدينية و الروحية التي يقوم على أساسها الكيان الجزائري.

ب) إلغاء القضاء الإسلامي و تطبيق الشريعة الإسلامية:

في سياق الحرب المعلنة ضد مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية عمدت الإدارة الاستعمارية على إلغاء العمل بالتنظيمات الإدارية و القانونية التي كان العمل جاريا بها في عهد الدولة الجزائرية العثمانية و المستمدة أساسا من الشريعة الإسلامية، و جرّد القضاة المسلمون من جوهر صلاحياتهم بقرار 28 فيفري 1841م.[5]

1- د/ سعيدوني ، الجزائر منطلقات وآفاق ص 20.

2- تكون المكتب الخيري الإسلامي في سنة 1857 م لتعويض المؤسسات القديمة التي كانت تشرف على المساعدات العمومية الإسلامية الخاصة بمكة و المدينة و مختلف مؤسسات الأوقاف للمزيد انظر سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس ، ص: 186.

3- سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي .الجزء 5...ص185-.186.

4- رابح كنتور،أوقاف البليدة و فحصها(1791-1873)مذكرة ماجستير مخطوطة جامعة الجزائر 2002/2001،ص78-79.

5- أنظر منور،المرجع السابق،ص38-99.

و الحقيقة أن أول محاولة صليبية استعمارية لتغيير الوجهة الحقيقية للقضاء الإسلامي الجزائري قد ابتدأت منذ سنة 1832 م و ذلك بالفصل بين القانونين : الجنائي و المدني و جعل القضايا الجنائية المتعلقة بالجزائريين من اختصاص المحاكم الفرنسية في حين تم إخضاع القضاء المدني إلى المراقبة الاستعمارية المستعمرة.[1]

كما بدت النوايا العدوانية الصليبية واضحة للعيان لتقويض أركان هذا الدين المتين بإصدار الحاكم الفرنسي بتاريخ 10أفريل 1834م لقرار يقضي باستئناف الأحكام التي يصدرها القاضي المسلم أمام مجلس الاستئناف الفرنسي،هذا و قد بين الغزاة الصليبيون حقيقة وجودهم بهذه البلاد أن إبقاءهم على الطابع الإسلامي للقضاء الجزائري يعد تناقضا تاما " مع مبادئ السيادة الفرنسية" [1] و يؤكد على هذا تصريح الأميرال دي قيدون Degedon بقوله" أننا نحن الفاتحون فعلينا أن نفرض إرادتنا يجب أن يمحى القاضي المسلم أمام القاضي الفرنسي [2] لذلك حل قضاة الشرع في منطقة القبائل سن 1874م وفي سنة 1873تم إلغاء المجلس الأعلى للقانون الإسلامي و تخفيض المحاكم الشرعية من 174الى 61 في عام 1890م و أصبح البث في القضايا العقارية من صلاحيات القضاة الفرنسيين فقط وفق مرسوم صدر في سنة 1886م،أما آخر قرار صدر بشأن القضاء فكان يقضي بمحاكمة المسلمين أمام هيئات محلفي الجنايات و هم من الفرنسيين وحدهم.[3]

كما صدر مرسوم مؤرخ في 1 فيفري 1844م يقضي بإنشاء مؤسسة إشهارية يندرج وجودها ضمن المخطط الصليبي هي مؤسسة " المكاتب العربية". [4] التي كان من بين مهامها الإشراف على سير القضاء الإسلامي بالجزائر حيث حاولت تلك المؤسسة بكل السبل تضليل المسلمين و إبعادهم عن دينهم الحنيف و هذا مصداقا لقوله تعالى :" و لن ترضى عنك اليهود و لا النصارى حتى تتبع ملّتهم وقل إن هدى الله هو الهدى و لئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي و لا نصير". [5]

والحق أن الهدف من إنشاء المكاتب العربية هو احكام الرقابة على تحركات الجزائريين واخضاعهم نفسيا ومحاصرتهم معنويا واحباط كل توجه معاد للجيش الفرنسي، ومعاكس للادارة الفرنسية في الجزائر، وهذا ما جعل أسلوب المكاتب العربية في الواقع نوعا من الحكم العسكري المعتمد على الارهاب والقمع فهو يندرج ضمن طرق الاخضاع غير المباشر ويعتبر أحد مناهج الحرب النفسية[6]

إن القضاء الإسلامي الذي كان قبل الاحتلال الفرنسي يشكل مظهرا من مظاهر السيادة الوطنية قد تعرض كما ذكر توفيق المدني إلى عملية تحطيم لم تبق منه إلا صورة مشوهة بشعة يخجل منها الإسلام فهو في الجزائر المستعمرة يعد مصيبة من أعظم المصائب الاستعمارية التي نكبت بها البلاد.[7]

1- صالح فركوس،أصالة و تغريب مشروع الصليبية و المجابهة الإسلامية المطبعة المركزية عنابة،1991ص55-.56
2- المرجع نفسه، ص 56
3-المرجع نفسه ص.70
4- المدني، كتاب الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص336
5-تأسست المكاتب العربية لأول مرة سنة 1833 ثم استكمل تنظيمها بصدور مرسوم1844م حيث أنيطت لها مهام، تنظيم شرطة الأماكن، جمع الضرائبوالغرامات من الأهالي، إدارة السكان تحت إشراف ومراقبة حكام المقاطعات وضباطها، ومساعدة الرؤساء الجزائريين الخاضعين لهم والذين مهمتهم الأساسية زيادة على جمع الضرائب مراقبة السكان من الناحية السياسية، وقد انتهى العمل بها في الشمال سنة 1870 م بينما ظلت موجودة في مناطق الجنوب العسكرية للمزيدأنظر د/ يحي بوعزيز، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986، ص 179 ومابعدها
6- سورة البقرة الآية 120.
7- سعيدوني ،الجزائر منطلقات وأفاق ص 26 .
8- المدني،هذه هي الجزائر ص 139.

ت/ طمس معالم المدن و الاعتداء على المؤسسات الدينية و الثقافية:

منذ أن غزا الفرنسيون البلاد الجزائرية أخذوا يطمسون معالمها العربية الإسلامية ، و قد مس ذلك كل المدن و بدون استثناء، و لكن بدرجات متفاوتة، و شمل الطمس تغيير الشوارع و إحداث الساحات مكانها و تحويل الدور و الفيلات و القصور إلى مؤسسات عمومية للجيش و المستشفيات ونحو ذلك وقد بيعت دكاكين و أضرحة و غيرها إلى الأوروبيين ليتاجروا فيها ، كما جرى تحويل المساجد إلى كنائس و مخازن و مستشفيات و تهديم بعضها نهائيا دون استبدالها بأخرى.

و نفس الإجراء مس المدارس و الكتاتيب و الزوايا و قد ساعد نفي المواطنين و هجرتهم على ذلك، حدث هذا للأحياء العربية قبل إنشاء الأحياء الأوروبية في المدن الجزائرية. [1]

و قد عمدت الإدارة الاستعمارية إلى سلسلة من الإجراءات الواسعة النطاق لتغيير أسماء المدن و القرى ليطلقوا أسماء ضباط و ساسةو رجال دين فرنسيين عليها مثل : "أورليان فيل" (الشلف حاليا) و"فيوفيل" (مستغانم) و "فليب فيل" (سكيكدة) "ميشلي" (عين الحمام) و "سانت آرنو" (العلمة) " رفيقو"(بوقرة) و غيرها كثيرا.[2]

و مست عملية التزييف و التحريف لمعالم المدن الجزائرية تبديل أسماء الشوارع و المؤسسات بإعطائها أسماء رومانية و أوروبية و دينية ومسيحية و تاريخية و هذه بعض الأسماء التي أصبحت متداولة خلال سنتي 1832-1833: شارع شارل الخامس، شارع دوكين، شارع دوريا،شارع كلبير وكذلك تسمية باب المرسى(باب الجهاد)باسم باب فرنسا أو أسماء فرنسية مثل : شارع أورليان، وترواكزلار و(الألوان الثلاثة) و لاشارت،الخ و كذلك أسماء أوروبية مثل: سيدني سميث .[3]

و على العكس ممّا يدّعيه الكثير من المستعمرين و إنصاف المثقفين من أن الاستعمار هو الذي مدّن الجزائر و حضّرها و بناها حتّى صارت جنّة قبل أن يرحل منها مهزوما مدحورا فان الحقائق التاريخية تذهب إلى أن المدن الجزائرية و على رأسها العاصمة كانت مضرب المثل في النظافة و الأمن و كثرة الحدائق و البساتين، و بهاء الدور ووفرة المياه حتى تغنى بها الأدباء و الشعراء العرب و سجل ذلك الرحالة الأوربيون قبل الاحتلال الفرنسي، فإذا بها تتحول بعد الاحتلال بسنوات قليلة إلى مضرب المثل في الأوساخ و ذبول الحدائق وانتشار الأمراض المعدية الواردة مع الجنود و الفساد الأخلاقي والغش و المضاربات و الفوضى و انعدام الأمن.[4]

1- سعد الله،الحركة الوطنية القسم 1 الجزء1..ص60

2- منور ،المرجع السابق،ص.39

3- سعد الله ،الحركة الوطنية القسم 1 الجزء1..ص.64

4- سعد الله،نفس المرجع...ص 71.

و علـى الـرغم مـن أن معاهـدة 05 جويليـة 1830 تحفـظ للجزائـريين حقـوقهم الدينيـة و عـدم المسـاس بمقدساتهم إلا أن الفرنسيين قد نقضوا هذه البنود قبل أن يجف حبرها ،فقد بورمون بتحويل المؤسسات إلــــى كنائس [1] فقد صارت كل المساجد و المؤسسات الدينية من ممتلكات الدولة الفرنسية تفعل بها ما تشاء حيث هدمت منها على هذه القاعدة ما هدمت،ثم هي " تسمح بإقامة شعائر دينهم في البقية الباقية منها،إنما لا يقع ذلك إلا بواسطة موظفيها و رجالها و قد ينتدبهم الاستعمار للقيام بها.[2]

فقد كان عدد المساجد بالعاصمة وحدها عشية الاحتلال 122 مسجدا يرجع بعضها إلى قرون خلت كالجامع الكبير،بعضها يرجع إلى أواخر العهد العثماني.[3]

و عن مصير هذه المساجد بعد الاحتلال كتب السيد موريل Morell سنة 1854 قائلا :"منذ الاحتلال الفرنسي لاحظ الفرنسيون في كثير من المدن و لاسيما العاصمة أن عدد المساجد يفوق الحاجة و لذلك حوّلوا عددا منها إلى مستشفيات و إلى مستودعات و حتى كنائس كاثوليكية".[4]

و لعل من أبرز المساجد التي هدمت أو حوّلت في العاصمة: جامع سيدي الرحبي الذي كان من الجوامع الكبيرة التي حوّلت إلى الصيدلية المركزية ثم هدم،و جامع السيدة مريم الذي هدم ، مسجد الشماعين هدم،مسجد علي خوجة هدم،مسجد سيدي عمار التنسي هدم،مسجد صياد الحوت هدم ، مسجد العين الحمراء أصبح ثكنة عسكرية منذ 1837 ،جامع عبدي باشا الذي أصبح ثكنة سنة 1830م،جامع القشاش بقي سنوات و في الأخير هدم،مسجد المصلى الذي هدم في سنة 1862 لبناء الثانوية الفرنسية الأولى في الجزائر،مسجد دار القاضي الذي هدم سنة 1857،مسجد زنقة للاهم الذي هدم سنة 1841 م مسجد ابن عوشة بيع في المزاد العلني سنة 1840 ،مسجد كوشة بن السمان هدم سنة 1836م إلي غير ذلك.[5]

لقد كان موقف الجزائريين الممانعة و الرفض لأية مساومة على المقدسات الإسلامية،و من هذه المواقف ذلك الإجماع الكبير من الجزائريين على رفض هدم الجامعين العظيمين الكبير و الجديد، حتى تراجعت سلطات الاحتلال عن ذلك .[6] واعتصام زهاء أربعة آلاف مسلم داخل جامع كتشاوة دفاعا عنه

1- عبد الجليل التميمي،التفكير الديني و التبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19 م ،المجلة التاريخية المغربية عدد(1) ،مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل 1974 ص 15.

2- المدني،هذه هي الجزائر..ص147-148.

3- سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي...الجزء 5،ص11.

4- شريط عبد الله و محمد الميلي،مختصر تاريخ الجزائر السياسي و الثقافي و الاجتماعي،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1985ص112.

5- انظر سعد الله،الحركة الوطنية ،الجزء1...ص74 و ما بعدها.

6- فقد بعث قطب الائمة الشيخ أطفيش رسالة احتجاج الى الوالي العام يحذره من عقبة الاقدام على هدم بيوت الله،انظر زعيمة الباروني، صفحات خالدة،عصر دون تاريخ ص 90.

عندما أقدمت سلطات الاحتلال على تحويله بالقوة إلى كنيسة و سقط عدد كبير من الجزائريين شهداء ذودا عن المسجد. و لهذا سميت الساحة التي غمرتها دماؤه الظاهرة بساحة الشهداء إلى اليوم.و قد بارك البابا غريغوار 16 الذين كانوا وراء هذا الإنجاز.[1]

و لم تسلم المدارس الملحقة بالمساجد و الكتاتيب و الزوايا هي الأخرى من عمليات النهب والتدمير فقد تعرضت هي الأخرى إلى الهدم بالتبعية و قد كانت بعض هذه المدارس مشهورة بالعلم وفي مقام الثانويات اليوم كمدرسة القشاش التي ذكرها أبو راس الناصري،مدرسة الجامع الكبير حولت إلى حمام رغم بقاء الجامع كما هدموا مدرسة جامع السيدة و مدرسة الأندلس و ذهبت المدارس الآتية مع المساجد التابعة لها: مدرسة جامع صياد الحوت، مدرسة جامع السلطان،مدرسة جامع خير الدين ومدرسة جامع سيدي عبد الرحمن الثعالبي،(و هي غير مدرسة و جامع اليوم). كما واجهت الكثير من الزوايا نفس المصير سيما في المدن، و من الزوايا المتأثرة بعملية الهدم أو البيع أو الحيازة من قبل المصالح الأخرى زاوية القشاش إذ كان مصيرها مصير الجامع و المدرسة، وزاوية سيدي الجودي التي بيعت إلى أحد الأوربيين و كذلك زاوية يوب و زاوية الشرخة.[2]

كما تعرضت المؤسسات الدينية و التربوية في شرق البلاد و غربها هي الأخرى إلى عمليات الطمس و الهدم التي طالتها، ففي مدينة قسنطينة التي كانت تشكل حاضرة دينية و علمية و ثقافية لعدة قرون في شرق البلاد و خاصة إبان العهد الحفصي و العهد العثماني ،أقدمت سلطات الاحتلال بعد دخولها إلى المدينة في خريف 1837م بعد مقاومة بطولية من أهلها للعدوان على تهديم و إزالة و تحويل جملة من المساجد و أوقافها تعد من المعالم الحضارية للمدينة (3) نذكر من ذلك إقدام المحتلين على إزالة جامع الشيخ عمر الوزان برحبة الجمال . جامع رحبة الصوف جامع سيدي عبد الرحمن المناطقي،جامع سيدي بن عيتاس . جامع سيدي علي الطنجي ،جامع سيدي بركات العروسي برحبة الزرع و هو أول جامع وقع عليه الاعتداء الفرنسي ضحى يوم 15رجب 1253ه(13اكتوبر 1837)،جامع سيدي الجليس بساحة سيدي الجليس،جامع سيدي الفرجاني،جامع سيدي مسلم جامع سيدي بوناب،جامع سوق الغزل،جامع الجوزة.[4]

أما بجاية منارة العلم و الثقافة أيام الحماديين والحفصيين فقد نكبت هي الأخرىفي مؤسساتها الدينية والتربوية من قبل المحتلين،حيث هدمت المساجد و الزوايا و تم تحويل بعضها إلى أغراض عسكرية. ومن المساجد والزوايا التي تحولت إلى هذه الأغراض (قبل أن تهدم) الجامع الكبير،زاوية

1- حباسي،المرجع السابق،ص83. 2 - سعد الله،الحركة الوطنية ،الجزء 1،ص77

3- كان عدد المؤسسات الثقافية بقسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي حوالي 94 بالاضافة إلى 20 خارجها مما يجعل المجموع 114 مؤسسة زال الكثير منها بفعل السياسة الاستعمارية، أظر حميده عميراوي، وثيقة نادرة عن المؤسسات الثقافية بقسنطينة في بداية الاحتلال الفرنسي، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 87 – 88، (1997)، ص .632

4- أنظر محمد المهدي بن علي شغيب،أم الحواضر في الماضي و الحاضر تاريخ مدينة قسنطينة،مطبعة البعثة،140هـ/1980م،ص 248 و ما بعدها و سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي..الجزء 5،ص79 و ما بعدها.

سيدي التواتي،زاوية لـلا فاطمة،زاوية ، سيدي احمد النجار،أمـا المساجد و الزوايـا التـي خربـت تمامـا فنذكر منهـا جـامع سيدي الموهوب و زاويـة سيدي البصـر و زاويـة سيدي عبد الهادي،وزاويـة سيدي لخضر،و زاوية سيدي المليح كما أن الأوقاف التابعة لها لحقها نفس المصير سواء ما كـان بالمدينـة أو مـا كان بأريافها.[1]

أما في غرب البلاد فقد كان في نواحي تلمسان وحدها اكثر من ثلاثين زاوية .[2] و قد عرف هذا الإقليم بزواياه منذ القديم و لم تتقلص زوايا تلمسان و وهران و معسكر و مستغانم و مازونـة بل ازدادت و هذا لا ينفي وقوع الهدم عليها و لا سيما في مدينة وهران كما تضررت كثيرا من جّراء الحروب بين المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القا در و الفرنسيين و الإستلاء على الأوقاف.[4]

و كان يوجد في مدينة عنابة 39 مدرسة و 37 مسجدا و جامعا وزاويتـان قبل الاحتلال لم يبق منها بعد الاحتلال سوى 3 مدارس فقط و 15 مسجدا و كذلك الأمر بالنسبة إلى مركز الثقافة الإسلامية في بعثة جهات الوطن.[3]

و قد حمّل المؤرخ موريس مواطنيـه مسؤولية تدمير التعليم العربـي دون تعويضـه بالمدرسـة الفرنسية بشكل عقلاني لقد بدأنا بتدمير المدارس"مسيد" تماما تقريبا(المدارس الابتدائيـة)الزوايا (الريفيـة) المـدارس(العليـا) و مـدارس إسـلامية أخـرى كانـت موجـودة قبـل 1830م بعـدها عرفـت تطـورا بسـيطا وأحيانا سلبيا" .[4]

جـ ـ سياسة التنصير و الفرنسية :

كانت مساعي الإدارة الاستعمارية في الجزائر منذ بدايـة الاحتلال تراهن علـى احتواء الجزائر دينيا و ثقافيا و إلحاقها بفرنسا و الكاثوليكيـة و قد أشـار إلـى ذلك السيد حمدان بـن عثمـان خوجـة الذي عايش مأساة بلاده التي تعرضت لها، يعد شاهدًا على محاولة اغتيال ديانة شعب بأكمله و في ذلك يقول : هناك من يؤكد بان الحكومة الفرنسية قد أمرت سرا بان يعتنق المسلمون الديانة المسيحية..من الممكن أن يكون مشروع تمسيح الجزائر قد وجد في أذهان ولاتنا (المسؤولون الفرنسيون) كما أشار إلى ذلك البريد الفرنسي الصادر بتاريخ 20جوان1833م مستعملا العبارات التالية :"ان الذي لن يفاجئ الجمهور هو أن رئيس مجلس الوزراء الحقيقي منذ ثورة جوليت و إلى عهد قريب جدا كان قد كتب إلى المقتصد المدني في الجزائر يوصيه بتمسيح الايالة و سكوت الجزائر الوزارية عن هذا الموضوع لا يدل أبد علـى أن فـي االأمر خير.(6)

1- انظر سعد الله،تاريخ الجزائر جزء 5،ص91 و ما بعدها.

2- شريط و الميلي،المرجع السابق،ص191. 3- سعد الله،تاريخ الجزائر،جزء 5،ص.123

4- فاني كولونا،المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة،تلخيص و ترجمة مجلة الأصالة عدد6 ،الجزائر 1972،ص135.

5-Mostefa la cheraf Le Nationalisme algérien revue les temps modernes ,p242

6- حمدان خوجة، المرآة، ص 282- 283.

و أظهر العسكريون الفرنسيون في الجزائر الكثير من الدعم للعمل التنصيري و قد ظهر تواطؤ السلطة و الكنيسة في أوضح صورة بمناسبة تنصيب الاخوة لاتراب la trappe في اسطاوالي عام 1843م ففي رسالة وجهها بيجو للراهب ريجيس رئيس هذه الطائفة الدينية نوه المارشال بيجو بالعلاقات المتينة بين الراهب و الجندي و عبر البقية بأن " الخصال الحميدة و الأعمال الصالحة التي اشتهرت بها طائفة الاخوة" لاتراب" سوف تساعد في "استمالة العرب إلينا بعد إخضاعهم بقوة السلاح " و بعد فترة قصيرة قام بيجو بوضع حجر الأساس لدير لاتراب بحضور مونسيور دوبوش.[1] و قد وضع فوق مطرح مفروش بالقذائف الملتقطة من ساحة، معركة اسطاوالي أي في نفس المكان الذي أحرز فيه الجيش الفرنسي الانتصار على القوات الجزائرية.[2]

و كان الجينرال " لاموريسير" من الذين أيدو التنصير بقوة و لا سيما في منطقة "وهران" وكتب"لويس فويو" الكاتب الخاص للجنرال"بيجو" يقول " بأن مستقبل المستعمرة سيكون حالكا إذا لم تقدم السلطة على تنصير السكان".[3]

و لقد اعتقد هذا الكاتب الحقود على الجزائريين بأن الإسلام سوف يختفي من الجزائر –بفضل التنصير-خلال عشرين عاما.[4]

و قد عمدت سلطات الاحتلال منذ البداية إلى نفي علماء المسلمين المعارضين لسياستها أو تفقيرهم عن طريق الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية التي كانت المورد الأساسي لعيشهم، و من بين العلماء الذين نفتهم السلطات الاستعمارية المفتي مصطفى بن الكبابطي الذي نفي سنة 1834م إلى جزيرة وبسان مرغريت قد نفي مع هذا الأخير مع ابن أخيه أيضا الذي كان أحد معلمي مدرسة الجامع الكبير بالعاصمة كما نفى سنة 1841 حسين بن عزوز و طرد حمود لفقون و أخوه من قسنطينة إلى الإسكندرية و انتهت حياة بوصربة في المغرب.[5]

1--هو أول أسقف بالزائر، كان يعمل على إحياء الكنيسة الافريقية ، وكان يرى بضرورة تنصير كل العرب حتى تتم رسالة فرنسا الحضارية على أحسن وجه في الجزائر للمزيد أنظر بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر، مطبعة دحلب، الجزائر1992، ص 52 وما بعدها.

2- الأشراف،المرجع السابق،ص275.

3- خديجة بقطاش،المرجع السابق،ص.64

4-Rabah Belamri, l’œuvre de louis Bertrand miroir de l’ediologie colonialiste OPU Alge ;1980p97.

5- سعد الله،الحركة الوطنية الجزء1ص303.

و كان النفي من الوطن في الحقيقة نتيجة المعارضة للاستيلاء على الأملاك الدينية المقدسة،و هدم المساجد وإهانة المقابر الإسلامية و معارضة إدخال الفرنسية في المدارس القرآنية.[1]

- و حتى يمكن جعل الجزائر منطلق التغيير لكل الشمال الإفريقي و باقي إفريقيا الإسلامية كثف الجهد لإنشاء أكبر عدد ممكن من الكنائس المسيحية،و إطلاق يد البعثات التبشيرية المختلفة في طول البلاد وعرضها تفعل ما تاء.

ففي عهد دبوش وحده تم إحصاء 60 كنيسة و معبدا و 16 مؤسسة نذكر منها : كنيسة سان فليب (جامع كتشاوة) و كنيسة سان فان دوبول بالقبة 1842 و سان شارل بالبليدة سنة 1842، و سان هنري بالمدية 1843و سان لويس بوهران 1839م و سان ميشال بتلمسان سنة 1844و نوتردام دي سات دولور Notre dame des sept douleur بقسنطينة و سان أوغستين بعنابة 1839م و سان جوزيف ببجاية سنة1839 م زيادة خورينيات في المقاطعات الثلاث(قسنطينة،الجزائر،وهران) [2] .

و في عهد الأسقف بافي [3] الذي خلف ديبوش سجل عدد كبير من الكنائس و الخورنيات حيث انشأ 143 كنيسة جديدة و عدد كبير من الخورنيات و ذلك لإحلا ل غزو ديني في الجزائر بالموازاة مع الغزو العسكري الاستيطاني.[4] و من أبرز هذه المؤسسات الدينية نذكر: معبد سيدة الخلاص محل حصن سانتاكروز بوهران 1850م [5] و كنيسة نوتردام دافريك(Notre dame d'Afrique).[6]

و تحت ألوان و أشكال مختلفة اندفعت الإرساليات التبشيرية إلي الجزائر و كانت تظهر في شكل هيئات تعليمية و جمعيات خيرية و غيرها.[7]

و الواقع إن المبشرين القادمين إلى بلاد الشرق الإسلامي يخدمون الاستعمار اكثر مما يخدمون الديانة المسيحية ذلك أن نشر الدين يعد أمرًا ثانويا جدا في جميع الحركات التبشيرية.[8] و بينما نجد فرنسا دولة علمانية في بلادنا نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج.[9]

و في الوقت الذي أعدمت فيه حكومة الثورة في فرنسا الرهبان أحرقت الكنائس و حاولت نزع الملكية من بلد مسيحي نجد نفس هذه الثورة تجعل في بلد مسلم مثل الجزائر من المســاجد كنائس، تنشر

1- سعد الله،الحركة الوطنية،الجزء 1ص 302-.303

2- سعيدي،الكنيسة و المشروع الاستعماري في الجزائر،مذكرة سنة أولى قسم جامعة الجزائر 1993م ص64-.65

3- هو الاسقف لويس انطوان بافي خليفة الاسقف دوبوش في النشاط التبشيري حل بالجزائر يوم 10جوليلية 1846م توفي سنة1866م ودفن في كنيسة السيدة الافريقية بالعاصمة و هو مؤسسها.

4- سعيدي ،الكنيسة،ص.71

5- سعد الله ،تاريخ الجزائر،الجزء6،ص.116

6- سعيدي،المرجع السابق،ص.71

7- احمد بن نعمان،الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية ،مجلة الأصالة عدد85-86،الجزائر 1980،ص.80

8- مصطفى خالد و عمر فروخ،التبشير و الاستعمار في البلاد العربية،المكتبة العصرية، ط5، بيروت، 1973،ص .34

9- المرجع السابق،ص 34.

المسيحية و تبشر بها مستعملة في ذلك أموال المسلمين رافعة راية المسيح لمحاربة الإسلام ولو كانت في قرارة نفسها تعبث بكلا الدينين،و لكن تعاليم المسيح و قيمة الصليب تكون ذريعة أخلاقية سامية تبرر مخازي المعمر.[1]

و حتى تتمكن هذه الإرساليات من أداء مهامها بنجاح تام نصب عميد التنصير في العصر الحديث في شمال إفريقيا لافيجري من خلال برنامج عمل وضعه كي يسير عليه المبشرون جاء فيه:

1- ينصب اهتمام البرنامج،لا على تنصير الفرد،لان ذلك لا ينجح و إنما على التنصير الجماعي وللوصول إلى ذلك لا بد من القضاء على روح التعصب.

2- أن المسيحي في نظر السكان إنسان كافر،و لذا أوصى لا فيجري مبشريه بأن يتظاهر بمظهر التدين حتى يكسبوا الاحترام.

3- التمسك بالصبر و تقبل الشتم و السب.

4 - جلب السكان بواسطة الأعمال الخيرية ،و الأعمال التطبيقية وزيارة القرى للمعالجة و تعليم الأطفال.

5- الاندماج في وسط السكان عن طريق استعمال لغتهم.

6- عدم التعرض إلى الدين المسيحي لأن ذلك ينفر السكان و يفشل المساعي التبشيرية.[2]

و يبدو واضحا أن الكنيسة قد غيرت أساليبها [3] بعد أن أعيت المبشرين الحيل لجلب الكبار إلى المسيحية راحوا يراهنون على الأطفال و الأحداث الصغار،و خاصة اليتامى و المشردين واستعملت شتى أساليب الإغراء لاستجلابهم وتنشئتهم على الديانة المسيحية.[4] و هذا ما يتطابق جملة و تفصيلا مع قول لافيجري: " إذا وقعت المواظبة على هذا المشروع فستكون بعد بضع سنوات مشتلة من العمال النافعين المؤيدين لاستعمارنا الفرنسي و الأصدقاء و لنقلها بوضوح:من العرب المسيحيين إن هؤلاء الأطفال المساكين الجاهلين غاية الجهل بكل شيء سواء بأمور دينهم أو بغيرها ،ليس لهم حتى من هذه الوجهة أي رأي مسبق أو أي نفور منا...و لا شك في أن الكثير منهم متى استفادوا من أموالنا سيطلبون بأنفسهم التعميد. [5]

و عندما وقعت مجاعات رهيبة في الجزائر 1867-1869م و قد انتشرت تبعا لذلك الأوبئة

1- فرحات عباس،ليل الاستعمار ،ص105.

2- بقطاش، الحركة التبشيرية، ص 155

3- وعلي عبد الطاهر،التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904،منشورات دحلب الجزائر د-ت-ص،ص16.

4- بن نعمان،المرجع السابق،ص.81

5- الحبيب الجنحاني، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن 19، الأصالة، عدد 16، 1973، ص 29 – 30

الفتاكة كالكوليرا و التيفوس و أهلكت عدد كبيرا من الناس استغل الكاردينال لا فيجري تلك المحنة العويصة التي لحقت بالأمة الجزائرية فراح يطوف الأنحاء التي فتكت بها المجاعات و الأوبئة الصليب في يمينه والخبز و الدواء في يساره و جمع عددا كبيرا من الأيتام و اليتيمات بلغ عددهم نحو 500 فربّاهم في ظل الكنيسة و على دين المسيحية.(1)

و قد بنى قرى عربية مسيحية واشترى أراضي واسطة في العطاف و أسس قريتين كبيرتين بها،وزوج الأيتام فيما بينهم و كان يهدف إلى استعمال الأهالي أنفسهم في التبشير و يريد أن يقدم البرهان على أن الاندماج يمكن أن يحدث عن طريق التنصير.(2)

و في سبيل هذا المسعى التنصيري تلقى لافيجري مساعدات سخية من فرنسا وإنكلترا و بلجيكا وإسبانيا و إيطاليا و من البابا شخصيا ومن الكنيسة البرتستانية و الإمبراطور نابليون الثالث نفسه.(3)

و بفضل المساعدات الضخمة التي حصل عليها و الدعم الذي وجده من المسؤولين المدنيين و العسكريين،أنشأ سنة 1869م فرقة الأباء البيض" التي أوكلت لها مهمة التبشير في الجزائر ثم في تونس و المغرب ثم في إفريقيا بعد ذلك و أنشأ أيضا فرقة "الأخوات البيض" للتبشير في الوسط النسائي عن طريق التطبيب و التعليم و الأعمال الخيرية لان الوصول إلى المرأة -كما قال- هو وصول للأسرة كلها.(4)

كما اقترح لافيجري على سلطات الاحتلال أن يجعل من مدينة بسكرة زاوية مسيحية تحت اسم الزاوية المسيحية بيت الله ثم اقترح أيضا إن يكون لباس"رواد الصحراء" المسيحيين أو الاخوة المسيحيين الذين يعيشون في الزاوية المسيحية مشابها للباس" الإخوان المسلمين" ما عدا لباس الرأس فإن المسلمين يعممون فوق الشاشية بينما أراد لافيجري أن يلبس الأخوة المسيحيين القبعة فوق الشاشية(5)

و في اعتقاد لافيجري أن اتباعه من المبشرين أو "رواد الصحراء"المسلحين كما كان يسميهم أيضا بمقدورهم أن يتقربوا من المسلمين و يؤثروا فيهمم تأثيرا سلميا فيعتنقوا النصرانية فيكون بالتالي قد قدم هدية إلى أمته الفرنسية.(6) **وفي المنيعة بالجنوب قامت الأخوات والآباء البيض بمجهود تمثل في تأسيس معمل لفائدة الأهالي من الملونيين المولودين بأقاليم الجنوب. (7) وغير خاف على أحد أن هذا كله يدخل في إطار مشاريع التنصير للجزائريين، ففي الوقت الذي كانت فيه الراهبات يقمن بهذا الدور في اوساط البنات كان الآباء البيض يركزون على الأطفال الذكور من الجزائريين. (8)**

و إيمانا من السلطات بأن منطقة القبائل ذات الطابع الجبلي تعد أرضا خصبة لنشر المسيحية

1- أجيرون، المرجع السابق، ص 122 2- بقطاش،الحركة التبشرية،ص 127. 3- المرجع نفسه، ص113-114.

4-نفسه ،ص129. 5-الخالدي و فروخ،المرجع السابق ،ص125-..126.

6- الخالدي فروخ،المرجع السابق،ص126.

7- Maurice Viollette, l'Algerie vivra –t- elle?, librairie Felix Alcan, Paris, 1931, p 381.

8- الركيبي، الجزائر في غيون الرحالة الانجليز، ص 161.

فيها أكثر من غيرها.[1] فقد عمدت بناء على ذلك إلى تأسيس مراكز تبشيرية هامة كمركز الأربعاء نايت ايراثن : مركز تيزي وزو فيه مخزن لتموين الفقراء و مستوصف يشرف عليه الأباء البيض و الأخوات، و مركزإيفرحونـان (عين الحمـام) و فيه مبشرة فرنسية تعمل طبيبة،و أخرى ألمانية تعمل ممرضة ومركز جامع الصهاريج و فيه مستوصف و مدرسة و ملجأ للیتامی یشرف علیه أباء بیض.[2]

و بناء على الأسطورة القائلة بأوروبية ا لبربر المنحدرين من الغالبيين والوندال و الرومان والبربر المسيحيين منذ العهد الروماني لهذا ينبغي إرجاعهم إلى دينهم المسيحي، و كان الأميرال دي قيدون من مشجعي هجرة الأوربيين إلى بلاد القبائل، و إدماج أهلها من طريق الدين المسيحي.[3] وقال بتأثير من لافيجري " وددت لو أن تجربة العطاف تمت في منطقة القبائل".[4]

و أمام هذا التركيز المكثف من قبل الإرساليات التبشيرية على المنطقة توجس المواطنون الجزائريون خيفة على كيانهم الروحي الإسلامي فراحوا يحتجون بشدة على هذا التواجد النصراني التبشيري بين ظهرانهم،فقد اشتكى سنة 1868م السيد محمد السعيد بن علي الشريف مقدم زاوية أقبو لنائب الحاكم العام بقوة و عزة استفزازات الكاردينال لافيجري:" لقد قرأت رسالة لافيجري المؤرخة يوم 06 أفريل و التي أعلن فيها عزمه على استبدال القرآن بالإنجيل لإعادة الحياة للشعب العربي، لقد كان وقع هذه الرسالة شديدا على المسلمين،إنني رجل دين و كل مسلمي جيلي يفكرون مثلي: إننا نفضل أن نرى أولادنا يموتون كلهم من أن نراهم يصبحوا مسيحيين، فليس هناك مساومة في هذا الأمر .لقد وعدتمونا بعدم المساس بديننا،فإذا أخلفتم هذا الوعد ،و خالفتم قسمكم فإننا بالمقابل غير ملزمين بوعدنا اتجاهكم.[5] غير أن شكاوى واحتجاجات السيد بن علي الشريف ظلت دون استجابة حيث زاد تحرك المبشرين في منطقة القبائل و سكان المنطقة لهم بالمرصاد فقد جاء في تقرير رسمي فرنسي انه كادت "تحدث اضطرابات يوم 12 جوان في سوق بني منقلات حيث همّ حوالي ثمانية إلي عشرة آلاف قبائلي بقتل أمين قرية(مشرف على قرية) لأنه بعث برسالة اليسوعيين .[6]

1- ركز عليها لفقرها اقتصاديا و عزلتها و تحقيقا لهذا الهدف زار لافيجري منطقة القبائل التي ارتاها صالحة لتنصير الأطفال من خلال مشاريعه الخيرية فجمع من الأيتام ما يزيد عن 1750 ط فلا تتراوح أعمارهم ما بين 8و 14سنة فرباهم في ظل الكنيسة و على دين المسيحية ،أنظر الأستاذ سيلي مقران الحركة الدينية و الإصلاحية في منطقة القبائل،ص 149.

2- سلي، الحركة الاصلاحية،ص.161

3- خديجة بقطاش،الحركة التبشيرية....ص .153

4-شارل روبير اجيرون،المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية،ترجمة و تقديم و تعليق د/ محمد العربي ولد الخليفة،منشورات تالة الجزائر،2002،ص.126

5- حباسي،المرجع السابق،ص.95

6- المرجع السابق،ص95.

و في سنة 1870م أثارت من جديد محاولة " أخوان العقيدة المسيحية "اختطاف بنتين من أهلهما منطقة القبائل،فأمام تكرار استفزازات المبشرين و تواطؤ الإدارة معهم،اضطر أعيان من تيزي وزو عين الحمام إلى الهجرة إلى سوريا.[1]

و يمكن القول بان حركة التبشير في الجزائر تعد أحد الوسائل الرئيسية التي استعملها الاستعمار كي يحكم قبضته على الجزائر أرضا و شعبا مدعما قبضته و هيمنته بسياسة التجهيل و محاربة الهوية الجزائرية،في مكوناتها التاريخية و الحضارية.

ح) سياسة التجهيل و التزييف للتاريخ الجزائري:

إن إقدام المحتلين على مصادرة المؤسسات التربوية الجزائرية منذ الوهلة الأولى التي وطئت فيها أقدامهم أرض الجزائر و نهبهم لمخزون المكتبات الجزائرية العامة و الخاصة دليل قاطع على النية المبيتة لتفكيك البنية الفكرية و الثقافية للجزائر.

و قد تنبأ حمدان خوجة بالعواقب الوخيمة التي تترتب على ذلك عندما أبصر هو شخصيا ذلك السلوك المشين للجنرال كلوزيل و هو يأمر بهدم المؤسسات الثقافية الجزائرية فقال في مرآته:" لقد أمر السيد الجنرال كلوزيل بتهديم محلات تدعي "القيصرية" كانت تبيع الكتب التي هي أدوات الحضارة التي تنير درب الإنسان المثقف،و فيها كان يوجد الناسخون لان المطابع معدومة في إفريقيا،وبما أن الفرنسيون كانوا ينوون إدخال الحضارة إلى إفريقيا فلماذا وقع تهديم هذا المصدر الذي كان يعطي العلم و المعرفة في جميع الميادين؟ إن هذا الجنرال ينوي إغراقنا في الظلمات و الجهل...[2]

و قد نهب المحتلون التراث الثقافي الجزائري العربي الإسلامي الذي عثر عليه في المكتبات الجزائرية مثل المخطوطات و الوثائق و الكتب،فقد كان ضباط جيش الاحتلال الفرنسي و رجال الدين المسيحي الذين رافقوهم في عمليات الغزو التي استمرت سبعون سنة(1830-1900) ينهبون المكتبات الجزائرية التي يعثرون عليها في مختلف جهات الوطن و يرسلون بمحتوياتها إلى ذويهم في فرنسا. أو يبيعونها لتجار الكتب الأوروبيين الذين يأخذونها إلى أوربا هذا فضلا عن المكتبات و الكتب التي احرقوها أو بعثروها كما فعلوا بمكتبة الأمير عبد القادر في سنوات الاحتلال الأولى (1832-1847) بعد أسره سنة 1847.[3]

و في هذا الصدد لا يمكن إغفال كذلك الكم من الكتب و المصنفات الأدبية و العلمية و الفنية والفكرية التي وضع الفرنسيون أيديهم عليها اثر أعمال المصادرة والحجز،و النفي القصري خارج البلاد للشخصيات الدينية و العلمية الجزائرية كما وقع للمفتي الكبابطي(4) و المفتي بن العنابي و السيد حمدان

1- حباسي،المرجع السابق،ص.95

2- حمدان بن عثمان خوجة،المرآة،تقديم و تعريب د/ محمد العربي الزبيري،ص277. 3- رابح تركي،التعليم القومي...ص96.

4- تعرض المفتي للنفي لأنه رفض بعنف وشدة جعل المساجد والاوقاف تحت تصرف الإدارة الاستعمارية، أنظر نورالدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 156.

خوجة،حيث لا يمكن لهؤلاء المنفيين أن يأخذوا كل ما في مكتباتهم معهم،و في كلا الحالتين فقد حرمت منها العائلات الباقية و المدارس و التلاميذ.[1]

و قد تم تدعيم هذا العمل التجهيلي للجزائريين بحرمانهم كذلك من التمدرس، فبعد أن صودرت أملاك الأوقاف ذهب معها الإنفاق على المؤسسات التربوية في كل أطوارها، و من ثم تقلصت دائرة التعليم بشكل كبير حتى باتت تقريبا محصورة في أمهات المدن و الحواضر،كما أن المدارس التي فتحتها فرنسا بعد الاحتلال لم تكن كافية من جهة ،و لم تكن في أبعادها الفلسفية بريئة الأمر الذي جعل الكثير من الجزائريين يتخوفون من الزج بأبنائهم فيها.

ثم إن المعمرين كانوا يقفون حجر عثرة أمام أي تطوير يمكن أن يوجه لإنعاش الثقافة الوطنية ،بل كانوا يعارضون بشدة تعليم الجزائريين فقد عبر أحد المعمرين عن تخوفات أمثاله من المسلم المتعلم بقوله : "إن المسلمين إذا تعلموا طالبونا بحقوقهم و جابهوها بمناقشاتهم و غدوا أقل طواعية و طاعة لنا مما هم عليه الآن..."[2]ولذلك لم نكن نرى حتى 1914 م إلا أقلية ضعيفة من الأطفال الجزائريين تختلف إلى المدارس الفرنسية[3]

و يتبين من خلال أرقام رسمية أنه بعد أربع و تسعين سنة من الاحتلال فإن تعليم الأهالي كاد يكون منعدما، ففي الوقت الذي نجد بالنسبة للأوربيين 1200 مدرسة ب 000 110 تلميذ لسكان يقدرون بـ 700,000 نسمة نجد مدارس الأهالي التي هي عبارة عن أكواخ لا تزيد عن 520 مدرسة لا يختلف إليهاسوى000 38 تلميذ من مجموع 5 ملايين نسمة.[4]

و حتى سنة 1901م كانت نسبة المتعلمين من الجزائريين تصل إلى 3,8% بينما بلغت نسبة المتعلمين من الأوربيين 84% [5]و هو فرق مهول و مصداقا لهذه الإحصائية نستشهد هنا بقول الزعيم المصري أثناء زيارته للجزائر سنة 1901م حيث كتب عن حركة التعليم يقول :" هجرت ربوع العلم" وخرجت دور الكتب و صارت الديار مرتعا للجهل و الجهلاء، و كادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى،و تطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية بل أصبحت اللغة الفرنساوية هي لغة التخاطب في العواصم مثل وهران و الجزائر و قسنطينة و عنابة و غيرها ".[6] ليضيف "...إن حالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا،و لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاملات بل ربما لن تدرّس العربية بالمرة مع مضي الزمن، فلا الحكومة تسعى في حفظها و لا تدع

1- سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي...الجزء 5،ص.329

2-ali merad ,regards sur l’enseignement des musulmans, en algerie1880-1960conflient,paris1963pp.607-608

3-Meynier.op .cit.p213

4-limir khaled ,la situation des musulmans d’Alger 1924 Alger p 39.

5-limir khaled op cit. p39.

6- أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965،.ص 133

الناس يؤلفون الجمعيات لفتح المدراس...".[1]

و لم تكن المدارس[2] التي أنشأتها الإدارة الاستعمارية تستهدف تعليم الجزائريين و الرفع من مستواهم بقدر ما كان إنشاؤها كيدا للعربية،ووسيلة من وسائل القضاء عليها،و من ذلك انه خصت الجزائريين بمدارس على حدة و هي غير المدارس التي جعلت لأبناء الأوروبيين و سمت المدارس الأهلية.[3] و لذلك نجد الجزائريين حذرين جدا من إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية الرسمية التي قصرت تعليمها على تعليم اللغة الفرنسية و حضارتها إذ رأوا في ذلك وسيلة خطيرة لفرنسة أبنائهم[4]

و عليه فقد قاطع الكثير من الجزائريين هذا النوع من التعليم مقاطعة شديدة، و نفروا منه نفورا بليغا خاصة قبل الحرب العالمية الأولى، و قد بيّن النائب العام لعمالة قسنطينة و هو مسلم يدعى يحي الشريف أحمد بن سليمان عندما قابل لجنة مجلس الشيوخ التي حضرت إلى الجزائر لدراسة مشاكله في سنة 1891م"....إن أمنيتنا الغالبة هو أن نرى المدارس تتكاثر، و أن يكون لنا فيها معلمان: إحداهما يتكلف بتعليم أبنائنا الفرنسية و العلوم المتصرفة عنها، و يقوم الآخر بتحفيظهم القرآن و مبادئ الدين كالصلاة و الصوم، أما تعليمهم اللغة الفرنسية وحدها فلن يكون له من نتيجة سوى نسيان قواعد دينهم و إهمالها[5]

و لكي تسهل فرنسا على نفسها فرنسة الجزائر عملت على غلق المدارس العربية و تحريم التعليم باللغة العربية، بل و أجبرت الجزائريين على التعليم باللغة الفرنسية، و فرضت على كل من يرفض ذلك غرامة مالية كبيرة[6].

و حتى يمكن إذابة الجزائريين في بوتقة الحضارة الفرنسية فقد أبت المدارس الفرنسية إلا أن تحول بين التلاميذ الجزائريين و بين معرفة تاريخهم العربي الإسلامي، و ذلك بتنشئتهم على تمجيد التاريخ الفرنسي لا غير، ففرنسا هي الوطن الأم، و إذا كان للجزائريين تاريخ فليس إلا التاريخ الأوروبي، أما العرب فلا صلة للجزائريين بهم.[7]

و عندما انعقد أول مؤتمر للفلاحين " الكولون" عام 1897 أصدر في خاتمة اجتماعاته لائحة

1- المرجع نفسه، ص 133

2- أنشئت أول مدرسة فرنسية مخصصة للجزائريين سنة 1836 وفي سنة 1880 لم تبن إلا 16 مدرسة من هذا النوع ،أنظر محمد الشريف ساحلي،تخليص التاريخ من الاستعمار ،ترجمة محمد هناد ومحمد الشريف بن دالي حسين،الجزائر 2002 ص 87

3- محمد طه الحاجري، جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائر، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1968، ص 94،95

4- المرجع نفسه ، ص94-95

5- لقد بيّن الدوق دومال الحاكم العام في الجزائر(1848،1847) أن الغرض من تعليم الأهالي هو إقامة مدرسة بين الجزائريين أفضل من كتيبة عسكرية لغرض الأمن والتغلغل داخل الجزائر أنظر Turin Yvonne, affrontements culturels dans l'Algérie coloniale E.N.A.L Alger 2 ed p 165 1983.

6- د/ سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية بيروت1967 ص 47،48

7- طه الحاجري، المصدر السابق، ص 97

طالب فيها من الإدارة الاستعمارية أن تعيد النظر في التعليم النظري فتجعله تعليما تقنيا أي" تعليما فلاحيا" حتى تلبي حاجيات " الكولون" من اليد العاملة الزراعية الماهرة أي أن تكون في خدمة الفلاحة [1] لكي تدّر على المستوطنين المزيد من الأرباح فيزداد بالتالي غناهم الفاحش على حساب المسلمين الذين سيزدادون تعاسة.

و على امتداد الفترة الفاصلة بين الاستعمار الفرنسي 1830 واحتلال تونس 1881 لم يرتق الوجود الفرنسي إلى صياغة مبادئ قارة و ثابتة للسياسة التعليمية و الثقافية، و ان كانت منطلقاته واضحة من حيث فلسفتها الاستعمارية وأبعادها العميقة في مجال تدمير شخصية الجزائر وإعاقة تطور نظمها الثقافية والمعرفية[2]

و باسم سياسة الدمج و العلمنة حددت المدارس القرآنية[3] و روقبت مدارس الزوايا و تعرضت للغلق والاضطهاد، مما أدى إلى حدوث نقص في معلمي القرآن الكريم و المدرسين صاحبه تقهقر في معرفة اللغة العربية[4]

و بناء على ما تقدم نقول بأن سياسة الاستعمار و أهدافه لم تكن غايتها في الحقيقة تنوير المجتمع الجزائري ، بقدر ما كانت تسعى لتحقيق مطالب وحاجيات المؤسسات الفرنسية في الجزائر.

لقد كان الغرض من تأسيس ما يعرف بـ" المدارس الموريسكية الفرنسية هو إدخال الفرنسية إلى المدارس القرآنية، أما المدارس العربية الفرنسية فلكي تستجيب لحاجيات الإدارة و التربية و العدالة و حتى في تدريس اللغة العربية[5] و في جميع الأحوال فقد كان الغرض هو تكوين نخبة تكون واسطة بين الإدارة و بين الأهالي، و تكون الأسبقية لأبناء الأعوان و الأعيان كالقيادة و الأغوات و القضاة و كبار ملاك الأراضي.[6] و بناء عليه لم تكن هناك أبدا نية في يوم من الأيام لتعميم التعليم حتى و لو كان بلغة المعمرين لأن ذلك سيجعل الجزائريين يتخلصون من شبح الجهل و يدفعهم للمطالبة بحقوقهم المهضومة.

1- Charles, robert ageron, Op, cit, t2, p ,923 -1

2- المالكي، الحركات الوطنية......ص 146

3- إمكانية فتح مدرسة قرآنية مرتبط بترخيص خاص مستخرج ، أما عن الجنرالات و المسؤولين على القسم العسكري بالجنوب، أو من ولاة العمالات في القسم المدني، و منه المؤسسات وضعت تحت رقابة المكاتب العربية العسكرية والولائية ،أنظر Claude bontoms, manuel des institutions algériennes de la domination turque a l'indépendance, t1 , Ed, cujas France

4- أجيرون، تاريخ الجزائرالمعاصرة، ...ص 106-107

5- دا سعد الله، اللغة العربية في مواثيق الحركة الوطنية ، مجلة " الكلمة" الجزائر عدد 4 جانفي 1993 ص 7

6- الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل و بعد الاحتلال مؤسسة موفم للنشر الجزائر 1993 ص 18.

و لكي يجد الاستعمار المبررات التاريخية التي تعطيه شرعية التواجد في الجزائر راح يستعمل التاريخ وفق منظوره الاستعماري، حيث لم تتردد الكتابات التاريخية في الترويج للدخول الفرنسي إلى المغرب العربي و مدافعة عن مشروعية وجوده واستمراره لاحقا وفي تأكيد" رسالة" فرنسا في العمل على انبعاث روح روما و تجديد آثارها و فلويس برتراند Louis Bertrand[1] لم يتقاعس عن الإقرار وهو بصدد حديثه عن الكاردينال لافيجري بأن" النشاط الفرنسي بافريقيا ليس سوى استمرار للآثار اللاتينية، التي بادرت روما بالقيام بها منذ عشرين قرن خلت، إن التاريخ سيضفي طابع المشروعية على غزونا لأننا لا تقوم إلا باستعادة عمل متوقف و لأننا وارثو تاريخ مشرق..."[2]

و جندت سلطات الاحتلال أعدادا هائلة من ضباط الشؤون الأهلية، و الرحالة، و المبشرين، الذين اختصوا في دراسة عادات و تقاليد و أنماط المعيشة لدى سكان البلد بمختلف مناطقهم[3] و كانت تلك الدراسات و التحقيقات ، و التقارير و التصنيفات و الخرائط، و الفهارس، تهدف في البداية إلى تحقيق أغراض استراتيجية آنية، و هي " مراقبة العدو" لتصفيته جسديا، ثم صارت فيما بعد تهدف لأغراض سياسية و هي معرفة العدو من الداخل، من أجل تحطيمه اقتصاديا و ثقافيا[4]

و لأن" المجتمعات الإنسانية لا تحيا فقط في الحاضر، إنما يهمها معرفة من أين انحدرت لتستطيع أن تتبين وجهتها في المستقبل [5] راحت فرنسا تحاول إقناع الجزائريين بأنهم من أصول فرنسية و من ثم يسهل دمجهم في الكيان الحضاري الفرنسي و يديروا بالتالي ظهورهم للحضارة العربية الإسلامية.

فكانت دراساتهم في غالبيتها تمجد الاستعمار الروماني لشمال إفريقيا و تصور الفتوحات الإسلامية على أنها غزو واستعمار و فرض للإسلام على البربر بالإكراه والسيف و أنها قطعت صلة البلاد بالحضارة الغربية و الكنيسة[6].

و في الميدان راح الضباط الفرنسيون المهووسون بالتاريخ يجمعون كل الشواهد التي تعود إلى العهد الروماني، لكي يعطوا لأنفسهم مشروعية للاحتلال"....فهذا مثلا كافينياك مستغرق في التأملات أمام

1- ولد لويس بورتران louis Bertrand سنة 1866م بفرنسا في وسط محافظ، ينحدر من أسرة فلاحية عريقة كرس حياته لخدمة الكنيسة و أصبح أستاذ بثانوية الجزائر سنة 1891، كما انتخب عضوا في الأكاديمية الفرنسية سنة 1925 ألف الكثير من الكتب التي تعكس عقليته الاستعمارية للمزيد أنظر:

Rabah Belamri, l'œuvre de Bertrand……..Fadhila yahyiaoui roman et société coloniale dans l Algérie de deux guerres, E.N.A. L Alger 1985 p171.

2- المالكي، حركات التحرر.ص 115، 116

3- المالكي، حركات التحرر....ص 115-116

4- بقطاش، الحركة التبشيرية.......ص 138

5- belamri. Op, cit., p 104

6- د/ ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات و آفاق ص 195.

صليب من العهد الروماني- المسيحي - منقوش على صخرة في مدينة معرزاية فيقول:" بما أنها (أي روما) قد حكمت هنا، فما علينا إلاّ أن نواصل عملها")[1]

و قد تولى مترجم حياته شرح هذه الكلمة بمزيد من الوضوح فكتب يقول:"كان كافنياك يجمع بمنتهى العناية كل الشواهد المتصلة بالاحتلال الروماني مهما كانت صغيرة، لكي يقتفي الأثر الذي تركه هؤلاء الفاتحون المثاليون، كان شديد الإعجاب بأساليبهم العسكرية، و مجدهم الذي طالما تحدثت عنه الكتب وكان خبيرا بالآثار، فاهتم اهتماما كبيرا بالحفريات، فأمر بإجرائها لكي يستخرج الآثار التي تبرهن للبدو بأن الأوروبيين لهم حقوق قديمة في امتلاك البلاد....."[2].

و قد سمحت المعرفة الدقيقة بالتركيبة الاجتماعية للسكان في استغلال نقاط الضعف فيها وتصريفها لفائدة المستعمرين واستغلوا بالأخص النعرات القبلية لزرع روح الشقاق بين السكان، بتقسيمهم إلى بربر و عرب ووصفوا الأوائل منهم بالأصلاء و الآخرين بالغزاة الدخلاء متبعين في ذلك نفس النهج الذي اتبعه المحتلون الرومان قديما من أجل السيطرة على شمال إفريقيا و هو تطبيق سياسة " فــرق تــسـد و إمعانا في تطبيق تلك السياسة حاولوا أن يظهروا" القبائل" على الأخص ككيان منفصل عن باقي السكان و من أجل ذلك وصفوهم بالتسامح الديني و حب العمل و التفتح الفكري، و وصفوا باقي السكان في مقابل ذلك بالتأخر و الكسل و التعصب الديني[3]

و لكي يزيدوا من توسيع الهوة بين أبناء البلد الواحد، راح كتابهم و منظروهم يبرزون في كتاباتهم المغرضة و المشوهة للحقائق ، تفوق العنصر القبائلي الذي يستأهل كل ذلك بينما العربي ينبغي أن يحرم من كل شيء، فاحترام الجنسية القريبة عند وارثيه يتنافى مع الحضارة و المطلوب هو إعطاء الحقوق المشروعة للجنسية البربرية، فبقدر ما يصعب تحقيق التقدم مع النظام العربي إن لم نقل من المستحيل تحقيق ذلك فإن التقدم يكون ميسورا بإدخال الحضارة الفرنسية على التقاليد البربرية، في حين أن" الجنسية العربية لا وجود لها و هي عندي بمثابة تجميع للقبائل ليس إلاّ، و سيسعى وارنيه بمقالته و كتبه- دونما كلل و لا ملل إلى بلورة الأفكار الكبرى كفكرة أن القبائليين هم أهالي الجزائر الحقيقيون، و هم أقرب الناس إلينا أنهم عماد البلد و أساس مستقبله[4]

و منذ أن تأسست جامعة الجزائر سنة 1909م، تزعم فيها باحثان بلورة الإيديولوجية الاستعمارية

1- الأشرف، الجزائر الأمة و المجتمع.......ص 283-.284

2- المرجع السابق، ص 284

3- منور، المرجع السابق، ص 52

4- أجيرون، المجتمع الجزائري......ص 31.

ونشرها بين الطلاب و نعني بهما المؤرخ ستيفان غزال[1] ، و الباحث الاجتماعي أ- ف قوتيه[2] كل حسب اختصاصه، و لكنهما يتفقان في الأهداف و المقاصد فالإثنان في الحقيقة كانا لا يؤمنان بالكيان المغاربي و فارنست فليكس قوتيه الذي أنكر على المغرب حتى اسمه التاريخي جزم بعدم وجود انتماء للمغرب و ذلك بقوله: " فحين نذهب بعيدا في التاريخ، نلاحظ سلسلة غير متناهية من السيطرة ، حل الفرنسيون مكان الأتراك الذين حلوا بدورهم محل العرب، هؤلاء تعاقبوا على شمال إفريقيا بعد الوندال و الرومان و القرطاجيين....." و يستأنف كلامه قائلا:" و مما تجدر الإشارة إليه أن المحتل مهما كان، يظل سيد الوضع بالمغرب العربي، حتى يتم طرده من طرف وافد آخر، فلم يحدث قط أن تمكن الأهالي من إخراج المحتل ....[3] و هي النظرة نفسها عند ستيفان غزال:" فمما لا شك فيه يؤكد أساتذة جامعة الجزائر الاستعمارية-أن البربر قد أضاعوا جهدا مضنيا في صراعات دون قيمة و لا فائدة ......صراعات بين الأفراد و العائلات و القرى و القبائل، أنهم كانوا يفتقدون دائما إلى حس التضامن الذي يعتبر قاعدة ضرورية لتكون الأمم ..."[4]

وصورة الانسان الجزائري في منظور الكتاب الفرنسيين كانت سوداء ومحتقرة فقد أجمع ميسيت واسمه الحقيقي أوغست رويني وروبير راندو (ارنو)وكويس برتران على الحط من قيمة الجزائريين والاشادة بخصال المهاجرين المالطيين والاسبان والايطاليين الذين صاروا فرنسيين كاملي الحقوق بموجب قانون 1863،كما أن برتران أصدر كتابا بعنوان السراب الشرقي 1909 م وعبر من خلاله عن احتقاره وعنصريته إزاء المشرق حيث يقول"بعضنافي مواجهة البعض غرباء أو أعداء وهذا السبب بسيط هو أن جلودنا مختلفة وكذا وجوهنا كما أن جماجمنا غير المتشابهة التكوين لا يمكن أن نفكر بنفس الطريقة حول أفكار متشابهة.."إنها العنصرية الحقيرة[5]

وظهرت تسميات دنيئة صار يعبر بها الانسان الجزائري مثل"البيكو" أو" جدع التينة"أو" الزجاجة المختومة بال؟أحمر" والأخطر من هذا استعمال كلمة "أهلي" ويراد بها الاروبي المستعمر[6]وفي فترة ما

1- هو مؤرخ فرنسي ، كان استاذا بجامعة الجزائر، اهتم بتاريخ شمال افريقيا القديم، حيث ألف في هذا الصدد كتاب، التاريخ القديم لافريقيا الشمالية

2- هو مؤرخ فرنسي و استاذ للتاريخ بجامعة الجزائر، عرف بنظرته المتعصبة ضد تاريخ الجزائر و انحيازه الكبير للطرح الاستعماري صاحب كتاب ماضي شمال افريقيا القرون المظلمة.

3- المالكي، حركات التحرر...ص 45،44

4- المرجع نفسه....ص 45.

5- يحياوي مسعودة، الجزائر من خلال المنظار الاستعماري،مجلة الدراسات التاريخية عدد 7 1414 هـ 1993 م، الجزائر ،ص 162 .

6- ايمانويل سيفان،الاسنعمار والثقافة الشعبية في الجزائر ،ت د/سعد الله أنظر أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الجزء 4 ص 61

بين الحربين حلت ألفاظ جديدة محل السابقة مثل(راتون-ميكون-نيقر-بطاربنيول (وكلها بصفة الجمع) وفي سياق الاستهزاء والنعوت الحقيرة للجزائريين فقد كتب مولود فرعون في يومياته قائلا:"من هو الأهلي في عين الأوروبي إنه عامل مشترك،خادمة منزل،مخلوق غير متجانس بطرق مثيرة للضحك.وعادات غريبة ولغة مستحيلة[1].

خــلاصــة:

بناء على كل ما سبق دراسته نخلص إلى النتائج التالية:

- كانت محاربة الاستعمار الفرنسي للأمة الجزائرية عامة و شاملة، و كان الهدف المسطر من البداية هو تفتيت البنية السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية للكيان الجزائري.
- تدمير المقومات الروحية الدينية و الثقافية للجزائر من خلال سياسة الهدم للمؤسسات الدينية والتعليمية، حتى كادت تزول من أنحاء البلاد.
- حرب إبادة حقيقية ضد الانسان الجزائري من خلال عملية الطرد من مواطن رزقه و حياته و الشيء الذي جعله عرضة لكل الأمراض و الأوبئة و المجاعات التي كانت تفتك بأعداد كبيرة منه سنويا.
- لم تكن الرسالة الحضارية التي تزعمتها فرنسا عند مجيئها للجزائر سوى تمويها و ذرا للرماد في العيون، فقد عملت بالمعسكريين حيث أجهزت على ميراث الجزائر الحضاري، و كادت أن تقتلعه من جذوره، كما شجعت ثقافة التشتت و الفرقة بين أبناء البلد الواحد عن طريق إحياء النعرات و تحجيم اللهجات المحلية و توظيف التاريخ بتزييف حقائقه.
- نالت اللغة العربية و الدين الإسلامي حصة الأسد في مجهود فرنسا التدميري للكيان الجزائري ليقينها بأنهما يمثلان دعامتين أساسيتين لمقومات الأمة الجزائرية.

كل هذه الأعمال المدمرة ماديا و روحيا للجزائر، قوبلت بمجهود نهضوي جزائري استهدف التصدي للمخططات الاستعمارية من جهة و بناء جديد للمجتمع الجزائري يستجيب لتحديات العصر و يزاوج في طروحاته الحضارية النهضوية بين الأصالة و المعاصرة .

1- المصدر نفسه ص 64

الفصل الأول:

أصول الخطاب النهضوي وإرهاصاته الأولى قبل 1925

- تمهيد

1- مفهوم النهضة ومدلوله التاريخي

2- دور الرواد المصلحين والمجددين

3- صدى الحركتين السلفيتين، الوهابية والسنوسية

4- صدى جمعية العروة الوثقى وزيارة شيخ محمد عبده إلى الجزائر1903

5- دور الصحافة العربية الإسلامية

6- التواصل الثقافي بين الجزائر والعالم الغربي

7- عودة بعض المتعلمين الجزائريين إلى الوطن وثورة ابن باديس التعليمية

- خلاصة

تمــهيــد:

إن دراسة الخطاب النهضوي في الجزائر في الفترة الممتدة ما بين 1925م- 1954م، تستدعي منا بالضرورة البحث و التنقيب و رصد كل الأعمال و النشاطات الفكرية و الثقافية التي ساعدت على بزوغ فجر النهضة الجزائرية الحديثة ، و لا يمكن أن نصل إلى إدراك مجمل العوامل التي تمثل بواعث النهضة و منطلقاتها إلا إذا تجاوزنا عتبة الحدود الجغرافية و الأبعاد الزمانية، لكي نقف على الحقيقة المتمثلة في وشائج العلاقات المتينة و القوية التي تربط بين رجال النهضة الجزائرية و مظاهر نهضة العالم العربي الإسلامي و رموزها من أقطاب النهضة و الإصلاح ذلك أن" الجزائريين كانوا في باكورة القرن العشرين يترقبون بشوق ملتهب وصول بريد المشرق العربي الذي كان يحمل إليهم كتب علمائه و مجلاتهم التي تنشر مقالات و أفكار مصطفى كامل[1] و محمد فريد[2] و عبد العزيز جاويش[3] وغيرهم من قادة الحركة الفكرية و أرباب الأقلام العربية في مصر[4]

هذا من جهة و من جهة أخرى نعرف تلك الجهود الإصلاحية و النهضوية الفردية ، التي اجتهد نفر لابأس به من الرواد المصلحين في سبيل تحقيقها في ظروف صعبة و بإمكانات جد بسيطة ومتواضعة ، و مست تقريبا كل المسائل الاجتماعية و الدينية و الثقافية التي شكلت أبرز محاور الخطاب النهضوي بعد نضجه واكتمال تشكله في عقد العشرينات و ما تلاه.

و بذلك نعرف أن الهم النهضوي يكاد يكون واحدا في بعده الجغرافي مشرقا و مغربا، و هاجسا حضاريا كذلك بين جيل الإصلاح و النهضة في صورته الفردية، و جيل النهضة الذي توفـــــــر على

1- ولد مصطفى كامل(باشا) ابن علي محمد سنة 1874 – 1908نابغة مصر في عصره، واحد مؤسسي نهضتها الوطنية، أحرز شهادة الحقوق من فرنسا و لم يبلغ العشرين من عمره، كان فصيحا، انصرف إلى مقاومة الاحتلال الإنجليزي بخطبه و مقالاته و كتبه، و أنشأ في مصر جريدة" اللواء" اليومية سنة 1900. و دعا إلى إنشاء الحزب الوطني، فانعقد أول اجتماع له سنة 1907، و انتخب فيه مدى الحياة، للمزيد انظر خير الدين الزركلي، الإعلام. ط(2) جزء8 ص 140 و ما بعدها، للمزيد انظر عنه فتحي رضوان مصطفى كامل، دار المعارف القاهرة .1974

2- هو أحد كبار الوطنيين المصريين، خلف مصطفى كامل في زعامته ، و كان لا ينفك يفكر في الثورة و يحضر لها ويحرض أعوانه في مصر عليها توفي رحمه الله سنة 1919 ، للمزيد أنظر فتحي رضوان، مصطفى كامل، دار المعارف القاهرة .1974

3- ولد سنة 1876 و توفي سنة 1929م، خطيب من الكتاب و رجال الحركة الوطنية تونسي الأصل ولد بالاسكندرية وتعلم بالأزهرو دار العلوم، اشتغل في حياته مدرسا ثم مفتشا للغة العربية في المدارس الحكومية ، و تولى جريدة اللواء سنة 1968 فحمل على الاحتلال فسيق إلى المحاكمات مرات و سجن، شارك في إنشاء جمعية الشباب المسلمين بالقاهرة، له كتب منها" أثر القرآن الكريم في تحرير الفكر البشري" عنه أنظر الزركلي، الأعلام، جزء 4، ص 140

4- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة، الجزء 2 ، المطبعة العربية الجزائر1971.

إمكانات وأحاطت به ظروف مساعدة و ملائمة لعمله أكثر من غيره، و يعد الانتقال من مرحلة العمل الفردي إلى مرحلة العمل الجماعي المنظم شيئا طبيعيا على اعتبار أن " التاريخ حلقة متصلة، و أن النهضة تلزمها مراحل متعاقبة، تكون في البدء ضعيفة، ثم يصلب عودها فيحدث الإصلاح و التغيير(1)

و الحق أن الخطاب النهضوي في الجزائر ما كان له أن ينشأ و يتجلى في مظاهر شتى و يبرز كحقيقة ماثلة للعيان لو لم يحدث ثمة تفاعل كبير بين الجهود المحلية الداخلية و المؤثرات الخارجية والتحولات الداخلية الفكرية و الاجتماعية.

و إذا لم يكن ممكنا تناول كل جهود أولئك الذين ساهموا من قريب أو من بعيد في إعداد الأرضية الصلبة التي تأسس عليها البناء النهضوي الجزائري الحديث فإننا سنحاول أن نقدم أبرز العوامل التي ساهمت في تشكيل الفعل النهضوي في بعده الديني و الاجتماعي و التربوي محاولين رصد جهود المتنورين، و كذا جهود أولئك الذين استحدثوا من المؤسسات و أوجدوا من الوسائل و الأدوات التي كانت سندا و متكأ للفعل النهضوي و العكس ليس صحيحا.

و بداية نريد أن نؤكد على حقيقة و هي أن الخطاب النهضوي الجزائري لم يكن وافدا بل أصيلا فيها، متجذرا في تربتها، و متأصلا في واقع الأمة الجزائرية التي عرفت حركات تجديدية وصحوة في شؤون الفكر و الثقافة و المجتمع، على غرار باقي بلدان العالم الإسلامي، بل أن بعض الحركات الإسلامية التي تركت بصماتها على أجزاء واسعة من العالم الإسلامي كانت منطلقاتها من الجزائر كالحركة السنوسية، كما لم تقدم رجالا عملوا بكل إخلاص و تفان على إصلاح أوضاعها الفكري والاجتماعية و السياسية.

و بناء على ذلك ارتأينا أن نركز بداية على الجهود المحلية التي سعت للتأصيل للخطاب النهضوي، مبرزين مجمل الأعمال التي أنجزها أصحابها في هذا الصدد، و التي كان القصد منها التصدي لحرب الإبادة الاستعمارية المادية و الروحية التي استهدفت القضاء على الأمة الجزائرية والوقوف في وجه فكر الجمود و الانحطاط الذي لم يكن اقل خطورة على الأمة الجزائرية من الأول، ثم التعرض للحديث عن أهم الروافد الخارجية التي كانت عوامل منشطة و مدعمة لحركة النهضة الجزائرية الحديثة مع إعطاء فكرة في البداية عن مفهوم النهضة ، و مدلوله التاريخي كتوطئة للموضوع.

1) مفهوم النهضة و مدلوله التاريخي

إن مصطلح " النهضة" بالمعنى الغربي تعني الانبعاث الجديد أو ولادة جديدة و رفض ما هو سائد، و على صعيد الفكر فإن مفكريهم عملوا على بعث الحضارة اليونانية القديمة واستلهموا مفاهيمها وأعادوا صياغتها بما يتلائم مع الواقع الجديد، غير أن المفهوم اللغوي للنهضة في العالم العربي يعبر

1- د/ منذر معاليقي، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، دار اقرأ ببيروت، لبنان د. ت ص 25.

عن المعنى الحقيقي لمحتواه اللفظي كحركة تاريخية قامت ضد الجمود و الركود ، فالنهضة من فعل نهض تعني" قام من مقعده، و عن سريره، و عن الأرض و بسرعة و بدأ المسير، قام ليذهب إلى الآخر أو للوثوب إلى آخر....الخ بهذا المعنى تكون النهضة العربية مرادفة لعملية الوثب و السير قدما في سبيل تحقيق غرض ما، و عملت على استلهام النموذج الغربي و طريقة صعوده من وجهة كمية وانتقائية لمفاهيم من داخل التراث الإسلامي، و إعطائها تفسيرات جديدة تتلائم مع الواقع الراهن[1]

و يذهب المفكر عمر فاخوري[2] إلى اعتبار" النهضة" رد فعل تاريخي واع بحاضر و ماض عربيين متأزمين، مبّينا مرتكزاتها الفكرية و العقائدية و الثقافية و الحضارية و التاريخية من خلال قراءته للتاريخ العربي الإسلامي فنراه يلّح على التراث، دور الأفراد و الجماعات في صنع الحضارة"[3]

كما أن النهضة المنشودة في نظره، لا تعني بأي شكل من أشكال القطيعة مع التراث الذي هو تعبير عن الأصالة"..إن محافظة الأمم على التوازن بين ماضيها، و بين ما تتطلب اعتناقه من الجديد أصلح لها من الطفرة"[4].

و لا يمكن في منظوره أن تتحقق" النهضة" أو يكتب لمشروعها النجاح إلا إذا قامت ثورة شاملة....على جملة العادات و التقاليد الخرافية التي تكبل الشعوب بالقيود الحديدية، و تمنعها من التحرر والانعتاق و البناء و التشييد[5].

أما المفكر التونسي أبو يعرب المرزوقي فيرى بأن" النهضة" لا تعني حتما أنه قد تقدم عليها انحطاط، بل هو يعني أساسا أن الحركة قد بدأت تتجذر و تتحول إلى سعي فعلي لتحقيق مثل هذه الرسالة الإسلامية و قيمها في الواقع الاجتماعي و العالمي، من دون الاكتفاء باجترار الشعارات، و لما كان هذا السعي مصحوبا بمصادمة الاستعمار اتخذت النهضة شكل التجذير المسلح[6]

و يذهب الباحث المغربي الدكتور محمد عابد الجابري إلى الحكم على المثقف العربي بأنه صار يعيش في مأزق كونه صار في حالة انفصام بين العقل و الواقع في التمسك بالهوية على حساب التقدم والمعاصرة فهو يرجع تخلف الشرق إلى تخلف العلوم الطبيعية إلى المجتمع و الثقافة التي تتمسك بها. و كنتيجة لذلك صنع المثقف النهضوي النهضة مجازا فتحدث طورا عن عصر التنوير، علما بأن الظلام

1- د/ إبراهيم مراد، حول تحديد مفهوم" النهضة" في الفكر العربي، مجلة الفكر العربي، أكتوبر 1985، عدد 39، ص 11

2- مفكر عربي من لبنان أسهم بإنتاجه الفكري والأدبي في النهضة العربية الحديثة .

3- أحمد جدي إشكالية النهضة في الفكر العربي المعاصر، عمر فاخوري ـمجلة المستقبل العربي عدد 150 أوت 1991، ص 59.

4- المرجع الساق، ص 62

5- المرجع السابق، ص 62

6- أبو يعرب المرزوقي، إصلاحات النهضة و علاقتها بالنظريات الخلدونية ، مجلة شؤون عربية 24 (1983) تونس ص 117

خيّم على المجتمع، و آخر عن عصر النهضة لمجتمع لم ينهض[1].

و ينعي الأستاذ الجابري على الأمة وضعها المتردي، الذي صار أفقه مسدودا عندما حكم على المشروع النهضوي العربي كونه ولد ميتا لأن الشروط التاريخية كمناخ ملائم لنمو الفكر النهضوي كانت مفقودة و النخبة المثقفة المتنورة التي تأخذ بزمام المبادرة كانت غائبة، و ما الأصوات المنادية بالنهضة و الحداثة في المجتمع الإسلامي إلا عبارة عن ردود أفعال على التحديات الغربية[2].

وعاب الأستاذ الجابري على التيار التلفيقي الذي رأى فيه هروبا من الواقع الذي يفترض أن يتفاعل فيه العقل بالمجتمع فيصل المجتمع إلى الحضارة ، و من ثمة فقد نفى عنه صفة الحداثة و قابلية " التحديث" لم يكن المثقف النهضوي حديثا أو قابلا للتحديث، ذلك لأن مشروعه انصب على الحفاظ على الهوية لا على تجديد المجتمع و العقل اللذين يبدعان الحضارة نتيجة تفاعلها الخلاق، فبدلا من البحث عن حل لهذه المعادلة راح صاحبنا يفكر في تلفيق حداثة مما جعله يفشل ليس فقط في فهم حضارة الغرب وعلة الشرق، بل خلق لنا إشكالية تفاقمت و تعسر حلها علينا حتى صارت هذه تستوعب مثقفنا بدلا من أن تستوعبه صناعة الحداثة ذاتها[3]

كما انتقد الأستاذ الجابري المثقف الإيديولوجي الذي قصر فهمه " للأصالة" التي سجن نفسه فيها و لم يقدر على استلهام روح الإبداع و القدرة على الاجتهاد منها، و فهم" الحداثة" على أنها تقليد واستهلاك لمنتوج الحضارة الغربية" لقد اغفل....المشكل الاجتماعي و لربما فعل ذلك لأنه كان مثقف النخبة، أما خطيئته الكبرى فتكمن في كونه تحدث عن الأصالة، و لم يكن أصيلا، لم يدرك أن الأصالة لا تعني العودة إلى التراث، بقدر ما تعني توظيفه توظيفا خلاقا لصنع الحضارة، و ليست محاكاة نماذج الغرب التحديثية، بل البحث عن حداثة ناشئة من المجتمع نفسه قوام نجاحها هما اثنين: مجتمع و عقل مفتح[4].

و في هذا السياق أيضا دعا المفكر اللبناني جورج قرم[5]العرب إلى تجاوز الجدل العقيم و ضرورة الشروع في بناء نهضة عربية " فالمسألة الحقيقية ليست بين تفرنج و أصالة، أو تحديث وتقليد، إنما المسألة هي دفع المجتمع بجميع شرائحه نحو استعادة حيوية إبداعية و ابتكارية و في الفن وفي الأدب و بالتالي أيضا في الفنون الإنتاجية شئنا أم أبينا، فإن تحدي تفوق الحضارة الغربية قائم و لا مفر من مواجهته[6].

1- د/ عبد القادر عرابي، أزمة المثقف العربي، مجلة المستقبل العربي، عدد 196 (1995) ص 34

2- المرجع السابق، ص 34

3- المرجع السابق، ص 34

4-المرجع السابق، ص 35

5- أستاذ جامعي و باحث في الاقتصاديات ولد بلبنان سنة 1940م ، حاز على دكتوراه دولة من باريس.

6- دا جورج قرم، نحو استقامة حضارية عربية جديدة ، مجلة دراسات عربية عدد 3- يناير1980، ص 38

و يرى أن صنع المستقبل الزاهر للأمة لا يكمن في التشبث الأعمى بقيم بالية لا تستجيب لتحديات العصر ، باسم الأصالة و لا كذلك التفرنج باقتناء قشور المدنية." ....إن الجدل بين تفرنج وأصالة أو حداثة و تقليد يعكس فشل الدخول في نهضة مجتمعية شاملة.

فالتفرنج في الحقيقة هو التمسك بالشكل الخارجي من التقدم الحاصل في أوروبا و يعبر عن الفشل في إدراك جوهر آلية التقدم في المدنية الأوروبية الحديثة، أما التمسك بالأصالة أو التقليد فهو بدوره تمسك بالشكل الخارجي لما عرفته الحضارة العربية الإسلامية من ازدهار و تقدم في الماضي ويعبر أيضا عن الفشل في إدراك سر تقدم وانحطاط المدنيات[1].

و من الواضح أن زعماء الإصلاح و النهضة في العالم الإسلامي منذ القرن التاسع عشر كان خطابهم يدور حول ضرورة " الوعي بالهوة الحضارية التي تفصل بين ديار الإسلام و " الغرب" فعمدوا إلى إصلاح ما فسد...و ترتيب ما تبعثر، و بحث ما اندثر، حتى تستعيد ديار الإسلام نهضتها..." [2] فالسيد جمال الدين الأفغاني[3] يرى بان المسلمين لو عادوا إلى المنابع الدينية الأولى و طهروا ثقافتهم من الاوشاب و الآراء الهجينة التي تسربت إليهم عبر تاريخهم الطويل من مصادر شتى لاستطاعوا أن يقضوا على أسباب الخلاف بينهم و لعلموا أن العصبية ليست من الإسلام في شيء، و أن الفضل ليس حكرا على قوم دون آخرين، بل هو لمن عمل بأحكام دينية و يجتهد لإسعاد أمته، بل لان الإخاء والمساواة و الحرية هي أساس كل إصلاح سياسي واجتماعي[4].

و عنده أن الإسلام هو الوسيلة الأولى و الوحيدة لإنقاذ المسلمين و الشفاء الناجع لجسد الأمة الإسلامية من علله الفتاكة و العلاج ضد أعداء المسلمين للقضاء على الانقسام و التفكك و التشتت، و هو دين الأمل و العمل و دين الشرف و العلم[5] و حتى يمكن للعالم الإسلامي أن يسترجع عافيته دعاه إلى" أن يتحد لدفع الهجوم عليه ليستطيع الذود عن كيانه و لا سبيل إلى ذلك التقدم العربي إلا بالأخذ بالأسباب و عوامل الرقي[6]

1- المرجع السابق، ص 38

2- مهدي مبروك، هل نحن أمة؟ دار البراق للنشر تونس 1989، ص 13

3- ولد السيد جمال الدين الأفغاني بأفغانستان سنة 1938م و تلقى تعليمه بمدينة كابل حيث أخذ الفقه و التفسير و علم الكلام و التصوف و العلوم العقلية من منطق و رياضيات و تاريخ ثم انتقل إلى الهند فتعلم الإنكليزية و جمع بين الثقافة القديمة و الحديثة دعا إلى الجامعة الإسلامية، توفي سنة 18 للمزيد انظر د/ محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني، دار المستقبل القاهرة ط(1) 1984

4-د/ محمود قاسم، مناهج الإصلاح في الشرق، مجلة الثقافة الجزائرية عدد 81(1984) ص 30

5- احمد الطويلي، في الإصلاح و الحنين إلى الأوطان دار بوسلامة تونس 1984، ص 15

6- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979.

و ذهب تلميذه الإمام الشيخ محمد عبده[1] إلى اعتبار أن علاج أمراض الشعوب الإسلامـــــية يكمن في الرجوع إلى الإسلام الصحيح و تجديد شامل لا يقف فقط عند حدود تنقية الدين من البدع و الخرافات والإضافات و إنما أيضا استلهام بالعقل الحديث و عقلانية التراث الإسلامي و إضافة لمعطيات هذا التراث ما يلائمها و ينميها من علوم العصر و ثمرات الحضارات الأخرى، و ذلك حتى يكون هذا التجديد و أنصاره أولياء للعلم و إحياء للمدنية يقدمون للأمة البديل عن " الجمود" و عن " التغريب" في نفس الوقت[2].

و على نهج الأستاذ الإمام محمد عبده سار تلميذه الوفي الأستاذ الشيخ رشيد رضا[3] حيث قامت آراؤه التجديدية على الأسس التالية:

- استقلالية الفكر و حرية العقل في العلم،و التأكيد على أن الإسلام دين العلم و الحكمة و الحجة والبرهان بالإضافة إلى كونه دين القلب و الوجدان و الضمير.
- إبطال البدع و الخرافات و العادات التي أفسدت العقائد و الأخلاق، و الأعمال و روجت في المسلمين أسواق الدجل و الخرافات مثل بدع الموالد و عبادة القبور و المشاهد.
- اعتماد القران الكريم و الحديث الشريف في تصحيح العقائد و تزكية النفوس و تهذيب الأخلاق والاتباع المحض في العبادات على منهاج السلف الصالح.
- إصلاح نظام التربية و التعليم بما يتماشى و روح العصر" الإصلاح يتوقف قبل كل شيء على إقناع العلماء و رجال الدين بان العلوم الرياضية و الطبيعية التي هي محور الثروة و القوة و العزة لازمة لا مندوحة عنها و يجب أن تعلم مع الدين.
- الدفاع عن الإسلام و ذلك بالرد على الملحدين و دحض مزاعمهم و حججهم .
- القيام بالوعظ و الإرشاد للمسلمين في المساجد و القرى و المزارع و التأليف في العقائد و العبادات والأخلاق و الآداب الدينية.
- الدعوة إلى الإسلام في العالم و ذلك بإعداد جيل من المثقفين ثقافة دينية سليمة و الملمين باللغات الأجنبية و العلوم الحديثة.[4]

1- ولد الشيخ محمد عبده بمصر سنة 1849م ، حيث تعلم القراءة و الكتابة ثم التحق بالجامع الأزهر حيث تحصل على العالمية، اهتم بالتربية و التعليم، و إصلاح القضاء و شارك في الثورة العرابية1882 م، كما اشترك مع أستاذه جمال الدين الأفغاني في تأسيس العروة الوثقى بباريس، يعد من زعماء الإصلاح الإسلامي ، توفي سنة 1905م للمزيد عنه أنظر د/ محمد عمارة الشيخ محمد عبده مجدد الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ت.

2- د/ محمد عمارة، الإمام محمد عبده مجدد الإسلام...ص .57

3- ولد الشيخ رشيد رضا بلبنان سنة 1865م، و يعد من ابرز تلامذة الشيخ محمد عبده ، أسس جريدة المنار مع نهاية القرن 19م، و لم تتوقف إلا بوفاته سنة 1935 ، يعد من كبار المصلحين في العالم الإسلامي ، للمزيد عنه أنظر د/ إبراهيم احمد العدوي، رشيد رضا الإمام المجاهد، الدار المصرية، القاهرة، .1964

4- د/ علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، الدار الأهلية للنشر التوزيع، ، بيروت1983، ص 90-94

و في الحقيقة إن المجتمع الذي انحط إلى أسفل الدركات و خيم عليه ظلام الجهل الذي جعل فيه من لا يميز بين الخمر و الخل، و يتقبل السفسطة، قضية مسلمة و لا يعرف أن يرد عليها[1] يحتاج إلى من يأخذ بيده انطلاقا من الدعوة إلى التجديد في الفكر الإسلامي الإصلاحي التوفيقي كما مثله الإمام
محمد عبده الذي يقول: " لا بد من حزب وسط بين العامة و بين المتفرنجين يكون له جانب النظام والمدنية و جانب إلى الدين النقي"[2]

فمنذ القرن الثامن عشر بلغ العالم الإسلامي من التضعضع أعظم مبلغ و من التدني و الانحطاط أعظم دركة ، و طبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ، وانتشر فساد الأخلاق و الآداب، واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء و الشهوات، و ماتت الفضيلة في الناس و ساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد و فوضى واغتيال[3]. فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة من الخرافات و قشور الصوفية، وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يشرب الخمر، و الأفيون يتعاطى في كل مكان، وانتشرت الرذائل، فقد بدل المسلمون غير المسلمين و هبطوا مهبطا بعيد القرار[4]

ولم تكن الجزائر في هذه الحقبة من التاريخ بمنأى عما كان يعيشه العالم العربي الإسلامي من تدهور وانحطاط في كل المجالات، فقد كانت ظروفها الثقافية و الاجتماعية و الدينية قد أصابها التخلف و مؤسساتها التعليمية، صارت بالية في برامجها و منهاجها، فلم تكن ثمة سياسة تعليمية فليس هناك وزارة للتعليم و لا أية مؤسسة مشابهة ، و هكذا فالتعليم كان حرا و يعطي في المدارس الابتدائية " المسيد" و الزوايا و المساجد، أما موارده المالية فقد كانت من الأوقاف و الأحباس[5] بل حتى أمورها العسكرية و الأمنية باتت مهددة حيث لم تمسها الإصلاحات، فلا عجب بناءا على ذلك أن تكون الجزائر البلد الأول من بلدان العالم الإسلامي الذي يقع ضحية الغزو الأوروبي الصليبي في نهاية الثلث الأول من القرن 19م في ظل احتلال توازن رهيب في موازين القوى بين الشرق و الغرب لصالح هذا الأخير، ثم تعرضت عقب ذلك إلى حرب إبادة شاملة كادت أن تدخلها في ذمة التاريخ و تجعلها أندلسا ثانية و في عداد الأمم المنقرضة، كما انقرضت شعوب بكاملها أو كادت مثل أمة الهنود الحمر في العالم الجديد على يد البيض الذين ذهبوا ليحضرهم لولا لطف القدر بها، و دفاع أبناءها عنها بالنفس و النفيس.
والذي شكل الوجه الآخر للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي، و التي لم نكن أقل قوة و خطرا

1-الأمير شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم، مكتبة رحاب الجزائر 1410هـ/1989م، ص73

2- وجيه كوثراني، الإسلام و المركزية الغربية ، مجلة الفكر العربي بيروت، عدد 21(1981) ص 263

3- شكيب ارسلان، حاضر العالم الإسلامي، الجزء1، دار الفكر ط(3) بيروت 1971/1391م، ص 259

4- المصدر السابق، ص 259

5- دا أبو القاسم سعد الله، قضايا شائكة، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص 28.

عليه من المقاومة المسلحة رغم اتسامه بالمسالمة والمهادنة و الإيمان بالعمل، في ظل الشرعية الاستعمارية.

و في ذلك يقول الكاتب جاك بيرك[1]:" في ذلك الوقت كان عدد من المفكرين في المغرب يطبقون ما يسميه الشيعة الكتمان " التقية" و يستندون أيضا إلى ما يدعوه المالكية حكم الضرورة أي التنازل الذي لا بد من قبوله أمام واقع لا ترجى أي نتيجة من الثورة عليه."[2]

و لا يمكن دراسة مظاهر الخطاب النهضوي الحديث، من دون العودة و البحث عن جذوره، وقد ارتأينا أن نبدأ بتسليط الضوء على مجمل العوامل الداخلية ثم ربط ذلك بمجمل المؤثرات الأخرى الخارجية التي تفاعلت مع الجزائر و التي كانت وراء ظهور الخطاب النهضوي الجزائري.

2) دور الرواد المصلحين و المجددين

قام العلماء الجزائريون مع نهاية الحكم العثماني الذين استشعروا الأخطار التي باتت تهدد حكامهم أصحاب الجاه و النفوذ والرأي إلى الأخطار التي باتت تهدد كيان أمتهم بتنبيه الحكام في ذلك الوقت بضرورة الأخذ بزمام المبادرة لتأمين السيادة لوطنهم و ذلك بتشجيع المبادرات الحسنة، و فتح باب الاجتهاد و ترقية المستوى الفكري والثقافي لأبناء الأمة، و الاستعداد لمواجهة الأعداء بالأخذ بأسباب النصر و القوة، و لكن لا حياة لمن تنادي ذلك أن حكام الجزائر كانوا غير مبالين بالوضع الفكري المتردي لأنهم كانت تغلب على عقليتهم وسيرتهم الأمية و الجهل، و من جهل شيئا عداه و فاقد الشيء لا يعطيه، و لا عجب في ذلك، فالمطبعة التي كانت أداة لنشر العلم و المعرفة بقيت ممنوعة على الناس في دولة الخلافة العثمانية ردحا من الزمن و بعد أن قطعت الثورة الصناعية في أوربا أشواطا إلى الإمام، حيث أراد أحدهم إنشاء مطبعة في استانبول و وجد معارضة من قبل علماء الدين لجأ إلى السلطان و إلى حاشيته يطلب إليهم أن يقنعوا هؤلاء الجهال، بفائدة المطابع فأمر السلطان شيخ الإسلام بأن يفتي بان المطبعة نعمة من نعم الله و ليست رجسا من عمل الشيطان ، كما أفتى العلماء من قبل فأفتى شيخ الإسلام بجواز إنشاء مطبعة شريطة ألا تطبع القران، و لا كتب التفسير و الحديث و الفقه، وقد أنشئت أول مطبعة في استانبول سنة 1712م بعد أن كان قد مضى على اختراع المطبعة ما يزيد على قرنين[3] و نصف القرن وبعد أن أنشأت فرنسا المطبعة الوطنية بنحو قرنين.

1- هو ابن بيرك اوغسطين، يعد من كبار المستشرقين ولد بفرندة بتيارت اهتم بإنجاز دراسات حول التراث الثقافي الجزائري، كدراسة لكتاب المعيار للونشريسي و المدارس العربية كمدرسة مازونة، التي تخرج فيها المؤرخ أبو راس الناصر، تقلد مسؤولية مدير الشؤون الأهلية بالجزائر، أهدى مكتبته لفرندة مسقط رأسه.

2- محمد زنير، دور الثقافة في بناء المغرب الكبير، مجلة المستقبل العربي عدد 79(1985) بيروت، ص .60

3- أنظر ملاحق كتاب تاريخ الدولة العلية العثمانية للأستاذ محمد فريد بك المجامي، التي حررها د/ إحسان حقي، دار النقاش، بيروت ط(1) ، 1981، ص 733..

و قد لاحظ الإيطالي(بنانتي) في أوائل القرن التاسع بأن السلطة لم تسمح بدخول المطبعة ، لأنها كانت تشك في خلق مشكل التنافس بين اليد العاملة المحلية المختصة في نسخ المخطوطات خصوصا من النساخ.

و الحقيقة أن السلطة كانت تخشى رواج الأفكار، ذلك أن المطبعة و الصحافة هما قبل كل شيء من نتاج التقدم[1].

و كان يكفي اتهام أي عالم مجدد بالمروق عن الدين و الكفر لأنه يدعو إلى محاكاة الأوروبيين في تقدمهم فتتألب بالعامة الجاهلة عليهم فيلجم و يصمت و إلا تعرض إلى مالا يحمد عقباه، فمثلا عبد القادر الراشدي[2] الذي عاش في أواخر القرن الثامن عشر و الذي كان مفتيا أثناء حكم صالح باي، كان من العلماء الذين أرادوا تغيير الأوضاع و كاد أن يفتك به لولا تدخل صالح باي لحمايته من خصومه الذين اتهموه بالإلحاد و حكموا عليه بالموت بينما كان موقف شيخ الراشدي بكل بساطة رفض الركود الفكري و محاولة إضافة شيء جديد[3].

و في بايلك الغرب الجزائري تحدث الشيخ أحمد بن سحنون[4] و قد كان كاتبا للباي محمد الكبير عن التغييرات السياسية و الاجتماعية التي أحدثتها الثورة الفرنسية سنة 1789م، و عندما وصل إلى المجتمع الفرنسي في عهد هذه الثورة قال أن هذه الثورة كانت ضد الدين حتى يتفادى الرقابة على كتابه أليس هذه طريقة من طرق الهروب من العقوبة [5] و لا ننسى في هذا الصدد أيضا مفتي المالكية

1- دا أبو القاسم سعد الله، قضايا شائكة، ص 34

2- من علماء الجزائر تولى الإفتاء و التدريس بجامع سيدي الكتاني و مدرسته ، كان يفسر القرآن الكريم بصورة غير منتظمة، ألف رسالة في تحريم شرب الدخان و هو في هذا يكون قد خرج في تفسيره شيئا ما عن المألوف و عدم التقيد الرتيب و بآراء الأقدمين للمزيد أنظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، جزء2، ص 14 و ما بعدها.

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، قضايا شائكة، ص 30

4- من علماء الجزائر في ذلك الوقت، و هو من أبرز من خلد فتح وهران الثاني و مناقب الباي محمد البير و قد سمى الشيخ ابن سحنون مؤلفه(الثغر الحماني في ابتسام الثغر الوهراني، للمزيد أنظر د/ أبو القاسم سعد الله،، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 2 في 342 و ما بعدها.

5- أبو القاسم سعد الله، قضايا شائكة، ص 30

في مدينة الجزائر الشيخ أحمد بن عمار[1] أواخر القرن الثامن عشر أيضا) حيث انتقد بشدة الأدباء والعلماء الذين كانوا السبب في جمود الأفكار و حتى عندما هاجر من الجزائر و توجه إلى تونس لم ينج من انتقاء أعضاء مجلس باي تونس[2]

أ- ابن العنابي:

أما المفتي ابن العنابي[3] الذي استشعر الخطر المحدق بأمته، فنبه المسلمين و حكامهم في وقت مبكر إلى وجوب النهوض، و نبذ الخمول ،و أخذ كل الاحتياطات لمواجهة العدو قبل أن يجهز على بلاد الإسلام ويفتك بها، و يكون هو نفسه واحدا من ضحاياه حيث تعرض للنفي من وطنه الجزائر[4] بعد احتلالها، فدعا في كتابه" السعي المحمود في نظام الجنود" إلى ضرورة الارتفاع إلى مستوى العصر وذلك بمواكبة علومه ومخترعاته لتامين السيادة للبلدان الإسلامية و في ذلك يقول"...فكل ما يفيد منفعة لها تعلق بإعزاز الدين و رفعة أهله مما اشتمل عليه النظام المستجد للكفر من ترتيب العساكر و تصفيفهم وحصر أعدائهم وتعديد قوامهم و عرفائهم و لتوسيم أصنافهم و كبرائهم بخصوص لباس أو علامة وتضييق ملابسهم أو تقصيرها و تعيين مواقفهم و عملهم و تخصيص كل فريق برأيه أو لواء[5] ثم يضيف عن التدريب وفنون القتال فيقول:" ثم تدريبهم على عمل الحرب لتعليمهم كيفية الرمي والطعن و الضرب، و غير ذلك مما يقتضيه أمر الحرب من تصفيص و إغارة واجتماع وافتراق وإقدام و إحجام و كر و فر و ركوب و نزول و ظهور و كمون و تحريض و تثبيت و رفع صوت و خفضه ورد منهزم و حراسة و غير ذلك مما قد تدعو إليه الحاجة فهو أمر مشروع......[6]

1- صاحب كتاب " رحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب " عاش إلى ما بعد سنة 1205هـ و هو من علماء الجزائر المعدودين في زمانه ، ولد حوالي سنة 1119هـ، تولى في حياته الفتوى على المذهب المالكي سنة 1180هـ ، حج إلى بيت الله الحرام، زار تونس حيث ناظر علماءها ثم جاور الحرمين الشريفين و توفي هناك ، للمزيد أنظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، جزء2 ص 24 و ما بعدها

2- أبو القاسم سعد الله، قضايا شائكة ص 30

3- ولد بمدينة الجزائر هو محمد بن محمود بن محمد بن الحسن الجزائري حنفي المذهب ولد بمدينة الجزائر سنة 1775، تولى الإفتاء بالجزائر على المذهب الحنفي، و يعد من كبار علمائها ، نفته سلطات الاحتلال من الجزائر إلى الإسكندرية حيث عاش بقية حياته في المنفى توفي رحمه الله سنة1845 م، للمزيد عنه أنظر د/ أبو القاسم سعد الله، ابن العنابي ، رائد التجديد الجزائري ش-و-ن-ت الجزائر1976

4- تعرض للنفي من طرف الجنرال كلوزيل

5- ابن العنابي السعي الحمود في نظام الجنود تقديم و تحقيق الأستاذ محمد بن عبد الكريم الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983 ص 51-52

6- المصدر السابق، ص 52

و يعد كتاب "السعي المحمود" بحق لبنة متطورة جدا في دعائم النهضة الفكرية و الأدبية في العالم العربي، يحل صاحبه مكانة مرموقة، و يجعله رائدا ليس في (تجديد الفكر الإسلامي) فحسب بل في الفكر العسكري و السياسي نفسه و هو متقدم عن معاصره " رفاعة الطهطاوي[1].

و يبدو أن المفتي ابن العناني كان على دراية كبيرة بأوضاع العالم الإسلامي، كما كان مطلعا بشكل كبير على ما وصلت إليه الحضارة الأوروبية و خاصة فنونها العسكرية، و إذا كان السلطان ما يزال عندئذ يواجه المعارضة في الأخذ بالنظم الأوروبية فإن محمد علي قد تجاوز هذه المرحلة ، و بدأت تظهر النتائج الإيجابية من تقليد الأوروبيين في انتصاراته الخارجية و نقد نظامه في الداخل، و من ثمة وجد ابن العناني الجو ملائما له في القاهرة[2] ليكتب كتابه ويطرح أفكاره بحرية في قضية خطيرة عندئذ كالتي تناولها في كتابه و هي جواز، بل وجوب تعلم الحضارة من الأوروبيين(أو الكفار كما يسميهم)
و لعل ذلك ما يفسر لنا انتقال نسختين من كتابه إلى عاصمة الدولة العثمانية التي كانت في حاجة إلى مثل رأيه،[3] و كيف لا و نحن نعلم بأنه كان في سنة 1806م عندما هددت بريطانيا بقصف استانبول إذا لم تطرد السفير الفرنسي، بعد اعتراض روسيا و بريطانيا الشديد على السلطان حتى لا يعترف بنابليون إمبراطورا عليهم، و هذا ما أفزع السلطان خاصة لما رأى الأسطول الإنكليزي يطل على العاصمة ولولا الجنرال سباستياني الفرنسي الذي عرف كيف يستغل الوضع و ينظم مقاومة شعبية و أشرف بنفسه على تنظيم الدفاعات عن استانبول لما اضطر الإنكليز إلى سحب أسطولهم...[4]

ب- حمدان بن خوجة[5]

عاصر الدور الأخير من الحكم العثماني بظلمه و بداية الاحتلال الفرنسي فدعا الجزائريين إلى ضرورة الاهتمام بالنهضة و العمل بسنة التغيير و مسايرة روح العصر"..إن كل عصر له متطلبات وخصائل جديدة و لدى ظهور عادة حديثة وجب التخلي عن القديم حتى نتفادى حدوث اضطراب و قلق الشعب، و حتى لا يعرقل ذلك دولاب الإدارة الناجحة[6]

1- د/ عمر بن قينة، أعلام و أعمال في الفكر و الثقافة و الأدب ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2000، ص 24
2-حيث كان لإنشاء مطبعة بولاق بالقاهرة من قبل محمد علي سنة 1820 م ، دور كبير في ازدهار الثقافة فقد طبعت بولاق من أول يوم كتبا كثيرة دينية ولغوية وأدبية وعلمية باللغة العربية واللغة التركية واللغة الفرنسية واللغات الأخرى الأوروبية ،هذا في الوقت الذي كانت فيه المطابع التي أنشأها الغربيون بالمشرق لا تطبع في الغالب إلا ما له علاقة بالتبشير،الدكتور السيد فهمي الشناوي،قصة المطابع الأولى في العالم العربي،مجلة الدوحة مارس 1986 م ص 34 وما بعدها .
3- انظر أبو القاسم سعد الله، ابن العنابي رائد التجديد.....ص 57
4- خالد زيادة ، اكتشاف التقدم الأوروبي، دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، دار الطليعة ببيروت ط(1) 1981 ص 57
5- هو حمدان بن عثمان خوجة من رواد الحركة الوطنية الجزائرية، ولد بمدينة الجزائر سنة 1775، و بها نشأ و تعلم، درس القانون على يد أبيه ثم قام مقامه بعد وفاته، عارض السياسة الاستعمارية و فضح أعمالهم المخزية في حق المسلمين في كتابه المرآة ، صودرت أملاكه و نفي عن بلاده فكان أول عربي مسلم يطرد من وطنه بسبب قضية وطنية، عاش بقية حياته بالآستانة توفي بها سنة 1845، للمزيد عنه أنظر الأستاذ الطيب عقاب.حمدان خوجة رائد التجديد الاسلامي ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر .1985
6- حميدة عميراوي، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1407هـ / 1987، ص81

ودعا إلى ضرورة التعلم من الأوروبيين ما دام في ذلك مصلحة للمسلمين و أن لا تأخذنا في ذلك العزة بالإثم ما دمنا نعتبرهم كفارا .

"...كما أن أقوال الحكمة و اقفالها لا يستنكف العاقل من اقتنائها لضعة من فعلها أو قالها بل يبادر للحق وقبوله واستحلاب النفع، و لما رأيت الخلل داخلا على المسلمين بإهمال هذه القواعد و أفكارها والتزام التقشف و التعب في عدم دفع المضرة و ملاحظة أغوارها في كثير مما ابتكره الفرنج بدعواهم واشتهرت نسبته إليهم مما يتعلق بأمر دنياهم حتى شدد بعضهم النكير على الذي يستحسنونها و عدوا ما يطرأ لهم، من المضرة قربة يحتسبونها.....[1] . و لا شك أن رسالة" إتحاف المنصفين و الأدباء في الاحتراس من الوباء" تعد من أبرز آثار حمدان خوجة العلمية تتجلى فيها الروح العلمية و الأفكار الحية و الإسلام المتجدد، و قد ركز على ثلاث أفكار رئيسية.

- أولاها أسباب الوباء و العلل التي ينشرها- ثانيها : طرق علاجه و كيفية الوقاية منه و من عضاله

- ثالثها: قيامه على التزمت و المتزمتين من أولئك النقاد الجامدين ، و محاربته للعصبية و المتعصبين الذين راحوا يكفرون كل من أخذ من المسلمين باب التقدم الغربي و تأثر بنهضة الأوروبيين و لو كان ذلك في حالة المسلمين و نهوضهم[2]. و تعد رسالة " اتحاف المنصفين" من المؤلفات النادرة في العالم الإسلامي عامة و الجزائر بوجه خاص في النصف الأول من القرن التاسع عشر، لأنها تعالج موضوعا حيويا في حياة المجتمع الجزائري و المجتمع الإسلامي قاطبة و هو الوقاية من الأوبئة الفتاكة التي ضربت الجزائر ثلاث مرات في عصر المؤلف[3]

ـ تـ *سي امحمد بن رحال* (4) كان من المدافعين عن حقوق الجزائريين حيث تصدى للقوانين الاستعمارية الجائرة كقانون الاهالي و المحاكم الاستثنائية و قانون التجنيد الاجباري(5) كما تقدم بعريضة الى مجلس الشيوخ الفرنسي قصد تاسيس جامعة اسلامية في الجزائرتتكفل بمواجهة التدهور الدي آل اليه وضع الاسلام في الجزائر نتيجة القمع الفرنسي(6) و نظر الى نهضة العالم الاسلامي كمسالة حتمية سواء بمساعدة الغرب او بدونه(ان الجماهير الاسلامية سوف تدخل مرحلة التحدي و القرن العشرين سيشهد حلولا للمشكلة اما بلكارثة او بالسلم اذا استمرت المسيحية و تمادت بعدوانها على الاسلام بالسلم اذا مدت يد المساعدة و اذا لم يتحضرالعالم العالم الاسلامي بمساعدة فرنسا فانه سيتحضربالاعتماد على نفسه ضدها و بالرغم عن ارادتها و حسبه فان الشعب الجزائري يواصل تمسكه بتقاليده مع الاخد بالاشياء الجديدة(7)

1- حمدان ، اتحاف المنصفين، ص 44-45, 2- حمدان خوجة، اتحاف المنصفين، ص 33-34

3- الأستاذ عبد الكريم بوصفصاف، قراءة تحليلية و نقدية في رسالة" اتحاف المنصفين و الأدباء في الاحتراس من الوباء، التغييرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، أعمال ملتقى دولي في التاريخ أفريل 2001م جامعة قسنطينة .

4. - ولد بندرومة سنة 1858 ابن الشيخ حمزة و زهرة غماري درس في البداية بالمدرسة القرآنية بندرومة ثم اكمل دراسته الثانوية بالجزائر يعد اول جزائري على شهادة البكالوريا كان من الدافعين عن تعليم اللغة العربية و القرآن الكريم ساهم في تاسيس نادي الشباب في تلمسلن كما كان رئيسا لجمعية الشبيبة الادبية المسلمة التي تاسست بتلمسان سنة 1919 تمتع بالعضوية في المجلس م الجمعيات المالية لوهران له العديد من المؤلفات و المقالات توفي سنة 1928 للمزيد انظر. Mohamzd Benamar, un parcours rude, et bien rempli.

و Djebbar¡ Mémoires d un enseignant de la vieille géneration. O.P.U., Oran, 1999.

Ageron Mhamed Berahal , revue les africains , TXIII, Paris , 1977.

5_ Ageron , les Algeriens musulmans et la France, T2 , 1074_1075.

6_ Allan Christelow , muslim law courts and the french colonial stat in Algeria ,1985. pp246,247.

7_ibidem

ت- الأميرعبد القادر[1]

تعد محاولة عبد القادر الفكرية من أهم المحاولات الجزائرية في ميدان النهضة و هذا ما حمل جورجي زيدان على أن يعده في كتابه" بناة النهضة" من القادة و الساسة بل كان أول شخصية تحدث عنها في كتابه هذا[2] كيف لا و قد كان منكبا على المطالعات الجادة لأمهات الكتب و المصنفات في شتى الفنون و العلوم فقد كان أثناء مرحلة تكوينه العلمي يحبس نفسه في بيته من الصباح إلى المساء ناسكا ومتعلما، يقول جمال الغيطاني:" أما عبد القادر فقد عاد إلى عزلته، لقد قطع على نفسه عهدا أن يلتزم عزلته التعبدية ، لم تكن تخالج صدره أية مطامع دنيوية تفرغ تماما للمجاهدة التي تلزم سلولك الطريق، لم يكن يغادر بيته من شروق الشمس إلى غروبها و في هذه العزلة أحاط نفسه علما بأعمال أفلاطون وفيتاغورس و ارسطو و درس مؤلفات كبار العلماء العرب في التاريخ و الفلك و الحساب واللغة والجغرافية و الطب، أما أستاذه و شيخه فكان المتصوف العظيم محي الدين بن عربي.."[3]

و قد دعا الأمير عبد القادر إلى رفض التقليد واستعمال النظر" و المتبعون من الناس على قسمين: قسم عالم مسعد لنفسه و مسعد لغيره و هو الذي عرف الحق بالدليل لا بالتقليد، و دعا الناس إلى معرفة الحق بالدليل لا بان يقلدوه، و قسم مهلك لغيره، و هو الذي قلد آباءه و أجداده فيما يعتقدون و يستحسنون و ترك النظر بعقله ، و دعا الناس لتقليده، و الأعمى لا يصلح أن يقود العميان[4] ، ثم يرى بأن التقليد في الكتب أشد خطورة من التقليد في الاعتقادات.

"...فتقليد الكتب أولى و أحرى بالذم و أن بهيمة تقاد أفضل من مقلد منقاد، و أن أقوال العلماء والمتدينين متضادة متخالفة في الأكثر، واختيار واحد منهما و اتباعه بلا دليل باطل لأنه ترجيح بلا مرجح فيكون معارضا بمثله."(5) وقد عبر الامير بآرائه حول الاجتهاد وتحرر العقل من قيود التقليد على أنه رائدا للاجتهاد في زمانه. (6).

كما ساهم الأمير عبد القادر في ميدان التعلم و التعليم، و حماية التراث من العدوان أو الخروج عليه، و أنه قام لتجلية هذا التراث و تنور ما يراه واقيا من الانصياع و الضياع و دافعا لمعاودة التقدم والمؤاخاة بينه و بين ما يناسبه من مظاهر الحضارة في عصر النهضة الأوروبية دون انبهـــــــــــار

1- ولد الأمير عبد القادر بن محي الدين بمعسكر 1222هـ/1807م، نشأ في بيت علم و دين و فروسية، قاوم الفرنسيين تسعة عشرة سنة، بعدها نفي من وطنه، قضى خمس سنوات فيها في إقامة جبرية بفرنسا، و بعدها انتقل إلى دمشق حيث انصب على لتدريس و الإصلاح و التاليف، كان من الشخصيات المعدودة في زمانه، توفي رحمه الله سنة 1300هـ/1883م بدمشق للمزيد عنه أنظر د/ يحي بوعزيز الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري الدار العربية للكتاب تونس/1983 وتشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تعريب د/ أبو القاسم سعد الله، تعريب د/ ابو القاسم سعد الله.

2- جورجي زيدان، بناة النهضة العربية، دار الهلال، القاهرة ص 12 وما بعدها.

3- جمال الغيطاني، الأمير عبد القادر، البطولة بعين فرنسية، مجلة العربي عدد 1983/297 ص 74

4- د/ عمار طالبي، ابن باديس حياته و آثاره جزء 1 ص 17-.18

5- المصدر السابق، ص18

6- إسمى مهيبل، المير عبد القادر الجزائري بدمشق، نشاطه السياسي والفكري، ماجستير مخطوطة، جامعة اليرموك، الأردن، 2004، ص 145.

ساحق بها، و لا غفلة جاهلة أو كبرياء عامية عنها[1]

ج- حسن بن بريهمات[2]

كانت له اليد الطولى في الآداب العربية و العلوم الدينية و كان على دراية بأفكار الإصلاح والتجديد التي كانت آنذاك في العالم الإسلامي، و ليس أدل على ذلك من تقريضه القيم لكتاب" أقوم المسالك في أحوال الممالك" لخير الدين التونسي[3] و من قصيدته في مدح الكتاب و مؤلفه قوله:

لله درك خير الدين من العلم * أبدى منار الهدى للناس في الفنن

1نهجت نهجا قويما قل سالكه * إلى السياسة كي ينجو من الفتـن

حق على ملة الإسلام شكركم * و رعى تأليفكم بالقلب و الأذن[4]

فهو يعتبر" أقوم المسالك" انتصارا للدين و الوطن و من واجب المسلمين الاستفادة منه[5]

و نظرًا إلى أن حسن بن بريهمات كان من أبرز المدرسين و ممن لهم تلاميذ و اتباع، فإننا نتوقع أن تكون الإشادة بتأليف خير الدين قد توسعت لتشمل التلاميذ و الاتباع[6].

خ- المكي بن باديس[7] يعد من أصحاب الاصلاح والتجديد في هيئة المحاكم ومن الدعاة إلى تعلم القوانين الادارية الفرنسية،ويعد من أشهر دعاة التجديد والاصلاح في التاريخ الحديث وخصوصا بالقياس إلى شخصيتين بارزتين:أولاهما الإمام محمد عبده الذي أصلح المحاكم الشرعية في مصر في نهاية 19 م وثانيهما عبد الكريم الخطابي الذي اشتغل قاضيا في تطوان وتعلم اللغة الاسبانية وقواعد الادارة الحديثة قبل اندلاع ثورة الريف كان يحتج ضد سيطرة الجكومة الاستعمارية على حياة الجزائريين الاجتماعية والثقافية والتعليمية كان من الموافقين على العريضة التي احتج من خلالها الجزائريون على الغاء المحاكم الشرعية ومشروع الألخدمة العسكرية الاجبارية تحتوي العريضة على 1700 اسم وكتبت سنة 1881 .[8].

1- محمد السيد محمد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ، ثقافته و أثرها في أدبه، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر1986، ص 92

2- هو حسن بن ابراهيم المدعو بربهمات من مواليد مدينة الجزائر، و من علمائها، تخرج عليه جمع غفير من تلاميذه مدرسته، و كلهم تولوا الوظائف الشرعية كالعلامة يحي بن محمد الجرومي قاضي تيزي وزو ، توفي رحمه الله سنة 1306هـ/1881م، ترك خلفه ذرية صالحة مهتمة بالثقافة: احمد –عمر زروق للمزيد عنه انظر الشيخ أبو القاسم الحفناوة، تعريف الخلف برجال السلف القسم 2 الرسالة بيروت 1982 ص 119-125

3- أصله من القوقاز، و بعد استشهاد والده في إحدى المعارك للعثمانيين ضد الروس بيع في سوق الرقيق مباشرة فاشتراه مبعوث احمد باي تونس، و قدم به إلى تونس و عمره 17 سنة ليربى في قصر الباي ثم ادخل الجيش حتى صار وزيرا للحرب تقلد مسؤولية الوزارة الكبرى (1873-1877) و كان له فيها إنجازات كبرى حيث نظم الوزارات و الإدارات و القضاء و الفلاحة و و التجارة و الاقتصاد و التعليم، ثم صار بعد ذلك صدرا أعظم للدولة العثمانية(1878-1879) توفي بالأستانة سنة 1890م ، للمزيد عنه انظر أحمد أمين زعماء الإصلاح و على شنوفي ، الوزير خير الدين و معاصريه، قرطاج تونس 1990م

4- عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ المدن الثلاث...الجزائر1972 ص 237

5- د/ أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، الجزء4، دار الغرب الإسلامي ط(1)1996 ص 166

6- المرجع السابق ، ص 166

7- ولد المكي بن باديس بقسنطينة سنة 1820 م وبعد دراسته عين قاضيا في ضواحي قسنطينة سنة 1856 ، ثم نائبا في المجلس العام لعمالة قسنطينة سنة 1858 ونال وسام الشرف في 1860 م وكان ذكيا فصيحا بعيد النظر بالإضافة إلى معرفته الواسعة في العلوم الاسلامية ،احتج على احتكار خريجي المدارس الرسمية لوظائف المحاكم واقترح تنظيم الامتحانات المفتوحة لخريجي الزوايا الجزائرية والجامعات الاسلامية في الخارج ألف كتاب شرح فيه قواعد وقوانين المحاكم الشرعية نشر بقسنطينة في 1875 م تولى تقريبا في سنة 1890 م للمزيد أنظر د/آلاف كريستلو ،المكي بن باديس وبعض نواحي الحركة الوطنية الجزائرية في تالقرن 19 م مجلة الثقافة عدد 61 ، 1981،الجزائر ص 42 وما بعدها.

8- المرجع السابق، ص 44 وما بعدها

ح- الشيخ عبد القادر المجاوي[1]

كان يمثل في زمانه بقية من بقايا العصور الغابرة لسعة معارفه و تفننه في علوم شتى، فقيها متضلعا، مشاركا في كثير من العلوم و منها علم الكلام، و علم الاقتصاد السياسي و العلم التربوي و علم الهيئة[2]

و كان الشيخ المجاوي[3] رغم نزعته التقليدية في الكتابة و معالجة المواضيع من الرواد المستنيرين الذين دعوا منذ وقت مبكر إلى نبذ الركود و إلى اليقظة و الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ويعد في طليعة المصلحين الذين ظهروا في الفترة ما بين 1900-1914، متفاعلا مع دعاة الإصلاح الإسلامي[4]

كما عرف يبث روح الإصلاح، و بذر بذرة النقد الاجتماعي و مما اشتهر به الدقة العلمية في الإسناد و الشغف بالعربية و أصولها، و هذا ما يؤكده الأستاذ المجاهد الليبي سليمان الباروني[5] حين التقيا في قسنطينة حيث قال فيه: سيبويه العصر من هذبه: أدب العلم فاروى من ورد ،ذاك عبد القادر الطود الذي: لا يقول القول إلا بسند[6]

و دعا العالم الإسلامي إلى ضرورة تثمين العلم للخروج من دائرة التخلف و الانحطاط و في ذلك يقول"....هيهات أن يستقيم حال المسلمين إلا بالرجوع إلى التربية و تعلم العلم اليقيني على قانون الشرع المتكفل بترجيح الأعمال واشراب العقول حب المسابقة إلى الفضيلة التي هي العدل في سائر أعمـــــال

1- هو عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي، مصلح سلفي جزائري ولد بتلمسان سنة 1848م وتعلم بها ثم بطنجة و تطوان و جامع القرويين رجع بعدها إلى الوطن، و عين مدرسا بقسنطينة ثم نقل إلى العاصمة حيث عين مدرسا في القسم العالي بالمدرسة الثعالبية سنة 1898م، خرج أفواجا من القضاة و رجال الإفتاء و الأئمة والمترجمين و المدرسين و الوعاظ، توفي بمدينة قسنطينة سنة 1914م من آثاره القيمة كتب مدرسية، و كتاب في علم الاقتصاد، رسالة إرشاد المتعلمين و شرح منظومة البدع لتلميذه الشيخ المولود بن الموهوب، للمزيد عنه انظر كحول، التقويم الجزائري 1911 ص 105 و دبوز، نهضة الجزائر، جزء 1، ص 82 و ما بعدها.

2- سعد الدين بن أبي شنب، المرجع السابق، ص 50

3- ذهب البعض إلى انه كان ينتمي إلى الطريقة القادرية أنظر: Fanny collona, savants, paysans éléments d'histoire sociale sur l'Algérie rurale O.P.U alger1987 p 208

4- عبد الحليم عويس، اثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإصلاحي بالجزائر، مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة محمد بن سعود 1981م، عدد 5 ص 242

5-عالم ومجاهد ولد بليبيا سنة 1227هـ/1870م ، تعلم في تونس والجزائر ومصر، عرف بكفاحه المجيد ضد الطليان كما عرف بكفاحه عن الجامعة الاسلامية أسس بمصر مطبعة الألآزهار ومن الكتب التي طبعها بها وفاء الضمانة بأداء الأمانة لأستاذه الشيخ امحمد أطفيش ، توفي رحمه الله سنة 1940 ، للمزيد عنه ، أنظرد/ سعد الله، سليمان الباروني، أضواء وملاحظات ، مجلة الثقافة عدد110-111 1995 ص 231-232

6- طالبي، اثاره، جزء1 ص 25

الإنسان، و إلا فان لم يكن ثم ميزان شرعي يدعو إلى تكافؤ المشاركة و فضيلة تبعث على العمل فلا حياة و لا أمل و لهذا كثير من العلماء في هذا العصر نبغوا في عدة فنون علمية نظرية و مع ذلك فلا عمل لهم، يتبع ذلك، و لا جرم أن العلم اليقيني هو علم الإنسان بان يعمل و كما لم يعمل هؤلاء العلماء موازيا لغيرهم فلا علم إذا...[1].

كان مصلحا اجتماعيا بأتم معنى الكلمة، فقد حمل بشدة على تلك البدع و الخرافات التي كانت منتشرة في زمانه في الأوساط الشعبية، واستنكر ما يرتكب في الولائم التي كانت تنتظم بمناسبات عائلية من مناكر و آثام كمناسبة حلق رأس الولد، و الختان، و الأعراس و النفاس حيث الإسراف في النفقات وارتكاب المعاصي والموبقات التي لا يقبلها العقل و النقل"...إن الولائم التي نجعلها لحلق رأس الولد والختان و النكاح و النفاس.. نبالغ فيها فوق الحد و يلومنا على فعلها الناصحون شفقة علينا لكثرة المصاريف بلا فائدة تحصل لنا، و خصوصا من جهة أن تلك الولائم يجتمع فيها من مناكر ما لا يرضى الشرع و لا الطبع...[2]

و نظرا لتصدر البجاوي جماعة المصلحين فقد اعتبر"أبو النهضة" أو"شيخ الجماعة[3]

خ- الشيخ المولود بن الموهوب[4]

كان من المؤمنين بضرورة الأخذ من الحضارة الغربية، معتمدا على براهين قوية مستمدة من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفةلإقناع مواطنيه على أن ليس هنالك مانع شرعي من ذلك إذا كان القصد هو العلم لأن"الحكمة" ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها"

و لعل وجوده كعضو بارز في نادي صالح باي[5]، جعل محاضراته الأدبية و الاجتماعية خير

1- المجاوي العلم جريدة المغرب عدد 13(19-5-1903)

2- المجاوي، اللمع على نظم البدع شرح على منظومة البدع للعالم الشيخ محمد المولود بن الموهوب، مطبعة قونطانة 1912-ص .112.

3- حمزة بوكوشة، شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي ، الثقافة عدد 10 1972،ص 7-14

4- هو محمد المولود بن السعيد بن المدني بن العربي بن السعود ،ولد سنة 1283هـ/1866م، و نشأ بقسنطينة تحت رعاية والده الذي أورثه حب العلم و بعد وفاة والده تكفل به أحد أصدقاء والده، حيث ساعده على متابعة دراسته، حيث أخذ العلم على العديد من المشايخ نذكر منهم، محمد الدراجي، عبد الإمام الشيخ عليش، و لازم لمدة طويلة دروس أستاذه عبد القادر المجاوي، كان مفتي المالكية بقسنطينة، حارب البدع و الآفات الاجتماعية توفي سنة 1930م ، للمزيد انظر دبوز، نهضة الجزائر الحديثة...الجزء1.ص 134 و ما بعدها.

5- يعد نادي صالح باي بقسنطينة من أبرز المراكز الثقافية في البلاد قبل أن يؤسس نادي الرقي بالعاصمة سنة 1927م، بما كان يقدمه من محاضرات ثقافية قيمة استقطبت جمهورا عريضا من الناس، تأسست سنة 1907م، و كان على شكل جامعة شعبية، كان يضم ألف و سبعمائة عضو ، و له فروع في العديد من مدن البلاد، اعتبرته الشهاب نواة الإصلاح للمجتمع الجزائري الصناعي والاقتصادي لو بقي سائرا على الخطط و المبادئ التي أسس عليها و لكن أغراض الدخلاء المفسدين زحزحته حتى نسفته، للمزيد عن النادي انظر، سليمان الصيد، نفخ الأزهار..ص 21، و ما بعدها، و رسالة ماجستير مخطوطة للطالب عبد المجيد بن عدة، مظاهر الإصلاح..جامعة الجزائر 1992 ص 134 و ما بعدها.

مثقف للعامة و إذا كان الشيخ المولود بن الموهوب هو الذي أعطاها نشاطاته الثقافية النفس القوي، وكان بمثابة المقدمة الحقيقية للحركة الإصلاحية، فهو الذي هيأ للشيخ عبد الحميد بن باديس الجو الاجتماعي الصالح و العلمي و الواسع، فخطا فيه الخطى الواسعة[1].

أما جهوده التي بذلها من أجل النهوض بالتعليم المسجدي فتتمثل في تلك الدروس القيمة في الدين و العلم التي كان يلقيها بانتظام على مسامع الجمهور العريض من المسلمين بالجامع الكبير بقسنطينة وكان الهدف المنشود من وراء ذلك هو إحياء تعاليم الدين الإسلامي السمحة بتنقيته من شوائب البدع والخرافات و العمل على إصلاح المجتمع و لم شمله[2] يقول كحول"....فدروسه الليلية بالجامع الكبير متوالية فيما ينفع العامة، و يرشدهم لاحياء السنة و قتل البدعة، و غالب دروسه لا تخلو على الأقل من حضور نحو 200 نفس و قد تزيد على خمسمائة، و لا قصد له إلا إصلاح الجامعة ومحو الأحقاد من القلوب و رجوع الناس إلى الإرشادات الإلهية......[3]

كان يهاجم في دروسه التعصب المذهبي و الجنسي و الجهوي ويدعو إلى الاخوة الإسلامية ثائرا على البدع و الخرافات التي أفسدت الدين و قتلت المسلمين، منددا بالأمراض النفسية كالحسد والحقد والبخل في المساهمة في المشاريع الخيرية، شديدا على الملحدين الذين يقبلهم الاستعمار في مدارسه متخذا منهم جنودا لمحاربة الإسلام و المسلمين[4].

ودعا الشيخ ابن الموهوب الجزائريين إلى وجوب الاهتمام بالتعليم فقال مخاطبا إياهم"......نوروا عقولكم بالمعارف، واتركوا النوم أن اليوم ليس كأمس، لقد صارت المعرفة في سباق معالزمن[5]، و بدل الانهماك في الملاهي المنتشرة هنا و هناك أقبلوا على حلقات العلم إذ لا يمكن للبلد أن يسترجع قوته وهيبته و انتم أبناؤه جاهلون بعيدون عن العلم[6]

و حمل ابن الموهوب بشدة على الجمود و التخلف الذي كان عليه المسلمون داعيا إياهم إلى النهوض من خلال العمل و نبذ الكسل و التواكل"....فاتخاذ الأسباب من حرفة و تحصن و تداو وادخار و غيرها ليس بمناف للتوكل، و إنما اتخذ عادة الله عز و جل في ربطه للأسباب بمسبباتها و قد لا يحصل فالمراد بالتوكل استحضار التوحيد الحقيقي بشهود أن لا فاعل إلا الله تعالى كما قال ابن زكري على النصيحة"[7].

1- دبوز، نهضة الجزائر....الجزء1 ص 142
2- دبوز، نهضة الجزائر، الجزء 1 ص .142
3- كحول،، التقويم الجزائري،1912 ص 177
4- دبوز، نهضة الجزائر....الجزء1 ص 139
5-Belkacem saad allah, Figures I illustres 2 partie in EL Moudjahid. 12 oct.1988
6- ابن الموهوب، ضرر المسلمين من أنفسهم، جريدة المغرب عدد5 (29-5-1903)
7- ابن الموهوب ، مسامرة في نادي صالح باي، كوكب افريقيا ، عدد 174(1910/09/12)

واهتم ابن الموهوب بالأسرة التي تعد الخلية الأولى في بناء المجتمع، فدعا إلى وجوب إقامتها على أسس متينة و صحيحة ، و من ثمة تتحقق السعادة للزوجين"...أكثر المسلمين لا يعرف المعاملة الحسنة المأمور بها إذ بحسن المعاملة تكون الراحة و يسكن الأدب في القلوب و يحصل لكل من الزوج والزوجة المطلوب...و إذا كانت المرأة متوقفا عليها عمران المنزل كما ورد في الحديث " هن مصابيح البيوت" فكيف يترك الزوج احترامها و توقيرها واستشارتها فيما لها دخل فيه بل هو مطلوب باحترامها واعتبارها منه مع الحث لها على ترك ما لا يراه صوابا لكن بسكينة وذكر مناسبات لا شتم و لا ضرب بمثل هذا تتم الألفة و تتجه الأفكار فيها لما فيه الصلاح و يكون العيش طيبا[1]

ر- صالح بن مهنا[2]

عرف الشيخ صالح بن مهنا قيمة التعليم في إيقاظ المجتمع من غفوته و سباته فوطن نفسه على خدمة الحركة التعليمية بكل ما أوتي من قوة، فبعد أن عين إماما بالمسجد الكبير بقسنطينة، شرع في إلقاء الدروس و بوتيرة دائمة بالزاوية الحنصالية خدمة لتلاميذه في جميع المواد الدراسية.

و نظرا لكفاءته فقد نال إعجاب الناس الذين كانوا يأتون إلى الزاوية الحنصالية للصلاة و لسماع درس الشيخ بن مهنا.

و كان شديد الحرص على الوقت وكثيرا ما نجده إما في التدريس أو منكبا على مطالعة الكتب والنظر فيها[3]

و قد أوذي من طرف أناس بقسنطينة بسبب حملته العنيفة على ما ألفوه من العوائد الفاسدة و البدع المخالفة للدين، و ما اعتادوا من التعصب القبلي، والجاهلية و الاعتزاز بالعرق أو الحسب أو النسب وما في معنى هذا مما هو مناف لشريعة الإسلام و سنته إلى جانب أعراضهم عن العلم و نبذهم نصائح العلماء و إرشاداتهم و لم يقفوا عند هذا الحد وبل تجاوزوه إلىالإذاية و الازدراء [4]

فقد شنع ابن مهنا بالمشعوذين و الدجالين واعتبر أفعالهم خارجة عن الدين و هم كفار بلا شك زنادقة و كل من وافقهم على ذلك فهو منهم وانتقد بشدة المنحرفين عن الجادة من الإشـــــــراف الذين

1- ابن الموهوب، ضرر المسلمين من أنفسهم جريدة المغرب عدد 30(1903/07/21)

2- هو صالح بن محمد بن مهنا، ولد بمدينة قسنطينة سنة 1840 على الأرجح و قد يكون ولد بقريرة العشرة (الكركرة) بالقل حيث موطن قبيلة ابن مهنا هناك، تعلم بجامع الزيتونة على الشيخ صالح النيفر سنة 1273هـ، ثم أكمل دراسته بالجامع الأزهر من أساتذة بالأزهر الذين اثروا فيه كثيرا، الشيخ محمد بن أحمد عليش الطرابلسي الدار المعري القرار شيخ السادة المالكية بها و مفتيها، حتى نسب نفسه إليه في نقض كتبه حيث يقول: صالح بن مهنا القسنطيني العليشي حارب البدع و الخرافات و دعا إلى تعاليم الدين الصحيحة ، توفي سنة 1910م، للمزيد عنه انظر سليمان الصيد صالح بن مهنا القسنطيني ، دار البعث قسنطينة ط(1) 1983

3- عبد المجيد بن عدة ، مصلحون كبار، الشيخ بن مهنا القسنطيني ، المجاهد الأسبوعي 23 جوان 1989، ص 55

4- شغيب، أم الحواضر......ص 338

يزعمون أن شرفهم ينجيهم مهما ارتكبوا من معاصي واقترفوا من خطايا و في ذلك يقول"...قد يغتر الظلمة من الأشراف و الفسقة منهم بشرفهم مع ظلمهم للآيام و تمردهم على الأحكام و عصيانهم للملك و مخالفتهم لسنة نبيه عليه الصلاة و السلام هيهات ما هو إلا غرور شيطاني و أحلام و اماني، فالشرف لا ينفعهم في الدنيا و لا في الآخرة"[1].

فالشرف المعتبر هو شرف التقوى و مخافة الله كما عاب على الناس الإيمان بالشيوخ إيمانا أعمى" لان المشيخة صارت ملعبة في يد الأحداث و الصبيان بل صارت حرفة في أيدي الجهلة يأكلون بها الحرام و يفعلون الآثام و يخوضون في البدع و الآثام"[2]

كما عاب على الناس ذلك الاعتقاد الخاطئ في أناس ضالين و مضللين سموا أنفسهمبـ" مرابطين" فراحوا يضربون الأمثلة السيئة في محيطهم الاجتماعي بتركهم للصلاة وانتهاكهم لحرمة رمضان وشربهم للخمر فبين بان المرابط ليس ذلك الجاهل المضيع لحقوق الله و حقوق عباده و كل مغفل معتوه ومجنون و منتهك لحرمات الله كترك الصلاة وانتهاك حرمة شهر رمضان و شرب الخمر و سب الدين و الأغبياء يقولون هذا مرابط و إنما المرابط هو ذلك الملازم للعبادة و المواظب عليها[3]

إن شجاعة ابن مهنا الكبيرة في إبراز حقيقة الإشراف و المرابطين من منظور الشريعة الإسلامية السمحة في ذلك الوقت الذي كسدت فيه سوق العلم و راجت فيه الخرافات و البدع فد جلب له العداء الشديد من أنصار الطرقية الضالة الذين ثارت ثائرتهم لما قرأوا على هامش رحلة الورتلاني[4] ما كتبه ابن مهنا بأن الشريف الحقيقي هو الذي يخشى الله أما الشريف المزيف كالذي يرتكب الجرائم و السرقات فلا يستحق أي تقدير و كل الأديان متفقة على ذلك[5] فألف الشاعر عاشور الخنقي[6] كتابه " منار الإشراف"الموجه للرد على ابن مهنا عدو الإشراف حسب تعبيره و قد وصفه بمختلف الأوصاف البذيئة وأطلق عليه أسماء الزنادقة و نحوهم مثل مسيلمة الكذاب و أبى جهل و ابن سلول، و كان مدفوعا في ذلك كما قال من قبل الشيخ محمد بن القاسم الهاملي" الشريف الحسني البوزيدي.[7]

1- سليمان الصيد، صالح بن مهنا القسنطيني..ص 87

2- سليمان الصيد، المرجع السابق، ص 73

3- سليمان الصيد، نفسه ص 74

4- انظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي..الجزء7 ص 139و الجزء8 ص 117 و ما بعدها

5- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي..الجزء 7 ص332

6- هو أبو الفيض عاشور بن محمد بن عبيد بن أبى عبد الله محمد السعود الهلالي الخنقي المشهور بقسنطينة الشيخ عاشور من بلدة خنقة سيدي ناجي من قرى الزاب الشرقي ولد في 1264هـ 1846م، حفظ القران ثم اكمل دراسته ببلدة الجريد التونسية، ثم انتقل الى زاوية الهامل فاكرمه شيخها محمد بن القاسم و اصبح مدرسا بها تعصب للإشراف، و ألف" منار الأشراف" على قفل عصاة الأشراف و مواليهم عن الأشراف، فاحدث ضجة و رأى فيه العلماء خروجا عن مبادئ الآلام فردوا عليه بالحجة و الدليل ، كما ناصر عاشور الطرقيين و مشايخهم في الجزائر و المغرب للمزيد عنه انظر ، شغيب، ام الحواضر....ص 332 و ما بعدها

7- سعد الله، تاريخ الجزائر،جزء7 ص 332

و قال فيه أيضا نظما:

رغما لانف ابن المهنا صالـــح * في سبه لأبى الهدى فيما شكـــــر

تبا له من صالح بل طـــالـــح * بل سالح فيـــما به دمه هـــــدر

و ما أنت إلا اليوم خفاش الدجى * أعطاك ضوء الشمس كعاطي البحر

و دع الإمامة و الخطابة و العلو * م لحضرة الشرفاء من عاص و بر [1]

بل راحت الردود ضد العلامة ابن مهنا تتوسع دائرتها من غلاة الطرقية الضالة فقد رد على بن مهنا من المغرب الشيخ المهدي الوزاني، و الشيخ محمد العابد بن سودة و الأديب عبد السلام العمراني

و قد رد بن مهنا على منتقديه بقوة و شدة مسترشدا بالكتاب و السنة و قوة البصيرة ، حيث ألف رسالة تسمى " السيف المسلول لقطع رأس المهدي المغربي الوزاني الجهول" و تسمى أيضا: فتح الكريم الوهاب في الرد على مفتي فاس الكذاب[2]" كما رد عليه أيضا برسالة الفتح الرباني في الرد على المهدي المغربي الوزاني[3]

كما ألف العلامة محمد بن عبد الرحمن الديسي[4] كتاب" هدم المنار و كشف العوار"[5]

و لما أحست السلطات الاستعمارية بمكانة ابن مهنا العلمية و الدينية في قسنطينة عمدت إلى وضع العراقيل تلو العراقيل في طريقة حتى تثنيه عن أداء رسالته الإصلاحية و من ثم تبقى الأمور على ما هي عليه تخدم الاستعمار فقد عمدت كما يقول الأستاذ مالك بن نبي بناء على ذلك إلى إبعاده و عاقبته بمصادرة مكتبته الثمينة و فرقت أمثاله من" مقلقي النوم العام" بعد أن صار في طليعة المصلحين إذ أنه قام قومة مباركة ضد الخرافيين(الدراويش).[6]

ر- الشيخ الطيب المهاجي(7) يعتبر من الرواد المصلحين الرواد بوهران التي ارسى بها قواعد التعليم العربي بافتتاحه لمدرسة قرآنية بمسجد بالمدينة الجديدة زيادة على تنشيطه لمحاظرات في مختلف المواضيع الدينية تعرف سنة 1939 بمكة المكرمة على شخصية ليبية تتمثل في السيد احمد الشريف السنوسي الذي اوصاه بقراءة كتاب الموطأ الذي يعد عماد المصلحين و قد كان السنوسي يبدو للشيخ المهاجي رمزا للمعرفة الدينية المتنورة و الكفاح ضد الاستعمار الايطالي و بنشأة جمعية العلماء ينتقل المهاجي من الاصلاح الفردي الى الاصلاح الجماعي(8)

1- نفس المرجع ص 111-1122 2- نفس المرجع ص 119 و ما بعدها. 3- المرجع السابق، ص 130

4- ولد عبد الرحمن الديسي سنة 1850 م و توفي سنة 1919، شاعر كبير في زمانه كف بصره و هو في الثامنة من عمره و حفظ القران الكريم بقراءته السبع ، تبحر في الحديث و التفسير و التصوف إلى جانب علوم اللغة و العروض والقوافي وانتسب إلى طريقة الهاملي، له ديوان كبير مخطوط،كما له كتاب(مناضرة بين العلم و الجهل) على شكل مقامة ابرز من خلالها اهمية العلم في نهضة الامة "...و كفاه شرفا ان كل احد يدعيه و كل دي فطرة سليمة يقصده و ينتحيه...و انت يا جهل شناعة و اي شناعة و خسارة للحياة و اضاعة..." انظر:الديسي ، مناظرة بين العلم و الجهل . مطبعة بيكار ، تومس.د.ت. ص3 و عنه انظر ايضا عمر بن قينة، عبد الرحمن الديسي حياته.ش.و.ن.ت. الجزائر. د.ت.

5- سليمان الصيد، نفس المرجع،ص 138- 6- مالك بن نبي، شروط النهضة ، دار الفكر دمشق، ص 23

7- ولد الشيخ الطيب المهاجي بنواحي سيق سنة 1881 تعلم على عدد من الشيوخثم اكمل دراسته خارج بلدته بنواحي معسكرعاش طوال حياته مجاهدا بلسانه و قلمه نصرة لدينه و وطنه توفي بوهران يوم 17-10-1969 انظر Elkorso op cit pp68. 67 -

8- Ibid pp 69_70

ز- العلامة القطب امحمد اطفيش[1]

كرس حياته و جهده في سبيل تبليغ رسالته الإصلاحية التي ارتكزت أساسا على الدعوة إلى إصلاح الجوانب الاجتماعية و الدينية و التربوية في المجتمع الجزائري الذي صار يئن تحت وطأة المظاهر السلبية التي انتعشت بفعل التقاليد البالية الموروثة، و عادات الأوروبيين السيئة الوافدة.

و من ثم ثار على هذا الوضع المزري و المتردي إيمانا منه بالدور الريادي الذي ينبغي أن يضطلع به العالم في المجتمع واضعا نصب عينيه مسألة الحفاظ على الهوية الجزائرية العربية الإسلامية، ورافضا المسخ الثقافي كمنطلق لإقامة دعائم مجتمع متماسك" أن محمد اطفيش يمثل جيدا هذه المحاولة المزدوجة للرفض الثقافي و التجدد الإسلامي[2] و النهضة التي دعا إليها كانت تسير في اتجاه النهضة الإسلامية العامة[3]

فقد حث القطب المسلمين على ضرورة ترك البدع التي ألصقت بالدين، و من تلك البدع ما يمس بجوهر العقيدة كتقديس بعض الأموات الذين حسب زعمهم يقدرون على النفع و الضر في الحياة والتسليم بأن المسلمين ليس لهم حظ في الحياة الدنيا، بل عليهم أن ينتظروا الآخرة لكي ينالوا نعيمها وأن ليس لهم في هذه الدنيا إلا التعاسة و الشقاء و الحرمان ، و غير ذلك مما يورث الخمول و يقتل المواهب و يقضي على الدين[4]

كما عرف في دروسه بحملته على الجهل و الزهد في العلم و الانكماش و الخمول ، و على الحسد و الفساد الأخلاقي الذي كان ينشره الاستعمار بكل وسائله في أوساط المسلمين، فنتج عن ذلك تفاقم الفساد و الادبار عن العلم و الأخلاق الجاهلية وانتشرت بدروسه الأخوة الإسلامية و تمسك الناس بدينهم ومثله السامية، و تنبهوا لمكر الاستعمار، و نظروا إليه كأكبر عدو يتربص بهم، و تمسكوا في قوة

1- هو العلامة محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح اطفيش، ولد ببني يزقن في سنة 1236هـ/1820م حفظ القران الكريم ثم راح ينهل من ينابيع العلم و المعرفة ، حتى ملأ و طابه واستوى عوده و نضج فكره فانتصب مدرسا و مصلحا بوادي ميزاب، و قد عرف بمواقفه الصلبة إزاء كل القضايا التي تهم وطنه و كل العالم الإسلامي غيور عليهم مدافع عن حقوقهما بقدر ما يستطيع، و قد كون في معهد ه جمهورا كبيرا من المتنورين انبثوا في كل المناطق يدعون للنهضة ، كما ضرب بسهم وافر.في عالم التأليف فقد ألف في التفسير و الحديث، التوحيد، الفقه، أصول الشريعة و علوم اللغة و بلغ مجموع ما ألف ثلاثمائة كتاب و رسالة اشهرها هيمان الزاد إلى دار المعاد في التفسير وفاء الضمانة بأداء الأمانة في الحديث الشريف، و كتاب شرح كتاب النيل و شفاء العليل للشيخ عبد العزيز الثميني، توفي رحمه الله سنة 1914م للمزيد عنه انظر دبوز نهضة الجزائر، الجزء 1، ص 289 وما بعدها.

2- عبد القادر جغلول ، الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر ترجمة سليم قسطول ، دار الحداثة بيروت ط(1) (1984) ص 12

3- سعد الله، تاريخ الجزائر...الجزء 3 ص 269

4- دبوز، نهضة الجزائر.....الجزء 1 ص 334

بالتربية والدين اللذين كان الاستعمار يعمل للقضاء عليها لأنهما روح المسلمين[1]

و كان ينهج في فلسفته التعليمية نهجا حسيا و عقليا إذ ينطلق في دروسه من المحسوسات إلى المعقولات و من البسيط إلى المعقد، مع تبسيط للمسائل قدر الإمكان دون خلل أو انفعال لترسيخ المعلومات في ذهن الطالب[2]

و اهتم بقضية النساء و لم يغفلها، حيث كان يخصهن بدرس في شؤونهن، فيأمرهم بطاعة الأزواج و حسن القيام بالبيوت و التربية الحسنة للأولاد، فكانت دروسه و المسجد و العلماء هي التي عملت على تقوية الوازع الديني عند المرأة الميزابية فانعكس ذلك على استقامة أخلاقها وانتشار الثقافة الدينية العربية العامة و قوة الدين و العربية الراسخة جذورها في كل أرجاء ميزاب[3]

كما وقف ضد سياسة التبشير رديفة الاستعمار و حليفته الأساسية و لما حاول الاستعمار هدم الجامع الكبير بالعاصمة كتب القطب رسالة احتجاج إلى الوالي العام يحذره فيها من مغبة الاقتراب إلى بيوت الله[4].

كان مهتما بأحوال العالم الإسلامي متقصيا لأخباره، فقد كان يتابع باهتمام الأخبار العسكرية المتعلقة بحروب الدولة العثمانية في البلقان ضد أعدائها الأوروبيين[5]

كان يراسل السلطان عبد الحميد الثاني[6] كما كانت صلته متينة بالزعيم الليبي سليمان الباروني الذي تتلمذ عليه[7]

س- الشيخ أحمد بروج[8] من رواد الإصلاح بتلمسان اتخذ من التعليم المسجدي وسيلة لإصلاح المجتمع و منذ بدأ التدريس أحدث تأثيرا كبيرا في تلمسان، و كانت دروسه نظامية وتعتمد على وسائل الإيضاح العصرية كالصبورة و الطبشور و كان يسجل الغيابات في الحصص و على مستوى الأفكار. فقد أحدث ثورة على الواقع حيث كان أول من حترب المرابطية و التخلف الإقتصادي و الإجتماعي و الإنحلال الخلقي، دافع عن حقوق المرأة الجزائرية وفق مقتضيات الشرع الإسلامي[9].

1- دبوز، نهضة الجزائر.....الجزء1 ص 346

2-اعوشت بكير بن سعيد عوت، قطب الأئمة العلامة بن يوسف اطفيش المطبعة العربية غرداية1992، ص 79 و ما بعدها.

3- دبوز ، نهضة الجزائر....الجزء1 ص 348

4- زعمية الباروني، صفحات خالدة...مصر دون تاريخ، ص 90

5- دبوز، نهضة الجزائر، ...الجزء 1 ص 353.

6- لقد كان تيار الجامعة الإسلامية قويا في الجزائر، حيث يرون في ذلك خلاصا من الاستعمار يقول د/ سعد الله" و قد كان عبد الحميد الثاني محبوبا في الجزائر و منتظرا من الجماهير كرجل الساعة" انظر الحركة الوطنية الجزائرية- بيروت1975، ص 138

7- دبوز، نهضة الجزائر، الجزء 1 ص 329

8-كرس حياته كلها لخدمة مجتمعه من خلال التربية و التعليم و الوعظ و الإرشاد، رفض المناصب الإدارية توفي رحمه الله في حدود سنة 1929 انظر El Korso op cit pp. 65-67

9- Ibidem

ش- الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة[1]

يعد من علماء الجزائر العاملين، و من المصلحين الأوائل الذين حاربوا البدع في الجزائر وسلكوا مسلك الشيخ محمد عبده في الإصلاح، أثنى عليه الشيخ رشيد رضا بقوله: " و من خيار علماء الجزائر الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة صاحب المصنفات.."[2]

كان الشيخ ابن الخوجة متأثرا بالفكر الإصلاحي و التجديدي مستلهما روح الإصلاح من التآليف الإصلاحية التجديدية الحديثة و كان يرى في ذلك من الوسائل التي تقاوم بها البدع و الخرافات والمعتقدات الفاسدة، و قد ظهر ذلك جليا من خلال تآليفه القيمة، فقد استمد أفكاره من العلماء المجددين فاطلع على كتبهم و جرائدهم و مجلاتهم، فتشبع بآراء الأستاذ الإمام محمد عبده وأصبح من أنصار مذهبه بالجزائر.[3]

و كانت دروسه نارًا على البدع و الجمود و الإلحاد[4] حيث كان أول من درس و خطب على المنابر ضد البدع و الخرافات و المرابطية و الطرقية الضالة.[5] و تلمس في الأعمال الفكرية التي ألفها أنه كان مؤمنا بالتجديد و الاجتهاد، في الدين و الحياة معا، حيث بادر إلى نشر كتاب" الرد على من أخلد إلى الأرض و جهل أن الاجتهاد "فرض" للشيخ السيوطي و هذا ينم عن نزعته الاجتهادية ومعارضة للتقليد الأعمى و مما يؤكد هذا الاتجاه لديه أنه كتب مصنف" مجموع مشتمل على قوانين مفيدة و تنظيمات سديدة مقدمة في الشريعة و ملاءمتها لكل زمان و مكان و من بين الآراء التي يؤيدها ما أورده من قوله" لا ينكر تغيير الأحكام بتغير الأيام حاثا في هذه المقدمة الهامة إلى ضرورة الانتفاع من تجارب غير المسلمين[6].

كما دعا في كتابه" الاكتراث في حقوق الإناث[7]إلى وجوب تصحيح وضعية المرأة، حتى تقدر على أداء وظيفتها التربوية و الاجتماعية على أحسن وجه، و في نظره أن تدهور العلاقات الزوجـــــــــية التي

1- هو محمد بن مصطفى بن الخوجة المشهور بالشيخ الكمال ولد بمدينة الجزائر في 1381هـ/1865م و تلقى العلوم العربية منه عدة مشايخ منهم المفتي علي بن الحفاف، و الشيخ السعيد بن زكري مارس الصحافة بالمبشر منذ 1896م إلى 1901م، مدرسا بجامع سفير منذ 1895م عين وكيلا لضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي توفي سنة 1915م اهتم بقضايا الإصلاح و التجديد و تأثر بأفكار الشيخ محمد عبده، لعب دورا كبيرا في تنوير المجتمع و تثقيفه.للمزيد عنه انظر دبوز، نهضة الجزائر....الجزء 1 ص 128 و بعدها.

2- رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام...ج 1 ص 371

3- سعد الدين بن أبي شنب، نهضة الجزائر...ص 52

4- دبوز، نهضة الجزائر...الجزء الأول ص 130

5- دبوز، نهضة الجزائر...الجزء الأول ص 132

6- عمار طالبي، آثاره الجزء 1 ص 36

7- ألفه ابن الخوجة سنة 1895 و طبعه بفونطانة بالجزائر، أعيد طبعه بالقاهرة سنة 1999 مع مقمة لمحمد حافظ دياب للكتاب.

وصلت إلى أحط الدرجات من غياب الاحترام المتبادل بين الطرفين الذي هو أساس السعادة الزوجية فعوض الوفاق و الوئام نجد الشقاق و الخلافات التي لا توجد لها حلول إلا باستعمال الغلظة والخشونة والقول السيئ القبيح "..إن جل نساءنا يتطاولن على رجالهن و يكلفنهم ما لا يطاق من الإخفاق والتبذيرو منهن من لا تحيي زوجها و لا ترحب به، و لا تبش في وجهه بل تعرض عنه ولا تجيب نداءه، و لا تمتثل لأمره و فيهن من تشتمه و تدعو عليه مشافهة حتى اضطر بعضهم إلى تأديبهن بالضرب زيادة على بذل جهده في اللعن والسب [1]

و لا يستغرب ابن الخوجة هذه الحالة مادام السبب الذي جعل نساء الإفرنج يرفضن هذه المنزلة السامية في معاملة أزواجهن " إلى أنهن تغذين بلبان المعارف التالد فيها والطارف و بالعلم الذي هو أكمل مهذب وأحل مؤدب، و هو مقوم نفوس الأمم و معدل الطباع و الشيم، و هذا ما حرمن عنه نساء المسلمين حيث أصبحن عاجزات عن مجاراتهن في ميدان أو الموازنة معهن بميزان، و قد بلغن في الجهل الغاية القصوى و رغبن في هضم حقوق أزواجهن متن عمياء، و لهذا كان أغلب المتأهلين منا في عناء كبير و بلاء خطير و بهما عظم الشقاق و كثر الطلاق[2]

و لعلاج هذه المسألة شدد المصلح على ضرورة الاهتمام بعلم الدين المرادف للتمدن إذ هو خير سبيل لتبديد الجهل و تحقيق الرضى الذي يتمثل كما تدل عليه الصورة التاريخية للإسلام في" العلم الواسع و الشرف الشامخ و العز اليافع و الثروة و السطوة العامة و الفتح المبين و العمران و التمدن[3]

و إن طلب العلم متوجب على كل المسلمين ذكورا و إناثا في مسائل المعاش و المعاذ لقوله صلى الله عليه و سلم" طلب العلم فريضة على كل مسلم" و أن يعرف عدة علوم منها، العقائد الدينية بأدلتها اليقينية كي لا يسقط في أحابيل الملحدين والدهريين"[4]

كما ثار ابن الخوجة على الجمود و التحجر الفكري حيث أبرز في رسالته القيمة" إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام" دور المجددين في المجتمع و كيف يمكن لهم أن يقوموا بالدور الريادي في مجال إصلاحه والنهوض به، فيعيدون إلى واقع الحياة ما اندرس فيه من قيم و تعاليم و يحذفون عنه ما هو زائد و مبتدع لا علاقة له بالأصل من غير مبالاة بالعلماء الغافلين الغوغائيين"[5]

و في كتابه" اللباب في أحكام الزينة و اللباس و الاحتجاب"[6] شن هجوما عنيفا على الذين يزعمون أن

1- ابن الخوجة، الاكتراث في حقوق الإناث....ص 64 2- المصدر نفسه، ص 65 3- المصدر السابق، ص 78

4- المصدر السابق، ص 78

5- ابن الخوجة، إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام ص 24

6- ألفه ابن الخوجة، طبع بفونطانة بالجزائر سنة 1907ص 24

اللباس الغربي يتعارض والنصوص الشرعية و أنه حرام مستدلين على ذلك بقوله تعالى " قل أطيعوا الله والرسول" بل إن من يجوز هذا اللباس الغربي و يحله مغضوب عليه و ملعون لعنا كثيرا"[1]

و قد رد ابن الخوجة على هذه الدعاوي مبينا زيغها و بطلانها و بعدها عن الحقيقة مستدلا في رده بأمثلة العقل و النقل فالحاصل عنده أن لا مانع من ارتداء الملابس الأوروبية للضرورة أو لفائدة أو لمصلحة ولا حرج من ذلك من الناحية الشرعية إذ أن طبيعة المهن و الحرف تحدد نوعية الملابس التي ترتدي عند مباشرة هذه المهن و الحرف و لأنها قد تكون مناسبة لذلك و موافقه[2]

بل إن الإسلام لم يوجب على أهله لباسا مخصوصا لا داخل الصلاة و لا خارجها و كل ما في الأمر أن لباس العبادة لا بد أن يكون متوفرا على مواصفات شرعية بحيث لا تكون بعض الملابس تمثل عائقا على إتمام واجب من واجبات الصلاة أو تفويت سنة من سننها و لذلك فترك ما يمنع من أداء واجب فهو واجب و ما يمنع من أداء سنة فهو سنة[3]

ش- الشيخ محمد السعيد بن زكري[4]

كان فريد دهره و وحيد زمانه حافظا للحديث إماما في علم الحديث و التوحيد و الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس، مشاركا في علم المنطق على رأي القدماء عكف طول حياته على التعليم والإرشاد، و قام بالإفتاء و الخطابة أحسن قيام، حيث لا يزال الناس يهتفون بمحاسنه إلى هذه الأيام[5]

و قد تركت جهوده الطويلة في حقل التربية و التعليم آثارها الطيبة في نفوس كل الذين أخذوا عنه العلم و المعرفة خاصة عندما دوّن أفكاره التجديدية و بيّن جملة العيوب التي ينبغي تفاديها في الحقل التعليمي[6]،ويمكن ابراز اقتراحاته في مجال إصلاح الزوايا في النقاط التالية: تخصيص دفاتر لتسجيل دخول وخروج الطلبة – تخصيص دفترا خاصا للمالية – إدخال الكتب المدرسية ’لى الزاوية – ’صلاح البرامج التبوية – تحديد مجال الدراسة بفترة معلومة (7). كما كانت له إسهامات في الجمعيات الثقافية حيث كان ينور الجمهور بأفكاره التجديدية التي تبرز التعاليم السمحة التي تحث المسلمين على تعلم اللغات و الإلمام بالعلوم العصرية للخروج من أوضاعهم المتدهورة[8].

1- ابن الخوجة، اللباب...ص 72 2 - المصدر نفسه، ص 72 3- المصدر نفسه، ص77

4- ولد السعيد بن زكري سنة 1367هـ/ 1851م بمنطقة القبائل، و بعد أن حفظ القرآن الكريم لحق بأخيه الكبير بزاوية سيدي عبد الرحمن البلولي لإكمال دراسته دخل مدينة الجزائر سنة 1397هـ/1886م و درس بزاوية سيدي محمد الشريف ثم عين مدرسا بالجامع الكبير و بعدها أصبح إماما بجامع سيدي رمضان و في سنة 1896 عين أستاذ للفقه و أصوله بالمدرسة الحكومية تولى الإفتاء المالكي في سنة 1326هـ 1908م توفي سنة 1914م/ 1332هـ، من مؤلفاته:" أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل" للمزيد عنه سعد الدين بن أبي شنب، نهضة الجزائر...ص 47 و ما بعدها و إفريقيا عدد 366 / 8-5-1914)

5- سعد الدين بن أبي شنب، نهضة الجزائر....ص 47 6- المرجع نفسه، ص 47-48

7- فراد محمد أرزقي، قراءة نقدية في كتاب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، جريدة الشروق اليومي، 19 /5/ 2005.

8- محمود كحول، التقويم الجزائري، 1912

ص- الشيخ المولود الزريبي[1]:

من رعيل المصلحين الأوائل في الجزائر الذين تصدوا للخرافات و البدع و أعمال الدجل ناشرا للعلم بين قومه، باذلا قصارى جهده في سبيل تنوير عقولهم و هو في كل ذلك غير مبال بأعداء الإصلاح الذين كانوا يكنون له العداء و يضعون في طريقه الأشواك، حيث" ثارت عليه ثائرة الدجالين في ذلك الوسط من أبناء الزوايا وافتروا عليه الأقاويل و نصبوا مانصبوا له من حبائلهم"[2]

كان مؤمنا بالتغيير عن طريق العلم الذي لا حياة إلا به نجد نشاطاته الإصلاحية تتمحور حول إصلاح العقيدة و نشر العربية و إحياء العلوم[3] التي كادت معالمها أن تندرس من تفسير و حديث و هذا ما يتجلى في مواعظه و خطبه و دروسه في المساجد و مقالاته في الصحف و لأن الناس في ذلك الزمان كانوا شغوفين جدا بقراءة المتون الفقهية فقد" التجأ إلى حيلة طريفة حين دون آراءه الإصلاحية في شرحه على عقائد " المرشد المعين المشهور عند العامة و الخاصة و لما لهمن التأثير و دراسة الناس له لتتسرب أفكاره إليهم عن طريقه[4]

ص- الشيخ عبد الحليم بن سماية[5]

كرس كل جهده لخدمة العلم و التعليم و أثر كثيرا بأفكاره النيرة في أوساط طلابه، واهتم ابن سماية زيادة على التدريس بالتأليف على غرار معاصريه، وانفرد عنهم جميعا حين ألف في الفلسفة

1- هو المولود بن محمد بن عمر الزريبي الأزهري(1897-1925) ولد بزريبة الوادي قرب بسكرة و تعلم بها مبادئ العلوم ثم تابع دراسته بالجامع الأزهر، حيث درس على يد العلامة الشيخ يخبت و العلامة الشيخ محمود الخطان و حصل على شهادة العالمية، و لما عاد إلى الوطن قام بدور كبير في مجال النهضة و الإصلاح و محاربة الجمود الفكري و تولى لمدة تحرير جريدة " الصديق" من مؤلفاته كتاب" الأخلاق" ،لم و شرح المرشد المعين و شرح على قدسية الأخضري و شرح على كتاب البيوع من خليل للمزيد أنظر عنه االهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر ج 2 ، ص 99 و ما بعدها

2- الهادي السنوسي، شعراء........الجزء 2 ص 101

3- المصدر السابق، الجزء 2، 103

4- طالبي، آثاره الجزء 1، ص 27

5- ولد الشيخ عبد الحليم بن سماية في الجزائر العاصمة سنة 1866 و تربى في أحضان والده على بن سمايةالذي عرف بثقافته الواسعة التي أخذها أثناء وجوده بمصر، و قد أدخل عبد الحليم الكتاب فحفظ القرآن الكريم و أتقن حفظه في وقت قصير ، ثم عكف على مراجعة المصنفات فنال نصيبا وافرا من المعارف، واستفاد من شيوخ عصره استفادة كبيرة و ليس من المستبعد أن يكون والده أحد مدرسيه كما يقول دبوز و عندما بلغ الثلاثين من عمره دخل التدريس حيث درس أولا في المدرسة الثعالبية التي أفاد بها الطلاب كثيرا ، كانت له في حياته مواقف وطنية فقد رفض علنا قانون التجنيد الاجباري مدعما رأيه بما جاء في كتب الشريعة و نصوص القرآن و السنة، توفي رحمه الله سنة 1933م، للمزيد عنه أنظر دبوز، نهضة الجزائر..الجزء1 ص 106 و ما بعدها.

الإسلامية، و نظرا لكونه من المتأثرين بدعوة الإمام محمد عبده نظرا للخصال العالية التي وجدها فيه فقد ذكر في إحدى مراسلاته ما يلي"...و لو كشفت من نفسك ما كشف لي منها، لعلمت مقدما ما أتاك الله من نعمة العقل و الأدب و لعرفت أنك ستكون أمام قومك تهديهم إن شاء الله سبيل الرشاد ،وتبصرهم بما يوفرعليهم الحظين: حظ المعاش- و حظ المعاد هذا هو أملي الذي أسأل تحقيقه[1]

و أدرك ابن سماية أن نهضة المجتمع و خروجه من دائرة التخلف لا يمكن أن تتحقق و ترى النور إلا إذا قمنا بحملة صادقة تستهدف محاربة الأمية و تشجيع العلم والعناية به وتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة عند الأولياء الذين كانوا لا يولون عناية لتعليم أبنائهم و في ذلك يقول"...و إنه لو انفق الناس على جلب أزهار العلم لوجدوا إليها سبيلا فيأمرون أولادهم بمخالطة أهل العلم، أو يأمرون أولادهم بطلب المدرسين أن يعلموهم و يأمرونهم بالاجتماع عليهم في أوقات الدروس في المساجد أو أنهم يأمرونهم بتعلم و لو مسألتين أو ثلاث كل يوم بالسؤال ممن يعلمها، و يوبخهم على إضاعة أوقاتهم فلو فعلوا ذلك لحملوهم بالتعود على السؤال ذوق العلم فيتوكد فيهم داعي الطلب من أنفسهم."[2]

و ينحني ابن سماية باللائمة على الآباء الذين لا يلاحظون ضعف مستوى أبناؤهم الدراسي و لا يحركون ساكنا لمساعدتهم تاركين الحبل على الغارب غير مبالين بعواقب ما ترتب عن ذلك كأنهم غير مسؤولين"......لكن نرى كثيرا من الناس يسمع ابنه و عمره خمسة عشر سنة و هو يقول ثلاثة مع عشر، و لا يهمه ذلك، فان كان أبوه لا يأمره بالتخلي عن الجهل و التحلي بالفضل فمن يأمره بذلك والراعي مسؤول عن رعيته كما هو معلوم من الدين....إلا و أن العقول لا تستنير و لا تكمل إلا بالعلم وان العلم لا يحصل إلا بالتعلم ثم التعلم في الصغر كالنقش في الحجر والتعلم في الكبر كالنقش في الماء"[3]

و حتى يمكن تدارك العجز و الوصول إلى تحقيق نتائج إيجابية حث الأولياء بوجوب تخصيص حصص من أوقاتهم لمجالسة الأبناء ومساعدتهم على تجاوز الصعوبات التي تعترضهم في الدراسة)"....فعلى كل عاقل أن يثقف عقول أولاده بالتعليم و أن لا يتكل على إرسالهم إلى من يعلمهم فقط بل يجعل لهم هو بنفسه حقا من الزمان، الذي يمكنه محادثتهم فيها محادثة العاقل للعاقل لا محادثة احتقار كما يفعله كثير من الكبار مع الصغار فإن ذلك مميت لقرائحهم و موقف لتقدمهم فيبسط لهم و يشرح صدورهم لئلا يسأموه فيموت الانتفاع...."[4]

و نصح الأولياء بضرورة الابتعاد عن أسلوب التعنيف و الزجر في التربية لأن نتائج ذلك

1- رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام....الجزء2 ص 617

2- عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية ، جريدة المغرب، عدد4(21-04-1903)

3- المصدر نفسه.

4- المصدر نفسه.

تكون معكوسة"...و من اتخذ مع أولاده كلمة أف و اللمح لهم ينصف الطرف، و الضرب بالعصا، عوضا و تكاد تنتظم في نوع الإنسان إذا عوملت بالرفق و الليانة..."[1] و دعا ابن سماية الإنسان المسلم إلى ضرورة القيام بالعمل و نبذ الكسل وعدم التعلل بالأسباب الراهنة التي تدفع بصاحبها إلى الابتعاد عن العمل و في ذلك يقول عن الكسول"......و أناخ عليه العجز بكلكله و ترك الحركة لطلب معاشه و ربما لم يقم ليلا و لا نهارا من فراشه فإذا قيل له احترف قال ضاعت الحرف، و إذا قيل له تاجر قال كسدت الأسواق و العاقل إذا أمعن النظر في حال مثل هذا لا يحكم عليه إلا بأنه رجل غلب على عقله حب الراحة واستحسن أن يلحق بنوع الجماد الذي لا يتحرك.."[2]

أما إيمانه بالتضامن و الوحدة الإسلامية فكان يعبر عن أصالة ساكنة في أعماقه و سارية في كيانه فقد " كان من أمة العلماء كان يسوءها الاختلاف في الحق بالباطل و شقاق المسلمين فيما لا يعود عليهم بطائل، يحذر و يحذر من فتنة الأمة في دينها إذ فتنتها في دينها أشد من قتلها"[3]

ع-الأستاذ محمد بن أبي شنب[4]

نشر كثيرا من المصادر و جد مخطوطاتها في الخزائن العمومية أو الخزائن الخاصة، و تمكن من نفض الغبار عن الكثير من الكتب التراثية القيمة التي كانت في عالم الإهمال و النسيان و زيادة على ذلك قام ببحوث تتعلق بتاريخ المغرب و الأندلس و صقلية علاوة على التراجم الكثيرة التي شارك بها في تأليف دائرة المعارف الإسلامية[5]

و هو أهم شخصية خدمت اللغة العربية و الثقافة الإسلامية في تاريخ الحضارة الإسلامية في

1- الحليم بن سماية، المصدر السابق

2- عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، جريدة المغرب عدد1(10-04-1903)

3- مجلة التلميذ عدد ¾ (1933) ص 11

4- هو محمد العربي بن محمد أبي شنب، ولد سنة 1286هـ الموافق لسنة 1896م بفحص خارج مدينة المدية و تعرف بعين الذهب، تربى في أحضان والديه و لما بلغ سن التمييز ألحقه والده بالمكتب القرآني فحفظ القرآن الكريم ثم راح يتعلم اللغة الفرنسية إلى أن حصل على شهادته، ثم زاول دراسته بالثانوية ثم اكمل دراسته بمدرسة المعلمين ببوزريعة و تخرج أستاذ للغة الفرنسية ، و عندما كان مدرسا بالعاصمة تعلم اللغة الإيطالية و أخذ دروسا قيمة في علوم البلاغة و المنطق والتوحيد على يد الأستاذ عبد الحليم بن سماية هذا الأخير الذي كثيرا ما يرجع إليه و في ذلك يقول ابن سماية" ما علمت في حياتي كلها معلما يرجع إلى تلميذه غيري و إني اعترف له بالفضل و النبوغ، و تمكن بفضل جده و اجتهاده أن يتضلع في علوم العربية و تراجم الرجال حتى صارت مقالاته حجة في ذلك، و في سنة 1898 عين أستاذا بالمدرسة الكتانية بقسنطينة خلفا لشيخها المجاوي عندما انتقل منها إلى المدرسة الثعالبية و في سنة 1901صار ابن شنب أستاذ بالثعالبية وقد ذاع صيته كعالم كبيرو اعترف بفضل الأئمة الأعلام و تقاطرت عليه المكاتبات من كبار العلماء و مشاهير الكتاب والأدباء،عين أستاذ بجامعة الجزائر بعد وفاة الأستاذ ريني باضية سنة 1924 م توفي بالجزائر سنة 1929م للمزيد عنه أنظر عبد الرحمن الجيلالي، محمد بن أبي شنب، حياته و آثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .1983

5- الجيلالي، المرجع السابق Rachid Bencheneb une correspondance entre savants Maghrebins et orientaux au Debut du XX siècle.From Arabia XXX1 Juillet 1984 pp 189-217.

المغرب الأوسط واتسم عمله بطابع علمي مما جعله ينتخب للتدريس بكلية الآداب بجامعة الجزائر والمجمع العلمي العربي بدمشق، لعب دورا كبيرا في تعزيز الشخصية الوطنية و قد كتب في مجلة الشهاب بحثا و لما توفي، قال فيه ابن باديس: " لما عرفناه فقدناه"[1]

كما كانت للأستاذ بن أبي شنب مراسلات ومكاتبات علمية مع علماء عصره في المغرب والمشرق نذكر منهم: العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب ورئيس المجمع العلمي العربي في دمشق العلامة محمد كرد علي[2]

غ- الشيخ أبو القاسم الحفناوي[3]

ظهرت كفاءته في التدريس و التأليف حيث لازم مهنة التعليم و لم ينقطع عنها حتى بعد تخطيه الثمانين ألف رسائل أراد منها لفت انتباه الجزائريين إلى منافع بعض اكتشاف العلم الغربي الحديث[4]

أما أهم الأعمال التي أنجزها الحفناوي من الناحية الثقافية فهي مؤلفه القيم الذي سماه " تعريف الخلف برجال السلف" و الذي حوى تراجم لعدد كبير من علماء و أدباء و مؤرخين جزائريين يذكرؤهم بمآثر أجدادهم في العلوم العربية الإسلامية" إن الجزائريين يعلمون علم اليقين انهم كانوا في العصور الغابرة أمة لا تقل ثقافتها عن ثقافة غيرها من الأمم فيعيشون إذن ليس من المستحيل أن يكون لهم في العصر الحاضر نصيب وافر من العلوم كان لهم في العصور المنصرمة[5]

ف- عمر بن قدور الجزائري[6]

عرف باتجاهه السلفي الإصلاحي و كفاحه السياسي وطنيا ومغاربيا وعربيا إسلاميا، و قد كانت

1- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد ابن باديس، فلسفته و جهوده في التربية و التعليم، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص 109-110

2-Bencheneb.op cit :pp.197-217

3- هو محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي بن إبراهيم الغول أبو القاسم، ولد ببلدة الديس بالقرب من بوسعادة سنة 1269هـ/1852م، تعلم في زاوية بن علي داود ببلاد زواوة شرقي زاوية طولقة، و زاوية الهامل، درس بالجامع الكبير بالعاصمة منذ 1314هـ/1897م و تولى منصب الإفتاء المالكي سنة 1355هـ/ 1836م ، شارك في تحرير جريدة المبشر توفي سنة 1950م.

للمزيد عنه، محمود كحول، التقويم الجزائري 1912، ص 169-170 و سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي...الجزء3.ص88 وما بعدها.

4- سعد الدين بن أبي شنب ، نهضة الجزائر...ص .48

5- المرجع نفسه ص 49

6- عن رجال الإصلاح و الوطنية الصادقة ، يعد رائد الصحافة الجزائرية ولد بمدينة الجزائر سنة 1305هـ/1886م و بها نشأ و تعلم بالكتاب، ثم بالمدرسة الثعالبية التي لم يبق بها طويلا، أنشأ جريدة الفاروق 1913م، عني بأحوال العالم العربي الإسلامي و تعرض بسبب مواقفه الوطنية الى القمع الاستعماري ، توفي سنة 1932م للمزيد عنه أنظرد/ صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائرية رائد الصحافة الوطنية الجزائري، مجلة الحياة الثقافية عدد 32 تونس، 1984، ص 38 و ما بعدها.

الصحافة عنده من أبرز الوسائل التي استطاع بواسطتها نشر فكرة الإصلاح والتجديد و فضح أعمال الاستعمار و مخططاته الجهنمية، هاجم كل دعوات التفرنج والإلحاد و كل أشكال الخرافات و البدع حرصا على الدعوة إلى كل ما من شأنه أن يعلي كلمة الدين ويرقى حياة المسلمين[1]

وكان من أشد المعارضين لقانون التجنيد الإجباري وإدماج الجزائريين و تذويبهم في المجتمع الفرنسي " إننا قوم لنا قومية عروتها متينة و قيمتها ثمينة و إن أصيب أعضاؤها بغدر قصير المدة ويتقطع وتتحرك أعضاؤها بنشاط تام فما لنا من رغبة في الاندماج بفرنسا و لا بغيرها من الأجناس وما لنا من رغبة في نيل حقوق تجر علينا الويل و الدمار إننا لا نريد من فرنسا أن تمن علينا بتمدنها وعدلها لأن لنا تمدنا و عدلا ذقناهما فصار كل شيء عندنا بعدها مرا و هل بعد ذوق العسل نذوق الحنظل"[2]

كان عمر بن قدور من أقطاب الدعوة إلى جمع شتات المسلمين لذلك فتتسم مقالاته دائما بالنزعة الإسلامية الجماعية حتى عند حديثه عن أحوال الجزائر الخاصة و لا شك أنه كان يستلهم فكرته هذه من قراءاته الواسعة لتاريخنا العربي الإسلامي و لذلك دعا إلى تكوين جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا"[3]. كما نجده متفاعلا مع أحداث العالم الإسلامي في أكثر من موطن فقد كتب عن أخطار الصهيونية وفاجعة الهجمة الإيطالية على طرابلس سنة 1911 و فرض الحماية الفرنسية على مراكش سنة 1912.[4]

ل- عمر راسم[5]

كان متأثرا بأفكار الأستاذ الإمام محمد عبده في مجال الإصلاح الديني و التربوي، ثائرا على مظاهر الخمول و الكسل و الانحلال الخلقي معارضا بكل قوة مسألة التجنيد الإجباري بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة ، كما كان من أبرز المنتبهين إلى أخطار اليهود و مطامعهم في فلسطين منذ وقت مبكر[6]

1- أنظر مقالاته التي تعالج قضايا الإصلاح الديني و الاجتماعي بجريدة الفاروق.

2- صالح خرفي، رحاب المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت1985، ص 92

3- المرجع نفسه ،ص 70

4- أنظر مواقف عمر بن قدور المغاربية و العربية و الإسلامية صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، و مقال د/ محمد ناصر، عمر بن قدور رائد التضامن الإسلامي، الأصالة عدد 58-59(1978)

5- هو عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد اليجاني، ولدسنه 1300هـ/ 1883م بمدينة الجزائر و تعلم بكتاتيها ثم اعتمد على نفسه فتعلم العربية و الفرنسية عرف منذ صباه بأفكاره الوطنية و الإصلاحية ، اعتمد على الصحافة في إيصال أفكاره المنشورة حيث انشأ مجلة الجزائر سنة 1908م و جريدة ذو الفقار سنة 1913م، تعرض للسجن أثناء الحرب العالمية الأولى بسبب مواقفه الوطنية توفي رحمه الله سنة 1959، للمزيد عنه أنظر د/ محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر،مجلة الثقافة عدد 30-31(1974) و محمد بن عابد الجيلالي، تقويم الأخلاق، قسنطينة 1927

6- أنظر ناصر، عمر راسم المصلح الثائر ، مجلة الثقافة عدد34-(1976)، ص 70 و ما بعدها

3- صدى الحركتين السلفيتين الوهابية و السنوسية

لم يكن الفكر السلفي الإسلامي بعيدا في يوم من الأيام عن الجزائر، إذا عتبرنا أن المقصـــــود بـ" السلفية" هي العودة بالدين إلى صفائه الأول كما كان أيام صدر الإسلام و عصور التاريخ الإسلامي الذهبية على اعتبار أن تنقية العقيدة من الشوائب و الإضافات التي ليست منها و تسيء إليها هي الهدف السامي و المقصد الأول عند كل علماء الإسلام،على مر العصور و في كل الأصقاع و الأمصار" و أن الله يبعث على رأس كل مائة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها"[1]

و قد عرفنا في العصور المتأخرة لما راحت البدع و الخرافات تختلط بتعاليم الإسلام السمحة كيف تصدى لها علماء كبار من أمثال: الإمام المهدي بن تومرت[2] و صاحب منشورة الهداية الشيخ عبد الكريم بن العقون[3]، و الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي[4] الذي اعتبر بمثابة المنعطف الحاسم في تاريخ السلفية بالجزائر حيث أقرّ بان الإيمان ينبني على قاعدة من منبع العقل و الاستدلال وأن الإيمان اصله المعارف العقلية و الأدلة البرهانية لا يكون عن تقليد و إنما يكون عن نظر سديد."[5] وثار أيضا في القرن 16م الشيخ الاخضري[6] على بدع زمانه و دعا إلى التصوف الصحيح من خلال منظومته المعروفة بالقدسية، و تعززت الدعوة إلى السلفية الصحيحة بظهور كتاب" منشور الهداية في

1- حديث نبوي شريف

2- هو محمد بن عبد الله تومرت مؤسس الدولة الموحدية(1121هـ أصله من قبيلة مصمودة في بلاد السوس الأقصى جنوب غربي مراكش و قضى فترة من الزمن في قرطبة و شهد إحراق مؤلفات الإمام الغزالي، واطلع على كتب ابن حزم وتأثر بأفكاره و بعدما ملأ وطابه من العلوم بغداد عاد لبلاد المغرب يرسخ في دعوة التوحيد و سمى اتباعه بـ الموحدين للمزيد عنه انظر ، تاريخ المغرب الكبير الجزء2..

3- ولد بقسنطينة سنة 988هـ ينحدر من أسرة علمية شهيرة ، يعد من كبار العلماء في زمانه ألف في الحديث، و الفقه واللغة، توفي سنة 1073م، للمزيد عنه أنظر د/ أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم العقون داعية السلفية دار الغرب الإسلامي بيروت1986م

4- نشأ بتلمسان سنة 832-1427م و أخذ العلم عن شيوخ عصره، ألف كتب قيمة منها.:" شرح عقيدة التوحيد" و " شرح صحيح البخاري" و" العقد الفريد في حل مشكلات التوحيد" توفي رحمه الله سنة 895هـ/ 1490م،ن للمزيد عنه أنظر جمال الدين بوقلي حسن ، الإمام بن يوسف السنوسي و علم التوحيد ش-و-ت-ث الجزائر 1985

5- جمال الدين بوقلي ،نفس المرجع، ص 126- .127

6- أديب منطقي، مشارك في بعض العلوم ، يعد من المع علماء عصره، ولد ببسكرة سنة 910هـ/1512 ألف العديد من الكتب القيمة، نذكر منها:" الجوهر المكنون في الثلاث/ فنون في المعاني و البيان و البديع و " المنظومة القدسية" وهو من العارفين بالله، اشتهر بتضلعه في علم المنطق و كان عمل الأخضري في المنطق موضع اهتمام علماء المسلمين في المشرق و المغرب و السودان و الهند.

و أصبح متنه المعروف : (السلم المرونق) و شرحه المختصر و السهل عليه، و هو الشرح الذي أصبح عمدة الأستاذ و التلميذ معا، للمزيد أنظر د/ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 2، ص 150

كشف حال من أدى العلم و الولاية" للشيخ عبد الكريم بن الفقون الذي انتقد بشدة أولئك المشايخ الذين انتحلوا صفة العلم و الولاية و هم على خلاف ذلك كي ينالوا حقهم من الدنيا بالوصول إلى المناصب.

" فموهوا على العامة بأسماء ذهبت مسمياتها، و أوصاف تلاش أهلها منذ زمان وأنصارها لبسوا بانتحالهم لها على أهل العصر انهم من أهلها.....[1]

و جاهد أصحاب المنظومات الشعرية ضد مظاهر البدع و الخرافات التي اكتسحت البلاد من أقصاها إلى أقصاها، كمنظومة المجاجي[2]، و منظومة محمد بن حواء[3] .

و بناء على كل هذا الذي ذكرناه نصل إلى قناعة بان الجزائر قد عرفت السلفية في إطارها المحلي وعندما ظهرت الحركة الوهابية في الحجاز، لم يتصادموا معها بل تجاوبوا مع طرحها الإصلاحي و أن لم يأخذوا بطريقة تغييرها التي تقوم بعد الوعظ على استعمال العنف (4).

و قد كان لهذه الدعوة صداها في الجزائر من خلال وفود الحجاج،وقد تنسم الجزائريون روح الدعوة الوهابية مع تلك التخوم التي تفصل بين القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة حيث بدأت إشعاعات حركة الإصلاح في الجزائر تنفذ إلى الجزائر و كان المؤرخ أبوراس الناصري"[4] أول من حمل الدعوة إلى البلاد الجزائرية و ذلك بعد أن قدر له أن يجتمع بتلامذة الإمام محمد بن عبد الوهاب في موسم الحج، و كان ذلك بحضور وفد الحجيج المغربي الذي كان يرأسه ولي عهد المغرب آنذاك و قد أشاد الناصري بآراء محمد بن عبد الوهاب عندما دون تفاصيل رحلته للحج بعد عودته للجزائر.

1- المرجع السابق، ص 19

2- هو عبد الرحمن المجاجي من أهل مجاجة عاش في القرن الثالث عشر الهجري، أخذ العلم عن الشيخ سيدي محمد بن علي ، ثم رحل الى تلمسان و اخذ من علمائها، ثم رحل إلى فاس أيضا ترك عدة مؤلفات منها" التبريح في أحكام المغارسة و التصيير و التوليج"أنظر الشيخ الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف...ص 224

3- من علماء القرن الثاني عشر، جمع الله له بين العلم و العمل فنال بذلك عند الله الرتبة العليا و المقام الأمثل،له محطوطة سماها" سبيكة العقيان فيمن في مستغانم و احوارها من العلماء الأعيان، وصف فيها البدع و الخرافات و العجز عن النهي عن المنكر، انظر الحفناوي، تعريف الخلف.....ص 373 و ما بعدها.

4- من الشواهد الدالة على استعمال الحركة الوهابية للعنف في عملية الاصلاح ما اقدم عليه ابن عبد الوهاب عندما غادر بلدته حريملة إلى العينية التي اقنع رئيسها عثمان بن احمد بن معمر بدعوته فدعاه أن يسخر سلطته وسلطانه لنشر دعوة التوحيد ومناه في حالة النجاح ان الله تعالى سيملكه نجدا واعربها فسار أمي العينية بجيشه وفي مقدمته ابن عبد الوهاب إلى الأماكن التي اتخذ الناس فيها القبور او الرموز أو الأشجارللتوسل والتعظيم فهدموها وقطعوها بل وأخذ ابن عبد الوهاب الفأس وقاد الجيش لهدم قبة زيد بن الخطاب في بلدة الجبلة وكان مزارا يتبرك به الناس فهدمه وكاد الغاضبون عليه أن يفتكوا به لو لم يغادر العينية إلى الدرعية حيث لقي بها أميرها بن سعود الذي إعتنق دعوته وعلى أساسها شكل دولته فيما بعد. أنظر محمد عمارة، تيارات الفكر الاسلامي، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1983، ص 255 وما بعدها.

5- محمد بن احمد بن عبد القادر الراشدي المعروف بابي راس مؤرخ محدث من علماء الجزائر ولد بمعسكر سنة 1150هـ/1737م و توفي سنة 1239هـ/1824م، قام برحلة واسعة في عدة بلدان من المشرق و المغرب دون أحداثها في كتاب و له مؤلفات أخرى في التفسير و الحديث و التاريخ و الأدب أهمها " تفسير القران" و" تخريج أحاديث دلائل الخيرات"." و ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس" للمزيد عنه انظر الشيخ الحفناوي، تعريف الخلف ج 2 ، ص 341-342.

أما الدعوة السنوسية[1] التي تتشابه كثيرا في أهدافها مع الحركة الوهابية مثل الدعوة إلى نقاوة الدين و الاعتراف بالكتاب و السنة فقط ثم التبشير بالحركة الجديدة و الدعوة إليها و الحماس الفياض عند دعاتها فقد نشأت كل منها بين البدو وانتهت بقيام دولتين اعتنقتا ....الدعوتين[2]

و لابد من التأكيد على أن السنوسية كانت منطلقها من الجزائر، و كان من الطبيعي أن الحركة تنطلق منها لو لم يمنع الاستعمار الفرنسي عودة مؤسسها إلى وطنه حيث اضطر إلى المرابطة على حدودها الجنوبية متخذا من واحة الجغبوب الليبية قاعدة له هناك لبث دعوته.[3]

و قد اعتبرت السنوسية مسؤولة عن كل الحركات الثورية التي ظهرت في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي فقد أبدت ثورة محمد بن عبد الله في تلمسان و صحراء الجزائر1848-1861م وثورة الصادق بجبال الأوراس 1879م و ثورة أولاد سيدي الشيخ 1879-1881[4]

4- صدى جمعية العروة الوثقي وزيارة محمد عبده للجزائر

إن جمعية العروة الوثقي التي أنشأها السيد جمال الدين الأفغاني في الهند بعد احتلال تونس ومصر، و اشترك فيها من الجزائر الأمير عبد القادر و محمد بيرم[5] عن تونس وهو تلميذ خير الدين ومحمد السنوسي[6] محرر جريدة الرائد التونسي[7] تعد من أبرز الجمعيات التي سعت منذ تأسيسها على لم شمل جهود المسلمين للتصدي لأخطار الاستعمار الغربي الحديث.

1- مؤسسها هو الشيخ محمد بن علي السنوسي المولود بمستغانم سنة 1787م تعلم بها ثم بمازونة و بعدها انتقل إلى جامع القرويين بفاس و فيها وجه اهتمامه لدراسة الصوفية و خاصة طرقها المنتشرة في المغرب، و في عام 1830م انتقل إلى الحجاز حيث التقى بعلماء كبار ، و انشأ زاويته الاولى في جبل أبي قبيس عام 1837 واتبعها بزوايا عدة في الطائف والمدينة المنورة و بدر و وجدة و يتبع دخل بنغازي سنة 1841م و قرر إقامته النهائية في ليبيا وأنشأ سنة 1843 الزاوية البيضاء في الجبل الأخضر فكانت أول زاوية سنوسية في شمال إفريقيا.

توفي رحمه الله سنة 1859م و خلفه ابنه المهدي في الزعامة ، وانتشرت السنوسية في أرجاء واسعة من إفريقيا، للمزيد أنظر، علي المحافظة الاتجاهات الفكر عن عند العرب ص 55 و ما بعدها.

2- أحمد صدقي النجاتي، الحركة السنوسية، دار لبنان للطباعة و النشر 1976ص 278-.179

3- عويس، المرجع السابق، ص 236

4-أنور الجندي، العالم الاسلامي والاستعمار، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1979 ص 264

5- ولد محمد بيرم الخامس بتونس سنة 1839م و توفي سنة 1889 بمصر، يعد من أركان النهضة التونسية، كان مقربا من الوزير المصلح خير الدين الذي عينه لما كان وزيرا أكبر ناظر على المطبعة الرسمية و مشرفا على تحرير جريدة الرائد للمزيد عنه أنظرابن عاشور ، أركان النهضة التونسية.

6- من كبار علماء تونس في القرن التاسع عشر ولد سنة 1851م-1267هـ ، كان متأثر بحركة الأفغاني و من المعجبين بالعروة الوثقي من آثاره العلمية" الرحلة" الحجازية" التي لو لم يكتب سواها .لكفته مجدا و ذكرا ، توفي سنة 1900م، للمزيد عنه أنظر:الشيخ محمد الصادق بسيس، محمد بن عثمان السنوسي ، حياته و اثاره، الدار التونسية للنشر

7- أنور الجندي، الفكر و الثقافة في شمال إفريقيا، دار الطباعة القاهرة 1965 ص 39.

و من الثابت أن الفكر الأفغاني قد دخل إلى الجزائر، و الجزائريون الذين درسوا في الأزهر والزيتونة والقرويين قد عملوا على نشر مبادئ الجامعة الإسلامية كما تصورها الأفغاني[1].

وساهم كذلك المهاجرون الجزائريون في بلاد الشرق الإسلامي بقوة في إيصال فكرة" الجامعة الإسلامية إلى الجزائر وبناء على قول القنصل الفرنسي فادالا فان عددا كبيرا من الجزائريين كان يجتمع حول الشيخ محمد عبده وغيره من زعماء الجامعة الإسلامية[2]

وليس بدعا أن تمتد الإشعاعات الإصلاحية التي بثها الشيخ محمد عبده فتخترق الأسوار الحديدية التي كانت تحيط بالجزائر، وكان ما يصل من أخبار الإمام على قلتها، وما تطاير من منشوراته على خطرها يخلق في الجزائر جوا من الحيوية في النقاش والجدل، لعله الأفق الأسبق الذي عرف فيه الجزائري تباشير النهضة الحديثة[3]

وكان الأستاذ الإمام يقصد من سفره إلى تونس والجزائر الوقوف على أحوال المسلمين في هذين القطرين و أثار الإسلام فيهما[4] ويعد هذا بمثابة تحول في حياة الإمام التي دخلت في مرحلة جديدة حيث صار بعد تقلده لمنصب الإفتاء في مصر يحتل في العالم الإسلامي نفس المنزلة التي كان يحتلها الأفغاني الرمز والمرشد[5]

وقد حل الإمام محمد عبده بالجزائر في سنة 1903 م وأقام بها عشرة أيام واستقبله كبار علمائها كالأستاذ عبد الحليم بن سماية ، ومحمد قايد علي الإمام المسجد الكبير ومفتي الحنفية بوقندورة[6]، ومحمد بن الخوجة الكمال أمام جامع سفير بالجزائر[7]

وقد علق الدكتور عثمان أمين على زيارة الإمام عبده إلى الجزائر في كتابه" رائد الفكر الإسلامي محمد عبده" فقال:"....كان على الأستاذ الإمام إبان عودته من اروبا أن يقف بنفسه على أحوال المسلمين في شمال إفريقيا فقام بجولة إلى الجزائر وتونس وقد اكتشف هناك كما قال الكاتب في جريدة(لوتان) وجود حزب إصلاحي كبير ينتمي إليه[8] وقد أثنى الإمام محمد عبده بعد رجوعه إلى مصر على أهل الجزائر وتونس وقال انه رأي روحا جديدة في العلماء وانه يرجو بذلك للبلاد حياة علمية سعيدة ونهضة إسلامية قريبة[9].

1- د/ حنفي بن عيسى، تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر،مجلة الثقافة عدد 38(1977) ص 114

2-Afrique Française , supp. Sep 1921. P -

3- انظر سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ص 40

4- رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام ، الجزء 1 ص 870

5-Ali merad; l'enseignement politique de Mohamed abduh en algérie p 903.revue doriens p 90

6 – عالم متضلع في العلوم الإسلامية و على دراية بالشعر المغربي الأندلسي انظر Jacques Berque, Maghreb histoire et société, SNED, Alger 1974 p. 165

7-IBIDE p 97

8- الشيخ المهدي البوعبدلي ، جوانب مجهولة عن آثار زيارة محمد عبده للجزائر، مجلة الأصالة عدد 79-80 (1978

9- أنظر حاضر العالم الإسلامي ج2، ص 295

ولا غرو أن تعتبر كتبه عماد وعاظ الجزائر في الوعظ والتفسير وتدريس العقائد الإسلامية وكان اسمه يذكر في الخطبة الواحدة وفي الدرس الواحد مرارا فعرفته العامة وعرفت مذهبه في الإصلاح وكان إذا استدل بقول له تقبله العامة لثقتها به وإعجابها بمذهبه"[1]

5- دور الصحافة العربية الإسلامية:

على الرغم من طوق العزلة الذي فرضته حكومة الاستعمار على الجزائر فإن ذلك لم يمنع الجزائريين من تكسير حواجز الانغلاق التي منعتهم زمنا طويلا من الاتصال بإخوانهم في الشرق الإسلامي حيث انفتح طريق الاتصال بين الجزائر وبين العالمين العربي والإسلامي فكانت الجرائد والمجلات العربية تنشر بالجزائر من مصر وغيرها من البلاد العربية الأخرى خفية وبصورة علنية عن طريق تونس التي كانت تتمتع نسبيا بحرية أفضل من الجزائر، وكذا عن طريق المغرب الأقصى الذي لم يكن قد اصبح بعد مستعمرة فرنسية أو عن طريق أروبا أو بواسطة الحجاج الذي يعودون من البقاع المقدسة بعد أداء فريضة الحج [2]

وكان كل عدد من تلك النشرات يزيد الجزائريين شجاعة وإيمانا بمستقبلهم العربي الإسلامي، فمن آثار تلك الروابط الروحية والعقلية بين المشرق والجزائر في ذلك الزمان أن أظهرت منذ مطلع القرن الرابع عشر حركة علمية تنتمي إلى النهضة الشرقية وتقتدي بها من ناحية ومن ناحية أخرى تقلد أساليب الغرب العلمية في البحث[3]

ولعل من أهم الجرائد والمجلات التي ساهمت بنصيب وافر في بعث النهضة الفكرية النهضوية الجزائرية.

العروة الوثقى[4]:

كانت تستهدف يقظة شعوب العالم الإسلامي خاصة، والشرقيين بصفة عامة، ورغم قصر عمرها فقد لعبت دورا هاما في حركة البعث الغربي الإسلامي العام في العصر الحديث بعد أن أحيت في النفوس الأمل، وقوت الرابطة بين المسلمين.، وفتحت عيون العرب على خطر الاستعمار الداهم على بلادهم وبينت الأسباب والعلل التي أدت إلى ضعف المسلمين وفي طليعتها تفريطهم في أصول الدين.[5]

وقد كانت العروة الوثقي تصل إلى بعض المثقفين الجزائريين الذين كانوا يحرصون حرصا كبيرا

1- محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر ، الجزء 2، ص 31
2- شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية ص 70
3- سعد الدين بن أبي شنب، المرجع السابق ص .41
4- مجلة عربية إسلامية أصدرها بباريس الأستاذان الكبيران: السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده سنة 1884م صدر منها 18 عددا فقط وكانت لسان حال " جمعية العروة الوثقي الداعية إلى عزة الإسلام وحرية العالم الإسلامي، انظر محمد شفيق الغربال، الموسوعة العربية الميسرة مج2 دار الإحياء الغربي بيروت 1965 ص 83
5- طهاري، مفهوم الاصلاح،، ش-و-ن-ت الجزائر 1984 ص 88 وما بعدها.

على قراءتها وتبادلها مع غيرهم والبعض يقوم بنسخها من جديد بخط يده ويتم هذا خفية عن عيون الإشهار ورقابته الصارمة.[1]

ب- مجلة المنار[2]

من أبرز المجلات في زمانها، فهي خير من اضطلع بتبليغ رسالة الإصلاح، وإيصال دعوة المصلحين إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي، وكان هدفها" نشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية وإقامة الحجة على أن الإسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتنافى مع العصر الحالي."[3] والقضاء على الخرافات والاعتقادات الدخيلة عن الإسلام ومحو الأفكار الشائعة عن القضاء والقدر وما دخل على العقائد من بدع الاعتقاد وفي الأولياء وما تأتيه الطرق المتصوفة من بدع وضلالات .....على ترقية التعليم العام ودفع الأمة إلى مباراة الأمم الأخرى في جميع الأمور الضرورية لتقدم الأمم[4]

وقد كانت الجزائر ترى في مجلة المنار لسان الإسلام الأكبر ومنبر الإصلاح الأعظم، وتراها متنفسا لها وأكبر عون لها في الإصلاح الذي يقوم به زعماء نهضتها، وفي إيقاظ الأمة وتطهير عقائدها ونفوسها من الفساد[5]

وجاء في كتاب تاريخ الأستاذ الإمام أن الشيخ محمد عبده لما زار الجزائر في سنة 1903م كان علماء الجزائر قد طلبوا منه أن يطلب من صاحب المنار بأن لا يذكر في مجلته دولة فرنسا بما يسوءها لئلا تمنع المنار من الجزائر، وقالوا له "إننا نعده مدد الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة عنا"[6]

والحق أن مجلة " المنار" الواسعة الانتشار كانت تتبع مجريات الأحداث في العالم الإسلامي معرضة بالسياسة الاستعمارية فيها ومنها الأقطار المغاربية فقد " عملت هذه المجلة على متابعة شؤون المغرب باهتمام كبير مسجلة انتقاداتها على السياسة الفرنسية في شمال إفريقيا ولم تكن الجزائر منسية [7]

وثمرات الفنون[8]كانت مجلة (سياسية اقتصادية وأدبية نشرت في 1900 إنها قد منعت من الدخول إلى الجزائر من قبل السلطات الفرنسية هناك على أساس أنها تنشر مقالات تعدو فيها إلى وحدة الأمة الاسلامية [9]

1- تركي، المرجع السابق، ص 104

2- جريدة أسبوعية أنشأها الأستاذ رشيد رضا سنة 1897م وحولها في عامها الثاني إلى مجلة شهرية، صدر منها 35 مجلدا وعرفت باتجاهها الديني الإصلاحي، للمزيد عنها انظر محمد شفيق الغربال، الموسوعة العربية الميسرة مج 2، ص 1746

3- على محافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب

4- أحمد ابراهيم العدوي، رشيد رضا الإمام المجاهد، الدار المعرية القاهرة 1964 ص 135

5- دبوز، نهضة الجزائر...الجزء 2 ص 19

6- رشيد رضا :تاريخ الأستاذ الإمام ج1 ص 872.

7-Ali merad, Regards sur l enseignement….p 623

8-أصدرها ببيروت الشيخ عبد القادر القباني سنة 1292 هـ/1875 م للمزيد عنها أنظر هشام نشابة ،الشيخ عبد القادر القباني وجريدة ثمرات الفنون من كتاب الحياة الفكرية في المشرق العربي 1890-1939 م بمجموعة من المؤلفين ،إعداد مروان بحيري ،مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت 1983 ص 99 وما بعدها.

9- نفس المرجع ص 106 .

ت- جريدة المؤيد[1]:

كـان مـن أهـم أغراضـها بـث الأفكـار المفيـدة والأخبـار الصـادقة والمباشـرة والمبـادرة إلـى نشـر الحوادث الداخلية من باب الاعتبار والتحذير والتبشير والترويج[2] زيـادة علـى الدعوة إلـى اليقظـة العامـة وإصـلاح الشـؤون الداخليـة المتـدهورة فـي البلـدان العربيـة والإسـلامية ومقاومـة الاسـتعمار الأوروبـي والاستبداد وبث الحرية في النفوس وكانت رائجة في أقطار المغرب العربي[3]

ج- جريدة اللواء: [4]

كانـت تكتـب كثيـرا عـن الـبلاد الجزائرية،وتـدافع عـن أقطـار المغـرب العربـي فـي وجـه النظـام الاستعماري و كان رائد الصحافة الجزائرية الوطنية عمر بن قدور و مراسلها في الجزائر فكان فاضـحا السياسة فرنسا ضد الأهالي .[5]

و لما نشر الأستاذ علي فهمي كامل تـاريخ أخيـه مصـطفى كامـل و مقالاتـه و خطبـه فـي كتـاب فـي ستة أجزاء و تـم طبعـه بالقـاهرة سـنة 1328هــ /1910 سـارع مثقفـو الجزائـر و المغـرب فقرؤوه فـزاد حماسهم و إقدامهم على الجهاد الوطني.[6] وزيادة على هذه الجرائد فقد كانت هناك جرائد مشرقية أخـرى تــرد إلــى الجزائــر ولكنهــا مراقبــة مــن قبــل الادارة الاســتعمارية نــذكر منهــا الفــلاح(1920)الفــتح (1929)الشـورى(1929)المعربـة،النيل(1920)سـوريا الجديـددد 1920 وبمكـة العـالم العربـي:الاسـلام – الاخوان المسلمين ،الأهرام،بل أن بعض هذه المطبوعـات كانـت ممنوعـة مـن قبـل وصـولها إلـى مكاتـب البريد كوادي النيل ،سوريا الجديدجة و القبلة.....[7]

د- الصحف التونسية : حرصت الصحف التونسية على إفساح المجال للكتاب الجزائريين كـي يجدوا لهـم متنفسا على صفحاتها فمنذ سنة 1907م و الكاتبـان الجزائريـان المصـلحان عمـر راسـم و عمـر بـن قـدور على صلة وثيقة بالصحافة التونسية إلى حين تعطيلها سنة 1911م عقب حوادث الجلاز [8] فقد كـان راسـم ينشر رسائله و مقالاته تباعا في جريدة التقدم .[9] حوالي سنتي 1907-1908م و في جريدة مرشد

1- أصدرها الشيخ علي يوسف سنة 1889م، وتوقفت عن الصدور سنة 1913 عرفت الجريدة بنزعتها الوطنية للمزيد أنظر الموسوعة العربية...مج 2 ص 1793

2-محمد الفقي، الأزهر وأثره ف النهضة الأدبية الحديثة ط(2) 1384ها/ 1965م مكتبة النهضة مصر ص 132.

3- تركي، المرجع السابق، ص 104-105

4- جريدة سياسة مصرية تصدر يوميا أسها الصحفي مصطفى كامل زعيم الحزب الوطني سنة 1900و راس تحريرها وجعلها منبرا لمقالاته ،وبعد وفاته سنة 1908 رأس تحريرها عبد العزيز جاويش و ظلت تصدر سنة 1910 للمزيد عنها أنظر الموسوعة العربية مج ع ص 1568.

5- نشر فيها الأستاذ عمر بن قدور مقال حول " الأوقاف في الجزائر" بتاريخ 1906./10/7

6- دبوز ، نهضة الجزائر ...الجزء الثاني .ص33

7- El Korso, op.cit.pp.44-48

8- وقعت حوادث الجلازيوم 07 نوفمبر 1911م واستمرت إلى نهاية 08 نوفمبر 1911 ،و سببها قيام سلطات الاحتلال بانتهاك حرمة مقابر المسلمين بتونس العاصمة،وقد أخذت طابع الانتفاضة الشعبية للمزيد أنظر الجيلالي بن الحاج يحيى و محمد المرزوقي،معركة الجلاز ،مكتبة المنار تونس 1961م.

9- صـدرت بتـونس سـنة 1907م لصـاحبها البشـير القـورتي و هـي وطنيـة إسـلامية تقدميـة للمزيـد عنهـا أنظـر R.M.M.T6.P345

الأمة [1]في سنة 1909.

و في سنة 1911م يكتب بعض المقالات الإخبارية القصيرة لجريدة المشير[2] أما عمر بن قدور فقد عرف بمثابرته على مراسلة جريدة التقدم طيلة سنتي 1908-1909م و عندما تعطلت هذه الجريدة راح يكتب في المشير بين الحين و الآخر [3].

و الحق أن وفرة الصحف التونسية في هذه الفترة أمثال الحاضرة [4] و الزهرة [5] والتونـــــسي[6] الصواب [(7] و سبيل الرشاد[8] و مرشد الأمة و الأمة و التقدم و المشير قد مكنت الجزائريين من مواكبة حركة الإصلاح في بلدان العالم الإسلامي عامة [9]و جملة القول أن الصحافة العربية الإسلامية قد لعبت دورا لا يستهان به في زعزعة الجمود الفكري،و إيقاظ ضمير الجزائريين النائم، و تنبيهه إلى المخاطر المحدقة بوطنهم،بل ووجودهم،وساهمت و لو بطريقة غير مباشرة في إيجاد الصحافة الوطنية الجزائرية مثل : جريدة المغرب،الحق الوهراني،العنابي،الصديق و غيرها التي مثلا في الربع الأول من القرن العشرين الوسيلة الفعالة و الناجعة في إيصال صوت الرواد المصلحين و النهضويين والى الجمهور الواسع من الجزائريين الذين كانوا يتثقفون من أركان و أعمدة هذه الجرائد.

- العمران ،مجلة علمية اقتصادية اصلاحية تجارية ،صناعية،فلاحية فنية أسسها بتونس الكاتب الصادق الرزقي كانت تصل إلى بعض أعيان تلمسان المسلمين مجانا،وكانت من بين المطبوعات الممنوعة التداول في الجزائر من قبل الادارة الاستعمارية[10] الصحف المغربية ونذكر منها،أخبار العالم التي تطبع بطنجة بالمغرب من قبل أحد الأتراك عوني باي سنة 1924 م،كانت متخصصة في الدفاع عن المسلمين وقد ظهرت مرة واحدة في الحنايا،تلمسان،ندرومة مستغانم وكانت توزع خفية أي من يد إلى يد.

1- مرشد الأمة صدرت بتونس 1906 من قبل سليمان الجدوري لأهداف علمية سياسية قضائية و تجارية توقفت عن الصدور سنة 1950م ،أنظر الجابري النشاط العلمي و الفكري....ص183 R.M.M.T6.P345

2- أصدرها الصحفي الكبير الطيب بن عيسى سنة 1911 م و هو مناضل جزائري حرر فيها عمر راسم كما حرر الطيب بن عيسى في الفاروق و تم تحويل المبشر التونسية سنة 1920 إلى الوزير ،أنظر عمر بن قفصية ،أضواء على الصحافة التونسية،دار بوسلامة للطباعة و النشر،تونس ،ص 91 ،و الجابري النشاط العلمي و الفكري .....ص 160

3- الجابري ، النشاط العلمي و الفكري...ص157-158.

4- تأست سنة 1887م بإدارة السيد بشوشة تهتم بالمواضيع السياسية و الأدبية و الجديد في القضايا المحلية و الأخبار الأساسية التي تقع في الخارج و العالم الإسلامي على و جه الخصوص أنظرR.M.M.T6.P343

5- تعد من صحف تونس القديمة تأسست من طرف السيد عبد الرحمان الصنادلي سنة 1890م،و توقفت سنة 1959م، كانت تعمل على تعريف التونسيين بما يفكر فيه المسلمون في باقي أقطار العالم الإسلامي ،أنظر R.M.M.T6.P345

6- أصدرها الزعيم التونسي علي باش حامية ،عام 1907م بالفرنسية ثم صدرت لها نشرة بالعربية سنة 1909م توقفت سنة 1912أنظر الجابري ،النشاط العلمي...ص.181

7- صدرت سنة 1904 لصاحبها محمد الجعايبي ثم تعطلت ثم أستأنفت الصدور عدة مرات إلى أن توقفت آخر مرة في 1933م ،أنظر: الجابري،النشاط العلمي ص 181

8- أصدرها الزعيم عبد العزيز الثعالبي سنة 1897م إلى سنة1895 م للمزيد أنظر بن قفسية تاريخ الصحف التونسية .

9- الجابري،النشاط العلمي...ص132-134

10-Al Korso.op cit.p44.

6- الصلات الثقافية بين الجزائر و العالم العربي:

وقد تم هذا التواصل والتفاعل بواسطة :

أ- الهجرة والبعثات العلمية:

أتاحت الهجرة للروح الجزائرية أسباب قوة جديدة، لتعود بعد ذلك فتنفخ في الجزائر ما يرد إليها حياتها ويدفعها في سبيل استرداد شخصيتها. ولذلك فلا غرو أن نجد جامع الزيتونة أحد المعاهد الرئيسية التي تخرج منها رواد النهضة الإصلاحية[1]

وكان الأستاذ عبد الحميد بن باديس الذي تابع دراسته العليا بالزيتونة ما بين 1908-1911 م على يد علماء فطاحل أمثال : الشيخ محمد النخلي[2] والشيخ محمد الطاهر بن عاشور[3] والشيخ سالم بوحاجب[4] والشيخ البشير صفر[5] وقد تأثر أيما تأثر بدروسهم المطعمة عادة بأفكار الإصلاح العبدوي والافغاني المتجاوبة مع روح العصر وبالأفكار التقدمية والسياسية حيث مكنته بالتالي من التعرف " على المشاكل السياسية والاجتماعية التي يتخبط فيها. الشمال الإفريقي[6] والوقوف كثيرا على تلك الإصلاحات العميقة التي مست نظام التعليمي الزيتوني، حيث استفاد منها في حياته العلمية والمهنية ومكنته في صياغته لمنهجه القويم في طرق التعليم ، وأساليب التربية والإصلاح الجديدة.

ثم إن الإمام ابن باديس لم يقف به الاهتمام بالتعليم الزيتوني عند نفسه فحسب، بل كان محور اهتمامه ومدار مساعيه مع شيوخه وأصدقائه في تونس والجزائر العمل على تشجيع باب الهجرة من خلال البعثات الطلابية التي يظهر أن أولاها انطلقت من الجزائر إلى تونس مع بداية الحرب العالمية

1- خرفي، شهر المقاومة الجزائرية......ص 143

2- محمد النخلي(1862-1829) ولد بالقيروان وتوفي بتونس العاصمة شاعر وفقيه من أعلام مدرسي جامع الزيتونة، تميز بنظرته الإصلاحية وشدة تأثره بآراء محمد عبده الإصلاحية والافغاني، انظر النشاط العلمي....ص 65

3- محمد الطاهر بن عاشور(1879-1973) من مواليد تونس، ومن كبار علماء الزيتونة ، تتلمذ عليه الكثيرون وساهم بقسط وافر في تطوير مناهج التعليم الزيتوني واصلاحها ـ، تقلد وظائف علمية وإدارية من اشهر مؤلفاته تفسير " التحرير والتنوير" وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام للمزيد انظر محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية 1983 ص 75-77

4- سالم بوحاجب(1828-1923) من أبرز أساتذة الإصلاح في الزيتونة تقلد مناصب عديدة في الدولة، كما كان من الأعضاء البارزين في أول لجنة الإصلاح للتعليم الزيتوني سنة 1898م، للمزيد أنظر حفناوي عمارية .الصحافة وتجديد الثقافة تونس، في القرن 19م الدار التونسية للنشر1994، ص 101 وما بعدها.

5- البشير صفر(1863-1917) من أبرز أساتذة الزيتونة، درس بالمدرسة الصادقية بتونس ثم بالمعاهد الفرنسية العليا، ساهم في إنشاء مشاريع خيرية فأطلق عليه الشعب التونسي أب النهضة التونسية، وهو من المتأثرين بإصلاحات خير الدين التونسي للمزيد عنه أنظر الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 61 وما بعدها.

6-Ali Merad, IBNbadis commentateur du coran L. B oriental, paris 1971 pp 71.

الأولى[1]وغير خاف على أحد أن الطلبة الجزائريين في تونس لم يكن نشاطهم العلمي ليتوقف عند حدود الاغتراف من ينابيع العلوم الشرعية واللغوية.فحسب بل نجدهم ينهلون أيضا من العلوم العصرية التي كانت تدرس بالمدرسة الخلدونية[2] مثل التاريخ والجغرافيا وتاريخ الإنسان الطبيعي والحساب والهندسة والطبيعة والكيمياء واللغة الفرنسية[3]

وفي تقرير مرسل من السلطات الفرنسية بتونس إلى السيد الوالي العام بالجزائر يعود إلى بداية العشرينات ذكر أن المدرسة الميزابية المعروفة باسم" مدرسة السلام" كان يشرف عليها مدير جريدة المنير[4] سي الشاذلي المورالي المنتمي للحزب الدستوري الحر وبتأطير وعناية الأستاذين الميزابين: باعلي بن صالح وابراهيم اطفيش[5] المسلمين المتعصبين (حسبه) أما أعمار التلاميذ بها فتتراوح ما بين 9 و14 سنة أما عدد التلاميذ بالمدرسة دائما حسب التقرير فقد وصل إلى 42 تلميذا يضاف إليهم أسماء 16 طفلا آخر تقريبا الموجودين في الجزائر[6]. وكانت إقامتهم بالمدرسة السليمانية[7]

والحق أن الشيخ صالح بن يحي[8] العضو المؤسس والنشيط بالحزب الدستوري الحر التونسي كان من الدعاة البارزين في الجنوب الجزائري الذين دعوا إلى إنشاء البعثات العلمية قصد التكوين والتحصيل العلمي في تونس ثم العودة للاضطلاع بمهمة الإصلاح والنهضة والتجديد واليقظة الفكرية في الجزائر، وقد كانت البعثة العلمية الجزائرية الأولى التي أوفدت إلى تونس هي البعثة الميزابية برئاسة الشيخ

1- صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية .....ص 142

2- معهد علمي عصري تأسس سنة 1896 م وهو فرع من فروع الزيتونة، كانت تستقطب لاهتمامها لعلوم العصر الطلاب من الزيتونة استقطابا عظيما ومن كبار أساتذتها الأستاذ البشير صفر في التاريخ الذي كان يوضح للطلاب أخطار الاستعمار على العالم الإسلامي، تخرجت من الخلدونية نخبة الحركة الوطنية التونسية للمزيد انظر:
Chedly khairallah. Le mouvement Jeune tunisien. Tunis p 24

3- دبوز ، أعلام الاصلاح في الجزائر ج2، دار البعث قسنطينة 1976، ص 259

4- تأسست بتونس سنة 1907م كانت تهتم بالدراسات السياسية والاجتماعية والأدبية والإسلامية للمزيد عنها أنظر: R.M.M.T6.P346

5- هو ابن أخ قطب الأئمة الشيخ محمد اطفيش، ولد بوادي ميزاب سنة 1886 ، هاجر إلى تونس وساهم في تأسيس الحزب الدستوري الحر ثم نفي لمصر شارك في الحياة الدينية والفكرية والسياسية حينما حل بها وأسس صحيفة المنهاج سنة 1930 ، كان صديقا للزعيم الليبي سليمان الباروني، شارك في المؤتمر الإسلامي بالقدس،عمل في قسم التصحيح بدار الكتب المعربة،توفي رحمه الله سنة 1965 م. للمزيد عنه أنظر د/ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص .169

6- انظر تقرير الإقامة الفرنسية بتونس إلى السيد الوالي العام للجزائر، الأرشيف التونسي.M.NC-19.D2.

7- Jamel Haggui Les Algériens originaires du sud dans la ville de Tunis pendant l'époque Coloniale .Mémoire de D-E-A Université de Manouba Tunis 2003-2004.p90.

8- ولد ببني يزقن وتتلمذ على قطب الأئمة امحمد اطفيش اكمل دراسته بالزيتونة، ساهم في تأسيس الحزب الدستوري الحر بتونس كما ساهم بأمواله في نشاطاته توفي بتونس سنة 1948م ، للمزيد عنه أنظر أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الجزء 1.

أبو اليقظان سنة 1914[1].

أما البعثة الثانية إلى تونس فقد كانت بدعوة من الشيخ صالح بن يحي الذي شجعها كثيرا وقدم كل الدعم المادي والمعنوي لها، لما رأى نجاح البعثة العلمية الأولى ونتائجها الحسنة وكان على رأسها أيضا الشيخ أبا اليقظان[2] كما يرجع إلى الشيخ صالح بن يحي الفضل في إرسال البعثة العلمية اليسقتية التي كان يرأسها السيد صالح بن باعلي[3] فقد أعانه في أول الأمر على إدارتها، وعبد لها الطريق ووفر لها كل الوسائل التي تساعد على متابعة الدروس والانكباب على العلم[4].

وقد أفضى اتصال الجزائريين بالزيتونة(5) وبالمعاهد العلمية التونسية إلى بروز نفر لاباس به من رجال النهضة والكفاح الوطني.

كما أدى هذا الاتصال إلى ظهور وعي كبير لدى بعض المهتمين بمسائل النهضة والتجديد حيث بادروا إلى تأسيس مدارس حديثة لتعليم العلوم الدينية والعصرية ومن ذلك ماقام به السيد محمد بن بكير[6] في هذا الصدد حيث أرسل رسالة في 1922إلى السيد العام للجزائر يناشده الموافقة على طلبه المتضمن الرغبة في السماح له بفتح مدرسة قرآنية حديثة ببني يزقن وتتولى هذه المدرسة تدريس القرآن الكريم والنحو الحساب والتربية والجغرافية وحرفا متنوعة تتعلق بالأشغال البدوية لشباب بني يزقن الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة والرابعة عشر سنة مبينا في طلبه المنافع التي تترتب على إنشاء هذه الدراسة التي تكون الخطوة الأولى نحو الحضارة[7] وقد اعتبر المقيم العام الفرنسي بالرباط في مراسلة له إلى وزيرة خارجيته بباريس فيما يخص الطلبة الجزائريين بين المغرب وتونس أن" طلاب وتلاميذ مدارس التعليم العالي...هم أحيانا الناقلين والحاملين للآراء الأكثر تقدما"[8].

إلا أن السلطات الاستعمارية توجست خيفة من هذا الطلب فرفضت السماح بإقامة هذا المرفق التربوي، كما رفضت قبل ذلك بسنوات استمرار عمل ونشاط المدرسة الصديقية العصرية بمدينة تبسة والتي كان السيد محمد بن بكير هو نفسه بالاشتراك مع الزعيم الوطني عباس

1- دبوز، أعلام الإصلاح....الجزء 3 ، ص .
2- دبوز، أعلام الإصلاح.....الجزء 3 ص.220
3- دبوز، المرجع ص 229
4- عبد المجيد بن عدة ، الشيخ صلاح بن يحي ودوره في نهضة القطرين الجزائري والتونسي المبرز عدد 14(2000)، الجزائر ص 111.
5- يذهب الأستاذ أحمد نجاح إلى أن أهل الزقم وقمار بسوف اعتادوا منذ فترة طويلة على إرسال مجموعة من التلاميذ الحافظين للقرآن إلى تونس لمتابعة دراستهم الثانوية بالزيتونةفي حقل المعارف الفلسفية والدينية والقانونية، ومن هؤلاء من استكمل دراساته العليا في نفس العلوم. أنظر: Ahmed Nadjah, le Souf des oasis, ed, la maison des livres, Alger, 1971, p.109.
6- أحد الوطنيين الجزائريين المصلحين من بني ميزاب -، لعب دورا كبيرا في إرساء دعائم النهضة والإصلاح في الجزائر، ساهم في تأسيس المدرسة.الصديقية مع عباس بن حمانة تبسة سنة 1913 كما أسس جريدة الصديق سنة 1920 للمزيد عنه أنظر تقرير الأرشيف الفرنسي أنظرA.O.M 12 H06
7- رسالة مؤرخة بالجزائر في 22 ماي 1922 أنظرA.O.M 12 H06 .
8- HAGGI.op cit.p.86.

بن حمانة [1] من وراء إقامتها، لما أحست بأن المدرسة قد بدأت ثمارها تأتي أكلها.

والذي يعنينا من كل هذا الذي ذكرناه هو أن يقظة الجزائريين الذين شعروا بخيبة أملهم من استجداث سلطات الاحتلال أي إصلاح في هذا المجال هو الذي جعلهم يفكرون بل يقومون بإنجار المؤسسات العلمية العصرية لتعليم اللغة العربية وما يتصل بها من المعارف العامة كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات بالوسائل العامة والقدرات الذاتية.

ب- عن طريق الرحلات العلمية

إن تلاحم القطرين الجزائري والتونسي عبر التاريخ حقيقة لا جدال فيها، فقد انصهر الشعبان في بوتقة واحدة طيلة أحقاب متوالية ووجدت بينهما عوامل حضارية وثقافية وجغرافية وصمدا أمام المحن والويلات وخرجا منها كأقوى ما تكون الشعوب صلابة ومتانة[2]

ورغم القبضة الاستعمارية على القطرين المتجاورين فقد كان أبناء الشعبين من عامة وخاصة يتزاورون ويتبادلون المنافع المادية والمعنوية ويربطون فيما بينهم الكثير من الصلات الأخوية وكل ذلك في الحقيقة كان عاملا مساعدا على ازدهار ونهضة القطرين الشقيقين وفي هذا الصدد نلمس في الرحلة التي قام بها العلامة التونسي محمد بيرم الخامس إلى الجزائر مع مطلع اقرن العشرين الكثير من الفائدة فقد وقف على واقع الجزائر الديني والثقافي والاجتماعي تحت سلطة الاحتلال ورأى مبلغ الضرر الذي لحق بالأمة الجزائرية آنذاك من خلال الجلسات العلمية التي عقدها مع علماء الجزائر[3]

حيث لاحظ الجو العام تطغي عليه فكرة الرغبة في الهجرة إلى بلد إسلامي والخروج من الوطن الذي اصبح تحت سلطة النصارى ، وقد توجس العلامة بيرم خيفة من ذلك ورأى فيه خطرا على الدين والوطن ولذلك عندما استنصحه الشيخ علي بن الحفاف المفتي المالكي بالجزائر في مسألة الهجرة من الوطن نصحه بضرورة البقاء في الجزائر والمرابطة في محارب العلم حتى ينير دروب الناس المظلمة ويبصر الغافلين بأمور دينهم ودنياهم وفي ذلك يقول بيرم"....وذاكرني في الهجرة فذكرته بأن مثله قليل الوجود في ذلك القطر وأن بقاءه فيه لتعليم الناس دينهم أنفع للعامة وله عند الله من خروجه برأسه وإبقاء تلك الأمة المسلمة خالية عن مثله بل وربما حمل خروج غيره ممن على شاكلته على الخروج فتبقى العامة بلا تعلم لديانتهم وتضمحل منهم الديانة شيئا فشيئا والعياذ بالله ، ...فإذا بقي هو وأمثاله فانه تنتشر تعاليم العقائد والفقه وتبقى الديانة إن شاء الله محفوظة في الأهالي..."[4]

1- من رجال الاصلاح ورواد الحكة الوطنية الجزائرية المغمورين، كان مناهضا للتجنيد الإجباري سنة1912 م، سافر لهذا الغرض الى باريس سنة 1912م للدفاع عن حقوق الجزائريين دبرت له مكيدة اغتيالال سنة 1914م فسقط شهيدا، أنظر دبوز، نهضة الجزائر ج2 ص 263 وما بعدها.

2- علي العريبي، أصداء جزائرية في جريدة الحاضرة، مجلة الحياة الثقافية عدد 32 1984 ، تونس، ص 70

3- تمت رحلة الشيخ محمد بيرم الخامس إلى الجزائر سنة 1903

4- محمد بيرم الخامس التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار دار صادر بيروت ط(1) 1303 هـ ص 16

كما عرفت الجزائر مع مطلع القرن العشرين أيضا زيارة العلامة الشيخ محمد الخضر حسين[1] الذي ينحدر من أصول جزائرية ودفعته الرغبة إلى زيارة الجزائر على اعتبار ذلك وسيلة من وسائل الإصلاح والتعلم وسبيلا من سبيل المعرفة والثقافة وتكوين الشخصية وإصلاح المجتمع الإسلامي[2]
وقد قام الشيخ محمد الخضر حسين برحلتين إلى الجزائر الأولى كانت في سنة 1903 والثانية في سنة 1904م وقد زار في رحلته الثانية الكثير من المدن الجزائرية مثل : سوق اهراس، تبسة ، عين البيضاء، قسنطينة باتنة ، الجزائر العاصمة.

وقد اهتم أثناء ذلك بالميدان الثقافي والديني، فزار المساجد والمكتبات وحضر بعض الدروس الدينية واللغوية التي كانت تلقى في تلك الفترة كما ألقى بعض المسامرات في الفقه والحديث. والتفسير وشارك في بعض المجالس الأدبية وفي أثناء حله وترحاله بين هذه المدن الجزائرية التي زارها التقى بعدد من علماء الجزائر منهم الشيخ محمد بن أبي شنب، المدرس بالثعالبية، والشيخ العلامة الشهير كما قال الشيخ عبد القادر المجاوي الذي درس عليه عددا كبيرا من قضاة وعدول الجزائر والذي قال عنه:" تستحسن من دروس هذا الشيخ اقتصاره في كل فن على تقرير مسائله موضوعه وعدم خلط بعضها ببعض"[3]

كما التقى بالقيم على ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي الشيخ علي ابن موسى[4] الذي ألقى درسا في صفة الكلام من كتاب الصغري للسنوسي[5]

والتقى بصاحب المكتبة الثعالبية السيد احمد بن مراد في محلة والعلامة عبد الحليم بن سماية في بيته، وشهد مجلس ختم الشيخ السعيد بن زكري الصغري السنوسي بجامع سيدي رمضان، بحضرة جماعة من العلماء وجمع غفير من غيرهم فقرع الأسماء بمواعظه الحسنة ونصائحه المفيدة كما اجتمع بالشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة بالمكـــتبة الثعالبية[6]

1- هو محمد الأخضر بن الحسين أبدلت كلمة" الأخضر" بـ " الخضر" منذ طفولته ولد بنفطة يوم 26 رجب 1293هـ(21 ويلية 1973م) من عائلة علم ودين وورع أما الحسين فقد كان من مريدي الشيخ مصطفى بن عزوز صاحب الطريقة الرحمانية حفظ القرآن الكريم ودرس بعض العلوم الدينية واللغوية على عدد من العلماء وخاصة منهم خاله الشيخ محمد المكي بن عزوز ثم انتقل إلى تونس ودرس بجامع الزيتونة على يد سالم بوحاجب كثيرا، اشتهر محمد الخضر حسين في المشرق والمغرب واعتلى مشيخة الأزهر، كما اهتم بمؤازرة حركة التحرر المغاربية، توفي رحمه الله سنة 1958، للمزيد عنه أنظر محمد مواعده، محمد الخضر حسين حياته وآثاره الدار التونسية للنشر 1974

2- محمد مواعده، محمد الخضر حسين....ص 41

3- المصدر نفسه، ص 45-46

4- من علماء الجزائر في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العرين.

5- المصدر نفسه ص .241

6- المصدر نفسه،ص 240

ويبدو أن الحضور بالمكتبة قد خاضوا في مواضيع تتعلق بالتربية والتعليم، فاستغل الشيخ الخضر حسين المناسبة وبين الطريقة المثلى في التعليم فقال:"...ثم ختمنا بالتعريج على ما هو الأحسن في طرق التعليم فأبديت ما نراه الطريقة المثلى في هذا الموضوع خلاصته هو أن الرتبة الابتدائية والرتبة الوسطى ينبغي للمعلم الاختصار فيها على تقرير المسائل مجردة من ذكر الخلافات والأدلة الطويلة الذيل ، حتى إذا اقتصر المتعلم على إحدى الرتبتين أو عاقته دون الترقي لما بعدها عوائق فقد نال ما فيه كفاية من غير أن يخفق مدة من حياته فيما لا فائدة فيه لمثله، أما الرتبة العليا التي لا يقصدها إلا من
طمحت همته إلى أن يكون عالما معلما فلا بد فيها من تتبع عروق المسائل واستصقاء آثارها وحث مطية الفكر في انجادها وأغوارها على شريطة أن لا يلتفت المعلم إلى المباحث المتعلقة بعبارات المصنفين فإنها داعية إلى خلط الفنون بعضها ببعض من غير كبير فائدة، والاشتغال بتحرير أصل من أصول العلم أفيد للطالب وأجدى وسيستغنى في تقوية الملكة وتشحيذ الذهن بالمباحث المتعلقة بنفس المسائل.."[1]

وفي هذه الرحلة وأثناء وجوده بمدينة الجزائر التقى بالسيد مصطفى بن الأكحل الذي دعاه إلى له واحسن ضيافته، وقد حضر تلك المأدبة جماعة من أعيان العلماء مثل العالم الفاضل مفتي الحنفية الشيخ بوقندورة، والشيخ عبد الحليم بن سماية، والشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة، وشهد في المسجد الذي أسسه مصطفى بن الأكحل مجلس ختم الشيخ عبد الحليم بن سماية لكتاب في التوحيد بطريقة استحسنها جدا. وفي آخر الزيارة وقف على ما تحويه رفوف المكتبة العمومية من ذخائر الكتب[2]

ومما لا شك فيه أن هذه الزيارة التي قام بها العلامة محمد الخضر حسين إلى البلاد الجزائرية قد كانت مفيدة جدا بالنسبة لبلورة الأفكار التجديدية وترقية الآداب العربية، وتجديد الطرائق التربوية في المؤسسات التعليمية.

كما نسجل مع بدايات القرن العشرين زيارة الأستاذ عمر بن بريهمات[3] إلى حاضرة تونس حيث التقى بأركان نهضتها الفكرية والدينية والثقافية ومما لا شك فيه أنه قد وقف على مبلغ ما وصلت إليه الحاضرة من ازدهار ورقي في المجالات الفكرية والتربوية، التي كانت تشع من منابرها ومدارسها، فقد التقى بالأستاذ القدير والعالم الجليل سالم بوحاجب الذي يمثل حلقة وصل بين بدايات النهضة والحركة الوطنية الناشئة ، وكان بفعل مؤازرته للإصلاح ومساهمته الفكرية يمثل المتنورين من الشيوخ خير

1- المصدر نفسه ص 245
2- المصدر نفسه ، ص 246 وما بعدها.
3- هو الأستاذ عمر بن بريمات ابن الشيخ حسن بن بريهمات، ولد بمدينة الجزائر سنة 1859 وتوفي بها سنة 1909 م وزوجته هي السيدة خدوجة بنت حمدان بن سماعيل،بقي في الوظيف الفرنسي زهاء 27 سنة،عمل أستاذا بالمدرسة الثعالبية بعد أن نال شعادات علمية في:القانون الاداري والأعراف الأهلية،كما سمي ضابطا بالأكاديمية سنة 1896 م ،كان يحسن الفرنسية إلى جانب العربية،مهتما بقضايا النهضة والتقدم شارك في المؤتمر العلمي بباريس سنة 1897 والتقى بعدد من العلماء والمثقفين أنظر عنه: الأرشيف الفرنسي .A.OM.14 H 44 وعبد الله ركيبي ،تطور النثر الجزائري الحديث ،الدار العربية للكتاب ليبيا ،تونس 1398 هـ 1978 م ص 78 و ما بعدها.

تمثيل فهو من علماء الزيتونة القلائل الذين واكبوا التجربة الإصلاحية في تونس وتفاعلوا معها إيجابيا.

ويبدوا من إعجاب ابن بريهمات بشخصية سالم بوحاجب أنه كان من المتأثرين بالنهضة التونسية ومشائخها حيث مدح الشيخ بوحاجب بقصيدته التي [1] كلها إشادة وتقدير لشخصه وعلمه.

وطاف الأستاذ بن بريهمات بالمرافق العلمية للمدرسة الخلدونية والتقى ببعض أعضاء هيئة التدريس ومدير المدرسة العلامة الشيخ بشير صفر، ورئيس مدرسيها المتطوعين وقتئذ الأستاذ علي المنجلاتي نجل العلامة الشيخ المنجلاتي الجزائري ، واطلع على المناهج التربوية للمدرسة ، والنتائج التي حققتها المدرسة من يوم تأسيسها.[2]

ومن مظاهر التواصل الثقافي بين الجزائر وبلدان العالم العربي قدوم الفرقة المسرحية المصرية بقيادة جورج الأبيض[3] إلى الجزائر في ربيع 1921م، حيث قدمت إلى الجمهور الجزائري المتعطش للفن الأصيل والثقافة الهادفة مسرحيتين اثنتين باللغة العربية الفصحى ، الأولى عنوانها: شهامة العرب" والثانية بعنوان" صلاح الدين الأيوبي" وقد ساهم الأمير خالد الذي كانت تربطه صلات بجورج الأبيض في توفير الأجواء المناسبة لهذا النشاط بل قام بالدعاية شخصيا، طوال ثلاثة أيام، قبل أن تقوم هذه الفرقة المصرية بعرض ثالث بالعاصمة تحت عنوان" مجنون ليلى" وتمكن من بيع سبعمائة تذكرة حضر أصحابها هذه الدراما الأخيرة [4]

وقدم خالد تحياته وتشكراته الخالصة باسم الحاضرين لصاحب الفرقة مشيدا بمجهوده".. نحييكم بتحية مشتاقين لرؤية إخوانكم بعد فراق طويل، أدخلتم على القطر الجزائري بقدومكم السعيد اليه مزيدا من الأفراح والسرور والانتعاش لقد احييتم بتشخيص الروايات الأدبية والحماسية شعورا كادت أن تدرسه كوارث الزمان فشكر لكم ولسعيكم الحميد[5]

1- مما جاء في هذه القصيدة:

ساعد الوقت وأخلسنا وصالا	من زمان سطا علينا من الأماني وطلا.
وقطعنا من الأماني ثمارا	ورشفنا من الأماني زلا
عجبا ما رأيت في النطح بدرا	عادة البدر يكون هلالا
اغمر السيف وتبختر	إنك اليوم قد عتمت الكمالا.

أنظر جريدة المغرب عدد 11 (1903/05/15)

2- أنظر جريدة المغرب، المصدر السابق

3- كانت فرقة جورج الأبيض تتألف من 23 ممثلا من بينهم كان يوجد حسين رياض ومحمد عطية وعباسي فارس، قدمت عروضا مسرحية في الجزائر وقسنطينة وتلمسان أنظر مرتاض ، الجدل الثقافي....ص 89

4- عبد المالك مرتاض، الجدل الثقافي...ص 89

5- الأمير خالد (خادم القوم) جوق التمثيل العربي، الإقدام عدد 40 (19-08-1921)

وقد تركت نشاطات هذه الفرقة المسرحية بصماتها بكل وضوح في الأوساط الفنية الجزائرية فقد ذكر الأستاذ سعد الدين بن أبي شنب أنه عقب هذه الزيارة تكونت في الجزائر ثلاث فرق مسرحية، وشاهد الجمهور الجزائري مسرحيات ذات مضامين قومية ووطنية كمسرحية" في سبيل الوطن" التي عرضت سنة 1922م، وهي من تأليف أحد الكتاب الأتراك، ومسرحية" المصلح" التي عرضت سنة 1923م وهي من تأليف الكاتب الكبير أحمد فارس الشدياق.[1] كما وفدت على الجزائر في مطلع سنة خمسين وتسعمائة وألف الفرقة المصرية للتمثيل و الموسيقى بقيادة الأستاذ يوسف وهبي ومساعدة طليمات مع عدد ضخم من الممثلين يبلغ أربعين شخصا، ويبدو أنه لأول مرة تزور الجزائر فرقة مسرحية رسمية موفدة من الحكومة المصرية ابتغاء وصل الأسباب الثقافية والأدبية بين مصر وبلدان المغرب العربي والجزائر خاصة[2]

وقد كان لزيارة هذه الفرقة أثر عظيم جدا في الأوساط الأدبية والثقافية والشعبية أيضا بحيث تحركت لزيارتها" الأذهان الراكدة وجرت أقلام الكتاب في أودية الصحف والقراطيس نظما ونثرا، واصفة ناقدة أو مستوحية مستلهمة وانطلقت السنة الخطباء مرحبة...وكانت شغل الناس الشاغل في الأندية والمجتمعات العمومية.وهكذا أحدثت جوا أدبيا مفعما بالنشاط والحيوية"[3]

وقد تركت هذه الزيارة بالغ الأثر في الحياة الفنية المسرحية عامة وعلى فرقة" هواة التمثيل العربي خاصة" وهي الفرقة التي كان يديرها الأستاذ محمد الطاهر فضلاء(4) فقد تزعمت التمثيل بالعربية الفصحى في وقت كان التمثيل في الجزائر عادة ما يتم بالعامية اللهم إلا إذا استثنيا من ذلك المدارس الحرة التي كانت تقدم تمثيلياتها بالعربية الفصحى في مناسبات مختلفة فقد كان رشيد القسنطيني لا يمثل إلا بالعامية وهو أشهر ممثل عرفته الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين وذهب باش طارزي بعد من ذلك عندما اعتبر التمثيل بالفصحى مضيعة للوقت وقتلا للعمل المسرحي، وأن الجمهور الجزائري لا يقبل إلا على المسرح الناطق بالعامية وحدها[5] وعندما كان مديرا في مطلع الخمسينات

1- أنظر الأمير حبيب، مقدمة في المسرح الجزائري المعاصر ، مجلة الثقافة العربية، عدد 3- 1977، طرابلس ص 28 وما بعده

2- أنظر مرتاض، الجدل الثقافي، ص 92 3- المرجع نفسه، ص 92.

4- ولد محمد الطاه بضلاء بوادي الصومام سنة 1918' تتلمذ على يد والده الفقيه السعيد البهلولي ثم انتقل بعدها إلى العاصمة مع نهاية الثلاثينات وعلم في مدارس جمعية العلماء كما عمل مديرا لمدرسة الاصلاح تعرض للاعتقال والسجن لمواقفه الوطنية وبعد الاستقلال ساهم في كل ملتقيات الفكر الاسلامي أسس أول فرقة مسرحية عربية في الاذاعة إبان الاستعمار سماها فرقة المحطة العربية كما انجز حصة مسرح الهواة في الاذاعة الوطنية والتي بقيت زهاء نصف قرن له مؤلفات حول المسرح الجزائري ورجال النهضة والاصلاح توفي رحمه الله عن عمر يناهز 87سنة. أنظر سهم خرفي، الجزائر تودع عالما من علمائها المصلحين، أسبوعية السفير، عدد269، (23جمادى الثانية 1426هـ - 29 جويلية 2005) .

5- المرجع نفسه، ص 96

للمسرح البلدي بمدينة الجزائر كان يحارب بشدة كل من تسول له نفسه تقديم مسرحية ما في الجزائر بالفصحى وقد كان الأستاذ محمد الطاهر فضلاء يشتكي من بعض هذه الحرب التي كان يشنها عليه[1]

وكان للمثقفين الجزائريين أيضا صلات ثقافية مع إخوانهم المغاربة لا شك أن فائدتها عادت على الجميع فرغم الحواجز التي أقامها الاستعمار بين المغربين الأوسط والأقصى، وما زالت لأن هذا الاستعمار لم يرحل حتى ترك ذرائع بقائها ويبقى معها التشتت والضعف والاحتكام في ساعات الخلاف إليه، وتبقى مصالحة محفوظة ، فإن ذلك لم يحل دون حدوث تفاعل فكري وحضاري بينهما خاصة وإن عدد الجزائريين المستقرين بالمغرب وصل نهاية القرن التاسع عشر إلى عشرين ألف، خمسة آلاف منهم متمركز في فاس وحدها و غالبيتهم من أصول وهرانية وتلمسانية على وجه الخصوص، والتي لها علاقة وطيدة بفاس ولا يعدون في مجملهم أجانب في المجتمع المغربي، ويرى العروي أن من هؤلاء من كانت لهم حظوة لدى السلطان مولاى عبد العزيز وكانوا يمثلون الحداثة الأوروباوية، وهم في المغرب كالسوريين في مصر آنذاك[2].

ولعل من مظاهر الارتباط بين الشعبين المغربي والجزائري ما أثبته التهامي الوزاني عن أحد الجزائريين والذي سبق له أن كان ضابطا في الجيش العثماني ولأسباب معينة دخل المغرب واستقر في تطوان حيث طاب له المقام بما وجده من حسن معاملة وفتح دكانا هنالك لصناعة الأواني المعدنية وإصلاحها وكانت له شهرة في تلك المدينة ، إذ صار يقصده كثير من الأعيان يجتمعون في باب دكانه ليسمعوا منه ذكرياته عن الجهاد في صفوف الجيش العثماني وأخبارا عن الشرق والغرب وكان يعرف بالمعلم القسنطيني واسمه الحاج صالح ، توفي في أواسط العشرة الثالثة من القرن الرابع عشر الهجري[3]

كما نجد في زيارة الأستاذ عبد الهادي الشرايبي الفاسي للجزائر أثناء المشاركة في مؤتمر طلبة شمال افريقيا، تعزيزا للصلات بين القطرين والشعبين وتبادلا للنصائح والتوجيهات التي تخدم نهضة البلدين، فقد تمكن الأستاذ الشرايبي من زيارة بعض نوادي الشبان والتعرف على نخبة من الشبان الجزائريين[4].

1- مرتاض، نفسه، ص 96.

2-Abdallah. Laroui, Les origines sociales et culturels du nationalisme Marocain, (1830-1912) centre culturel arabe , Maroc pp. 206-2071

3- الصادق العماري، التواصل ووحدة المغرب العربي في أدب السيرة الذاتية المغربية الحديثة مجلة المستقبل العربي، عدد 194(1995) ص 58- 59

4- المرجع نفسه ، ص 59

كما قدر الملك محمد الخامس المغربي الدعم الأدبي له أثناء محنته ومحنة شعبه من قبل جمعية العلماء فكان لا يبخل عليها بالمساعدات المادية السخية لتتمكن من أداء مهامها في التوجيه والتوعية والتعليم[1]

ونجد في زيارة الشيخ أبي شعيب الدكالي إلى وهران في بداية القرن العشرين واستقباله من قبل الشيخ الطبيب المهاجي، مزيدا من تمتين الصلات، ومن دون شك أن هذا التوقف بمدينة وهران لمثل هذه الشخصية العلمية لا يمكن إلا أن يكون قد ترك آثارا طيبة في نفوس المهتمين [2] ، وفي زيارة الشيخ محمد إبراهيم الكتاني للجزائر سنة 1935م ومشاركته كملاحظ في أشهر مؤتمرات جمعية العلماء سنة 1935، وقد تملكه إعجاب كبير بهذه النهضة فقال فيها" أنه وجد يومئذ" أمام جهود جبارة وأعمال منظمة ومساع موفقة ورجال يعلمون تمام العلم عظم المسؤولية الملقاة على كواهلهم"[3]

7) عودة بعض المتعلمين الجزائريين إلى الوطن وجهود ابن باديس التربوية

بعد رحلة علم مضنية تحمل أصحابها الكثير من المتاعب ووجدوا في طريقهم الكثير من العقبات ، عادوا إلى وطنهم الجزائر، بعد أن نالوا مرادهم من العلم والمعرفة من أمهات الحواضر الدينية والعلمية في العالم الإسلامي كالقاهرة ودمشق، وتونس، فاس والحجاز وكان هؤلاء الأفراد المتنورين هم الطليعة التي نهضت بالجزائر نهضتها العربية الكبيرة في العشرينات والثلاثينات، ومن بين هؤلاء نذكر: الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي تخرج من الزيتونة سنة 1912 [4] والشيخ الطيب العقبي المتخرج من الحجاز والشيخ العربي التبسي المتخرج من جامع الأزهر بالقاهرة في أواخر العشرينات، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي تخرج من الحجاز وعاد إلى الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى.

وأن الفئة المتعلمة التي رجعت من الحجاز حسب الإبراهيمي بالهدي المحمدي الكامل قد تأثرت بالاصلاح تأثرا خاصا مستمدا قوته وحرارته من كلام الله وسنة رسوله مباشرة وبهذا العامل تلاحق وتكامل العدد واتسح للإصلاح الأمد واتضح عنه الصدد والنهج الجدد......

ونظرا للدور الهام الذي سيلعبه هؤلاء المتعلمون في إرساء دعائم النهضة الجزائرية الحديثة فإننا سنعطي تعريفا موجزا ومركزا لشخصياتهم، ونترك الجوانب الكثيرة المتصلة بإسهاماتهم في قضايا الخطاب النهضوي إلى فصول البحث الآتية:

1- المرجع نفسه، ص 63

2- مرتاض، الجدل الثقافي، ص 38

3- مرتاض، الجدل الثقافي، ص 44.

4 – اعتبر الباحث التونيسي عبد المولى ان عدد الطلبة الجزائريين بالزيتونة سنة 1935 يفوق خمسة اضعاف مجموع الطلبة المغاربة كلهم (تونسيين،جزائريين،مراكشيين) بجامعة باريس الذين كان عددهم يقدر ب142 في نفس السنة و حسبه فان الزيتونيين بالجزائر قد ساهموا في اضعاف تاثيرات المثقفين و المفرنسين انظر

MAHMOUD ABDEL MOULA .L'UNIVERSITE ZAYTOUNIENNE ET LA SOCIETE TUNISIENNE ; TUNIS 1974 P 130

أ- عودة بعض المتعلمين إلى الوطن: يمكن أن نتعرض لأبرزهم :

الشيخ الطيب العقبي[1]

الشيخ الطيب العقبي من بلدة سيدي عقبة، حصل على تكوين لغوي وديني قوي من الحجاز، وعاد إلى الجزائر في سنة 1920م، حيث انتصب مدرسا في مساجد بسكرة يدعوا الناس إلى ترك البدع

والخرافات وأعمال الدجل، ودعا الناس إلى السلفية والإسلام الصحيح، ولم يكن يجامل في سبيل قول كلمة الحق، وقد اتخذ من المسجد الوسيلة المباشرة للتعامل مع الجمهور الممزق بين مخالب الطرقية، وقد التف حوله جماعة من الشباب الذين اقتنعوا بدعوته الإصلاحية ومنهم الشاعر محمد العبد آل خليفة[2] وأحمد بن الدراجي والأمين(العمودي والشيخ خير الدين، والهادي السنوسي وأحمد بن العابد وغيرهم من المصلحين[3].

وكان أول نشاط إصلاحي له بمسجد سيدي منصور ببسكرة القديمة حيث أقبل الناس عليه من كل صوب ولم يتسع هذا المسجد فنقل الشيخ العقبي نشاطه إلى جامع بركات ولقد ضاق هو أيضا بالمصلين والحاضرين وانتقل إلى مسجد بكار بوسط بسكرة الجديدة ولم يقتصر الشيخ العقبي في دروسه على تعليم القرآن الكريم بل درس علوم الشريعة والعربية وآدابها وكانت دروسه يغلب عليها الطابع العقائدي ومن بين الكتب التي كان العقبي يستعين بها في تعليمه كتاب" كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب.[4]

ولم يكتف العقبي ببث دعوته بالمساجد فقط بل تعداها إلى المجالس والمناسبات وحتى الولائم جعلها مجالا لنشر أفكاره التجديدية والإصلاحية، فزادت وأقبلت عليه العامة من مناطق مختلفة كالأوراس وقسنطينة والزيبان[5] ولم يكن الشيخ العقبي يتقاضى في مقابل هذا العمل العلمي والتربوي أجرا ، يقول العقبي في هذا الصدد"....فإنني لكم بالاقراء والتدريس ونشر ما علمني ربي بينكم ضامن كفيل- وأعدكم- صادقا بأني سيكون ذلك مني لكم مجانا وبدون ثمن لأني غني عنكم لأسئلكم عن دين الله أجرا ولا أريد منكم جزاء ولا شكورا"[6]

1- ولد الشيخ الطيب العقبي يوم 15 جانفي 1890م ببلدة سيدي عقبة التي قضى فيها طفولته الأولى ، ثم هاجر مع عائلته إلى المشرق وعمره لا يزيد خمس سنوات واستقرت عائلته في المدينة المنورة وعمل أبوه على تعليمه وإدخاله إحدى الكتاتيب حيث حفظ القرآن الكريم على أيدي قراء مصريين" ثم درس علم التجويد،/ ودرس الشريعة والعلوم الإسلامية بالحرم النبوي الشريف على أيدي علماء أجلاء من أمثال: الشيخ محمد عبد الله زيدان الشنقيطي والشيخ الحبيب التونسي والشيخ حمدان لونيسي وقد تأثر وهو بالحجاز بالفكر الوهابي المحارب للبدع والدجل والخرافات وبع الحرب العالمية الأولى عاد العقبي إلى الجزائر سنة 1920، وشرع في إلقاء دروس الوعظ والإرشاد بالمساجد ويعد أحد المؤسسين لجمعية العلماء حارب الطرقية الضالة بقوة توفي رحمه الله سنة 1960 انظر فضلاء الشيخ الطيب العقبي، الثقافة عدد 66 ، 1981 ص 35 و ما بعدها.

2- ولد بعين البيضاء سنة 1904، توفي سنة 1997 ، شاعر جزائري كبير تعلم في جامع الزيتونة ثم عاد إلى الوطن حيث اسهم في الحركة الإصلاحية للمزيد ، أنظر ، حسن فتح الباب، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة الدار المصرية اللبنانية القاهرة ط 1 2002

3-أحمد مريوش، الطيب العقبي.......ص 22-.23

4- أحمد مريوش، الطيب العقبي...ص 23،24

5- المرجع نفسه، ص 24

6- أنظر الشهاب عدد 12، السنة الأولى 28 جانفي 1926.

الشيخ محمد البشير الابراهيمي[1]

بعد أن ملأ وطابه بالعلم بالمشرق العربي الدي شد رحاله اليه سنة 1911 ، رجع إلى الجزائر في بداية العشرينات، يحمل في مخيلته فكرة حركة تحيي الإسلام والعربية في الوطن وتنشر العلم وتبعث الأمة وأعجب بعد وصوله بالنتائج المثمرة التي حققها الشيخ ابن باديس، فأقام بمدينة سطيف وأنشأ بها مدرسة ومسجدا بعد أن رفض الوظيفة التي عرضت عليه من طرف السلطات الفرنسية، وتعاطى التجارة ليقوت عائلته وبقي على اتصال بابن باديس وخلال هذه الفترة تردد على تونس حيث كان يقيم أصهاره وحيث كانت له صدقات في الأوساط العلمية والأدبية.[2]

ويبدو واضحا من النداء الذي وجهه الشيخ المولود بن الصديق الأزهري إلى سكان سطيف في جريدة النجاح سنة 1924م بوجوب الالتحاق بحلقات الدرس للابراهيمي، أن البيئة الاجتماعية كان يغلب عليها الجهل والعزوف عن العلم والزهد فيه، وأن دروس المعلمين التي كانت موجودة في مساجد الوقف والتي كانت يغلب عليها الصبغة الرسمية والموجهة من قبل السلطات الاستعمارية لم تكن كافية ولا مستقطبة لجمهور الناس الذين كانوا يترددون على المساجد"....أحب الناس الدينار و الدرهم وعدلوا عن الفضيلة وانحرفوا عن الكمال العلمي ومالوا عن محاسن الدين حتى أصبحوا والحق يقال همجا لا من هؤلاء ولا من هؤلاء، فلو سلكوا سبيل العلم الصحيح وولجوا بيوت الأدب لنالوا الميزتين، المال في الدنيـــــا (وهو معشوقهم الأول) والنجاة في الآخرة وهي السعادة العظمى..."[3]و حتى يحفز الناس على التعليم والتثقف ضرب الأمثلة بالأمم الغربية التي قطعت أشواطا كبيرة في مجال التطور والرقي وما كان لها أن تحقق ذلك لولا اهتمامها بالعلم والتعليم"....فمن كان يشك في هذا فلينظر بعين التأمل والتبصر إلى الأوروبيين لما شيدوا من المدارس شتى واتخذوا منها حلا من العلوم المدنية المعاشة، كيف انقادت لهم الآمال وكيف انبسط لهم النفوذ في عموم البسيطة وكيف سخروا

1- ولد بقرية" رأس الوادي" بنواحي سطيف في يوم 14 جوان 1889م في بيت اسس على التقوى من بيوتات العلم والدين، أتم حفظ القرآن الكريم على يد عمه الشيخ المكي الابراهيمي الذي اكتشف مواهبه وكان له الفضل الأكبر في تربيته وتكوينه حتى جعل منه ساعده الأيمن في تعليم الطلبة ، درس في الحجاز على كبار العلماء الوافدين من كل أنحاء العالم الإسلامي، كما حضر بعض دروس العلم في الأزهر أثناء مروره بمصر وفي المدينة المنورة التقى بابن باديس سنة 1913م وما من شك في أن تلك اللقاءات شهدت فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين، درس سنة 1913م بدمشق الآداب بالمدرسة السلطانية، وفي 1920 عاد إلى الوطن حيث كرس كل جهوده لخدمة الدين والوطن، مساهما في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م ، كما شارك في كل النشاطات الوطنية وعندما توفي الشيخ ابن باديس سنة 1940 صار الشيخ الابراهيمي رئيس لجمعية العلماء، توفي رحمه الله بمدينة الجزائر سنة 1965م، للمزيد عنه انظر مجلة الثقافة ، عدد 87، مايو 1985، عدد حاص بشخصية الابراهمي لمجموعة من الكتاب.

2- مقدمة د/ أحمد طالب الإبراهيمي آثار محمد البشير الإبراهيمي، الجزء 1، دار الغرب الإسلامي، ط(1) 1997، ص 10

3- المولود بن الصديق الأزهري، كتاب مفتوح إلى أهالي سطيف النجاح 1924/11/14

غيرهم من البعيدين عن العلم، وكيف قضوا على زمام الأسواق المالية وراء البحار....وكيف وكيف، كل ذلك بوسيلة العلم الشريف تعلما وتعليما، حث على الناس على وجوب التعلم. والإسراع إلى ذلك حتى تقوم النفوس المعوجة وتتهذب الأخلاق."....نزل بداركم حضرة العلامة الأستاذ الشيخ البشير الإبراهيمي بقصد نشر لواء العلم بربوعكم، وتهذيب الأخلاق ، وإصلاح ما فسد وإقامة ما اعوج من النفوس وتنبيه العامة.."(1)

وأثناء إقامة الإبراهيمي بمدينة سطيف في بداية العشرينات بدأت خطة الإصلاح التي رسمها الإبراهيمي مع ابن باديس في الحجاز سنة 1911 تتجسد ميدانيا وبخطى ثابتة ومؤكدة من خلال اللقاءات والزيارات المتبادلة ، ففي سنة 1924م زار ابن باديس الإبراهيمي بسطيف وأوحى إليه بفكرة إنشاء جمعية العلماء تحت اسم " الإخاء العلمي" يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة(العاصمة العلمية) تجمع شمل العلماء والطلبة وتوجد جهودهم وشرح ابن باديس للإبراهيمي غاية هذه الجمعية ونتائجها وطلب منه أن يضع لها دستورا(2)

وهكذا تكون عملية التحول الكبرى في عالم النهضة والإصلاح والتجديد، حيث ابتداء من سنة 1925م تتم عملية الانتقال من المجهود الإصلاحي الفردي إلى عملية الإصلاح الجماعية.

الشيخ العربي التبسي(3)

هو أبو القاسم العربي التبسي يعتبر من كبار علماء الإصلاح بالجزائر، درس بجامع الزيتونة ثم بالأزهر بمصر، وابتداء من عام 1927 عاد إلى أرض الوطن بعد أن تحصل على ثقافة عالية أهلته إلى اقتحام عالم التربية والتعليم من أبوابها الواسعة، فانتصب مدرسا بمدينة تبسة، حيث اتسم عمله التربوي بالروح الإصلاحية(4)

وقد لاقت حركته التربوية قبولا واستحسانا كبيرين من الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة كما اهتم بتقديم دروس في الوعظ والإرشاد ومحاربة البدع والخرافات فالتف حوله جموع من طلبة العلم كان عددهم يزداد يوما بعد يوم غير أن الإدارة الاستعمارية ورجالها من الطرقيين كانوا يقفون ضده،

1- المولود بن الصديق الأزهري، المصدر السابق.

2- سجل مؤتمر العلماء المسلمين الجزائريين....ص 46-47

3- ولد عام 1895 في عائلة فقيرة ببلدة أسطح الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة تبسة، حيث حرصت عائلته على تنشئته نشأة إسلامية ، تلقى تعليمه الأول على يد والده، ثم درس بزاوية سيدي ناجي الرحمانية ، ثم التحق بزاوية نفطة حيث أكب على دراسة العلوم الشرعية والأدبية لمدة 3 سنوات وبعدها بالزيتونة والأزهر كما ذكرنا ، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصبح رئيسها الفعلي بعد انتقال الإبراهيمي إلى المشرق، شارك في الثورة المسلحة ظ، واستشهد سنة 1957م، للمزيد عنه أنظر : دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، جزء 1مطبعة البعث ، قسنطينة 1976 ص37 وما بعدها.

4-Ali Merad, le réformisme Musulmane en Algérie p 102

ويحاصرون نشاطه الإصلاحي والتهذيبي.[1]

الشيخ مبارك الميلي[2]

يعد من أركان النهضة الجزائرية الحديثة تعلم على يد الشيخ محمد الميلي بمدينة مدينة ثم انتقل إلى دينة قسنطينة 1919م حيث تعلم على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي لمس فيه الذكاء والفضيلة فوجهه للدراسة بتونس حيث أكمل دراسته بجامع الزيتونة وعاد إلى الوطن سنة 1922م-1341هـ، فحلّ بقسنطينة حيث استعان به ابن باديس شهورا في معهده، وتحت إلحاح الأغواطيين سمح له الشيخ عبد الحميد بن باديس فانتقل الشيخ مبارك الميلي إلى الاغواط في آخر سنة 1342هـ/1923م، حيث ابتدأ جهاده التربوي والإصلاحي بها[3] على خطى الأستاذ محمد السعيد الزاهري[4] الذي أتم هو الآخر دراسته بالزيتونة وظهرت شخصيته الأدبية واقتداره على التعليم فأرسله الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي[5] للتدريس في المدرسة التي بناها بالأغواط في سنة 1922م، حيث ابتدأ التدريس بها فنجح نجاحا كبيرا وكثر الإقبال على المدرسة حيث كان يدرس الأدب والحديث[6]

ومن خلال المجهود الذي بذله الزاهري يظهر أن الطريق أمام الميلي صارت معبدة والنفوس مهيئة، وواصل على درب من سبقه العمل وزاد في التاريخ مع الإسلامي في تاريخ الجزائر، ولعل تدريس الميلي لتاريخ الجزائر في مدرسته هو الذي لفتت انتباهه إلى عدم وجود كتاب عربي في تاريخ الجزائر الجزائر يليق مرجعا للمدرسين فجد في تأليفه كتابه[7] وكان يعتني كل الاعتناء بالتربية الدينية وكان يمزج كل دروسه بالوعظ وبكل ما يغرس حب الدين والعربية و الأخلاق الإسلامية في تلاميذه[8]

1- دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء2.....ص 24

2- هو مبارك بن محمد بن رابح بن علي الابراهيمي، لقبه ولقب أسرته، ولد في الميلية سنة 1316هـ-1898م تعلم في صباه القرآن الكريم والكثير من المسائل الفقهية ، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين. عين أمن مالها عمل طيلة حياته لنصرة قضايا دينه ووطنه توفي رمه الله سنة 1945، للمزيد أنظر دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج3، المطبعة العربية، 1969.

3- دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية الجزائر ط(1) 1965 ص 262

4- ولد سنة 1899 في ليانة قرب بسكرة وفيها حفظ القرآن الكريم واستكمل دراسته الابتدائية على مشايخ الأسرة......ومنها انتقل إلى قسنطينة ليتتلمذ على يد زعيم النهضة الوطنية في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس ثم التحق بجامع الزيتونة وتخرج منه بشهادة التقويم" العالمية ثم عاد إلى الوطن واشتغل معلما في المدارس الحرة بجمعية العلماء ، وتنقل بين الأغواط جنوبا وتلمسان غربا والجزائر العاصمة شمالا، كان من المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين استعمل المقال والقصيدة في الدفاع عن الحركة الإصلاحية والوطنية ، وفي سنة 1957 للمزيد عنه أنظرد/ صالح خرفي، محمد السعيد الزاهري ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986

5- من الرجال المدعمين للحركة الاصلاحية في الجنوب الجزائري. ولد بسوف سنة 1898وتوفي سنة 1962، أنظر أحمد صاري، عبد العزيز بن الهاشمي والإصلاح، المجلة التاريخية المغربية، العددان، 99 – 100، مايو، 2000، ص 563.

6- دبوز، نهضة الجزائر، الجزء3.....ص 255-256

7- يقصد كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث

8- دبوز، نهضة الجزائر ، جزء 3، ص 265.

كما كانت للشيخ الميلي دروس وعظية بالجامع العتيق بالأغواط للرجال والنساء، حيث كان الجامع يمتلئ بالناس على سعته كما يقول دبوز[1]

ولأن البيئة الاجتماعية كانت تقريبا في قبضة الفكر الطرقي الجامد فقد كان الميلي في دروسه يشرح أمراض المجتمع فبين آفاتها وويلاتها.على أصحابها وكان يهاجم الإلحاد والبدع التي ألصقت بالدين فقتلت المسلمين ويهاجم ضلالات الطرقيين الضالين (كزردات) القبور وحفلات مواليد مشائخ الطرقيين، واعتقاد العامة في الشيخ وطريقته، ما ينافي الدين وغير ذلك من المفاسد الخلقية ، فكانت لهذه الدروس نتائج طيبة وعظيمة حيث شاعت الثقافة وحب العربية والدين عند الناس.، وكان جلهم مرتبطين بالطرق الصوفية العديدة التي توجد في بلدهم فتطهرت عقائد الناس، وتفتحت وعرفوا دين الله الحق فتمسكوا به ونبذوا مناكر الطرقيين وأفعالهم الضالة المضللة وصار شباب الأغواط من الحزب الإصلاحي[2]

وكان الشيخ الميلي يتفقد مدينة بوسعادة مرة في الشهر فيلقي دروس وعظه بها حتى نهضت من كبوتها وصارت من أحسن البلاد الجزائرية في العناية بالدين والعربية[3]

الشيخ خير الدين[4]

من نواحي بسكرة يعد من المساهمين والداعمين ماديا ومعنويا للنهضة الجزائرية الحديثة، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه ثم حلّ بمدينة قسنطينة سنة 1916 حيث أخذ الدروس الدينية والعربية على يد الشيخ الطاهر بن زقوطة بمسجد الأربعين شريفا، وأمضى عامين في تحصيل هذه العلوم[5] وبعدها......وجهه شطر تونس الخضراء حيث التحق بالجامع الأزهر سنة 1918 الذي قضى فيه سبع سنوات منكبا على تحصيل العلم ، توج على إثرها بشهادة " التطويع" سنة 1925م[6]، حيث عاد بعدها مباشرة إلى الجزائر وانخرط في العمل الإصلاحي مدرسا في المسجد الجامع بفرفار الذي اتخذه مركزه لنشاطه حيث ألقى فيه على الناس دروسه في الوعظ والإرشاد وتفسير القرآن الكريم وشرح المسائل الفقهية ودروس في العلوم العربية والدينية للتلاميذ، وزيادة على هذا النشاط التعليمي كان الشيخ خير

1- المصدر نفسه، ص 266

2- دبوز،المصدر نفسه، جزء 3، ص 268

3- المصدر نفسه، ص 269

4- ولد الشيخ خير الدين بن حمداني جملين والحاجة الزهراء بنت المغربي في شهر ديسمبر 1902م، اهتم والده بتربيته تربية دينية، حيث حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، ثم أكمل دراسته العليا، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وساهم في الثورة المسلحة، توفي رحمه الله سنة 1993، للمزيد أنظر ، الشيخ خير الدين ، مذكرات، جزئين ، المؤسسة الوطنية للكتاب.

5- خير الدين، مذكرات، الجزء 1، ص 74

6- خير الدين،مذكرات...الجزء 1، ص 77

الدين يقيم الجمعة في مسجد فرفار وإلقاء الخطب فيه دفاعا عن السنة الصحيحة وردءا على المبتدعين حتى أصبح أهل القرية (فرفار) من اتباع السنة ولم يعد للمبتدعين فيها مكان بعد أن انتشرت حركة الإصلاح فيها.[1]

الأستاذ أحمد توفيق المدني[2]

من رعيل المصلحين الأوائل نال قسطا وافرا من العلوم بجامع الزيتونة المعمور والمدرسة الخلدونية التي تعد تكملة للدراسة الزيتونية وأظهر خلال هذه الفترة قدرة فائقة على تحرير المقاالات الوطنية والسياسية والاجتماعية نشرها في جريدة الفاروق الجزائرية[3] كما انخرط في مطلع العشرينات في الحزب الحر الدستوري التونسي، وأظهر قدرات فائقة في العمل السياسي فتوجست السلطات الاستعمارية خيفة منه، فعمدت إلى طرده من تونس إلى الجزائر سنة 1925م[4] فلم يفت ذلك في عضده حيث أسهم بشكل فعال في نهضة الجزائر الحديثة بلسانه وقلمه، وهذا ما يتجلى في نشاطاته الكثيرة من خلال قنوات ومؤسسات النهضة الجزائرية الحديثة.

الشيخ أبو اليقظان[5]

هو الحاج ابراهيم بن عيسى بن يحي أما كنيته أبو اليقظان فاقتبسها الشيخ من الامام ابي اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الرحمن بن رستم، الذي كان معجبا بشخصيته وعدله وعلو همته كرجل علم ودولة، فتلقب به[6]، التحق بكتاب القرارة وبدأ بحفظ القرآن الكريم ثم التحق بمعهد الشيخ الحاج عمر بن يحي لإتمام حفظ القرآن الكريم والمتون، وأخذ دروسا في النحو والعقيدة والفقه، الأخلاق، التربية، علم

1- الشيخ خير الدين، مذكرات ......الجزء 1،ص 86 وما بعدها

2- ولد بتونس سنة 1899م من عائلة جزائرية ، ذو ثقافة واسعة ولا سيما في التاريخ والحضارة ، عرف منذ نضاله الوطني ونشاطه السياسي ضمن الجمعيات الوطنية ، يعد من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين ومن مؤسسي نادي الترقي بالجزائر، شارك في تحرير صحف جمعية العلماء وشارك في الثورة المسلحة وتقلد مسؤوليات فيها، غزير الإنتاج من أشهر مؤلفاته كتاب الجزائر هذه هي الجزائر، المسلمون في جزيرة صقلية ، للمزيد عنه أنظر، توفيق المدني، حياة وكفاح 3 أجزاء.

3- أنظر حياة كفاح الجزء 1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ص 62، وما بعدها.

4- حياة وكفاح، الجزء 1....ص 173 وما بعدها.

5- أبو اليقظان ابراهيم الحاج عيسى(1888-1973) ولد بالقرارة وتعلم بكتابها جاهد في سبيل الدين والوطن، تثقف ثقافة واسعة ، كان من أبرز الصحفيين نضال وثورة على الاستعمار أصدر ثماني جرائد فيما بين 1926-1939م أسقطها الاستعمار الواحدة تلوى الأخرى كان من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، له مؤلفات عديدة في الفقه والتاريخ والتراجم نذكر منها : سلم الاستقامة في 7 أجزاء في الفقه وسليمان الباروني في جزءين ، ديوان لأبي اليقظان ، توفي رحمه الله سنة 1973 للمزيد عنه ، أنظر :د/ محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة.

6- أحمد محمد فرصوص، أبو اليقظان ابراهيم كما عرفته دار البعث، قسنطينة 1991، ص 15

النفس السيرة، تاريخ الصحابة، كما تلقى العلم والمعرفة على يد الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش في معهده[1] وفي عام 1913م 1313هـ التحق بجامع الزيتونة بتونس، حيث زاول تعليمه العالي، كما انخرط في المدرسة الخلدونية في دروس مسائية في الرياضيات واللغة الفرنسية والإنشاء والتاريخ والجغرافيا وتاريخ الإنسان الطبيعي والحساب والهندسة والطبيعة والكيمياء[2]

كما انكب على مطالعة العديد من الكتب التي تأثر بها وتركت في نفسه آثارا عميقة، وتعاطى السياسة بانخراطه في الحزب الحر الدستوري التونسي فتعلم فيه النشاط السياسي والتوجه الوطني[3] ساهم في الصحافة الجزائرية والتونسية في بداية العشرينات[4]

وفي سنة 1925 م عاد أبو اليقظان إلى أرض الوطن حيث اضطلع بدور كبير في تجسيد الخطاب النهضوي ميدانيا من خلال الصحافة التي كانت الوسيلة الأساسية عنده في هذا المجال.

ب- مجهود ابن باديس التربوية:

عندما أنهى الشيخ عبد الحميد ابن باديس[5] دراسته العليا بالزيتونة ، درس بها سنة كما جرت عليه تقاليد في الزيتونة ثم قفل راجعا إلى بلده الذي تركه يغط في سبات نوم عميق، وشرع مباشرة في سنة 1913م، في العمل التربوي القاعدي ، حيث رأى فيه الأرضية الصلبة التي ستقوم عليها دعائم النهضة الجزائرية الحديثة.

وكانت فلسفة ابن باديس التربوية تهدف إلى تكوين جيل وأجيال مسلحة بعقيدة سليمة وفكر نير ووطنية صحيحة كي تعمل على بعث النهضة في المجتمع الجزائري لأن مقصده البعيد هو تفسير الواقع الجزائري بكل خموله وسلبياته.[6]

1- محمد ناصر بوحجام، أبو اليقظان في الدوريات العربية، المطبعة العربية غرداية 1985 ص 107

2- المرجع نفسه، ص 45

3- المرجع نفسه، ص 56

4- نشر مقالات في الصحف التونسية مثل : الوزير

5- ولد الشيخ عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة سنة 1889م بن مصطفى بن المكي بن باديس ينحدر من عائلة مشهورة بالعلم والثراء، وفي الثالث عشر من عمره حفظ القرآن الكريم، التحق بجامع الزيتونة سنة 1908م، وتخرج منه سنة 1911 ، جاهد بلسانه وقلمه من أجل النهوض بالجزائر، انتخب رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائيين عام 1931م، ساهم في كل النشاطات والتظاهرات الوطنية، توفي رحمه الله سنة 1940م ، للمزيد عنه أنظر، الأستاذ تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

6- تركي عبد الحميد بن باديس، نشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر ، الأصالة عدد 24(1975) ص 87

ونظرا لإجراءات الإدارة الاستعمارية القامعة[1] لكل صوت إصلاحي ناشئ فقد عرف ابن باديس كيف يتجاوز ذلك ، مستغلا جاه والده الذي سعى له لدى الحكومة فحصل له على رخصة التدريس القانونية من دار الولاية[2] ولإخفاء نواياه الحقيقية عن السلطة وعيونها، تعمد ابن باديس الظهور بمظهر الشيوخ التقليديين في بداية مشواره الإسلامي المسجدي وتحاشى القيام بأي عمل سياسي يمكن أن يستفز الخصوم[3]

ومكنته نشأته الوطنية ، والاحتكاك بالواقع من تجنب الارتجال والتهريج في السياسة، وأن يتظاهر أول الأمر بالعزوف عنها، ولذلك لم يكن يبدو للرأي العام القسنطيني في السنوات العشر الأولى عن عمله التربوي سوى معلما من عائلة محترمة[4]

شرع ابن باديس في التدريس بالجامع الأخضر[5] مع بداية شهر أفريل سنة 1914م مفتتحا بذلك حياته في ميادين التعليم الحر[6] وقبل ذلك كان يعطي دروسه العامة في الجامع الكبير بعد عودته من تونس مبتدءا التدريس بكتاب" الشفا" بتعريف حقوق المصطفى " للقاضي عياض"[7]

اهتم ابن باديس بالتعليم المسجدي إعدادا وتنظيما ورأى فيه الوسيلة الناجعة لتنوير أكبر عدد من المؤمنين بالدين والعلم معا، ويشجع الطلاب الوافدين من جميع نواحي القطر للأخذ من حلقاته، زيادة على عنايته الفائقة بتعليم صغار الكتاتيب القرآنية حيث خصص لهم خارج المواقيت العادية للكتاتيب دروسا إضافية صباحية مسائية ، فكان ذلك على حد قوله:" أول عهد الناس بتعليم الصغار"[8] وأنه لأمر مؤكد أن حصيلة تكوين ابن باديس الزيتوني زيادة على

1- منع الشيخ عبد الحميد ابن باديس بعد رجوعه من الحج إلى قسنطينة من إلقاء الدروس التعليمية بالمسجد الكبير، وحاولت إدارة الاحتلال إغراءه بوظيفة حكومية في السلك الديني لاتجاهه والحد من نشاطه ولكن لم تفلح في مسعاها فابن باديس لم ينس نصيحة أستاذه لونيسي الذي حثه على الابتعاد من الوظيف الحكومي الذي هو قيد للمصلح، أنظر حمزة بوكوشة ، مع ابن باديس في ذكراه مجلة المعرفة أفريل 1964 ، ص 13

2- طالبي، آثاره، الجزء4، ص 37

3- علواش، حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية ، رسالة ماجستير مخطوطة، 1984، ص 80

4-Ali merad , Ibn Badis…p 32

5- من مساجد العثمانيين تم بناؤها من قبل الباي حسن الملقب "أبو الحنك" الذي تولى حكم قسنطينة من 1150هـ إلى 1168هـ الموافق لـ 1743/1754م حيث تم بناء المسجد عام 1157هـ/1743م كما تدل عليه كتابة الرخامة المثبتة فوق.سنة التدريس العلامة ابن باديس للمزيد أنظر" شغيب" أم الحواضر ص 243 وطالبي ، آثاره جـ 3 ص 190

6- merad , Op cit…p 32-

7- طالبي آثاره، الجزء 3، ص 190

8- طالبي ، آثاره، الجزء 3 ص 268

تـأثره بطريقـة عبـده العصـرية فـي التعليم جعلـت مجالسـه التعليميـة" مجـالس التـذكير" قبلـة طـلاب العلـم يقصدونها من كل فج عميق يجدون ضـالتهم فيهـا، وقـد وصـل عـدد الـذين يحضـرون دروسـه فـي الجـامع الأخضر كل ليلة نحو الألفين على حد تقدير ابن باديس نفسه[1]

ولقد كانت نجاحات ابن باديس في حقل التعليم بقسنطينة والتشجعيات التي تلقاها من جهات كثيرة (تونس- مراكش) قد أعطته الثقة في نفسه وحفزته على نشر أفكاره الدينية في محيط الإصلاح.[2]

وهكذا ما كانت تنقضي مدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذه ابن باديس مستكمل الأدوات من فكرة صحيحة وعقول نيرة، ونفوس طامحة وعزائم صادقة، وألسن صقيلة وأقلام كاتبة ، وتلك الكتائب الأولى من تلاميذ ابن باديس هي طلائع العهد الجديد الزاهر، وقد سمع الناس لأول مرة في الجزائر من بعض تلك البلابل شعرا يؤدي معنى الشعر كاملا وقرأوا كتابة تؤدي معنى الكتابة.

وهكذا ما كانت تنقضي مدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذه ابن باديس مستكمل الأدوات من فكر صحيح و عقول نيرة، ونفوس طامحة وعزائم صادقة، وألسن صقيلة وأقلام كاتبة ، وتلك الكتائب الأولى من تلاميذ ابن باديس هي طلائع العهد الجديد الزاهر، وقد سمع الناس لأول مرة في الجزائر من بعض تلك البلابل شعرا يؤدي معنى الشعر كاملا وقرءوا كتابه تؤدي معنى الكتابة..

ومن أولئك التلاميذ زحفت أيضا كتيبة جرارة سلاحها الفكرة الحية الصحيحة، إلى جامع الزيتونة لتكمل معلوماتها وتتبنى على تلك الفكرة الحية وعلى ذلك الأساس العلمي الصحيح بناء علميا ومحكما ورجعت تلك الطائفة إلى الجزائر فكان من مجموعها وما تخرج بعدها من تلاميذ الأستاذ ومن تلاميذ جامع الزيتونة جنود الإصلاح اليوم وقادته و العربية المرفرفة وأسلحه النافذة.

الخلاصة :

لم يكن الخطاب النهضوي في الجزائر وليد عشية أو ضحاها بقدر ما كان عملية تحول بطيئة في المجتمع، حيث كانت نتيجة لتفاعل جملة من العوامل الداخلية المتمثلة في جهود الرواد المصلحين الذين ساهموا بإمكاناتهم المتواضعة في بث الوعي الديني والوطني في البلاد هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت العوامل الخارجية المتمثلة في يقظة العالم الإسلامي من روافد هامة تنضاف إلى العوامل الداخلية المحلية ساهمت بقسط وافر في زعزعة الجمود، وإحياء النفوس وتوعيتها بواقعها ودفعها بالتالي إلى العمل على تجاوز حالة التخلف والانحطاط، و نشدان الرقي والازدهار للمجتمع.

1- طالبي ، آثاره، الجزء 3 ص 194

2-Ali merad , Op cit…p 63

الفصل الثانـي

وسائل الخطاب النهضوي و بنيته التنظيمية

تـــــــمهيــــد

1- ا **معيات** و المؤسسات التنظيمية

2- **ا ساجد**

3- المـ ـ ـ ـدارس

4- الصحـ ـ ـ ـ ـ ـافة

5- المطابع و دور النشر

6- النوادي الثقافية و الفنية

خـ ـ ـ ـ ـ ـ ـلاصة

تـــــــمهيـــد:

ابتداءا منتصف العشرينات من القرن العشرين ظهرت في الجزائر الكثير من المؤسسات الدينية و التربوية و الثقافية و الإجتماعية التي نهضت بالمجتمع الذي كان قد انحط إلى دركات سفلى و ذلك كرد فعل مضاد للخطة الإستعمارية موجه لمحاصرة الآثار المدمرة لهذه الخطة الجهنمية بهدف إعادة بنية المجتمع الجزائري الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية، هذه البنية التي تعرضت للتحطيم و التدمير و المحو من قبل الإدارة الإستعمارية الفرنسية حيث جعلت الحركة الإصلاحية الجزائرية تتميز منذ بدايتها بكونها كانت تتصل بالقضايا السياسية و المسائل الإقتصادية[1] زيادة على القضايا الدينية و الثقافية للمجتمع الجزائري.

و ظهر حماس شعبي منقطع النظير لإقامة المشاريع الوطنية، حيث سعى المخلصون من أبناء هذه الأمة، وطنيين و متنورين و محسنين. لبناء المساجد الحرة و المدارس العربية الحرة، و تأسيس الصحف و المجلات. و النوادي و الجمعيات الثقافية و الدينية و الفنية. لتكون وسائل و قنوات لتمرير الخطاب النهضوي للشعب الجزائري الذي كان في غالبيته محروما من قبل من هذه المؤسسات الوطنية الحرة التي صار يجد فيها تاريخه. و قيمه الدينية. و يتعلم فيها لغته الوطنية و ثقافته العربية الإسلامية.

و لعل من أهم الوسائل و القنوات التي تأسست من أجل بعث النهضة الجزائرية، الجمعيات، المساجد، المدارس، النوادي و الصحف و المطابع.

1)- الجمعيات و المؤسسات التنظيمية:

و تشكل القاعدة الصلبة التي قام عليها البناء النهضوي و منها كذلك خرجت تقريبا باقي وسائل العمل الوطني و لذلك ارتأينا أن نبدأ بالحديث عنها ثم ننتقل إلى التعريف بباقي المؤسسات الأخرى.

ترجع بداية اهتمامات الجزائريين بالجمعيات الثقافية و الدينية و الإجتماعية إلى مطلع القرن العشرين عندما أصدرت فرنسا مرسوما بالجريدة الرسمية سنة 1901م [2] يسمح بتأسيس الجمعيات غير السياسية حيث اغتنم الجزائريون الفرصة، و راحوا يعمل جهدا مكانهم لتأسيس النوادي و الجمعيات الثقافية، لتنوير المجتمع و الأخذ بيده للخروج من دائرة الجهل و التخلف و الإنحطاط. و من أبرز هذه الجمعيات الثقافية، التي ظهرت في الربع الأول من القرن العشرين: الجمعية الرشيدية، الجمعية التوفيقية، نادي صالح باي، دار الجماعة بميزاب، نادي الإقبال بجيجل، نادي الشباب بتلمسان، الجمعية الصديقية بتبسة، جمعية الأخوة الجزائرية، جمعية ودادية تلاميذ شمال إفريقيا.[3]

1- د/ ناصر الدين سعيدوني، الحركة الإصلاحية الجزائرية في مواجهة العوائق الداخلية و التحديات الخارجية.

2- أنظر د/ سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي جزء 5 ص .314

3- أنظر عن هذه الجمعيات و النوادي الثقافية د/ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. الجزء 5، و أيضا عبد المجيد بن عدة. مظاهر الإصلاح الديني و الإجتماعي و الثقافي من خلال جهود الرواد المصلحين. رسالة ماجستير. مخطوطة جامعة الجزائر 1993، ص 127 و ما بعدها.

رغم التأثير المتواضع للنوادي و الجمعيات الثقافية في إرساء دعائم النهضة الجزائرية. إلاّ أنها تمكنت بفضل نشاطاتها المتنوعة من لفت انتباه الجزائريين إلى أهمية العمل الجماعي الوحدوي، و كـــذا إدراك قيمة التنظيمات الخيرية و الدينية و الثقافية في النهوض بالمجتمع و الرفع من مستوى بنيته الذهنية و الفكرية، و لعل في إشادة " الشهاب " بمجهودات نادي صالح باي في بدايات تأسيسه ما يؤكد على ذلك "..نادي صالح باي الذي نعتبره نواة الإصلاح لمجتمعنا الصناعي و الإقتصادي لو دام سائرا على الخطط و المبادىء التي أسس عليها، و لكن أغراض الدخلاء المفسدين زحزحته حتى نسفته."(1)

و لعل من أهم و أبرز الجمعيات الدينية و التربوية التي أسست في الجزائر و كان لها التأثير الكبير و المباشر في تأسيس البناء النهضوي الجزائري هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان لها أبلغ التأثير في تفعيل المشهد الإجتماعي و الثقافي و التربوي و السياسي فكيف ظهرت و ما هي أهدافها و مقاصدها يا ترى؟.

أ- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

تأسست جمعية العلماء يوم الخامس من ماي سنة 1931 بعد الإحتفال القرني الضخم الصارخ ببضعة شهور، الذي أقامه الفرنسيون بمناسبة مرور قرن على احتلالهم للجزائر[2] في ظروف اشتدت فيها وطأة الإستعمار الإستطاني في البلاد، و كثر فيها الضغط على الشخصية الجزائرية في جميع مقوماتها حتى كادت تذوب و تتلاشى [3]. و قبل ذلك كان هذا المشروع قد تخمر في الأذهان و نضج، و صار قادرا على أن يؤتى أكله كل حين. حيث أوحى الشيخ ابن باديس إلى الشيخ الإبراهيمي بفكرة إنشاء جمعية للعلماء تحت اسم " الإخاء العلمي " أثناء زيارته له بسطيف سنة 1924 [4]يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة (العاصمة العلمية) تجمع شمل العلماء و الطلبة و توجه جهودهم.[4] ثم تدعم بظهور الشهاب، و نادي الترقي، و جريدة الإصلاح و من ثمة لا غرابة بعد أن ذللت كل الصعاب و تهيأت كل الأسباب أن يكون تأسيس جمعية العلماء بتلك السهولة فالسر في ذلك يرجع إلى استعداد الأمة الجزائرية لظهور هذا المشروع العظيم فيها حيث " انقادت إليه بشعرة و انجرت إلى بناء صرحه بنملة، و علمت مما أجمعناه لك من مراحل هذا

1- أنظر الشهاب. الجزء 12. المجلد 10 سنة 1934. ص 574.

2- تم التصريح بتأسيس جمعية العلماء لعمالة الجزائر في 22 ماي 1931 بهدف محاربة الآفات الإجتماعية وكل مالا يتوافق مع تعاليم الإسلام. أنظر: Claude Collot, Jean Robert Henry, le mouvement national Algerien, o p u, Alger, 1978, p. 47.

3- حيث نصب الفرنسيون أيام الإحتفالات تمثالا رمزيا للمهندس بوتان في دالي ابراهيم و كتبوا عليه ما معناه: اعتراف بالجميل إلى بوتان رجل الهندسة البحرية، الرجل الذي جعلنا نتمكن من الإنتقام لشرق أوربا. و للإنسانية جمعاء، من مدينة الجزائر و التي تمكنا بفضله من جعل الجزائر فرنسية إلى الأبد. كانوا يحتفلون بملابسهم العسكرية التي لبسها أجدادهم المحليين في 1830، و على ايقاع موسيقاها و صرفوا حوالي 130 مليون فرنك في هذه الإحتفالات أنظر بوصفصاف، جمعية العلماء ص 89-90 نقلا عن النجاح 13 جوان 1930.

4- الأستاذ محمد الصالح رمضان، جمعية العلماء و دورها العقائدي و الإجتماعي و الأخلاقي؛ مجلة الثقافة عدد 83 (1984)، ص.358

5- الأستاذ بوصفصاف، جمعية العلماء، ص 76.

المشروع أن الشعور به كان من نصيب طبقات مخصوصة و هـم المتأثرون بالإصلاح، و في ناحية محدودة من القطر و هي إقليم قسنطينة ثم تغلغل في الأقاليم الثلاثة في بضعة أعوام و تحول التفكير في مكان التأسيس من قسنطينة التي هي جناح الجزائر التي هي القلب، و معنى هذا كله أن الأمة الجزائرية تيقنت من سفه الأيدي التي كانت تقودها باسم الدين فصممت على التفلت منها. و القاء المقادة على أيدي العلماء لتبدأ السير في نهضتها على هدي و بصيرة فقالت للعلماء، فاجتمعوا..."[1] ففي شهر فيفري من عام 1931م نشرت الشهاب نداء إلى كافة أبناء الشعب الجزائري يتعلق بمن يوفق في تأسيس جمعية العلماء، و كان عنوان ذلك النداء " هل من حازم يوفق لتأسيس جمعية العلماء فينال جائزة مع تخليد ذكراه."[2]

و باكتمال كل الشروط الموضوعية انعقد بنادي الترقي بالعاصمة المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 17 ذي الحجة الحرام 1349 هـ الموافق لـ 5 مايو 1931م و قد حظر اثنانو سبعون عالما من علماء القطر الجزائري و طلبة العلم فيه إجابة لدعوة لجنة تأسيسه[3] و كان الغرض المتوخى من ذلك تأسيس " جمعية العلماء المسلمين "[4] .

و قد تولى تكوينها و قيادتها مجموعة من علماء الجزائر ينتمي معظمهم إلى مدرسة التجديد الإسلامي السلفي، و هم جميعا ممن لهم ماض مشهود في خدمة الجزائر و العروبة و الإسلام و السلفية. [5]

و كان البرنامج الإصلاحي الذي أخذ به العلماء يستهدف دراسة المجتمع الجزائري من جوانبه المختلفة و بذلك هيأت جمعية العلماء حياة جديدة يستأنف فيها الشعب الجزائري رسالته و يحيي أمجاده و تاريخه [6]، و اعتبر العلماء أن برنامجهم الإصلاحي هو امتداد للحركات الإصلاحية و الإسلامية التي دعت إليها تيارات الجامعة الإسلامية . و إن حركتهم جزء لا يتجزأ. من صحوة العالم الإسلامي التي خدموها، بل و عايش بعضهم حيثياتها في المشرق الإسلامي.[7]

و كانت الجمعية في البداية تضم كل أطياف العلماء: مرابطين مدرسين قدماء خريجي الزيتونة القدماء و كذا التلاميذ القدماء الذين زاولوا دراساتهم بالمعاهد الشرقية. [8]

1- محمد البشير الإبراهيمي سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص 58.

2- أبو صفصاف. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين......ص 93-94.

3- كانت اللجنة التأسيسية بقيادة عمر اسماعيل قد اجتمعت يوم 1931/5/5 بنادي الترقي لوضع القانون الأساسي للجمعية و عين للرئاسة الشيخ أبو يعلى الزواوي و للكتابة الأمين العمودي و وقع القانون الأساسي و تلاه كاتب الجلسة على رؤوس الأشهاد فاقرفته الجمعية العمومية بالإجماع و انفضت الجلسة على الساعة الحادية عشرة . أنظر علي مرجوم، جمعية العلماء،......ص 17-18.

4- الشيخ محمد خير الدين، مذكرات، الجزء 1، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. ص 106.

5- تركي رابح، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ط(2) الجزائر 1981، ص 195.

6- مالك بن نبي، شروط النهضة ترجمة عمر كامل مسقاوي ط(3) دار الفكر 1969 ص 29.

7- Desparmet : un Reformateur Contemporaine en Algerie. A – F. Mars 1933. P 149.

8- Rapport du centre d'information et d'études Sur les oulemas Algeriens poformites. Date du 15 Mars 1937. A.O.M. Aix en Provence. 9 H 46.

انتخب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا لها، و الشيخ الإبراهيمي البشير نائبا له، و الأمين العمودي أمينا عاما و الشيخ مبارك الميلي أمينا للمال و الشيخ الطيب العقبي نائبا للكاتب العام. و الشيخ إبراهيم بيوض نائب أمين المال.(1)

و قد اشتمل القانون الأساسي للجمعية أربعة و عشرين فصلا، من بينها:

الفصل الأول: الذي ينص على أنه تأسس في عاصمة الجزائر، جمعية إرشادية تهذيبية تحت اسم " جمعية العلماء ".

الفصل الثاني: لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية.

الفصل الرابع: " القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر و الميسر و البطالة و الفجور و كل ما يحرمه صريح الشرع. و ينكره العقل و تحجره القوانين الجاري بها العمل ".

الفصل الخامس: تتذرع الجمعية للوصول إلى غايتها بكل ما تراه صالحا نافعا لها غير مخالف للقوانين المعمول بها.

الفصل السادس: للجمعية أن تؤسس شعبا في القطرو أن تفتح نوادي و مكاتب حرة للتعليم الإبتدائي.

الفصل التاسع: ميزانية الجمعية تتألف من مجموع اشتراكات الأعضاء العاملين و الأعضاء المؤيدين.

الفصل التاسع عشر: ينعقد الإجتماع العام لسائر الأعضاء العاملين مرة في السنة بناء على طلب الرئيس، و يجوز عقد اجتماع استثنائي إذا دعت الحاجة إلى ذلك بناء على اتفاق الأعضاء في الزمن و المكان اللذين يعينهما الرئيس.(2)

و كان تأسيس الجمعية بهذا الشكل " الذي يضم جميع العناصر الدينية في البلاد " بمثابة نقطة تحول اتحاد لم يدم سوى عام واحد حيث كانت أهداف الجميع متباينة " و مهما كان الأمر فقد تقبلها الرأي العام ". و رضيت بها كل الاتجاهات التي أصبحت تشعر بالعزلة عن التيارات الأخرى.(3)

كما أن الإدارة الفرنسية ابتهجت لإنشاء الجمعية بهدف ملء الفراغ الذي كان يحس به الأهالي و لاستقطاب كل علماء القطر في هذه المنظمة حتى يكون ربطهم بها يسيرا و تتضح كل الاتجاهات المناوءة و المؤدية لسياستها الاستعمارية في الجزائر(4). و قد اشترط مدير الشؤون الأهلية " ميرانت " ادخال شيوخ الزوايا الجزائريين في هذه الجمعية و بناء على هذا الرأي فقد كان العلماء المصلحون عارفين مسبقا بنوايا الإدارة الاستعمارية و لذلك سالموا خصومهم، و أسدلوا الستار عن أهدافهم. و مطامحهم الوطنيـــــة إلى أن

1-Ali Merad: Le Reformisme Musulmane en Algerie Les Editions El Hikma Algerie 1999. P 116.

2- أنظر القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في كتيب صغير مطبوع باللغتين العربية و الفرنسية دون تاريخ.

3- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين، ص 100-.101

4- المرجع نفسه، ص 101.

يتمكنوا من تعزيز مواقفهم الدفاعية عن فكرتهم ".[1]

و بناء على تقرير مركز الإعلام و الدراسات لعمالة قسنطينة، فإن جمعية العلماء بناء على ما كانت تنشره فإن مقاصدها لها عدة أبعاد: البعد الديني، البعد اللغوي و الثقافي، البعد السياسي و البعد الإجتماعي.

و قد كانت رسالة المصلحين متأثرة بشكل مباشر بتيار السلفية و بالإشعاع الوهابي. حيث العودة إلى ينابيع الإسلام و الإبتعاد عن الخرافات و اتباع سنة الرسول ﷺ و أصحابه و محاربة البدع. و الأخذ بأسباب العلوم المتوافقة مع مبادىء الإسلام الأساسية.[2]

و الحق أن انضمام بعض الطرقيين و رجال الزوايا إلى الجمعية منذ تأسيسها كان لأغراض لم تكن لتخفى على العلماء المصلحين فقد علقت البصائر على تأسيس الجمعية بعد سبع سنوات بقولها: " تأسست الجمعية في جو قد غشيته سحب الريب فالحكومة مرتابة منها، تخشى على ناموسها، و الطرقية التي كان يمثلها في الجمعية رجالها مرتابة من كفاءة ممثليها و قدرتهم على الدفاع عنها و مفكرو الأمة قد غلب عليهم اليأس في نجاح الحركات الشعبية فهم في ريبة من نمو ذلك المولود المبارك."[3]و بخلاف هذه النظره الضيقة لرجال الطرق نجد ميلاد الجمعية قد شكل نقطة انطلاق هامة لجمع شمل المثقفين الجزائريين من خلال عمل وحدوي يسهم في ترقية المجتمع و الثقافة الوطنية بكل مكوناتها وقد ضمت جمعية العلماء علماء الاسلام من اتباع المذهب المالكي كالشيخ ابن بادسيس و الشيخ الابراهيمي و من اتباع المذهب الاباضي الشيخ ابي اليقظان و الشيخ بيوض(4)

و كان الهدف من دخول رجال الدين من غير المصلحين هو التخفيف من تشاؤم شيوخ الطرق و أرباب الزوايا و تسخير هذه المؤسسة لخدمة أغراضهم الخاصة[5]. و لكن الطرفيين كانوا عاجزين عن مواصلة السير داخل الجمعية[6]. ففي الإجتماع العام للجمعية الذي انعقد يوم (24-5-1932) تأكدوا من أن هذه الجمعية لا تخدم أغراضهم و لا أهداف الإدارة الإستعمارية فانسحبوا جميعا بعد أن فشلوا في مسعاهم

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص 101.

2- Rapport du centre d'information et d'études sur les oulemas Reformistes, A.O.M. 9 H 46.

3- أنظر جريدة البصائر. عدد 57. 28 جانفي 1938.

4_ ولد في لبقرارة من عائلة متوسطة الحال سنة 1899 تتلمذ على يد قطب الائمة الشيخ طفيش، اكمل دراسته العلمية بالمشرق لبعربي، عاش حياته كلها في خدمة الحركة الاصلاحية و الوطنية، انتخب عضوا في المجلي الجزائري سنة 1947، وأعيد انتخابه سنة 1951. شارك في الثورة المسلحة و رفض فصل الصحراء عن الوطن وبعد الاستقلال بقي وفيا لمبادئهو مجاهدا بقلمه و لسانه من أجل ترقية وطنه و شعبه. توفي رحمه الله سهة 1981. للمىيد انظر دبوز، أعلام الاضلاح، الجزء الخامس

5- أن الأسس التي تقوم عليها جمعية العلماء تقصي عمليا أصحاب الطرق الذين يعملون بالبدع التي تعد من الممنوعات عند الجمعية للمزيد أنظر:
Fanny colonna, Savants paysans, O.P.U. Alger 1987, p 206.

6- حسب تقرير وثائق أرشيف ما وراء البحار المؤرخ في 1937/3/15. فإنه خطوة العلماء المصلحين بعد تأسيس جمعية علماء المسلمين هو فصل و تجنيب العلماء غير المصلحين عن الجمعية هؤلاء الذين بادروا إلى تأسيس ما يعرف بجمعية علماء السنة الذين لم تبق جمعيتهم طويلا أنظر A.O.M. 9H.46.

الإداري من زعماء الإصلاح و صفوة أنصاره.[1]

و هكذا تأسست الجمعية و ظهرت إلى الوجود و بدأ النضال من أجل استرجاع الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري. و لو تأخر ظهور هذه الجمعية ـ كما يقول الإبراهيمي عشرين سنة أخرى " لما وجدنا من يسمع صوتنا .."[2]

و يمكن تلخيص برنامج العلماء في هدفين رئيسيين أولهما حالي، و الثاني بعيد المدى و يتمثل الأول في تصفية الإسلام مما علق به من الشوائب و محاربة جمود الزوايا و إحياء اللغة العربية و معالم التاريخ القـــــــومي و الإسلامي: و إنشاء المدارس و المساجد الحرة و فــصل الديـن عـن الحكومــة، و تــوعية

و تثقيف الشعب الجزائري صغاره و كباره و تربية الشباب تربية إسلامية و محاربة الآفات الاجتماعية بكل أنواعها و الوقوف ضد محاولة مسخ الشخصية الجزائرية و محو قيمها التاريخية.

أما الهدف الثاني فكان استرجاع استقلال الجزائر و تكوين دولة عربية إسلامية.[3]

و حسب دييبارمي[4] فإن حركة الإصلاح انطلاقا من برنامجها قد ركزت على إحياء حلقة مفقودة في تاريخ الأمة الجزائرية و هي حلقة الإحياء التاريخي و الإنبعاث الثقافي و الديني و الوقوف عند أمجاد التاريخ الإسلامي، و ذكر السلف الصالح، و قد قصد العلماء من وراء ذلك تأصيل الرؤية و تجذير ذاكرة الجزائريين لاستعادة مقوماتهم الشخصية الضائعة و من ثم المطالبة بجمع صفوفهم المهضومة في إطار الكيان الجزائري و الأمة الإسلامية.[5]

و يدعم هذا و يؤكد عليه، ما ذهب إليه العلامة ابن باديس حيث قال أمام الحضور في المؤتمر الثاني للجمعية بنادي الترقي سنة 1932م بأن مصدر القوة تستلهمه الجمعية من قوة الشعب و هي في خدمته "... إنا هي جمعية الأمة الجزائرية المسلمة كلها ... أما أسست للأمة و من الأمة و بالأمة. فتعلي للأمة و تستمد قوتها من الأمة و تبقى بقاء الأمة..."[6]

1- من أبرز هؤلاء المنسحبين من الجمعية. الشيخ مولود الحافظي الأزهري الذي صار على رأس المعارضة للمصلحين مع علماء غير مصلحين آخرين و قد كان مساندا من الشيخ عمر اسماعيل الذي نظم طبخة للسيطرة على الجمعية في اجتماع يوم الإثنين 18 محرم بالتعاون مع شيخ الطريقة العليوية أحمد بن عليوية. و ذلك بإقحام أكبر عدد من غير العلماء و المصلحين في الإجتماع لنيل أصواتهمفي انتخاب مجلس إدارة جمعية العلماء، لكن الخطة فشلت و خاب مسعاهم لأن الشيخ الرئيس ابن باديس لأسباب أمنية و تنظيمية أجل الإنتخاب إلى يوم الثلاثاء 18 محرم 351 هـ – 1932/5/24 حيث فاز المصلحون في الإنتخابات، أنظر حول هذه النقطة عبد الرحمان بن إبراهيم العقون الكفاح الوميو السياسي من خلال مذكرات معاصر: الجزء 1 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري ص 232 و ما بعدها. و أيضا 133، 130 Ali Merad, le Reformisme pp

2- الإبراهيمي، السجل.....ص 59.

3- بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين، ص 108.

4- أستاذ و كاتب فرنسي تخصص في دراسة الحركة الإصلاحية و الوطنية الجزائلرية.

5-Déspartmet :" Naissance d'un Histoire Nationale de L' Algerie" A-F. Juillet 1933 p 387.

6- أنظر جريدة النور عدد 25 السنة الأولى 31 ماي 1932.

و الواقع أن حركة العلماء كانت متعددة الأهداف أي أنهم كانوا مصلحين بالمعنى الشامل للإصلاح(1)، و الإصلاح بالمعنى الشامل قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع، و لكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع ما، بما في ذلك السياسة، و هذا ما حدث للإصلاح في الجزائر.(2)

و إذا جاز لمصلحي مصر و تونس أن لا يهتموا بالسياسة فإن ذلك لا يجوز لمصلحي الجزائر، فالإسلام كما هو معروف دين و دولة. و لا يمكن أن نتحدث عن الإصلاح في الإسلام مجردا عن معنى الدولة و هذا حتما هو عين السياسة، و من جهة أخرى فإن مصر كانت تتمتع تحت الاستعمار الإنجليزي بكيان سياسي محلي، و كذلك تونس تحت الإستعمار الفرنسي، بينما الحال لم تكن كذلك في الجزائر. ففرنسا كانت تحكم الجزائر حكما مباشرا و هي لا تحكم بحكم الإسلام. و لذلك جردت الدين من محتوى الدولة و صيرته تعبديا فقط فعلماء مصر و تونس في هذه الحالة كان يكفيهم أن يصلحوا إذا أرادوا الجانب التعبدي من الإسلام و لكن ذلك لا يكفي للعلماء المصلحين في الجزائر. فقد كان عليهم أن يصلحوا الجانب التعبدي و الجانب السياسي أيضا .

و هذا ما جعلهم يصطدمون بالإدارة الفرنسية من البداية كما صاروا في نظر البعض لا يختلفون عن حزب سياسي يتدخل في كل القضايا الوطنية.(3)

ب-الجمعية الخيرية:

تأسست بمدينة الجزائر سنة 1933 و قد ارتبط اسمها بجمعية العلماء، نظرا للمبادىء الإسلامية التي قامت عليها الجمعية و هي مبادىء شاملة و جامعة بأبعادها الدينية و الإجتماعية و الثقافية و السياسية.(4)

و قد كانت دعوة الجمعية تهدف إلى تحقيق الإصلاح العملي الذي يترجم الخطاب الإصلاحي النظري، فقد أفصح الشيخ الطيب العقبي عن الوسيلة التي يمكن من خلالها إصلاح أوضاع الجزائريين المادية و الإجتماعية من خلال مقاله في جريدة الإصلاح الثانية الذي عنوانه: " كيف نعمل لإصلاح الجزائر؟ " جاء فيه : " ..إذا كانت الأعمال العقائد تصلح بصلاحها و تفسد بفسادها فإن نتيجة الإصلاح القولي و ثمرته الأولى هي أعمال البر و الإحسان، و مشاريع الخير العامة إذ هي في نظر العقلاء من الناس أهم أركان الإصلاح الاجتماعي و امتن دعائمه التي تبنى عليها نهضة الأمم.(4)

1- يتفق هذا تماما مع ما جاء في أهداف و مقاصد جمعية العلماء حسب تقرير مركز الإعلام و الدراسات بعمالة قسنطينة المؤرخ في 1937/3/15 و الذي رتب أشكال نشاط الجمعية على الشكل الثاني:

1- حركة دينية 2- حركة ثقافية و أدبية 3- حركة سياسية 4- حركة اجتماعية أنظرA.O.M. 9h .46

2- د/ سعد الله، الحركة الوطنية ، ج3، القاهرة 1975، ص 92-93.

3- د/ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية الجزء3، دار الغرب الإسلامي ط (4) 1992 بيروت، ص 88 و 89.

4- انتشرت المكاتب الخيرية عبر تواريخ مختلفة ما بين 1903 و 1928 في كثير من المدن كالجزائر ، قسنطينة، عنابة، بجاية، وهران، بوسعادة، الغواط، معسكر، تلمسان، سيدي بلعباس، جيجل، بسكرة و غيرها، للمزيد انظر سعدالله، تاريخ الجزائر، ج5، ص199

5_ أنظر جريدة الإصلاح عدد 25 (10 جوان 1940).

و من أهداف الجمعية الخيرية حسب ما تضمنه قانونها الأساسي. إسعاف المعوزين من الأفراد و العائلات ماديا و ماليا و إعانة عابري السبيل الحالّين بالجزائر و مساعدتهم على الرجوع إلى أوطانهم.[1]

و قد انتخب الشيخ الطيب العقبي في أول مجلس إداري للجمعية الخيرية رئيسا لها و بارك الشاعر محمد العيد ذلك بقوله:

لقد آن أن تستفز الشام *** أدنات (خيرية) بما كبر.

إذا صاح عقبيها للغياث *** أجابته عقبانه الكاسرة.

إلى الجود يا قوم فالمعوزوون *** من الناس في عسرة عاسرة.

فمن جاد سناد اسمه في الحياة *** و كان له الخلد في الآخرة.[2]

و قد ضم المكتب وجوه من المصلحين و أعيان العاصمة من الذين كانوا يدعمون الجمعية ماديا.[3] و كانت الجمعية تقيم حفلا جامعا كبيرا كل يوم اثنين عيد الفصح المسيحي في قاعة الماجيستيك (الأطلس حاليا) و تجمع مالا غزيرا من الشعب لفائدة المطعم الذي كان يقتات منه مئات المساكين من الجوع.[4]

و كان رجال الإصلاح على علاقة وطيدة بالجمعية الخيرية حيث كانوا يحضرون اجتماعاتها و يشاركون في دوراتها و من ذلك حضور ابن باديس في الدورة العادية للخيرية في أفريل 1934م و الذي حضره ما يزيد على خمسة آلاف مشارك لبوا داعي الخيرية من عمالات قسنطينة و وهران و العاصمة.[5]

و قد اعتبر انجاز الخيرية في نظر الشهاب بالحدث العظيم، و مهرجان أدبي اجتماعي خيري، تلقى فيه الخطب و يتبارى فيه الشعراء و تجمع فيه التبرعات. فقد ذكر العقبي الحاضرين في مداخلته في دورة أفريل 1934م بالبر و الإحسان و أثره في المجتمع، و عالج الشيخ ابن باديس في مداخلته روح الإحسان في الأمة العربية. مشيدا في نفس الوقت بالجمعية الخيرية. " ... ذلك هو يوم الجمعية الخيرية المشهود. فلم يكن اجتماعهااليوم الثاني أفريل نصرا بينا للجمعية الخيرية الإسلامية وحدها، و ما كان نصرا بيّنا لفكرة الإحسان فقط بل كان نصرا عظيما لليقظة الإسلامية الجسمة التي تحلت بأسمى مظاهرها و أعظم معانيها في ذلك اليوم المشهود."[6]

1- أنظر جريدة الصراط السوي عدد 16 السنة الأولى. 1 جانفي .1934

2- محمد العيد آل الخليفة، ديوان محمد العيد، ط(1) مطبعة البحث قسنطينة 1967 ص .253

3- نذكر من بين أبرز أعضاء مكتب الجمعية الخيرية: الشيخ الطيب العقبي الذي انتخب رئيسا و السيد محمود بن ونيش نائبه الأول...و عباس تركي محمد علي نائبه الثاني، و السيد الشريف زهار محمد كاتب عام. و السيد محمد بن الباي أمين المال و نائباه زميرلي محمد و رشيد يطحوش و يوسف دامرجي مراقب. أنظر جريدة الصراط السوي عدد 16 جانفي .1934

4- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح الجزء 2. ص .258

5- مجلة الشهاب. م 10. ج5. 16 أفريل .1934

6- أنظر الشهاب. م10. ج5. 16 أفريل 1934.

و في سبيل تعزيز مكانة الجمعية الخيرية " في الأوساط الاجتماعية و جلب انتباه الميسورين لتدعيم صندوقها المالي حتى تقوى على أداء مهمتها الإجتماعية على الأحسن وجه ألقى الشاعر محمد العيد آل خليفة في حفل الجمعية الخيرية الذي انعقد بقاعة الماجيستيك سنة 1935 قصيدا رائعا. عنون له بـ " خيرية تحت حزب ظل يكلأها ". بدأه بحمد الله و التيمن خيرا بالخيرية فقال:

الحمد لله معطي الحسنين معا *** لكل حزب على طاعته اجتمعا.

الحمد لله ما في الصالحين أخ *** منا أجاب للصالحات دعا.

آمنت أن عصور الخير مقبلة *** لا ريب في صدق برق قبلها لمعا.[1]

ثم يوجه خطابه إلى معشر الأغنياء القادرين على اسعاف الفقراء و المعوزبين داعيا إياهم إلى العمل لآخراهم كما يعملون لدنياهم محركا فيهم الوازع الديني لعل بذلك ترق قلوبهم فيندفعوا إلى فعل البر و الإحسان، فيقول:

يا أيها الناس أنتم في السلالة من *** أب و أم فكونوا أخوة شرعا

لا تقطعوا لا تخونوا في معائشكم *** ما ألف الله من أنسابكم و رعى.

لا تزرعوا الشر فالأيام محصدة *** كل امرىء حاصد فيها الذي زرعا.

أنتم من الأرض فوق الأرض قاضية *** ركب إلى الأرض يأوي بطنها تبعا.

ما سخر الله ما فيها لكم عبثا *** لكن ليعلم أيّا للصلاح سعى.[2]

ثم يدعو الشاعر محمد العيد صراحة الموبسرين إلى مد يد المساعدة لإخوانهم المحرومين من الفقراء و المساكين إن أرادوا أن يكونوا من عباد الله الصالحين .

قل للمثير على أنصاره فتنا *** من حارب الله في أنصاره صرعا.

أخشى الضعيف كما تخشى القوي و لا *** تهزأ بمن كان بالأقدار مدرّعا.

و قل لمن ود يلقى الله ملتحقا *** بالصالحين تجمل مثلهم و رعا.

اسعف ذوي البؤس من شاك و مصطبر *** وصل ذوي الفقر معتزّا و مقتنعا.[3]

و قد عملت الجمعية الخيرية في سنة 1936م على تجديد مكتبها. فبناء على تقرير الشرطة الولائية بالعاصمة بالعاصمة فقد اجتمع أعضاء الجمعية الخيرية بنادي الترقي، بحضور زهاء ثلاثمائة شخص. و كان جدول الأعمال يتمثل في تقديم و عرض التقرير المالي و التقرير الأدبي، و تعديل القانون الأساسي، و تجديد المكتب، و قد ترأس الجلسة المنعقدة الأستاذ أحمد توفيق المدني. بمساعدة بن طلحة محمد و بن الباي محمد، و عباس التركي واعلي حيث قدم الشريط الزهار امحمد التقرير المالي و الأدبي لنـــــــشاطات

1- أنظر الشهاب. ج2. م 11. 5 ماي .1935

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق.

الجمعيّة في سنة 1935 م (حيث بيّن كشوف عن قيمة المداخيل التي قدرت بـ 70.000 فرنك و المصاريف بـ 53.000 فرنك المتبقي في الصندوق 19.000 فرنك فرنسي.[1]

بعدها شرع في تجديد أعضاء المجلس الإداري الذي تشكل على النحو التالي:

رئيس الجمعية الخيرية، الشيخ الطيّب العقبي.

نائب (1) رئيس الجمعية الخيرية، أحمد توفيق المدني.

نائب(2) رئيس الجمعية الخيرية، عباس التركي محمد و اعلي..

الكاتب العام للجمعية، شريف الزهار امحمد.

نائب الكاتب العام للجمعية، بن تشلة محمد.

أمين المال العام للجمعية، بن الباي محمد.

نائب(1) لأمين المال العام للجمعية، زغوان محمد.

نائب (2) لأمين المال العام للجمعية بطحوش رشيد.

المراقب العام للجمعية، دامانجي يوسف.

- الأعضاء يصل عددهم إلى 21.[2]

و بسبب تزايد الإقبال على الجمعية الخيرية اضطرت إلى نقل مقرها من نادي الترقي إلى دار خاصة بها اشترتها بـ 200 ألف فرنك من تبرع محمد بن الباي و بلغت الميزانية الخيرية مع نهاية الثلاثينات زهاء مليون فرنك فرنسي[3].

و في الفاتح من ديسمبر 1939م افتتحت الدار الخيرية بحضور المجلس الإداري و بعض أعيان العاصمة و رجال الإصلاح و من بينهم الشاعر الشيخ محمد العيد آل خليفة الذي أشاد بالدار و نوه بالمحسنين الذي اشتروها فقال:

يا دار شادك للخيرات اخيار *** فيضي على الناس بالخيرات يادار.

كان افتتاحك حفلا فيه منتظما *** تمتعت فيه اسماع و ابصار.

لا زلت كالبيت فيه قبلة و حمى *** عليك من منن المنان استار.

و دمت زاخرة بالبر زاهدة *** ما فاز بالأجر عند الله أبرار.[4]

1- أنظر تقرير مسؤول أمن عمالة الجزائر العاصمة إلى الإدارة الفرنسية مؤرخ بمدينة الجزائر في 6 فيفري 1936. A.O.M.9 H 46.

2- A.O.M.9 H 46.

3- جريدة الإصلاح عدد 18. 10 أفريل 1940.

4- أنظر ديوان " محمد العيد آل خليفة... ص 258.

و في سنة 1940 تم تجديد المجلس الإداري للجمعية الخيرية و جددت الثقة في الشيخ العقبي رئيسا لها. و بالمناسبة ألقى خطابا قيّم فيه نشاط الجمعية و المراحل التي مرت بها و الإنجازات التي حققتها في مجال البر و الإحسان و الترابط و التكافل الإجتماعي و صرح أن الخيرية تقيم يوميا 400 وجبة غذائية للفقراء. و أكست 230 بائس، صغير، و وفرت 72 ماكنة للخياطة و الطرز لتعليم البنات المسلمات.[1]

كما خلد عبد الكريم بن العقون(2) عمل الخيرية مشيدا بجهود القائمين عليها فقال:

أخيرية العقبي لا زالت ملجأ *** إلى البؤساء و الطالبين المواسيا.

بخيرية العقبي يبني شبابنا *** بناء لتشييد المعارف عاليا.

بخيرية العقبي يذهب جهلنا *** فقد بعث الرحمان للعلم راعيا.[3]

كما راحت الخيرية تهتم بصحة المواطنين الموعزين بعلاجهم مجانا مخصصة عيادة خاصة بذلك.[4]

و حسب ما جاء في جريدة البصائر فإن جمعية العلماء بقيت تتابع نشاطات الجمعية الخيرية التي عرفت كيف تظهر نفسها بمظهر العمل الاجتماعي الإنساني البحت مما جعلها تتلقى المساعدات من السلطات الإستعمارية و تنهض بمشاريعها و تجنبت من ثم الصدام معها.

و يرى د/ سعد الله في عناية الجمعية الخيرية بالتضامن الاجتماعي و الحث على طلب العلم عن طريق تمثيل الروايات التاريخية و الأدبية هو بمثابة نوع من الرجوع إلى الأصل نتيجة استثمار الوقفلا لصالح المجتمع و العلم و الصالح العام.[5]

ت- جمعية الإخاء :

تأسست ببسكرة سنة 1932م بهدف نشر تعليم اللغة العربية، و التعليم المقدم لأطفال المسلمين ينبغي أن يكون عربياً قرآنياً.[6] و قد جاء في عدد ديسمبر من جريدة "النور" الإعلان عن تأسيس هذه الجمعية بقصد تشجيع التعليم العربي.[7] و قد تجسد فعليا بتأسيس مدرسة الاخاء التي تتلمذ فيها الكثير من أبناء بسكره و منطقة الزيبان و غيرها(8)

1- جريدة الإصلاح، عدد 17، 1940/1/28.

2- ولد ببرج غدير بسطيف سنة 1918. درس بمسقط رأسه على يد والده الحاج مسعود كما أخذ العلم عن الشيخ موسى الأحمدي نويوات ثم

3- التحق بعدها بقسنطينة حيث درس على يد الشيخ ابن باديس من سنة 1933 الى 1936، ثم أكمل دراسته بعدها بالزيتونة حيث حاز على شهادة التحصيل . عاد بعدها الى الجزائر لينخرط في العمل الاصلاحي كمدرس في التعليم العربي الحر استشهد تحت التعذيب سنة 1959 للمزيد انظر الشعر الجزائري الحديث ص 113

4- جريدة الإصلاح، عدد 29، 15 ماي 1941. 4- جريدة الإصلاح عدد 55، 11 جويلية 1947.

5- د/ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 201.

7-تقرير مرسل من محافظ الشرطة ببسكرة إلى شيخ بلدية مدينة بسكرة مؤرخ ببسكرة في 9 جانفي 1932 أرشيف ولاية قسنطينة علية رقم 8-(5-5).

7- تقرير من الوالي العام للجزائر إلى عامل عمالة قسنطينة مؤرخ بالجزائر في 1931/12/14 أرشيف ولاية قسنطينة علية رقم (5-5).

8_ سليمان الصيد، مدرسة الاخاء ببسكرة و دورها في نشر الثقافة العربية ببسكرة و منطقة الزيبان، الجزاءر2003

و قد تشكل المجلس الإداري للجمعية من السادة:الحاج الحفناوي دبابش النائب العمالي رئيسا . الحاج الشاوي التاجر و الملاك نائبا للرئيس .خبزي عيسى بن عمارة الملاك أمينا للمال. رابح بن الحسن الملاك نائبا لأمين المال. محمد خير الدين المتطوع بالزيتونة كاتبا عاما. علي دبابش بن حميدة نائبا للكاتب العام. عبد الله المراوي النائب البلدي مراقبا .الشيخ محمد حوحو التاجر و الملاك نائبا له. بالإضافة إلى مجموعة من الأعضاء المستشارين نذكر منهم: الحاج عباس جودي النائب البلدي. و ابراهيم بربوشة التاجر. و الحاج محمد الصالح النائب المالي.

أما الرؤساء الشرفيون: م كزناف شيخ مدينة بسكرة و السيد بوعزيز بن قاتة شيخ العرب. و الشيخ محمد بن الساسي قاضي بسكرة(1).

و في تقرير مرسل من نائب عامل العمالة بباتنة إلى عامل عمالة قسنطينة فإن مدرسا للغة العربية قد عين ليقوم بتدريس اللغة العربية. و مبادىء للقواعد الصحية و التاريخ و الجغرافيا.(2)

ج- جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين :

تأسست في باريس سنة 1927م (3) و كانت مكونة من ممثلي الأقطار المغاربية الثلاثة، و لم يتــأت إخراجها إلى حيز الواقع إلا بوجود عدد من الطلاب الواعين بقضية وحدة أقطار المغرب العربي في فرنسا، و كان من الصعب في بداية الأمر توفير العنصر الجزائري لأن الاستعمار عمل بمختلف الوسائل لإقصاء الطلاب الجزائريين و السماح لهم فقط بالانخراط في جمعيات فرنسية لأن للجزائر وضعا خاصا باعتبارها قطرا محتلا بخلاف المغرب و تونس اللذان هما قطران محميان. لكن مع هذه العراقيل بذل الطلبة المغاربة و التونسيون جهودا متواصلة حتى تم استقطاب من يمثل الجزائر.(4)

يقول شيخ محمد حسن الوزاني عن الظروف المحيطة بتأسيس الجمعية: " ... و هكذا يرجع الفضل في السعي لتأسيس الجمعية إلى ثلة من الطلبة التونسيين و المغاربة و كنت أحدهم خصوصا و قد كان المقر

1-أنظر مجلة الشهاب ربيع الثاني 1350هـ أوت 1931 ص 526 و ما بعدها.

2- مراسلة من نائب عامل عمالة بباتنة إلى عامل عمالة قسنطينة مؤرخ بباتنة في 3 مارس .1933

3- يذهب الباحث محمد بلقاسم إلى أن جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا تعود في أصولها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى أي إلى تلك المحاولات التي قام بها الشبان الجزائريون و التونسيون من أجل انشاء جبهة التحرير سياسة واحدة في المغرب العربي و كانوا يطمحون إلى تدعيم هذه الجبهة بمد حبال الوحدة إلى اخوانهم بالمغرب الأقصى . أما التأسيس الرسمي لجمعية الطلبة فكان بالجزائر سنة 1919 م تحت اسم " الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية..أما في تونس فقد أسس الشيخ عبد العزيز الثعالبي لأول مرة جمعية الطلبة التونسيين الدارسين بباريس سنة 1920 أما بخصوص المغرب الأقصى فإن الجمعيات الطلابية تكونت ابتداء من نهاية الثورة الريفية 1926 و كانت متأثرة بالإصلاح الديني و هي التي كونت خربا سياسيا مع مطلع الثلاثينات. أنظر محمد بلقاسم طلاب الوحدة: جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين مجلة الرؤية المركز الوطني للدراسا و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 السنة الثانية العدد 3. (1997) ص 15 و ما بعدها.

4- الصادقي العماري، التواصل و وحدة المغرب العربي...، ص 60، 61.

للأشغال التمهيدية بدار طلبة بلجيكا في الحي الجامعي (بفرنسا) حيث كان معي الدكتور أحمد بن ميلاد التونسي الذي كان من أنشط العناصر و أشدها تحمسا للمشروع، و الصديق عبد القادر بن جلون المغربي.

و من هناك كنا ننشر بل نرسل مناشير الدعوة إلى الطلبة بفرنسا كلها و نعمل ليل و نهار لتحقيق فكرة الجمعية خدمة لمصالح الطلبة و تجسيما للفكرة الوطنية القائمة على الوحدة بين أقطارنا في جميع المجالات بما فيها السياسي، و كنا نرى أنه لا بد من أن يبدأ العمل بعناصر الطلبة الذين هم عمدة المستقبل، و كل هذا أقلق الفرنسيين الذين لم يدخروا جهدا في معاكستنا و عرقلة مساعينا حتى نفشل، و لكنهم كانوا طبعا، هم الفاشلين"[1]

و قد كانت أهداف و مرامي جمعية الطلبة هو العمل على استعادة المغرب العربي لهويته و شخصيته التاريخية بمقوماتها المتعددة: الدينية، و اللغوية، و الحضارية و الأكثر من ذلك الطموح، لأن يغدو النشاط الثقافي معضدا النضال السياسي و مساعدا على تطويره و التشجيع على الإقدام و الإنخراط فيه.[2]

و قد قامت جمعية طلبة شمال افريقيا بنشاط دؤوب في سبيل النهضة الإجتماعية و الثقافية و التربوية لبلدان المغرب العربي و قد كانت تعقد مؤتمراتها سنويا في إحدى مدن المغرب العربي.

و من البداية رفضت جمعية الطلبة المتجنسين من أبناء المغرب العربي[3] في صفوفها نظرا لأنها جمعية تعاونية و المتجنسون فرنسيون، و لأنها اسلامية و هم ليسوا مسلمين، و الملاحظ أن العلماء رحبوا بهذه الفكرة و اعتبروها انتصارا لمبدئهم.[4]

و قد كانت مؤتمرات الطلبة كلها تدور تقريبا حول المسائل المتعلقة بالتعليم و مناهجه، و أسباب ضعفه، و كيف يمكن ترقيته و أفاق الشغل و مجالاته. و قد بلغت عدد المؤتمرات سبعة نبرزهم في إطارهم

الزماني و المكاني من خلال هذا الجدول.[5]

1- المصدر السابق، ص 61.

2- المالكي، الاستعمار و حركات التحرر...، ص 300-301.

3- حدث اقصاء الطلبة المتجنسين في اجتماع عام وقع يوم 1930/2/28 برئاسة المغربي أحمد بلا فرج أنظر.

-Guy perville, le mouvement etudiant algerien a Alger et a Paris de 1939, in l'étoile nord africaine et le mouvement nationale algerienne, actes de colloque du 27/2/ au 1 mars 1987, pubication du centre culturel algerien, Paris, 1988, p 212.

4-سعد الله، الحركة الوطنية... الجزء 3، ص 107.

5- المالكي، الاستعمار و حركات التحرر،... ص 309.

المؤتمر	التاريخ	المكان	ملاحظات
المؤتمر الأول	1931/8/22-20	تونس	....
المؤتمر الثاني	1932/8/30-25	الجزائر	....
المؤتمر الثالث	-26 1933/12/29	باريس	كان مقرر أن ينعقد ما بين 19-1933/9/22 لكن منع من طرف السلطات الفرنسية.
المؤتمر الرابع	2-1934/10	تونس	لم يحضر أي مؤتمر من المغرب الأقصى.
المؤتمر الخامس	5-1935/9	تلمسان	....
المؤتمر السادس	1936/2110	تطوان	كان مقررا أن ينعقد في الرباط لكن الخلاف مع المقيم العام بيروتون نقل إلى تطوان و بالرغم من ذلك لم يلتئم المؤتمر كما كان مرغوبا في ذلك لغياب العديد من أعضاءه.
المؤتمر السابع	فيفري 1937	فاس [1]	لم ينعقد المؤتمر

فقد تناول المؤتمرون المجتمعون بالخلدونية بتونس 1931 (2) وضعية التعليم و المؤسسات التربوية، و المناهج التربوية، و تعليم المرأة.

و قد افتتح المؤتمر الأستاذ عبد الرحمان الكعاك. الذي جاء في كلمته " أيها الأشقاء إن المسائل التي سينظر فيها اجتماعكم هذا لهي من الأهمية بمكان فعليها بتوقف رقي الشمال الإفريقي علميا و اقتصاديا و من ناحية الاجتماع، سينظر هذا المؤتمر في تعليم المرأة و هي المدرسة الأولى و أم البنين.

و ليس النبت ينبت في جنان *** كمثل النبت ينبت في الفلاة

فهي التي تهيء لنا ناشئة الغد *** و المرء يشيب على ما شب عليه

و كلكم يعلم أن رقي المرأة و حياة الأمم متلازمان لا يفترقان......

سيشغل هذا المؤتمر بالنظر في اصلاح المعاهد الدينية بالشمال الإفريقي أعني الكلية الزيتزنية و جامعة القرويين اليوم و عسى أن ينظر غدا في مثلها من معاهد القطر الجزائري."[3]

أما المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال افريقيا الذي انعقد بالجزائر من 25 إلى 30 أوت 1932م، بنادي

1- عن المسائل التي كان ينوي طلبة شمال إفريقيا مناقشتها . أنظر جريدة الأمة عدد 136.

2- كانت الجلسات في الفترة الواقعة مابين 08/20و 08/22 وقد اختتم المؤتمر بتنظيم حفلة على شرف المشاركين في المؤتمر بالمرسى من قبل لجنة الحفلات التابعة للخلدونية انظر MONGI SAYADI al jam'iyya AL KHALDONIYYA 1896/1958 maison tunisienne de l'edition 1974 p 137

3- أنظر نشرة محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال افريقيا المسلمين بتونس سنة 1931. المطبعة الأهلية تونس 1931، ص 6-7.

الترقي و قد كان رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر هو السيد قدور ساطور[1] كاتب عام (جمعية طلبة شمال افريقيا بالجزائر) التي كان يرأسها السيد علي الزاوش[2] أما المؤتمر نفسه فقد ترأسه السيد فرحات عباس. و كانت المواضيع التي وجب طرحها على بساط البحث و المناقشة في جلسات المؤتمر و هي:

1- تعليم اللغة العربية بشمال افريقيا.

2- تعليم التاريخ.

3- قضية الشغل بعد اتمام الدراسة.

4- التعليم و التربية بالمدارس الابتدائية.

5- مسائل مختلفة.[3] و كذا تشجيع فكرة الوحدة المغاربية و القومية.[4]

و قد حضرت المؤتمر وفود من تونس و المغرب بالإضافة إلى الجزائر. و في هذا المؤتمر كان حضور رجال جمعية العلماء قويا فقد شارك في أشغاله: الأستاذ أحمد توفيق المدني، و الشيخ الطيب العقبي، و شاعر الإصلاح محمد العيد آل خليفة. و الشاعر مفدي زكري. و عندما مر الوفد بقسنطينة خطب فيه الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس.[5]

و جرت أحاديث و د و تعارف بين الطلبة الجزائريين و اخوانهم المغاربة و التونسيين و ذكريات عن الاستعمار و آثامه و ما فعله في كل بلد حل به.[6]

و زود ضيوف المؤتمر بمجموعة من الصحف الوطنية التي كان يصدرها العلماء و تمّ تبادل العناوين لكي يبقى الجميع على اتصال مستمر ببعضهم البعض.[7]

و كانت توصيات المؤتمر التأكيد على مزيد من العناية باللغة العربية و التاريخ العربي، زيادة المدرسين بالمساجد الجزائرية، و تكوين لجنة حكومية للنظر في إصلاح التـــــــعليم بالمدارس الرسمية،

1- امتهن المحاماة، و هو مناضل في الحركة الوطنية الجزائرية منذ كان سنه 16 سنة بدايى من الكشافة الإسلامية ثم مواحبا بـ البيان و الحرية لفرحات عباس حيث أصبح ساعده الأيمن أصبح سنة 1932، صغر محامي، و عندما اندلعت الثورة التحريرية عمل معها، و تعبت نفسه مدافعا عن المناضلين ثم سجن 3 سنوات بعدها يصبح تحت الإقامة الجبرية بوهران حتى 1961م عاش ما بين (1911-1997).

للمزيد عنه انظر: - Achour Cheurfi: La Classe Politique Algerienne Casbah Editions. Alger 2001 pp 315.

2- مثقف تونسي و مناضل في الحركة الوطنية التونسية.

3- نشرة أعمال المؤتمر الثاني لطلبة شمال افريقيا المسلمين سنة 1932، مطبعة الاتحاد. تونس. ص 5.

4- أنظر محمد بلقاسم، مرجع سابق، ص 19.

5- المصدر السابق. ص 143.

6- الصادق العماري، المرجع السابق، ص 60.

7- المصدر السابق، ص 60.

و الاعتراف بالشهادة النهائية الثعالبية كالبكالوريا بجزئيها، و حث الأمة على فتح المدارس العربية، الحرة، جعل التعليم العربي بالمدارس الابتدائية اجبارياً، و العناية بالتعليم الديني، و حرية فتح المدارس و التعليم و فتح مجالات العمل أمام المتخرجين.(1)

أما المؤتمر الخامس الذي انعقد بتلمسان من 1935/9/15/6. فقد افتتح اشغاله العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء و ممثلها في الغرب الجزائري. و قد ساد أجواء المؤتمر حماس شديد و استبشار بالمستقبل و خرج المؤتمرون بجملة من القرارات. تعلقت بالمسائل التالية:

1- تعليم اللغة العربية: ينبغي على حكومة العامة بالجزائر اعتبار اللغة العربية لغة رسمية لا لغة أجنبية.
2- اعتبار اللغة العربية الزامية في التعليم الابتدائي.
3- تأسيس مدرسة عليا لتكوين المعلمين بالعربية.
4- السماح للشعب الجزائري بتأسيس المدارس الحرة، لتعليم اللغة العربية.د
5- مؤتمر جمعية الطلبة يطلب من الحكومة العامة بالجزائر: السماح للعلماء بتدريس الدين الإسلامي، رفع القيود المتخذة ضدهم .
6- ادخال مادة تاريخ افريقيا الشمالية في برامج التعليم الابتدائي، و تطوير اللغة العربية.
7- حرية تأسيس الجمعيات و النوادي و المجلات للتعريف بثقافة شمال افريقيا.
8- محاربة الأمية بالزام الحكومة للأولياء بارسال أولادهم للمدارس.
9- تأسيس عدد كاف لمدارس تعليم البنات و تكوينهم، مبادىء اللغة العربية و الاسلام.

- كما خرج المؤتمر بقرارات تتعلق بالوضعية العسكرية للطلبة المسلمين الجزائريين و كذا الوضعية المادية للطلبة المسلمين الجزائريين.
- حق الطلبة الجزائريين مثل الطلبة الفرنسيين في نيل مناصب العدلية و الإدارية الخ. بعد تخرجهم من الجامعات.
- طلب تخفيض 50% من تذكرة النقل بالقطار فيما يخص الطلبة الجزائريين بالزيتونة.(2)
- و بالجملة يمكن القول بأن جمعية الطلبة المسليمن لشمال افريقيا كانت تمثل إطاراً تنظيما فعالا امكن عن طريقه تقييم العمل التربوي في بلدان المغرب العربي و تبادل الخبرات و التجارب بين أفراده. في هذا المجال الحيوي الذي كان يشكل وسيلة هامة من وسائل الخطاب النهضوي.

ح- جمعية " دار المساكين ": بوهران التي تأسست في صيف 1937 بهدف محاربة الآفات، و إغاثة و اسعاف البؤساء من الأهالي و كان رئيسها السيد ساعد الهاشمي علي، و نوابه:

1- نشرة أعمال المؤتمر الثاني لطلبة شمال افريقيا...ص 126-127.

2- قرارات المؤتمر الخامس للطلبة المسلمين لشمال افريقيا بتلمسان 1-2-3-4-5-6 سبتمبر 1935 انظر: A.O.M. 9 H 46

1 لسيد بن عيسى مدرس بمسرغين. 2 بن ستي أحمد. 3 بلقاسم بن شراب.[1]

خ- الكشافة الإسلامية الجزائرية:

نشأت الكشافة الإسلامية الجزائرية في ظل ظروف إقليمية و دولية صعبة و عصيبة، فقد جاءت عقب الاحتفالات الضخمة التي أقامتها السلطات الاستعمارية بعد قرن من الاحتلال دون أن تراعي شعور و كرامة الجزائريين، بل أنها تمادت في استفزازهم بإعادة إحياء الجراح من خلال إعادة تمثيل و بأدق التفاصيل و بنفس الأدوات لمراحل الهجوم البحري و النزول بسيدي فرج في يوم 14 جوان 1830م.[2] زيادة على ذلك الحضور الكشفي الفرنسي بمختلف اتجاهاتهم و تشكيلاتهم و التي جابت أهم الساحات و الشوارع في العاصمة و غيرها تقريبا من المدن الجزائرية كالبليدة و شرشال و سكيكدة و وهران و غيرها.

و قد تميزت العروض الكشفية الفرنسية بالتنظيم الجيد و الانضباط المحكم لعناصرها. مما أثار دهشة و فضول أطفال و شباب الجزائر الذين بدأت تختمر في عقولهم فكرة انشاء فرق كشفية جزائرية إسلامية خاصة أن بعض من هؤلاء الشبان قد انخرط في الكشافة الفرنسية و اكتسب تقنيات التنظيم الكشفي و من هؤلاء نذكر : بوبريط في تيزي وزو. و كرويشة في وهران. محفوظ قداش في فرقة الآباء البيض بالعاصمة و بن ديمراد في تلمسان.[3]

و كان للنشاط الحثيث الذي اضطلع به العلماء المصلحون بنادي الترقي و عبر ربوع البلاد من خلال المدارس العربية الحرة و المساجد و الأندية الثقافية و الفنية و الرياضية الأثر الطيب على الشبان الجزائريين الذين انخرطوا في مختلف الأنشطة التي كانت تشرف عليها أو توجهها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و كانوا سندا لها و لأعظائها في مواجهة قرارات الإدارة الإستعمارية.

كما حدث بالعاصمة في مطلع سنة 1933م. عندما نظم هؤلاء الشبان مظاهرات كبرى ردا على منع الإدارة الإستعمارية العلماء من التدريس بالمساجد.[4]

و في ظل هذه الأجواء و من أجل تأطير و تكوين أفضل و تحصين لهؤلاء الذين صاروا يترامون في الشوارع و الطرقات و العمل على تربيتهم تربية اسلامية جزائرية صحيحة، وبث الوعي في صفوفهم و تحضيرهم " كجنود المستقبل .. أشار الشيخ ابن باديس على الشيخ العقبي بتأسيس فوج كشفي فكان ظهور

1- انظر تقرير سري من عامل عمالة وهران إلى الوالي العام مؤرخ بوهران في 14-9-1937 A.O.M. 9 H 46

2- عبد الرحمان بن العقون. الكفاح القومي... الجزء 1. ص .300

3- Mohamed Derouiche: le scoutisme . école du patriotisme. E.N.A.L/ O.P.U. Alger 1985 pp.22-23.

4- شارك الكشفيون الجزائريون في المظاهرات يتقدمهم محمد بوراس و أصدقاؤه .أنظر د/ الشيخ بوعمران و الأستاذ محمد جيجلي، الكشافة الإسلامية الجزائرية، دار الأمة ط(1) ، 1999، ص 12.

" فوج الفلاح " بالعاصمة سنة 1935م تحت رئاسة محمد بوراس.[1] فكانت بذلك انطلاقة الكشافة الإسلامية الجزائرية و تسميتها شبيهة بتسمية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باتخاذ الصفتين المميزتين للجمعيات الوطنية و هما: " الإسلامية " و " الجزائرية " و لم يكن المؤسسون للكشافة يفكرون في شبان 1935 م فقط، بل في مآل جميع الجزائريين في المستقبل: و حددوا بوضوح صورة مثالية للكشاف المسلم الجزائري الذي تتمثل فيه جميع الفضائل.[2]

بعد تأسيس محمد بوراس لفوج الفلاح بالعاصمة ساهم بقسط كبير و كان من وراء الكثير من الأفواج الأخرى منها فوج " الهلال " بتيزي وزو بعدها عمل على توحيد الأفواج الكشفية تحت راية الكشافة الجزائرية الإسلامية فسعى من أجل هذا الهدف مضحيا بوقته و جهده و ماله و عائلته.[3] إلى أن تحقق الهدف بانشاء فيدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية في أفريل 1939 م و تنظيم أول مخيم لها بالحراش في جويلية 1939م. في أيام 27-28-29 ضم نخبة الكشافين الجزائريين من أهم الأفواج الموجودةآنذاك في الوطن و ختم أعماله باحتفال بهيج رائع تحت الرئاسة الشرطية للشيخ ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين في قاعة الماحسيتيك (الأطلس اليوم) كان شعار هذا التجمع الكشفي " الإسلام ديننا، و العربية لغتنا و الجزائر وطننا ".

و كان هذا الشعار متجاوبا تماما مع شعور و أفكار الكشافين الحاضرين.[4]

كان أغلب فتيان الحركة الكشفية و قادتها و مسيري جمعياتها من تلاميذ المدارس العربية الحرة والنوادي أو من أعضاء الجمعيات المحلية لجمعية العلماء، و كان مرشدوها جميعا من معـلمي تـــــلك

1- من مواليد مدينة مليانة في 1908/4/26م بمدينة مليانة من أسرة فقيرة تلقى تعليمه في مسقط رأسه، و كغيره من الشباب الجزائري وجد صعوبة لمواصلة دراسته حتى انتقل في سن الثامنة عشر مع عائلته إلى العاصمة و عمل كمحاسب في مصالح الأميرالية كما كان لاعبا لكرة القدم في فريق مولودية الجزائر و عداء فاز في مسابقات عديدة و سباحا بارعا ثم مدربا ماهرا.

و إلى جانب الرياضة كان يداوم على حضور دروس في اللغة العربية في مدرسة الشبيبة، و تابع دروسا في الحقوق بجامع الجزائر، سافر في 1930 إلى أوروبا و هناك أعجب بالكشافة و عند رجوعه إلى الوطن أنشأ فوج "الخلود " بمليانة فكانت له الإدارة الإستعمارية بالمرصاد فاضطر إلى نقل الفوج إلى العاصمة في سنة 1933م.

انتخب سنة 1939 على رأس الكشافة الإسلامية الجزائرية و نظرا لدوره الكبير في النشاط الوطني عمد الإستعمار إلى وضع حدا لنشاطه فسقط شهيدا سنة 1941م . للمزيد عنه أنظر: د/ بوعمران و الأستاذ جيجلي، مصدر سابق.

2- المصدر السابق ص .13

3- كان يرد على عتاب زوجته له: " ان الله وليهم، و ان أبناء الجزائر كلهم أبنائي ".

4- الأستاذ محمّد الصالح رمضان، تاريخ الكشافة الاسلامية الجزائرية مجلة الثقافة العدد 70. رمضان شوال 1402هـ/يوليو – اغسطس 1982 ص 62.

المدارس، كما كان الأساتذة و المعلمون الجزائريون المتحررون في المدارس الفرنسية من أهم عناصرها و بناتها و كان بعض السياسيين لا يبخلون عليها بالدعم و التأييد و المشاركة العملية.[1]

و رغم ظروف الحرب العالمية الثانية لم تتوقف الكشافة الإسلامية الجزائرية عن نشاطاتها فقد نظمت أكبر تجمع تاريخي لها في مخيم تلمسان.[2] حيث اشترك فيه زهاء خمسمائة قائد من مختلف الأفواج و الفرق المنتشرة في الوطن و حضرته شخصيات كبيرة: ثقافية و دينية و سياسية جزائرية و فرنسية في طليعتها: العلامة محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين بعد وفاة الشيخ ابن باديس و الأستاذ فرحات عباس كما حضرته بعض الشخصيات من السلطات الفرنسية الحاكمة: مثل وزير الشبيبة في حكومة دوقول و عامل عمالة وهران و نائبه بتلمسان و غيرهم لمراقبة هذا التفجر الكشفي المبافت في تلك الظروف الصعبة الحرجة.[3]

و كان النشيد الرسمي لهذا المخيم الذي دام أياما في غابة عيون الحجل المشرفة على تلمسان.

من جبالنا طلع صوت الأحرار *** ينادينا للإستقلال

ينادينا للإستقلال *** لاستقلال وطننا

كان هذا النشيد يتردد صداه لأول مرة في جبال و سفوح تلمسان طيلة أيام المخيم و حفظته العامة و الخاصة و كان من وضع و تلحين الكشاف الشهيد السيد حسان بالكيرد.[4]

إن الكشافة الإسلامية الجزائرية قد لعبت دورا كبيرا في نشر الوعي الوطني و القومي في أوساط الشعب الجزائري من خلال الأناشيد الوطنية و الشعارات التي يريدها الأطفال في الرحلات و الحفلات التي تنظمها المؤسسة.

إبراز العلم الجزائري للشعب الجزائري الذي لم يكن يعرفه من قبل و للعدو الفرنسي الذي يسعى لمحوه.

1- الأستاذ محمد الصالح رمضان، المصدر السابق. ص 62.

2- انتظم هذا المخيم الكشفي ما بين 24-31 جويلية 1944 م أنظر:

Abdel Ouahab Baghli, scouts Musulmans Algeriens groupe El Mansourah Tlemcen 1936-1962 pp 86-89.92-93.

3- الأستاذ محمد الصالح رمضان، تاريخ الكشافة الجزائرية. ص 64.

4- من أعيان المصلحين بمدينة سطيف بركان صاحب مكتبة عربية فيها شارك في جميع التظاهرات الدينية و السياسية و الرياضية رئيس الفوج الكشفي " الحياة " بسطيف المؤسس في 8 جوان 1938 م. صاحب نشيد " من جبالنا طلع صوت الأحرار " و يخطىء من ينسبه للشاعر مفدي زكريا استشهد بالكيرد. في سنة 1957م بعد صديق وفي لقاسمي مصطفى الدستوري المنفي إلى الجزائر من تونس، قريب في ميوله السياسية من العلماء و كتلة النواب المنتخبين أنظر أرشيف ولاية قسنطينة علية رقم 6/6 و محمد الصالح رمضان مصدر سابق ص 65.

كما كان الكشافون حسب محمد الصالح رمضان (1) يشاركون الشعب في احتفالاته و تجمعاته بلباسهم الرسمي لحفظ النظام و مد يد المساعدة أو لتشنيف الأسماع بما يناسب من الأناشيد الوطنية العذبة. فكانوا يحضرون الحفلات الخيرية في الأعياد و المواسم الإسلامية و يشاركون تلاميذ المدارس العربية الحرة في احتفالات آخر السنة الدراسية، و يقدمون العون و التأييد في كل تجمع للصالح العام.[2] ففي سنة 1932، نزل الكشافون الجزائريون بشوارع مدينة سيدي بلعباس منشدين الأناشيد الوطنية و العلم الجزائري يتقدم الجميع و في نادي " الأمل الكشفي " تلى قائد المخيم الكشفي كلمة شكر فيها أهالي سيدي بلعباس على حسن حفاوتهم بأبنائهم ثم تلاه الأخ لالوت باسم سيدي بلعباس قائلا: إننا بصفتنا كشافة لم نعمل إلا ما أملاه علينا واجبنا الكشفي " و لما انتهى من كلامه تقدم الشاب الحبيب الناسي: قائلا: " إن الجزائر لا تموت و لا يمكن أن تموت ما دام اسم الجزائر يتردد في الآذان، و ما دام فيها مثل هذه الشبيبة الحية ، لأن مستقبل الجزائريين سيبنى على يد هؤلاء الأشبال..."[3]

لقد جندت الكشافة الإسلامية كل امكاناتها المادية و الأدبية للتعبير عن رفض الشعب للاحتلال، فمن خلال الأناشيد الكشفية و الوطنية كانت تؤكد على تمسكها بالجزائر عربية اسلامية[4] و ليست فرنسية و من خلال حملها لرايات تنادي سقوط الاستعمار و استغلال الجزائر و حملها في الكثير من الأحيان للراية الوطنية كان يحمل معاني التضحية و الاستشهاد من أجل الدين و الوطن.

لقد كان شباب الكشافة الإسلامية يرون في أنفسهم من خلال جولاتهم و مسيراتهم كأنهم في مهمة انتفاظة أو عصيان و كانوا يرون في نشاطهم هذا تحضيرا " للتحرير الوطني " و هذا ما كان يقلق سلطات الإحتلال التي كانت ترى في هؤلاء قوة وطنية في صالح الجزائر و معادية لفرنسا.[5]

إن وجود " جنود المستقبل " في مقدمة المظاهرات و بزيهم الرسمي و هم يرددون أناشيد وطنية على غرار:

شعب الجزائر مســـــلم *** و إلى العروبة ينتسب
و من جبالنا طلع صوت ***ا لأحرار ينادينا للإستقلال
وأيضا نشيد: حيوا الشمال ياشباب *** حيوا الشمال الإفريقي

1- من مواليد بلدة القنطرة ببسكرة سنة 1914، انتسب إلىدروس الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1934 عين سنة 1937 استاذا بمدرسة التربية والتعليم وظل بها الى سنة 1943 عين بعدها مدرسا بمدرسة الحديث بتلمسان سنة 1944 ثم صار مديرا لها رقي الى مفتش بمدارس الجمعية، كان أحد محرري مجلة الحياة لسان حال الكشافة الاسلامية الجزائرية كما حرر مقالات بالبصائر والاسبوع التونسية، وبعد الاستقلال نشر في معظم الصحف والمجلات الجزائرية له مجموعة من المؤلفات. أنظر مرتاض، فنون النثر الادبي، ص .512.

2- محمد الصالح رمضان: مصدر سابق ص.62

3- حاضر، الكشافة الإسلامية الجزائرية بسيدي بلعباس، جريدة المنار عدد 3 شعبان 1311هـ. ماي 1952م.

4- ينبغي على المرشد ان يبث في الكشاف المسلم الجزائري روح الإسلام و تعاليم الإسلام و مبادئه و يبث فيهم روح التعاون و الايثار و روح التضحية و احترام الكبير و العطف على الصغير و الثقة بالنفس و الاعتماد عليها و الصبر و الثبات في الشدائد و المحن و روح الإبتكار أنظر: أحمد بوزيد قصيبة، مرشد الرجاء بالأغواط سابقا، الكشافة و التربية الأخلاقية، نشرة داخلية لجامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية العدد 1 . 23 شوال 65 هـ سبتمبر عام 1946م المطبعة الجزائرية الإسلامية ص 10 و ما بعدها.

Mahfoud Kaddache Article in El Moudjahid 1 Nov 1984 p 15. -5

كان يثير حفيظة و ضغينة الفرنسيين من معمرين و سلطات مدينة و عسكرية على حد سواء جعلتهم يفقدون صوابهم مما حول المظاهرات السلمية إلى مذابح جماعية في حق هؤلاء الشباب و باقي الأهالي كان أول شهدائها الكشاف سعال بوزيد ذو 22 سنة ليتبعه المئات من شهداء الكشافة في مختلف أنحاء البلاد ففي قالمة اغتالت سلطات الاحتلال في 13 ماي 1945م أربعين فردا من فوج " النجوم ".[1]

إن حجم و فعالية مشاركة الكشافة الإسلامية في انتفاضة 8 مايو 1945 أظهر مدى وعي هؤلاء الشباب " جنود المستقبل " و مدى تعلقهم بوطنهم و طموحهم للحرية و الإنعتاق من براثن الإحتلال و رفضهم لسياسة الإدماج التي كان يتغنى بها الفرنسيون بل و استعجالهم رحيل المستعمرين لبلادهم.[2]

إن حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية كانت من القنوات الإسلامية التي تجسدت و تجلت من خلالها قناعات الشرائح العريضة من الشعب في الرغبة للانعتاق و تشييد نهضة وطنية و تعزيز الهوية العربية الإسلامية في مواجهة التغريب.

د- جمعية الإصلاح:

تأسست بمدينة غرداية في سنة 1356هـ 1928م. و قد اعترفت الحكومة الفرنسية بها في نفس السنة.[3] و قد قامت بفتح مدرسة ذات فصلين في بعض الدور الصغيرة كما أسست في نفس السنة مدرسة ثانية في مدينة بريان، و مدرسة ثالثة في مدينة العطف في حدود سنة 1932م[4].

ر- جمعية الوفاق:

تأسست بمدينة الجزائر في سنة 1929م تضم شباب بني ميزاب و تجمعهم للتفكير و ذلك لخدمة مصالحهم الأدبية و الإقتصادية و لنشر الثقافة و التهذيب في أوساطهم بواسطة المحاضرات، و دروس الوعظ و الإرشاد و قد انتخبوا لهذه الجمعية الشيخ سعيد بن بكير خالدي و السيد الفرقد سليمان بوجناح كاتبا عاما لها، و كان من أبرز أعضائها الشاعر الكبير مفدي زكريا، (5) و إبراهيم غرافة. و بسبب نزعة كاتبها العام الفرقد الوطنية تم نفيه إلى أقاصي الصحراء. فتوقفت الجمعية عامين، ثم عادت للظهور في أوائل سنة 1933م.[6]

1- أنظر رضوان ثابت عيناد: 8 ماي 1945 في الجزائر ترجمة المؤلف و مغيلي: ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. 1986 ص 63-.64

2- بعد انتفاضة 8 ماي 1945 م بقيت الأوضاع متوترة في الكثير من المناطق و عنها تيزي وزو و هذا ما أدى إلى محاصرة النشاط الكشفي تلاه اعتقال بعض المؤولين و القادة الكشفيين منهم محمد القشعي و محمد الصغير فرج في 13 جوان 1945م و ايداعهم السجن أنظر: Mohamed el Kechai Années de lutte. Imprimerie Aurasi Draa Ben Khedda. TIZI OUZOU: 1997 pp 33-34.

3- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب المطبعة العربية غرداية 1992 ص .155

4- د/ رابح تركي، التعليم القومي... ص 246.

5- ولد في بني يزقن سنة 1913، درس بمسقط رأسه ثم أكمل دراسته بتونس، شارك في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، توفي سنة 1977. أنظر: الشعر الجزائري المعاصر، ص 93 – .94

6- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب... ص 155.

ز- الجمعية الخيرية الوطنية:

تأسست في 2 صفر 1346هـ الموافق لـ 1 أوت 1927م أنشأت مدرستها في بريان في سنة 1928م و في سنة 1939م استقدمت الجمعية العلامة الشيخ عبد الرحمان بن عمر باكلي كأستاذ بالمدرسة و مشرفا عليها، و شيخ مسجد بريان، و رئيس العزابة[1] و ابتداء من سنة 1946م صارت الجمعية الخيرية تسمى جمعية الفتح و اعترفت بها الإدارة الإستعمارية، و قد كان السيد سليمان بن الناصر حسني أول رئيس للجمعية الخيرية.[2]

س- جمعية الشباب:

نشأت في وادي ميزاب في سنة 1345هـ 1926 م بعد عام من تأسيس معهد الحياة. و كان للجمعية رئيس و نائبه و كاتبه و نائبه. و أمين مال و نائبه. و عامل و نائبه يتم انتخابهم داخل الجمعية بطريقة حرة و سرية كل سنة و كان الشيخ عدون هو رئيس هذه الجمعية الذي كان الأعضاء يجمعون على تجديد الثقة فيه كل مرة.[3]

قامت هذه الجمعية بدور كبير في النهوض بالمنطقة من خلال حث الشباب و الدفع به و تربيته على العمل لله. و تعويدهم الشجاعة و الإخلاص، و مراقبة سلوكهم ليكونوا دائما على استقامة كما كان الأعضاء يحرسون المدينة و يحمونها من المفاسد التي تضر بالأخلاق. و يراقبون كل أجنبي على المدينة حماية لها من كل أضرار قد تلحق بها في دينها و أخلاقها.[4]

كما كانت الجمعية تنمي المواهب و ترعاها، فهي تحث الصغار على نقد الخطب و المحاضرات لتعلمهم النقد و تخلق فيهم الثقة بالنفس، و تسعى إلى تدريب العقول على التفكير و الألسنة على الفصاحة، كما كانت تهتم بإقامة المناظرات العلمية و الأدبية و الاجتماعية و غالب المناظرات كانت مرتجلة لا مكتوبة و هي بالعربية الفصحى.[5]

و تعد جمعية الشباب التي كانت مدعمة لمعهد الحياة و من أنفع الجمعيات الثقافية التي نشأت في الجزائر و أطولها أمدا فهي مازالت مستمرة في نشاطها. كما كانت تهتم بإقامة الاحتفالات العامة في الأعياد الوطنية و الدينية كعيد المولد النبوي الشريف، و كانت تنظم الحفلات في نادي الحياة و في باحة مدرسة الحياة و غيرها من الأماكن اللائقة الواسعة، و كانت في هذه الاحتفالات تمثل الروايات الاجتماعية و التاريخية المفيدة كرواية بلال بن رباح للشيخ محمد العيد آل خليفة.[6]

1- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب... ص 155.

2- المصدر السابق ص 155.

3- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة جزء 3 ص 120 و ما بعدها.

4- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة جزء 1 ص 239-240.

5- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة جزء 3 ص 130.

6- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة جزء 3 ص 130.

ش- <u>جمعية الفلاح</u>: تأسست بمدينة وهران سنة 1937 م برئاسة الحاج شيخ أحمد، و نائبه الأول قندسي هواري، نائبه الثاني محمد براهيم المولود طالب المهاجي، الذي أخذ دروس على يد الشيخ ابن باديس، و نال منه شهادة، والبرزيني عباس كاتبا عاما، أحمد السمغوني أمينا للمال، الحبيب الرقيق نائبه، مكي عبد القادر مراقب، وبن عيسي نائبه، و كان هدف الجمعية المساعدة على نشر اللغة العربية و إعطاء دروس للأطفال المحرومين. و تنظيم محاضرات أدبية باللغة العربية من طرف أساتذة أكفاء و مؤهلين بالفرنسية والعربية و توطيد علاقات الصداقة.(1)

ص-<u>جمعية التقوى</u>: تأسست بمدينة الجزائر سنة 1937م برئاسة خروبي بن عيسى، نائبه سعدوني محمد اما الكاتب العام فهو براهم بن أحمد. نائبه اريدة محمد أمين المال: بودة أحمد نائباه: جميل أحمد و سواد عبد الله. المراقب العام، برطوي محمد و نائبه عزوقي سعيد المكتبي الصغير محمد.(2)

و حسب تقرير فرنسي فإن الرئيس و الأعضاء ينتمون للعلماء المصلحين ومن اتباع الشيخ الطيّب العقبي.(3)

<u>2- المساجد:</u>

إن الدور الذي تضطلع به المساجد في العالم الإسلامي يتعدى حدود القيام بالعبادات في الإسلام إلى نشر التعليم الشامل لتعاليم الدين الإسلامي للجميع صبيانا و رجالا و نساء. لكي يتعلموا ما يلزمهم في العبادات، كالصلاة و الصوم و الزكاة و الحج و سائر الفرائض الإسلامية، و قد اتبع المسلمون كافة السبل في الوصول إلى نشر دعوتهم، فعلموا في بيوتهم، و في المساجد، و في كل مكان، و لم يفتهم الحث على تعلم الكتابة (4) .

و ليس أدل على مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي من تلك الجموع الكبيرة من العلماء و الفقهاء و المدرسين الذين تخرجوا منه ولعبوا الدور الكبير في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية و نشر الدين الإسلامي في مشارق الأرض و مغاربها.

وشعورا من المحتلين بالخطر الذي قد يلحقهم، عملوا بعد الإحتلال على الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية و وضعوا يدهم على المساجد، و أغلقوها في وجه العلماء المخلصين، وقصروا منابرها والتدريس فيها على أذنابهم الذين يهدهدون. المسلمين في خطبهم ليناموا ويخدرونهم ليستكينوا للمستعمرين.(5)

1- تقرير سري من مسؤول أمن العمالة إلى السيد عامل العمالة. حول تأسيس جمعية الفلاح. مؤرخ بوهران في 12 أفريل 1938. A.O.M. 9 H 46، وانظر أيضا عن الفلاح وباقي أعضائها: جريدة المغرب، عدد1،(1937/5/21).

2- تقرير من السيد عامل عمالة الجزائر إلى السيد الوالي العام حول الجمعية الإسلامية التقوى مؤرخ بالجزائر في 14 جانفي 1938 A.O.M. 9 H 46.

3- المصدر السابق. A.O.M. 9 H 46

4- أحمد فؤاد الأهواني. التربية في الإسلام دار المعارف ط (2) 1975 ص 74.

5- محمد علي ديوز، نهضة الجزائر و ثوتها المباركة... الجزء 1 ص 22 و عمر بن قدور الأزمة الدينية جريدة التقدم التونسية عدد 82 (24 أوت 1908).

و أبرز الشيخ ابن باديس أهمية الدور الذي يلعبه المسجد في المجتمع فقال: "... إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإن العامة التي تؤم تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر و تتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة و بصيرة بالدين فتكمن هي في نفوسها و لا تهمل – و قد عرفت العلم و ذاقت حلاوته – تعليم أبنائها – و هكذا ينشر العلم في الأمة و يكثر طلابه من أبنائها..."[1]

كما تمثل المساجد في عصر العلماء المصلحين ليس فقط مكان للتعبد و لكن كانت تمثل مدارس لمحاربة الأمية، و بث فكرة الإصلاح و بعث اليقظة في النفوس و توجيه المسلمين إلى ما يصلح دينهم و دنياهم.[2] فهو مرتبط بالتعليم كارتباطه بالصلاة يقول ابن باديس: "... المسجد و التعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام... فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم، و حاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة فلا اسلام بدون تعليم..."[3]

من هذا المنطلق راح المصلحون يهتمون بالتعليم المسجدي و يولونه عناية فائقة ايمانا منهم بالمنزلة الرفيعة للمسجد و قدرته المذهلة على استقطاب الجماهير من مختلف الشرائح و الأعمار، و ايصال الفكر الإصلاحي النهضوي إليهم عن طريق الخطب المنبرية و الدروس الوعظية و الإرشادية.[4]

ففي التقرير الذي قدمه الشيخ ابن باديس عن التعليم المسجدي سنة 1935م دعا المسلمين إلى ضرورة الإهتمام بالتعليم المسجدي الذي هو أساس الصلاح و الفلاح، و أن الحالة التي وصل إليها المسلمون أنذاك مردها إلى اهمال رسالة المسجد التعليمية "... الإسلام دين الله الذي يجمع بين السعادتين و إنما يسعدهما به من اعتقد عقائده و تأدب بآدابه، و ارتبط بأحكامه في الظاهر و الباطن من أعماله و لا بد لهذا كله من التعليم الديني الذي محله المساجد و بدونه لا سبيل إلى شيء من هذا كله، فصارت حاجة المسلمين إليه هي حاجتهم إلى الإسلام. و صار أعراضهم عنه هو اعراض عن الإسلام. و هجر له و ما انتهى المسلمون اليوم إلى ما انتهوا إليه إلا بذلك الهجر و ذلك الإعراض، و لن يرجى لهم شيء من السعادة الإسلامية إلاّ إذا أقبلوا على التعليم الديني، فأقاموه في مساجدهم كما يقيمون الصلاة، و كما كان النبي صلى الله عليه و سلّم يفعل من إقامتها بمسجده كما تقدم...".[5]

و من أهم المساجد التي يمكن أن نتخذها كأمثلة حية على مدى الدور الكبير الذي لعبته المؤسسات الدينية في تنوير المجتمع الجزائري و بث العلوم بين النّاس نذكر: بمدينة الجزائر. الجامع الجديد الذي كـــان

1- مجلة الشهاب المجلد 6 ج 11 ديسمبر 1930 ص 692-.693

2- بوصفصاف، جمعية العلماء... ص 145-.146

3- عمار طالبي، ابن باديس حياته و آثاره. الجزء 4. دار و مكتبة الشركة الجزائرية. الجزائر 1968. ص .225

4- كانت الإدارة الإستعمارية تشدد رقابتها على نشاط المصلحين بالمساجد أنظر تقرير أرشيف الوثائق بقسنطينة تحت عنوان: Prises de parole dans les Mosques Notament Benbadis N26.

5- أنظر الشيخ الدعام ابن باديس. تقرير في التعليم المسجدي، السجل، ...ص 105.

الشيخ الطيب العقبي يلقي به درسين أحدهما بعد صلاة الجمعة و ثانيهما بعد صلاة العصر من كل يوم أحد.[1]

و في يوم السبت كان يلقي درسه بجامع سفير و في صبيحة يوم الأحد كان يلقي درسه بمسجد القبة المالكي.[2] أما مسجد مدينة ميلة فقد انتصب للتدريس فيه الشيخ مبارك، الميلي حيث كان ينشر التعليم الديني الصحيح و يتصدى للبدع و الخرافات. و إلقاء دروس في الوعظ و الإرشاد إلى أمر بالمعروف و نهي عن المنكر، إلى خدمة الأمة في دينها و عقلها و روحها و قلبها و بدنها. مواصلا في ذلك الليل بالنهار.[3] علما بأن السلطات الإستعمارية كانت تتوجس خيفة من هذا النشاط الذي تصعب مراقبته في مكان مقدس و هو المسجد، الذي يمنع دخوله لغير المسلمين (الروميين) [4].

و في مستغانم كان الشيخ بلقاسم بن حلوش[5] من أبرز المدرسين بمساجدها فقد ساهم من خلال التعليم المسجدي في بث الإصلاح و نشره في الأوساط الشعبية ففي مسجد صغير هو ملك للعائلة يقع بضواحي حي تيجديت يعرف بمسجد عبد الله [6] كان الشيخ بلقاسم يلقي دروسه على الناس بل فيه أيضا كانت تجمع المساعدات للطلبة الذين يدرسون عند الشيخ ابن باديس بقسنطينة [7]

كما نجد المساجد في مدن بني ميزاب هي الأخرى قد اضطلعت بالنشاط الإصلاحي و التجديدي، بل و كانت مدارس العلم لصقية بها أو مجاورة لها. و سيرا على سنة السلف الصالح الذي كانت مساجده مدارس ثانوية و جامعات راح المصلحون بوادي ميزاب يتخذون من المساجد مدارس للعلم و من ذلك مسجد القرارة الذي رجعت إليه وظيفته التعليمية مع بداية الأربعينات، و صار يعج بالتلاميذ في أوقات الدرس، و صار تلاميذ معهد الحياة يقضون في المسجد و في دار التلاميذ المتصل به جل نهارهم و كثيراً من ليلهم فصبغهم المسجد بصبغته، و فاز المعهد بخير كبير لوجوده في المسجد، أن المعهد بجوار المسجد قد استطاع أن يغرس عادة الصلاة مع الجماعة في كل تلاميذه.[8]

و يذهب الباحث محمد علي دبوز أن الشيخ بيوض الذي رابط في مسجد القرارة عقودا من الزمن قد طهر المجتمع من مفاسده. و ثقف العقول بدروسه العظمة في التفسير و الأخلاق و السيرة النبوية وغيرها. فصلحت نفوس القرارة و عمها الإصلاح. و صارت القرارة من أكبر منابع الإصلاح في الجزائر. و قلعته الكبرى في الجنوت[9]، و تثقفت القرارة ثقافة دينية قوية و عرف رجالها و نساؤها كلهم

1- أحمد مريوش، الطيب العقبي، حياته و آثاره، مذكرة سنة أولى ماجستير، مخطوطة جامعة الجزائر. 1984، ص 32.

2- تقرير إلى السيد عامل عمالة الجزائر. مؤرخ بتاريخ 10 مارس 1933م (يظهر أنه من المفتي المالكي للجزائر). A.O.M.16 H 75.

1- أنظر الشهاب ج2 . م11. 5 ماي 1935 و دبوز، اعلام الاصلاح في الجزائر ج3 ص 62 و ما بعدها.

2- تقرير سري جدا عن حالة دينية و سياسية ببلدية ميلة مؤخر بميلة في 10 جوان 1936 A.O.M9H 46

- من عائلة علمية بمستغانم ولد سنة 1881 بمستغانم اشتهر بلقب العالم المتفتح والمصلح السلفي تتلمذ على علماء عصره بمستغانم انظم إلى جمعية العلماء و صار عضوا في مجلسها الإداري أسس جمعية علماء ترأس شعبة جمعية العلماء بالمدينة و ترأسها توفي رحمه الله سنة 1949 ، للمزيد عنه أنظر فوضالة من أعلام الإصلاح الجزء الأول دار هما الجزائر ص 102 و ما بعدها

6-Korso op cit p 283.

5- ديوز، اعلام الإصلاح،...ج3، ص 98-99.

7- أنظر المراسلة من سلطات مستغانم إلى الوالي العالم مؤرخة بمستغانم في 10/25 /1937 A.O.M 9H 46

دينهم، لا تجد في عامتها من يجهل دينه، فالكل يعرفون من الدين ما فرض الله معرفته على كل مسلم، بفضل دروس المسجد الدائمة في الوعظ و الإرشاد و في الفقه الإسلامي.[1]

أما مدينة الأغواط التي كانت تسيطر عليها من حيث التوجهات الدينية نفوذ الطريقيين التجانية و القادرية [2]، فقد عرفت نشاطها في مجال النهضة و الإصلاح بحلول الشيخ مبارك الميلي بها ابتداءاً من سنة 1926م. ملبيا داعيا الواجب، حيث غادر مدينة قسنطينة التي كان مساعدا فيها لأستاذه الإمام ابن باديس. و قد اختار الشيخ الميلي الجامع العتيق بالأغواط لدروس وعظه، حيث كان يلقي فيه درسا على العامة في كل ليلة بعد صلاة العشاء. ما عدا ليلة الجمعة يوم العطلة الأسبوعية و كان المسجد يمتلئ بالناس في وقت الدرس على سعته و كان للنساء فيه ركن يسمعن دروس الشيخ من وراء ستار.

و كانت دروس الشيخ الميلي في الوعظ تعتمد على القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة، ثائرا على البدع و الخرافات و ضلالات الطرقيين مهاجما الإلحاد و العادات الفاسدة و حفلات مواليد المشايخ الطرقيين.[3]

و قد كانت لدروس الشيخ الميلي آثار إيجابية على المنطقة حيث تمكن أن يرسي دعائم نهضة قوامها العلم و الدين، في بحر سنوات لفتت إليها الأنظار، فقد زارها الشيخ ابن باديس و حضر درس تلميذة الشيخ الميلي في الجامع العتيق. و تلاه بدرس بليغ هز نفوس الأغواطيين و زارها علماء آخرون، و ممن زارها و ألقى فيها دروسه الشيخ بيوض ابراهيم، و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.[4]

كما كان للشيخ الميلي نشاط اصلاحي في مدينتي بوسعادة و الجلفة القريبتان من الأغواط، حيث كان يزورهما مرة في كل شهر. فكان من أسباب نهضتهما دروس الشيخ الميلي فيهما.[5]

كما تعد مدينة قسنطينة قطب الحركة الإصلاحية. و مركز الإشعاع العلمي الذي كان ينطلق منها فيمس بنوره الوهاج أغلب أنحاء الوطن حيث بدأ التعليم المسجدي مع بداية الحرب العالمية الأولى. كما عرضنا في أصول الخطاب النهضوي، ثم تقوى مع منتصف العشرينات حيث زاد الإقبال على الدروس المسجدية الباديسية و صار طلبة العلم يقصدونها من كل أنحاء الوطن[6]، و كانت مساجد و جوامع قسنطينة: الجامع الأخضر سيدي كموش، و سيدي عبد المؤمن، و المسجد الكبير[7]، و سيدي فتح الله تمثل مراكز إشعاع حضاري تساهم في تطوير العقلية الجزائرية .

ففي رحاب هذه المساجد كان الشيخ ابن باديس يعلم الصغار نهارا والكبار ليلا[8]، و من ذلك الدروس العلمية بالجامع الأخضر و سيدي كموش لسنة 1351هـ /1932م التي كان يقوم بها:الأستـــــاذ الشيخ

1- المصدر السابق، ص 118.

2- أنظر عن نفوذ الطرقيين بالأغواط في فترة العشرينات. Ali Merad, Le Reformisme. Musulman en Algerie p 177.

3- أنظر عن بدايات نشاطه الإصلاحي بالأغواط ديوز، نهضة الجزائر. ج3. ص 268.

4- المصدر السابق. ج3. ص 269. 5 - المصدر السابق. ج3. ص 269.

6- ذكر الشيخ ابن باديس أن الطلبة الذين يردون على الجامع الأخضر هم من العمالات الثلاث . أنظر السجل. ص 106-107.

7- يعد الشيخ حمدان لونيسي من أبرز المدرسين بهذا المسجد قبل ظهور الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي يعد من أشهر تلامذته انظر سعد الله تاريخ الجزائر ج 3 ص 129 و ما بعدها 8- بوصفصاف، جمعية العلماء،...ص 146.

عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر، و الشيخ محمد الشريف الصائغي [1] المدرس بمكتب جمعية التربية و التعليم الإسلاميـــــــة ، و الشيخ عبد العالي الأخضري [2] المدرس بمكتب جمعية التربية و التعليم الاسلامية التي نوردها في هذا الجدول[3] :

التفسير من سورة لقمان من ليلة الأحد إلى ليلة الخميس	الهدي النبوي اثر التفسير من ليلة الأحد إلى ليلة الثلثاء	رجال السلف اثر التفسير ليلة الأربعاء	الأستاذ عبد الحميد ابن باديس
مبادي من اللغة الفرنسوية يلقيها بعض التلامذة العارفين بها على اخوانهم ليلا			

الطبقة الأولى

الكتاب	الوقت	الحصة	الأيام	الأستاذ	المكان
منن الرسالة	7 صباحا	ساعة	السبت إلى الأربعاء	عبد العلي الأخضري	سيدي قموش
اللا جرومية	8 صباحا	-	السبت إلى الاثنين	محمد الشريف الصائغ	-
مبادي صرفية	8 صباحا	-	الثلاثاء إلى الأربعاء	-	-
مبادي الحساب	9صباحا	-	السبت إلى الاثنين	-	-
مبادي جغرافية	9صباحا	-	الثلاثاء	-	-
محفوظات عربية	9 صباحا	-	الأربعاء	-	-

الطبقة الثانية

الكتاب	الوقت	الحصة	الأيام	الأستاذ	المكان
متن الرسالة	7 صباحا	ساعة	السبت إلى الأربعاء	عبد العلي الأخضري	سيدي الأخضر
الانشاء 2	10 صباحا	-	سبت - أحد	محمد الشريف الصائغي	-
الحساب 2	10 صباحا	-	اثنين- ثلاثاء	-	-
الجغرافية 3	10	-	أربعاء	-	-
شرح القطر	3 مساء	-	سبت إلى الثلاثاء	عبد الحميد ابن باديس	-
مقدمة ابن هشام	4	ساعة غير ربع	سبت-أحد	-	-
الزنجاني	4	ساعة	اثنين – ثلاثاء	-	-
محفوظات عربية	4	-	الأربعاء	-	-

الطبقة الثالثة

الكتاب	الوقت	الحصة	الأيام	الأستاذ	المكان
شرح المختصر من أوله	7 صباحا	ساعة	السبت إلى الأربعاء	عبد العلي الأخضري	سيدي قموش
آيات الأحكام	8 صباحا	-	السبت إلى الاثنين	محمد الشريف الصائغ	-
متن الموطأ	8 صباحا	-	الثلاثاء إلى الأربعاء	-	-
الثاني من المكودي	9صباحا	-	السبت إلى الاثنين	-	-
أمالي القالي	9صباحا	-	الثلاثاء	-	-
	9 صباحا	-	الأربعاء	-	-

1-ولد سنة 1989 قرب مسكيانة بأم البواقي درس في البداية على والده الشيخ محمد الطاهر الصائغي ثم أكمل دراسته بجامع الزيتونة حيث نال منه شهادة التطويع سنة 1922 درس بجامع الأخضر و بالمكتب العربي بقسنطينة توفي سنة 1942 أنظر فوضالة من أعلام الإصلاح الجزء الأول ص 143 و ما بعدها

2-ولد بنواحي بسكرة سنة 1907 و بها أخذ دروسه الأولى ثم أكمل دراسته بجامع الزيتونة حيث نال شهادة التطويع سنة 1926 درس بقسنطينة توفي سنة 1959 أنظر فوضالة من أعلام الإصلاح الجزء الأول ص 146 و ما بعدها .

3-سليمان الصيد، نفح الأزهار، ص 200.

و هذا ما أكده تقرير سري من مركز الإعلام لعمالة قسنطينة مؤرخ يوم 10 فيفري 1938 إلى الإدارة الفرنسية جاء فيه أن رئيس جمعية العلماء ابن باديس كان يلقي دروسا لمستويات عالية لطلاب سيشكلون مستقبل هيئة أركان دعوته بالجامع الأخضر أو بمسجد سي كموش الذي يعود إلى عائلته.[1]

و نظراً لأهمية هذه المساجد و مكانتها العلمية فقد كان عدد المترددين عليها في تزايد مستمر ففي سنة 1936م قدر عدد طلاب الجامع الأخضر وحده بـ 300 طالب. و كان ابن باديس يرى ضرورة تأسيس كلية دينية يتخرج منها الفقهاء يعلمون الناس أمور دينها، و كان يعني بتأسيس الكلية الدينية تأسيس مسجد من المساجد العظمى بالعاصمة أو قسنطينة ليكون مركزا رئيسيا و تكون المساجد الأخرى فروعا له.[2]

و قد اعتمد العلماء المصلحون في المساجد طريقة السلف الصالح في الوعظ و الإرشاد و التذكير بكتاب الله و شرحه و أجلاء عبره، و نشر سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و تبينها و شرحها و الحث على اتباعها و الهدي بهديها و الإهتداء بالصحابة و حملة السنة النبوية في أقوالهم و أعمالهم[3]، و هو ما كان يدعو إليه ابن باديس، فسلاح اليقظة حسبهم كان دائما عن طريق العودة إلى الإسلام الصحيح المستقى من الكتاب و السنة.[4]

و عندما منعت الإدارة الإحتلال رجال الجمعية في عام 1933 من القاء دروس الوعظ و الإرشاد في المساجد الرسمية ثارت نخوة الأمة كما يقول الإبراهيمي. فأنشأت بما لها بضعة و تسعين مسجدا في ستة واحدة في أمهات المدن و القرى" .[5]الأمر الذي جعل الإدارة الاستعمارية تتوجس من ذلك خيفة.

فقد نبه المتصرف الإداري لبلدة فج مزالة (فرجيوة اليوم) و حذر من تزايد المساجد الإصلاحية حيث ستصبح هذه المساجد المشيدة بأموال الشعب في المستقبل مراكز دعوة قوية تجبر المرابطين على التقهقر و تقف صامدة في وجه الطرفية.[6]

بل إن هذا الانتشار الواسع للتعليم المسجدي الحر و نتائجه المثمرة التي بدأت تؤتي كلها جعل الإدارة الإستعمارية. تتحرش بالعلماء المصلحين و تعمل كل ما في وسعها لتحجيم نشاطهم و حصرهم في دائرة ضيقة فقد أصدر الكاتب العام للولاية ميشال قراره المشؤوم في يوم 16 فيفري 1933م ضد العلماء و خاصة الشيخ الطيب العقبي منهم الذي أقلقهم نشاطه الإصلاحي بالعاصمة.[7]

1- تقرير سري لمركز الإعلام و الدراسات حول نشاط مختلف شعب جمعية العلماء لعمالة قسنطينة مؤرخ في 10 فيفري 1938. A.O.M 9 H 46

2- بوصفصاف جمعية العلماء، ص .147

3- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس،...ص .362

4- عمود قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية. دار المعارف. ص .56

5- تركي رابح. التعليم القومي. ص .221

6- بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين...ص 148-.149

7- أحمد مريوش دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحركة الوطنية الجزائرية ما بين 1931-1952 ، مجلة الرؤية المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية الجزائر عدد 2 جوان 1996 ص .137

و مما جاء في هذا القرار: " و عليه فإني أعهد إليكم أن تراقبوا بكل اهتمام ما يروج في الاجتماعات و المسامرات التي تعقد باسم جمعية العلماء التي يترأسها السيد ابن باديس، و لسانها الرسمي في الجـــزائر

الشيخ الطيب العقبي، كما يجب أن تشمل مراقبتكم المدارس القرآنية."[1]

و بعد يومين فقط أصدر الكاتب العام قرارا مكملا يمنع فيه العلماء الأحرار من مزاولة أي نشاط داخل المساجد جاء فيه. " انهي إلى أنه تكرر وقوع خطب و دروس و محاضرات في المساجد قام بها أشخاص ليسوا من رجال الدين الرسميين و ذلك بموافقة رجال الدين صراحة أو بالسكون."[2]

و جاء في التقرير المرسل إلى السيدعامل عمالة الجزائر بتاريخ 10 مارس 1933م يبين فيه بأن الرسالة المرسلة بتاريخ 1933/2/18 و التي تتعلق بمنع النشاطات داخل المساجد المالكية بالعاصمة من دون تصريح و لا رخصة هي مرفوضة قد تم اخبار المترددين على هذه المساجد بها و الذين كانوا مرتاحين لأمر المنع على العلماء غير الرسميين بالقاء محاضرات فيها.[3]

و حتى يزيد في تأكيد ولائه للسلطات الحكومية ما دام يتقاضى مرتبه منها، برر هذه التعليمة بشواهد تاريخية مزيفة. و غير صحيحة و لم يثبت لها أصل على مدار التاريخ الإسلامي فقال: " ان هذا القرار الذي اتخذتموه سيدي الوالي يتطابق مع ما تعارف عليه الناس منذ عهود من أن المساجد وجدت للعبادة فقط و في كل بلدان العالم الإسلامي و أن التدريس فيها ينبغي أن يتواقف مع المبادىء التي أسست من أجلها."[4]

و وقع الإعتداء على المساجد الحرة التي أسسها الشعب بحر ماله و ذلك حتى يقل إقبال الناس و تردّدهم عليها، و من ثم يقل تأثير العلماء في الأوساط الشعبية من ذلك على سبيل المثال ما وقع على مسجد قنزات ببني يعلى من اعتداء على حرمته من طرف أعوان الشرطة ففي " يوم الجمعة 22 أكتوبر 1937م و بعد آداء صلاة الجمعة بينما كان أحد الشبان المتقفين الشيخ الفضيل الورتلاني يفسر آية من آيات كتاب الله أمام جمع غفير من مسلمي القرية المذكورة (قنزات) إذ دخل عليهم أعوان السلطة مرفوقين بالدرك. و أهانوهم و اعتدوا عليهم منتهكين حرمة الأماكن المقدسة و لولا برودة دم الشيخ الفضيل الورتيلاني و الشيخ السعيد صالحي.[5] لوقع ما لا تحمد عقباه.[6]

1- Alger Republicain No 261 2 eme Année Samedi 24/6/1939.

2- أنظر جريدة البصائر عدد 31 السنة أولى 17 أوت 1936.

3- تقرير إلى السيد عامل عمالة الجزائر مؤرخ بتاريخ 10 مارس 1933م أنظر A.O.M 16 H 75.

4- المصدر السابق.

5- هو أحد رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أعضائها العاملين عضو هيئة جمعية العلماء بباريس و نائب رئيس البعثة بباريس ولد بقانزات سنة 1902 و بها درس على مشايخ أجلاء كعام أبيه الشيخ الصالحي تأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و الشيخ رضا اعتمدته جمعية العلماء مشرفا على حركة الإصلاح في مدينة سيق و ما جاورها من 1950 إلى 1953 انتقل بعدها إلى وهران ثم إلى تلمسان أسس مدرسة الإصلاح و بعد الاستقلال عيّن نائبا لرئيس المجلس الإسلامي الأعلى توفي سنة 1986 للمزيدعنه أنظر فوضالة من أعلام الإصلاح الجزء الأول ص 124 و ما بعدها .

6- Une Grave Provocation à Guenzet, La Mosquee est Profainée. La Defense 5-11-1937.

و لقد ترتب على صدور قرار ميشال ظهور سخط عام في الجزائر ضده حيث اعتبروه جريمة في حق الدين و العلم و الوطن ففي يوم 1933/2/24 سارت مظاهرة حاشدة من المسجد الكبير بعد صلاة الجمعة في اتجاه مقر الولاية العامة و قد حضرها ما يزيد عن 6000 متظاهر ثم ما لبث أن توسعت لتصـــــــل إلى

حوالي 14000 كان شعار المتظاهرين إعطاء الحرية التامة للعلماء ثم تحولت النداءات إلى مطالب سياسية منها الغاء قانون الأنديجنا، و تعدت الاحتجاجات إلى صفوف الضباط المسلمين بالجيش الفرنسي حيث رفضوا المشاركة في احتفالات 7/14 الفرنسية.[1]

و توسعت المظاهرات حتى مست المدن الداخلية و عبر أحد الفرنسيين عن مكانة رجال الإصلاح وقتئذ بقوله: " ان أفكار ابن باديس و العقبي و الإبراهيمي. هي مصدر الحس الوطني."[2]

و في نوفمبر من عام 1933م تقدمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بطلب رسمي إلى الوالي العام الفرنسي بالجزائر بخصوص حرية التعليم في المساجد الرسمية جاء فيها ما يلي: " بما أن المساجد كانت في القطر الجزائري مفتوحة في وجوه العلماء للوعظ و الإرشاد و تعليم مبادئ الدين الإسلامي. و بما أن هذه الحالة بقيت بعد الاحتلال على ما كاتب عليه قبله و لم يقع فيها تغيير منذ قرن كامل، و بما أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم غاياتها الوعظ و الإرشاد، و أن القيام بهذه المهمة لا يكون إلا في المساجد، و بما أن قرار عامل عمالة الجزائر أحدث اضطرابا شديدا في أفكار المسلمين الذين اعتبروه مسا بحريتهم الدينية."[3]

لكن الإدارة الاستعمارية التي لمست في مجهود العلماء رغبة جامحة و إرادة صادقة لبعث الأمة الجزائرية من مرقدها و العمل على النهوض بها أصرت على موقفها و تعنتت و بقيت محكمة قبضتها الحديدية على المؤسسات الدينية الإسلامية عن طريق موظفيها الرسميين الذين كانوا عيونا على العلماء المصلحين يحصون عليهم أنفاسهم، بل و ينقلون حرفيا للإدارة الفرنسية كل ما يصدر عن العلماء من نشاط.

فقد جاء في تقرير إلى سلطات الاحتلال قام به المفتي بن خلفه حبيب بتلمسان أن الشيخ الإبراهيمي لما حضر إلى مسجد سيدي ابراهيم بمناسبة زواج بن كلي بربر مقدم الطريقة الطيبية يوم الأحد 17 أفريل 1938م و بعد أن دعا إلى الزوجان بالصّلاح و انجاب الذرية الصالحة استغل المناسبة ليبث دعايته في أوساط الحاضرين.[4]

والأخطر من ذلك اعتبارعامل الجزائر في منشوره الصادر يوم 16 فبراير و وزع في كامل العمالة

1- أحمد مريوش، المرجع السابق، ص .138

2- Jean La Couture, Cinq Hommes et La France. Edition du Seuil Paris 1963. P 257.

3- أنظر جريدة الصراط السوي العدد 11- .1933

4- أنظر تقرير سري عبارة عن معلومات تتعلق بمناسبة دينية في أحد مساجد تلمسان مؤرخ بتلمسان يوم 26 أفريل 1938. A.O.M. 16 H 75.

العلماء بأنهم أناسا مشوشين يعملون لجهات أجنبية[1] هي الجامعة العربية، و الجامعة الإسلامية اللتان كانت الدعوة إلى قيامهما منتشرة في صحف و مجلات المشرق العربي في ذلك الوقت ثم أردف منشوره المذكور بقرار مؤرخ في 18 فبراير في نفس العام 1933 يمنع فيه رجال جمعية العلماء من التدريس بالمساجد و إقـامـة حلقـات الوعـظ و الإرشاد للمسلمين الجزائريين في المساجد الجزائريين.[2]

وعندما حل الشيخ الإبراهيمي بتلمسان في فاتح يناير1933م و حركة الإصلاح راحت تنمو بـها شعرت الإدارة الاستعمارية بخطرها. فعندما حاول الشيخ الابراهيمي في تلمسان أن يلقي دروسا في جامعها الكبير استدعته السلطات المحلية و نبهته إلى منع الخطب و الدروس في المؤسسات الدينية الإسلامية.[3] و رغم توسط الجمعية الدينية بتلمسان للشيخ الإبراهيمي ليسمح له بإلقاء الدروس في المساجد الرسمية و تحملهم مشاق السفر بالقطار إلى العاصمة وتقديمهم عريضة إلى مكتب الشؤون الأهلية بالولاية العامة فيها توضيحات عديدة" فإن ذلك كله لم يؤد إلى نتيجة إيجابية.فقد كانت السلطات المحلية والمرابطين بالمرصاد لذلك،حيث كانوا غير راغبين في الموافقة على إعطاء الشيخ الإبراهيمي حق التدريس بالجامع الكبير.[5]

واعتبر الشيخ ابن باديس في العريضة الموجهة إلى مدير الشؤون الأهلية "ميو" أن طلب فتح المساجد هو من أجل تعليم الناس تعاليم دينهم و ليس لمنفعة خاصة ... و لتعلم يا جناب المدير أننا لا نطلب فتح المساجد لنتخذها بيوت سكنا أو نستعملها في مصالحنا الخاصة أو لنحتكرها لدروسنا و إنما نطلبها للأمة لتنتفع بها في غرض ديني هو أحد المقاصد التي أسست للأجلها و هو أن تتعلم أمور دينها على علماءها في مساجدها...) (6).

و في سنة 1949م رفعت شكوى في خطاب مفتوح إلى رئيس الجمهورية الفرنسية عن، تعطيل المساجد و منع العلماء المصلحين من التدريس فيها جاء فيها ما يلي: " ... و التعليم الديني في هذا الوطن المسلم معطل بتعطيل المساجد و مئات الآلاف من شباب المسلمين تتشوق إلى تعلم دينها، و لكن مساجدهم الموقوفة لذلك مغلقة في وجوههم و الدين الإسلامي و تعلمه حق طبيعي و ضروري لتسعة ملايين من المسلمين و لكنهم محرمون منه و التعليم العربي في هذا الوطن العربي جريمة يعاقب مرتكبها بما يعاقب به المجرم من تغريم و تغريب و سجن..."[7]

إن الاضطهاد الذي لقيه العلماء المصلحون و هم يؤدون رسالتهم الدينية و الحضارية لم يزدهم إلاّ استماتة واصرارا على مواصلة العمل الذي وطنوا أنفسهم على القيام به من أجل تنويرالمجتمع بأمور دينه و دنياه. و تفويت الفرصة على الحكم الاستعماري الذي يريد أن يبقي على هيمنه على المساجد التي

1 -كان رد الشيخ ابن باديس على هذه التهمة الباطلة بأن ذلك "...ليس فقط من زور القول و الكذب الصراح بل هو رمي لرجالها بأقبح ما يوصف به من له مسكة من الهمة و الشرف و هو أن يكونوا آلة في يد أحد أو جواسيس له و هذا ما لا نتحمله و لا نرضاه و لا يرضاه لنا حتى العقلاء من خصومنا"، أنظر جريدة الأمة عدد 159.

2- تركي رابح: الصراع بين جمعية العلماء و إدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر في الفترة ما بين 1933-1939م مجلة الثقافة – الجزائر. عدد 85 جمادى الأولى – 1405 هـ – 1985 ص 190.

3- أنظر د/ سعد الله، الشيخ الابراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية 1933-1940، مجلة الثقافة عدد 101 (1988) ص 76.

4-المصدر السابق، ص 83.

5- محمد البشير الابراهيمي. آثار محمد البشير الابراهيمي عيون البعائر. الجزء 3... ص 92.

6-الشيخ عبد الحميد بن باديس عريضة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جناب مدير الشؤون الأهلية العام "ميو" البصائر عدد 21 ، 29/ 1936./05

7- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: دروس الوعظ و الإرشاد في رمضان جريدة البصائر/ الجزائر عدد 86 جويلية 1949م.

يستعملها أداة لتخدير الجزائريين و منعهم من التقدم و النهوض. فكانت المساجد الحرة من أبرز القنوات عند المصلحين لبث الخطاب النهضوي حيث كانت جمعية العلماء تشرف بصفة مباشرة على سير عمليــــــــة الدروس المنتظمة بها للكبار و للصغار، كما كانت تغتنم شهر رمضان المعظم الذي عادة يقوى فيه وازع الناس الديني فتجدهم يواضبون على أداء شعائرهم في المساجد، فترسل الوفود و توزع المدرسين و مدراء المدارس العربية الحرة على مساجد و نوادي و مدارس الحركة الإصلاحية المنتشرة في ربوع البلاد بغرض القاء الدروس و المحاضرات و تنوير جمهور المسلمين. و كانت تحدد لهم المواضيع التي يطرقونها عبر جريدة البصائر. مثل هذا المنشور التوجيهي الذي تضمن:

1- طرق مواضيع ترجع إلى إصلاح الأخلاق . " ضمن فساد الأخلاق آتيت أمتكم و من ثغور الأخلاق دخل شياطين الإنس و الجن إلى نفوسها فأفسدوها".

2- الحث على إقامة الفرائض الدينية و الإجتماعيّة. و التعاون و التآلف، و خاصة الصلاة فإنها عماد الدين و العلم فإنه عماد الدنيا.[1]

3- المدارس:

تعد المدارس التعليمية من أبرز الهياكل و البنيات التنظيمية الأساسية. التي أولاها رجال النهضة و الإصلاح كل العناية و الاهتمام. نظرا للدور الخطير الذي تضطلع به من أجل بناء الفرد و المجتمع. و ترسيخ القيم الحضارية فيه. و قد جاء هذا المجهود التربوي كرد فعل على المدارس الاستعمارية التي كانت تحاول هدم مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، و ترسيخ قيم الحضارة الفرنسية خاصة و الأوروبية عامة و كان الغرض الأهم من ذلك هو تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع فرنسي و إلحاقه مباشرة بفرنسا. الوطن الأم و اعتباره امتدادا طبيعيا لجنوب فرنسا. و ان الجزائر مستعمرة من نوع خاص تختلف عن المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار.[2]

و قد اتخذ رجال النهضة و زعماء الإصلاح المدارس كوسيلة لتبليغ رسالتهم الإصلاحية إلى العامة، و جدير بالذكر أن الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي كانت مدنها و حواضرها بل و قراها مزدانة بالمدارس و المعاهد العلمية. و كانت الثقافة في الجزائر عربية إسلامية أصيلة. كما كانت العلاقات المعنوية و الثقافية بين أفراد المجتمع مستمدة من الحضارة الإسلامية: من دين و ثقافة و تقاليد و قوانين و أحكام و هي عنصر الانسجام بين أبنائه."[3]

و المدرسة كما يراها ابن باديس : " هي المصنع الذي يصنع عقول الأجيال الصاعدة و يعد القادة و المفكرين الذين يقومون بعملية التغيير الثقافي والحضاري في المجتمع[4]. " أما الإبراهيمي فيرى " أن

1- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: دروس الوعظ و الإرشاد في رمضان جريدة البصائر/ الجزائر عدد 86 جويلية 1949م.

2- عبد القادر حلوش. سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر . مطبعة الأمة ط (1) 1999، الجزائر ص 47.

3-أنيسة بركات. التأثير الثقافي في الأسرة الجزائرية،من الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال،الثقافة،عدد 82.1984. ص 197.

4- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس ص 241.

المدرسة جنة الدنيا و السجن هو نارها " و الأمة التي لا تبني المدارس تبنى لها السجون و الأمة التي، " تصنع الحياة يصنع لها الموت..."[1]

و لعل من أبرز المدارس التي لعبت دورا كبيرا في نهضة الجزائر العلمية و التربوية و الفكرية. ما نذكره فيما يلي:

أ- مدرسة الشبيبة الإسلامية: تأسست سنة 1927م، و من قبل بعض أعيان العاصمة. في حي باب الجديد بالعاصمة. ثم نقلت بعد سنوات إلى حي الثعالبي بالقصبة و تولى إدارتها الصحفي القدير عمر بن قدور الجزائري. و قد شارك في إدارتها و التدريس بها مجموعة من ألمع رجالات الفكر و الأدب في مرحلة الدراسة منهم: عمر بن قدور، مصطفى حافظ و يحي جعفري، الشاعر الهادي السنوسي(2) و الشاعر محمد العيد آل خليفة و المؤرخ عبد الرحمان الجيلالي، و الأستاذ يا عزيز بن عمر. و الشاعر جلول البدوي، و الأستاذ فرحات بن الدراجي، الأستاذ محمد علي دامرجي، و الأستاذ رشيد بطحوش، و الأستاذ محمود مراد ردوسي.[3]

كانت مدرسة الشبيبة تحتوي على ستة أقسام. و تعمل بالنهار لتعليم الأطفال الصغار، و يبدأ اليوم المدرسي فيها من الثامنة صباحا و ينتهي في التاسعة مساءا.[4]

و حسب سعد الله فإن مدرسة الشبيبة لعبت دورا رئيسيا في الحياة الثقافية و التربية و التعليم سيما بين الحربين. و أن تسميتها بالشبيبة. لها وقع خاص. فهي كلمة سحرية في ذلك الوقت و هي تعني النهضـــــة و اليقظة، كما تعني الأطفال و الفتيان و الشبان إنها تعني جيلا من الأبناء الذين انهمكوا في اعداد مستقبلهم بالتربية و التعليم. و بناء على رسالة (وثيقة) الدعوة التي وجهها رئيس الجمعية إلى محمد العيد فإن مواد الدراسة هي: القرآن الكريم و اللغة العربية و النحو و العرف و مبادىء العلوم الدينية و الجغرافية و الحساب و مبادئ علم الصحة على أن يتم تعليم هذه المواد بأساليب تعليمية عصرية. كان الهدف من التربية و التعليم في هذه المدرسة هو " تهذيب الأخلاق " و تثقيف الأفكار بالكيفية المستعملة في المشرق و هذا يدل على أن المخططين لهذا النوع من التعليم قد استلهموا تجربتهم من التعليم العربي الاسلامي في المشرق القائم على الأسس الحديثة.[5]

و ساهمت بفضل نشاطاتها الثقافية في تنوير المحيط الاجتماعي، حيث كانت تقيم حفلات مدرسية ثقافية بقصد نشر الوعي و الدعوة للفكرة الوطنية بين سكان العاصمة يقدم فيها: تمثيليات و روايات و خطبا و قصائد شعرية و أناشيد وطنية، و محاورات باللغة العربية من طرف تلاميذها و أساتذتها مما كان له أوقع الأثر في نفوس الجزائريين فيجذبهم نحو التعليم العربي و الثقافة العربية.[6]

1- محمد البشير الابراهيمي، الجزء 2، ص 428.

2- ولد الشاعر محمد الهادي السنوسي في ليانة قرب بسكرة في 1902 تعلم بمسقط رأسه ثم بقسنطينة على يد العلامة عبد الحميد بن باديس، عمل مدرسا بالعاصمة ووهران، تلمسان، سيدي بلعباس، توفي رحمه الله سنة 1974، انظر فضلاء من أعلام الإصلاح ج1 ص172

3- أنظر تركي التعليم القومي... ص 233، 234 و المدني، حياة كفاح جزء 2.

4- تركي، التعليم القومي،...ص 234.

5- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ... ص 249-250. 6- تركي، التعليم القومي... ص 234

و قد كان عدد تلامذها يتراوح ما بين 200 إلى 250 تلميذ و تلميذة، و كانت تمنح الشهادة الابتدائية للمتعلمين فيها بعد دراسة 6 سنوات كاملة[1]. و حسب ما جاء في تقويم المنصور فإن هذه المدرسة العصرية و الأصيلة قد انتشلت الكثير من الناشئة و جنبتهم السقوط في مهاوي الجهل و الانحراف. " قامت جمعية الشبيبة الإسلامية فكان عملها جماعيا متواصلا منظما و أسست مدرسة اسلامية عربية نقرىء النشىء على الطرق الحديثة و أقبل الشعب على تأييدها بما يضمن لها الحياة و التقدم. فكان مجلس إدارتها تحت رئاسة الوطني الصادق الغيور محمد علي دامرجي و بعضوية شلة من شباب الأمة العامل الناهض، يوالي جهوده في سبيل المدرسة و ما يعود عليها بالخير و الفلاح و الأمة تلبي نداءه و تجيب دعواه حتى أصبحت المدرسة تجمع في مقاعدها أكثر من مائتي تلميذ[2] لولاها لكانوا من زمرة ماسحي الأحذية و أشقياء الشوارع.[3]

و لما رأت الإدارة الاستعمارية النتائج الباهرة، و الثمار اليانعة التي تجنيها الأمة من هذه المدرسة توجست من ذلك خيفة و راحت تتدخل في شؤونها بعد أن فشلت في كبح جماحها، فنجحت في إدخال اللغة الفرنسية في برنامجها بعد رحيل مديرها محمد العيد و مجيء إدارة جديدة سنة 1940م، فصارت كباقي المدارس التي تشرف عليها الإدارة الاستعمارية و مع ذلك بقي لها اسمها التاريخي.[4]

ب- مدرسة السلام: تأسست بمدينة الجزائر حوالي 1929م و قد وجدت اقبالا كبيرا على التعلم بها. و تقديم المساعدة السخية لها كي تؤدي رسالتها التربوية و القومية على الوجه المطلوب.[5] و قد كانت معدة لتعليم البنين و البنات و متخصصة للتعليم العربي الإسلامي و المبادئ الدينية و قد كانت لها جمعية برئاسة السيد عمر إسماعيل و من شد إزره من أعضاء اللجنة الإدارية للمدرسة و كانت تضم 200 تلميذ.[6]

ت- المدرسة القرآنية: أسسها السيد مصطفى حافظ في حدود سنة 1929م و شرع لها منهاجا جديدا للتعليم العربي العصري إلاّ أن مشروعه كما يقول المدني كان فرديا لذلك بدأ ضعيفا و استمر ضعيفا[7].

جـ- مدرسة الفلاح: أسسها مصطفى حافظ، و هو اسم استفتاحي معبر و فيه رمز ديني و فهم صوفي واضح. و أنشأ لها جمعية سميت بجمعية الفلاح استطاعت أن تجمع للمشروع أربعمائة ألف فرنك لبناء محل

1- تركي، التعليم القومي، ص 235.

2- من تلامذها الذين تخرجوا منها و ساهموا في إحياء التراث الفني العربي الفنانان الكبيران: عبد الرحمان عزيز و عبد الحميد عبابسة أنظر Mostefa Lacheraf : des Noms et des lieux mémoires d'une Algerie oubliée edition. Casbah Alger 1998 p 262.

3- أحمد توفيق المدني، تقويم المنصور السنة الخامسة 1929 ص 304.

4- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... الجزء 3، ص 251.

5- تركي، التعليم القومي ص 236.

6- المدني، تقويم المنصور، جزء 5، ص 305.

7- المدني، تقويم المنصور، جزء 5، ص 305.

خاص (مدرسة) يخصص للتعليم العربي و شراء دار السلام التي ابتاعتها هذه الجمعية و جعلتها مستقرها الرسمي لتعليم الناشئة و إيوائهم إذا كانوا بدون ايواء. و إنها لمناظر تبث الآمال في القلوب البائسة. و تؤكد

لكل منشائم أن هذه الأمة الجزائرية المحمدية لن تموت و لن تضمحل. و فيها مثل هذا الإيمان القوي و هذا الشعور الحي."[1]

ج-مدرسة التربية و التعليم: تم تأسيس هذه المدرسة بمدينة قسنطينة سنة 1930م. من قبل الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس باسم " مدرسة التربية و التعليم الإسلامية " التي كانت نواتها الأولى " المكتب الابتدائي العربي " في سيدي بومعزة التي تأسست سنة 1922م. و الذي اعتبره الشيخ مبارك الميلي أول مكتب عربي على نمط عصري بهذه البلاد.[2] و قد تعاطي التدريس به مده.[3]

و حسب تقرير مركز الإعلام و الدراسات لعمالة قسنطينة حول نشاطات مختلف الشعب للعلماء المصلحين بعمالة قسنطينة فإن الشيخ ابن باديس باسم " جمعية التربية و التعليم " قد أسس مدرسة قرآنية بالتعاون مع بعض الأساتذة لتأطير زهاء 400 تلميذ و تلميذة و تعليمهم المبادئ الأولى للقرآن الكريم، و النحو و الشريعة و التربية الدينية ".[4] و قد جاء في المادة الثانية من قانون الجمعية الأساسي: أن مقصود الجمعية ". هو نشر الأخلاق الفاضلة و المعارف العربية الفرنسوية و الصنائع اليدوية بين أبناء و بنـــات المسلمين "[5] كما جاء في المادة الثالثة " إن الجمعية تسعى للوصول إلى غرضها هذا عن طريق اتخاذ الخطوات التالية:

1- تأسيس مكتب للتعليم " مدرسة ".
2- تأسيس ملجأ للأيتام .
3- تأسيس ناد للمحاضرات.
4- تأسيس معمل للصنائع.
5- العمل على ارسال التلاميذ على نفقتها للدراسة في الكليات و المعامل الكبرى ".[6]

و في تقرير موجه من عامل عمالة قسنطينة إلى السيد الوالي العام مؤرخ بمدينة قسنطينة في 13 جوان 1936م و هو عبارة عن جواب عن طلب مؤرخ في 2 ماي 1936 يتعلق بجمعية التربية و التعليم. جاء فيه أن الجمعية العلماء فرع بقسنطينة يرأسه الشيخ عبد الحميد ابن باديس و أن أعضاء هذا الفرع زهاء المائة يدفعون شهريا اشتراكا ما بين 5 و 25 فرنك.

1- المدني، كتاب الجزائر...ص .305.
2- سليمان الصيد، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، ص .185.
3- لقد خلف الشيخ " محمد الشريف الصبايغي الذي فتح مكتبا ابتدائيا لتلقين مبادىء اللغة العربية بمسكيانة و انتصب لنفع عموم المسلمين بفتح دروس فقهية بالجامع الأعظم هناك أنظر نفح الأزهار... ص 185-.186.
4- تقرير سري عن نشاط شعب جمعية العلماء بعمالة قسنطينة مؤرخ في 10/ 2/1938. A.O.M.9 H 46.
5- تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس ص .354.
6- تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس. ص 355.

- جمعية التربية و التعليم التابعة لجمعية العلماء يقدر أعضاؤها بـ 75 فرد يدفعون كل شهور ما بين 5 إلى 10 فرنك.

تلاميذه هذه المدرسة المقدر عددهم بـ 400، 250 منهم يدفعون شهريا ا بين 5 و 10 فرنك، أما الكبار الذين يقدر عددهم بـ 40 و يزاولون دراستهم مساءا فيدفعون شهريا 2 فرنك.

- أما مجموعة الدعاية المقدر عددها بأ 50 عضو فيدفعون بدورهم 2 فرنك شهريا.

و قد دعا هذه السنة الشيخ ابن باديس المسلمين الميسورين بمناسبة عيد عاشوراء بدفع زكاتهم إلى صندوق هذه الجمعية.(1)

و كان الشيخ ابن باديس يهتم كثيرا بعنصر الشباب و من ذلك أنه طلب في سنة 1933 من الشباب المنخرطين في جمعية التربية و التعليم لتأسيس فرع لهم باسم الجمعية كي ينهض بها نهضة قويّة، و تشجيعا لهم و حرصا منه على تكوينهم تكوينا ثقافيا عاليا باللغة القومية خصص لهم درسا يلقي عليهم كل يوم أحد من كل أسبوع لأنه يوم عطلتهم عن العمل. كما جعل ضمن قانون الجمعية أن لها أن تؤسس فروعا في مختلف أنحاء الوطن و حث كافة الجزائريين على تأسيس جمعيات على غرار جمعية التربية و التعليم الإسلامية في قسنطينة كي تنشر التعليم العربي و التربية الإسلامية بين أبناءهم و بناتهم حتى ينهضوا نهضة حقيقية فإنه لإبقاء لهم إلا بالإسلام و لا بقاء للإسلام إلا التربية و التعليم.(2)

ح- مدرسة الحياة: تم تدشين معهد الحياة بمدينة القرارة و فتحه للدراسة يوم الجمعة 28 شوال 1343 هـ/

21 ماي 1925م تحت اسم " معهد الشباب " حتى عام 1954م حيث أصبح يحمل اسم"معهد الحياة " نسبة إلى جمعية " الحياة " الخيرية التي تقوم بالإنفاق عليه.(3) و قد جرى يوم الافتتاح حفل كبير حضرته العزابة وزعماء الإصلاح و أنصار العلم(4).و خطب الشيخ بيوض في الحاضرين كما خطب زعيم النهضة القرارية

الشيخ الحاج بكير العنق.(5) حيث أبدى فرحته العظيمة بهذا الصرح العلمي و قال: أنه نصر للإســــــــــلام

1- تقرير ضد جمعية العلماء من السيد عامل عمالة قسنطينة إلى السيد الوالي العام مؤرخ بقسنطينة في 13 جوان 1936..A.O.M. 9 H 46

2- تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس ص 356.

3- تركي، التعليم القومي...ص 286 و ديوز نهضة الجزائر ... الجزء 3 ص 19.

4- حول أهمية معهد الحياة أنظر د/ مصطفى صالح باجو، طلب العلم بالجزائر في الحركة الإصلاحية الشيخ بيوض نموذجا. مجلة الشهاب الجديد عدد 2 ص 142 و ما بعدها.

5-ولد في القرارة سنة 1285هـ/ 1868م أخذ العلم عن الشيخ الحاج عمر بن يحي كانت له تجارة في مدينة تبسة و ساهم كثيرا في تأسيس المدرسة الصديقية بها و التي تعد أول مدرسة عربية عصرية بالجزائر- اكترى دارا بالقرارة سنة 1917 و جعلها ناديا للمصلحين سميث- " دار الجماعة " بقيت إلى سنة 1956 ثم نقلت الاجتماعات إلى نادي الحياة كان على صلة وثيقة باشيخ عبد العزيز الثغالبي و الأمير خالد و كان مشهورا بالدهاء السياسي. التحق بحلقة العزابة عام 1345هـ-1926 م سافر رفقة أنصاره إلى الحجاز سنة 1929 و التقى بكثير من زعماء العالم الاسلامي توفي رحمه الله سنة 1934م. أنظر عنه يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، ص 181.

و المسلمين و المغرب. و منع من منابع النور و اليقظة في الجزائر. و حث المصلحين على مؤازرة الشيخ بيوض القائم على المعهد في جهاده التربوي العظيم "[1]

و قد بدأ المعهد في الحقيقة بداية متواضعة و لكنها مؤسسة على قاعدة صلبة. فأثاثه قليل و تكاليفه قليلة و كان الشيخ بيوض يضطلع لوحده بكل الدروس في المعهد لكل الطبقات، و كان يقضي في التدريس معظم يومه و جزءا كبيرا من الليل، و كانت الدروس التي يتعلمها التلاميذ في الأطوار الأولى للمعهد تتعلق بالعلوم الدينية و العربية . بأساليب جديدة و كانت الدراسة، تستغرق ثلاث سنوات."[2]

و ابتداء من سنة 1940م أدخلت اصلاحات هامة على برنامج المعهد كما زيدت مدة الدراسة خمس سنوات بدل ثلاث سنوات. و صار يجمع التعليمين الابتدائي و الثانوي. كما قسم تلاميذه إلى طبقات علم النحو التالي:

" طبقات معهد الحياة و مواده الدراسية ."[3]

الطبقة الابتدائية	الطبقة الإعدادية	الطبقة الثانوية
علم التوحيد الفقه المواريث الأخلاق النحو و الصرف مبادئ الحساب الأدب و النصوص السيرة النبوية أصول الفقه التفسير و الحديث	علم التوحيد الفقه المواريث الأخلاق النحو و الصرف الحساب الأدب و النصوص التاريخ الإسلامي البلاغة و البيان التفسير و الحديث علم المنطق	علم التوحيد الفقه المواريث الأخلاق النحو و الصرف الحساب و الهندسة الأدب و النصوص تاريخ الجزائر البلاغة و البيان التفسير و الحديث أصول الفقه

و في سنة 1948م، وقع اصلاح لمنهج " معهد الحياة " مرة أخرى و أصبح معهدا ثانويا تستغرق الدراسة به ست سنوات ثلاث منها للمرحلة الإعدادية و 3 أخرى للمرحلة الثانوية و أضيف إلى منهجه مادة الجغرافيا، و مبادىء التربية و العلوم الطبيعية و الفلسفة و اللغة الفرنسية.[4]

1- ديوز، نهضة الجزائر...الجزء 3، ص 18.

2- تركي رابح، التعليم القومي، ص 286.

3- تركي، التعليم القومي، ...ص 287.

4- تركي، التعليم القومي، ص 287.

كان معهد الحياة يحرص على التكوين الاجتماعي و الوطني لشخصية المتعلم حيث يحرص على غرس الأخلاق الاجتماعية في التلميذ. و يعوّده على التضحية و نبذ الأنانية و الإيمان بالمصلحة العامة و التخلق بصفاء النفس و حسن النية و الإخلاص لله في العمل. و كان شعار المعهد " الخلق قبل العلم، و مصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد.[(1)]

كان المعهد يدرس الكتب المفيدة و الممهدة في عملية البناء العلمي للتلاميذ: ككتاب " أسرار البلاغة " لعبد القاهر الجرجاني، مع دلائل الإعجاز و كتاب " مختصر العدل و الإنصاف " للشماخي في أصول الفقه. و " جواهر البلاغة " لأحمد الهاشمي و " عصر المأمون " للدكتور أحمد الرفاعي و " كتاب النيل " في الفقه الإباضي. و كتاب " رسالة التوحيد " للإمام محمد عبده. و زيادة على هذا كان أساتذة و تلامذة المعهد يطالعون ما يرد عليهم من الجرائد العربية و الإسلامية. كالمنار لرشيد رضا، الذي كان غذاء قويا للمعهد. و مجلة " الرسالة " للزيات، و مجلة الثقافة لأحمد أمين. و مجلة المقتطف. و مجلة الإسلام. و نور الإسلام. و الهداية الإسلامية و الراية العربية. و الزهراء. و الفتح. و مجلة الصرخة لجمعية مصر الفتاة. و جريدة الشورى و غيرها.[(2)] وكان المنهج التربوي في المعهد شاملا للمعارف وعمدتها القرآن الكريم وعلوم الدين وكان يؤمه الطلاب بربرا وعربا، إباضية ومالكية(3)

لم يكتف القائمون على المعهد بالتكوين فيه بل راحوا يرسلون البعثات العلمية إلى جامع الزيتونة بتونس لاستكمال دراساتهم العليا. و هكذا فإن معهد الحياة قد واصل رسالة معهد الشيخ اطفيش ببني يزقن و ربط النشاط التعليمي الحديث في ميزاب بنظيره في الجزائر و تونس و المشرق فكان يحق رمزا لنهضة علمية قوية.[(4)]

خ - <u>مدرسة دار الحديث:</u> تأسست بمدينة تلمسان سنة 1937م[(5)] و هي نمط فريد بين المدارس التي أنشأت في تلك الفترة. في هندسة بنائها و تخطيطها[(6)]، و قد اختار لها مؤسسها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي اسم (دار الحديث)[(7)] تعبيرا عن مبادىء الحركة التي تدعو إليها، و هي الرجوع إلى السلفية النقيّة التي تستمد أحكامها من المصادر الإسلامية الأصلية(الكتاب و السنة و هدي السلف) و محاكاة لدور

1- دبوز، نهضة الجزائر... الجزء 3، ص 33.

2- دبوز، نهضة الجزائر... الجزء 3، ص 83.

3- عز الدين مصطفى جلولي الإصلاح في إطاره الوحدوي عند الإمام بيوض الإباضي، البصائر نوفمبر 2004 عدد 215

4- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 3، ص 275.

5- هذه المدرسة أي مدرسة دار الحديث. مركزاً ثقافيا نشيطا. بل كانت أزهى أيام تلمسان قبل الحرب العالمية الثانية أنظر مرتاض، نهضة الأدب العربي في الجزائر. ص 53.

6- كلف المهندس المعماري المقاول عبد الرحمان بوشافة بأشغال البناء التي بدأت في حدود شهري فيفري- مارس 1936 أنظر EL Korso Le Cas de L'Association des ULAMA Musulurins Algeriens en Oranie 1931-1945. Theses d’histoire paris 1989, p220.

7- الشيخ محمد خير الدين، مذكرات الجزء 1 ص 182.

الحديث المنتشرة في بعض البلدان الإسلامية و من بينها (دار الحديث الأشرفية بدمشق) التي شغل بها منصب أستاذ.[1]

و قد دعا الشيخ الإبراهيمي عميد الجمعية في الغرب الجزائري النخبة في جميع عمالات القطر الجزائري لحضور حفل الاحتفال في صيف 1937م و مما جاء في الدعوة العامة التي وجهها الشيخ الإبراهيمي لحضور حفل الافتتاح قوله: " ان أكبر دعامة تقوم عليها النهضة الجزائرية، هي تأسيس المدارس الحرة بمال الأمة و قد قامت تلمسان بقسطها من هذا الواجب، فشيدت مدرسة (دار الحديث) على طراز ليس له نظير في القطر الجزائري كله و ستحتفل بفتحها في اليومين المذكورين (27-28 سبتمبر) و سيكون الاحتفال عرسا علميا تتجلى فيه الأخوة الإسلامية و النخوة العربية، يحضر الاحتفال المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و كل من يستطيع الحضور من أعضاء جمعية العلماء بعد الإنتهاء من اجتماعها العام، و قد وجهت الدعوة إلى كل من عرفنا عنوانه من وجهاء و أعيان القطر و نرجو ممن لم تصله الدعوة أو لم نعرف عنوانه أن يعتبر هذه الدعوة المنشورة في البصائر دعوة خاصة. و نرجو من جميعهم بكل تأكيد أن لا يقصروا في الحضور ".[2]

و قد حضر حفل الإحتفال[3] عدد من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[4] و على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، و بعض علماء المغرب الأقصى من بينهم الأستاذ ابراهيم الكتاني[5]، و قد أنشد الشاعر محمد العيد آل خليفة هذه القصيدة يوم الاحتفال مشيدا بالمدرسة و المساهمين في انجازها و مما جاء في القصيدة:

أحي خير مدرسة بناها *** خيار في معونتهم خيار
(تلمسان) احتفت بالعلم جارا *** و ما كالعلم للبلدان جار
لقد لبست من الإصلاح تاجا *** يحق به لأهليها الفخار

1- بذل الشيخ البشير الإبراهيمي جهدا مضنيا من أجل إخراج هذا المشروع إلى عالم النور و وجدت استجابة كبيرة من قبل أهل تلمسان. فشرع في عملية البناء في سنة 1936م و بلغ مجموع ما اتفق عليها أربعمائة ألف و استغرقت عملية البناء عاما واحدا. للمزيد أنظر الأستاذ محمد الحسن الفضلاء المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر. (3) دار الأمة طـ (1) 1999م ص 15 و ما بعدها.

2- آثار الإمام محمد البشير الابراهيمي، الجزء1... ص 305.

3- يذهب د/ سعد الله أن الاحتفال بافتتاح مدرسة الحديث حضره 3 من تونس و 15 من المغرب. أنظر سعد الله، الشيخ الإبراهيمي في تلمسان...ص 91.

4- وجه الشيخ الإبراهيمي دعوة لكل رؤساء الطرق الصوفية من دائرة تلمسان (مثل العشعاشي و الشيخ ابن عمار في ندرومة) و لكنهم جميعا قاطعوا الاحتفال أنظر د/ سعد الله، الشيخ الابراهيمي في تلمسان، ص 90.

5- الشيخ خير الدين، مذكرات. الجزء 1، ص 182.

لقد بعث (البشير) لها بشيرا *** بمجد كالركاز بها يثار

فيا (دار الحديث) عمي نهار *** و عمرك كله أبدا نهار[1]

و حسب ما جاء في مراسلة عامل عمالة وهران إلى السيد الوالي العام بالجزائر. مؤرخة بوهران يوم 1937/09/24.الذي قدم برنامج الافتتاح لدار الحديث الذي جاء في الدعوات، مترجما من العربية. فإن يوم الاثنين 1937/9/27 ابتداء من الساعة العاشرة يتم استقبال الضيوف المدعوين. و بعدها على الساعة 11سا. يفتح المدرسة الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس و بعد ذلك تستمر القاء الخطب و المداخلات و المحاضرات. و في اليوم الثاني الثلاثاء 1937/9/28 و ابتداء من الساعة التاسعة تبدأ المحاضرات بالمدرسة.

و في الساعة منتصف النهار يقوم المدعوون بزيارات للمتنزهات و البساتين و زيارات إلى النوادي و الجمعيات الإسلامية بتلمسان[2].

و من خلال تقرير سري بعث به عامل عمالة وهران إلى السيد الوالي العام بالجزائر مؤرخ بمدينة وهران يوم 1937/9/3م نعرف الحقيقة و بدون لبس ذلك التربص الكبير من قبل إدارة الاحتلال بمدرسة دار الحديث و كيف كان المسؤولون الفرنسيون يتخوفون كثيرا من فتح مدرسة للتعليم العربي الإسلامي بحجم و في مستوى دار الحديث. التي كانت تحتل موقعا ممتازاً بوسط تلمسان مقابلة لثانوية فرنسية و يدير شؤونها شخص في مستوى الشيخ الإبراهيمي . و لذلك سعوا لإيجاد كل المبررات لغلقها قبل فتحها إن صح التعبير فحسب عامل العمالة في هذا التقرير فإن حفل التدشين سيحضره شخصيات من العالم الإسلامي و من تونس و من المغرب.

و أن هدف هذا الاحتفال كان لإبراز قوة العلماء و الإبراهيمي أمام قدماء رجال الحضر و المرابطين بتلمسان و في نفس الوقت لإظهار أن هذه المدرسة مهمتها ليس فقط القيام بالتعليم العربي للتلاميذ و لكن أيضا من أجل القيام بالتعليم العالي. حيث يتشبع الطلاب بالفكر الإصلاحي. و تقديم دروس خاصة بالفتيات.

و يظهر التقرير وظيفة هذه المدرسة بأنها تشكل خطرا على الوجود الفرنسي حيث سيقوم التلاميذ بالدعوة للأفكار التي سيتعلمونها من المدرسة طالبا استصدار قرار يحضر فيه التعليم الثاني و العالي إلاّ على المدارس الرسمية[3].

و فعلا فبمجرد افتتاح المدرسة و بداية عملها التربوي بدأت الإدارة الفرنسية بتلمسان و وهران تتحرش بها و تبعث بتقاريرها إلى الولاية العامة بالجزائر لتعطل نشاطاتها. فبتاريخ 18 أكتوبر 1937 بعث

1- أنظر آثار الشيخ الابراهيمي. الجزء 1 ص 309 و خير الدين مذكرات جزء1 ص .186

2- تقرير من سيد عامل عمالة وهران إلى السيد الوالي العام مؤرخ بوهران في 1937/9/24.. A.O.M . 9 H 46

3- تقرير سري من عامل عمالة وهران إلى السيد الوالي العام. حول جمعية العلماء بتلمسان مؤرخ بوهران في 1937/9/3 .A.O.M. 9 H 46

المحافظ المركزي للشرطة بتلمسان بتقريره إلى الوالي العام يخبره فيه بأن ثمة محاضرات كثيفة تلقى بمدرسة دار الحديث و القصد من هذا هو الحصول على دعم مالي لتسديد دين المدرسة و تعريف التلمسانيين بها. و أن الطريقة الممتازة التي تلقى بها الدروس القرآنية و النتائج الحسنة التي حصل عليها أغلب تلاميذتها. دفعت ابراهيم الكتاني المغربي إلى تناول الكلمة لتعريف الحاضرين بالعلاقات التي تربط الجزائريين بالمغاربة.(1)

و بتاريخ 15 نوفمبر 1937 راسل عامل عمالة وهران الوالي العام يخبره بأن ثمة دروسا تلقى بدار الحديث بطريقة غير قانونية بناء على معاينة رئيس دائرة تلمسان الذي طالب بتطبيق قانون 30 أكتوبر 1886 مادة 48 و مرسوم 18 أكتوبر 1892 الذي يؤدي إلى غلق المدرسة و أنا بدوري أؤكد على ذلك.(2)

و فعلا أقدمت الإدارة الاستعمارية على غلق مدرسة دار الحديث بناء على قرار صادر من الوالي العام بتاريخ 31 ديسمبر 1937م طلب فيه غلق المدرسة بصورة فورية، هذا القرار التعسفي الذي رفض مسؤول المدرسة الشيخ الابراهيمي استلام نسخة محضر قرار الوالي العام و التوقيع عليه.(3)

و لقد أثار غلق المدرسة استنكار الرأي العام الوطني بل و تجاوزه إلى المثقفين الأوروبيين. فقد كتب السيد ميشال روز في جريدة " الوفاق " تحت عنوان " غلق مدرسة دار الحديث " يقول بأن هذه المدرسة قد تأسست بفضل مساهمات الكثير من أبناء المجتمع من طبقات شعبية، و إن استدعاء مدير المدرسة للمثول أمام قاضي. حول قضية الموكب الاحتفالي يوم تدشين المدرسة من دون ترخيص بعد مرور ثلاثة أشهر يعتبر أنني نريد ابعاد مثل هذه السياسة التعسفية، في الوقت الذي يبرز فيه التعاون الفرنسي الإسلامي، أنه لا ينبغي اعطاء الفرصة لأعداء الجمهور و فرنسا.(4)

و لم يتوقف نشاط مدرسة دار الحديث بشكل مطلق(5) فقد بقيت قاعة المحاضرات الكبيرة فيها تعرف نشاطات ثقافية و تنظيمية لجمعية العلماء. فبناء على تقرير سري، من السيد عامل العمالة بوهران إلى السيد الوالي العامة مؤرخ بتاريخ 1938/6/26 بوهران من خلال مصادر موثوقة. فإن الشيخ البشير بعد عودته من مشاركته في مؤتمر للعلماء انتظم بقسنـطينة ترأس اجتماعا بالقاعة ضم مستشارين من تلمسان هما مرزوق

1- تقرير من المسؤول المركزي للأمن بتلمسان إلى السيد الوالي العام حول تظاهرة بمدرسة الشيخ الابراهيمي. مؤرخ بتلمسان في 1937./10/18

2- تقرير من السيد عامل وهران إلى السيد الوالي العام مؤرخ بوهران في 1937./11/15

3- أنظر تقرير عامل عمالة وهران إلى السيد الوالي العام حول قرار غلق مدرسة الحديث مؤرخ بوهران في 1937/1/19. A.O.M, 9 H 46.

4- Fermeture de la Medersa Dar Hadithe, L'Entente 20-1-1938.

5- يذهب الأستاذ حسن فضلاء أن مدرسة الحديث تم فتحها بعد شهزر قليلة من غلقها بفضل جهود الشيخ الإبراهيمي و الأمة التلمسانية و النواب المسلمون و دفاع جمعية العلماء الذي يتمثل في رئيسها الذي قدم احتجاجا تلو الآخر إلى الدوائر المسؤولة و نشر في البصائر و الشهاب فضائحهم و مكائدهم .أنظر المسيرة الرائدة... الجزء 3 ص 22.

و شفاعي، و ممثلي العلماء بوهران و معسكر و مستغانم. و بعد أن قدم لهم فكرة عن مؤتمر العلماء بقسنطينة الذي نظمه الشيخ ابن باديس و الإبراهيمي و في إطار تنظيم الدعاية قرر المجتمعون القيام باجتماعات في معسكر و مستغانم و وهران أين سينظم مؤتمراً خلال شهر جويلية لكل العمالة. و طلب الشيخ الإبراهيمي من الأعضاء الحاضرين بجمع الأموال قصد تدعيم مدرسة دار الحديث. حتى تبقى للعلماء بالعمالة.[1]

و مع بداية الحرب العالمية الثانية تقرر وضع أقسام دار الحديث تحت تصرف الأكاديمية الفرنسية بتلمسان و عندما اطلع الشيخ الإبراهيمي على هذا القرار طلب أن تبقى لها قاعة المحاضرات و المسجد فرفض طلبه.[2]

و يظهر أن مدرسة " دار الحديث " قد استعادتها جمعية العلماء المسلمين من الإدراة الاستعمارية في أعقاب الحرب و استأنفت نشاطها التربوي فقد ذكر د/ مرتاض نقلا عن جريدة البصائر، أن دار الحديث بلغ معلموها في سنة ثماني و أربعين عشرة[3]، بل عاد إليها بعض نشاطها الثقافي، فقد ألقيت بها قصيدة طويلة ناهزت 100 بيت قرضها عبد الوهاب بن منصور عشية يوم الاثنين 13 جمادى الثانية 1368 هـ بمناسبة قران عقد الشاب المهذب محمد الابراهيمي مع الآنسة خديجة. و ألقاها بين يدي الشيخ الابراهيمي جاء فيها:

قم في المحافل منشدا *** شعرا يذيب الجلمدا
شعرا كأزهار الربا *** في ضحى ترقرق بالندي
يامن جمعت على الصفا *** خديجة و محمدا
اجمع على صفو الحياة *** خديجة و محمدا[4]

و قد بلغ عدد التلاميذ بمدرسة الحديث سنة 1946 900 تلميذ و 600 تلميذة يضاف لهم 400 تلميذ و 200 تلميذة بملحقة نهج باريس الصغير العدد الإجمالي 2100 تلميذ و تلميذة [5]

- <u>معهد ابن باديس:</u> تأسس معهد ابن باديس سنة 1947 بمدينة قسنطينة امتدادا للدروس العلمية " بالجامع الأخضر " في قسنطينة التي كان يقوم بها أمام النهضة العربية الحديثة في الجزائر الإمام عبد الحميد بن باديس في الفترة الممتدة من عام 1913م إلى سنة 1940[6].

و قد بلغ مجموع ما أنفق من أموال بطريق التبرعات من الشعب في ابنيته و مرافقه أكثر من مائة مليون فرنك، و نحو10 ملايين فرنك تنفق سنويا على شيوخه والقائمين بتسييره.[7] و تنظرجمعية العلماء

1- تقرير من السيد عامل عمالة وهران إلى السيد الوالي العام مؤرخ بمدينة وهران في 1938/6/26. A.O.M, 9 H 46

2- د/ سعد الله، الشيخ الابراهيمي في تلمسان... ص 97.

3- مرناض، نهضة الأدب الجزائري... ص 54.

4- المرجع نفسه، ص 55-56.

5-El Korso . op cit P . 243.

6- تركي، التعليم القومي، ...ص 281.

7- آثار الشيخ الابراهيمي. الجزء 4 ص 177.

إلى معهد ابن باديس على أنه " تاج لمدارسها وغرة لأعمالها. بل أعظم أعمالها خطرا. و أعلاها قدرها و أكثره نفعا، لأنه يعمل على تهيئة أبناء الأمة لأن يصبحوا قادة لحركاتها و مسيرين لنهضاتها في جميع الميادين الحيوية فمنه تخرج البعثات العلمية التي ترسلها جمعية العلماء إلى معاهد و جامعات الأقطار العربية في المشرق و المغرب، و من صفوته يتخرج الوعاظ و المرشدون. و الخطباء و الكتاب و المعلمون الذي تعتمد عليهم الجمعية في تأدية رسالتها في نشر التعليم العربي و الإصلاح الديني و الاجتماعي. و محاربة الخرافات و الشعوذة.(1)

و معهد ابن باديس أقبل عليه طلاب العلم و المعرفة حتى وصل عددهم ألف تلميذ(2)، و هو تابع و مرتبط علميا بجامع الزيتونة تحقيقا لهدف كبير ترمي إلى الوصول إليه و هو توحيد التعليم في المعاهد العربية الإسلامية الكبرى في الوطن العربي تمهيدا لوحدة الفكر. و الاتجاه بين المثقفين في العالم العربي الإسلامي، و قد لبت مشيخة جامع الزيتونة رغبة الجمعية و قبلت أن يكون معهد ابن باديس فرع لجامع الزيتونة بالجزائر.(3)

يقوم بالتدريس في المعهد خمسة عشرأستاذا كلهم من حاملي الشهادات العليا من جامع الزيتونة(4)، و معهم طائفة من المساعدين و الكتبة و لجان المراقبة و المالية و الألعاب الرياضية. كما تدعم بإقامة سكنية في أجمل موقع في المدينة تتسع لخمسمائة تلميذ مجتمعين لكل تلميذ سرير و دولاب للأمتعة مع المرافق التامة من المغتسلات و مطاهر للوضوء و بلغ مجموع ما أنفق على هذه الإقامة وحدها ثلاثون مليون فرنك.

و برنامج الدراسة في المعهد هو برنامج السنوات الأربع الابتدائية الأولى في جامع الزيتونة فيما عدا مواد التاريخ و الجغرافيا. و الأدب العربي فإنه يختلف عنه بعض الشيء حيث كانت تعطى أهمية أكثر لتاريخ الجزائر. و جغرافيتها و تاريخ الأدب العربي و نصوصه في الجزائر.(5)

وكان يشترظط في الذي يكون معلما ان بالمعهد ان يكون حاصلا على شهادة العالمية من الزيتونة او ما يعادلها من القرويين او معاهد الشرق بشرط مباشرة التدريس او الادارة او العمل في سلك جمعية العلماء مدة عامين قبل المناظرة او حاصلا على شهادة التحصيل من الزيتونة او ما يعادلها ويشترط في الاخير ان يكون قد علم او ادار مدرسة تابعة لجمعية العلماء او عمل في سلك الجمعية مدة لا تقل عن أربع سنوات ويشترط في الجميع أن يكونوا ممن انخرطوا في سلك الجمعية من قبل وكافح في سبيلها مستقيما في سيرته الدينية والاخلاقية. (6)

1- آثار الشيخ الابراهيمي، الجزء

2- آثار الشيخ الابراهيمي. الجزء 4 ص 177.

3- تركي، التعليم القومي... ص 282.

4- الشيخ الابراهيمي، جزء 4 ص 177.

5- تركي، التعليم القومي، ... ص 283.

6- أنظر محضر جلسة جمعية العلماء سبتمبر 1954، تقديم د/ أبو القاسم سعدالله، مجلة التاريخ، عدد8، 1980، ص 37.

وفيمايلي محتوى برنامج معهد ابن باديس (1)

المواد العلمية	السنة أولى (عدد الساعات)	السنة الثانية (عدد الساعات)	السنة الثالثة (عدد الساعات)	السنة الرابعة (عدد الساعات)
القواعد	5	5	4	4
القرآن و الدين و الأخلاق	5	5	5	6
التوحيد	1	1	1	1
الجغرافيا	2	2	2	2
التاريخ	1	2	3	3
النصوص الأدبية	2	2	2	2
البلاغة	2	2	2	2
تاريخ الأدب	2	2	2	2
الرسم و الإعلام	1	1	1	0
التجويد	1	0	0	0
اللغة الفرنسية	2	2	2	2
الحساب و الهندسة	4	4	4	4
العلوم	2	2	2	2
المجموع	30	30	30	30

و كان يرأس المعهد عضو جمعية العلماء الأستاذ العربي التبسي[1] و تولى كتابته الأديب الشهيد رضا حوحو(2) و تولي شؤونه المالية و الاقتصادية(3) أحمدبوشمال (4) أما الهيئة العلمية فتتكون من المشائخ المدرسين و وضيفتها وضع البرنامج الدراسي للمعهد و تنفيذه. و اختيار الكتب الدراسية الملائمة و امتحان التلاميذ في نهاية العام، و توزيعهم على السنوات بحسب الأهلية و الاستحقاق. و تخصص الهيئة المالية بجمع المال و ضبطه و صرفه في مصالح المعهد التي تقررها الهيئات الثلاث مجتمعة. أما هيئة المراقبة

1- تركي، التعليم القومي، ص 283.

2- من مواليد سيدي عقبة 1911، تلقى تعليمه الابتدائي بالعربية والفرنسية بمسقط رأسه، وتعليمه المتوسط بسكيكدة والثانوي بالمدينة المنورة التي هلجر اليها مع اهله سنة 1937، عاد الى الجزائر سنة 1945، ساهم في الحركة الاصلاحية ، استشهد سنة 1957، أنظر فضلاء، من أعلام الاصلاح، ج1، ص 257 وما بعدها.

3- الشيخ أحمد حماني، الصراع بين السنة و البدعة أو القصة الكاملة للسطو بالامام الرئيس عبد الحميد ابن باديس، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1984م – 1405هـ،ج2، ص 270.

4- ولد بقسنطينة سنة 1899، وبها حفظ القرآن الكريم في جامع سيدي ياسمين بالقرب من رحبة الصوف، تتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد ابن باديس وصار من ملازميه، تبرع بمتجر له لوضع مطبعة للمنتقد ثم الشهاب فيه، اصبح بعد وفاة ابن باديس رئيسا لجمعية التربية والتعليم انتخب سنة 1946 عضوا اداريا بجمعية العلماء شارك في الثورة المسلحة واستشهد سنة 1958، أنظر فضلاء، من أعلام الاصلاح، ج1، ص 169.

و الضبط فإنها تقوم بتسجيل أسماء التلامذة و مراقبتهم خارج المعهد مراقبة دقيقة و ملاحظة سلوكهم العام من استقامة و اعوجاج و تطبيق لائحة المعهد الداخلية عليهم. كما يسند إليها أمر النظر في النظافة و الصحة والعلاج للتلاميذ إلى غير ذلك.[1]

و واضح أن القصد من كل هذا هو اعداد التلاميذ لكي يكونوا اطارات وطنية تخدم الدين و الوطن.

لقد استمر معهد ابن باديس يؤدي في رسالته العلمية، و الدينية و الثقافية إلى أن أقدمت السلطات الاستعمارية على غلقه و تشريد تلامذته و أساتذته و الاستلاء على جميع مرافقه و تحويله إلى ثكنة عسكرية سنة 1957[2] و حتى فجر الاستقلال سنة 1962.[3]

ر - <u>مدرسة الكتانية:</u> تعتبر من المعاهد العربية الإسلامية الهامة في الجزائر، و قد لعبت دورا كبيرا في نشر العلم و المعرفة و قد صارت منذ 1947م تابعة للزاوية الحملاوية كفرع لها في مدينة قسنطينة و كانت مثل معهد ابن باديس فرعا من فروع جامع الزيتونة بالجزائر، و برنامجها الدراسي لا يختلف كثيرا عن برنامج معهد ابن باديس في تفاصيله و جزئياته. و كانت في كل سنة تأتيها لجنة مركبة من أربعة أعضاء من شيوخ جامع الزيتونة على نفقة الكتانية لاجراء الامتحانات و كل تلميذ يذهب من الكتانية إلى الزيتونة يقبل مباشرة دون امتحان.[4]

ك- <u>مدرسة التربية و التعليم الإسلامية (فرع باتنة):</u> تأسست في أوائل سنة 1937م تشتمل على ثلاثة أقسام و إدارة و قسم لتعليم القرآن الكريم و عدة غرف صغيرة مع مرافق أخرى مستوفاة الشروط. زارها الأستاذ عبد الحميد بن باديس في أواسط سنة 1938 ألقى فيها خطابا كما حث الناس على وجوب الاستمرارية في دعم مدارس التعليم العربي الحر. تخرج من هذه المدرسة الكثير من النبغاء. منهم من أكمل دراسته بمعهد ابن باديس أو بجامع الزيتونة، و منهم من انضم إلى بعثات في الخارج و منهم عدد كبير من المعلمين و المديرين و الأساتذة و المحامين و إطارات في الجيش، من أبرز المعلمين و المديرين و الأساتذة و المحامين و إطارات في الجيش، من أبرز المعلمين و المديرين الذين عملوا بها نذكر: محمد الغسيري،(5) محمد الحسن فضلاء السعيد البيباني(6) محمد العيد آل خليفة.[7]

ز- <u>مدرسة الإصلاح ببجاية:</u> أسسها الشيخ الهادي الزروقي[8] قبل ميلاد جمعية العلماء المسلمين، ولقيت

1- تركي، التعليم القومي.. ص 284-285.

2- استشهد من الأساتذة المشايخ: العربي التبسي، رضا حوحو، أحمد بوشمال محمد الزاهي، محمد العدوي، أنظر الشيخ أحمد حماني، صراع السنة و البدعة ص 270

3- تركي، التعليم القومي، ص 285-286. 4- أنظر عنها تركي رابح التعليم القومي، ص 288-289.

5- ولد بغسيرة بأريس سنة 1915، درس على يد الشيخ ابن باديس مدة 4 سنوات ابتداء من سنة 1932، صار بعدها مدرسا بدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، تولى في حياته إدارة بعض مدارس جمغية العلماء بشلغوم العيد والبليدة وسكيكد، كان أيضا قائدا كشفيا ، اعتقل اثر حوادث 8 ماي 45، شارك في الثورة التحريرية وبعد الاستقلال عمل في السلك الديبلوماسي كسفير لبلاده، توفي سنة 1974، للمزيد عنه أنظر: عبيد الله مسعود، الشيخ محمد الغسيري حياته وأعماله، تاريخ الاوراس، نشر جمعية أول نوفمبر، دار الشهاب، ص 277 وما بعدها.

6- من مواليد سيدي ابراهيم ببرج بوعريريج، درس بمسقط رأسه ثم في زاوية بودلود بأقبو، عضو نشيط بجمعية العلماء شارك في الثورة المسلحة، توفي سنة 1976، أنظر فضلاء، من أعلام الاصلاح، ج3، ص 133 وما بعدها.

7- محمد الحسن فضلاء، نفس المصدر، جزء 1، ص 99 و ما بعدها.

8- أسمه بلعربي الهادي أصله من بني غليس سيدي عيش . تلقى تعليمه الأول في زاوية عائلته (أحمد زروق) ثم بزاوية سيدي عبد الرحمان البلولي بجرجرة، و أكمل دراسته بالزيتونة بتونس، و بعد تأسيس جمعية العلماء أنضر إليها، و كان من أبرز المصلحين ببجاية و نواحيها توفي رحمه الله بمدينة الجزائر سنة 1959م له مقالات اصلاحية بجريدة البصائر أنظر. ايسلي مقران، الحركة الإصلاحية... ص 311.

من أهل بجاية اقبالا و تأييدا[1]، و شارك في إدارة شؤونها و التدريس بها ثلة من رجال الفكر و الثقافة منهم الشيخ الزروقي المؤسس لها، و الشيخ علي شنتير و غيرهم. و قد ساعد ذلك على انتشار حركة الإصلاح في بجاية و نواحيها.[2]

كانت مجهزة تجهيزا عصريا، كما أنها كانت تعطي الدروس على الطريقة العصرية، و من المواد التي كانت تدرس بها، الرياضيات و التاريخ و الجغرافيا و اللغة العربية و التربية الإسلامية.[3]

و لما أحست الإدارة الاستعمارية أن ثمار المدرسة بدأت تؤتي أكلها شددت عليها الخناق.

و حاصرتها و ضيقت على مدرسيها و أحصت عليهم أنفاسهم تمهيدا لغلقها نهائيا. كعادتها مع كل المدارس العربية الحرة في كل القطر الجزائري[4].

و قد زار رئيس جمعية العلماء الشيخ ابن باديس مدينة بجاية[5] سنة 1939م بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف و حضر حفلا بهيجا بهذه المناسبة العظيمة بمدرسة الإصلاح و أعجب بنشاط و اجتهاد تلامذتها فقد قال عندما أعطيت له الكلمة بأن التلاميذ و التلميذات الذين سمعتم خطبهم لم يتركوا لي مجالا للخطاب و إني مستمد الآن خطابي مما سمعته منهم محبينا في الأخير المحتفلين و المحتفلات.

و في هذه المناسبة ألقى معلم المدرسة عمر بوعناني .[6] خطابا إضافيا رحب فيه بالشيخ الرئيس ابن باديس ثم حي المحتفلين و رحب بهم ثم استعرض سيرته صلى الله عليه و سلم. و انتهى خطابه بالدعاء بحياة اللغة العربية و شعب الجزائر و أبطال قانون 8 مارس المشؤوم.[7]

و من الواضح أن هذا النشاط الدؤوب لمدرسة الإصلاح ببجاية و التأثير الكبير الذي بدأت تحدثه في الأوساط الشعبية ككل مدارس الإصلاح في القطر قد ضاقت الإدارة الاستعمارية به ذرعا فراحت تبحث عن الذرائع التي تخول لها وقغ شكاط المدرسة و من ثمة غلقها.

حيث اتهمتها بأنها تعمل خارج القوانين الفرنسية و استصدرت الإدارة الاستعمارية حكما قضائيا أدانت فيه أساتذة المدرسة: بلعربي الهادي بغرامة قدرها 200 فرنك. و والده الزروفي بـ 16 فرنك لأنه كان يساعده . و بوعناني عمار بن محمد من دوار ذراع الأربعاء بالصومام. و أصبح الأساتذة الثلاثة موقــوفين

1- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر ص 305-306. 2- ايسيلي، الحركة الاصلاحية، ص .228

3- ايسيلي، الحركة الاصلاحية، ص .228

4- المرجع السابق. ص .228

5- سبق للشيخ ابن باديس أن زار مدرسة الإصلاح سنة 1934م و اثنى على اتباعه و شكر الأساتذة القائمين على المدرسة على النتائج المتحصل عليها أثناء السنة الدراسية، و دعا الجميع إلى ضرورة دعم حركة الإصلاح. أنظر تقرير خاص من محافظ شرطة مدينة بجاية إلى الوالي العام بالجزائر . تقرير مؤرخ ببجاية في 1 أكتوبر 1934م. أرشيف ولاية قسنطينة علبة (7.7.).

6-ولد بقرية برباشة ببجاية سنة 1904 تعلم بمسقط رأسه ثم ببجاية ثم أكمل دراسته على يد الشيخ ابن باديس بالجامع الأخضر بقسنطينة عمل معلملا بمدرسة الإصلاح ببجاية ثم بمدرسة الراشدية بشرشال من 1945 إلى 1962 بعدها عمل إماما بشراقة ثم بكتشاوة كما عمل أستاذا بمتسوطة باستور إلى سنة 1983 أنظر عنه فوضالة من أعلام الإصلاح في الجزائر جزء 3 ص 1989 و ما بعدها .

7-علاوة بن الحلو العيداني، احتفال بجاية بمولد النبوي الشريف جريدة البصائر عدد 166/ 19-5-1939.

عن التدريس[1] .

و رغم المساعي التي بذلها السادة: بن جلول (2) ، تامزالي[3]، خليل، الأخضري و هم ممثلين ماليين، فقد قوبل احتجاجهم على غلق المدرسة بالرفض من قبل الولاية العامة و عمال قسنطينة حيث اعتبرت المدرسة عندهم بأنها صارت تمثل معقلا من المعاقل النشطة لدعاية العلماء.[4]

و قد كان لغلق المدرسة الإصلاحية تأثير كبير على الغيورين عليها فتحت عنوان: " عاقبة مدرسة بجاية " كتب " مسلم" يقول: " ... تغلق دار التربية و التعليم الإصلاحية و عشرات من مراكز الخمور (les Caves) مفتحات الأبواب بمرأى و مسمع من كل أحد من أولئك السادة.. في وقت أحرج فيه الموقف و أحدقت الأخطار و شعر كل واحد – و ان كان قويا – بالاحتياج إلى معاونين من أولئك الرجال الذين يردون هجمات العدو الراهب المتوقعة. بل الحاضرة، بقطع النظر عن الواجب الإنساني .

نرى البعض لم يشعر بهذا و تجاهله، أولئك هم المتفوقون من بعض رجالات الإدارة الجزائرية الذين يريدون أن يقضوا- تبت يمينهم – على الإسلام و العربية في وطننا و ما درى المغرور أن الجزائر و بجاية بالخصوص وطن إسلامي عربي من بزغت عليه شمس الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري. فمن المستحيل إخماد تلكم الجذوة النورانية التي لا تزيدهما الزعازع و الأعاصير إلا اتقادا و ازدهارا..".[5]

<u>س - مدرسة الفتح</u>: تأسست بمدينة سطيف سنة 1936م بقصد تنظيم دروس العربية و الفرنسية للأطفال و محاضرات بالنسبة للكبار، و إنشاء مكتبة، و كان أبرز المدرسين بها أحد أعضاء جمعية العلماء البارزين الشاعر عمر البسكري [6]. أما رئيس جمعية مدرسة الفتح السيد فرحات عباس و نائباه: عطار عيسى ومسلم خليفة .

و قد شرعت المدرسة في العمل رغم عدم تسلمها الرخصة من قبل الإدارة الإستعمارية التي كانت ترتاب من نشاط أي مدرسة عربية حرة بالجزائر.[7]

و قد تخرج من مدرسة الفتح جمع غفير من المتعلمين، كما دفعت هيئة تدريسها عددا كبيرا من الشهداء من أجل استرجاع السيادة الوطنية نذكر منهم: البشير سي حمدي من تلاميذ الشيخ ابن باديس معلم بمدرسة الفتح بسطيف أعدم في 1958م. محمد الأكحل تاعزيبت مدرسة الفتح قبض عليه و أعدم في سنــــــة

1- تقرير من رئيس دائرة بجاية إلى عامل عمالة قسنطينة حول مدرسة الإصلاح؛ مؤرخ ببجاية في 25 جوان 1938م. A.O.M.9 H 46.

2- ولد محمد الصالح لابن جلول بقسنطينة سنة 1896 من عائلة بورجوازية وبعد أن اكمل دراسته في باريس أصبح طبيبا سنة 1924، بدلأ حياته السياسية كمستشار بلدي وكصحفي، وفي الثلاثينات اكتسب شهرة حيث أصبح في 1933 رئيسا لفدرالية المنتخبين وفي 1938 أسس التجمع الفرنسي الاسلامي، وبعد 1945 صار عضوا في الجمعية الوطنية (البرلمان) وبع انتفاضة 20أوت 1955 صار ن أبرز اعضاء مجموعة 61 التي اعتبرت سياسة الادماج قد تجاوزها الزمن لكن يتراجع بعد ذلك ويغيب عن السياسة ليقض بقية حياته في فرنسا، توفي بقسنطينة سنة 1986. أنظر: Achour cheurfi, la classe politique algerienne, Casbah editions, Alger , 2001, pp 78 - 79

3- حسب ما جاء في تقرير مرفوع إلى عامل عمالة قسنطينة مؤرخ في 14 مارس 1939م جاء فيه أن السيد تامزالي قد أكد على أن مدرسة الإصلاح ببجاية يمكن فتحها و لكن بأساتذة مرخص لهم. أنظر تقرير أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم (7.7.)

4- تقرير سري من عامل عمالة قسنطينة إلى الوالي العام عن مدرسة الإصلاح ببجاية مؤرخ بقسنطينة في 29 جوان 1938م. A.O.M. 9H 46

5- " مسلم" عاقبة مدرسة بجاية جريدة البصائر عدد 1939/1/20/149م.

6-ولد في زريبة الواد ببسكرة سنة 1899 تعلم بها ثم بسيدي عقبة التي أصبح بها معلما بها لمدة طويلة و فيها احتك بالشيخ الطيب العقبي و عندما تأسست جمعية العلماء صار من أعضاءها العاملين درّس ببجاية ثم بسطيف و وهران توفي سنة 1968 للمزيد عنه أنظرفوضالة من أعلام الإصلاح جزء 2 ص 22 و ما بعدها .

7- أنظر أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم (6.6.).

1958. محمد عادل من تلاميذ الشيخ ابن باديس و معلم بمدرسة الفتح أعدم عندما ألقي عليه القبض في سنة 1958م.

الطيب خرشي مدرسة الفتح، سقط في معركة الكرامة في سنة 1961م ، عبد الحفيظ بوالضياف مدرسة الفتح سقط في معركة الكرامة سنة 1961م[1].

ش- مدرسة الحياة: **تأسست بمدينة جيجل سنة 1933م و كان من أبرز أعضاء جمعيتها نذكر : الأستاذ ساحلي محمد الطاهر[2] رئيسا لها. و نائباه: موساوي محمد. و خلاف مسعود. تهدف هذه المدرسة إلى التعليم الديني و القرآن الكريم، و تأسيس مدرسة بمدينة جيجل، و كانت جمعية المدرسة تعمل لجمع المال لتمويل بناء المدرسة.[3]**

و قد سجل تقرير خاص من محافظ شرطة جيجل إلى نائب العمالة ببجاية حضور الشيخ ابن باديس إلى مدينة جيجل في سبتمبر 1934م و حضر مسرحيـــة نـظمتـها جمـعيـة مـدرسة الحيــاة و نــصح النـــاس بالتعليم و محاربة المرابطين المشعوذين.[4]

كما حضر الشيخ ابن باديس إلى مدينة جيجل سنة 1939م بمناسبة وضع حجر الأساس لمقر مدرسة الحياة. حيث وضع الشيخ الرئيس الحجر الأول لهذا المعقل العظيم معقل العربية و العروبة و الدين.[5]

ص- مدرسة الأمير عبد القادر بمعسكر: تأسست أول مدرسة اصلاحية حرة في مدينة معسكر من طرف نادي الشبيبة الأبية الأهلية في سنة 1932م كان يديرها الشيخ السعيد الزموشي. الذي كان له الفضل في تكوين بعض شباب المدينة و ارسالهم إلى جامع الزيتونة أو الجامع الأخضر و من هؤلاء الحاج حسين قايد. و قد تخرج من هذه المدرسة كذلك دلاي محمد الذي صار معلما في مدارس الجمعية في كل من معسكر، غليزان، وهران و مصطفى اسطنبولي الذي صار أحد زعماء حزب الشعب الجزائري في مدينة معسكر.[6]

و عندما جاءت الحرب العالمية الثانية 1939م منعت الادارة الاستعمارية الشيخ السعيد الزموشي من ممارسة التدريس بسبب نشاطه المتنامي و اتصالاته بقادة جمعية العلماء في الجزائر العاصمة.[7] و تم نقل المدرسة إلى مكان آخر أكثر ملائمة من سابقه و بعد نهاية الحرب تقوت حركة التعليم العربي الحر بمعسكر حيث اكتمل بناء مدرسة الأمير عبد القادر و ترأس حفل التدشين السعيد الزموشي، عبد الوهاب بن منصور. عمر البسكري، مصباح حويذق، محمد منيع، و المعلمون بمدارس جمعية العلماء في كامل عمالة وهــران،

1-محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي ص 134 و ما بعدها .

2--ولد في ابن خطاب بجيجل سنة 1908 تعلم بمسقط رأسه ثم أكمل دراسته بجامع الزيتونة يعد من قادة جمعية العلماء و بعد الاستقلال بقي يؤدي في رسالته الإصلاحية بقسنطينة ثم بجيجل توفي رحمه الله سنة 1990 للمزيد عنه أنظر فوضالة من أعلام الإصلاح جزء 2 ص 206.

3- أنظر أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم(7.7.).

4- أنظر أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم (7.7).

5- مقيدش محمد، الاحتفال بوضع الحجر الأساسي لمدرسة الحياة الجيجلية، جريدة البصائر، عدد19/166-5-.1939.

6- -جاكر حسين، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر. دار الغرب للنشر و التوزيع 2003 وهران ص 148 وما بعدها.

7- جاكر، المرجع نفسه، ص 149.

و رؤساء الجمعيات المحلية للمدارس و رؤساء الشعب[1] و من المدرسين الذين تداولوا التدريس بها نذكر: محمد السعيدي المجاجي، عمر البسكري، السيدة عمر البسكري (أشغال يدوية و طرز). مصباح حويذق محمد دلاي السنوسي، عبو العربي ، أحمد الخطيب و هوليناني.[2]

ط- المدرسة الإصلاحية بوهران: تأسست " الجمعية الإصلاحية " بوهران في سنة 1935م. و فتحت قسما واحدا متعدد المستويات يديره الأستاذ محمد السعيد الزاهري.[3] و أمام الإقبال الكبير على التعليم العربي الحر: فكرت جمعية العلماء في تأسيس مدارس جديدة فكان مشروع مدرسة الفلاح. الذي تم تحقيقه بفضل تبرعات المحسنين. و شرعت المدرسة في عملها بعد تعيين الأساتذة: عمر البسكري، أمين القنطري، عبد اللطيف، سلطاني، محمد جفال[4] و في سنة 1944 عين الشيخ السعيد الزموشي كمعتمد الجمعية بوهران و مدير المدرسة الفلاح، و اتجهت الأنظار إلى بناء مسجد حر تلقى فيه دروس الوعظ و الإرشـــــــاد بكل حرية، فتعاون الناس على انجاز هذا المشروع الذي خصص الطابق الأرضي منه لبناء أقسام المدرسة و بمحضر الشيخ البشير الإبراهيمي تم تدشين المسجد سنة 1947م ليتبع بتدشين (دار الفلاح الجديدة) نهائيا في 10 أوت 1952م مؤثثة تأثيثا عصريا و بالمناسبة ألقى الشاعر عمر البسكري قصيدة نقتطف منها مايلي:

أنظر الإسلام كيف يجدد *** بمعاهد ليست بذهنك تعهد

(دار الفلاح) غدت مدار فلاحنا *** آمالنا العظمى عليها تعقد

بضيائها و علومها تهديك ابن *** البدر ابن الشمس ابن الفرقد؟؟؟ [5]

- و أصدرت مدرسة الفلاح مجلة مدرسية (الفلاح) باسم تلاميذتها .

و في 1954 استحدثت المدرسة قسم للتنشيط الثقافي و الأشغال اليدوية و بمناسبة زيارة عميد المسرح العربي (يوسف وهبي) لوهران أقامته له المدرسة حفلة شيقة و قام قسم النشيط الثقافي برسم صور له و استحسن نشاط المدرسة و تفاءل بوجه العربية المشرق في البلاد.[6]

بناء على ما سبق ذكره تقول بأن المدارس العربية الحرة كانت تعيش في أوضاع صعبة، كنقص التمويل المالي. لأن فرنسا لا تنفق عليها ولا تقدم لها دعما ما دامت غير رسمية، و من جهة أخرى كانت عرضة في كل لحظة لعملية الغلق و التنكيل بأساتذتها لمجرد الشك. في أنها معادية في توجهها للإدارة الاستعمارية، و لكنها رغم ذلك لم تستلم للأمرالواقع. وجاهدت من أجل التمكين للإسلام و اللغة العربية وآدابها في الجزائر بالنفس والنفيس. و قد بلغ مجموع تلامذتها الابتدائيين في الوقت الحاضرمن البنين

1- جاكر المرجع نفسه ص 153 و ما بعدها.

2- جاكر، المرجع نفسه، ص 167.

3- محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم...جزء 3 ص 43.

4- محمد الحسن فضلاء، نفس المصدر، جزء 3، ص 47-48.

5- محمد الحسن فضلاء، نفس المصدر، جزء 3، ص 48 و ما بعدها.

6- محمد الحسن فضلاء، نفس المصدر، جزء 3، ص 52. و محمد صالح رمضان الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية برئاسة نابغة المسرح العربي الأستاذ يوسف وهبي طبعة 2 مؤسسة العصر 2003 الجزائر ص 9 و ما بعدها

و البنات، نحو خمسين ألف و بلغ عدد التلاميذ المتخرجين منها من مبدأ الحالات نحو مائتين و خمسين ألف تلميذ. و بلغ مجموع المعلمين في هذه المدارس نحو أربعمائة معلم كلهم من تلامذة جمعية العلماء و جنودها الحاملين لفكرها..."[1].

و ابتداءا من سنة 1954 راحت جمعية العلماء ترسل في البعثات العلمية إلى البلدان العربية. في مختلف التخصصات و توالت هذه البعثات. و كونت جيلا من المثقفين الجزائريين الذين عملوا على تهيئة مناخ الاستقلال، و قد تعددت بعثات جمعية العلماء إلى الشرق في مصر. و الكويت و العراق و سوريا و غيرها.[2]

وكان لبروز الكثير من المكتبات العربية في الحقيقة بمثابة دعم للمدارس العربية الحرة فعلى سبيل المثال نج د في مدينة تلمسان مكتبة ابن خلدون ومكتبة بغلي كانتا تلبيان حاجيات روادهما بل ومن أجل توفير الكتاب لقرائه عمدتا الى ربط علاقات تجارية مع مكتبة ردوسي بالجزائر (الثعالبية) ومكتبات مغربية (وجدة، الرباط ، الدار البيضاء وفاس) ومكتبات تونس والمشرق العربي خاصة سوريا ومصر. (3)

إن المدارس و المعاهد العلمية التي أسستها جمعية العلماء، و غيرها من التنظيمات الوطنية ساهمت بقدر كبير في ارساء دعائم النهضة الجزائرية الحديثة إذ بواسطتها تمكنت فئات عريضة من أبناء الشعب من التعلم و التثقف، و معرفة الكيان الجزئري معرفة صحيحة أهلته لاكتساب وعي وطني ناضج عزز الثقة في النفس و الإيمان بالشخصية الوطنية فكان ذلك منطلقا للإنعتاق من قبضة الاستعمار و التحرر منه، بعد أن انعتق من غشاوة الجهل التي كانت تحول بينه و بين معرفة نفسه و تاريخه و عن تم التفكير في التحرر من قبضة الاستعمار البغيض. و المدارس العربية الحرة في الجزائر حررت الجماهير من سجن الجهل تمهيدا لتحريرها من سجن الاستعمار. كما أن برامج هذه المدارس كانت بمثابة الإنطلاقة الحقيقية للأمة الجزائرية في بلورة مقومات شخصيتها الوطنية.

4- الصحـــــــافة:

تعد الصحف و المجلات من أبرز الوسائل التي ساهمت في نشر الثقافة العربية، كما أنها أعطت دفعا قويا للحركة الإصلاحية و اشهارها في الأوساط العامة الذي كان عظيما. و من هذا المنطلق كان ايمان أبا اليقظان أكثر مما أي وقت مضى بالدور الهام الذي ستلعبه الصحافة في النهضة بالأمة الجزائرية، فقال في قيمة الصحافة كأداة للنهضة:

إن الصحافة للشعوب حياة *** و الشعب من غير اللسان موات.
فهي اللسان المفصح الذلق الذي *** ببيانه نتدارك الغايات.
فهي الوسيلة للسعادة و الهنا *** و إلى الفضائل و العلا مرقاة.
فبها إلى الأمم الضعيفة ترفع *** الرغبات منه و تبلغ الأصوات.
الشعب طفل و هي والده يرى *** لحياته ما لا تراه رعاة.[4]

1- مذكرة ايضاحية قدمت لوزارة المعارف المصرية و لمشيخة الأزهر الشريف و للأمانة العامة لجامعة الدول العربية في يناير 1953 من آثار الشيخ الابراهيمي ج4 ص 175-.176.

2- أنظر عن بعثات جمعية العلماء المسلمين إلى المشرق. محمد خير الدين. مذكرات...جزء 2 ص 44 و ما بعدها.

3- El Korso, Op. Cit, p 244.

4- د/ محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة... ص 20.

ولما كان هدف العلماء المصلحين في الجزائر هو اصلاح المجتمع من كل جوانبه و النهوض به من رقدته الطويلة فقد اتخذوا الصحافة وسيلة أساسية منذ 1925م. لنشر أفكارهم الجديدة و تمزيق ركام الجمود الذي سيطر على المسلمين في الجزائر حوالي قرن من الزمان، و عندما تأسست جمعية العلماء سنة 1931م جعلت من الصحافة الوسيلة الأولى لنشر دعوتها و مبادئها، و أهدافها بين الجزائريين و سلاحا خطيرا تستخدمها ضد خصومها من الإدارة الاستعمارية و رجال الطرق الصوفية. و ضد كل من أصبح يسير في ركاب المحتلين.[1]

و لعل أهم الصحف و المجلات التي لعبت دورا رياديا في بناء الذهنية الحضارية للمجتمع الجزائري:

أ - جريدة المنتقد: صدرت بمدينة قسنطينة في 2-7-1925 باسم الشيخ أحمد بوشمال. و هي جريدة سياسية تهذيبية انتقادية شعارها: الحق فوق كل أحد و الوطن قبل كل شيء و هي جريدة أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس و أسند إدارتها إلى الأستاذ أحمد بوشمال.[2] و كانت مثالا من أجل و أروع مثل الصحافة محررة بأقلام بديعة وأفكار نيّرة. و قد حملت حملة صادقة على البدع و الخرافات و الضلالات والموبقات التي يرتكبها الكثير من مشائخ.[3] و لكنها عطلت نظرا لخطورتها بقرار من الإدارة الفرنسية بعد صدور ثمانية عشر عددا فقط[4]. وكانت جريدة أسبوعية و قد تلقاها الشباب و أصحاب الفكرالعربي النيّر بالقبول. كانت متحررةو داعية للنهضة و الوطنية بأسلوب واضح و حماسي[5] .

ب - الشهاب: هي جريدة أسبوعية، صدرت بمدينة قسنطينة يوم 12-11-1925 باسم الشيخ أحمد بوشمال [6] وهي في شعارها مثل جريدة المنتقد جريدة سياسية تهذيبية انتقادية شعارها: الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء. أسسها الشيخ عبدالحميد بن باديس وأسند إدارتها إلى عضده الأيمن الأستاذ أحمد بوشمال.[7]

وابتداءا من غرة رمضان 1347هـ الموافق لشهر فيفري 1929م صارت الشهاب مجلة شهرية.[8] استمرت الشهاب في الصدور إلى عشية الحرب العالمية الثانية. حين توقفت من تلقاء نفسها حتى تنجلي الحرب و حتى لا تضطرإلى نشر ما لا ترضى عنه تحت قوانين الحرب. و تعتبرالشهاب مجلة وطنية اصلاحية أيقظت الرقود، و نبهت الغافلين ودعت إلى جمع الشمل والوحدة كما دافعت عن الإسلام[9]

1- عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء... ص 139.

2- سليمان الصيد، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار ص 159.   3- المدني توفيق، كتاب الجزائر... ص 370.

4- صدر قرار تعطيلها من قبل الحكومة الفرنسية بباريس بتاريخ 1925/10/3. أنظر A.O.M 15 H 23

5- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... الجزء 5 ص 253.

6- حول دعم الشيخ أحمد بوشمال لابن باديس في اصدار صحيفة أنظر : Ali Merad. Le Reformisme. P 93.

7- سليمان الصيد، نفح الأزهار... ص 161.

8- Ali Merad: La formation de la Presse musulmane en Algerie 1919 /1939 IBLA n 105 1964 P 22

9- حاربها الطرقيون بالجزائر و المغرب. و استطاعوا أن يقنعوا الإدارة الاستعمارية بضرورة إصدار أمر منع دخولها إلى بلاد المغرب، بل و زادوا على ذلك بإرسال برقية تظهر شماتتهم بذلك إلى مقر "الشهاب " الجزائر 21-8-1938 أقدم لكم تهنئتي بتحجير دخول جريدة الشهاب إلى المغرب الأقصى: " أنظر أحمد حماني صراع السنة و البدعة. جزء 1 ص 305 و ما بعدها.

و اللغةالعربية. و العدالة و الحرية، و شاركت برأيها في قضايا المغرب و المشرق العربيين.(1) كما تعد سجلا حافلا لتاريخ الجزائر و نهضتها الحديثة و قد اختص الشيخ ابن باديس بالكتابة في القسمين الديني و العلمي و حوت الشهاب بعض دروسه في تفسير القرآن الكريم. التي أطلق عليها صاحبها اسم مجالس التذكير.(2) و حازت على ثقة كبيرة في جميع أنحاء الوطن(3).

ت - صدى الصحراء: كانت أول جريدة اصلاحية تصدر بمدينة بسكرة عام 1925م. و مثلت أنذاك متنفسا للأقلام الإصلاحية.(4) كان محررها و صاحب امتيازها الأستاذ أحمد بن العابد العقبي. و لا يستبعد أن يكون الشيخ الطيب العقبي قد شارك في تأسيسها نظرا لخبرته الصحفية كما يذهب إلى ذلك ديوز: " ... و قد شارك في تأسيسها كل من الأمين العمودي و الشيخ العقبي و محمد العيد..."(5) لم تعمر طويلا و نظرت إليها الإدارة الاستعمارية نظرة عداء و أوقفتها.

ج - جريدة الإصلاح: تأسست بمدينة بسكرة سنة 1927، من قبل الأستاذ الشيخ الطيب العقبي، و لم يخرج عددها الأول إلى عالم النور في وقته(6) بسبب الإجراءات البيروقراطية للإدارة الفرنسية بتونس التي رغم استيفاء الجريدة لكل شروط طبعها بتونس لانعدام المطابع بالجزائر إلاّ أن الإدارة الفرنسية توجست خيفة منها- و لم تــمنح الإذن بطباعة العدد الثاني الذي لم يظهر إلاّ سنة 1929م بعد أن أسس الشيخ الطيب العقبي مطبعة بدائية لاستئناف صدور جريدته(7). و جاء في أهداف الجريدة أي الاصلاح أنها " الإصلاح كلمة جامعة شاملة يندرج في مفهومها العمل لكل خير و خير أنواع الاصلاح ما وافق المعقول و المشروع،

و أتى المصلح في البيوت من أبوابها ... و أهم كل مهم و أولاه بالتقديم مسألة العقائد و كلام على تصحيحها... و سنخصص الفصول الطويلة و الأبواب الكثيرة لمحاربة البدع التي ألصقت بالدين."(8)

أشاد بها الشيخ البشير الإبراهيمي في السجل بقوله: تأسست جريدة الإصلاح ببسكرة فكان اسمها أخف وقعا و إن كانت مقالاتها أسد مرمى و أشد لذعا."(9) و بسبب تدخل الإدارة و تعطل مطبعتـــها البدائية

1- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...الجزء 5، ص 253. 2- محمود قاسم: الإمام عبد الحميد بن باديس... ص .21

3- وصل عدد المشتركين بها في عمالة وهران بها سنة 1939 إلى 145 مشترك: وهران: 43 مشتركا، تلمسان: 40 مشتركا، مستغانم : 22 مشتركا، سيدي بلعباس: 13 مشتركا أنظر: EL KORSO , Le Cas de L'Association des ULAMA . Musulmans Algeriens en Oranie 1931-1945. These dhistoire paris 1989. P T.1. p 195.

4- ظهرت في بسكرة يوم 23 نوفمبر 1925 و كانت حاملة للفكر السلفي الشيخ الطيب العقبي الذي جاء به من الحجاز و المتأثر بالوهابية والعروبة أنظر: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، جزء 5، ص .254

5- د/ محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939 ، ش-و-ن-ت الجزائر 1989، ص .62

6- اعتبرتها الإدارة الفرنسية لسان حال الحركة الإصلاحية العاصمية و إنما كانت تطبع 5000 نسخة يوميا. أنظرتقرير السيد الوالي العام بالجزائر إلى الوزير كاتب الدولة المكلف بشؤون العمالات و البلديات بعيشي. مؤرخ بالجزائر في 1940/12/26م .A.O.M. 15 H 21

7- محمد الصالح الجابري، النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ص .202

8- أنظر جريدة الاصلاح، العدد 1 -8 سبتمبر 1927. 9- سجل مؤتمر جمعية العلماء ...ص 51.

توقفت الإصلاح عن الصدور في عددها الرابع عشر الموافق لـ 1939/9/25م.(1)

و عندما اندلعت الحرب ع II عاود الشيخ الطيب العقبي اصدار " اصلاحه ". في وقت توقفت فيه الصحف المستقلة و الحرة عن الظهور، حيث أصدر عددها الخامس عشر الموافق لـ 1939/12/28.(2) و لكن الجريدة توقفت مرة أخرى عند عددها الخامس و الأربعين الموافق لـ 1942/2/26، و بتاريخ 10 أفريل 1947 استأنفت الجريدة من جديد. و بقيت تصدر إلى أن توقفت نهائياعند عدد الثالث و السبعين بتاريخ 3 مارس 1948.(3)

ح - جريدة البرق: جريدة أسبوعية صدرت بمدينة قسنطينة يوم 1927/3/7(4) و هي صحفية اجتماعية أدبية انتقادية سياسية اقتصادية فكاهية شعارها: خدمة الوطن و المصلحة العامة و استثمار المال حرر فيها أصحاب الأقلام الكبيرة مثل الشيخ محمد السعيد الزاهري و الشيخ الطيب العقبي و الشيخ مبارك الميلي. و الشيخ الأستاذ الأمين العمودي و غيرهم كانت تتبنى الانتقاد السياسي و تتناول المواضيع الاجتماعية و الاقتصادية و لذلك لم تتحملها الإدارة الاستعمار فأوقفتها.(5)

خ- جريدة السنة النبوية: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صدرت بمدينة قسنطينة سنة 1933 شعارها: و لكم في رسول الله أسوة حسنة من رغب عن سنتي فليس مني.(6) و كانت تحت إشراف الإمام عبد الحميد بن باديس و كان يرأس تحريرها الأستاذان: الشيخ الطيب العقبي و الشيخ السعيد الزاهري. توقف صدورها سنة 1352 هـ/ 1933م(7). و قد سحبت في عددها الأول 3000 نسخة بتاريخ 1933/4/4م(8) و قد استنكفت الإدارة الاستعمارية من مقالاتها التي رأت فيها أنها معاكسة للحضارة الغربية و مضادة لفرنسا. و للنواب المنتخبين الأهالي و من ثمة اقترحت توقيفها و منع ظهورها على تراب المستعمرة.(9) و بتاريخ 1933/6/22م صدر قرار وقفها و منع تداولها و بيعها و توزيعها من قبل وزير الداخلية.(10)

1- أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي حياته و مواقفه...ص 28.

2- Zahir Ihaddadene Histoire de la presse indigene en Algerie ENAL Alger 1983 p 383

3- المرجع السابق، ص 28.

4- كانت تبحث في وسائل الترقي و خدمة المصلحة العامة، و تمتاز بانشغالها بشؤون الواردات و الصادرات من أنواع البضائع و الصنائع الجزائرية يديرها الشاب الحازم السيد عبد المجيد الرحموني النائب التجاري أنظر: سليمان الصيد، نفح الأزهار... ص 162.بينما يرى د/ ناصران الأستاذ الزاهري هورئيس تحريرها أنظر الصحف العربية ص .83

5- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... الجزء 5، ص .256

6- أنظر سليمان الصيد، نفح الأزهار... ص .162

7- مذكرات الشيخ خير الدين. الجزء 2 ص 111-.112

8-أنظر بطاقة فنية عن هذه الجريدة في تقرير محرر من قبل مسؤول أمن العمالة مؤرخ بقسنطينة بتاريخ 1944/4/11 A.O.M 15 H 23.

9- تقرير عن الوالي العام بالجزائر إلى وزير الداخلية الفرنسي يحمل تاريخ 1933/4/17. A.O.M 15 H 23

10- مذكرة موجهة من نائب مدير الشؤون الأهلية إلى السيد مدير الداخلية تحمل تاريخ 1933/6/26. A.O.M 15 H 23

د - جريدة الشريعة المحمدية: و هي لسان حال جمعية العلماء التي تصدرها تحت اشراف رئيسها الشيخ ابن باديس. يرأس تحريرها الأستاذان: الشيخ العقبي و الشيخ الزاهري. صاحب امتيازها الأستاذ أحمد بوشمال صدر عنها 7 أعداد الأول بتاريخ 1933/7/17 عطلت من طرف الاستعمار.في 28 /1933/8م.[1] و كان قرار توقيفها قد وقعه وزير الداخلية بباريس بتاريخ 1933/8/9.[2] و كانت بعض مقالاتها موقعة بأسماء مستعارة كما مقالات الشيخ الفوضيل الورتلاني الموقعة باسم الفتى القبائلي [3]

ر - جريدة الصراط السوي و من اهتدى: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تصدرها جمعية العلماء، تحت اشراف رئيسها الشيخ ابن باديس يرأس تحريرها الأستاذان: الشيخ العقبي، و الشيخ الزاهري صاحب الإمتياز أحمد بوشمال في أعلى عنوان الجريدة هذه الآية الكريمة: قل كل متربص فتبرصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي الآية صدر العدد الأول منها بمدينة قسنطينة في 1933/9/11م و عطلت في بداية جانفي 1934[4] ، بعد صدور قرار توقيفها من قبل وزير الداخلية بتاريخ 1933/12/23.[5]

ز - جريدة البصائر: تمكنت جمعية العلماء بعد جهود مضنية من الحصول على رخصة من الحكومة الفرنسية باصدار جريدة للجمعية فأصدرت في 1935/9/27 جريدة البصائر. و التي استمرت تؤدي رسالتها حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية. و قد صدر العدد الأول منها بمدينة الجزائر يوم الجمعة 1935/12/27م. كان مديرها و رئيس تحريرها الشيخ الطيب العقبي. و السعيد الزاهري و صاحب امتيازها الشيخ محمد خير الدين، و بعدد العدد 83 انتهى الصدور بالجزائر و انتقل إلى مدينة قسنطينة و صارت إدارتها تحت اشراف الأستاذ الشيخ مبارك الميلي. إلى أن توقفت بتاريخ 1939/8/25م[6]، كان شعارها الآية الكريمة " قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمي فعليها و ما أنا عليكم بحفيظ " و بعد انجلاء الحرب العالمية الثانية عادت من جديد إلى الصدور برئاسة الشيخ الرئيس الإبراهيمي و استمر صدورها من 1947 إلى سنة 1956م[7].

و تعد البصائر لسان حال جمعية العلماء الرسمي في مرحلتها الأولى و الثانية و هي الجريدة التي كانت تحمل راية البيان العربي في شمال افريقيا و تكافح من أجل احياء اللغة العربية و إرجاع الإسلام إلى عهده الزاهر. و تتصارع مع الإدارة الاستعمارية دفاعا عن مؤسسات الجمعية و مبـــــادئها.[8] كما كانت

1- مذكرات الشيخ خير الدين الجزء 2 ص 112 و نفح الأزهار ص 163.

3- قرار التوقيف من وزير الداخلية إلى الوالي العام مؤرخ بباريس بتاريخ 1933/8/9 A.O.M 15 H 20.

3-ولد في بني ورتيلان سنة 1900 درس بمسقط رأسه ثم التحق سنة 1930 بالجامع الأخضر بقسنطينة و صار من تلاميذة شيخ ابن باديس و بعد تأسيس الجمعية انظم إليها و بعد مدة أصبح من عناصرها البارزين خدم الحركة الإصلاحية و الحركة الوطنية و ساهم في ثورة التحريرية توفي رحمه الله سنة 1959 للمزيد عنه أنظر فوضالة من أعلام الإصلاح.جزء 1 ص 203 و ما بعدها

4- مذكرات الشيخ خير الدين، الجزء 2 ص .112

5- مذكرة التوقيف موجهة لمدير الأمن العام مؤرخة في 1934/1/3 . A.O.M 15 H 20

6- أنظر سليمان الصيد، نفح الأزهار... ص .165

7- أنظر مذكرات الشيخ خير الدين. الجزء 2 ص .113

8- أبوصفصاف، جمعية العلماء ... ص 142.

مناصرة لقضايا العالم الإسلامي و المغرب العربي.[1]

س- وادي ميزاب: جريدة وطنية أصدرها الصحفي الكبير الشيخ ابراهيم أبو اليقظان سنة 1926م[2]، صدر العدد الأول في أكتوبر 1926 و قد جاء في افتتاحية العدد الأول منها " جريدة وطنية اسلايمة باسم وادي ميزاب تصدر مرة في كل جمعة بعاصمة الجزائر و ان كانت كلسان حال الأمة الميزابية إلا أنها قبل كل شيء لسان حال الفكر الإسلامي عموما و الجزائري خصوصا.[3]

دعت إلى الوحدة الوطنية و حاربت الآفات الاجتماعية و تضامنت مع قضايا العالم العربي الإسلامي.[4] و قد ظاهر هذه الجريدة أعداء الإصلاح في وادي ميزاب[5] ضامين صوتهم إلى صوت الإدارة الإستعمارية التي كانت بالمرصاد لكل صوت وطني إصلاحي؛ أوقفتها إدارة الشؤون الأهلية في 18 جانفي سنة 1929م بعد بروز 119 عدد منها.[6] و صاحب ذلك احتجاج من قبل أعيان و مثقفين بوادي ميزاب على هذا الإجراء.[7]

و بعدما ظهرت ميزاب التي لم يصدر منها سوى عدد واحد يوم 25 جانفي 1930 ثـــــم عـــطلت.[8]

ش- جريدة المغرب: أسسها أبو اليقظان و السيدان تاعمونت عيسى و هدوم باسعيد في 26 مـاي 1930

1- و بسبب اهتمامها بقضية المغرب الأقصى و مشاركة بعض الكتاب المغاربة في تحريرها عمدت الإقامة العامة بالرباط لاصدار قرار منعها و تسويقها و تداولها بالمغرب الأقصى. أنظر رسالة المقيم العام الفرنسي بالرباط إلى الوالي العام بالجزائر. مؤرخة بالرباط في 1936/5/9.
A.O.M 15 H 20

2- عن ظروف تأسيس الجريدة أنظر إلى اليقظان ابراهيم عيسى، تاريخ صحف أبي اليقظان تقديم و تعليق د/محمد صالح ناصر دار هومة الجزائر 2003 ص 25 و ما بعدها.

3- أنظر جريدة وادي ميزاب العدد 1 بتاريخ 1926./10/1

4- قبل أن ترى هذه الجريدة الإصلاحية النور عمد عامل عمالة الجزائر إلى التحذير منها و من توجهها المعادي لفرنسا، و المتصل بالحزب الدستوري التونسي من خلال تقرير له أرسله إلى الوالي العام مؤرخ بالجزائر في 1926/9/16. A.O.M 15 H 23

5- أنظر رسالة مرسلة من طرف مجموعة من أهالي ميزاب إلى الوالي العام يحرضون فيها الإدارة الاستعمارية على وقف هذه الجريدة متهمين صاحبها الشيخ أبو اليقظان بأنه مثير للشغب و البلبلة و على صلة بالدستوريين بتونس و الشيخ إبراهيم طفيش المعطي من تونس. رسالة مؤرخة بالعطف بتاريخ 10 ماي 1929م. A.O.M. 15 H 23

6- محمد ناصر حجام، أبو اليقظان في الدوريات العربية، المطبعة العربية بغرداية 1985، ص 57. و
Claude Collot, Le Regime Juridique de la Prèsse Musulmane. Algérienne R.A.S.J.E.P Volume II No 2. Juin 1969 p 370.

7- أنظر تقرير الوالي العام إلى وزير الداخلية الفرنسي مؤرخ بالجزائر في 1929/2/22 A.O.M 15 H 23 .

8- عن ظروف صدور جريدة " ميزاب " بمطبعة بتونس و إصدارها أنظر تقرير مرسل من مدير الأمن العام بالجزائر إلى مدير الشؤون الأهلية مؤرخ بالجزائر في 1930/1/29 A.O.M 15 H 23 .

بالجزائر العاصمة، و استمرت في الصدور إلى غاية 9 ماي 1931م عن ثماني و ثلاثين عددا.[1] كانت تقف بالمرصاد لما تنشره الصحافة الفرنسية أو غير الفرنسية من أفكار و أخبار قد يكون بها مس بالكرامة الوطنية[2]، و غداة تعطلت " المغرب " شيعها ابن باديس بكلمات حارة تصف مرة أخرى ما كانت تعانيه الصحف العربية الجزائرية من المستعمر حيث يقول: " روعت الصحافة الإسلامية الجزائرية بنبأ تعطيل رصيفتنا " المغرب " فكان الأسف عليها شديدا و كيف لا تروع، و التعطيل اثر التعطيل و المصرع إزاء المصرع؟ أم كيف لا نتأسف و التنقيص ما برح يعمل في عددها القليل". [3]

ص – جريدة النور: ظهرت بمدينة الجزائر في 1933/09/15 من طرف الأستاذ أبو اليقظان و كانت إلى جانب تناولها للقضايا الإصلاحية تكتب ضد الجمود الفكري و التحجر العقلي كما كانت بالمرصاد للطرقية الضالة و جريدتهم " البلاغ الجزائري ".[4] و قد كافحت من أجل الدين و الوطن حتى استشهدت في الميدان في 1933/5/02 بعد أن صدر منها 78 عددا[5] بقرار من وزير الداخلية الفرنسي.[6]

ط- البستان: أصدرها الأستاذ أبو اليقظان، حيث ظهر أول عدد منها في 1933/6/1. و بعد صدور عشرة إعداد عمدت الإدارة الاستعمارية إلى وقفها كسابقاتها الشهيدات بتاريخ 12 جوان 1933 [7] رغم أن أبا اليقظان أسند إدارتها إلى السيد تاعموت عيسى و كونها جريدة هزلية. [8]

ع - النبراس: أصدرها الأستاذ أبو اليقظان، و ظهر العدد الأول منها يوم 12 جويلية1933م و في افتتاحية العدد الأول من التحدي و روح المقاومة و الإصرار ما يبعث على الإعجاب و الاندهاش. و آية ذلك ما تضمنته الافتتاحية من نقد لاذع لموقف السلطة الاستعمارية من الصحافة العربية في الجزائر بصفة عامة و صحافة أبي اليقظان بصفة خاصة.[9]

و لم تصبر الإدارة الاستعمارية طويلا على النبراس الوطنية فعمدت إلى ايقافها مع نهاية سبتمبر 1933م. بعد صدور ست أعداد منها. و قد دام صدورها مدة شهرين.[10]

غ- الأمة: تأسست من قبل الأستاذ أبو اليقظان بمدينة الجزائر و برز العدد الأول منها يـــــوم 1933/9/8م

1- صدر أمر توقيفها بقرار من وزير الداخلية الفرنسي مؤرخ بباريس بتاريخ 9 مارس 11931م A.O.M 15 H 22.

2- المرجع السابق، ص 201 و ما بعدها.

3- المرجع السابق، ص .221

4- الزبير سيف الاسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزء 6 القاهرة، د-ت، ص 90 و د/ ناصر، الصحف العربية... ص 107 ما بعدها.

5- سيف الإسلام نفس المرجع ، ص 90 و ما بعدها و أبي اليقظان، تاريخ الصحف...ص .104

6- أنظر قرار وزير الداخلية الذي يأمر بتوقيف جريدة " النور " المؤرخ بباريس في 1933/5/30. A.O.M. 15 H 22.

7- كانت هذه الجريدة تسحب 2000 نسخة يوميا أنظر مذكرة حول الجريدة موقعة من قبل مدير الأمن العام للجزائر. مؤرخ بالجزائر في 10 ماي 1933 A.O.M. 15 H 20.

8- المرجع السابق، ص 99 و ما بعدها.

9- محمد ناصر أبو اليقظان و جهاد الكلمة...ص .247

10- محمد ناصر، ص Claude Collot .op. cit p 370.57

المـــــــوافق لـ 11 جمادى الأولى 1352هـ. و قد تضمن مقالا بعنوان التعاون الاجتماعي و آثاره في الأمم و الجماعات الذي يعتبر الحلقة السابعة من مقال مطول نشر في جريدة النبراس[1]. استمر صدورها زهاء أربع سنوات من سبتمبر 1934 إلى مارس 1938م[2]، صدر منها مائة و سبعون عددا و هي بذلك تعتبر أطول صحف أبي اليقظان عمرا. اهتمت بالقضايا الوطنية و العربية و الإسلامة و الدولية . و تناولت مختلف المجالات الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الفكرية.[3] كما وقفت ضد تعطيل جريدة " الشعب " لسان حال حزب الشعب الجزائري سنة 1937.

توقفت جريدة الأمة عن الصدور بقرار من وزير الداخلية الفرنسي بباريس في يوم 24 ماي 1938 يمنع بموجبه تداول و بيع و توزيع و نشر الجريدة العربية الأمة. التي تطبع و تنشر في الجزائر.[4]

ع - جريدة الفرقان: آخر جريدة أصدرها الأستاذ أبا اليقظان سنة 1938م و قد ظهر العدد الأول منها يوم 5 يوليو جويلية 1938 اهتمت الفرقان بالقضايا المحلية و القضايا العربية، و الإسلامية و العالمية حيث اهتمت بالحرب الأهلية الإسبانية. أوقفتها الإدارة الاستعمارية بعد صدور ست أعداد منها فقط في 12 أوت 1938. بقرار من وزير الداخلية الفرنسي صدر بباريس في 3 أوت 1938 بموجبه يمنع تداول و بيع و توزيع و نشر الجريدة العربية. " الفرقان ".[5]

غ- الدفاع: جريدة وطنية اسلامية تناضل من أجل الإصلاح الحق و الدفاع عن المظلومين[6] أنشأها الأستاذ محمد الأمين العمودي[7] بمدينة الجزائر سنة 1934م و تولى هو رئاسة تحريرها و جميع شؤونها ومسؤولياتها. و اشتهرت لدى قراء الفرنسية من الجزائريين بصدق اللهجة و قوة الحجة في دفاعها عن حقوق المسلمين الجزائريين[8]، و هي الصحيفة الوحيدة التي كانوا يجدون فيها ما يرضي مطامحهم، و يلبي رغباتهم، يقرأون فيها ما يجهلون عن عروبتهم و اسلامهم و تاريخ قومهم و مزايا بلادهم و كانت تدعوهم للتآلف و التكاتف في وقت كانت بعض الصحف الجزائرية تدعو إلى التجنيس و الاندماج مثل صحيفة " صوت الأهلي" للمتحسن رابح زناتي، و مجلة " صوت المستضعفين " للعربي طاهرات. فكان العمودي يرد عليهما و على الصحف الاستعمارية المتطرفة مثل (L'Echo D'Alger), (La Dépêche Quotidienne)

1- محمد ناصر، أبو اليقظان و جهاد الكلمة، ص 259 و ما بعدها.

2- كانت تسحب يوميا 2000 نسخة. أنظر مذكرة حول الجريدة موقعة من قبل مسؤول أمن عمالة الجزائر مؤرخة بمدينة الجزائر في 1933/9/12م. A.O.M 15 H 23

3- ناصر، أبو اليقظان و جهاد الكلمة. ص 260-261. 4- قرار وزير الداخلية الفرنسي. 24 ماي 1938. A.O.M 915 H 20

5- قرار وزير الداخلية مؤرخ في 3 أوت 1938 بباريس A.O.M 915 H 20

6- الزبير سيف الاسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر جزء 6 ص 138.

7- ولد بوادي سوف حوالي 1891، تعلم بالمكتب القرآني ثم بالمكتب الابتدائي الفرنسي، درس بمدينة قسنطينة، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 وبقي وفيا لمبادئها، ساهم في الثورة التحريرية واستشهد سنة 1957، انظر حمزة بوكوشة شخصيات منسية المين العمودي مجلة الثقافة عدد 6 جانفي 1972 ص46 وما بعدها

8- كانت تسحب 2000 نسخة أسبوعيا. أنظر مذكرة حول الجريدة موقعة من قبل مسؤول أمن عمالة الجزائر، مؤرخة بالجزائر في 1934/1/29م و هي تنظر إلى هذه الجريدة على أنها لا تختلف في توجهاتها عن جرائد: السنة و المرصاد: أنظر A.O.M 15 H 20

et (La Depeche De Constantine) و قد أبلى البلاء الحسن و تعرض للسجن و المضايقات.[1]

و قد انتقل العمودي إلى باتنة سنة 1937م من أجل الدعاية إلى جريدته " الدفاع " في المنطقة.[2] توقفت عن الصدور سنة 1939.[3]

ف - جريدة الجحيم: ظهرت بمدينة قسنطينة، و صدر العدد الأول منها يوم 1933/3/30م. تقوم بتحريرها نخبة من الكتاب، الشيخ السعيد الزاهري، و الشيخ عبد الرحمان غريب و الأستاذ محمد الأمين العمودي السعيد الزاهري، و غيرهم، و قد كان هذا الثالثون المقتدر و غيره يرد على جريدة المعيار البذيئة. بما تستحق من لطم و صفح و كلام مقذع.[4]

صدر منها سبعة أعدادا فقط و توقفت بأمر من وزير الداخلية الفرنسي صدر يوم 3 ماي 1933 مع تقريم أصحاب المطبعة السيدان الأستاذ أحمد بوشمال و بلقشي خليل يكه فرنك لكل واحد.[5]

ق - النجاح: يعود تاريخ صدورها إلى سنة 1919 م بمدينة قسنطينة كانت لها مطبعة خاصة بها. و مكتبة تابعة لها أسسها الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي و قد شارك في تأسيسها أيضا الشيخ ابن باديس، و مشاركا في تحرير مقالاتها في أول العهد بها. ثم انظم إليها " مامي اسماعيل ".[6]

هادنت الاستعمار بشكل كبير لذلك ارتضى سياستها التي انتهجتها ضد الحركة الإصلاحية، امتد عمرها إلى سنة 1956م و هي أطول الصحف الجزائرية عمرا و هنا تكمن قيمتها. حيث نجد فيها اصداء لكثير من الأصوات النهضوية، و الأصوات المضادة لها.

ك - جريدة أبو العجائب: وهي نشرة فكاهية نقدية تهذيبية رئيس تحريرها الأستاذ محمد العابد الجلالي[7]

1- أنظر محمد الأخضر عبد القادر السائحي محمد الأمين العمودي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988 ص 62 و ما بعدها.

2- أنظر تقرير محافظ الشرطة بباتنة إلى السيد نائب عامل عمالة باتنة مؤرخ بباتنة في 19 جانفي 1937 A.O.M . 915 H 20

3- سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي. جزء 5 ص .259

4- أنظر سليمان الصيد، نفح الأزهار... ص .163

5- أنظر تقرير A.O.M . 15 H 21

6- مليكة سلامي الصحافة الجزائرية ابان الاحتلال الفرنسي مجلة التاريخ المركز الوطني للدراسات التاريخية عدد 21- (1986) ص 169.

7- ولد سنة 1890م ببلدة أولاد جلال و فيها نشأ و حفظ القرآن الكريم و تعلم مبادىء العربية و الإسلام على أبيه الشيخ العابد إمام البلدة و أحد الفقهاء المشهورين بتلك الناحية ثم انتقل إلى قسنطينة حيث لازم دروس الشيخ ابن باديس مدة أربع سنوات، كان من المدعمين للمنتقد عند تأسيسها، اتصل بكبار الشخصيات،أنذاك أمثال: الشيخ ابن رحال، و الشيخ ابن سماية و الشيخ الحفناوي و الشيخ عاشور الخنقي. اشتغل بالتعليم مدة طويلة من الزمن في المدارس العربية الحرة، كان يحرر في الصحافة الإصلاحية، كما شارك في الثورة التحريرية توفي رحمه الله سنة 1967م للمزيد أنظر الشيخ محمد الصالح رمضان، ابن العابد الجلالي شخصيته و جوانب عن تفكيره، مجلة الثقافة عدد 1984/82 ص 191 و ما بعدها.

مع نخبة من الشباب مديرها الأستاذ أحمد بوشمال، ظهر العدد الأول منها يوم الخميس 1934/5/24، صدر منها 10 أعداد فقط[1]. و قد اعتبرتها الإدارة الاستعمارية من حيث توجهها السياسي مثل جريدة الصراط الممنوعة.[2]

ل - جريدة الشعلة للكفاح و الانتقاد: صدر العدد الأول منها بمدينة قسنطينة يوم الخميس 1949/12/15م و كان المشرف على إدارتها الأستاذ أحمد بوشمال و رئيس تحريرها أحمد رضا حوحو. صاحب امتيازها الأستاذ صادق حماني[3] كانت تهاجم الطرقية و الاستعمار و أنصار الإدارة الفرنسية كما هاجمت البدع و الجمود في السياسة الداخلية من كتابها الأساتذة...أحمد حماني، أحمد بوشمال، موسى الأحمدي (4) و عبد الرحمان شيبان[5] . توقفت عن الصدور سنة 1951.[6]

م- جريدة المرصاد: أسسها الوطني محمد عبابسة الأخضري نهاية سنة 1931م[7] لتدعيم نشاط جمعية العلماء المسلمين، طلب النائب المالي غلام الله بوقفها، و منع تداولها زاعما في رسالته إلى مدير الشؤون الأهلية ميرانت بأنها وهابية التوجه.[8] و قد اقترح أمر ايقافها بسبب مقالاتها التي نظرت إليها الإدارة الاستعمارية على أنها معادية لفرنسا كاستشهادها بمقاطع من مقال عن أحداث تونس "... الشعب يحث اليوم على تحطيم كل ما له صلة بفرنسا": و " ... حقوق الشعب الجزائري موضوعة تحت الأقدام."[9]

ن - افريقيا الشمالية: كانت هذه المجلة تصدر شهريا بمدينة الجزائر. و قد صدرت في سنة 1948م لصاحبها الأستاذ اسماعيل العربي[10] أما كتاب هذه المجلة فهم أنفسهم كتاب البصائر إلا الشيخ الإبراهيمي و قد جاء في مواضيع العدد الرابع الصادر سنة 1949م.

- تعريف كتاب حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا لتوفيق المدني .
- إلى الضمير المسيحي للأستاذ مالك بن نبي.د - نشأة ابن باديس للأستاذ محمد الصالح رمضان.

1- نفح الأزهار، ص .164.

2- تقرير مرسل من مسؤول الشرطة بعمالة قسنطينة إلى السيد الوالي العام مؤرخ بقسنطينة في 1934/7/19 A.O.M 15 H 20

3- أحد المدرسين الأكفاء للمدارس العربية الحرة ولد بالميلية سنة 1916 درس على يد الشيخ ابن باديس من 1930 الى 1934 ثم بالزيتونة من 1934 الى 1940 عمل تحت لواء جمعية العلماء في قطاع التربية والتعليم كانت له مواقف مشرفة من الثورة التحريرية وبعد الاستقلال عمل في سلك التعليم كاستاذ وكمدير بثانوية حيحي المكي بقسنطينة ثم مفتشا للتربية والتعليم توفي سنة 1983، أنظر أحمد حماني، شهداء علماء ابن باديس الشيخ الصادق بن رابح حماني، قصر الكتاب، البليدة، 2004.

4- ولد باولاد عدي القبالة بالمسيلة سنة1903 درس بزاوية الشيخ الاطرش بالمعاضيد ثم انتقل الى قسنطينة حيث درس على يد الشيخ ابن باديس ثم درس بالزيتونة، وبعد عودته الى الوطن عمل في حقل الاصلاح والتعليم المسجدي بقلعة بني حماد، تخرجت عليه طائفة من المعلمين الاخيار أمثال الشهيدين عيسى معتوق وعبد الكريم العقون، كما اشتغل بمدرسة التهذيب بالبرج كمدرس، له عدة مؤلفات منها المتوسط الكافي في العروض والقوافي، انظر فضلاء، من أعلام الاصلاح، ج2، ص 37 ومابعدها.

5- سعد الله، تاريخ الجزائر. جزء 5 ص 272. 6 - نفح الأزهار، ص 167. 7- أنظر جريدة النور عدد 15.

8- أنظر مذكرة مرسلة إلى الكاتب العام للحكومة مؤرخة في 21 سبتمبر 1933 .A.O.M 15 H 22

9- اقتراح وزير الداخلية وقف جريدة المرصاد يحمل تاريخ 1933/10/30 .A.O.M 15 H 22

10- من المثقفين الجزائريين، درس في المدارس العربية الحرة و هو من مواليد بجاية سنة 1919 يعدج من انصار جمعية العلماء ورجالها العاملين له انتاج غزير أثرى به المكتبة العربية بالجزائر توفي سنة 1997 للمزيد انظر الصغير مريم، اسماعيل العربي السيلسي المؤرخ، المدرسة التاريخية الجزائرية، اصدارات اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، 1998.

- غادة أم القرى (نقد) اسماعيل العربي.[1]

هـ - **جريدة المغرب العربي:** أصدرها الشيخ السعيد الزاهري حوالي سنة 1937م و كانت معتدلة تفاديا لاضطهاد البوليسي[2] توقفت عن الصدور ثم عادت قبيل اغتيال الزاهري سنة 1956. و كانت محسوبة على حزب الحزب/ حركة الانتصار.[3]

و- **المنار**: أصدرها الشيخ محمود بوزوزو[4] سنة 1951م و كانت أسبوعية و كان كتابها من مختلف الاتجاهات لكن أبرزهم هم أنصار حزب الشعب[5] و حافلة بالمواضيع الفكرية و الثقافية.

ي - جريدة الوفاق: أسسها محمد السعيد الزاهري سنة 1938 و قد أوضح في افتتاحية العدد الأول. ما كان يطمع إليه حيث يقول: " اننا سنعمل دائما على تقريب المسافة بين مختلف الطوائف الشعبية العربية الاسلامية و هذه التي لا تزال الرجعية الاستعمارية تنشر بين صفوفها البلبلة و التفرقة و التشاكي و الخصام لتشغلنا عما تبيّنه لنا من الشر و الأذى.[6]

و جملة القول أن الصحافة قد لعبت دورا كبيرا في تفعيل الخطاب النهضوي و إيصال أفكاره الرئيسية إلى جمهور عريض من القراء، فعن طريق الصحف و أعمدتها كان الدفاع عن الدين و قيمه السمحة. و عن اللغة العربية التي اعتبرها الإستعمار غريبة في الجزائر و هي في عقر دارها و بين أهلها و ذويها. و عن طريق الصحافة كانت الدعوة إلى التضامن و الوحدة الوطنية. و عن طريق الصحافة كان التصدي لكل المشاريع الإستعمارية التي تهدد قيم المجتمع الجزائري، كما كانت الصحافة سلاح لمواجهة كل الآفات الإجتماعية و الانحرافات و البدع و الطرقية الضالة.

1- عبد المالك مرناض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر. ش.و.ن.ت الجزائر، 1983، ص 114 و ما بعدها.

2- صاحب امتيازها محمود بلة و رئيس تحريرها الأستاذ حمزة بوكوشة كانت تسحب 2000 نسخة و كانت محسوبة على حركة الإصلاح ظهر عددها الأول بتاريخ 1937/5/21 أنظر مذكرة حول الجريدة بتوقيع مسؤول شرطة عمالة وهران مؤرخة بوهران في 24-5-1937 A.O.M 15 H 22

3- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي جزء 5 ص 271.

4- تتلمذ الشيخ محمود بوزوزو على المبادىء التي نادى بها الشيخ عبد الحميد بن باديس و صحبه في جمعية العلماء، كان رائدا كشفيا و محررا صحفيا و مصلحا اجتماعيا، أسس عدد من الأندية الاجتماعية، و صار من 1947 و حتى 1954 رئيسا للكشافة الاسلامية الجزائرية حرر في البصائر. و أصدر سنة 1951 جريدة المنار نكل به أثناء الثورة و نفى 1955 إلى فرنسا ثم برلين الغربية ثم جنيف أخيرا منذ 1961 أين استقر داعية للإسلام للمزيد أنظر.مجلة الأمة القطرية محرم 1404، ص 61 و ما بعدها.

5- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، جزء 5 ص 271.

6- د/ ناصر، الصحف العربية.ص 216.

5- المطابع و دور النشر:

كانت المطبعة وسيلة لطبع الصحف من جهة و تشجيع حركة نشر[1] الكتب من جهة أخرى. و يعود أول عهد الجزائريين بالمطبعة إلى أيام الإحتلال الفرنسي في القرن 19م . حيث كانت أول مطبعة هي المسماة الإفريقية التي حملت أثناء الحملة على إحدى السفن و هي التي طبعت عليها الجريدة العسكرية (الأسطافيت) بمرسى سيدي فرج في جوان 1830م ثم تحولت إلى مطبعة رسمية. ثم انتشرت بعدها في الجزائر المطابع الفرنسية الخاصة ذات الطابع التجاري.[2] و أول مطبعة عربية في الجزائر هي مطبعة ردوسي قدور التي أصبحت تعرف بالمطبعة الثعالبية[3]. مع نهاية القرن 19 م (1896م) اللذان عرفا قيمة الكتب من خلال إسفارهما العديدة في بلاد الشرق مع والدهما فعملا على تأسيس هذه المطبعة عساها تسد ذلك الفراغ الكبير الذي كانت تعيشه الجزائر أنذاك و قد تم طبع الكثير من التآليف القيمة بها زيادة على بيع الآثار المشرقية التي ترد إلى المكتبة التابعة لها. [4]

أ - المطبعة الجزائرية الإسلامية:

أسسها كل من الشيخ عبد الحميد بن باديس و عهد بها الشيخ أحمد بوشمال، أحد أنصاره و أتباعه المخلصين و أحد أعيان قسنطينة الذين ظلوا على ولائهم لجمعية العلماء و الفكر الإصلاحي بعد وفاة الشيخ ابن باديس رحمة الله. طبعت صحف ابن باديس المنتقد و الشهاب كما طبعت البصائر في وقت لاحق و طبعت صدى الصحراء التي كانت تصدر في بسكرة و تعاملت مع زبائنها على أساس تجاري أيضا فطبعت الكتب و البطاقات و الدعوات[5].

ب - مطبعة النجاح: تأسست بقسنطينة سنة 1919م صاحباها عبد الحفيظ ابن الهاشمي و مامي اسماعيل. و كانت أحسن المطابع و أتمها كانت تطبع بها سنة 1930-5000 نسخ يوميا.[6]

1- أول مطبعة عربية و أحرفها عربية ظهرت في إيطاليا عام 1514م. و ظهرت أقدم طباعة بالعربية في البلاد العربية بسوريا في أوائل القرن الثامن عشر خاصة مدينة حلب سنتي 1702-1706م للمزيد أنظر: على تابليت، نظرة تاريخية عن حركة الترجمة عند العرب، مجلة دفاتر الترجمة العدد 2، 1417هـ/ 1996م ، ص 48-.49

2- د/ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 305 و ما بعدها.

3- تأسست بالجزائر سنة 1896م من طرف الأخوين أحمد و قدور ابني مراد و دوسي و كانت في بدايتها عبارة عن مكتبة، و قد تخصصت المطبعة بالتدرج في الكتب الدينية و كذلك المصحف الشريف. و وصلت كتبها المنشورة إلى بلدان عرب افريقيا و تونس و المغرب. أنظر د/ سعد الله، تاريخ الجزائر ج5، ص 708 و ما بعدها و بن أبي شنب، النهضة.

4- أنظر سعد الله، تاريخ الجزائر، ج5، ص .309

5- د/ سعد الله، تاريخ الجزائر، ج5، ص .311

6-أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص .370

ت - المطبعة العربية:

يبدو أنها مشروع مشترك لعدد من التجار الميزابيين حيث اشتروها في يوم 21 أفريل 1921م و كانت تعرف بمطبعة كريساترو و ذلك حتى تصدر جريدة الصديق المؤسسة سنة 1920 و صارت تطبع بعد ذلك صحف أبو اليقظان و بعد الإستقلال نقلت إلى مدينة غرداية.[1] و قد كانت هذه المطبعة مجهزة بالأدوات الحديثة لطبع الكتب و المجلات و الجرائد العربية و طبع الظروف و طبع الرسائل و التذاكر و الكشوف و الفاتورات و الوصولات و سائر المصالح التجارية بالعربية و الفرنسية.[2]

ج - المطبعة العلمية:

أسسها الشيخ الطيب العقبي في بسكرة لطباعة جريدته " الإصلاح " بعد أن فشل في طبع أكثر من عدد بتونس، كما عجز عن طبعها في قسنطينة. و كانت ضعيفة التجهيز و لم يطبع بها سوى العدد الثاني من الإصلاح عشية انتقاله إلى العاصمة ثم تعثر المشروع و ذهب سعد الله إلى أنه اشتراها بقروض من عائلة الشيخ خير الدين و محمد العيد و الأمين العمودي[3] . و قد ظهر العدد الثاني في 1925/9/5 عشية انتقاله إلى العاصمة نهائيا، و يذهب المدني إلى أن أيدي الإهمال و الفساد. قد استولت على المطبعة.[4]

ح - مطبعة المغرب العربي:

أنشأها الشيخ حمزة بوكوشة سنة 1937 بوهران و هي مطبعة عربية و جعل ذلك بشرى لمجيء اللغة العربية و جاء في الإعلان أنها تطبع كل أنواع الكتابة باللغتين. كانت تطبع جريدة المغرب العربي التي كان يرأس تحريرها حمزة بوكوشة بالتعاون مع محمود بلة. و لعل جريدة الوفاق التي كان يصدرها الزاهري كانت تطبع بها أيضا. [5]

خ - مطبعة البصـــــــائر:

سنة 1954 استغنت الجمعية عن الطباعة في المطابع الفرنسية بإنشائها لمطبعة البصائر التي تعد من المشاريع الهامة التي أنجزتها [6] و يبدو أن الجمعية غير قادرة شراء مطبعة بكامل تجهيزاتها مرة واحدة فأقدمت في البداية على شراء أكبر آلة في جهاز المطبعة و هي آلة التصفيف ثم شرع في الاكتتاب للاستكمال باقي أجزاء المطبعة فكان من المتبرعين لمشروع المطبعة الشيخ الابراهيمي بثلاثين ألف [7] و تعد من المشاريع الهامة التي أنجزتها الجمعية.[7]

6- النوادي الثقافية و الفنية:

لم تكن النوادي الثقافية و الفكرية و الفنية التي عرفتها الجزائر مع بدايات القرن العشرين قادرة على النهوض بالمجتمع و المساهمة في ترقية فكره نظرا لضعف التأطير فيها من جهة حيث كان عدد المثقفين

1- د/ سعد الله، تاريخ الجزائر، ج5، ص 311.

2- أنظر جريدة المغرب عدد 35-.1931

3- و هناك من يذهب إلى أنه تم تأسيس جمعية هدفها الأساسي جمع الأموال لشراء مطبعة مهمتها الأساسية طباعة جريدة الإصلاح أنظر المجلة " الخلدونية عدد 2 خاص بالملتقى الوطني الأول بسكرة عبر التاريخ " ص 67-.68

4- د/ سعد الله، تاريخ الجزائر، ج5، ص .312

5- سعد الله، تاريخ الجزائر، ج5، ص 312. 6- سعد الله، تاريخ الجزائر، ج5، ص 312-313. 7-آثار الإمام الإبراهيمي جزء 4 ص 325 – .326

قليل جدا. و وصاية الإدارة الإستعمارية عليها من جهة أخرى. و لذلك رأى رجال النهضة التعويل على أنفسهم و السعي لإيجاد و تأسيس جمعيات و نوادي حرة. بغرض تربية الشباب تربية دينية خلقة و وطنية تؤهلهم إلى المحافظة على مقومات وطنهم العربية الإسلامية و هي:اللغة و الدين و الوطنية الجزائرية. و حتى لا ينغمسوا كذلك في النوادي الفرنسية فينسلخوا بالتالي عن هويتهم و أخلاقهم الإسلامية . و يرى الشيخ العربي التبسي أن النوادي ما أسست إلا لكي تقوم بدور توجيهي و تربوي يهدف إلى أعداد الشبان و النّاس للتردد على المساجد و ارتيادها.

و تعد النوادي من أهم وسائل النهضة إلى جانب الصحف و المساجد و المدارس و الخطاب النهضوي فيها يصل إلى كثـــير من أولئك الذين لا يختلفون إلى المدارس. و لا يعتادون المساجد، و أميون لا يمكن أن يقرئوا الصحف و الجرائد. و لم يقتصر نشاط النوادي الإصلاحية على الوطن بل تعداه إلى بلاد المهجر حيث ساهمت هذه النوادي في حماية العمال الجزائريين من الوقوع في مهاوي الإنحراف و الضياع. و الاندماج في الوسط الفرنسي و لعل من أهم الجمعيات و النوادي التي أرست قواعد النهضة نذكر:

أ - نادي السعادة:

أسس هذا النادي بمدينة قسنطينة سنة 1925 من قبل جماعة من المثقفين و المتنورين الذين حرصوا على منع تناول كل المشروبات الكحولية فيه، و ذلك انقيادا لتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة فلقي ذلك استحسانا من قبل الناس.[1]

و قد تم في يوم 1925/08/17م انتخاب رئيس النادي و أعضاء المكتب الذي تشكل على النحو التالي:

- محمد زرقين (طبيب أسنان) بمدينة قسنطينة رئيسا.
- بلقاسم بن حبيلس (محامي) نائبا له.
- مسعود بومليت كاتبا عاما.
- السيد اسماعيل مامي كاتب للغة العربية و عباس علي خوجة كاتبا للفرنسية .
- السيد الحاج سعيد امينا للمال. و السيد عوشت عمر بن بكير نائبا له، أما الأعضاء نجد السادة: مالك سليمان، بن وطاف خليل، شاندرلي عمر.[2]

و حتى يتمكن هذا النادي من تغطية النفقات المتعلقة بنشاطات الإضطلاع برسالته الحضارية و الوطنية كان لا بد من تقديم دعـــم مادي له حيث وجه رئيس النادي الحكيم زرقين[3] إلى الناس الميسورين حالا

1- سليمان الصيد، نفح الأزهار... ص .127

2- سليمان الصيد، نفح الأزهار... ص .128

3- اعتبر طبيب الأسنان محمد زرقين مؤسس هذا النادي أنظر:

Mahfoud Kaddache, Histoire du Nationalisme Algrien. T-1. S, N, E-D Alger . ed 1981. p 221.

كلمة هي بمثابة نداء قصد دعم ميزانية النادي و في ذلك يقول: " ...انا نرجو من الأهالي أن يسعفوا النادي بما يقدرون عليه من الإعانة المالية، و إن لا يتخلوا عن غرض وطني أدبي محض.
تشجيعا للرجال القائمين به و خدمة لصالح بلادهم...".[1]

و حتى يبلغ هذا النادي مراميه و يحقق مقاصده التي أسس من أجلها. و يجعل النّاس يتوافدون عليه لكي يستفيدوا من خدماته الثقافية و الإجتماعية اقترح أعضاء المجلس على الأستاذ العلامة عبد الحميد بن باديس أن يلقي خطابا جـــــامعا يذكر فيه بتاريخ النوادي و تأثيرها في الأمم فاستجاب فضيلته لذلك و ألـقى
محاضرة قيمة ألم فيها بتاريخ النوادي مفتتحا حديثه عنها من عهد بلقيس و عرج على ما كان لقريش من النوادي في جاهليتها إلى عصر الأمويين و العباسيين إلى أن أتى على ما لأوربا من الإعتناء بها و ما لها من المكانة العليا عند مؤسسيها.[2]
و قد أشاد الشاعر محمد اللقاني بن السائح.[3] بهذا النادي و وظيفته الإجتماعية و الثقافية و رجاله المخلصين فقال:

وقوفا يا بني وطني وقوفا *** على ساق العزيمة مسر عينا.
نحي نخبة نهضوا واضحوا *** (على نادي السعادة) عاكفينا.
تعالوا ننصرن فئة أرادت *** لنا العليا و الشرف المكينا.
بهم نرقى إلى شرف و نسموا *** على هام السهى متربعينا.
شباب قنع لا عيب فيهم *** سوى الإخلاص فوق المخلصينا.[4]

ب - نادي الترقي:

يعد من أبرز النوادي الجزائرية[5] التي لعبت دورا رياديا في حياة الجزائر الثقافية و الإجتماعية والسياسية أنشأه أنصارالإصلاح سنة 1927م، غير أنّ فكرة إنشائه تعود إلى صائفة 1926م عندما كانت جماعة من أعيان العاصمة تتناقش في أمرإقامة نادي يلم شملهم. ويتبادلون فيه آرائهم حول المواضيع الإقتصادية والإجتماعية، وخلال حفل عشاء تمت الموافقة على تسميته بنادي الترقي كما تبرع بعض

1- أنظر جريدة النجاح، عدد 230. بتاريخ: 11-9-1925.
2- سليمان الصيد نفح الأزهار ص 130.
3- شاعر جزائري معاصر ولد ببلدة نفطة التونسية سنة 1313- 1895 م درس بجامع الزيتونة، و تخرج عنه شهادة العالمية سنة 1338 هـ- 1920م و تصدى للتدريس به لمدة طويلة من رواد الصحافة الجزائرية الحرة للمزيد عنه أنظر: الهادي السنوسي، شعراء الجزائر. ج1. ص 30. و ما بعدها.
4- أنظر الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر...الجزء 1 ص 39. و ما بعدها.
5- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الجزء 2، ص 110-111.
5- كان هذا النادي ضخما، بحيث يسع خمسة آلاف شخص و كان يشتمل على قاعات و أبهاء . أنظر الشهاب ج 10. أوت 1934.

الحاضرين بالمال اللازم لتأمين المكان.[1]

و مد الإعانة إلى الفقراء و المعوزين [2] و طرح و بحث و مناقشة الأوضاع التي آل إليها المجتمع الجزائري حيث كان النادي مركز ثقل الطبقة الجزائرية المثقفة و كان هذا المشروع الهام دليلا على حياة جديدة و طموح إلى الرقي بأسباب المدنية و التقدم. في ذلك الوقت. و أصبح نقطة التقاء المثقفين الذين تسربت إلى نفوسهم دعوة القومية العربية الإسلامية و أضحى مركزا للإحتفالات و المحاضرات و كان الشيخ ابن باديس يلقي فيه المحاضرات كلما زار العاصمة.[3]

و كانت المحاضرات العلمية و الدينية و الثقافية التي تلقى فيه تجد صدى كبيرا عند الجمهور الجزائري المتعطش للعلم و المعرفة و السادة المحاضرون عموماهم من الأساتذة الأكفاء و العلماء الذين يتميزون بغزارة علمهم و نضج فكرهم و بعد نظرهم الأمر الذي يجعل الإقبال على النادي كبيرا و أحيانا لا يتسع فضائه المكاني للحاضرين فيبقوا يستمعون و هم وقوف.[4] و كانت المحاور التي تدور عليها الدروس و المحاضرات و الندوات متعددة المقاصد و الأغراض تهدف إلى إعداد أفراد المجتمع إعدادا صحيحا يجعلهم متبصرين بواقعهم، عارفين بأنفسهم، معتزين بتاريخهم الإسلامي المشرف المجيد. و متسلحين بوعي ديني و وطني يحول دون سقوطهم صرعى في مهاوي الدعايةالإستعمارية و التبشيرية التي تريد أن تجعلهم نصارى و متجنسين و اندماجيين رغم عنهم قهرا و قصرا.

و من بين المحاضرات القيمة التي ألقيت بنادي الترقي محاضرة الشيخ ابن باديس و التي كانت على شكل خطاب ارتجله في إحدى الإجتماعات العامة لجمعية العلماء به، و كان الموضوع " العرب في القرآن " حيث بين الحكمة من عناية القرآن الكريم بالعرب و ارتباط ذلك بالرسالة الخالدة " الإسلام " و جاء في محاضرته أن سر نزول القرآن الكريم بلسان عربي فصيح اتسع للوحي الإلهي لا يصعب عليه أن يتسع للعلوم و المعارف و الحضارة العالمية " إن الله كما اختار العرب للنهوض بالعالم كذلك اختار لسانهم ليكون لسان هذه الرسالة و ترجمان هذه النهضة، و لا عجب في هذا فاللسان الذي اتسع الوحي الإلهي لا يضيق أبدا بهذه النهضة العالمية مهما اتسعت أفاقها و زخرت علومها...".[5]

1- أحمد مريوش، الطيب العقبي حياته و مواقفه...ص .30.

2- سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 399-.400.

3- أبو الصفصاف، جمعية العلماء، ص 163.

4- فقد حدث في مؤتمرجمعية العلماء المسلمين لسنة 1934 م، أن تتنازل الأعضاء للوافدين عن مقاعدهم، حيث اكتظ النادي و امتلأت مدرجاته الفسيحة، و اكتظ كل ما فيه من رحاب و أبهاء و غرف و حجرات و اكتضت المماشي و الممرات و امتلأ السلم و كل ما يحيط النادي من المقاهي و الساحات و كان ضروريا الخضوع للأمر الواقع و استعمال عدة مكبرات للصوت . أنظر: مرتاض نهضة الأدب الجزائر المعاصر ص .40.

5- الشيخ عبد الحميد بن باديس، العرب في القرآن. مجلة الشهاب، محرم 1358 هـ/ فيفري 1939م. الجزء 1. المجلد 15. ص 21 و ما بعدها.

كما ألقى الأستاذ باعزيز بالنادي أيضا محاضرة قيمة بعنوان " الزوايا بزواوة " سنة 1935 م، بين فيها للحاضرين مكانة الزوايا في بلاد القبائل. و الدور التربوي و الإجتماعي الذي تقوم به في إعداد الفرد و المجتمع إعدادا سليما و مستقيما لا انحراف فيه و لا اعوجاج " ...إن زوايا الزواوة ليست كسائر الأمكنة و الأبنية التي تطلق عليها الآن اسم الزوايا كما يزعم البعض من الإخوان، بل هي مدارس ابتدائية و ثانوية و معاهد علمية أسست لقراءة القرآن و ما إليه من العلوم الموصلة إلى استخراج كنوز أسراره و معانيه... انها أسست إلا للعلم فالعلم هو الذي يحفظ الإسلام لا مجرد ما يلقن للعامة من أوراد و أذكار فلينتبه المنتبهون...".[1]

كما شهد النادي الكثير من النشاطات الثقافية و الإجتماعية و التربوية حيث كانت الكثير من الجمعيات و المدارس تقيم اجتماعاتها و احتفالاتها فيه و لا يخفى على أحد تلك المنافع الجمةالتي تتحقق نظرا للجمهور الغفير الذي يتوافد على النادي لمتابعة نشاطاته الذي يجد فيها مناه و مبتغاه و من ثم تصرف نظره عن الإختلاف و التردد على النوادي الأوروبية. و من ثم يحافظ على قيمه العربية الإسلامية و شخصيته الوطنية.

و لعل في نقل مشاهد إحتفال مدرسة الشبيبة بذكرى المولد النبوي الشريف سنة 1935 م أبرز مثال على مدى اسهامات النادي في تنشيط الحياة الثقافية و الفكرية بمدينة الجزائر أنذاك فقد استمع الحاضرون كثيرا لمداخلات التلاميذ الذين بينوا المغزى من هذا الإحتفال و ما يمكن أن تحدثه هذه الذكرى النبوية الخالدة في قلب كل مسلم[2]. كما كان هذا الإحتفال فرصة للأساتذة لكي يلقوا كلمات تبرز للجمهور الحاضر المغزى من الإحتفال بهذه الذكرى العظيمة حيث جاء في تدخل الشيخ أبو بعلي الزواوي عن هذه الذكرى قوله: " ... في هذا اليوم الذي تلقى فيه العالم صحيفة الحرية و العدالة و المساواة و الأخوة حقا من كل عام. فبعض الحكومات الإسلامية تقيم هذه الاحتفالات و تبالغ في ذلك و لكنها لا تقيم حدود ما أنزل الله على صاحب هذه الذكرى ﷺ و ما سنه هو من عقوبات و وضعه لتطهير المجتمعات الإسلامية و قد كان في وسعها أن تفعل و لم تفعل فلا شريعته أقامت و لا سنته أحيت فهي إذا ليست على شيء حتى تقيم الكتاب الذي جاء به و تسير في محجته البيضاء..."[3] ثم تلاه على منصة الخطابة الأستـــاذ

1- باعزيز بن عمر، الزوايا بالزواوة، مجلة الشهاب، رمضان 1351 هـ/ جانفي 1933م. الجزء 1. المجلد 9. ص 14 و ما بعدها.

2- الفتى الزواوي، احتفال مدرسة " الشبيبة " بالمولد النبوي الشريف الكري، في العاصمة مجلة الشهاب ربيع الثاني 1354 هـ/ جويلية 195 م الجزء 4، المجلد 11، ص 261 و ما بعدها.

3- أنظر المصدر السابق.

فرحات بن الدارجي [1]. المــدرس بمدرسـة الشبيبة فنثر علـى السامعين دررا من حياتـه صلـى الله عليـه و سـلم. أعقبـه بعـد ذلـك مـدير المدرسـة الشـاعر محمـد العيـد آل الخليفـة الـذي اسـتعرض علـى مسـامع الحاضرين كيف كانت المدرسة تحتفل بذكرى المولد النبوي الشريف في السنوات الماضية و كيف امتـاز احتفال هذا العام من مشاركة بعض الخطباء و الشعراء فيه و ما سمعه الحاضرون باللسـان الـــدارج عن حياة الرسول ﷺ ، و قد ختمت حفلة إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف بخطاب جامع للعلامة الأستاذ الشيخ الطيب العقبي. ذكر فيه الحاضرين بما كان عليه المسلمون في عصورهم الذهبية الزاهرة و ما يجب أن يكونوا عليه اليوم و يستفيدوه من هذه الذكريات و كشف للناس عن المحمديين الحقيقيين قائلا أنهم هم الذين يعملون على احياء سنة محمد ﷺ و يحبون الله باتباعه في هديه قولا و عملا هم الذين يكون محمد صلى الله عليه و سلم أحب إليهم من أنفسهم و كل ما يملكون هم الذين لا تعز عليهم أموالهم و أنفسهم في سبيل نصرة ما جاء به.

فليس المحمدي من لا يقيم الصلاة و يؤتي الزكاة و من يتظاهر بحبه و هو يصد الناس عن سبيله بعمله و خزعبلاته و أوهامه و ذكر أن هذه الحركة الإصلاحية الحاضرة تشبه كثيرا حركة الدعوة الإسلامية الأولى في سرعة إقبال المستضعفين على تلك و هذه و أدبار المستكبرين المتفرين عنهما."[2]

و نظرا للدور الطلائعي الذي صار النادي يضطلع به في الحياة الثقافة الجزائرية فقد توجست الإدارة الإستعمارية منه خيفة و من ثم راحت تبحث عن المبررات لإيقاف نشاطاته و نشاطات غيره من النوادي. فعمدت إلى استصدار قرار يمنع بيع المشروبات بالنوادي هذه المشروبات التي تعد مبيعاتها أهم مورد يمولها.[3] و في هذا الصدد راسل السيد محمد بن مرابط رئيس النادي الوالي العام للجزائر، باسم أعضاء المجلس الإداري للنادي في مسألة منع تناول المشروبات المباحة داخل النادي إلا بترخيص من السلطات الإستعمارية المتمثلة في السيد الوالي العام، مبينا له التناقض الموجود بين القانون الأســـــــــاسي

1- هو فرحات أبو حامد بن الدارجي ولد سنة 1906 تقريبا بقرية لشانة و هي إحدى قرى الزاب الغربي و هو من أسرة ميسورة الحال تعلم بالجزائر ثم أكمل دراسته بجامع الزيتونة المعمور و بالمطالعة في مكتبات الخلدونية و العبدلية و العطارين زيادة على اقتناء الكتب و في سنة 1931 م عاد من تونس و العود أحمد شهادة التطويع. مملوء الوطاب علما و ثقافة درس بمدينة سيق خلفا للشيخ العربي التبسي الذي عاد لتبسة و أظهر مقدرة في التدريس و الإصلاح الديني. كما كان عضوا عاملا في جمعية العلماء، تعرض للسجن أثناء الحرب العالمية الثانية ثم أطلق سراحه و فرضت عليه الإقامة الجبرية ببلدة بسكرة، و في سنة 1943 كان الشيخ الإبراهيمي قد أطلق سراحه من منفاه بأفلو كما عاد الشيخ فرحات إلى العاصمة، و وقع تجديد جمعية العلماء مؤقتا فصار كاتبا عاما للجمعية و شغل هذا المنصب طويلا، حتى خلفه فيه الأستاذ أبو بكر بلقاسم الأغواطي. كما أصبح عضوا في لجنة تحرير البصائر الثانية عند 1947 م توفي رحمه الله سنة 1951م أنظر الشيخ أحمد بن ذياب، فرحات بن الدارجي الأديب العالم مجلة الثقافة عدد 35. أكتوبر- نوفمبر 1976 بالجزائر ص 35 و ما بعدها.

2- المصدر السابق، الشهاب، جزء 4، مجلد 11 (جويلية 1935).

3- بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين...ص 164.

للجمعيات الصادر في 1901/7/1م. و القرار الجديد الذي يمنع على الجمعيات تعاطي المشروبات فيها ابتداءا من فاتح أفريل 1938.[1]

و ألحق أن نادي الترقي لعب دورا خطيرا أشبه ما يكون بالأدوار التي تلعبها الجامعات الحية النشيطة من بعض الوجوه، فالقاء عدد كبير من المحاضرات و الخطب والقصائد فيه في ظروف سياسية و ثقافية عصيبة يبعث على الإعجاب و الإندهاش.[2] وكانت نشاطاته تستقطب ليس فقط المتعلمين بل أيضا العامة من الناس حتى أن بعض الشباب المنحرفين أصبحوا من المستقيمين في سيرتهم و المشاركين في النضال السياسي[3] و قد أبرزأبو اليقظان مزايا النادي من خلال هذه الأبيات الشعرية:

حي في نادي الترقي	***	أنفسا ذات مزية
صاح هل تعرف ما	***	مزاياها السنية؟
في حمي النادي تصافت	***	أنفس الشعب الزكية
في حمى النادي تلاشت	***	همزات العنصرية
في حمى النادي تعالت	***	صرخة الشعب الدوية
فعلى النادي سلام	***	و تحيات فشدية.[4]

ت-نادي الإتحاد:

تأسس نادي الإتحاد بمدينة قسنطينة في يوم 13 ربيع الأول سنة 1351 هـ الموافق لمساء يوم 16 جويلية 1932 م. و تشكل مكتبه من السادة الآتية أسماؤهم : الحكيم بن جلول رئيسا. و الحكيم محمد زرقين نائبا أول له و السيد محمد الصالح بن حمادي نائبا ثاني له. و السيد الزناني الصحفي كاتبا للقلم الفرنسي، و الحاج ادريس المحامي نائبا للكاتب. و السيد عمر بن جيكو أمينا للمال و السيد مسعود بومليت نائبا للأمين. أما عن أعضاء النادي فنذكر منهم السادة: الزبير بن باديس المحامي، و حمودة بن عزوز و طهرات المعلم.[5]

أما أهداف و مقاصد نادي الإتحاد قد كانت كلها تصب في خدمة الدين و الثقافة و الوطن، و هذا ما نستشفه من خطاب رئيس النادي الدكتور بن جلول في حفل التدشين الذي قال فيه بأن الغرض من تأسيس النادي هو الإتحاد و التعارف و ربط العلائق بأواصر المحبة، و بث روح الثقافة بواسطة الخطب و المحاضرات.[6]

كما نلمس في كلمة الإمام عبد الحميد بن باديس في حفل التدشين بعد النظروسعة الأفق حيث أبرزمكانة الجزائرالعربية المسلمة ورجالها في التاريخ، ليتقدم بعده الشيخ مبارك الميلي فيلقى كلمة عن

1- رسالة السيد بن مرابط مسؤول نادي الترقي إلى السيد الوالي العام مؤرخة بتاريخ 1938/3/22. AO.M 9 H46

4- عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983 ص 44.

5- Mahfoud Khaddache, La vie politique a Alger, SNED,1970, p 238

4- أنظر الشهاب ج9، 10 (1934).

5- سليمان الصيد، نفح الأزهار... ص 131-132. 6- سليمان الصيد، نفح الأزهار، ص 133.

الجزائر طلب فيها من رجالها و أبنائها أن يسعوا في ترقيتها في دائرة دينها و لغتها و جنسيتها و مميزاتها، ثم قام عقبه الشيخ العربي التبسي فألقى هو بدوره كلمة على مسامع الحاضرين تملك بها مشاعرهم و استولى بمظاهر إخلاصه على احساساتهم.[1]

و في حفلة الإفتتاح ألقيت قصيدة الأديب الشاعر محمد بولبينة فاستولى على القلوب ببلاغة شعره و عذوبة إلقائه فقد أشاد بالنخبة المتنورة التي سعت بهذا النادي إلى إحياء مآثر الوطن و نشر العلوم و إعلاء شأن الدين و في ذلك يقول:

أكرم بذا البيت أكرم بالآلي عملوا *** لاتحاد – بل أكرم بنادينا
أكرم بمن وفقوا للنفع سعيهم *** سعي جميل به نجني أمانينا
أكرم ببلدتنا فيها ضراغمها *** تكاثفوا و غدوا بها مجددين
تسابق النشء لاسترجاع مجدهم *** و عن تأهلهم ساقوا براهينا
بالعلم نحيا و لا نبغي به بدلا *** و وازع الدين ينها ناو يهدينا
سرورنا اليوم في ذا – الإتحاد غدا *** عيدا يذكرنا أيام ماضينا.[2]

و لقد كان الشيخ عبد الحميد بن باديس من أبرز خطباء هذا النادي الذين نشطوا فيه الحياة الفكرية و الثقافية و جعله وسيلة من وسائل بث أفكاره الإصلاحية و التجديدية من خلال محاضراته الأسبوعية كل يوم أربعاء ليلا، و كانت المحاضرات تتمحور حول الإسلام و الفطرة و العقل إلى غير ذلك من المواضيع القيمة ففي يوم الأربعاء مساء 1932/9/21 م ألقى الشيخ ابن باديس محاضرة بعنوان " الإسلام و الفطرة " كما ألقي يوم 15 أكتوبر 1932 محاضرة قيمة حول " الإسلام و العقل ".[3]

و تصدى نادي الإتحاد للآفات الإجتماعية فحاربها و كشف للجمهور الجزائري المسلم مضارها و مخاطرها. فقد ألقي الدكتور محمد الصالح بن جلول محاضرة عن الخمر و ذلك باقتراح من الشيخ ابن باديس. و قد ألقى المحاضر محاضرته بالفرنسية و لخصها الشيخ الصالح بن العابد بالعربية فزادها رونقا على رونق ليقوم بعدها الشيخ ابن باديس فأكد على وجوب محاربة الخمر داعيا الحضور إلى تشكيل جمعية لمحاربتها.[4]

و في أحضان نادي الإتحاد أيضا كانت الدعوة إلى ضرورة تمكين الفتاة الجزائرية من التعليم فقد ألقى الشيخ محمد الشريف الصايغي الأستاذ بمدرسة التربية و التعليم الإسلامية بقسنطينة محاضرة ليلة الخميس 1932/12/14. بعنوان: " تعليم البنات " بيّن فيها كيفية تعليم البنت تعليما لا يخرج بها عن دائرة الدين الحنيف و الأخلاق الفاضلة .[5]

1- أنظر مقال محمد العابد الجلالي، في وصف افتتاح نادي الإتحاد بقسنطينة مجلة الشهاب ج8، 1932، ص 426.

2- مجلة الشهاب، ج8، أوت 1932، ص 414.

3- سليمان الصيد، نفح الأزهار، ص 138 و ما بعدها.

4- سليمان الصيد، نفح الأزهار ... ص 142.

5- جريدة النجاح، عدد 1396، تاريخ 1932/12/18 حسن وارزفي

كما عرف النادي نشاطات مكثفة للهيئات و الجمعيات العلمية و الثقافية و الفنية فجمعية " محبي الفن " مثلا و التي كانت لها سمعة فنية في قسنطينة كانت تجتمع فيه و تقوم نشاطاتها الفنية به. فقد أقامت سنة 1935 م حفلة بالنادي أطربت الحاضرين، كما اجتمع في النادي أعضاء جمعية التربية و التعليم الإسلامية بقسنطينة التي أقامت كعادتها في كل سنة مهرجانا شيقا احتفاء بالمولد النبوي الشريف دعت إليه فريقا من أهل العلم، و أهل المحبة، و ألقى نائب الرئيس الأستاذ محمد عمر بالنيابة عن الرئيس الأستاذ الشيخ ابن باديس المتغيب كلمته فافتتح الجلسة و قدم إلى الجمهور الحاضر التلميذ العبسي محمد الصالح الجموعي فجود آيات من الذكر الحكيم روعيت فيها المناسبة فاحسن الأداء.[1] ثم راح يقدم التلاميذ الواحد تلو الآخر فكان النشاط و الجرأة و جودة المنطق و حسن الآداء أظهر صفاتهم في ذلك الموقف، مما أثار اعجاب الحاضرين و كانت الأناشيد المولدية تتخلل مواقف الخطابة، و قد تناول في الحفل الأستاذ الشيخ أبا القاسم الزغداني الكلمة حيث نوه بهذا الحفل و ندد فيه بشح الأغنياء و فتور همتهم وقعودهم عن إنشاء المدارس التي تغذي أبنائهم و بناتهم. بلسان العلم و الفضيلة، و تناول الكلمة كذلك الأستاذ الشيخ محمد العابد الجلالي، لتختم الحفلة بخطاب الأستاذ الشيخ الفضيل الورتلاني الذي شرح بالتفصيل المواضيع التي تتصل بروح المسلم و جوهر وجوده.[2]

كما أسهم النادي في تعزيز أواصر العلاقات العلمية و الثقافية بين أبناء المغرب العربي. فقد زار النادي سنة 1932 الشيخ التبريزي بن عزوز رئيس قسم الزوايا الرحمانية بتونس وزاره أيضا الأديب الفاضل محمد الصالح السقني مفتش الأحباس المغربية الذي ألقى محاضرة عن المدن المغربية و عن جامع القرويين و مكانته إلى غير ذلك.[3]

كما ألقى فيه الأستاذ عبد الرحمان الدكالي خريج دار العلوم و المعرفة المصرية سنة 1932 م محاضرة قيمة عن انتشار الدعوة الإسلامية و الفتوحات الإسلامية فأفاد السامعين بفصاحته و غزارة علمه و اطلاعه على التاريخ.[4]

وفي رحاب النادي أيضا استقبلت جمعية التربية والتعليم الإسلامية حجيج بيت الله الحرام سنة 1935.[5]

ج - النادي الإسلامي بميلة:

تأسس النادي الإسلامي سنة 1935م و كان حفل افتتاحه يوم 9 أفريل من نفس السنة و بحضور وفود كثيرة قدمت من بلدة القرارم و نواحي ميلة و كذا أعيان ميلة و بعض أعيان المعمرين و شيخ بلدية

1- الشهاب ج4. 1935 ص 259-.260.

1- محمد عابد الجلالي، المولد في قسنطينة جزء 4، المجلد 11، ربيع الثاني 1354 (جويلية 1935).

2- الشهاب. ج4 1935، ص 259-260.

3- نفح الأزهار ، ص .136

4- سليمان الصيد، نفح الأزهار... ص .142

5- جريدة النجاح عدد 1371 (21-10-1932).

ميلة.[1] و قد افتتح رئيس النادي الأديب الهادي بن الشيخ الميلي [2] حيث رحب بالحاضرين و بيّن للنّاس فوائد النوادي، و قد اغتنم الشيخ ابن باديس هذه المناسبة فحث النّاس على التآخي، و احترامهم لأنفسهم و احترام علمائهم العاملين الناصحين. و تأييدهم في حركتهم التهذيبية و أبدى سروره بما يراه من اجتماع المتساكينين كلهم على موائد الصفاء. ثم قام بعده المشرف و القائم على النادي الأستاذ الشيخ مبارك الميلي فبيّن للنّاس فوائد النوادي و ذكر لهم نبذة من تاريخ النوادي و غذاهم و نورهم ببعض الحقائق الكونية لينتفعوا بها لينتهي بعدها حفل الافتتاح. [3]

و قد انطلق النادي لتحقيق غايته التي وجد لها و هي غاية علمية إنسانية اجتماعية بتنظيم سلسلة من المحاضرات الأسبوعية، و اجمع الجميع على أن يكون الأستاذ الجليل الشيخ مبارك الميلي محاضرا بهذا النادي، وعرضت عليه الدعوة فلبى الطلب علاوة علىما كان يقوم به من دروس وعظ و إرشاد للعامة و الطلبة في التفسير و الحديث و دروس علم و تربية للطلبة في الفقه و النحو و الصرف و المنطق و ابتدأ محاضراته بانتظام يوم 12 ماي 1935 م.[4] [5]

و لما كانت الغاية هي إصلاح المجتمع فقد ركز المحاضر في محاضرته الأولى على جملة من النقاط تتعلق بالاستقامة و التعاون و التكافل الاجتماعي، و إقامة المشاريع الخيرية. و لما كان نهوض الأمم لا يكون إلا بالتعلم و التعليم. فقد كان عنوان محاضرته الثانية " العلم ". مدعما المحاضرة بالآيات الكريمة و الأحاديث النبوية الشريفة و أقوال الحكماء و الشعراء. حاثا الناس على وجوب تحقيق نصرتهم للعلم و بيّن أهم الطرق العملية في هذا السبيل و هي:

1- تعلم الأميين الكتابة و القراءة.

2- تعلم الأبناء بناء مدرسة عصرية مجهزة و مريحة و صحية.

3-إيواء و إطعام الطلبة الغرباء و مساعدتهم على التعليم .

4-محبة أهل العلم و تأييدهم في أعمالهم العلمية أما موضوع المحاضرات الأخرى فقد تمحورت حول التعاون و إصلاح ذات البين و نشر المحبة.[6]

1- نفح الأزهار ص 144 و ما بعدها.

2- كي يكون النادي مدعوما و بعيد عن ضالغوطات. جعل شيخ البلدية السيد قبيلي رئيسا شرفيا للنادي تقرير سري جدا، عن الحالة السياسة في بلدية ميلة. La 01/6/1935 A.O.M 9 H 46.

3-مشاهد النادي الإسلامي بميلة. الشهاب ربيع (2)، 1354 هـ ماي 1935. جزء 2، مجلد 11، ص 12 و ما بعدها .

4- المصدر السابق.

5-النادي الإسلامي بميلة الشهاب ربيع (2) 1354 هـ، جويلية 1935. جزء 4 المجلد 11. ص 254.-255

6- أنظر مجلة الشهاب. ج4. مج 11. ص 254-255.

ح – جمعية حياة الشباب:

تأسست بمدينة ميلة من قبل السيد بن عميرة مدرس اللغة الفرنسية المتقاعد، و كان الهدف من وراء تأسيس هذه الجمعية تنظيم الشباب. و تربيتهم على مبادىء الإسلام و تجنيهم مغبة الوقوع في الآفات كتعاطي المخدرات و السرقات؛ و كان المنخرطون في الجمعية من الشباب يجبرون و يحثون الأولياء على الذهاب إلى المساجد. وهذه الجمعية في نشاطاتها تنحو منحى تركيا الفتاة، و مصر الفتاة، و تونس الدستوريين...(1)

خ- نادي الإرشاد:

تأسس نادي التربية " الإرشاد " بمدينة سطيف في ديسمبر 1935م. و كان يترأسه الصيدلي فرحات عباس و كان هذا النادي يقوم بنشاط تربوي و ثقافي لصالح الجمهور الجزائري حيث كان أستاذ مدرسة " الفتح " التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين يقدم كل مساء دروس دينية فيه.(2)

كما كان النادي زيادة على نشاطاته التربوية و الثقافية مسرحا للنشاط السياسي. ففيه ألقى السيد فرحات عباس كلمته أمام جمهور يقدر بمائتي من الأهالي مبررا أسباب الإستقالة الجماعية للمنتخبين المسلمين على مستوى عمالة قسنطينة فقد ذكر الحضور بأنه تحدث هو و زملائه من المنتخبين عن انشغالات الأهالي أمام المجالس البلدية المنتخبة. أمام المجالس المنتخبة العامة. أمام البعثات المالية، أمام الوزراء، رئيس المجلس، و حتى أمام رئيس الجمهورية لكن مازلنا في نفس النقطة. لا بد من التغيير و لا بد إن تطلب الأمر من استعمال القـــــوة (3)

ث- نادي الإصلاح بباتنة: نادي الإصلاح بباتنة- تأسس سنة 1935 ألقى فيه الشيخ بن باديس محاضرات عديدة(4) كما تم فيه استقبال الدكتور سعدان عندما قدم إلى باتنة لشرح نتائج زيارة وفد المؤتمر الإسلامي إلى باريس و تعد هذه التظاهرة السياسية الأولى و الأكثر أهمية و كانت منظمة باسم لجنة باتنة في 8 أوت 1936(5)

د- نادي السلام بتيزي وزو: عرف بنشاطه الثقافي و الإصلاحي، ألقى فيه الشيخان بن باديس و العقبي محاضرات أثناء زيارتهما للمنطقة، الأول سنة 1934 و الثاني سنة 1937(6)

1- أنظر تقرير سري جدا عن الحالة السياسية الدينية في بلدية ميلة مؤرخ بميلة في 1936/6/10. A.O.M. 9 H 46. و د/ أحمد صاري، شخصيات و قضايا من تاريخ الجزائر المعاصر المطبعة العربية غرداية 2003 ص 43.

2- مركز الإعلام لعمالة قسنطينة. دراسة إحصائية من مدارس و نوادي الحركة الإصلاحية بعمالة قسنطينة مؤرخ بقسنطينة في 1937/10/12. A.O.M 9 H 46

3- تقرير محافظ الشرطة بسطيف إلى مدير الأمن العام بالجزائر بسطيف في 30 جويلية 1937. A.O.M 9H 46

6- Abdelhamid Zouzou, L Aures au temps de la France coloniale Houma, Alger 2002, T2, p 959

7- Ibid p 966

8- Ammar Hellal, Le mouvement reformiste Algerien OPU, Alger 2002, p 164

د - نادي الشباب الإسلامي:

و قد تأسس بمدينة تلمسان سنة 1921 م[1] و يعد أقدم نواديها. كان يرأسه نقيب متقاعد هو السيد قارم، كان يجلس فيه بعض الأعيان الميسورين بلحاهم البيضاء ، و قد كان العلماء ينشطون فيه [2].

ر- نادي السعادة:

و هو من نوادي مدينة تلمسان و قد كان الشيخ الإبراهيمي يلقي فيه دروسا حرة[3] و كان رئيسه بوكلي حسن المحامي و كانت دروس الشيخ الإبراهيمي في 1933 م ترتكز على تفسير آات من القرآن الكريم و التوحيد. و استنهاض الروح الإسلامية و قد ربط صلات مع أعيان تلمسان المتنورين و الممثلين السياسيين أمثال المستشارين البلديين. و من الأعيان نذكر العزوني و هو مهندس كهربائي، و حاج سليمان بن جلول ، و بوصلاح عبد السلام و كلاهما تاجرا وبرة عبد الكريم الموظف في البنك. و أبي عياد بن عودة المحاسب و طالب عبد السلام المستشار، و النائب المالي الخ. و قد أقلق هذا النشاط والتحرك خلال هذه الفترة القصيرة السلطات المحلية للإدارة الإستعمارية فقد كتب عامل عمالة وهران إلى الوالي العام بالجزائر يلفت نظره إلى خطورة " النشاط الوهابي الذي نشره الإبراهيمي في شمال افريقيا، و في تقرير آخر جاء أنه من الخطر غير المناسب أن يكون هذا الأهلي قادرا على متباعة دروسه في النوادي بهذه المدينة (تلمسان).[4]

و الواقع أن الشيخ الإبراهيمي قد وطد العلاقات مع الأعيان عن طريق المحاضرات بالنوادي و عن طريق الحياة الإجتماعية أيضا، و قد أخذ توجيهه يؤثر في الناس،فقد استطاع خلال سنة 1933 م ان يقنع الأهالي بعدم حضور اجتماع للشيوعيين. فقد ألقى الشيخ الإبراهيمي في نادي السعادة عشية ذلك الاجتماع محاضرة قال فيها أن مبادىء الشيوعية مناقضة لمبادئ الإسلام و نصح المسلمين بعدم المشاركة في الاجتماع المذكور و هو اجتماع سياسي بدون شك.[5]

ز- نادي الجمعية الخيرية:

كان تحت رئاسة السيد طالب عبد السلام ، [6] مندوب مالي و مستشار عام و يعد هذا النادي من أكثر الداعمين للشيخ الإبراهيمي منذ حلوله بمدينة تلمسان، فباسم هذا النادي أرسلت الدعوات لأصحابها لحضور

~~1- Mohamed el Korso, Structu~~re Islahistes et Dynamique Culturelle . dans le Mouvement National Algerien in Lettres Intelectuels et Militants O.P.V Alger p 56.

2- تقرير سري لمركز لأعلام و الدراسات عن نشاط نوادي العلماء بعمالة وهران مؤرخ بوهران في 1938/2/7. A.O.M 9 H 46 .

3- يعد نادي السعادة مع نادي الشباب من أبرز النوادي التي تحتل مكانة بارزة في نشر حركة الإصلاح بتلمسان أنظر: Mohammed EL Korso. Le Cas de L'association des Ulama Musulmans Algeriens en oranie, T1, p 164.

4- د/ سعد الله، الشيخ الإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية 1933 مجلة الثقافة سنة 1988. ص 77.

5- المصدر السابق،ص 78.

6- ولد بتلمسان عام 1883 كان من الأعضاء الناشطين في حركة الشبان الجزائريين متحصل على دكتوراه في الحقوق من جامعة باريس سنة 1911 عمل نقيبا للمحامين بتلمسان كما عمل عضوا بالمجلس المالي لمدة ستة سنوات له عدة مألفات منها النظام المالي في المغرب الأقصى للمزيد عنه أنظر خمري جمعي حركة الشبان الجزائريين 1900-1930 رسالة ماجستير مخطوطة جامعة قسنطينة 1994. ص 246 و ما بعدها.

تدشين مدرسة دار الحديث و باسمه أيضا قدم طلب الترخيص لاقاء الدروس بالمدرسة.[1]

س - نادي الشباب:

تأسست نادي الشباب بقنزات بلدية حمام قرقور المختلطة في سنة 1937 م و تشكل أعضاء مكتب النادي من السادة: حموم عمار من العلماء المصلحين رئيسا. و كريس بلقاسم نائبا أول – و بوشامة الربيع نائبا ثاني و هما من العلماء بوعبد الله صالح (شيوعي) كاتبه العام و عباشي لخضر نائبه من العلماء حرشاوي السعيد أمين المال (شيوعي). و عباس سليمان نائبه من العلماء. [2] أما هدف تأسيس هذا النادي عموما هو تكوين علاقات صداقة و تضامن بين أعضاءه و متابعة تطورهم الفكري و المعنوي بواسطة التوعية و الدروس و المحاضرات المقدمة في قاعة النادي[3].

ش - نادي الشباب الأهلي بمعسكر:

تأسس سنة 1927 من قبل رئيسه محمد حصية و سفير محمد و سفير خالد و قد اتخذ له مقرا بشارع الغزالي في حي بان علي[4] و فعليا فإن مؤسسه هو الشيخ الزموشي محمد السعيد المدعو الصائغي.[5] منذ حلوله بالبلدة سنة 1932 م و هو يلقي دروسه بهذا النادي من دون ترخيص، و قد جاءه إلى معسكر كممثل لجمعية العلماء.[6] و من الأهمية بمكان القول بأن هذا النادي كان يقوم بكل المهام التي تقوم بها شعب و مكاتب جمعية العلماء كتنظيم المسرحيات و استقبال الشخصيات البارزة. و جمع التبرعات لبناء مدرسة الأمير عبد القادر الإصلاحية.[7]

ص- نادي الشباب الأدبي: الموجود هو الآخر بمعسكر فقد ألقي فيه في سنة 1934 م الشيخ الإبراهيمي ثلاث محاضرات كما حضرها جمهور غفير و منتبه. [8]

ض - جمعية الشبيبة الأدبية:

تنشط بنادي النجاح بمدينة سيدي بلعباس و تمتلك مكتبة تحتوي على كتب بالعربية و الفرنسية و مكانها بالنادي. و كان قصد أعضاء الجمعية هو التكوين التعاوني و مساعدة الطلبة المعوزين أما رئـيسها

1- المصدر السابق.

2- أعضاء النادي هم براهيمي الشريف، بن داود محمد، بورزقي محمد، عبد المؤمن. أنظر تقرير المصرف الإداري للبلدية المختلطة لقرقور مؤرخ بلافيات (بوقاعة) في 1937/12/2.A.O.M . 9 H 46

3- أنظر المصدر السابق.

4- أنظر جاكر لحسن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر دار الغرب للنشر و التوزيع 2003 وهران ص 117-.118

5- أصله من عين البيضاء بعمالة قسنطينة ولد سنة 1904. و هو تلميذ قديم الشيخ ابن باديس، و خريج الزيتونة بشهادة التطويع عاش حياته لخدم الحركة الاصلاحية والوطنية وكان معتمدا لجمعية العلماء بوهران شارك في الثورة المسلحة توفي بوجدة سنة 1960، أنظر تقرير سري لمركز الإعلام و الدراسات عن نشاط نوادي العلماء بعمالة وهران مؤرخ بوهران في 1938/2/7 A.O.M 9 H 46، وأيضا فضلاء، من أعلام الاصلاح، ج1، ص 135 وما بعدها

6- المصدر السابق.

7- جاكر، نفس المرجع، ص .21

8- د/ سعد الله، الشيخ الإبراهيمي في تلمسان... مصدر سابق، ص 79.

فهو السيد لالوت بلعباس.[1] و قد كان الشيخ ابن باديس ينشر أفكاره الإصلاحية به[2].

ط - نادي النجاح سيدي بلعباس :

ألقى فيه الشيخ الإبراهيمي سنة 1934 م محاضرة حضرها حوالي 150 شخصا. و قد استقبله هناك أنصار الحاج ابن السنوسي، الذي رحب بالشيخ الإبراهيمي و قدمه للجمهور ثم أعطاه الكلمة و كان موضوع المحاضرة تفسير آيات من القرآن الكريم.[3]

علما بأن الشيخ الإبراهيمي كان لا يكتفي بتفسير آيات قرآنية فقط بل كان في محاضراته التي كان يلقيها في نوادي تلمسان كنادي السعادة، و النادي الإسلامي، و نادي الشباب الإسلامي يدعو أيضا إلى الوحدة الإسلامية و يتحدث عن التاريخ الإسلامي و يستشير الأهالي، و يدعوهم إلى تعلم اللغة العربية و يحذرهم من الوقوع في ربقة الطرقية و المرابطين. و يستقبل الصحفيين و معظم الوطنيين و الخلاصة أنه يعمل على تحرير الأهالي.[4]

ظ - جمعية حياة اللغة العربية:

تأسست بمدينة الجزائر سنة 1937 م و هدفها هو تدريس اللغة العربية المسلمين مجانا و هي متشكلة من أعضاء شرفيون يدفعون سنويا مبلغ 360 فرنك و أعضاء عاملون يدفعون سنويا 180 فرنك. و كل من يدفع 300 فرنك يصبح عضوا محبسا، أما المكتب فهو متشكل من السادة الآتية أسماؤهم، زايدي عبد الله رئيسا، و أوشيشة بوعلام نائباله أية عمار محمد كاتبا عاما خيضر محمد نائبا الكاتب العام، سحراني مزيان أمينا للمال حمزة ساعد نائبا له صحراوي عبد الباقي مراقبا عاما.[5]

ع- نادي الشبان المسلمين بتبسة:

أسس الشيخ العربي بمعية أعيان مدينة تبسة نادٍ ثقافي كما دعا في كل بلدة إلى تأسيس نوادي يجتمع فيها الشبان المسلمون مساء كل يوم يتجادلون فيه مع بقية المنتدبين من طلاب العلم و المعرفة و الثقافة مختلف الموضوعات الفكرية و الأدبية و الثقافية...و قد استؤجر له مقر مجاور للثكنة العسكرية الفرنسية وسط مدينة تبسة و كان تأسيسه أوائل سنة 1937 و سمي بنادي الشبان المسلمين الجزائريين [6]. و كان نادي الشبان المسلمين بدينة تبسة يضم نخبة من المثقفين و الأدباء و الشعراء و الكتاب يرتـــــادون النادي

1-تقرير عن رئيس دائرة سيدي بلعباس إلى السيد عامل عمالة وهران مؤرخ سيدي بلعباس في 1938/7/15 A.O.M 9 H46

2- محمد القورصو، تأسيس و نشلط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعمالة وهران دراسات معمقة جامعة وهران 1977، ص 77.

3- د/ سعد الله، الشيخ الإبراهيمي في تلمسان... ص 80.

4- المصدر السابق، ص 81.

5- تقرير عن عامل عمالة الجزائر إلى السيد الوالي العام حول " حياة اللغة العربية " مؤرخ بالجزائر في 1937/6/23. A.O.M 9 H 46.

6-مصطفى زمرلي - اجتماع عمومي لنادي الشبان المسلمين تبسة - البصائر - السلسلة الأولى السنة الثالثة، عدد 117، الجمعة 11، ربيع 2/ 1357 هـالموافق لـ 10-06-1938 ص 6.

يوميا، أو أسبوعيا أو مناسباتيا فيحيون فيه ذكرى المناسبات الدينية و الأعياد الوطنية و العربية القومية، بالقصائد الشعرية المؤثرة و الخطب العصماء المعبرة، و الكلمات البليغة المقتضية و المحاضرات الفكرية و الثقافية، و الأدبية العلمية.[1]

و قد تم تحديد مكتب النادي بتاريخ 1946/10/27م حيث انتخب السادة محفوظي صالح رئيسا، غربي ناجي نائبا له، ابراهيم فرهودي كاتبا عاما، عجاني رشيد نائبا له، عيساي شافعي نائبا له، عبد المالك الصغير مراقبا[2].

و قد أحي نادي الشبان المسلمين بتبسة هذه الذكرى بحضور فضيلة الشيخ العربي، الذي قدم محاضرة قيمة عن مسيرة الإصلاح الإسلامي و التربوي الذي تقوم به جمعية العلماء في الجزائر تخللتها الكثير من القصائد على رأسها قصيدة الأستاذ ابراهيم مزهودي [3]المدرس بمدرسة تهذيب البنين و البنات بتبسة مهداة إلى أبي النهضة التبسية و هذه مقتطفات منها:

يا فتية النادي السعيد تحية * من تاريخ خاص من الأوطان**

جمعية الشبان أهلا مرحبا * أفديك يا جمعية الشبان.[4]**

غ- نـــادي التحــــدي:

تأسس بمدينة بني صاف في يوم 27 أوت 1937 و هو يحمل الصبغة الوطنية. و مكتبه يتشكل من أفراد وطنيين و هو يضم حاليا زهاء 160 أهلي منخرط.[4] و حسب نفس التقرير فإن كاتبه العام المسمى شرقي حاج الهواري قد صرح أمام جمهور غفير هذه الأيام بأن الأهالي الجزائريين قد بيعوا لفرنسا بمبلغ 150 فرنك في الذهاب و 100 فرنك في الإياب لا بد من أن تتوحدوا ينبغي قنص الفرنسيينن الوحدة موجودة في تونس و في مراكش فلننظم نفسنا.[5]

و بناء على تقرير سري من عامل عمالة وهران إلى السيد الوالي العام جاء فـــــيه أن طالبا مسمى سي عبـــــــاس. تلميذ الشيخ ابن باديس قد استقر ببني صاف و صار يعطي دروسا بدون رخـــــصة

1-المصدر نفسه، ص 6.   2- للمزيد أنظر أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم (22/3).

3-ولد بالحمامات بتبسة سنة 1922 درس بمدرسة تهذيب البنين في تبسة و في 1938 سافر إلى تونس حيث التحق بالجامع الزيتونة و في سنة 1946 نال شهادة التحصيل ثم عاد بعدها إلى الجزائر حيث عمل في سلك التعليم العربي الحرّ و سنة 1948 سافر إلى باريس حيث دخل مدرسة لغات الشرقية ثم إلتحق بجامعة السنمور حيث درس علم الاجتماع و في سنة 1953 عاد إلى الوطن حيث عمل مفتشا عاما للتعليم ساهم في ثورة التحريرة كاضابط و بعد الاستقلال عمل سفيرا بالقاهرة للمزيد أنظر فوضالة من أعلام الإصلاح الجزء2 ص 192 و ما بعدها.

4-ابراهيم مزهودي ـ الأدب الجزائري:جمعية النادي السعيد مهداة إلى أب النهضة التبسة الأستاذ العبقري الشيخ سيدي العربي التبسي، جريدة البصائر، السلسلة الأولى السنة الثالثة، عدد 104. الجمعة 16 محرم 1357 هـ/ 18 مارس 1938م ص.7

5- تقرير من محافظ الشرطة إلى السيد رئيس دائرة تلمسان حول نادي " الإتحاد " مؤرخ بني صاف في 1937/11/26. A.O.M 9 H 46.

6- هو الشيخ بن شيخ الحسين عباس بن سماعيل بن دحمان ولد بدوار سيدي خليفة بلدية عين التين قسنطينة سنة 1912 م كان يعطي دروسا بنادي الإتحاد بني صاف بدون رخصة أنظر تقرير محافظ الشرطة إلى رئيس دائرة تلمسان مؤرخ بني صاف في 26/ 1937/11. A.O.M 9 H 46

بنادي الإتحاد..[1]

ف - نادي الإصلاح:

تأسس بمدينة الجزائر سنة 1938 م [2] و تشكل مجلسه الإداري من السادة. كواسي سي محمد رئيسا، زريات سي عبد القادر نائبا له، يوفي عالي كاتبا عاما، اعبادة محمد نائبا له .
حميتي محمد أمينا للمال، شتوان العربي نائبا له، كوتابلي بوعلام مراقبا.و بلعيد أحمد مراقب محافظ.
الرؤساء و أعضاء اللجنة الجديدة، المديرهم اتباع الشيخ الطيب العقبي.

ق- جمعية القلم:

جمعية إسلامية تأسست بمدينة الجزائر في سنة 1937 م و هدفها هو تدريس العربية و الفرنسيـــــة للصغار و الكبار الذين لم يدخلوا المدارس العمومية و تقترح تأسيس نادي و مكتبة اين تعقد اجتماعاتها، أما الأعضاء فسيساهمون شهريا بمبلغ 22 فرنك و عددهم يصل إلى الخمسين.
و يتشكل المجلس الإداري من السادة الآتية أسماؤهم:
- أبو غازي خالد رئيسا، بلمين علي نائبا له، بنادحي أحمد كاتبا عاما، بوجنانة حسان نائبا له، مفدي زكريا أمينا للمال مقري الحسين، نائبا له.[3]

ك- جمعـية النهـــوض:

تأسست بمدبنة الجزائر و هدفها التعليم و الأمر بـالمعروف و النهي عن المنكر و مديد المساعدة للحركة الإصلاحية. و قد تشكلت هيئتها الإدارية من السادة: الزبايري مصطفى رئيسا، و الطهير السعيد نائبا له، سليمان بن علي أمينا للمال، دكار محمد نائبا له، بورنان قاسي كاتبا، و جلول حميد نائبا له.[4]

ل- نادي عبد الحميد بن باديس:

تأسس بمدينة قسنطينة سنة 1947 م. بمسعى جاد من أحباب البيان و الحرية [5]. الذين اشتروا محلا بالنهج العمومي (نهج العربي بن مهيدي حاليا) و اسمه " نادي عبد الحميد ". [6]و بمحضر وفود كثـــيرة

1- تقرير عامل عمالة وهران إلى الوالي العام بالجزائر حول نادي الاتحاد مؤرخ بوهران في 1937/12/6 A.O.M. 9 H 46 .

2- يذهب د/ سعد الله إلى أن الشيخ العقبي قد جعل لسان حال جمعيته الإصلاحية جريدته القديمة (الاصلاح) أنظر الحركة الوطنية ج3 ط 1975 ص 110.

3- تقرير عامل عمالة الجزائر إلى السيد الوالي العام للجزائر حول جمعية " القلم " مؤرخ بالجزائر في 23 /1937/6. A.O.M 9 H 46.

4- أنظر عن " جمعية النهوض " جريدة البصائر سنة أولى عدد 8 في 1936/2/21 .

5- تأسست حركة أحباب البيان و الحرية بزعامة السيد فرحات عباس بمدينة سطيف في 14 مارس 1944 انظم إليه بعدها العلماء و أعضاء من النواب و نخبة و حزب الشعب. و الطلبة و الكشافة بينما رفض الشيوعيون الدخول معه و قد قصد عباس تحقيق الوحدة و التحالف بين القوى الوطنية أنظر للمزيد عباس ليل الإستعمار ص 182 و سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية جزء 3، ص .246

6- سليمان العيد، نفح الأزهار... ص 150.

قدمت من مختلف أنحاء العمالة و نخبة كبيرة من سائر طبقات القسنطنيين و طائفة من رجال جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين و أصحاب البيان . وقع احتفال عظيم لتدشين هذا النادي عبد الحميد بن باديس الذي كانت صورته وسط النادي تشع بنورها على الحاضرين و عن يمينه الوجيه السيد محمد المصطفى بن باديس والد الشيخ الحميد و ابنه الأديب المولود المدعو الزبير بن باديس رئيس الميتم الإسلامي و عن يساره الأستاذ فرحات عباس رئيس حزب البيان و الحرية و الأستاذ سعيد صالحي أحد رجالات جمعية العلماء.

و قد افتتح الحفل رئيس اللجنة الإدارية للنادي الشاب المهذب السيد عبد الحميد بن الدرويش بخطاب عربي رحب فيه بالحاضرين ثم تناول الكلمة الشيخ الرئيس الإبراهيمي فألقى خطابا قيما بليغا خلص فيه إلى الحديث عن الشيخ عبد الحميد بن باديس و آثاره و آماله العلمية التي كانت واسعة الرحاب ثم

اقترح أن يضم هذا النادي إليه أمران آخران و هما: تأسيس كلمة عليمية باسمه، و مكتبة عمومية باسمه أيضا تخليدا لذكراه و اعترافا بمزاياه لأن الشيخ ابن باديس كان يحث على انشاء النوادي العامة لخدمة الشباب و المساجد للشيوخ و كان يهمه كذلك تأسيس كلية و مكتبة عمومية. و دعا إلى اجتناب تعاطي أي شيء فيه لا يوافق الشرع و الذوق ثم قام الأستاذ فرحات عباس فألقى خطابا استعرض فيه أحوال البلاد الجزائرية و وجوب العمل بكل اتقان لتطبيق الديمقراطية الحقة على هذا الوطن و نوه في خطابه كثيرا بفضائل الأستاذ الإمام الشيخ ابن باديس الذي تعتبر صلته به صلة أبوة صريحة و تلمذة تامة و ان اسمه لا يمحى من صفحات تاريخ هذه البلاد لما أسداه من الخدمات الجليلة بإعانته لسائر الأحزاب العاملة لسعادة الجزائر و إن فكرته الإسلامية كانت أوسع من هذا الوطن، ثم ذكر بأن النادي سيكون مركزا لسائر الحركات و الأحزاب العاملة على اختلاف مشاربها لمصلحة البلاد فأبوابه مفتوحة للجميع.[1]

و بتاريخ 1947/6/29 اجتمع أعضاء نادي الشيخ عبد الحميد بن باديس لانتخاب المجلس الإداري الجديد و بعد أن فتتح السيد عبد الحميد الدرويش رئيس المجلس المؤقت الجلسة ببيان شكر فيه أعضاء النادي على الحضور و قرأ عليهم القوانين الأساسية للنادي نهض الأستاذ أحمد بوشمال فشرح مقاصد النادي و تعرض لماليته فصادق الحاضرون على حساباته ثم وقع انتخاب المجلس الإداري الجديد ففاز السادة:عبد الحميد درويش رئيسا، الحاج حموش كرماني نائبا له أول ، أحمد يحي حسين نائبا ثاني له، عبد الحميد بن عبد الرحمان كاتب بالفرنسية، محمد المنصوري الغسيري كاتب بالعربية، الحاج محمد دمق أمين المال الحسين بن الحاج بن دغة نائبه، عبد القادر باش تارزي أمين المستندات.[2]

1- أنظر جريدة النجاح عدد 3507 (30-4-1947).

2- أما المستشارون في النادي السادة: أحمد بوشمال، الحاج السعيد الشريف، عبد الحق زغلاش، محمد الجيجلي، عباس علاوة. أنظر: مجلة العبقرية عدد 4. (20-7-1947).

م - نوادي التربية بفرنسا:

تعد الحركة التهذيبية التي نشأت في باريس بصفة خاصة و مدن فرنسا بصفة عامة وليدة حركة جمعية العلماء التي اعتمدت الشيخ الفضيل الورتيلاني (1) الذي قام بنشر تعاليمها في مدينة باريس و ضواحيها.[2] حيث أسس نوادي التربية من أجل توحيد الأهالي الجزائريين المقيمين خاصة في الضواحي الباريسية، هذه النوادي الموجهة عن بعد من قبل الشيخ ابن باديس، و مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.[3] فمن خلال مراسلة الأستاذ الورتيلاني إلى صديقه الشيخ عمر باعزيز فقد أسست ستة نوادي: كليشي، ساحة إيطاليا، بولون، آبلاشاز، سان دونيس، ميلي مونتان. أما المقر الاجتماعي فيقع في الدائرة العشرين بباريس.[4]

و لما أحس الشيخ الفضيل بثقل الأعباء الملقاة على عاتقه نظرا لاتساع رقعة الحركة الإصلاحية بفرنسا، كتب إلى جمعية العلماء يطلب منها أن تشد أزره ببعض الإخوان من أعضائها فعززته أولا بالشيخ سعيد صالحي فقام بمهمته أحسن قيام و ازدادت الحركة به نموا و ازدهارا.[5] و قد بيّن من خلال سلسلة من المحاضرات ألقاها خاصة بقسنطينة الخطوط العريضة لنشاط هذه النوادي التي وقفت تتصدى لـ: الجهل الديني، استغلال الإنسان لإخيه الإنسان ، جبر المسلم على الهجرة و مغادرة وطنه الأصلي، أين يجد هذا المسلم نفسه ساقطا في مهاوي. تعاطي الكحول، الآفات، و ألعاب القمار المحرمة شرعا. يتسول في الشوارع، من دون أن يلقى فيها رعاية في عاصمة تجد فيها حمامات للكلاب لا تتوفر لهؤلاء الجزائريين البؤساء.[6] و التحق بالشيخ الفضيل إخوان آخرون و هم الشيخ محمد صالح بن عتيق.(7) و الشيخ الزاهي الميلي، و الشيخ سعيد البيباني و كانت مهمتهم جميعا القاء دروس في الوعظ و الإرشاد و التربية الإجتماعية و تعليم القراءة و الكتابة في قاعات النوادي التي أسسها رجال هذه الحركة التهذيبية و أعدوها لهذا الغرض الشريف[8]

كما التحق بفرنسا لما زادت رقعة الحركة الإصلاحية بها اتساعا الشاعر الشيخ الهادي السنوسي الذي

1- كان من بين الاسباب التي دفعت جمعية العلماء الى تعيين الورتلاني كممثل لها بفرنسا هو اجادته للعربية والقبائلية معا الامر الذي يستجيب لحاجيات عموم المال المغتربين الذين ينحدر جزء كبير منهم من منطقة القبائل، أنظر: Allan christellow, Bashir Ibrahimi and the islamic encounter with european secular and religious faiths, conferance presentée au colloque , Alger, 2005.

2- أنظر اهتمام جمعية العلماء، الحركة التهذيبية في باريس، البصائر، عدد 103 السنة الثالثة، 1938/3/11.

3- أنظر تقرير عن نشاط العلماء في باريس و شمال افريقيا مؤرخ في 19 جوان 1937. A.O.M 9 H 46

4 - Mouloud Aouimeur, L'Action de L'association des oulamas Algeriens en France. 1936-1954, Melanges Méditerranéens d'amitié et de Reconnaissance à André Raymond. Tome 1. Fondation Temimi pour la recherche scientifique et L'Information Tunis Aout 2004. P33.

5- أنظر جريدة البصائر عدد 103. (11-3-1938). 6- تقرير عن نشاط العلماء بباريس و شمال إفريقيا. مؤرخ في 1937/6/19. A.O.M. 9 H 46.

7- ولد بالميلية سنة 1903 تعلم بميلة على يد الشيخ مبارك الميلي ثم بقسنطينة على يد الشيخ ابن باديس ثم التحق بعدها بالزيتونة حيث نال شهادة التحصيل سنة 1932 عاد بعدها الى الجزائر وانخرط في العمل الاصلاحي سجن اثناء الثورة وبع الاستقلال عمل في سلك الاوقاف والتعليم توفي سنة 1993، انظر اعلام الاصلاح، ج2، ص 42.

8 - أنظر البصائر عدد 103. (1938/3/11).

كان مـــــــرفوقا بالأستاذ العمودي الذي ذهب معه في مهمة لزيارة مراكز الجمعية هناك ثم يعود.[1] و في اجتماع جمعية العلماء الأخير زادت فأرسلت الشيخ محمد علي الهاشمي و الشيخ حمزة بوكوشة (2) و الشيخ فرحات بن الدارجي الذي كانت وجهته المركز الجديد للجمعية بمرسيليا.[3]

و قصد تعزيز أواصر العلاقات المتينة بين المسلمين كان القائمون على نوادي جمعية العلماء بفرنسا ينتهزون المناسبات الدينية من أجل إقامة احتفالات جماعية للمسلمين في قاعات كبيرة ينشطها علماء أجلاء من العالم الإسلامي، قصد توعية لجمهور المسلمين الذين يذهبون إلى هذه النوادي حتى يعرفوا المعاني الحقيقية للمناسبات الدينية الإسلامية . فبمناسبة عيد الأضحى لسنة 1938 م قام الشيخ الفضيل الورتيلاني بالإشراف على احياء الذكرى العظيمة بحضور الإخوان من كل أنحاء العالم الإسلامي مصر، الهند، تونس، الجزائر، المغرب، العراق، لبنان.

فقد أعطيت الكلمة للشيخ دراز من مصر حيث افتتح الأشغال بتبيينه و ابرازه لأصول عيد الأضحى. و معانيه و الدلالات التي يحملها. مؤكدا خاصة على التضامن و الإتحاد و التضحية. مشيدا بمؤسسي و أساتذة هذه النوادي[4] التي تسمح لكل المسلمين بالإلتقاء و التعارف و التآخي [5]. كما تناول الكلمة كذلك سامي حقي، محمد المبارك من سوريا. و من الجزائر القائمون على النوادي الشيخ الهادي السنوسي، الشيخ محمد صالح بن عتيق، الشيخ الزاهي، الشيخ سعيد البيباني و فرنسين دخلا في الإسلام هما: علي و محمد مهدي. بعدها تناول الشيخ الفضيل الورتيلاني الكلمة حيث جذب الحاضرين في هذا الإحتفال إليه بفصاحته و صوته الجهوري. و هز مشاعر السامعين الذين صفقوا له و وفر التلاميذ باقات الورود باسم أعضاء النوادي للمحاضر.[6]

و في نفس السياق عرفت العديد من نوادي باريس احياء لمناسبة شهر رمضان المعظم، فقد " انعقد بنادي القسم العشرين مساء السبت 5 رمضان تحت رئاسة الندب العبقري الشيخ دراز رئيس البعثة الأزهرية إلى اجتماع آخر لا يقل عن الأول روعة و أهمية أقيم بنادي القسم الحادي عشر بعده بأيام و بعد هذا حفلة شاي بنادي القسم 18(ابرقلي) شهدها جمهور غفير وألقيت فيها خطب غالية باللغتين العربية و القبائلية شيع بها ذلك الضيف الكريم و الزائر العظيم شهررمضان الميمون الحافل بالمآثرو المكارم.[7] وفي الغد بعد أن عمت الأضواء من بسمة الشمس و أشرقت بأنوارها الأرض و تفتحت أكمام

1- أنظر تقرير عن رحلة الشيخين الامين العمود والهادي السنوسي مؤرخ في 13 / 10 / 1937 .A O M, 9 H46.

2- ولد بوادي سوف سنة 1908 درس ببسكرة ثم بالزيتونة حيث نال شهاد التطويع سنة 1931 عضو أساسي في جمعية العلماء منذ تأسيسها وفي 1938 صار عضوا بمجلسها الاداري علم بدلس وتيزي وزو وقسنطينة كما عمل مرشدا بنوادي الجمعية بليون اعتقله الاستعمار سنة 1957 عمل بعد الاستقلال في سلك العدالة توفي سنة 1994. أنظر مرتاض، فنون النثر، ص 494 – 495 . 3- البصائر، عدد 103، 1938./3/11.

4- تتكون النوادي الإصلاحية من: قاعة الصلاة، مدرسة لتعليم اللغة العربية و التربية الإسلامية، مقهى، قاعة محاضرات، أنظر , Aouimeur op.cit. p33

5- Laid Louail Zeghir. Laid El Kebir a Paris Cheikh Foudil Parmi Nous La Defense 23-2-1938.

6- La Defense 23-2-1938.

7- الربيع (يرجح أنه الأستاذ الربيع بوشامة) الحركة الإسلامية بفرنسا البصائر عدد 144 (1938/12/16).

النهار من نور العيد و نسيم أفراحه تسارع الناس إلى نادي قسم 20 حيث تقام الصلاة. و أقبلوا وفودا يقودهم هادي الإسلام و يسوقهم حادي اللغة و الوطن. و ما ان دنا وقت الصلاة حتى غص النادي على وسعه و اكتض رغم حيلولة العمل دون حضور المعظم من الإخوان. فلما كان الميقات المعين أدى المصلون صلاتهم في جلال عظيم بإمامة ذلك الشهم الأستاذ دراز و بائر فراع مكارمه و أثر تأثيرا زكيا عميقا في القلوب. ثم قام الشيخ الأديب الشيخ محمد أعراب بباقة زهور من الكلمات الفدية نصح فيها للحاضرين و حياهم ثم تلا العاجز بكلمة وجيزة انتهت بتهنئة المحتفلين بموسهم المبارك السعيد و هي مسك الختام.[1]

كانت نوادي الحركة الإصلاحية بفرنسا تعقد اجتماعاتها التنشيطية سنويا[2] حتى على حواصلة نشاطاتها بطريقة نافعة و مفيدة.

و- <u>نادي السعادة:</u>

تأسس بالقنطرة في أكتوبر 1934 م بقي حتى 1937 م حيث عوض بنادي الثبات ، المسير من قبل جمعية العلماء المصلحين.[3]

نادي الإصلاح ببلدية باتنة تأسس سنة 1933 و ألقى فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس محاضرات عديدة.[4]

ب- <u>نادي الشباب:</u>

تأسس ببسكرة في جانفي 1935 كان برئاسة الدكتور سعدان.[5] كما ساهم الشيخ خير الدين في تأسيسه و يعد النادي مكانا للاجتماعات و القاء الخطب و المحاضرات [6].

1- المصدر السابق.

2- فقد اجتمعت النوادي الإصلاحية في مؤتمرها السنوي بمقرها الاجتماعي بباريس في يومي 16-17 أفريل 1938م بحضور 80 ممثلا جاؤوا من الضواحي الباريسية و ليون، أولين، مونبليزير، سلنت اتبيان، آلاس، تريسكول، مارسليا، و كانت الأشغال تحت اشراف الشيخ السعيد الصلاحي في غياب الشيخ الورتيلاني الذي كان موجودا بالجزائر. أنظر Aouimeur, op.cit. p.p 34-35.

3- أنظر: A.O.M 9 H 46.

4- أنظر : A.O.M 9 H 46.

5- هو سعدان أحمد دكتور في الطب كان سنه 1934، 39 سنة يقطن في بسكرة طريق تقرت ولد في باتنة في نوفمبر 1895 م ابن سعدان العربي و السيدة صويلح زينب و هما من القبائل تزوج من فرنسية دونيس كلوديا شاقرا. كان على صلات جيدة مع الشيخ خير الدين، و كان أيضا متصلا بالمحرض الدكتور بن جلول الطيب بقسنطينة. بن خليل الطيب، غريبالمحامي و قاطي عبد القادرباتنة، مثل في سنة 1928 بالمجلس العام ضد مرشح الإدارة حفناوي دبابش. و مثل في سنة 1932 م في البعثات المالية ضد مرشح الإدارة السيد سيسبان. رافق بعثة الحج كطبيب إلى مكة المكرمة في 1930. قال في العديد من الاجتماعات (في الدعايات الانتخابية) " في الوقت الذي يعد منافسي سيسبان صديق فرنسا لا يمكن أن يكون إلا عدوا للمسلمين لعب دورا في احداث 1934 م المتعلقة باليهود إلى جانب بن جلول و بن خليل للمزيد أنظر: تقرير موقع من رئيس دائرة باتنة في باتنة 1934/9/12. يتعلق بالمراقبة السياسية للأهالي. A.O.M 9 H 46.

6- أنظر مذكرات الشيخ خير الدين الجزء 1 ص 163.

و قد ورد في تقرير سري من عامل عمالة قسنطينة إلى السيد الوالي العام أن نادي الشباب ببسكرة قد عرف اجتماعا بتاريخ 9 مارس 1937 م تحت اشراف السيد صفاقسي كاتب الشبيبة الإسلامية بقسنطينة و كان القصد من الاجتماع هو تأسيس جمعية الشبيبة الإسلامية ببسكرة بحضور 250 أهل.[1]

و- نادي التقدم:

تأسس بمدينة البليدة سنة 1935 و قد كان له دور لا بأس به في تنشيط المشهد الفكري و الثقافي بالمدينة. و قد أشاد الشاعر محمد العيد بهذا النادي الذي جاء تعويضا لنادي النهضة الذي تأسس سنة 1932 بالبليدة و بعد سنوات سيطر عليه الشيوعيين المنتخبون.[2] بقصيدة نقتطف منها الأبيات التالية:

نداء سرى في مسمعي ما سرى دمي *** فلبيت من قلبي صداه و من فمي
و ما هزني إلا لناد مبارك *** يقل كأفق أوجها مثل أنجم.
منار به صوت العروبة يعتلي *** و كهف به نشء (البليدة) يحتمي
ألا أيها النادي تحية شاعر *** ولوع بإعلان المفاخر مغرم.
و يا فتية النادي سلام و رحمة *** و يسهر غهذا اليوم أعظم موسم.
رفعتم به رأس العروبة عاليا *** و عدتم على الإسلام فيه بأنعم
فدمتم لها كالجند عز و متعة *** و دام لكم كالحصن (نادي التقدم).[3]

و تتميز نوادي الإصلاح في الجزائر عن غيرها من النوادي دون الخطب و المحضارات و مختلف النقاشات تتم باللغة العربية حيث تقريبا اللغة الفرنسية مقضاة و مستبعدة في هذه النوادي، كما أن خطب النوادي تزيد من هذا في مسيرته دينية . آيات قرآنية و أحاديث نبوية شريفة، و من ثمة يمكن القول بأن النادي الإصلاحي يعمل و ينشط كمدرسة حقيقية.[4]

و كانت النوادي الثقافية و التربية بمثابة مدارس و كليات شعبية يجد فيها الرواد ضالتهم في مجال الثقافة و التوعية الدينية. و السياسية و كثيرا ما كانت تعوض بدروسها و محاضراتها و نشاطاتها الثقافية و المساجد و المدارس عندما تتعرض إلى مضايقات من طرف السلطات الفرنسية و بخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية .

1- أنظر تقرير سري من عامل عمالة قسنطينة إلى السيد الوالي العام حول نادي الشباب أنظر مؤرخ بتاريخ 16-3-1937 A.O.M 9 H 46.

2- د/ عمار هلال، أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1995 ص .171

3- أنظر د/ صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 142.143

4- Mohamed el Korso. Op cit p 57.

ي- جمعيات فنية: نذكر منها:

- جمعية النهضة التمثيلية القسنطينية:

تأسست بمدينة قسنطينة سنة 1933م. و تشكل مجلسها الإداري المجدد من السادة: العموشي سعيد، رئيسا بومعيزة عمر نائبا أول له ن عمار العربي نائب ثاني، أمين المال: بن الشريف رشيد نائبه الأول، بلخير عاشورنائبه الثاني بن عزيان، كاتب بالفرنسية رودسلي محمود، بالعربية بن العايد المدير بن حافظ صالح.(1)

أما المكتب الأول فكان متشكل من السادة: بلعموشي سعيد رئيسا . بومعيزة عمر نائبا له أمين المال، عب المومن محفوظ . الكاتب العام بن العبجاوي عبد الحميد المدير بن حافظ صالح نائبه بورعنيدة سماعيل.(2) و كان هدف جمعية النهضة هو تقديم عروض مسرحية أدبية و تكوين و تهذيب الشباب و خلق صدقات بينهم و هي بعيدة عن النشاطات السياسية.(3)

- جمعية " الهلال التمثيلي القسنطيني ":

تأسست هذه الجمعية الفنية في سنة 1938 بمدينة قسنطينة بهدف بعث الموسيقى و المسرح و الآداب بالوسائل الممكنة من دون تجاوز القانون.(4)

هذه الجمعية الفنية التي يظهر من خلال انتماءات أعضائها أنها من انشاء جمعية العلماء المسلمين. تشكل مجلسها الإداري من السادة التالية أسماؤهم: السيد خلاصي قرمي رئيسا، ميمون حاج اسماعن نائبا للرئيس. بلوكي قرمي نائبا ثاني، حمادي أيت حسن رمضان نـــائبا ثالث، عن العلمـــــاء لــــــحمزية

علي نائبا رابع من العلماء، بلكحل محمد كاتب عام من العلماء، و بن شريف محفوظ اشراكي، و بوريغدة سماعين من العلماء. نائبا الكاتب العام بولحبان محمد، أمين المال، خيتمي سليمان نائبا له، بن ساعي العربي مراقب، مسيرا المسرح: بن خبشاش محمد، بن معيزة عمر.(5)

1- تقرير من رئيس شرطة عمالة قسنطينة إلى الوالي العام بالجزائر مؤرخ بقسنطينة في 2/6/ 1933 أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم (2-2).

2- تقرير من عامل عمالة قسنطينة إلى الكاتب العام للشؤون الأهلية مؤرخ بقسنطينة في 20-1-1933 أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم (2-2).

3- تقرير من عامل عمالة قسنطينة إلى الوالي العام مؤرخ بقسنطينة في 19-1-1933 أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم (2-2).

4- تقرير سري من عامل عمالة قسنطينة إلى السيد الوالي العام للجزائر حول جمعية " الهلال التمثيلي القسنطيني ". مؤرخ في 1938/6/16 A.O.M 9 H 46 .

5- المستشارون هم: ساطوري سليمان، يوراوي محمد الصالح، تومي بشير ، حناش مولود قاسم العربي، أنظر: التقرير السابق، A.O.M 9 H 46.

- جمعية أحباب الفن:

تأسست بمدينة قسنطينة في شهر ماي 1933 م بقصد إحياء التراث العربي من الآداب و الموسيقى و الفنون و كانت برئاسة الأستاذ محمد رحموني و عضوية ابراهيم العموشي و أحمد بوشمال. و كانت على صلة بالحركة الإصلاحية باديسية في المدينة و لذلك كان نشاطها مرتبطا بنشاط مدرسة التربية و التعليم فكانت تحيي السهرات الفنية لجمع التبرعات و المال لأبناء المدرسة و هي إحدى وسائل ابن باديس في توسيع مشاريعه.[1]

- جمعية الشباب الفني:

تأسست سنة 1937م بعد انقسام وقع في جمعية أحباب الفن. فقد تولى الجمعية الجديدة (الشباب الفني) أحمد بوشمال و ابراهيم العموشي. و كان كاتبها العام الشيخ عبد الحفيظ الحنان أحد تلاميذ الشيخ ابن باديس. و كانت الشباب الفني مخلصة في عملها لحركة الإصلاح و وظفت فنها لخدمة النهضة العربية الإسلامية[2] في الجزائر.

و ضمت أيضا الأسماء التالية: الشريف حاج السعيد. و عبد السلام بلوصيف و خليل بلقشي، و كانت جمعية الشباب الفني المدعومة من الشيخ بن باديس تمثل أيضا في مدن اقليم قسنطينة و تجد نجاحا كبيرا. و من أبرز حفلاتها تلك التي كانت بكلية الشعب بقسنطينة في مايو 1937 م و تلتها سهرة أخرى في ديسمبر من نفس السنة و قد حظرها مئات الجزائريين (ألف شخص حسب بعض الإحصائيات) . و فيها أيضا النساء كما حظرها بعض الأوروبيين و كانت الحفلة مسيسة حضرها بعض أعضاء من حزب الشعب. و العلماء و النواب و الشيوعيين. و كان للفرقة لباس رسمي موحد و كانت تقدم التمثيليات و القطع الموسيقية. و في المناسبة الأولى ألقى الشيخ ابن باديس نشيده " اشهدي يا سماء " و هو نشيد وطني يبشر بالجزائر الحرة.[3] كما قامت هذه الجمعية الفنية بتمثيل مسرحية (الدكتاتور) أو المستبد على مسرح قسنطينة و يظهر من عنوانها أنها تتناول استبداد الإدارة الفرنسية في الجزائر، بالتلميح و في ظاهرها الاستبداد النازي في العالم و ألمانيا . و من ثمة فهي من وحي الاستعمار و الحرب.[4]

- جمعية المزهر القسنطيني:

أسسها الأديب أحمد رضا حوحو بتاريخ 27 أكتوبر1949 و هي جمعية مسرحية وموسيقية و قد انضم إلى الجمعية في وقت لاحق الدكتور(الطيب) بن دالي فأصبح يديرالفرقة الموسيقية في الوقت الذي

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي... الجزء 5، ص .317

2- مثلت الجمعية في 2 شوال 1357 بمثابة عيد الفطر المبارك رواية شعبية تتصل بالحياة الزوجية العصرية و ما يحدث فيها من مكدرات و منغصات و ما تحوطها من المغائب و الشوائب و سوء العشرة بين الزوجين. أنظر البصائر عدد 143. (9-12-1938).

3- جريدة المغرب العربي 18 جوان 1937. عدد 4 نقلا عن سعد الله تاريخ الجزائر... جزء 50. ص 317-318

4- سعد الله، تاريخ الجزائر... الجزء 5 ص 319.

اختص فيه حوحو في التأليف الفرقة المسرحية.[1]

و قد شرعت الجمعية في تقديم حفلاتها بمدينة قسنطينة بتاريخ 1950/4/12.بتقديم مسرحية في فصلين من تأليف بلقشي الزواوي و هو أحد المؤسسين للفرقة بعنوان " البارح و اليوم " و هي كما تطلق عليها الشعلة في عددها 20 بتاريخ 274-1950. (قطعة فكاهية انتقادية نتناول ما يجري في وسطنا بالنقد الاذع و التهكم المرير.[2]

كما قدمت خلال سنة 1950 مسرحيتين لحوحو الأولى بعنوان البخلاء الثلاثة التي عرضتها كلية الشعب بقسنطينة بتاريخ 3-6-1950. و الثانية بعنوان " ابن الرشد " بالمسرح البلدي القسنطيني في 1950/12/13 .

و لم يقتصر نشاط المزهر على مدينة قسنطينة حيث مقر الجمعية بل امتد إلى المدن المجاورة مثل سكيكدة و قالمة، و عين البيضاء و شلغوم العيد و العلمة و بسكرة. و في صيف 1954 قامت الفرقة برحلة بالباخرة إلى فرنسا و قدمت حفلتين فنيتين في مدينتي مرسيليا و ليون خصت فيه الموسيقى و الغناء بمعظم الوقت أما التمثيل فقد اختصر فيه على تقديم سكاتشات لا غير و لقيا نجاحا و اقبالا من جمهور الجالية المغاربية هناك.[3]

جمعية المزهر البوني للتمثيل:

تأسست سنة 1932 م و اسمها يدل على أنها وليدة مدينة عنابة و تشكل مجلسها الإداري من السادة: جنيدي حميدة رئيسل، نائباه: شريف العربي، و لرقش صادق أمين المال: بن يعقوب محمد. الكاتب العام، قشي صالح أما المستشارون فهم بن عمار عبد السلام، بن عثمان عبد المجيد، بن سلامة أحمد، باي عبد المجيد، خوجة سليمان.[4] غرضها هو محاربة الآفات الإجتماعية و النهوض بالمجتمع عن طريق الموسيقى و التمثيل بتشجيع استعمال العربية الفصحى و الرقي بها.[5] لم تسلم من عداوة الطرقيين الذين حاولوا أن ينالوا منها من خلال القذف والتجريح في نشاطاتها لكنهم فشلوا في مسعاهم.[6]

وقد عكست تمثيليات المزهرالبوني الأهداف التي سطرتها لنفسها حيث أقامت في سنة 1932 حفلتين بالمسرح البلدي القسنطيني كان اقبال الجمهورالقسنطيني على الحفلتين عظيما موضوع الأولى" التوبة " والثانية وهي"الكيف" وقد قصد مؤلفها الأستاذ الجنيدي [7] محاربة الرذائل المهلكات،

1- أحمد منور، جمعية المزهر القسنطيني جريدة الشروق 31 مارس .2002

2- منور، المرجع السابق.

3- منور، المرجع السابق.

4- أنظر أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم .5

5- سعد الله، تاريخ الجزائر... الجزء 5 ص 319.

6- أنظر رد رئيس جمع ية المزهر البوني على يوسف بن ابراهيم الخنقي بجريدة الإخلاص الطرقية. جريدة المرصاد عدد 62. 13.10.1933

7- هو المحامي الوطني السيد الجنيدي رئيس جمعية المزهر البوني.

الخمر ، القمار، الكيف، التي عمت بلواها المدن و القرى رغم تحريم الإسلام فهي و النار سواء. ما أتت على شيء إلا شوهته أو سلبت منه الحياة بالمرة.(1)

و قد كانت المزهر البوني في البداية جمعية موسيقية فقط ثم ادخل القائمون عليها فن التمثيل بقصد احياء العربية و حث الشباب العنابي على تعلمها بعد أن أعرض عنها إعراضا. (2) و بمناسبة تجديد المجلس 1937 الإداري الجمعية تناول رئيسها جندي الكلمة حيث أكد على أن عمل الفرقة هو إحياء للغة العربية التي صارت الشباب يعزف عن الحديث بها. لماذا يتكلمون بالفرنسية و هي ليست لغتنا أليس نبينا هو القائل: من تكلم العربية فهو عربي، كما أن الدم الذي يجري في عروقنا هو الدم العربي الحقيقي؛ ينبغي أن نعلم فتياتنا حتى لا يعزف شبابنا عن الزواج منهن، و يتزوج المسيحيات.(3) تشرفت معية المزهر البوني بزيارة السادة: الشيخ مبارك الميلي، الشيخ ابن باديس، الشيخ بلقاسم بن عبادة و الشيخ السعيد الزاهري.(4)

- جمعية " الاتحاد ":

تأسست هذه الجمعية بدوار فناية بوادي الصومام سنة 1937 م. بهدف تقديم دروس منتظمة في اللغة العربية، و اسعاف التلاميذ الأهالي في الظاهر و لكن حسب تقرير فرنسي فإن هدف " الإتحاد " الحقيقي هو نشر تعاليم العلماء المصلحين، و أن جمعية " الإتحاد " ما هي إلا فرع لجمعية العلماء المسلمين التي كان ممثلوها يستقبلون في بجاية حيث يبلغون تعليمات الشيخ ابن باديس.(5)

و قد تشكل المكتب من الأعضاء التالية أسماؤهم: حمداني علي بن سعيد رئيسا، حنيفي أحمد بن رابح نائبا للرئيس و حدادي حسين نائبا ثاني للرئيس. جمعة محند بن العربي كاتبا، بولهوز زايد بن طاهر كاتبا مساعدا، سفيان شريف بن سعيد أمينا للمال، عاشور مولود بن محند امقران أمينا مساعدا للمال.(6)

- نادي مدرسة الحياة:

تأسس بمدينة بجاية سنة 1930 و هو يشكل أحيانا مكان للتدريس و عقد الاجتماعات.(7)

- الجمعية الموسيقية" الشباب الفني ":

تأسست ببجاية في جويلية 1937 على يد بعض أعضاء الشباب الفني من المتعاطفين مع جمعية العلماء.(8)

1- المزهر البوني، مجلة الشهاب ذي الحجة 1350 هـ أفريل 1932. الجزء 4 المجلد 8 ص .242

2- المصدلر السابق.

3- أنظر أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم (5).

4- أنظر جريدة المرصاد عدد 62. 13 /10/ 1933 م.

5- تقرير المتصرف الإداري سيدي عيش إلى عامل عمالة قسنطينة التي وصلها في 29 /10/ 1937 م. التقرير مؤرخ سيدي عيش في 8/10/ 1937 .A.O.M .9 H 46

6- المصدر السابق: .A.O.M 9 H 46

7- أنظر : .A.O.M 9 H 46

8- أنظر : A.O.M 9 H 46

المطربية: جمعية فنية تأسست سنة 1911 كانت تعمل على نشر الموسيقى العربية والاندلسية والفلكلور الجزائري أحيت حفلات كثيرة في داخل البلاد وخارجها وقد أنشأت في سنة 1933 فرقة مسرحية لعبت دورا كبيرا في محاربة الافات الاجتماعية وتعزيز وتقوية الحس الوطني عند الجزائريين يعد الفنان محي الدين باشطارزي (1) من ابرز الفعالة في هذا الميدان (2).

الاندلسية: تأسست على يد خريف في فيفري 1929 جمعت في بدايتها نفرا من الفنانين نذكر منهم لحلو سرور، مخلوف بوشارة، العجام ندور، فخارجي، رويمي، وزميرو (3)

الموصلية: فرقة موسيقية دشنت مقرها في 10 شارع مدية في 11 ديسمبر 1932 مسيرها: جبير، بن سماية رئيسا، أحمد لكحل واحمد كاتب (4)

الجزائرية: تأسست في 1930 رئيسها محمود بن صيام كانت حفلتها الاولى بنادي الترقي في 23 / 3/ 1930 (5)

الغرناطية: فرقة موسيقية تأسست حسب جريدة صدى الجزائر في 16 / 12/ 1933 برئاسة خوجة الخيل (محمد). (6)

خـــــــــــلاصة: بناء على ما سبق عرضه يمكن أن نصل إلى استخلاص النتائج التالية:

- تنوع وسائل و قنوات الخطاب النهضوي بحيث لم يقتصر على وسيلة واحدة. حيث نجد المصلحين و رجال النهضة قد استعملوا كل ما قدروا عليه من وسائل لإيصال صوتهم لأكبر عدد ممكن من الجمهور. و من هذا نصل إلى قناعة بأن خطاب المصلحين النهضوي كان شعبيا و لم يكن نخبويا حيث استهدف و أثر في كل طبقات و فئات المجتمع.
- جل المنشطين للنوادي و الكتاب في الصحف مثلا نجدهم مدرسين في المدارس العربية الحرة و المساجد.
- كل وسائل الخطاب النهضوي تقريبا خاصة لم تكن تابعة لإدارة الاحتلال و هذا ما جعل النشاطات حرة و متحررة من الوصاية و القائمون عليها ليسوا موظفين في الإدارة الاستعمارية خلافا لوسائل الاصلاح و النهضة في الربع الأول من القرن العشرين حيث كان الاصلاح و النهضة يمررمن خلال قنوات و وسائل تابعة للإدارة الاستعمارية و لها سلطة عليها ماديا و معنويا.
- رغم المضايقات و المصادرات لوسائل النهضة لم يفشل المصلحون بل كان نفسهم طويلا في بلوغ المرامي و تحقيق الأهداف.

1- ولد ي الدين باشطارزي 1897 ء حزابا با امع ا ديد 1915 بتزكية من ا ف ا نفي الشيخ بوقندورة، أصبح رئيسا للمطربية سنة 1923 خلفا ؤسسها اليهودي يافيل ناثان الذي كان له فضلا عليه، ا ذ ي الدين من ا سرح وسيلة دمة قضايا وطنه تو سنة 1986. انظـر: Nadya Bouzar Kasbadji, lemergence artistique Algerienne au xxè siecle, op u, Alger, 1988, et Mahieddine Bachtarzi, memoires 1919-1939, s ned, Alger, 1968,

2- ibdem 3- Kasbadji, op. cit, p 83 4- Ibid, pp 83- 84. 5- Ibid, p 84 6- Ibid, p 86.

الفصل الثالث:

البعد الديني في الخطاب النهضوي

- تمهيد

1- الدعوة إلى التجديد ومحاربة الجمود

2- محاربة الطرقية المبتدعة

3-جمعية السنة ومؤامرة القضاء على الإصلاح

4- مآخذ العلماء المسلمين على الطرقيين

5- الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة الفرنسية

6- الدفاع عن القضاء الإسلامي

7-مقاومة التبشير

8- التصدي للإلحاد

خلاصة

تمهيد:

انصبت جهود العلماء المصلحين الجزائريين ابتداء من بداية الربع الثاني من القرن العشرين إلى عشية قيام الثورة المسلحة في سنة 1954م، على النهوض بالمجتمع الجزائري، والعمل على ترقية مستواه الفكري، وتمكينه من قسط وافر من العلوم والمعارف، حتى يتسنى له إدراك حقائق واقعه المعيش في ظل الوجود الاستعماري، ومن ثم يسترجع الثقة بنفسه ويأخذ بزمام المبادرة التي تخرجه من دائرة التخلف والانحطاط إلى دائرة الرقي والازدهار.

وإذا كان الاستعمار قد ظن أنه أحكم قبضته على الأمة الجزائرية التي لم يكن يستهدفها في ثرواتها فحسب بل عمد إلى تهميش الأعمدة التي تقوم عليها حياتها القومية وهي الدين واللغة والتاريخ وكل القيم الفكرية والأخلاقية التي تستمد منها معنى الوجود وأسرار العزة والكرامة فإن هذا النجاح لم يكن إلا مؤقتا وظاهريا فقط ذلك وهذا ما عبر عنه أبوا النهضة الجزائرية الحديثة بقوله:" تستطيع الظروف تكييفنا ولكنها لا تستطيع أبدا أن تقهرنا" وعندما أكد كذلك:" إن جميع الأبواب يمكن أن تغلق أمامنا ولكن بابا واحدا لن يغلق هو باب السماء.(1)

وانطلاقا من هذا كان سعي المتنورين الجزائريين لإقامة دعائم نهضة جزائرية حديثة وأصيلة تؤمن بمبدأ" لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها" وأن نهضة مجتمع ما تتم في نفس الظروف العامة التي تمّ فيها ميلاده، كذلك يخضع بناؤه وإعادة البناء لنفس القانون(2)

فقد وجه العلماء المصلحون عنايتهم بإعادة البناء للبنية الذهنية للإنسان الجزائري كأهم خطوة ينبغي خطوها في سبيل إقامة دعائم نهضة وطنية ، وذلك بالاهتمام بالجانب الروحي العقائدي الذي لم يعد يمثل قوة دفع للأمة بل صار عائقا أمام تطورها، بعد أن طغت على الدين الأوهام والخرافات ودخل فيه ما ليس من جوهره ومبادئه بعد أن كان في عصوره الذهبية قوة روحية ومبادئ اجتماعية مكنت من صنع حضارة عربية إسلامية أضاءت العقل الإنساني بتوهجها، وكشفت له أسرار النفس والروح، ووسعت مداركه وفتحت له آفاقا واسعة في العلم ليعرف الكثير عن الإنسان والطبيعة والكون والطبيعة وما وراءها(3)

ولكي يتسنى للجزائريين توظيف البعد العقائدي في مشروعهم النهضوي فقد ارتسم الهدف، الذي يتمثل في تنقية الدين مما علق فيه من شوائب وإبراز صورته الحقيقية النقية بالرجوع إلى ينابيعه الأولى، واعتبر هذا الهدف في ظاهر الأمر دينيا محضا شرطا لا محيض عنه لإصلاح المجتمع ، بل هو الكفيل وحده بتحقيق الإصلاح المنشود لأن المبادئ الجوهرية الدينية تلازم الدنيا بالآخرة وهكذا تلبس الإصلاح

1- الشيخ ابن باديس

2- مالك بن نبي،مذكرات شاهد القرن...........ص 183

3- عبد الله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث.....ص 560

الديني بالإصلاح الاجتماعي في وحدة لا انفصام فيها وتناسق لا يشوبه صدع.

ولعل من أبرز المحاور التي دار حولها مجهود العلماء الجزائريين المتنورين فيما يتعلق بمسألة توظيف الدين الإسلامي في معركة البناء الروحي والفكري للمجتمع.

1-الدعوة إلى التجديد ومحاربة الجمود:

وذلك حتى يتسنى للمسلمين الجزائريين إدراك حقائق دينهم ومن ثم تكون لهم القدرة على تحرير عقولهم من الأوهام ونفوسهم من التواكل والاتكال، فيكفروا في تحرير وطنهم من الاستعمار.

2-التصدي للطرقية المبتدعة:

التي لم يكتف أقطابها وأتباعها على معاداة العلماء المصلحين بل صاروا أداة في يد الإدارة الاستعمارية تستخدمهم متى شاءت لضرب الحركة الإصلاحية في مؤسساتها ورموزها.

فقد تمكنت الإدارة الاستعمارية بمساعداتها المادية والأدبية لهم أن تشتري ذممهم فيصبحون في غالبيتهم عن قصد وعن غير قصد يسبحون بحمدها ويسيرون في فلكها، يشكلون عقبة كأداء في طريق الحركة الإصلاحية وتحقيق مشروعها النهضوي.

3- مطالبة سلطات الإدارة الاستعمارية بتطبيق قانون" فصل الدين عن الدولة" على الديانة الإسلامية كما فعلت مع الديانتين المسيحية واليهودية، حتى يتسنى للمسلمين تسيير مؤسساتهم الدينية وتعيين الإطارات فيها بأنفسهم وتنظيم أمورهم الدينية، وفق ما يخدم مجتمعهم، فلا تبقى بيوت الله مسيرة من قبل الإدارة الاستعمارية، التي لم تكن تشترط في الموظف الديني سوى الولاء المطلق لها، ولا يهم إن كان ضعيفا في المستوى وقليلا في التهذيب فقد كان المصلحون ينظرون إلى وصاية الإدارة الفرنسية على المؤسسات الدينية الإسلامية تكريسا لسياسة الأمر الواقع القائمة على الهيمنة على كل ماله صلة بالكيان الجزائري ماديا وروحيا.

4- التصدي لكل الحملات التبشيرية التي كانت تستهدف الأمة الجزائرية مستغلة وضع أبناءها المزري والمتدهور في كل المجالات وذلك لحماية الأسس التي يقوم عليها المجتمع من كل تخلخل وتزعزع قد تكون عواقبه وخيمة على مستقبل الوحدة الوطنية الجزائرية.

5- الوقوف في وجه الحركات الإلحادية الهدامة التي وفدت كأفكار إلى الجزائر مع وفود الثقافة الأوروبية المعادية للدين والناشرة للائكية.

- إن حركة الإصلاح الديني مثلت إبان فترة ما بين الحربين البعد الأصيل والعميق في الخطاب النهضوي ، وقد توقف على نجاح أو إخفاق هذه الحركة نجاح أو إخفاق باقي ميادين الخطاب النهضوي، فيما يتعلق بالمجتمع والتربية ومسائل الهوية.

1- الدعوة إلى التجديد ومحاربة الجمود:

احتل موضوع الإصلاح الديني مكانة مهمة في الخطاب النهضوي الجزائري واقترن به من البداية بل يعد العلامة البارزة له، حيث شعر العلماء المتنورون بذلك البون الشاسع الذي صاريفصل بين أمتهم والعرب، ولذلك دعوا إلى وجوب إعادة إحياء الاجتهاد وإعمال العقل واعتباره محركا لعملية التوظيف الحقيقي للتراث العربي الإسلامي حتى يمكن الاستفادة منه في الحركة النهضوية والإحياء، فبالاجتهاد يمكن للعالم أن يؤول التعاليم الإسلامية تأويلا جديدا يتلاءم مع روح العصر ثم أن إعادة تنشيط الاجتهاد الذي يصل الماضي بالحاضر ويستشرف آفاق المستقبل هو عين التجديد، الذي يهدف إلى جعل المسلمين يتجاوزون المشاكل التي تعترض طريق نهوضهم وتقدمهم، بعد أن انحطت هذه الأمة إلى الدركات السفلى جاهلة لأمور دينها ودنياها، سادرة في غيّها ومغيبة عن واقعها، متشبثة بكل ما يمكن أن يزيد في معاناتها، وزاهدة في كل ما يمكن أن يطورها ويرقيها، إن لم نقل أنها صارت راضية بأوضاعها المنحطة من خلال فهمها السخيف لدينها بأن الدنيا جنة الكافر والآخرة جنة المؤمن ناسيــن أو متناسين قوله صلى الله عليه وسلم فيما معناه أنه لا يصلح أخرى إلا إذا صلحت دنياه.

ولقد وصل الأمر بفريق من الجامدين إلى تشكيك الناس في أنفسهم وفي دينهم حيث أصبح هؤلاء الجامدون الخاملون يقولون ما يقوله أعداء الإسلام أنفسهم:" إن هذا الزمان قد أقبل على آخره، وأن الساعة أوشكت أن تقوم وأن ما وقع فيه الناس من الفساد وما مني به الدين من كساد وما عرض عليه من علل وما نراه فيه مـن الخــــلــل، وإنه لا حيلة في إصلاح الأحوال والأفضل تسليم الأمر لله[1].

ولذلك كان أهم محور في برنامج المصلحين هو نقدهم للجمود والتقليد وإرجاع سبب انحطاط المسلمين إلى ابتعادهم عن ينابيع الإسلام الصافية فحلت محل ذلك طريقة المتون، وتطلب الإصلاح الإسلامي الدعوة إلى الرجوع بمشكلات التوحيد إلى القرآن مع الاستقلال في الفكر و رفض المذهبية المفرقة والفتن السياسية المدمرة، أما ربطهم الفروع بالأصول فهو في الحقيقة اتجاه ابن تيمية الذي رأى أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان معا وبقياس ال"أولى لا يمكن للدليل أن ينعكس ولكن فقدانه لا يلزم عنه فقدان المدلول(2)، فقد وجه هذا الفقيه المصلح بصفاء عقيدته ووضـــــوح رؤيته هجومه إلى خصوم العقيدة الإسلامية وإلى فقهاء عصره الذين جمدوا على التقليد وإلى الصـــــوفية وأهل الزهـــد وإلى رجال الحكم الذين استبدوا بالسلطان فأفســدوا الســــلطة وكان مما أخــذه على

1- الإمام محمد عبده، رسالة التوحيد، تحقيق/ محمد عمارة ط(2) 1981 ، بيروت ص 149

2- علي علواش، نفس المرجع، ص 116

الباطنية[1] مبدأ الإشراق الإلهي الذي كان ركنا ركينا في مبادئها ومعناه،".. إن المعرفة تشرق على أئمتهم فتسمو بهم إلى مرتبة لا ينالها غيرهم أي أن الله يفيض عليهم نور المعرفة فتنكشف لهم الحقائق فيعرفون بواطن الأمور وظواهرها..ومن هنا صح لهم أن يقولوا أن الشرائع تلزم العامة دون الخاصة ، فإذا صار الرجل من عارفيهم ومحققيهم وموحديهم رفعوا عنه الواجبات وأباحوا له المحظورات[2]

وهال ابن تيمية أن يرى أبناء مجتمع عصره يتدنون إلى الحضيض بهذه المبادئ الهدامة فحمل فأسه يحطم الأصنام كما حطم خالد ابن الوليد اللاث والعزى، وكان عبدة الأصنام يفرون من وجه ابن تيمية إشفاقا عليه وخوفا أن يناله عقابها، فكان يبتسم ضاحكا منهم ويعجب لأمر هذه الأمة التي رفع التوحيد مكانتها إلى السماء كيف انحدرت بالشرك تتمرغ على أقدام الأحجار وتستنزل النصر من القبور، ونهى علماء عصره عن الجمود والتقليد وحثهم على الاستنباط والتشريع الذي يوائم الزمن حيث يرجعون في استنباطهم إلى معرفة ما دل عليه الكتاب والسنة فإن أعيتهم الحيل فلابأس عنده من الأخذ برأي الغير[3]

وقد أرجع الإمام محمد عبده الانحطاط لا إلى العقيدة الإسلامية وإنما إلى انقلاب الصورة الأصلية لهذه العقيدة أو بتعبير آخر:هو يرجع إلى توقف فاعلية هذه العقيدة بسبب توقف فاعلية أهلها أنفسهم، إن خللا جسيما قد أصاب بعض عناصر هذه العقيدة ، فأدى إلى ما يشبه الشلل أو إلى ما يسمى بالجمود، هذا الجمود الذي لا حد لمفاسده لكن جناياتها تظهر أكثر ما تظهر في اللغة وفي التعليم[4]

أما جناية الجمود على اللغة فقد تبلورت في قصر " المحصلين تحصيلهم على فهم الكلام من قبلهم" إذ ليس للمتأخر إلا أن يأخذ بما قال المتقدم، وهذه الحالة أدت بهم إلى النظر في الألفاظ ذاتها وبالتالي إلى إهمال علوم السلف، فضلا عن التنكب عن الخروج على جمود القدماء.

وأشد من الجمود في العمل الجمود في العقيدة، فبعد أن كان العقل هو ينبوع اليقين واصل مبادئ الإيمان صار النقل هو الأصل في ذلك[5]

1- الفرق الباطنية وهي فرق ضالة خارجة عن دائرة الإسلام لأنها أنكرت المعلوم عن الدين بالضرورة منهم : الحاكمية التي تقول أن الله حل بالحكم بأمر الله، والحلاجية التي تقول أنه حل بالحلاج، ومنهم من يغلوا فيجعل من البشر إلها، وفرقة تقول يحلوله في انسوان والمردان وبعض الملوك وما إلى ذلك من المبادئ التي تحطم المجتمع والأسرة وتذل النفوس وتجمع حول الدعاة جماعات الدهماء الذين يعيثون في الأرض فسادا أنظر د/ محمد بديع شريف وآخرون، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة دار إقرأ بيروت ط(2) 404 هـ/1984م، ص 16.

2-د/ محمد بديع شريف، المرجع السابق، ص 16

3- المرجع نفسه ، ص 19

4- د/ جدعان، أسس التقدم...ص 206

5- المرجع السابق، ص 206

أما الجمود في التعليم فقد أصابت شروره فريق المتعلمين على الطريق الجديدة أي الأجنبية والمتعلمين على " الطرق الرسمية" الدينية على حد سواء، فأولئك ضعف إيمانهم ووهن بما سرى إلى أفئدتهم وعقولهم من التعليم الأجنبي، وذووهم سادرون بعلمهم القديم لا يلتفتون إلى طرق الإقناع والاستدلال التي لا يمكن أن تقي أبناءهم من الضلال، أما أبناء " التعليم الديني" الرسمي وغير الرسمي فقد جمد تعليمهم عن العلوم القديمة لا يتخلله شيء من العلوم الحديثة، وإذا عرفوا شيئا منها أنكره معلموهم عليهم ونفروهم منه وطالبوهم بالعودة إلى كتب الدين ليجدوا فيها كل شيء مما ينصرهم على أنفسهم وعلى خصومهم ، لكنهم إذا ما أرادوا جعل ذلك لم يسهل عليهما العثور على هذه الكتب فضلا عن فهم ما فيها من عبارات مشتتة معقدة منفردة[1] وهو نفسه الأمر الذي نبه إليه الأستاذ رشيد رضا عندما آخذ دعاة الجمود والتقليد واعتبر أن البدع والخرافات نتيجة شيوع الجهل والتقليد لا بسبب الاجتهاد"....يتوهم بعض المقلدين أن دعوة المسلمين إلى الاهتداء بالكتاب والسنة والاستقلال في فهمهما التي اشتهر بها المنار في عصرنا ، هي التي جرأت بعض الجاهلين على دعوى الاجتهاد في الشريعة الإسلامية والاستغناء عن تقليد الأئمة والانقياد وعليهم وعلى أتباعهم بما هو ابتداع جديد واستبدال للفوضى بالتقليد، وهو وهم سببه الجهل بالدين وبالتاريخ...وإنما تروج البدع في سوق التقليد الذي يتبع أهله كل ناقع، لا في سوق الاستقلال والأخذ بالدلائل ومن باب التقليد دخل أكثر الخرافات على المسلمين لانتساب جميع الدجالين من أهل الطرائق وغيرهم إلى أئمة المذاهب المجتهدين، وهم في عدوى اتباعهم من الكاذبين، ونحن دعاة العلم الصحيح والاهتداء بالكتاب والسنة أحق منهم باتباع الأئمة..."[2]

وقد أدرك الشيخ ابن باديس مبلغ الخطر الذي بات يتهدد أمته حيث أصابت أسباب الضعف والوهن والركود كل نواحي الحياة فيها فراح يصدح بالحق ويدعو إلى التجديد ومحاربة الجمود في وقت بدا فيه هذا الإصلاح صعبا على كبار النفوس من الرجال وفي ذلك يقول:

"...رأينا كما يرى كل مبصر ما نحن عليه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق وفساد في العقيدة وجمود في الفكر وقعود عن العمل وانحلال في الوحدة وتعاكس في الوجهة وافتراق في السير حيث خارت النفوس الوثابة ودفنت الآمال في صدور الرجال[3] وهكذا كان سوء الأحوال الدينية والخلقية والفكرية والسياسية في الجزائر أمرا ينذر بالخطر، ويتطلب ضرورة الإسراع في الإصلاح والتجديد إذ قد عم الفساد كل ناحية من نواحي الحياة في الجزائر إلى درجة صارت فيه الأمور تسودها الفوضى في كل شيء فمن فوضى في الدين كما يقول ابن باديس إلى فوضى في الأخلاق إلى فوضى في الاقتصاد وربما كان أخطر الفوضات وأشدها تأثيرا على حياة الأمة هي فوضى التكلم باسم الأمة.

1- المرجع السابق، ص 206

2- على المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب.ص 92

3- الجزار الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، ص 30

واعتبر الشيخ ابن باديس ترك المسلمين لقواعد النظر الشرعي،هو الذي قد صرفهم عن علوم الكون والحياة وعن بناء العقائد والأخلاق على العلم الديني الصحيح ، وأبعدهم عن منهج الشريعة، ففسد تفكيرهم واضطربت أعمالهم، واختل نظام حياتهم وسيحاسبهم اللهعلى الجهل والجمود والتقليد وعلى ترك التفكيروالبحث والاكتشاف."[1]

وحسب الشيخ ابن باديس فإن المسلمين لم يضعفوا إلا عندما فرقوا بين العقيدة والعمل فكثرت البدع وصنوف الضلال منذ القرن الثالث الهجري [2]

وحتى يمكن بناء حياة جديدة للأمة ، لا بد أن يكون التجديد شاملا لتجديد العقيدة في العقول والقلوب ولتجديد العقيدة في السلوك والحياة الروحية والأهم من كل هذا كله لربط حاضر المسلمين بالعلم والمدنية الحديثة وفي ذلك يقول" فلسنا من الجامدين في جمودهم ولا مع المتفرنجين في خطورتهم وتنطعهم والوسط العدل هو الذي نؤيده وندعو إليه."[3]

ولقد كانت أهم الأسس التي بنى عليها الإمام ابن باديس دعوته للإصلاح والتي تأثر فيها بالحركات الإصلاحية الأخرى هي دعوته إلى الرجوع إلى الأصول الإسلامية الأولى الكتاب والسنة وإلى طريقة السلف الصالح ومنهجهم في التعامل مع هذا الدين ونصوصه والتكيف مع الواقع الذي نعيشه فالإسلام ليس قوالب جاهزة لا تتحرك ، بل هو دين الله تام ورسالته الكاملة إلى البشرية كافة في كل زمان ومكان ولا يمكن لهذا الدين أن يكون كذلك إلا إذا كسرنا أغلال التقليد والجمود الذي تشده إلى الأرض ولا تتركه ينطق ومن هنا كانت أهم الأسس التي بنى الإمام ابن باديس عليها دعوته هو فتح باب الاجتهاد ونبذ التقليد والجمود، لأن هذا الدين لن يحقق دوره في واقع الناس إلا بهذا الشرط، وتجلى هذا بكل وضوح في دعوته التي كانت انقلابا على كل الأمور الدخيلة على الدين والتي ألصقت به حتى ظن الناس أنها منه[4]

ونظر الإمام ابن باديس إلى الفطرة والعقل على أنهما تمثلان أداتين في سبيل تحقيق التجديد وصقل الوعي، واستند في دعوته إليهما ، وبهما استطاع أن ينفذ إلى القلوب وأن يهز النفوس ويحرك الإرادات " لكل إنسان فطرته وعقله فعلينا إذا دعينا إلى شيء أن نعرضه عليهما راجعين إلى الفطرة

1- أنظر مجلة الشهاب ج وم 6 ص 526 وما بعدها نقلا عن علواش ص 264

2- حيث ظهرت الفرق الباطنية الضالة التي لم تتقيد في طروحاتها الفكرية بالتصوف الشرعي فقد أخلطوا كثير ا الفلسفات الوثنية بتعاليم الشريعة السمحة، وكانوا في الحقيقة سببا من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى سقوط الدولة العباسية ، أنظر قاسم ، نفس المرجع، ص 52

3- الجزار، الإمام المجدد ابن باديس، ص 52

4- إبراهيم التهامي، الجانب العقيدي في جهود الإمام ابن باديس الإصلاحية مجلة الموافقات ، المعهد العالي لأصول الدين، الجزائر عدد6 1997-1998 ص 241

الإنسانية وإلى العقل البشري، منزهين عن الأغراض والأهواء والأوهام والتشبهات وتجد القرآن العظيم يخاطب العقل والفطرة ليعلمنا الرجوع إليهما والاستفادة منهما، وذلك لأن الكائن البشري إنما امتاز على الحيوان بالفطرة والفكرة، فإذا سلب فكرة بإهماله أو عدم استعماله هوى إلى الحضيض ما دون الحيوان لأن الحيوان ذو فطرة يعتمد عليها في حياته بل أن ابن باديس يتصور أن المؤمن الكامن إنما هو ذلك الذي " سلمت فطرته وصح إدراكه واتبع القرآن وخلقه وعمله" ومعنى ذلك أن الشيخ ابن باديس يجعل العقل والفطرة معياريين من معايير الحياة الإنسانية في الاعتقاد والسلوك بجانب القرآن وبل إنه يرى أن منهج القرآن نفسه في توجهه إلى بني الإنسان إنما يعتمد على الفطرة وعلى العقل البريئين من الهوى والانحراف والطمس ويذهب إلى أن الإسلام يمجد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير، ويمتاز الإنسان فيما يذهب إليه بقوة التحليل والتركيب لما يصل إليه من مدركات حسية أو عقلية وإلى السيطرة على الطبيعة بهذه الميزة ميزة التحليل والتركيب والتطبيق وانتهى إلى الهيمنة على العالم المشاهد بقوة العقل[1]

ودعا ابن باديس إلى استخدام أسلوب القرآن في توجيه الفكر إلى العلوم الطبيعية التي يطلق عليها العلوم الكونية وذلك بالتأمل في الظواهر الطبيعية والتعمق في أسرارها لخدمة العلم واستثمار ما في العالم إلى أقصى حد وليس هذا المعنى إلا المنهج التجريبي الذي دعا إليه القرآن الكريم.[2]

ونادى ابن باديس بتكريم العقل وتكريم العقل المقصود به تنزيهه من الأوهام والشكوك والخرافات والضلالات، وتكريم العقل هو أيضا ربطه بالعلم والمعرفة وصحيح الاعتقادات، ويذهب إلى أن التفكير والروية من أفضل الأعمال الإنسانية وإلى أن أفضل الذكر من بين العبادات إنما هو التفكير والتدبر في أفضل المعاني وهي معاني القرآن وأن التفكير في عظمة الله جل جلاله وفي الكون وجميع المخلوقات من أعظم الأذكار وأجلها وأفضلها[3]

وذهب الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس إلى أن في زمانه الذي انحطت فيه شؤون المسلمين صار هنالك نوعان من الإسلام إسلام وراثي وإسلام ذاتي، وبيّن أن الفرق الموجود بينهما، هو أن الإسلام الذاتي هو الإسلام الحقيقي فهو إسلام من تشرب قيم الإسلام ، وأدرك فضائله في عقائده وآدابه وأحكامه وأعماله وبنى ذلك كله على الفكر والنظر، فيفرق بين ما هو من تعاليم الإسلام بحسنه وبرهانه وما ليس منه بقبحه وبطلانه فحياته حياة فكر وإيمان وعمل ومحبة للإسلام، أما الإسلام الوراثي فهو إسلام من يأخذ عقائد عن طريق التقليد فيدخل فيها ما ليس منها بحكم الوراثة من عقائد باطلة وعادات فاسدة وهو إسلام من لا يمعن فكره ونظره فيما يعتقد[4]

1- أنظر محاضرة عمار طالبي، النزعة العقلانية والأخلاقية عند ابن باديس ، محاضرة ألقيت في الملتقى الأول حول ثقافة السلم في فكر ابن بادي 16-8- 2000 أفريل جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة الجزائر

2- المرجع السابق

3- المرجع السابق

4 - محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، دار العودة بيروت 1973، ص 82

وبين الشيخ ابن باديس أن قيام صرح أي نهضة أو تقدم من خلال ترسيخ تقاليد المنهج العلمي القائم على النزعة العقلانية لا يكون إلاّ بالفكر وإمعان النظر في آيات القرآن الكريم وفي ملكوت الأرض" إن الأمم في نظر الشيخ ابن باديس لا تنهض إلا بالتفكير في الطبيعة وفي آيات الله ولا تتقدم إلا ببناء أعمالها وأحكامها وأقوالها على الفكر، وذلك وحد ه هو سبيل الحضارة والعمران واستغلال الكون ودعا إلى أن يكون إسلامنا ذاتيا أي إسلاما حقيقيا أصله القرآن والسنة ولا يكون إلا عن طريق التعليم...وقرر أنه لا حياة إلا بالعلم وذهب إلى أن القرآن نفسه معجزة علمية عقلية أي أن الإنسان العاقل إذا فكر فيه خضع لسلطانه لأنه برهاني لا يقوى على معارضته ولأن القرآن آية كبرى على مر العصور لانبنائه على الاحتجاج بالعقل والعلم وأوضح لنا أن الدين الإسلامي من هذا الدين العقلي ما يكمل عقولنا ويهدي أرواحنا[1]

وقد أثبت الشيخ الأستاذ ابن باديس إمكانية الجمع بين العقل والنقل في الأدلة ، وبيّن حكمة الإزدواج في الإيمان وبين التصديق والإذعان والنظر والاستدلال، فذهب إلى أن النقل من أصول الدين وكليات الشريعة بدلالة القرآن القطعية الصريحة ، فالمؤمن مكلف تكليف مسؤولية باستخدام عقله وحواسه في عقيدته وحياته الفكرية والعملية ولكي يرضي الله عبادة وطاعة" يجب مع تصديقه وجزمه أن ينظر في آيات الله ويستعمل عقله للفهم كما تجب عليه جميع الواجبات في الإسلام."[2] و أن شبهة التعارض بين العقل والشرع ناشئة ، إما عن النظر المقلوب والقياس الفاسد والاستدلال الخاطئ، وإما عن عجز العقل عن الإحاطة بالحقائق[3]

وحذر الشيخ ابن باديس من مغبة الغرور بالعقل وسموه إلى درجة تجعله يتناقض أو يسمو على العقل فيقول" لقد حثنا القرآن على استخدام العقل، و واجب التفكير في أدلة العقائد والأحكام ولكن النظر الذي أمرنا الشرع به هو نظر التفكر والتدبر والاعتبار لا نظر الغرور والإعجاب بالعقل والرأي المحض فيما لا يعلمه إلا الله، والجري وراء الخواطر المثيرة للشكوك والشبهات المؤدية إلى الحيرة والضلال. وطريقة السلف الجامعة بين الدليلين هي التطبيق الصحيح لمنهج الشريعة في نظر الإمام الشيخ ابن باديس وإنكار أحدهما تفريط في الهداية إلى حكمة الإسلام، فالعجز عن فهم بعض المسائل الكونية والكلامية والتشريعية ليس حجة لترك التفكير والاستدلال، وإنما ذلك يوجب التسليم بحجة العقل فيها بدلا من الغرور المؤدي إلى إنكار الخالق....وإذا استحال علينا اكتناه الجواهر فقد تعين توجيه العقل إلى الظواهر والممكنات فالأدلة الواضحة في محكم التنزيل تكفي لإقناعنا بالوقوف عند المتشابه والخفي

1- طالبي، المرجع السابق

2- على علواش منهج الإصلاح عند الإمام عبد الحميد ابن باديس بين السلفية والنهضة دكتوراه دولة مخطوطة ، جامعة الجزائر 1420 هـ /1999م، ص 262 نقلا عن ابن باديس العقائد الإسلامية...ص 24

3- المرجع نفسهص 262

بدلا من تحريف معانيه من غير دليل [1] أو الاحتكام إلى متناقضات مع الشرع تؤدي إلى تضارب مسالك الحجة واليقين مما جعل الإمام الشاطبئ، يرى ان أحكام العقل على حقائق الشرع نسبية تتعدد وجوه احتمالاتها الترجيحية لوجه على آخر وتتغير بتغير الظروف والأزمان لذلك لا يصح اتخاذها حجة على الشرع أو الادعاء بأنها مستقلة عنه[2]

نفهم من كل هذا الذي ذكرناه أن تخلف المسلمين في نظر الشيخ ابن باديس ناتج أساسا على قصورهم في إدراك حقائق دينهم والأمر الذي انعكس سلبا على كل ما يتعلق بشؤون حياتهم الروحية والمادية.

والحق أن مفهوم التجديد عند الإمام الشيخ ابن باديس له بعد شمولي يقوم على أصول القواعد الشرعية التي تهدف إلى تحقيق مزيدا من المصالح للمسلمين وفق مقاصد الشريعة الإسلامية.

ويدعم ما ذهب إليه الإمام الشيخ ابن باديس في دعوته إلى التجديد ونقض الجمود الشيخ ابراهيم أطفيش الذي نظر إلى الجمود على أنه يشكل عائقا في طريق الدعوة إلى نهضة أمة الجزائرية مثل الاستعمار والاستشراق والتبشير بل إن حليفها في هذا وفي ذلك يقول" والجمود من العلل الكبرى ولم يزل متوغلا في الجامعة الإسلامية ، رغم ما توالى على العالم من الانقلابات، وكأن هذه العلة المزمنة تبدو شجاعتهم عندما يرون إصلاحا جديدا وينزوون عندما تظهر جنود الشيطان وحملة المفاسد من الغربيين الاستعماريين أو من المسلمين الهادمين[3]

وعلى الرغم من أن أبا إسحاق له موقف عدائي من أي انفتاح غير محتاط له على القوى الأجنبية الدخيلة على الأمة غير أن ذلك لم يمنعه من الدعوة إلى الاستفادة منه فيما يتعلق بمظاهر القوة " و تقليد العدو المباين لا في الضلال و الإفساد و لكنه في نتائج مواهبه و الوقوف له في سبيل مطامحه بحذق وانـــتباه" [4]

أمّا الذين يرفضون كل ما هو جديد بدعوى" كل بدعة ضلالة"فإنهم ليسوا ضد منطق الإسلام ورسالته فحسب بل هم يسعون إلى خراب ديارهم و تمكين العدو من نفوسهم لأنهم يبعدون الأمة من اكتساب لوازم القوة،و يرفضون دعوة الآية الكريمة"و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة " [5]

و الأستاذ الشيخ أطفيش يحدّد بشكل دقيق فهمه للتجديد من الإسلام نفسه فالتجديد عنده ينبغي أن يوزن بميزان الإسلام فما أقره أخذنا به و ما رفضه نبذناه و في ذلك يقول: " يجب تجديد ما انطمس من

1- علواش، نفس المرجع، ص 263 نقلا ابن باديس، شهاب ج1 م 10 ص 1

2- علواش، نفس المرجع، ص 263

3-الشيخ ابراهيم أطفيش، جريدة المنهاج ج1 م2 محرم 1345 .

4- المصدر السابق

5- د/محمد ناصر الشيخ ابراهيم اطفيش في جهاده الاسلامي،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1991 1991 ص 87

النافع وعفا و أخذ ما أزين من المحدثات وصفا،فبين أيدينا كتاب ملجأ و سنة نبينا نورا، فما لم يعادهما وكانت منفعته جليلة عمل به ،و كان من العدة الأزمة ."[1] يتفق هذا مع ما ذهب إليه الأستاذ شكيب أرسلان الذي قال بأن الجمود على القديم الذي يشهر الحرب على العلوم الطبيعية و الفلسفة و فنونها وصناعاتها بحجة أنها"من علوم الكفار " ليس من الإسلام في شيء ،لا بل أنه سعي صريح في بوار ملته و حطها عن درجة الأمم الأخرى ،أما الجمود الذي يتبادر في رد حالة التقهقر نفسها إلى "القضاء والقدر"و بالتالي في تحبيب الكسل و التنكب عن العمل إلى كثير من المسلمين فإنه باطل بصريح الآيات القرآنية لأن الإسلام هو دين العمل و الكدح و السعي و ليس فيه مكان" للتوكل و التسليم"إلاّ بجانب قصد العمل و تحقيقه إن الإسلام هو من أصله ثورة على القديم الفاسد وجب للماضي القبيح و قطع لكل الفلائق مع غير الحقائق و كل ما "يفيد المجتمع الإسلامي من علوم وصناعات هو مما ينبغي الترحيب به"،و كل علم يفيد الاجتماع البشري"يدخل في العلوم الدينية إن لم يكن ذلك مباشرة فمن حيث النتيجة"[2]

وجاء في مقال قيم للأستاذ الشيخ الطيب العقبي بجريدة السنة تحت عنوان:" الإسلام و التمدن العصري" ما يدحض الشبهات التي تحوم حول التعاليم الإسلامية و عدم مواكبتها لتطورات العصر وتحديات العلم حيث يبين سمو قيم الإسلام وتوافقه مع العلم وهو قائم على العدل بين الناس ولاولا ذلك ما قدر على الصمود والبقاء حيا أربعة عشر قرنا من الزمان...يقول الجاهلون بحقيقة الاسلام أن تعاليمه لا تتفق مع روح العصر الحاضر و باطل ما يقولون بل الحق الذي لا غبار عليه ولا مرية لدى المنصف فيه هو أن الإسلام دين كل تقدم ورقي يأمر بكل فضيلة و ينهى عن كل رذيلة أساسه المساواة بين بني البشر و هيكلة المشاد على ذلك الأساس إنما هو الرحمة و العدل ......ليس الإسلام بتعاليم جافة و عقائد تفرض على الناس فرضا وتلزم العقول إليها إلزاما ،كما تزعم النفوس على العمل بها إرغاما،ولكنه عقيدة هي وليدة الإيمان و العلم، وعمل صالح لكل زمان هو نتيجة ذلك العلم و ذلك الإيمان و لولا ذلك لمل لبث على ظهر الكرة الأرضية أربعة عشر قرنا و أتباعه بما فيهم من علماء و فلاسفة وحكماء يحصون بمآت الملايين..."[3]

و يذهب الأستاذ الشيخ العقبي إلى أن الإسلام كعقيدة و شريعة ليس بمنقذ للمسلمين مماهم فيه من ضنك بل هو الحل و الخلاص لكل الإنسانية و معاناتها في الجوانب المادية و الروحية.

"....و لا منقذ لهذه البشرية من كروبها التي تعانيها وكل آلامها وأتعابها إلا احتذاء تعاليمه و السير على نورها المستبين و أن كل ما تشاهده من آثار تمدن العصر النافعة لصلة قوية و علاقة متينة يمت بها إلى تعاليم القرآن ودين الإسلام و كل ما تشتكي منه الإنسانية المعذبة و تتألم من هذا التمدن العصري وقد تتحمله مكرهة و تتجرعه و لا تكاد تسيغه لهو مما حذر الإسلام منه و نهى عنه..." [4]

1- المصدر السابق، ص87

2-جدعان،أسس التقدم...ص452

3-الشيخ الطيب العقبي،الإسلام و التمدن العصري،جريدة السنة العدد1 351هـ

4- الشيخ الطيب العفبي،المصدر السابق

وانتهى الشيخ العقبي إلى التأكيد على أن الإسلام مع التمدن الذي يفيد الإنسان و يحقق له السعادة وليس مع مظاهر التمدن التي تضرب القيم و الأخلاق"...ما وقف دين الإسلام في يوم من الأيام و لن يقف أبدا في طريق التمدن مبدأه العلم و منتهاه العمل الصالح وإسعاد بني آدم بما تصبو إليه قلوبهم وتتمناه نفوسهم في كل عصر و حين نعم نرى في تمدننا اليوم رغم حسناته الكثيرة مساوئ لا يحسن السكوت عليها و لا يسوغ للمتشبع فيها بالعقلية الإسلامية قبولها و الموافقة عليها بحال من الأحوال ذلك لما فيها من ضرر محقق وفساد للأخلاق تتبرأ منه و تتنزه عنه شرائع الأخلاق.[1]

أما الأستاذ مالك بن نبي فقد رأى بأن الوصول إلى تحقيق أي تقدم وازدهار لا يكون إلا من خلال إسلام فاعل تسري فيه الروح لا طقوس دينية لا تهز النفوس ولا تستعمل العقول ،ضاربا أمثلة عن تاريخ الإسلام الذهبي ليدلل على ما يقول :" إن روح الإسلام التي خلقت من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع إسلامي ،حتى كان الرجل في المجتمع الجديد يعرض على أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه ،بعد أن يطلقها له،لكي يبني بذلك أسرة .

إن قوة التماسك الضرورية للمجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في الإسلام ،ولكن أي إسلام؟..الإسلام المتحرك في عقولنا،وسلوكنا ،و المنبعث في صورة إسلام اجتماعي وقوة التماسك هذه جديرة بأن تؤلف لنا حضارتنا المنشودة ،و في يدها ضمانا لذلك ـتجربة عمرها ألف عام ، وحضارة ولدت على أرض قاحلة وسط البدو ،رجال الفطرة و الصحراء." [2]

ولعل هموم الأستاذ مالك بن نبي الحضارية التي سكنت وجدانه وسيطرت على كل مشاعره جعلته يعيد قراءة القرآن الكريم بطريقته الخاصة وانتهى إلى نتيجة مفادها ضرورة وضع تفسير جديد للقرآن الكريم يساير تحديات العصر،و وترجم هذه القناعة بتأليف كتابه "الظاهرة القرآنية"الذي كان القصد منه هو إحداث ثورة منهجية في مجال تفسير القرآن الكريم و تزويد المثقف المسلم المحتك بالثقافة الغربية الحديثة بأسس راسخة تسمح له بتأمل ناضج وواع للدين الإسلامي.[3] و قد بين الأستاذ باعزيز بن عمر [4]في مقال عن كتاب الظاهرة القرآنية بأن الأستاذ مالك بن نبي(5) قد دعا من خلال كتابه إلى "...وجوب وضع تفسير جديد للقرآن يساير تقدم الفكر في هذا العصر،و يبني إعجاز القرآن-كرسالة إلهية- على أدلة عقلية و قوانين وضعية ثابتة يخضع لها عقل الباحث المعاصر ويدين بها غير المسلمين

1- المصدر السابق.
2- مالك بن نبي شروط النهضة....ص90
3-د/عبد اللطيف عبادة،صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي دار الشهاب للطباعة و النشر:باتنة ،الجزائر،ط(1)1404 هـ1984م ص.75
4- هو أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، اشتهر بمقالاته الاجتماعية في البصائر،ولد سنة 1906 بناحية ازفون تيزي وزو كان والده الشيخ عمر من فقهاء الناحية بعد حفظه للقرآن الكريم على يد والده ،دخل زاوية عبد الرخمن اليلولي بجرجرة تتلمذ على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس وبعدها بجامع الزيتونة، عضو بجمعية العلماء المسلمين وأستاذا بمدرسة الشبيبة بالعاصمة ،ثم بمدرسة الأبيار 1947 وتوفي رحمه عام 1977 م للمزيد عنه نظر محمد الصالح الصديق،بعزيز بن عمر مجلة أول نوفمبر عدد 38 (1979 ص 23 وما بعدها.
5- ولد سنة 1905 بمدينة قسنطينة تلقى دروسه الابتدائية بتبسة ثم أكمل دراسته الثانوية بقسنطينة انتقل بعدها الى باريس حثث تخرج سنة 1935 كمهندس كهربائي اشتغل بالفكر الاسلامي وعالج في مؤلفاته اسباب تخلف العالم الاسلامي وسبل النهوض به من جديد، شغل وظيفة مدير مركزي بالتعليم العالي ويعود إليه فضل تأسيس ملتقيات الفكر الاسلامي توفي رحمه الله سنة 1973.للمزيد عنه أنظر: أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا، دار النفايس، بيروت، 1986.

من علماء هذا العصر الذين يحكمون العقل في كل شيء و يسلطون الذهن و المنطق على أقوال غير هم و آرائهم في العلم و الدين؟[1]وحسب مالك كذلك فإن العقيدة هي التي تفعلالحياة الاجتماعية حيث يقول:"فالعلاقة الروحية بين الله والانسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية وهي بدورها تربط بين الانسان وأخيه الانسان..."[2]

أما الشيخ أبو يقظان فيذهب إلى أن سر انحطاط المسلمين هو ذلك الوهن الذي مس عقيدتهم و مل لفها من بدع وخرافات حيث أدى جهلهم بجوهر دينهم إلى وضع صاروا فيه أعداء لأنفسهم من وجهل شيء عداه"... لم يغلب المسلمون على أمرهم بقوة السلاح و لكنهم غلبوا على أمرهم حينما غلبوا على دينهم بث الدعاية ضد الإسلام بأساليب عديدة في مختلف البلاد و العصور ،قد خلت في عقيدة الإسلام الصحيحة الناصعة الشكوك و الأوهام و الخرافات و فسدت الأخلاق و تنافرت النفوس وتلاحقت الأضغان، و تراكمت الأحقاد ، فأصبح المرء عدو نفسه و قومه وبلاده بدون أن يشعر بالسبب و هذا نهاية الانحطاط و أسفل دركات السقوط"[3]

و ثمن الشيخ أبو اليقظان العقل و اعتبره الجوهرة الثمينة التي بفضل ضوئها يميز الحسن من القبيح و الخبيث من الطيب و الخير من الشر و لأجلها كلفه بتكاليف و حمله ما لم تتحمله السماوات والأرض و الجبال وناط به الثواب و العقاب ....و بدون هذه الجوهرة ينسلخ الإنسان من جنسه الإنساني و ينزل إلى حضيض أسفل من حضيض الحيوانات و في مستوى الصخور و الجمادات إذ أن الإنسان بعقله فإذا طرح منه عقله بقي أسخف شيء في الوجود يزول عنه التكليف و يجرد من لباس البشرية ويحشر في زمرة أمثاله في مكان تنفر منه حتى العجماوات..[4]

و ينعي الشيخ على أولئك الجامدين المتحجرين في ذهنياتهم عدم استعمالهم و توظيفهم لعقولهم التي بها فرق الله تعالى بينهم و بين البهائم،حيث حبسوا عقولهم عن إدراك الحقائق ووضعوها في إجازة وهم بذلك يكونون قد خرجوا عن سنن الله عز وجل بل وصاروا أعداء له."...إنه يوجد في هذا العصر الحاضر الذي بلغ به العقل البشري شأوا بعيدا و فوق هذه الكرة الأرضية التي مسحها الإنسان بعقله...أناسا يجهلون العقل و فضله و ما هو مركزه؟ و ماهي وظيفته و ميزاته؟..و يعتقدون أن العقل أداة صماء لا تتصرف ، و آلة لا يجوز استعمالها في شيء من الشؤون ...و معنى هذا أنه يجب تعطيل العقل و إلغاؤه و عدم الاعتداد بما يراه من حسن و قبيح و خير وشر و فساد وصلاح أي محاربة الله تعالى في وضع أعز ما خلقه سبحانه لخير خلقه و تحويل حكمته تعالى إلى فساد هذا ما يراه أولئك الجامدون المعطلون و أما ما يراه العلماء **الإعلام و الحكماء العظام فهو على عكس ذلك طول الخط..**[5]

1-الشيخ ياعزيز بن عمر،الظاهرة القرآنية، جريدة البصائر ،عدد2 (1 / 8 / 1947).
2-أنظر شعبان مالك، منظور مالك بن نبي لمشروع المجتمع الجزائري ،جريدة الشروق اليومي 2002/11/5 م 29 شعبان 1423 هـ.
3- الشيخ أبو اليقظان،الإسلام يحتضر و المسلمون يهزلون،جريدة وادي ميزاب عدد17(1927/1/21
4-الشيخ أبو اليقظان ،وظيفة العقل في الإنسان،جريدة وادي ميزاب عدد118،(25-01-1929).
5- المصدر السابق.

و اعتبر الشيخ أبو اليقظان هذا الجمود و التحجر الفكري الذي كان سببا في انحطاط المسلمين و من ثمة سقوطهم في فبضة الاستعمار الأوربي من حيث يدرون أو لا يدرون من جهة و من جهة أخرى أوجدوا لأعداء الإسلام المبرر ليطعنوا في قيمه السمحاء ظلما و عدوانا ."......أن أمثال هؤلاء المخذولين هم الذين وصلوا بالمسلمين إلى ما هم فيه من الانحطاط و السقوط حتى أوقعوهم فيما أوقعوهم من شباك الاستعمار الأوربي عن قصد أو غير قصد إذ هم الذين حصدوا شوكة الإسلام و قلموا أظافر المسلمين و كسروا سلاحهم وأوهنوا قواهم و شتتوا شملهم واذهبوا ريحهم بما يبثونه من دعايات الوهن و الفشل،و ما يضعونه من العقبات و العراقيل....إن وجود أمثال هؤلاء بين أوساط المسلمين نسبه للإسلام و شامة في طلعته الوضّاءة يتخذهم أعداء الإسلام حجة على الإسلام فيرشقونه بنبل الطعن بسببهم و يحفرون هوة عميقة بينه و بين معتنقيه بسوء آثارهم، فتنسلخ منه جموع كثيفة و ترتمي في أحضان الكفر و الإلحاد و لا سبب لهم غير وجود هؤلاء بين المسلمين،فهم دخلاء في البشرية لأنهم يعطلون ميزتها دخلاء في الإسلام لأنهم يعملون على إطفاء نوره،ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الجامدون.."[1]

أما أحد الكتاب المصلحين بجريدة المنار فقد كتب سنة 1951م مقالا تحت عنوان"رجال الغد" أبرز من خلاله الآثار السلبية على الأمة من شيوع عقلية الجمود في أوساط أبنائها حيث يفقدون كل إحساس بوجودهم أو تفاؤل لمستقبلهم"..أما الجمود فهو البقاء على حالة واحدة من غير سعي في تغييرها أو تحسينها و الرضى بالحاضر من دون تفكير في المستقبل و من دون أعمال الفكر في مصير الفرد أو الجماعة أو الأمة و العالم ،و هو بعبارة أوجز حب بقاء ما كان على ما كان و إن كان في الوجود ما هو خير منه،ترى الإنسان الجامد تتغير الدنيا من حوله و تنقلب الأمور و تتطور الأشياء و هو لا يعيرها أي التفات و لا يشعر في نفسه بحاجة إلى مجاراة العصر و لا يفكر في ضرورة مسايرة الرقي الذي يطرأ على الأحوال السياسية و الاقتصادية أو الاجتماعية أو الروحية [2]

و حتى يكشف للقراء زيف هؤلاء الجامدين وسخافة عقولهم استحضر الكاتب شواهد من التاريخ الإسلامي لكي يؤكد على صدق ما يقوله...و قد حارب الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الجمود محاربة شديدة وكان الجمود في عصره يتمثل في قول المشركين "أنا وجدنا آبائنا على أمة و أنا على آثارهم مقتدون "فلا يفكرون فيما ورثوه عن آبائهم من العقائد و العوائد و التقاليد هل هي صالحة أم سيئة و هل يقبلها العقل أم لا يقبلها؟و لا يقبلون أي جديد و إن كان خيرا من الإرث القديم " قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه أبائك ؟ قالوا " إن بما أرسلتم لكافرون" فكان الرسول يدعوهم إلى بناء الحياة على التفكيروالسير على مقتضى العقل و هم يبنون حياتهم على الخرافات و الأوهام الضارة المضلة و لا يلبون داعي الثورة و التجديد...[3] ثم يضيف مبينا عن سر نهضة الأمة أيام ازدهارها الذي يرجع

1-المصدر السابق

2-أنظر جريدة المنار عدد1 السنة أولى21 جمادى الثانية 1370هـ29 مارس.19551

3- المصدر السابق

إلى نبذها للجمود داعيا الشباب إلى سلوك ذلك المسلك إن أرادوا رقيا و نهوضا وازدهارا فيقول: "... وما نهض العرب إلا بعد أن نفضوا عنهم الجمود و قاموا ينظرون إلى الحياة بعين التعقل و التدبر والتفكير و لو أنهم انكمشوا على أنفسهم و ظلوا في جمودهم لما استطاعوا أن يقتحموا باب التاريخ المجيد و لما كان لهم ذكر بين الأمم العظيمة،فالجمود داء وبيل إذا فشا في أمة قتل فيها روح الطموح الخلاق للحياة الحقيقية، وجعلها في مؤخرة الأمم وصيرها لقمة صائغة لكل طامع ، فإذا نفض الشباب فتيانا وفتيات ثوب الجمود وتسلحوا بالطموح إلى المعالي وبنوا حياتهم على التفكير الصحيح، كان في الإمكان أن تستقيم أحوالهم، ويحسن مستقبلهم وترجو الأمة منهم خيرا كثيرا وتسير بخطى واسعة إلى الأمام.."(1)

كما ذهب الكاتب أبو غزال من خلال مقال له تحت عنوان "في التصور"إلة وجوب مسايرة العصر ومبتكراته من دون انسلاخ عن الهوية الاسلامية حيث يقول فلنعلم هنا أننا لا نستطيع أن نحقق شيئا مما نهدف إليه ونهفو إلى تحقيقه إلا إذا أجرينا على هذا المنهج منهج التطور والتجدد وأخذنا بوسائل الحياة الصحيحة من ثقافة وفن وأدب وصناعة واقتصاد وخلصنا هذا الثوب البالي الذي أطال لبسنا له ثوب الخمول والجمود كل هذا مع ملاحظة أن لنا طابعا يجب أن يبقى وبشخصية يجب أن لا تمحى.....إننا أمة تريد أن تعيش عزيزة الجانب مرفوعة الرأس موفورة الكرامة .....آن لنا أن نعلنها ثورة جامحة جارفة على تقاليدنا البالية و أوضاعنا الفاسدة لا تبقى ولا قدراتنا إن لم نساير ركب الحياة سار بدوننا .....(2)

وما يمكن استنتاجه مما سبق عرضه أن المتنورين الجزائريين قد أدركوا خطر الجمود وأبعاده السلبية على حاضر الأمة ومستقبلها من ثمة دعوا صراحة إلى وجوب التجديد وبعث الاجتهاد حتى يمكن الوصول إلى حلول للمشاكل التي تطرأ على المجتمع، مبرزين المعاني السامية للدين الإسلامي الذي ما جاء إلا لكي يبصر الناس بحقيقة وجودهم ورسالتهم في الحياة القائمة على الإيمان والعلم والعمل الصالح لتعمير الأرض، كما راحوا يستلهمون من قيم عقيدتهم الإسلامية القوة الروحية ما يمكن أن يكون زادا لتحقيق الإصلاح والتجديد وبشكل يجعل الأمة قادرة على مواجهة تحديات العصر.

2- محاربة الطرقية المبتدعة:

عندما أقدمت القوات الفرنسية على احتلال الجزائر سنة 1830م، عمدت إلى الاستحواذ على مؤسسات الجزائريين الفكرية والثقافية والدينية وفق مخطط يستهدف ابتلاع الجزائر حضاريا ، من خلال حرب إبادة شرسة على أمة الجزائر كما سبق وأن تعرضنا إلى ذلك في الفصل الأول من هذا البحث.

كان الكثير من أعلام الثورات الجزائرية طرقيون والزاوية هي المدرسة العسكرية التي يتخرج

1- المصدر السابق

2- صالح بوغزال،في التصور جريدة البصائر عدد 143.

منها المجاهد في سبيل الله، تزوده بالسلاح الروحي لتعويضه النقص في السلاح المادي وربما بارك شيخ الطريقة الغزوة ودعا لها بالنصر، وشيع القائد بيدين ضارعتين إلى السماء إن لم يكن هو نفسه القائد، لقد كانت الحروب مواجهة بين الصليبية والإسلام وليس من قبيل الصدفة أن يسمى جيش الأمير القـــــادر بـ (الجيش المحمدي) وإن ترد غير مرة المملكة المحمدية في خطبة البيعة التي وجهها إلى زعماء القبائل ، كانت الثورة ثورة عقائدية وكان القتال جهادا في سبيل الله[1]

وقد تلاحقت الثورات بعد استسلام الأمير عبد القادر آخذة برقاب بعضها فلم تعرف الجزائر طيلة مدة الاحتلال سكونا في المقاومة وهدوءا لعاصفتها ولم تمر عليها عشر سنوات بريئة من تبعات الجهاد ولآلامه ومآسيه أن الاحتكاك بمحارب العقيدة لا يزيد جذوتها إلا توهجا[2]

وكان كل فشل تمنى به إحدى هذه الانتفاضات – من ناحية – يذكى الحفيظة في أختها لإعادة الكرّة ، ولكن الهزائم هي الأخرى – أخذت برقاب بعضها، وراحت الضربات قاضية على المقاومة المتلاحقة أنفاسها فكان أن أصبحت العقيدة والروح هو الملاذ والحصن الذي احتمى به الشعب حيث لعــبت (الزاوية) دورها الذي لا ينكر في الإبقاء على هشاشة العقيدة في جو خانق مسموم، والإبقاء على اللغة العربية بالاعتكاف على القرآن مصدرها الأول هربت به إلى ظاهر المدينة يوم ضاقت المدينة المحتلة عن قيام مسجد أو فتح كتاب، فبرزت بعض الزوايا أشبه بالمعاهد الدينية تزود خريجيها حظا وافرا من التحصن الديني أمام الغزو الصليبي الذي يستغل فقر الشعب فيحمل الصليب في يد ويعطي الخبز باليد الأخرى[3] وكان أهم ما قامت به الزوايا المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه وحفظه في صدور وأبناء المسلمين كتابة ورسما وتلاوة وتجويدا حتى لا تمتد إليه يد التحريف والتغيير[4]

لكن هذا الدور الإيجابي للزوايا والطرق سرعان ما راح يضعف تدريجيا بإحكام الإدارة الاستعمارية قبضتها وبسط هيمنتها على الكثير من هذه الطرق والزوايا حيث جعلت من هذه المؤسسة الدينية الإسلامية مؤسسة رسمية خاضعة لنفوذها وأصبحت " الطرق الصوفية(5)" نفسها خاضعة في مواردها وحياتها المادية والروحية للإدارة الاستعمارية بعد أن كانت حرة في عملها الروحي ووظائف رجالها وأملاكها أكثر من هذا أن الإدارة الاستعمارية حاربت الأتراك عن طريق الدين ولفقت قصصا وهمية وخرافات أسندتها إلى الأولياء لتبرر دخول الاستعمار إلى الجزائر وخروج الأتراك منها[6]

وتمكنت سلطات الاحتلال من إخضاع جميع الزوايا لنفوذها ولم يبق رجل الدين يتردد على المساجد معلما إلا إذا خضع لأوامر السلطات الفرنسية في الاقتصار على تعليم الطقوس، ثم ما لبث هذا الاستعمار بعد هذه الخطة التفكيكية أن اخضع بعض رجال الدين المدجنين وكون منهم أعوانه على

1- د/ صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، ص 109-110 2- المرجع السابق، ص 112 3- صالح خرفي، شعر المقاومة، ص 113

4- محمد نسيب، الزوايا والقرآن بالجزائر، دار الفكر الجزائر، ص 50

-5 ظهرت طرق الصوفية في الجزائر في بداية القرن السادس عشر ثم انتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر و الربع الأول من القرن التاسع عشرمتخذتا من الوسط الريفي مجالا لنشاطاها لطبيعة سكانه و بعده عن رقابة سطلات العثمانية و الرغم من أن طرق تجتمع على طريق واحد و هو التصوّف إلا أنّ التنافس بينها على جذب الأتباع واستمرارهم كلّ في طريقته كان على أشدّه فنهت كل طريقة مريدها الانتقال منها إلى الطريقة الأخرى و غالت الطريقة التيجانية في الحكم على من ينتقل منها إلى طريقة غيرها حيث تعتبره مرتدا كالمرتد عن الإسلام أنظر : العيد مسعود المرابطون و الطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة سيرتا عدد 10 - أفريل 1988 ، ص : 10 .

6- د/ عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري، ص 24

الشعب[1]وصار الكثير فيها بعد موت مؤسسيها تنقلب من معاهد علم وإحسان وإرشاد إلى معاهد خرافات وأباطيل، وآل أمر الكثير من هذه الزوايا والطرق إلى إحداث وثنية في الإسلام ما أنزل الله بها من سلطان، وأصبح شيخ الطريقة أو المرابط في كثير من النواحي يتصف بأوصاف الربوبية فهو الذي يعطي وهو الذي يمنع وهو الذي يقبض وهو الذي يبسط وهو منبع كل خير ومصدر كل شر[2] فأصبحت الزاوية الجاهلة منتجعا للسموم التي تشل العقول، وتقتل الأخلاق وتقضي على الدين وأداة للصيد والثراء، واعتقد الجهلة أن قراءة ورد الزاوية يغني عن الصلاة وزيارة شيخها وقبورها يكفي عن الحج، ومات الدين الرادع في النفوس فكثرت الشرور والفتن وانتشرت الموبقات واستغل الاستعمار من لا دين لهم من شيوخ الزوايا في قتل الدين ونشر الفساد، وجعل هذه الأداة التي صنعت للخير معولا يهدم به الأمة في كل نواحيها، واصطنع هؤلاء الجهلة من شيوخ الطرق والمشعوذين الدجالين الذين يسيرون في ركابهم ويملؤون الزاوية ويقومون بها ، وسخرهم في الجوسسة وفي محاربة الإصلاح والنهضة[3]

وأصبح بعض مشايخ الطرق الصوفية يقومون بدور تخريبي في المجتمع،(4) فكانوا ينشرون البدع والمحدثات لا تهمهم إلا شهواتهم فحرصوا على بقاء الجهل الذي يقيد العامة لهم ليستغلوها كما يريدون ويبتزوا أموالها ويسيطرون عليها، وكانت هذه الأمة إذا زارت المشائخ الأحياء تزحف على وجوهها من مسافة بعيدة.قبل وصولها إلى مجلسه،أما قبور المشائخ فهي أماكن الرحمة و البركات ترى الجاهلة قبل أن تصل إلى الشيخ تتمسح بجدار مقبرته و تخشع و تنادي به باكية: يا سيدي فلان جئتك مستجيرا فاغفرلي ذنبي واقض حوائجي ودمر أعدائي[5].

و لما برزت حركة الإصلاح و البعث و النهضة الوطنية مع بداية الربع الثاني من القرن العشرين كان الفضاء المكاني يضم الكثير من الطرق الصوفية و مؤسسات الزوايا من أقصى البلاد إلى أقصاها ويمكن أن نحدد تواجدها حسب مناطق البلاد فيما يلي :

1- عبد المجيد مزيان، مظاهر المقاومة في الثقافة الجزائرية ، مجلة الثقافة ، عدد 8، 1972، ص 161

2- توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 376

3- دبوز، نهضة الجزائر...الجزء 1 ص 48، 49

4- في الوقت الذي نجد فيه العليويين يعارضون حركة الاصلاح نجد الزاوية الدرقاوية في منطقة تلمسان للشيخ بن يلس قد فتحت ابوابها للاصلاح ولممثله بالغرب الجزائري الشيخ البشير الابراهيمي بل إن فئة المصلحين خصوصا التجار المتعلمين وشبه المتعلمين ينحدرون من أصول مرابطية. أنظر: El korso, les affinites politiques des islahistes a partir d'une approche monographique le cas de l'oranie, in etoile nord Africaine et le mouvement nationale Algerien, actes du colloque du 27/2/ au 1/3/ 1987, pub du centre culturel Algerien, Paris, 1988, p 244.

5- ديوز،أعلام الإصلاح في الجزائر ،الجزء 1 مطبعة البعث قسنطينة ط (1) 1974 ص23

هيمنة الطريقة الرحمانية[1] على منطقة قسنطينة و تتمثل في مثلث سوق أهراس ،بسكرة،سطيف،عين مليلـة،مراكز هـذه الطريقـة تقـع فـي قسنطينة،خنشـلة ،باتنـة ،بسـكرة،طولقة،اولاد جـلال ،فـج امزالة،سطيف،بريكة،ميلة،وحوض الأوراس[2]

- منطقة صحراوية إلى الجنوب في اتجاه خط الأغواط - الوادي أين تتمركز التيجانية،أما أعضاؤها المتنورون فيستقرون في عين ماضي و تماسين قرب توقرت،و التيجانية تسيطر على الأغواط ورقلة،القليعة،توقرت طيبيات (أولاد سايح) الهجيرة قبيلة و العالية إلى آخره.

- و في المنطقة الوهرانية (الغربية) تهيمن الطريقتين المغربيتين الدرقاوية [3] و الطيبية[4] في المربع المشكل من تيارت ،وهران،مغنية ،عين الصفراء. [5]

- منطقة القبائل و توجد بها الكثير من الزوايا و الطرق الصوفية المحلية فإلى جانب الرحمانية التي توجد بها مراكز مثل ذراع الميزان ،الأخضرية، تابلاط، قوراية وحوض جرجرة حيث نجد عدد كبير من الزوايا المستقلة عن بعضها البعض ،فكل واحدة لها تقاليدها الخاصة بها من الناحية التنظيمية والثقافية ولعل الزاوية الأكثر أهمية و إشعاع في منطقة القبائل زاوية سيدي عبد الرحمن البلولي.[6]

1- وتنحدر من الطريقة الخلوتية التي يعد عمر الخلواتي مؤسسها الحقيقي و تقوم على تلقين الذكر للمزيد بعد أخذ العهد عن الشيخ بالتزامه له مدة عمره، وكا من يعطي له الذكر يزوده شيخ الطريقة بنصائح دينية تتمثل في البحث على طاعة الله، واتباع سنة رسوله(ص) وأن يكون متخلقا بالأخلاق الإسلامية العالية ويكون رحيما ومحسنا وعطوفا على الفقراء، ويعد الشيخ محمد بن عبد الرحمن القسطولي الجرجري الأزهري (المولود ما بين 1715-1725)من عائلة شريفة أصيلة المؤسس للطريقة الرحمانية للمزيد أنظر

LOUIS(RINNE)Marabouts et Khoun études sur LISLAM EN ALGERIE, Alger 1884 pp 462

-وقد تضمنت الرحمانية قواعد ها في كتاب مصطفى باش تارزي " المنح الربانية ، شرح المنظومة الرحمانية وكان خليفة مؤسس الرحمانية في قسنطينة، وانظر أيضا Marcel (Simian) Les confréries Islamiques en Algérie Alger 1910 p 57

2-Ali Merad , le reformisme..p 55

3- تنتسب إلى محمد العربي الدرقاوي المتوفي سنة 1823م، وقد انتشرت في الغرب الجزائري وبرز منها الشيخ عدة بن غلام الله الذي تولى وظيفة القضاء في دولة الأمير عبد القادر للمزيد عن الطريقة أنظر د/ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي جزء 4، ص 12 وما بعدها وأنظر أيضا Confréries Religieuse Musulmanes p p 246-256

4- تأسست في وزان بالمغرب الأقصى من قبل الشيخ الشريف الادريسي عبد الله بن ابراهيم المتوفي سنة 1678 وقد عرفت الطريقة ازدهارها بعد ذلك وعرفت انتشار كبيرا في المغرب والجزائر(وهران) وتونس، وقد تأسست الزاوية الطيبية بالجزائر بوهران سنة 1868م وفي ندرومة توجد واحدة من أكبر زوايا اطيبية بالغرب الجزائري أسسها سيدي محمد بن عمار من شرفاء وزان ، للمزيد أنظر

Confréries Religieuse Musulmanes p p 246-256

5-Ali Merad , le reformisme..p 55

6-Ali Merad , le réformisme. Musulman,p55

- منطقة التل و الساحل،فيتمركز المرابطون في حوض الشلف وزوايا مازونة قرب مستغانم و بن طكوك قرب بوقيراط و مستغانم نجد السنوسية و العليوية التي تنحدر من الدرقاوية [1]

و الحق أن العلماء المصلحين لم يحاولوا في البداية أن يدخلوا في صدامات مع رجال الطـــــــرق حتى لا يبددوا طاقات الأمة، و لم تكن نيتهم إقصاء هؤلاء المشايخ الطرقيين من المشهد الديني و الاجتماعي الجزائري، بل حاولوا أن يتعاملوا معهم من منطق المصلحة الوطنية ،و لم يعمموا الحكم على جميع الطرق بأنهم قد حادوا عن الجادة و اخرجوا عن تعاليم الإسلام، ذلك أن البعض منهم في نظر الإمام ابن باديس قد أخلصوا لله و الوطن و كانوا بعيدين عن مواطن السوء و الشبهات لذلك لم يعمم حكمي التبديع و الخيانة على كل منتسب إلى الطريقة بدليل استشهاده بالمتصوفة السنيين كالإمام القشيري [2] وبالطريقة السنوسية و خاصة في عهد مؤسسها . محمد بن علي ذي النزعة الإصلاحية و الثورية الذي رأى أن التجديد الروحي الأخلاقي هو أساس التحرر من الأجنبي [3] كما طالب بعض المصلحين من رؤساء الزوايا و أبنائها أن يحولوا بعض محلاتهم الدينية إلى مراكز خيرية و مدارس أخلاقية تسعى لإيصال الخير و نفع العموم لا لنفعهم وحدهم و لكن لتكوين رجال مخلصين مؤهلين للدفاع عن الدين والوطن و البحث عن المواهب الفكرية الخلاقة و الأدوية الناجعة لمعالجة الأمراض الاجتماعية و الفساد الخلقي و العقائدي [4] بل إن النداء الذي وجه على شكل اقتراح تحت عنوان: " حول اقتراح تأسيس حزب ديني إصلاحي كان القصد منه محاربة كل مظاهر البدع و الخرافات في المجتمع الجزائري وليس المقصود منه فقطط بدع مشائخ الطرق مما يدل على البعد الشمولي للفكر الإصلاحي و يدحض الفكرة حول مسائل و خلافات جزئية"

و هذه البدع الضالة التي شوهت دين الإسلام و معتنقيه لم تكن في وقت من الأوقات مقصورة على مشائخ الطرق و أرباب الزوايا كما نراه من سهام الملام وأسنة التعنيف و التنديد من قلم الكتاب في هذه الأيام بل هي في الواقع إذا أنصفنا أنفسنا تجسمت بكامل الصورة في كل طائفة من الطوائف الجزائرية من غير فرق بينها إلا من عصمه الله..."[5]

1-Ibidem

هو الشيخ أبي القاسم عبد الكريم بن موازن القشيري المولود عام 376هـو المتوفي عام 465هـ ينتمي إلى التصوف السني المعتد ل ،حارب الطرق الصوفية المنحرفة في زمانه للمزيد عنه أنظر د/مقداد بالحسن،فلسفة الحياة الروحية دار الشروق ط(1)1405هـ /1985م بيروت ص111 112 .

2- بلغ عدد أتباع الطرق الصوفية مع نهاية القرن 19م 168874م حسب علال الفاسي المغربالعربي عند الحرب العالمية الأولى ،معهد الدراسات العربية ،القاهرة ،1957 ص13 و 295,000م حسب د/عمار الطالبي،حياته و آثاره جزء 1ص.18

3- علواش،نفس المرجع،ص176

4- بوصفصاف،جمعية العلماء...ص198

5- أنظر الشهاب عدد 9 (1925)

و قد كانت تعرية أدعياء الدين وفضح ممارساتهم الخرافية البداية الأولى للفكر الإصلاحي في مواجهة تيار الطرقيين المنحرفين حيث كان هؤلاء الأرباب(مشائخ الطرق) يظهرون في صورة قداسنة مرعبة مرهبة للعامة من الناس حيث أصبح الدين في عرف أدعيائه (تعبديا)لا يقبل الجـــــدل و لا النقاش لا يقبل إلا التسليم و أصبحت الكلمة البشرية المجسدة لهذا الوضع المتقد و لا تنتقد[1].

و في حرمة هذه القداسة و الحرم الآمن لهذه الولاية ، عاش الإنحراف الديني أزهى عصوره وطمح حتى الوثنية العمياء(2)، و نفض أدعياء الدين أيديهم من كل واجب أمر به الذين استحلوا كل ما نهى عنه الدين، و تعالوا بقداستهم إلى ما فوق الفرائض و الواجبات و استوى الحلال الحرام في اجتهادهم وامتزجت العربدة بالحوقلة في مواسهم و موالدهم[3] و قد أشار إلى هذه الحالة المتردية التي آلت إليها الطرقية فقال:" و أن هذه القلعة لهي المعقل الأسمى و الملاذ الأحمى لأصحابنا اليوم، فكل راقص صوفي و كل ضارب بالحابل صوفي و كل عابث بأحكام الله صوفي،وكل ملحد في آيات الله صوفي[4] بل أنهم أي الطرقيين استعبدوا العامة في كل أمورها المادية و الروحية شكلوا شريحة محظوظة في المجتمع تعيش في ترف و بذخ على حساب بؤس الشعب و معاناته و هم في هذه الصورة يشكلون مشهد من مشاهد العبودية لا يختلف في شيء عن العبودية في أوربا في العصور الوسطى.

يقول الشيخ الإبراهيمي:" و حاضر هؤلاء الأشياخ –و قد دانت لهم الأمة و ألقت إليهم يد الطاعة ومكنتهم من أعراضها و أموالها –أن يأخذوا أموالها سارقين،ثم يورثونها أولادهم فاسقين يبددونها في الخمور و الفجور و السيارات و الملابس و القصور.

و ما ضرهم أن تهزل الأمة إذا سمنوا ؟ما ضرهم إذا فسدت أخلاقها ما دام خلق البذل والطاعة لهم صحيحا؟ما ضرهم أن تتفرق كلمة الأمة مادامت مجمعة على تعظيمهم واحترامهم،ومغضية على شرهم وإجرامهم [5].

فكان أن قام المصلحون بحملة شعواء على كل مظاهر البدع و الدجل و الخرافات التي كانت تعج بها الحياة في كل المدن و القرى[5] في لبوس ديني زائف قصد تنقية البنية الذهنية للمسلمين الجزائريين من ركام أفكار رجعية متخلفة عفى عنها الدهر و لا صلة لها بأحكام النقل و العقل و كانت

1-صالح خرفي،الحركة الإصلاحية و الإنحراف الديني الثقافة عدد7.(1972)ص 60

2-لقد وصل الأمر بالناس إلى أن ربطوا كل ظاهرة طبيعية بكرامة ولي من الأولياء كما راحو يفسرون كل ظاهرة اجتماعية أو حادثة سياسية بتدخل هذا الولي أو ذاك أو بدعاء هذا الولي أو بذاك بحيث من يستعرض تاريخ الجزائر مثلا منذ القرن 13 م يهوله أن يجد أن الخرافة كانت هي الطابع الذي غلب على حياة الناس و لو أن ظاهرة الخرافة انحصرت في أوساط العامة لهان الأمر و لكن تلك الظاهرة شملت طبقة من العلماء ممن لهم قدما راسخا في العلوم الدينية و الثقافية أنظر العيد مسعود نفس المرجع ص : .20

3- المرجع السابق، ص60

4- الشيخ البشير الإبراهيمي،سجل مؤتمر جمعية العلماء.....ص38

5- المرجع السابق، ص34

ذكر أمثلة لما شاهده بنفسه من خلال عمله في الزاوية.

5- كمثال على مظاهر الخرافات والشعوذة التي انتشرت في المجتمع، أنظر مقال: زردة قديشة ببلدة بريكة لقشي محمد الدراجي حيث تذبح ناقة ويقع الاختلاط في الزردة بين النساء والرجال: الشطيح والتصفيق والتزمير وارتكاب المحرمات، أنظر جريدة البصائر عدد..........

تمثل مشهدا اجتماعيا مخزيا بالنسبة للأمة الجزائرية فقد استاء الأستاذ الطيب العقبي من التيار الطرفي و اعتبره من أكبر العوامل في إفساد العقيدة الإسلامية و نظم شعرا و نثـرا أبرز من خلاله مبلغ الأضرار التي "ولحقت بالمجتمع من جراء ذلك و قد تجلى ذلك في قصيدته الشهيرة " إلى الدين خالص" التي بين فيها ما أصابت تعاليم الدين الحنيف من أضرار و ما لحق بالعلم من إنكساف و دمار بفعل العقائد الباطلة الخارجة عن الدين فقال:

ماتت السنة في هذه البلاد　　　　قبرا العلم و ساد الجهل ساد

و فشا داء اعتقاد باطــل　　　　في سهول القطر طرا و النجاد [1]

و قال الدكتور الركيبي (2) إذ كانت قصيدة " المنصفة" لابن الموهوب تؤرخ لما قبل العشرينات فإن قصيدة "إلى الدين الخالص" للشيخ العقبي تؤرخ للفكر الإصلاحي المنظم و تهجوا هذه البدع المستحدثة في الدين في العشرينات و قد اعتبرها الشيخ مبارك الميلي بأنها كانت أي القصيدة أول معول مؤثر في هيكل المقدسات الطرقية ولا يعلم مبلغ ما تحمله هذه القصيدة من الجرأة و مبلغ ما حدث عنها من انفعال الطرقية إلا من عرف العصر الذي تنتشر فيه و حالته في الجمود و التقديس لكل خرافة في الوجود.[32] ويبدو من مستهل القصيدة أنها تعكس إحساس الشاعر المصلح بهذا الواقع بحيث نجد في القصيدة نوعا من اليأس يبدأ بهذا الرثاء للدين فيقول:

ماتت السنة في هذي البلاد　　　　قبر العلم و ساد الجهل ســـاد

و فشا داء اعتقاد باطـــل　　　　في سهول القطر طرا و النجاد

عبد الكل هوى شيخــــــه　　　　جده،ضلوا و ضل الاعتـــقاد [4]

و يتنصل الشاعر المصلح من هؤلاء و يتبرأ منهم و يتوعدهم بيوم القيامة و يعتبر نفسه من أتباع السلف الصالح حيث الاعتماد على الكتاب و السنة .

إنني لست بــــــبدعي و لا　　　　خارجي دأبه طول العـــــناد

بل أنا متبع نهــــــج الأولى　　　　صدعوا بالحق في طرق الرشاد

مذهبي شرع النبي المصطفى　　　　و اعتقادي سلفي و ســـــداد[5]

و يسخر من خزعبلاتهم و شطحاتهم البعيدة كل البعد عن الدين شانا هجومه الشديد عليهم إلى حد أخرجهم فيه من رحمة الله تعالى ماداموا قد خرجوا عن جوهر تعاليم دينه السمحة.

لست من قوم على أصنامهم　　　　عكفوا يدعونها في كل ناد

1-هذه قصيدة للشيخ المولود بن الموهوب يتعرض فيها للبدع و الضلالات التي تفشت في المجتمع الجزائري أنظر القصيدة كاملة في كتاب: شعراء الجزائر في العصر الجاهلي للهادي النوسي ج2 ص42 و ما بعدها.

2-من مواليد بسكرة حائز على شهادة الليسانس و الماجستير و دكتور دولة في الآداب و العلوم الإنسانية من جامعة القاهرة شارك في الثورة المسلحة ثمّ اعتقاله بمعتقل آفلوا في سنة 1956 ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية في بسكرة ثم فرّ ليلتحق بالأوراس مارس التعليم بعد الاستقلال ثم أصبح أستاذا جامعيا منذ 1967 عضو بمجمع العلمي بدمشق ، عضو مؤسس إتحاد الكتاب ، عمل سفيرا للجزائر بدمشق ، عضو في المجلس الأمة و له مجموعة من مؤلفات القيّمة في الأدب و الهوية أنظر عنه : الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز ص : 5.

3-د/عبد الله الركيبي،الشعر الديني....ص590

4-أنظر القصيدة كاملة في جريدة المنتقد 20أوت 1925

5-أنظر المصدر السابق

إنني ألعنهـــم مـــهمـــا بدا　　　　حاضر في أفكه منهم و باد

و أنا خصم لهم أنكـــرهم　　　　كيفما كانوا جمعيا أو فرادا.[1]

ثم ينتهي إلى وصف قصورهم الثقافي و تحجرهم الفكري مقارنا بينهم و بين أسلافهم الذين كانوا علماء أجلاء متمسكين بدينهم و تاريخهم.

و على نفس هذا الدرب درب الإصلاح و التجديد نظم الشاعر و المصلح رمضان حمود [2] قصيدة أبرز من خلالها طريق الانحراف الذي سلكه أولئك الذين دئبوا على التصدي لكل نفحات التجديد التي تحي النفوس و تحت عطاء التصوف الذين يعرفون أصوله و لا شروطه فيقول:

يقدم رجلا ثم يدبر عشرة　　　　و إن سمع الأقدام زاد توقفا

و يمضي على قتل الجديد من أصله　　　　و يرجع للقصر القديم و قد عفا [3]

ثم يبرز مواصفات "الصوفي" في منظار هؤلاء الجامدين غير المواكبين لسير عصرهم فلا يجد إلا: الركود و التحجر،و الاعتقاد الأعمى في كل ما ضوى حتى و إن كان خرافة و النفور من كل جديد حتى و إن كان اجتهاد في الدين .ونهوض بالمسلمين

و يجمد في أفكاره و آرائـــــه　　　　و لو كان ما يبغي اعتقادا مجوفا

يروح و يغدو بين يأس و خيبة　　　　يشير له داء الركود فيسعـــــفا

يرى كل شيء حادث هو بدعة　　　　و ينبذ أشياء الحياة تعـــــــففا [4]

و بعدها يبرز لنا صورة "صوفي" في مظهر مضحك يثير السخرية و الضحك و شر البلية ما يضحك فيقول:

ألا قل له فليتخذ فوق ربوة　　　　مغارا كحجر الضب سجنا و مختفي

هنالك تحت الصخر ينحت كهفه　　　　ويبكي على أفكاره متلهفا[5]

و يختم الأستاذ الشيخ رمضان حمود قصيدته بالدعوة إلى النهضة و العلم و الإصلاح فيقول[6]

و تقريبا هذه الثورة للشعر الإصلاحي على الطرقية و إبراز عوراتها للجمهور و تبيان بعدها الكبير عن

1- أنظر المصدر السابق

2- رمضان حمود من فحول شعراء الجزائر في الثلث الأول من القرن العشرين ولد بغرداية سنة 1906م وتعلم بها ثم بالجزائر ثم تونس ،له ثقافة مزدوجة عربية فرنسية اشتهر بآرائه الثورية و الإصلاية ،له قصائد شعرية ،كما ألف كتاب بذور الحياة "مقالات أدبية اجتماعية موزعة بين وادي ميزاب و الشهاب توفي رحمه الله سنة 1929م للمزيد أنظر الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، المطبعة التونسية، 1344 هـ، ص 169 وما بعدها.

3-أنظر جريدة الشهاب عدد 16 جوان 1927

4- المصدر السابق

5- المصدر السابق

6-المصدر السابق

تعاليم الدين الإسلامي نجده عند الشاعر الطاهر بن عبد السلام[1] عندما ذكر في قصيدته الطويلة ذلك الانحراف عند الطرقيين و انخداع الناس المغرر بهم بأفكارهم السقيمة

لهم طرق شتى بها قد تشرعوا و هم عن طريق الشرع عمي البصيرة
لهم شياطين الأنام عصابـــة تقودهم للنار من غـــــــــير مرية
أنابهم الشيطان عنه لزيفهـــم فهم لضعاف العقل أكبر فتـــــــنة.[2]

ثم يرينا كيف يستحوذ هؤلاء المشائخ الطرقيين على أموال الناس بالباطل تحت عبادة الدين لكي يعيشوا في القصور تنهيكن الحرمات كشرب الخمر وارتكاب الموبقات والفواحش فيقول:

ترى غرر الأموال تجبى إليهم فتصرف في مثل الزنا و السيـــئة
و في شهوات الشيخ أكل و منكح و أنواع الربا و الخـــــلاعـــــــة
و في أضرب اللذات حل و مأتم و ساعات نقد و الفصوص الكريمة [3]
و في ملك دورا و شراء مزارع ممدة الأطراف ذات خصـــــــوبة
و فيما يعد من خمور بـــــدارة لأضيافه الأفرنج أهـــل الوجاهة
و فيما يهاديهم به كل ساعـــــة لتوثيق أسباب الإخاء و المحبة [4]

ثم يبين كيف يعيش هؤلاء المشائخ الطرقيين في قصورهم و يستقبلون زوارهم من معشر الفلاحين في بيوت لا تتوفر على أدنى شروط الحياة فيقول:

و إن جاء يوما هؤلاء إليهم فأكلهم شر الطعام كعجوة
و كلهم يبني القصور ترفا و ينزلهم عند المجيء بحفرة
بها الفأر و الأقذار عناكب كذالك الغبار و الذباب بكثرة
و يفترشون الأرض أما غطاؤهم قصر يذيق القلب شر الأذية [5]

بل إن هؤلاء المشائخ المنحرفين كانوا بسلوكاتهم لا يتورعون عن ارتكاب كبائر الإثم حيث لايتجاسرون على انتهاك أعراض الزائرات من النسوة الغافلات الجاهلات مما يدّل على سوء أخلاقهم

1-من رواد الشعر الجزائري الحديث هو الطاهر عبد السلام بن إبراهيم بن محمد ولد في أواخر العقد الأول من القرن الرابع عشر الهجري تعلم القرآن و أتقن حفظه قبل سن المراهقة انتقل إلى تونس و درس بجامع الزيتونة و درس به، حرر بجريدة النهضة التونسية،كما ألقى دروسا قيمة بسوق أهراس للمزيد عنه أنظر السنوسي الزاهري شعراء الجزائر...جزء 2 ص 49 و ما بعدها.

2-أنظر الهادي السنوسي الزاهري،شعراء الجزائر ....جزء2،ص66

3- المصدر السابق،ص66

4- المصدر السابق ،ص66

5- المصدر السابق،ص68.

و تجردهم من الكرامة.

و تأتيه كل الغانيـــات يزرنه بأفخر ملبوس و أحـــسن زينة
بوجه جميل مشرق ذو تـــورد و طرف كحيل ذو فتور و فتنة
فيظفر ذلك الكلب في وسط داره بسالبة الألباب ذات الرشـــاقة
ينام إذا نامت على عكــــناتها و يمتص ريقها طيبا كالســلفة
يبيت يطوف بين هذي و هـــذه و كل إليه ذات سمع و طاعة[1]

و حتى لا يقدر هؤلاء المتصوفين المزيفين على التأثير في العامة التي ليست على إلمام كاف بأصول دينها،و لا يفتنون بأفعالهم المنافية للشرع لم يتعب الشعراء المصلحون من ملاحقتهم و تحذير الناس منهم حتى يبتعدو الناس عنهم ولا يقعوا في أحابلهم بل كانوا أحيانا يستعملون السخرية و أسلوب التهكم منهم يقول حسن بولحبال[2]

قيل التصوف أصـــــله من بعض زهاد الهنود
قلنا تصوف عصرنا من شر أخلاق اليهود [3]

و يبدو أن هذه الحملات الشديدة من قبل الأقلام الإصلاحية على الطرقية المنحرفة، قد جاءت كرد فعل على ما آل إليه الوضع الاجتماعي، و الديني و الفكري من انحطاط، و امتلاك المصلحين لقنوات بث فكرهم الإصلاحي حيث راحوا يهاجمون خصومهم في عقر دارهم فمنذ ظهور صحيفة المنتقد أخذت تهاجم جمودهم و مواقفهم من الدين و الوطن و استغلت ولاء كثير منهم للإدارة الاستعمارية التي استغلت بدورها ضعفهم و حاجتهم باعتبارهم يمثلون الفكر التقليدي للإسلام فهم يعتبرون: "ضمانا لهذه الإدارة التي تخشى من تسرب الأفكار الإيديولوجية الدينية و السياسية إلى الجزائر من الشرق العربي الإسلامي[4]

و لما أحس الطرقيون بأن ضربات الإصلاح بدأت تدك قبابهم التي كان مريديهم يختلفون غليها ليل نهار و شعروا بأنهم صاروا يفقدون مواقعهم الاجتماعية و امتيازاتهم المادية يوما بعد يوم بعد أن اشتد ساعد الحركة الإصلاحية و تقوى في جهات واسعة و ظهرت العديد من الصحف تبشر بالإصلاح الديني وتدعو صراحة إلى تقويض دعائم الطرقية الضالة راحوا يكيدون للمصلحين.

1- المصدر السابق،ص69

2- مولود بنواحي قسنطينة في حدود سنة 1897م،درس بالزيتونة بتونس شغل معظم حياته بالتدريس،و هو من شعراء الحركة الإصلاحية للمزيد أنظر السنوسي،شعراء الجزائر،جزء2ص78

3- أنظر شعراء الجزائر جزء2،ص78

4- ركيبي، الشعر الجزائري...ص586

يقول الشيخ أحمد حماني[1]:"و لأن حجة ابن باديس و حزبه كانت واضحة مدعومة بنصوص نطق بها الشيخ و نشرها و روجها و أنه لم يتب منها أو يتبرأ من قولها ،و سحبها من السوق فهي لازمة له،عليه تبعتها وتحمل أمام الله و الناس وزرها و لا يسلم من هجمات الدعاة إلى الحق حماة السنة و خصوم البدعة في آواخر1343 هـ 1925 برزت صحافة الإصلاح،كما برزت نسخ طبق الأصل من "ابن باديس وقد تكون لهجتها أشد و أقسى و منها " بيضاوي" [2] المحرر المنتقد و في "الشهاب" فقرروا أن يتجاوزوا الرد الكتابي إلى الرد العملي،و بحثوا عن شخصية "بيضاوي" فلم يعرفوه فصمموا على أن يكون الضحية ابن باديس نفسه و هكذا دبرت مكيدة السطو بابن باديس و تغذت [3].

هكذا دبر الطرقيون من العليويين جريمتهم بليل و أراد أن يضربوا الحركة الإصلاحية في صميمها حتى يهنأ لهم العيش و تخلولهم الساحة لكي يبقى لهم النفوذ و الامتيازات [4] ومنصب الناطق الرسمي باسم الدين لكن يدي المولى كانت فوق أيديهم حيث فشلت خطتهم وأجهضت جريمتهم وانقلب سحرهم على ساحرهم حيث أجمعت الأمة الجزائرية و الإسلاميـــــــــــــة على استنكار الجريمة

1-ولد الشيخ أحمد حماني سنة1333 هـ/الموافق لسنة 1915م بالميلية بنواحي جيجل دخل كتاب القرية حيث بدأ حفظ القرآن الكريم كما أخذ المبادئ الأولى في الفقه و التوحيد على يد والده الذي كان من طلبة الشيخ صالح بن مهنا ، انتقل بعدها إلى قسنطينة حيث حضر دروس الشيح أحمد مرازقة الحبيباتي و في سنة 1931م انضم إلى طلبة الجامع الأخضر و سيدي قموش، التحق بجامع الزيتونة سنة 1939م كما كان يحضر دروسا بالخلدونية ،اجتاز الامتحان في سنة 1940م و كان من الفائزين بتفوق و سجل في القسم العالي بالزيتونة من شيوخه الطيب المتليلي،محمد العنابي،و الهادي بلقاضي،البشير النيفر،الفاضل بن عاشور،كان محررا بالشهاب و البصائر،عاد إلى الجزائر سنة 1944متخفيا عن أنظار الفرنسيين درس في مدرسة التربية و التعليم ثم صار مديرا علميا عليها،ساهم في تأسيس معهد ابن باديس،شارك في الثورة المسلحة و اعتقل في سنة 1915 إلى سنة 1962م و أثناء هذه الفترة أعطى دروسا لإخوانه في السجن،صار عضوا في المجلس الإسلامي في الأعلى منذ تأسيسه سنة 1966م ثم أصبح رئيسا له بعد ذلك ،للمزيد أنظر أحمد حماني، صراع السنة و البدعة جزء2 ص285 و ما بعدها.

2- هو العلامة الشيخ مبارك الميلي.

3- الشيخ حماني، صراع السنة و الددعة جزء1 ص.90

4-كان الكثير من الطرقيين يستغلون جهل العامة فيبتزوها في أموالها ويستغلون أرزاقها حتى يرضون عنها فلما ظهرت حركة الاصلاح وذرف النّاس حقيقة دينهم سقط القناع عن هؤلاء الطرقيين المحتالين وظهروا على حقيقتهم كدجالين وليسوا علماء دين أنظر مقال على بن محمد الشرفي الخنشلي: ماذا تريدون يا أهل العمائم، جريدة البصائر العدد 91-1937.

الشنعاء[1] مما أعطى للحركة الاصلاحية نفسا جديدا و بعدا وطنيا واسعا فقد استنكر الجريمة النكراء الكثير من الشخصيات الإصلاحية و الوطنية مجددين في نفس الوقت تعلقهم بالحركة الإصلاحية التجديدية و من هؤلاء الكتاب المصلحين الذين نددوا بالجريمة الأستاذ الشيخ الطيب العقبي الذي كتب عن حادثة الاعتداء مقالا مطولا في الشهاب [2] تحت عنوان جمعية التآمر بقتل العلماء و الفتك بهم! ! طريقة هي أم عصبة أوباش و لصوص؟أين الحكومة لتحفظ النظام العام؟بعدها جادت قريحته بقصيدة كانت صواعق على رأس الاستعمار و أعوانه تحت عنوان " في ذمة التاريخ أفضح حادث...! " جاء فيها:

عبد الحميد النصـــر قد وافاك رغم المنافس و الذي عـاداك

إني رأيتك للزعامة أهلـــــها و الكل للنظر الســـديد رآك

إن كادت الأعداء يوما أوسطوا فالله جل جـلالــه يرعـــاك

تعسا لهم في جهلهم و ضلالتهم ولكل من في الحق قـد نـاواك [3]

أما الشاعر المصلح محمد العيد آل خليفة الذي ارتاع لهذا الحادث و هزه من أعماقه فقد قرض يراعه قصيدة كلها تنديد بالمجرم المعتدي و إشادة بالمصلح المعتدى عليه جاء فيها:

حمتك يد المولى و كنت بها أولى فيالك من شيخ حمته يد المـــولى

و أخطأ تك الموت الزؤام ،يقوده إليك امرؤ، أملي له الغبي ما أملى

1- ذكر الأستاذ الشيخ أحمد حماني أن مكيدة السطو على الإمام الشيخ ابن باديس وقعت مساء يوم 9جمادى 1345م الموافق ل 14 ديسمبر 1926م و ذلك بعد خروجه من درس التفسير في إتجاه داره ،حيث كمن احمد أحد أتباع الطريقة العليوية للأستاذ الشيخ ابن باديس و فاجأه بضربتين بدبوسة الأولى على الرأس و الثانية تحت العين و كانت الأولى قوية للغاية أراد بها الجاني إسقاط الأستاذ للقضاء عليه ،ولكن العناية الإلهية و شجاعة الشيخ ابن باديس حالت دون ذلك فقد امسك له اليد التي فيها الدبوسة، و اليد التي يسل في الموس بها، و بقيا يتدافعان في وسط الدرج المؤدية هبوطا لداره في مكان خال من المارة و صعودا للنهج العام الذي تكثر فيه المارة إلي أن انتصر الأستاذ و صعد و هو يستغيث حتى صار الجاني يحاول الهروب بعد أن كان يحاول القتل و بقوة الضربتين فشل الإمام و هرب له داخل الزنقة و كانت ذات مخرجين فأمر الإمام بسد المخرجين لئلا يهرب ،و تم القبض على الجاني و بيده الموس في دهليز في الدار التي بها فسكن الإمام و أثناء استطاقة بمركز البوليس وجد عنده تذكرة عودة إلى العاصمة و سبحة عليوبه زيادة على الهيئة المخصوصة لأخوان ابن عليوة تبين أنه من أتباعه ثم بعدها زج به في السجن و يذهب أحمد توفيق المدني أن هذا المجرم جاء من مستغانم و ركب القطار من الجزائر كما دلت عليه بطاقة السفر ،للمزيد عن هذه الحادثة أنظر كتاب أحمد حماني ،صراع السنة و البدعة في جزئين..

2- أنظر جريدة الشهاب عدد 80بتاريخ 20جانفي 1927م

3-أنظر جريدة الشهاب عدد80 بتاريخ 20جانفي 1927

فيا لوضيع النفس كيف تطاولت　　　به نفسه حتى أسرلك القتلا

و كادت يد الجاني (العليوي)تعتلي　　　يد الشيخ،لولا أدركه ،لولا [1]

كما استنكر هذه الجريمة من العالم الإسلامي، جريدة "الشورى" القاهرية التي كان يصدرها الصحفي الكبير محمد علي الطاهر،و جريدة "الفتح" القاهرية ، التي كان يصدرها الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب [2]

ب- جمعية السنة و مؤامرة القضاء على الإصلاح

و مع مطلع عقد الثلاثينات و تأسيس جمعية العلماء المسلمين تكون الحركة الإصلاحية قد دخلت في منعطف تاريخي حاسم خاصة بعد أن تمكنت من أن تفرض نفسها على الساحة بثبات و يثبت المصلحين على مبدأهم الأول فقد صرحوا بأنهم سائرون بهذه الجمعية على المبدأ الذي كانوا سائرون عليه من قبلها ومنه محاربة البدع و الخرافات و الأباطيل و الضلالات و مقاومة الشر من أي ناحية جاء و قد أغاض هذا الطرقيين خاصة بعد أن باتت مكانتهم في نظر الناس تتزعزع بفعل إنتشار الفكر النهضوي فجمعوا كيدهم و حاولوا بطرق احتيالية [3] أن يستحوذوا على الجمعية و يفتكوها من رجال الإصلاح لكنهم فشلوا فشلا ذريعا و خرجوا منها مهزومين مدحورين فقد وقف المصلحون كما يقول الشيخ الإبراهيمي لتلك الهجمة وقفة حازم أنقذت الجمعية من السقوط و محصتها من كل مذبذب الرأي مضطرب المبدأ ، و تألف المجلس الإداري من زعماء الإصلاح و صفوة أنصاره،ورأي الناس عجيب صنع اله في نصر الحق على الباطل .[4]

بعدها راح هؤلاء المنشقين يتحدون في جمعية العلماء من الخارج بعد أن فشلوا في تفجيرها من الداخل فعمدوا إلى تأسيس جمعية موازية سموها "جمعية علماء السنة" و هي اسم على غير مسمى لأنها كانت تعمل خلاف ما جاء في السنة المحمدية الشريفة التي تدعو إلى التزام الجماعة وعدم الخروج عنها يقول الشيخ الإبراهيمي"...لم يقف العلويون أذنابهم عند حد ذلك الهجوم الذي كان أوله كيدا و آخره فضيحة، بل جـــمعوا أمرهم وشركـــــــائهم و قرروا في اجـــــتماع تولى كبره رئيســهم الأكبر

1- أنظر جريدة الشهاب عدد 27جانفي 1927

2- يعتبر واحد من أبرز زعماء المسلمين في العصر الحديث و هو من أسرة آل الخطيب الكبيرة في دمشق ولد محب الدين في منزل بدمشق في سنة 1303هـ الموافق ل 1886م درس بالمدرسة الأميرية بدمشق عاش طفولة صعبة لفقد والده و هو في سن الطفولة رعاه الشيخ طاهر الجزائري واعتنى به أيما اعتناء فكان أبوه الروحي بعد فقده لوالده،عمل في المكتبة الظاهرية و استفاد كثيرا منها ،انتقل سنة 1909 إلى القاهرة و أسس المكتبة السلفية و كان الساعد الأيمن للشيخ علي يوسف في تحرير جريدة المؤيد، و في سنة 1924 أصدر بالقاهرة مجلة الزهراء و أصدر سنة 1926 جريدة الفتح التي استمرت حتى سنة 1948م ،للمزيد أنظر صفحات من الجزائر ص 113و ما بعدها.

3-الشيخ الإبراهيمي ،سجل مؤتمر جمعية العلماء......ص58

4- المصدر السابق ،ص58.

أحمد بن عليوة[1] محاربة جمعية العلماء بكل وسيلة وبكل قوة وتقاسموا ارتكاب ما يحل و ما يحرم في هذا السبيل وانفتقت لهم الحيلة بإرشاد بعض أذناب الإدارة على تأسيس جمعية طرفية معناها و حقيقتها حلولية في باطن باطنها،علمية في ظاهرها و ما يراه الناس منها ليوهموا العامة إنهم يحاربون العلم بالعلم لا العلم بالجهل فبثوا في الزوايا و عبيدها دعوة جامعة إلى تكوين هذه الجمعية التي وصفوها بأنها جبهة قوية تقف في وجه الإصلاح وتنازل جمعيته وجها لوجه ودار لدار بعد أن لم يبق في إسقاطها بالحيلة و الاستلاء عليها بالمكر...[2]

لكن يبدو أن سعي الإدارة الاستعمارية و تعويلها على استبدال جمعية العلماء المسلمين بجمعية طرقيين في ثوب سنين لم يكتب له النجاح من البداية على الرغم من ترئيس الشيخ أزهري [3] على رأسها لأن هذا التيار الثاني ليس له نفس طويل في العمل فضلا أن نيته كانت المحافظة على الأوضاع الدينية كما هي للمحافظة على الامتيازات المادية فلم تعمر هذه الجمعية طويلا [4] وانتهت رغم زعم رئيسها بأنه كان يريد تحقيق الصلح بين الجمعيتين وهو الذي كان من المؤسسين للجمعية الأولى والداعين إليها"..كما نحترم جمعية العلماء المسلمين مادامت محافظة على كرامة جمعيتنا ،ولو كان لنا

1-أحمد بن مصطفى علي و ولد سنة 1874م بمستغانم وتلقى دروسه الأولى بها و في سنة 1909 هاجر إلى الشرق الأدنى و تنقل بين مصر و سوريا و إيران و الهند و دامت رحلته حوالي عشر سنوات و بعد الحرب العالمية الأولى رجع إلى الجزائر و أسس طريقته و كوّن لها زاوية و أصدر جريدة البلاغ لسان حال الطريقة و أصبح له أتباع في الجزائر و بلاد المغرب العربي و اليمن و سوريا والحبشة و أوربا و أمريكا ،ومعتقدات ابن عليوة تقوم بالحلول ووحدة الوجود و هذا القول ليس من عندهم ولكنهم اعتنقه وراح مع أتباعه يروجون و يفتنون الناس فيه، و فحوى هذا المذهب أي مذهب الحلول(أن المولى عز وجل متحد بمخلوقاته)

فهو مذهب أخذت به جماعة من المتصفة المتأخرين كما ذكر ابن خلدون في مقدمة وقد رد عليهم الفقهاء و أهل الفتيا وسفهوا ضلالتهم توفي سنة 1934 للمزيد أنظر الشيخ أحمد حماني،صراع السنة والبدعة اللجزء1 ص161 و ما بعدها،وأحمد توفيق المدني، حياة كفاح جزء 2 ص:......وكذلك مقال منشور بالمجلة الإفريقية تحت عنوان:

un mystique moderniste le cheik benalioua .in revue africaine année 1936 p691

2- أنظر الشيخ الإبراهيمي نسجل مؤتمر جمعية العلماء...ص59

3-المقصود به الشيخ المولود الحافظي الذي سبقت الترجمة له

4-رغم أنها حاولت أن تقوم بمشاريع تهذيبية تربوية حيث بعثت بأعلام إلى كافة طلبة المعلم المنتشرين في أنحاء الوطن و الراغبين في مزاولة التعليم و أسست نادي "الإخلاص" منافسا "لنادي الترقي" وبدأ الشيخ الحافظي و عناصر أخرى في إعطاء دروس و محاضرات أنظر عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات الجزء1،المؤسسة الوطنية للكتاب د،ت ص255 و ما بعدها.

من الأمر شيء لكنا جمعية واحدة،و يدلكم على ذلك أننا وجهنا نداء الإصلاح ذات البين ولكن المقادير أبت إلا أن تكون جمعيتان ..."[1]

ولم يشأ العلماء أن يعودوا بالتاريخ إلى الوراء و لا أن يمحوا من سجل جهادهم سنون طوال قضوها في مقارعة الجهل و الخرافة و لذلك لم يجدوا ثمة معنى لهذه الدعوة إلى الصلح بين الجمعيتين واحدة ترمز للنور و أخرى ترمز للظلام فرفضوا العرض جملة و تفصيلا و من يدري لعلها حيلة وخديعة للاستحواذ على الجمعية يقول الشيخ ابن باديس :" ان نقر الجمعية البدع والمنكرات و تسكت عنها و أن تتشبث الضلال"و هذه الأمور في حد ذاتها هدم للصلح لا مقدمة له لأن قبولها معناه أن تحل الجمعية نفسها [2] ووصف الشيخ الإبراهيمي الحالة إلى انتهت إليها هذه الجمعية المصطنعة من قبل بعض مشايخ الطرق و من خلفهم الإدارة الاستعمارية بما يبعث على الشفقة فقال ".. اصطدمت هذه الجمعية المفروضة على الدهر بأسباب التفرق الجوهرية في أول يوم...ثم خرج مجلس هذه الجمعية بمواكبه إلى الأمم يسألها المال و التأييد ،فقابلته بما يستحق من طرد و مقت ،ولم يمض إلا قليل حتى حلّ الله ما عقدوا وتبر ما شيدوا ،ورأى الناس عبرة العبر في انهيار الباطل وانخذال أهله، وعدّوها من عجائب صنع الله لجمعية العلماء المسلمين و قرأوا قوله تعالى " فأما الزبد فيذهب فنذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" [3]

و إذا عدنا إلى مبادرة رئيس جمعية علماء السنة الداعية للصلح و التوفيق بين الجمعيتين و التي نشرها في الصحف داعيا إلى وضع حد للصراع و الخلاف الدائر حول المسائل الدينية الجزئية مقترحا أن يكون هذا الصلح على أساس الابتعاد عن الخوض في المسائل الخلافية مثل أقوال الأئمة و المذاهب والطوائف و طرق التصوف و العوائد و الزوايا و شيوخها و التدخل في السياسة [4] لم يكن لها معنى وليس لها أساس في نظر العلماء المصلحين ذلك أن شروط رئيس جمعية السنة تعد بالنسبة للعلماء المصلحين تكميما لأفواه آمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر"....إن الشروط التي اشترطها الحافظي غاية ما يقال فيها أنها كمامة ضيقة أراد أن يقيسها على أفواه الآمرين بالمعروف الناهيين عن المنكر في زمان أصبح فيه الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الركن الأعظم الذي يتوقف عليه إصلاح حال الأمة،وعليه ما دامت هذه الشروط فلا صلح بعد إلا رجوع الحق لنصابه واستقامة المشائخ على الطريقة

1- أنظر جريدة النجاح 13- 1- 1933

2-د/محمود قاسم،ابن باديس الزعيم الروحي...ص40

3- الشيخ الإبراهيمي،سجل مؤتمر جمعية العلماء...ص60

4- أنظر جريدة البلاغ الجزائري عدد 292(12-05-19339ص3-4.5- الشيخ أبوا العباس أحمد بن الهاشمي،حول شروط الشيخ الحافظي ،جريدة السنة عدد10.18صفر 1352هـ-12جوان 1933

بالنصح لله و رسوله في أمته ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من يحي عن بينة و أن الله لسميع عليم."[1]

و الحق أن العلماء المصلحين حتى و إن كانوا من حيث المبدأ لا يرفضون الصلح الذي يفضي إلى إنهاء الخلافات و يؤدي لا محالة إلى تقوية عرى الملة المحمدية إلا أن مآخذهم على الطريقتين تتجاوز مسائل الخلاف في الفروع و الجزئيات بل أنها تدور حول مسائل جوهرية في الإسلام لا يمكن لمسلم عاقل أن يناقش فيها فضلا عن أن يكون عالما من العلماء ضف إلى ذلك الموقف السياسي حيث نجد الطرقييون موالون للإدارة الاستعمارية بينما العلماء المصلحون معادون لها.

جـ مآخذ العلماء المصلحين على الطرقيين:

ولعل من ابرز مآخذ العلماء المصلحين على المشائخ الطرقيين ما يمكن تسجيله في النقاط التالية:نظرة الطرقيين ومن لف لفهم آبى الصوفية نظرة قداسة من دون إمعان النظر فيما يقومون به هل موافق للإسلام أم مناقضا له ومجاهرتهم بالعداء لكل من يريد أن يتصدى لتقويم ذلك إلى درجة تفكيره و إخراجه من الآلام بينما ينظر المصلحون إلى التصوف على انه في الحقيقة ليس أصلا من أصول مبادئ الإسلام و لا نزاع في ذلك لان هذا اللفظ لم يستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه و لا بلغنا استعماله عن صحابي و لا وصف به صحابي و لا تابعي و قد قال ابن خلدون انه عن العلوم الشرعية الحادثة في الملة" و أنه كما ذكر الكواكبي [2] في السياسة بأنه " علم واسع جدا ينقسم إلى فنون كثيرة و مباحث دقيقة شتى و قلما يوجد إنسان يحيط بهذا العلم كما انه قلما يوجد إنسان لا يتكلم فيه وإذا كنت عارفا معنى التصوف وتطلب ظهوره في أعمال المسلمين وجدته اغرب من الغراب الأعصم و إذا أردت تصوره من أعمال المنتمين إليه استبان لك انه مفرم على العامة و مغنم للخاصة و هذا المعنى العملي هو الذي أنكره على الصوفية القشيري في رسائله و الغزالي[3] في الأحياء و غير الأحياء والمقبلي في العلم الشامخ و الشاطبي [4] في الاعتصام و الموافقات

1-الشيخ أبو العباس أحمد بن الهاشمي،حول شروط الشيخ الحافظي،جريدة السنة عدد 10-18صفر 1352هـالموافق ل 12جوان .1933

2- ولد في مدينة حلب سنة 1265هـ/1848م ومات سنة 1320-1902 بالقاهرة مسموما، يعد من قادة النهضة السياسية و الفكرية في العالم العربي الإسلامي دعا إلى العدالة و ذاق ألوان من الاضطهاد من قبل السلطة العثماني ،له مؤلفين هامين: أم القرى و طبائع الاستبداد،للمزيد عنه أنظر جدمان،أسس التقديم...ص575

3- الإمام أبا حامد الغزالي(ولد سنة 450هـو توفي سنة 505هـ يعد من أبرز علماء الإسلام في زمانه حيث امتاز بالثقافة الواسعة و شدة اهتمامه بالتربية الروحية و الأخلاقية و محاربة الفلاسفة و تفنيد نظرياتهم كان فقيها صوفيا من مؤلفاته القيمة"إحياء علماء الدين" للمزيد عنه أنظر د/مقدديا بالجن،فلسفة الحياة الروحية..ص112

4- فقيه أندلسي كبير على مذهب الإمام مالك،تميز عن غيره من العلماء والفقهاء باجتهاداته التي تقوم على تحقيق المصالح العامة في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية من مؤلفاته القيمة كتاب " الموافقات "توفي رحمه الله سنة 790هـ للمزيد عنه أنظر حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام جزء

وابن تيمية [1] في رسائله وابن قنيم[2] وابن الحاج في مدخله وزروق [3]في كثير من كتبه كالنصح الأنفع و كالجنة للمعتصم بالكتاب و السنة و كعدة المريد إلى آخره من الكتب و ما جهلناه أكثر مما علمناه منها لأن أرباب المغنم من الصوفية كثير ما يتبرون أتباعهم أهل المفرم في وجه كل داع نصوح وينفرون من مجالسته و مطالعة كتبه فيفضي على كثير من كتب هذا النوع بالتلاشي و الضياع وهذا ما يحاوله صوفية الزمان [4] وقد انتهى الشيخ الميلي بعد مناقشة مستفيقة لمسألة التصوف من حيث أصله وماهيته مدعوما بالأدلة و الشواهد النقلية إلى الخلاصة التالية في شأن التصوف بأنه: أفضل العبادة ما سلمت من التقصير الموروث للغفلة و من الغلو المفضي إلى السآمة أو ترك الاسباب.

2- ا لتصوف يوناني و كل ما نقل عن اليونان من علوم الفلسفة نظرية أو عملية لا يرفض بجملته و إنما يرفض منه ما خالف التعاليم الإسلامية لا فرق في ذلك بين تصوف و غيره...-لا ننكر التصوف المتقيد بالكتاب و السنة و ننظر إلى رجاله و مسائله نظرنا إلى رجال و مسائل بقية علوم الدين كالتوحيد و الفقه فنجل رجال الجميع و لا ننزههم عن الخطأ في بعض اجتهاداتهم و تعتقد صحة العمل بمسائل الجميع كل في فنه و لا نقف حيارى أمام ما قام الدليل على بطلانه منها و الذي هذا من الاجتهاد المستعبد على العلماء منذ أزمان ولكنه من الاختيار يضطر إليه العالم عندما يقف على أقوال من قبله و أدلتهم-نرى في مسائل التصوف دقة و في العمل بها خطورة و لا يسلم منها إلا المضطلع بالكتاب و السنة فرجال التصوف والسنيون الصادقون قليلون جدا و تحذير العلماء من الفلسفة الصوفية كتحذيرهم من الفلسفة الكلامية يريدون بذلك المحافظة على العامة و من قرب درجتهم من الزيغ و لا يقصدون إلى ذم الفلسفة من حيث هي أما صوفية الزمان فللتحذير منهم معنى آخر وهو انهم اتخذوا من تعظيم أسماء المتقدمين والانتماء إليهم قولا لا عملا أحبوله لاصطياد الفلوس[5]وواضح من هذا الذي ذكرناه أن الشيخ الميلي

1- هو تقي الدين أحمد بن تيمية ولد سنة 663هـ/ 1262م في حران ثم انتقل مع والديه إلى دمشق ودرس في المدرسة الحنبلية بدمشق علوم الدين و الفلسفة و الأدب برع في علوم التفسير و الأصول المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب ص37.

-2-هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكير بن أيوب بن سعد بن حرير الزرعي عرف بابن القيم الجوزية يعد من أشهر فقهاء الحنابلة ولد بدمشق سنة 691هوتوفي بها سنة 751هـمن مؤلفاته القيمة"التفسير القيم وهو تلميذ الشيخ ابن تيمية ،للمزيد عنه أنظر خير الدين الزركلي ،الأعلام ج..

3- هو احمد بن محمد أبو العباس البرنسي الفاسي الشهير بزروق صوفي فقيه ولد سنة 846هـ1443م وتوفي بطرابلس الغرب سنة 899 هـ- 1493 م له من مؤلفات: الجنة للمعتصممن البدع بالسنة وعدة المريد الصديق من اسباب المقت في بيان الطريق و شرح الحقائق للمقري للمزيد عنه أنظر،علي علواش،معجم مشاهير المغاربة،جامعة الجزائر1995 ص250 و ما بعدها.

4- الشيخ مبارك الميلي،عود الى الحديث عن التصوف،الشهاب،نشعبان،1351هـ ص 649و ما بعدها

5- المصدر السابق.

متفق كل الاتفاق مع شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يرى بأن غلاة الصوفية قد أخذوا مذاهبهم من غلاة الرافضة.[1]

رفض العلماء المصلحون مفهوم العبادة المجردة عند الصوفية و اعتبروها مناقضة لتعاليم الإسلام القطعية التي لا لبس و لا إبهام فيها يقول ابن باديس "...قد قال قوم أن العبادة دون رجاء و ثواب و لا خوف عقاب هي اكمل العبادات ،و زعموا أن كمال التعظيم لله ينافيه أن تكون العبادة فيها خوف من عقابه أو طمع في ثوابه و أخطأوا فيما زعموا...[2]

و قد اعتبر الشيخ ابن باديس هذا المفهوم الخاطئ للعبادة عند بعض الصوفية القدماء قد تسلل إلى عقول بعض الصوفية على امتداد تاريخ التصوف كله و إلى الوقت الحديث و على يد اتباع الطرق المعاصرين ،ولذلك لم يتردد في أن يكشف للناس حقيقة العبادة المشروعة كما بينها القرآن الكريم وأوضحتها السنة النبوية الشريفة فهما عنده المحك الذي يرجع إليهما عند التنازع في أمر من الأمور[3] فالعبادة المشروعة في الدين إذ هي العبادة الموضوعة على رجاء الثواب و خوف العقاب لما فيها من إظهار عين عبودية العبد لربه و لذلك كانت هي عبادة الكمل من عباد الله و رسوله،و هي عبادة محمد عليه الصلاة و السلام بوصفه خاتم النبيين و المرسلين،و هذه العبادة المشروعة لها أدلتها أيضا من القرآن و السنة فعدده الشيخ ابن باديس بعض أدلة القرآن الكريم و السنة الشريفة على هذه العبادة الموضوعة على خوف العقاب ورجاء الثواب فيذكر منها قوله تعالى:إنما يؤمن بآياتنا الذين إذ ذكروا بها خروا سجدا بحمد ربهم و هم لا يستنكرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا و طمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءا بما كانوا يعملون [4]

ويخلص الشيخ ابن باديس من هذا كله إلى أن الأدلة العقلية و النقلية قد توافرت على أن العبادة المشروعة موضوعة على رجاء الثواب وخوف العقاب من الله،و من ثمة فالعبادة المجردة من الثواب والعقاب و هي العبادة الصوفية مخالفة للعبادة المشروعة و العبادة التي حققها الأنبياء و المرسلون والكمل من عباده الصالحين و لما كانت هذه العبادة المجردة مخالفة للعبادة المشروعة و ليس لأصحابها نص صريح من كتاب الله و سنته يستندون إليه فلا يمكن و الحال كذلك أن تعتبرها عبادة مشروعة لان مشروعيته الشيء لا تثبت إلا بدليل صحيح و صريح عن الشيخ ابن باديس[5]

و يبدو أن هذا النقد الإصلاحي الموجه للصوفية المنحرفة قد أثار جدلا في الأوساط الخارجة عن

1- المصدر السابق

2-الشيخ ابن باديس،المجلد1،من ىثاره ص447

3- الشيخ ابن باديس المجلد4 من اثاره ص .319

4- سورة السجدة،الآيات من 15الى15

5-الجزار،الامام المجدد.....ص87

إطار محيط المصلحين، فقد كتب الشيخ الحافظي(1) مؤاخذا ينتقص كلام الشيخ ابن باديس تقربا للطرقية جاء في الشهاب في تفسير قوله تعالى:" يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم " ما نصه "زعم قوم أن أكمل أحوال العابد أن يعبد الله تعالى لا طمعا في جنته و لا خوفا من ناره " ثم أخذ في رد هذا الزعم فانتصر الحافظي لذلك الزعم بمقال جاء في مقدمته " إن الكاتب يعني بالقوم السادة الصوفية و أن كاتب هذا الفصل هو صديقنا حضرة الأستاذ الشيخ عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين[2]

وهاهنا يتساءل القارئ هل يتوقف تحرير المسألة على بيان الزاعمين هم الصوفية؟ و هل يتوقف على بيان أن الكاتب هو الأستاذ عبد الحميد؟ و هل يتوقف على بيان إن هذا الأستاذ هو رئيس جمعية العلماء المسلمين ؟ و الذي يظهر أن تحرير المسالة لا يتوقف على شيء من ذلك و أن الحافظي ما أراد من تلك البيانات إلا التظاهر باحترام الصوفية و التشييع على الشيخ ابن باديس في تخطئته لهم ورمي جمعية العلماء المسلمين التي يترأسها الشيخ ابن باديس بأنها تؤذي الصوفية و فائدته التي يرجوها من هذه النزاعات هي إرضاء المنشقين عنهذه الجمعية الذين أسسوا جمعية أخرى قدموه لرئاستها،وليس لهؤلاء المنشقين المشاقين غاية اكثر من محاربة الجمعية الأولى فأقام لهم رئيسهم الحافظي بهذا الرد على هذا النحو شاهدا من الشواهد إخلاصه لهم.

و قد اتخذ كثيرا من ذوي الغايات الشخصية التغني بمحاسن الصوفية اكسير القوم و سلاحا على آخرين اتخذوه إكسير للعامة يقبلونها به إلى قطعة ذهبية ينفقون عنها متى شاءوا واتخذوه سلاحا على العلماء الناصحين كلنا خافوا على خرافة الإكسير من الافتضاح[3]

وبحثت جمعية المعارضة عن وسط تعيش فيه فتظاهرت بحماية التصوف و الصوفية لأن العامة و من قرب منهم إدراكا يعتقدون أن الصوفية كلهم صفوة الخلق وهم وحدهم العباد الزهاد وان التسليم لأقوالهم وأحوالهم نجاة ونقد شيء منها خسران .[4]

1- هو المولود ابن الصديق الحافظي ولد ببني حافظ بمنطقة بوقاعة في حدود سنة 1880 تعلم بمسقط رأسه ثم أكمل دراسته بالازهر الشريف حيث حصل على شهادة العالمية، وفي 1922 عاد إلى الجزائر وراح ينشر العلم بمنطقته كما انتصب للفتوى والقضاء بين الناس في كل نزاعاتهم، وعندما تأسست جمعية العلماء كان أحد أعضائها انتخب أول مرة عضوا في مجلس إدارتها وبعد سنة خرج منها ليتولى رئاسة جمعية السنة ذات الاتجاه الطرقي، عمل استاذا بزاوية ابن الحملاوي وقدم حصصا دينية واجتماعية في إذاعة الجزائر توفي سنة 1948. أنظر فضلاء، من أعلام الاصلاح، ج1، ص .75

2- رد الإمام الشيخ ابن باديس على الشيخ الحافظي في مقال طويل ينم عن غزارة في العلم وسعة في الاطلاع بعنوان: ايهما اكمل العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب ام العبادة دونها انظر حسن عبد الرحمن سلو ادي عبد الحميد بن باديس مفسرا ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988ص.193

3-الشيخ مبارك الميلي ،الصوفية و مراتب العبادة رد هجومهم على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،الشهاب شوال 1351 فيفري 1933 ص79 و ما بعدها.

4- المصدر السابق

ولاعتقاد الحافظي بهذه المكانة لدى العامة تظاهر بتعظيمهم و الدفاع عنهم فربط بحثه مع الشيخ ابن باديس في كمال العبادة بالصوفية ليثير عليه في ظنه العامة و قد سبق له منذ سنوات محاولة أخرى مع والشيخ الطيب العقبي اشد و أقوى [1] فلم يتعظ بخيبته فيها.[2] و قد أكد الشيخ مبارك الميلي على صحة استنتاج الشيخ ابن باديس و صدق حكمه و أن كمال العبادة يصاحب الخوف و الرجاء وقد ضرب ابن القيم لذلك مثلا :"القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه ومتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد ومتى قطع الرأس مات الطائر ومتى عدم الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر.[3]

بين العلماء المصلحون المفهوم الحقيقي للولاية[4] كما هي معروفة في الإسلام فاضحين ذلك المفهوم السخيف للولاية و الأولياء الصالحين الذي كانوا يستعملونه فقط للتمويه على الناس العامة الغافلة حتى يبتزونها في أموالها كما ساهم الجهل بقدر كبير في بروز القداسة للأولياء الصالحين أحياء و أمواتا في المشهد الديني و الاجتماعي و الثقافي في الجزائر وكل العالم الإسلامي الحديث.ومن هنا نجد العلماء المصلحين يفرقون بين الولاية الشرعية والولاية الشركية فالأولى كما عرفها الشيخ الميلي فهي الثابتة بين أهل الحق أما الثانية فهي منافية للشريعة الغراء "..علم العلماء الناصحون الفرق بين الولايتين الشرعية و الشركة فأعلنوا به وجهله خصومهم المغرضون و أخفاه من علمهم إيثارا للدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فشوهوا وموهوا ولبسوا ودلسوا وبدعوا وشنعوا ولمزوا ونبزوا ولقن ذلك من أعماه الغرض كل من في قلبه مرض ثم اغتروا فهنئوا نفوسهم بالمحافظة على عقيدة أهل السنة و الجماعة وما سنتهم إلا سنة القبوريين و الطرقيين و ما جماعتهم إلا جماعة المغرورين الطماعين.[5]

وسفه الشيخ الطيب العقبي أولئك المقدسين للأشخاص باعتبارهم أولياء صالحين فبين الولاية بأنها للملتزمين بطاعة الله و العاملين بشرعه"عباد الله هم غير عباد الشيطان و المراد بهم في هذا المقام"

1-عمد الشيخ الحافظي بالرد على كتابات الشيخ العقبي ضد الطريقة المنحرفة باسم مستعار في العدد 27من جريدة البلاغ لسان حال الطريقة العليوية و أمضى مقاله باسم أزهري وهاجم في مقاله هذا أسلوب العقبي القوي ضد الطرقيين حيث وصفه بالغلطة فرد عليه الشيخ العقبي بمقال تحت عنوان "الله اكبر خربت خبير " نشره في الشهاب جاء فيه مهلا على رسلك أيها الحافظيمن جاء النيل المبارك ترفق بي فإني أخوك في البشرية أولا و في الشرقية ثانيا وفي فهم ما يقوله العلماء ثالثا لا تعدني غبيا إلى الدرجة التي خطرت على بالك آخي أنا لست بفظ غليظ إلى الدرجة التي تصورت......بل إن اللين مع الحق و الخشن مع الباطل،ولو حضرت معي تلك المعارك أحيانا لما كنت تأخرت لحظة واحدة في إصدار الفتوى بوجوب مجاهدتهم،ولكنت أول من يغلظ عليهم وتحكم عليهم بالكفر"،انظر الشهاب عدد3،7مارس 1926 نقلا عن مريوش،الرسالة جزء1 ص 65و ما بعدها.

2-الشيخ الميلي،المصدر السابق

3- المصدر السابق

4- أنظر مقال الشيخ أبو يعلى الزاوي. في البدع الاعتقادية. جريدة البصائر.عدد 2/142-12-1938

5- الشيخ مبارك الميلي،رسالة الشرك ومظاهره ،مكتبة النهضة الجزائرية ،الجزائر ط(2)1966،ص117

مقام السنة و الخصوصية عباد لطاعة لا عباد الخلق و الإيجاد وهؤلاء هم الذين سمّاهم الله أولياء و لم تثبت ولن تثبت الولاية في وقت من الأوقات لغير عباد الطاعة الذين ليس للشيطان عليهم من سلطان ولا سلطان لأنهم عصوه و كفروا به و أطاعوا الله وعبدوه وحده مخلصين له الدين(1) و نعي على الذين غرر بهم فعادوا إلى الجاهلية من الذين اعتقدوا أن تقديس قبور الصالحين (2) وبناء المساجد عليها وتقديم القرابين إليها والاعتقاد بنفعها وضرها وهم يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى داعيا إياهم بالرجوع إلى جادة الصواب والابتعاد عن ممارسة الطقوس الخرافية التي ترمز إلى الشرك والوثنية "..لا تحسبوا أيها الجاهلون و الأغرار و المخدوعون أن محبة الأولياء و الصالحين هي تقديس تلك القبور التي بنوا عليها المساجد واتخذوها آلهة من دون الله أو مع الله،ولا احترام تلك الأشجار التي نسكوا لها النسائك وقربوا لها القرابين بدعوى أنها تتصرف في الكون وتعطي وتمنع وتضر وتنفع ولا تعظيم تلك الأشجار بإلقاء الخرق عليها و إيقاد النار لتبخيرها بطيب البخور و إسراج الشموع حواليها واجتماع الرجال و النساء في حالة تمجها الطباع وتنفر منها الأذواق عندها ولديها مع ما يتبع ذلك يصحبه من طرب والدف "البندير" والشر المستطير و الفساد الكبير..."(3)ثم دعاهم إلى أن يكونوا هم عباد الله الصالحين عندما يقلعوا نهائيا عما يفعلونه من أمور لا علاقة لها بالولاية و لا بالصلح فيقول:"....لا تحسبوا هذا و ما نتم فاعلون عند تلك القبور و تلك الأسماء التي سميتموها انتم و آباؤكم و ما انزل الله بها من سلطان من الولاية و الصلاح ومحبة الصالحين في شيء بل كونوا انتم أنفسكم من الصالحين وكونوا مع الصادقين واعلموا أن الصالحين هم الذين بينهم الله......و علاماتهم المذكورة في كتابه الكريم وشرع نبيه المستقيم......."(4)

وواضح أن هذه الثورة الإصلاحية على الفهم الطرقي الخاطئ للولاية و الأولياء الصالحين تتفق مع الدعوة الوهابية التي تنظر إلى ما يرتكب أثناء زيارة القبور و القباب من دعاء صاحب القبر والاستعانة به و طلب الحاجات و استمداد البركات منه ثم وضع النذور في صندوقه وسوق الذبائح إلى ساحته و الإهلال عليها باسمه إلى غير ذلك مما لا يشك مسلم في انه شرك صريح .(5)

عارض المصلحون مفهوم الزهد عند الصوفية واعتبروه منافيا لتعاليم الإسلام القائمة على كتاب الله و سنته -صلى الله عليه وسلم- حيث نظروا إلى زهدهم على انه نوع من الرهبانية التي لا دليل لها ولا اصل لها في الإسلام وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد تبرأ من مدعيها و العاملين بها، فقد اعتبر

1- الشيخ الطيب العقبي،السلام علينا و على عباد الله الصالحين، جريدة السنة عدد 7(27 ماي 1933).

2- انتقد ما كانت النسوة تقمن به م منكرات على الاضرحة بمقبرة القطار بالعاصمة، أنظر: Jacques Berque , op.cit, p 185.

3- المصدر السابق

4-المصدر السابق. و أنظر كذلك مقال الشيخ أبو يعلى الزواوي ،نحن الاصلاحيين وخصماؤنا البصائر عدد 5. 31 جانفي.1936

5- أنظر/ محمد خليل هراس،الحركة الوهابية مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ص17

الشيخ ابن باديس أن العبادة الكاملة لله و المشروعة لا تعني حرمان الإنسان من التمتع بالطيبات من الرزق و هو ينطلق في مفهومه هذا من فقهه لقوله تعالى:"أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم "فالطيب هو ما صلح واعتدل في نفسه وسلم من كل ما يفسده و يخرجه من اعتداله واصل خلقته وكان مستلذا للنفوس ولا كذلك الخبيث فهو المستقذر حسا و عقلا[1]

كما عارض الشيخ ابن باديس أعراض بعض صوفية زمانه عن الزواج واعتبر ذلك منافيا لقيم الإسلام حتى وان كان قصدهم التفرغ للعبادة"...وقد رأى قوم من الزهاد رجحان الانقطاع إلى العبادة على النزوح و الاشتغال بالسعي على الزواج و الذرية فرد عليهم أئمة الدين و الفتوى بان في التزوج اتباعا للسنة و في السعي على الأهل ما هو اعظم منالعبادة و في التزوج تكثير سواد الأمة و المدافعين عن الملة و القائمين بمصالح الدين و الدنيا،و في هذا ما فيه من الأجر و المثوبة،وفي التبتل مخالفة السنة وانقطاع النسل وضعف الأمة و تعطيل المصالح وخراب العمران وكفى بهذا كله شرا وفساد..."[2]

ورد الشيخ الميلي على مدعي التصوف في زمانه أو المدافعين عنهم مستشهدا بأدلة نقلية لا تقبل النقض حيث بين عدم صواب الانقطاع للعبادة من الناحية الشرعية وكشف عن خطأ"الصوفي"المستشهد بخبر أهل الصفة بالآية القرآنية الكريمة واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم و آية و قليل من الليل ما يهجعون و آية و الذين هم على صلواتهم يحافظون و آية رجال لا يلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله وآية و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدوني و قد استشهد الشيخ الميلي في أبطال مزاعمهم بما ورد في الصحيحين عن انس رضي الله عنه و اللفظ للبخاري انه قال :" جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما اخبروا كأنهم نقلوها فقالوا: وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم- من قد غفر الله له ما تقدم و ما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني اصلي الليل كله أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر و لا افطر وقال آخر وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء إليهم النبي -صلى الله عليه وسلم-فقال انتم الذين قلتم كذا و كذا ؟أما والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له لكني أصوم و اصلي و ارقد و أتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني[3]

أما التدليل بأهل الصفة[4] فهو يدل على الجهل ذلك أن أهل الصفة ألجأتهم إليها الضرورة لا فضيلة الانقطاع للعبادة و لذا فارقوها لما زالت الضرورة ووجدوا ما يستغلون به من الكسب[5]

1- الشيخ ابن باديس ،مجلد 2،ص264 آثاره

2-الشيخ ابن باديس مجلد 7من آثاره ص454

3- الشيخ مبارك الميلي،عود إلى الحديث عن التصوف الشهاب شعبان 351هـ/ص650-651

4-وهي صفة مؤخرة المسجد الرسول-صلى الله عليه وسلم- التي بناها الفقراء المسلمين الذين لا ملجأ لهم و لا عمل فكانوا يتعبدون فيه و يأكلون فيه مما يقدمه لهم الأغنياء ،أنظر مقداد بالجت ،فلسفة الحياة الروحية ص71

5- الشيخ الميلي، المصدر السابق،ص652.

انتقد المصلحون مذهب "الحلول"[1] وروى فيه خطرا كبيرا على الإسلام لا يحتمل السكوت عليه في نظر ابن باديس فقد سرت إلى عقول بعض المسلمين عقيدة الحلول بفعل المروجين لنا من أتباع الطريقة العليوية في الجزائر[2] و الدليل على هذا أن الشيخ الطيب العقبي لما رد على هؤلاء الاتباع مبكرا عليهم دعواهم شكره ابن باديس في خطاب له فقال(..فليتقدم إلينا الجلوليين وشيخهم ومن لف لفهم وكثر سوادهم في اليوم الموعود والمكان المعين لهم و ليبادروا إلى إعلان ذلك في جريدتهم أن كانوا صادقين فان لم يفعلوا واحسن لن يفعلوا فقد خفت عليهم كلمة العذاب وكانوا من الظالمين)ولم يكن الاعتقاد بالحلول شيئا هينا في نظر ابن باديس فتحت أستاره ادعت بعض الطوائف المنحرفة في الإسلام النبوة وكادت أن تسري معتقداتها لدى بعض صوفية الطرقية من القائلين بالحلول وقد كان منهم كما يقول ابن باديس قبيلة الباب الذي تنسب اليه البابية[3] واليها تنسب إليه البهائية[4] وغلام القاد باني واليه تنسب القاديانية[5] وقد كادت هذه القاديانية كما يقول ابن باديس أن تدخل الجزائر على يد طائفة الحلول وشيخها لولا أن قام في وجوههم العلماء المصلحون وكما رأى ابن باديس في اعتقاد بعض الطرقيين بالحلول أمر يهدد سلامة العقيدة في قلوب المسلمين فكذلك رأى أن غلو بعضهم -الطرقية-في العبادة المجردة من الثواب و العقاب شيئا خارجا عن الإسلام وهي في نظره عقائد وفلسفات خيالية من خيالات وحدة الوجود

1-يعني نزول الله وحلوله في بعض المصطافين من عباده فهو عكس الاتحاد الذي يعني صعود الإنسان بروحه الطاهرة و الاتصال بالله أو الاتحاد معه،و أما الحلول فنزول الله وحلوله في عباده أو أوليائه الصالحين، وهي أمور منافية جملة وتفصيلا للإسلام انظر الياجن الحياة الروحية،ص88

2- أنظر ردود رجال الاصلاح على خصومهم مقال: براءة القبائلين من شيخ الحلول وتلميذه الحافظي ومن تبعهما ،جريدة الصراط عدد 2 سبتمبر 1933 وبنفس العدد مقال الشيخ أبو يعلى الزواوي، بلاد القبائل والطريقة الحلولية ، وكذلك مقال براءات القبائليين من الشيخ الحلول والحافظي من ينعهما بجريدة الصراط عدد 5-16 أكتوبر 1933

3- مؤسس اليابية هو الميرزا رضا الشيرازي نسبة إلى مدينة شيراز بإيران ولد سنة 1235هـ و من القائلين بوحدة الحلول كما يعتقد البراهمة من الهنود و الباب هو مظهر جميع الأشياء وكل الرسالات تجمعت فيه وهو بالتالي يقترب من طائفة الإسماعيلية اباطنة ويعتقد الباب أن روح الله قد حلت فيه وهي معتقد مناقض تماما للإسلام للمزيد انظر الجزار،الإمام المجدد ص.33

4-مؤسسها هو الميرزا حسن بن الميرزا عباس يزدك المازندراني ولد سنة1233 هـ وكان يعاشر بعض الصوفية واطلع على كتبهم واتصل بالباب عن طريق واحد من دعائه توفي ودفن في مدينة عكا سنة 1309هـ موحيا بعده بالأمر إلى ابنه عباس الذي سماه عبد البهاء ومن اعتقاداتهم أن الأنبياء والرسل مظاهر الأسماء الإلهية وفي ذلك ما يقربهم من مذهب وحدة الوجود انظر الجزار،الإمام المجدد،ص33-34

5- مؤسسها هو ميرزا غلام احمد القاد باني ولا يعرف تاريخ ميلاده و إن قال البعض سنة1840 م وهو ينسب إلى قاديان وهي مدينة تقع على 60ميل من لاهور بباكستان للمزيد انظر الإمام محمد أبو زهرة تاريخ المذاهب الاسلاميةالجزء1ص250-252

الهندية شغل بها بعض الصوفية أنفسهم وجعلوها على مراتب العبودية متأولين لها قوله تعالى يريدون وجهه[1]

- اعتبر العلماء المصلحين طريقة الذكر و مجالسه عند الصوفية من الأمور التي لا أصل لها في الشريعة الإسلامية،هي محص مبتدعات من عند أنفسهم ما انزل الله بها من سلطان تضاف إلى باقي المظاهر التي ذكرناها سابقا من تحريم البدع ،و العزوف عن الزواج،والامتناع عن طلب الرزق والسعي إليه،بل الأمر تعدى إلى الانقطاع إلى الخلوات .

- والاعتكاف على الأوراد و الأذكار التي ابتدعوها من عند أنفسهم على حساب التفكير الذي يعد من أعظم أذكار القلب يقول الشيخ ابن باديس"....وربما بالغ قوم في بعض أذكار القلب و الذكر اللسان أحد وسائله ،فتشغلهم الوسيلة عن المقصود وليس ذلك من هذي من كان-كما تقدم-دائم التفكير وقد يؤديهم الذكر اللسان بالألوف إلى الانقطاع عن مجالس العلم و الزهد في التعلم فيفوتهم ما قد يكون تعلمه عليهم من فروض الأعيان وليس من سداد الري وفقه الدين إهمال المفروض اشتغالا لا يغير المفروض[2]بل أن اذكارهم كثيرا ما تكون خارجة عن تعاليم الاسلام حيث انحدر الذكر إلى مرتبة أدنى من ذلك حيث انقلب إلى أعمال تقرب من الدجل والشعوذة مثل أكل الحيات والأفاعي وشظايا الزجاج واللهب، ووخز البدن بإبر من الحديد المحمي بل أن بعض مشائخ الصوفية لم يتورع عن ادخال صنوف المخدرات والمسكرات إلى حلقات الذكر ، زاعمين أنها تقرب الحاضرين من النشوة وتسررع بهم إلى الوجد والشطح والغناء.

كما انتقد الشيخ العربي التبسي اختراع ابن عليوة الخلوة لاتباعه[3] و فند ابتداعه هذا في مقال تحت عنوان الخلوة العليوية هل هي من الإسلام؟ كشف فيه عن جملة البدع و الخرافات المضللة للناس والمنافية للعبادة الحقيقية فعلى لسان أحد الذين عايشوا هذه المشاهد الخلوتية بذكر الشيخ التبسي هذه الصفة فيقول"...ثم أني ذكرت المخبر بسابق الاخوة التي كانت بيننا أن لا يضن علي بكلمات فيما يرونه من هذه الخلوة مما يسمونه فتحا و تكشفا وحالا و مقاما فأخذ يذكر لي من ضروب التخيلات و أنواع المصطنعات ما يتحاشى أقل مخلوق يملك حشاشة من حياء يرضاه لنفسه فضلا عن أن يعد هذا سيما عباد الله المقربين و لكن(من يهديه الله فهو المهتدي و من يضلل فلن تجد له وليا مرشدا)[4]

1- انظر الجزار،الإمام المجدد......ص33-.34

2-الشيخ ابن باديس،المجلد 1من آثاره ص 136

3- أنظر عن عدم وجود الخلوة في الاسلام مقال الشاذلي المكي.معركة بين مصلح وطرقي جريدة البصائر العدد 149(20-1-1939)..

4-الأمام الشيخ العربي التبسي، مقالات في العودة إلى النهضة الإسلامية، في الجزائر، جمع و توثيق و تعليق د/شرفي أحمد الرفاعي،دار البعث ط(1)1402هـ1981 ص78-79

كما رد الشيخ العربي التبسي على دعوى رجال الطرق في تحديد أوقات الأذكار و عددها حيث رأى فيها بدعة مخترعة لا أصل لها في الدين الاسلامي وفي ذلك يقول ردا على هؤلاء"...و إن قلتم تحديدا مخترعا مبتدعا لا لمزية شرعية معتبرة ،قلنا لهم : حددوا في غير حفظ الله و طاعته، واعلموا أنكم في تحديدكم اعتديتم على الدين بزيادة لم تأذن فيها الشريعة وافسدتم ما فيها من حكم عالية و غالية مودعة في كل فضيلة من فضائل هذا الدين.."[1]

-انتقاد أدعياء التصوف أو بعض الأتباع منهم في نظرتهم لكرامة الأولياء الصالحين حتى استقر في أذهان الكثير من العوام بأن للأولياء كرامات واجبة لهم و أنه محال أن يكون الإنسان وليا بغير صدورهذه الأمور منه (2) و قد حذر الشيخ ابن باديس المسلمين من عقيدة الجزم بالكرامة و الجنة لغير من نص عليهم النبي (ص) بل لا ينبغي لمسلم أن يجزم بالكرامة لأحد وإن كان عظيما [3] فالشيخ ابن باديس في حقيقة الأمر لا ينكر كرمات أولياء الله و شأنه شأن السلف الصالح أهل السنة و الجماعة،لكنه يخاف أن يرتبط في أذهان عامة الناس حدوث مثل هذه الأمور من كل المنتسبين للصوفية و من ثم ينصرفون إليهم على اعتقاد منهم أن كل أمورهم ستكون مقضية ومتحققة بفضل كرامتهم ومن ثم ينسون العمل و يركنون إلى الدعة و الكسل و البطالة في الوقت الذي يطمح فيه الشيخ ابن باديس أن يسخر كل الجهود و السعي إلى العمل و الجهاد لمقاومة الاستعمار الفرنسي دفاعا عن العقيدة والوطن و لا يتحقق ذلك عنده باالكرامات و إنما يجيء بالعمل و الجهاد والأخذ بالأسباب و توحيد كل طاقات الأمة[4] و يذهب الشيخ الميلي و هو يستشهد بقول الإمام عبده أن الكرامة ليست لازمة في الإسلام بعد ظهور الإسلام حيث يجوز لكل مسلم بإجماع الأمة أن ينكر أية كرامة كانت من أي ولي كان و لا يكون بإنكاره هذا مخالفا لأصول الدين و لا مائل عن سنة صحيحة ولا منحرفا عن الصراط المستقيم.[5]

و ينتهي إلى وصف حال الكرامة عند العامة في زمانه وكيف صارت خارجة عن كل الأصول الشرعية مستشهدا بقول الإمام محمد عبده فيقول:" ...أين الأصل المجمع عليه مما يهذي به جمهور المسلمين في هذه الأيام حيث يظنون أن الكرامات ،و خوارق العادات ،أصبحت من ضروب الصناعات،يتنافس فيها الأولياء و تتفاخر فيها الهمم الأصفياء و هو مما يتبرأ منه الله و دينه، وأولياؤه،و أهل العلم أجمعون[6] كما أعاب الشيخ الميلي على أدعياء التصوف إيمانهم بلباس الخرقة فذلك

1- المصدر السابق،ص101

2-قد يكون الباعث على استطناع الكرامات التنافس على كسب الأنصار بحيث دفع الكثير من المرابطين و شيوخ الزوايا إلى ترويج الكرامات كلّ واحد منهم ينسب لنفسه أو ينسب له أتباعه عددا من الكرامات لزيادة عدد أنصاره و بالتالي زيادة النفوذ الأدبي و زيادة إيرادات زاويته عن طريق الزيارة (زيارة) و حبس العقارات و لم يقف الأمر عند حدود التنافس على إثبات نسب الولي لهذه القبيلة أو تلك و إنما تجاوزها إلى المباراة حول إثبات الكرامات و خوارق العادات إلى ألائك الأولياء و كلما زادت كرامة ولي زاد انتشارها كلما ازادت شهرة و تقديسا و من هنا نتبين سرّ كثرة الأولياء و الأشراف أنظر العيد مسعود نفس المرجع ص 21 –22.

3- الجزار،الإمام المجدد ص114

4- الجزار،الإمام المجدد،ص 115

5- الشيخ الميلي، رسالة الشرك....ص122

6- المصدر السابق ،ص122

عنده ليس له أساس من الشرع في خبر صحيح و لا حسن و لا ضعيف إن النبي -صلى الله عليه وسلم لبس الخرقة لأحد من أصحابه و أنه من الكذب المفتري الأدعاء بان عليا ألبس الخرقة الحسن البصري ورأي الشيخ الميلي هنا قريب من رأي الشيخ ابن تيمية الذي يرى أن لباس و إلباس الخرقة ليس لها اصل تدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب و السنة.[1]

و انتقد الشيخ الميلي الطرقية أيضا في قضية الترفع عن التكاليف الشرعية و الترخيص لاتباعهم في الرضوخ لأهوائهم و ضمان الجنة للصادقين في خدمتهم و هذا ما نجده مؤكدا عند الشيخ ابن تيمية في زمانه حيث أنكر على المتصوفة مزاعمهم بسقوط بعض الواجبات الشرعية عنهم كالصلوات الخمس و الجماعات و الحج و أنكر على من يستحل الفطر في رمضان بغير عذر شرعي و من يستحل الخمر زعما منهم أنها إنما تحرم على العامة و يعقب على هذه المزاعم بقوله فمن كان من قوله هو أنه شيء ولا يحرم عليها شيء فهؤلاء أكفر أهل الأرض[2]

كانت سلوكات و قناعات هؤلاء الطرقيين المعادين للإصلاح قائمة على الأنانية و النزعه الفردية واستحكام الأنانية في نفسية مشائخها حيث ينظرون فقط إلى المنتمي لحضرتهم بأنه المسلم المستقيم وانهم يتحملون أوزار الذنوب التي يرتكبها اتباعهم كما أنهم يشكلون مصدر تفكيك للمجتمع من فرط تعصب كل شيخ لطريقته و كل طريقة كانت تنكر الطريقة الأخرى و بل وصل الأمر إلى حد أن رؤية فرد ينتمي إلى طريقة في حلقة ذكر لطائفة أخرى ينتج عنه مقاطعته و هجرناه كما أن الصلاة خلق أمام خارج الطريقة ممنوعة وباطلة تجب إعادتها و لا يمكن لشخص ينتمي إلى هذه الطريقة أن يتزوج من بنت من طريقة أخرى و العكس صحيح بل ووصل الأمر بهؤلاء الطرقيين إلى إحداث تقاطع صلة الرحم بسبب الانتساب لهذه الطريقة أو تلك[3]

- فشل مشائخ الطرق الصوفية المبتدعين في التصدي للعلماء المصلحين بالحجة و الإقناع فراحوايستعملون في العنف اللفظي[4] و الجسدي للمحافظة على مواقعهم وامتيازاتهم و هالة قداستهم في أوساط العامة من الناس التي بدأت تتأثر بروح الإصلاح وتبتعدعن قباب هؤلاء الطرقيين و المتربطين شيئا فشيئا و قد استنكر الشيخ الطيب العقبي على لسان حركة الإصلاح أسلوب العنف الجسدي الذي كان الطرقيون العليون يقومون بهضد العلماء المصلحين بمناسبة الاعتداء على الشيخ الزاهري على يد العليويين وفي ذلك يقول "...و كانت الطريقة السابقة الى استعمال هذه الوسيلة الملعونة طريقة العليويين

1- د/ عبد اللطيف عبادة،الشرك و مظاهره عند الشيخ مبارك الميلي و شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية،دراسة مقارنة ،مجلة الثقافة عدد85(1985ص133

2- د/عبادة،المرجع السابق،ص34-135

3- انظر الشيخ محمد السعيد الزاهري،اعترافات"طرقي" قديم جريدة الصراط عدد7(11 سبتمبر 1933)

4- أنظر محاولة الحط من سمعة العلماء المصلحين من قبل صحيفة"المعيار" لسان حال الطرقيين المنحرفين عن جادة الإسلام مذكرات عبد الرحمن العقون الكفاح القومي و السياسي الجزء 1 ص269 و ما بعدها

التي سنت لغيرها من رجال الطرق هذه السنة السيئة،وهذه هي سنته العليويين التي عليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من وزرهم شيء، و ليس من القراء من يجهل اعتداءاتهم المتكررة على رجال العلم و الدين و قد كنا نحسب أن مثل هذا الاعتداء ينتهي بعد حادثة ذلك العليوي الجاني على الأستاذ الشيخ(عبد الحميد بن باديس) واقتص في يد العدالة بما مصيره عبرة لغيره و موعظة للمعتدين فإذا به يتجدد مرة ثانية فقد جاءتنا أنباء اليوم بفاجعة جديدة و جناية فضيعة تضاف إلى الجنايات رجال الطرق السابقة حيث اعتدى بعض الطرقيين على الأستاذ الزاهري في هذه الأيام بمدينة وهران....صاحب الكتابات الكثيرة ضد الضالين المضلين بما ذكرته جريدة الشريعة التي له اليد الطولى في تحريرها[1]

و قد اعتبر الشيخ العقبي هذا العنف الجسدي من الطرقيين دليل فشلهم و استنفاذ كل ما لديهم من صنوف الكيد ضد الإصلاح و المصلحين..."وان ما يبذلونه من الجهود في الكيد لنا قد ذهب هباء منثوراوان مكائدهم في صد الأمة عناق قد تلاشت و مساعيهم في مراغمتنا بقوة رجال الحكومة قد أخفقت تماما و ذهبت أدراج الرياح و لولا ذلك كله لما عمدوا إلى هذه الوسيلة المرذولة و لما تصدوا إلى قتل الحركة الاصلاحية و القضاء على جمعيتنا العلمية الدينية في أشخاص رجالها الأحرار....[2]

حاول مشائخ الطرق المنحرفيين و أعداء الإصلاح أن يضعفوا و ينسفوا و أن يزعزعوا ثقة الناس في العلماء المصلحين فينفضوا عنهم فراحوا يطلقون عليهم التسميات التي لم يسم العلماء بها أنفسهم فاتهموهم بأنهم عبارة عن خوارج أي خارجين عن أهل السنة و الجماعة كما أطلقوا عليهم تسمية عبدويين واتهموهم كذلك بأنهم وهابيين و هي نفس التهم التي كانت تلصقها الإدارة الاستعمارية بالعلماء المصلحين منذ ظهور حركة الإصلاح و لا قصد من ذلك سوى إظهار المصلحين كمستوردين لأفكار أجنبية والترويج لدعايات الشرق و أن هدفهم الذي يريدون أن يصلوا إليه يخفونه و هو سياسي استقلالي و أن تظاهروا بأنهم لا يتعاطون السياسة كون جمعيتهم دينية يحضر عليها النشاط السياسي[3]ورد الشيخ

1- الشيخ الطيب العقبي،نحن و الطرقيون أو حادث الاعتداء على الأستاذ الزاهري جريدة الشريعة عدد6(21أوت 1933)

2-المصدر السابق

3- اعتبر الجامدون من مشايخ الطرقيين المنضوبين تحت جمعية السنة صدور المرسوم الفرنسي الذي يمنع العلماء المصلحين من التدريس في المساجد الرسمية بمثابة عملا وجيها و ضروريا بقطع الطريق على العلماء المشوشين المثيرين الاضطرابات ضد الإدارة الاستعمارية"...أيتها الحكومة الفجيعة أن مبدأ الإخلاص يوجب علينا النصح الخالص و الصراحة النزيهة ،وقد تعرفين رؤوس الفتنة حق المعرفة مثلما نعرفهم نحن فاعتبريهم وحدهم المسؤولين عن التشويش و بإدانتهم تعود السكينة إلى البلاد كما كانت قبل ظهور هذا الزيف الزائغ وانضمامه إلى أرباب المطامع الانتخابية و ان دلّ هذا على شيء فإنما يدّل على ذلك الولاء المطلق للاستعمار الذي ببقائه تبقى مصالحهم وامتيازاتهم و لذلك لاا تستغرب تحريضهم للإدارة الاستعمارية على رجال الإصلاح فبالنسبة لهم عدو العدو صديق أنظر النص جريدة الإخلاص عدد12 1351هـ 1933م عن ابن العقون ،الكفاح القومي،الجزء 1ص406

ابن باديس على الذين يتهمون العلماء بأنهم عبوديين و وهابيين و تحدث هو نفسه حيث رأى في هذا الاتهام ظلما وخاصة انه كما يقول لم يعرف كتابا واحدا لابن عبد الوهاب و لا يعرف عن ترجمته إلا القليل بل لم يشتري كتابا من كتبه و إنما هي أفيكيات قوم يهرفون بما لايعرفون و يحاولون من إطفاء نور الله مالا يستطيعون(1) و سنعرض عنهم اليوم وهم يدعوننا "وهابيين" كما أعرضنا عنهم بالأمس وهم يدعوننا "عبوديين" و لنا أسوة بمواقف أمثالنا مع أمثالهم من الماضيين [2]

كما كشف الشيخ الإبراهيمي النقاب عن زيف إدعاء أعداء الإصلاح في اتهامهم للعلماء بأنهم لا يعدون أن يكونوا اتباعا للوهابيين رغم أن المصلحين لم يدعوا في يوم من الأيام إلى الوهابية و أن توافقت أفكارهم الإصلاحية مع التعاليم الوهابية فوضح هذا الافتراء و بين زيفه و الذي لا قصد من وراءه سوى الرغبة في النيل من الحركة الإصلاحية "...أن العامة لا تعرف من مدلول الكلمة"وهابي" إلا ما يعرفها به بهؤلاء الكاذبون و ما يعرف عنها هؤلاء إلاّ الاسم و الشهر خاصة لهذا الاسم و هي انه يذيب البدع كما تذيب النار الحديد و أن العاقل لا يدري مما يعجب؟ أمن تنفيرهم باسم لا يعرف حقيقته المخاطب منهم و المخاطب أمن من تعمدهم تكفير المسلم الذي لا يعرفونه نكاية في المسلم الذي يعرفونه فقد وجهت أسئلة من العامة الى هؤلاء المغترين من "علماء السنة" عن معنى الوهابي فقالوا هو الكافر بالله و برسوله كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا.."[3]

و يطلب الشيخ الإبراهيمي من هؤلاء الذين ناصبوا العداء للوهابين حتى وان لم يعروفهم بضرورة فهم عقيدتهم القائمة على الكتاب و السنة و محاربة البدع " يا قوم إن الحق فوق الأشخاص وأن السنة لا تسمى باسم من أحياها و أن الوهابيين قوم مسلمون يشاركونكم في الانتساب إلى الإسلام ويفوقونكم في إقامة شعائره وحدوده ويفوقون جميع المسلمين في هذا العصر بواحدة وهي انهم لا يقرون البدعة وما ذنبهم إذا أنكروا ما أنكره كتاب الله وسنة رسوله وتيسر لهم عن وسائل الاستقامة ما قد رؤا به على تغيير المناكر؟.....

إننا نجتمع مع الوهابيين في الطريق الجامعة من سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وننكر عليهم غلوهم في الحق كما أنكر عليكم غلوكم في الباطل فقعوا أو طيروا فما ذلك بضائرنا و ما هو بنافعكم..."[4]

ويؤكد الشيخ الإبراهيمي بطلان ما يزعمه هؤلاء الطرقيون من أن صواب الفكرة في قائلها بينما جمعية العلماء ترى بأن المبد أإن لم يقم به فلان قام به غيره وفرق عنده بين جمعية تدعو ويقصد جمعية

1- يعتبر الامام ابن باديس أن الوهابيين ليسوا مبتدعين لا في الفقه ولا في العقائد ولا فيما دعوا إليه من الاصلاح، وإنما ننكر عليهم الشدة والتسرع في نشر الدعوة، وما فعله جهالهم. أنظر (قسنطيني)، النجاح، عدد 181 ، 1924./11/7

2- الشيخ عبد الحميد ابن باديس،الجزء3 من آثاره ص.28

3-الشيخ البشير الإبراهيمي،تعالوا نسائلكم جريدة السنة عدد5(5جوان 1933)

4- المصدر السابق

وإلى الإصلاح وقائمة على مبدأ وهو يقصد جمعية العلماء و جمعية لا هدف لها"...نحن نرى أن الإصلاح مبدأ و فكرة وانتم ترونه زيدا وعمرا، ونحن نرى أن هذه الفكرة أو هذا المبدأ أن لم يقم به فلان قام به غيره و انتم ترون انه أن لم يكن فلان لم يكن مبدأ (1) .

أما الشيخ الزاهري فقد ردّ على دعايات الطرقيين من خلال إبرازه للشعب معنى الوهابية،ودورها في إحياء الأمة الإسلامية بعيدا عن كل أشكال الدجل و الخرافة فقال:".....الوهابيون حنابلة سنيون بأتم معنى الكلمة ...لا يقولون بكفر من يتوسل التوسل الشرعي بل يقولون بكفر من يدعو مع الله إلها آخر ومن معاني "التوسل" عند الجامدين (من أهل السنة) انهم يدعون من دون الله ما لا ينفعهم و لا يضرهم !واحسب أن من يطالع كتاب"التوسل و الوسيلة" لشيخ الإسلام بن تيمية يرى صدق ما نقول و هذه العقيدة ليست عقيدة حنابلة وحدهم بل عقيدة السلف الصالح و عقيدة أهل السنة جمعيا ما عدا الجامدين منهم والمتساهلين).[2]

وحسب الشيخ الزاهري فمؤسس المذهب الوهابي ليس هو الشيخ ابن تيمية واشتهر به ابن عبد الوهاب و لا غيرهم من الأئمة و العلماء و إنما مؤسسه هو خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم-،على أنه في الحقيقة ليس مذهبا بل هو دعوة إلى الرجوع إلى السنة النبوية الشريفة و إلى التمسك بالقرآن و ليس هاهنا شيء آخر غير هذا.[3]

و كتب الأستاذ الشيخ أبو يعلى الزواوي [4] مقالا قيما تحت عنوان "وهابي" يردّ فيه على المتحاملين على الحركة الوهابية و تعبير المصلحين الجزائريين بهم مبينا للناس ما هي الوهابيون و ما هي معتقداتهم ".....وليعلموا أن الوهابية حنابلة من أهل السنة وليسوا من المعتزلة الذين أنكروا علينا محاكمتهم فيما وسطروا و بان المذهب الحنبلي السني من المذاهب الأربعة المجمع عليها المرضية للاقتداء بها في الصلاة و في الأقوال و الأفعال وزيادة على ذلك لما إننا مالكيون فهم في غاية الاقتداء والاتفاق مع مالك الإمام رحمه الله و بأنه عالم المدينة و أن غالب حججهم مالك كما في مسألة الاستواء وتجصيص القبور و البناء عليها و التوسل بها و بناء القبب عليها و الالتجاء إليها عند الشدائد و الحلف بالمدفونين بها و غير ذلك من الاستشفاع الذي هو من الابتداع المتفق عليه بين المالكية المخلصين والحنابلة العاملين بما نبههم إليه محمد بن عبد الوهاب كما نبهنا نحن أبوا إسحاق الشاطبي صاحب كتاب الاعتصام و أمثاله .[5]

ثم يضيف الشيخ أبو يعلى مبرزا ذلك التوافق الموجود بين المذهبيين يقول: و قد علمنا و علم

1-الاستاذ السعيد الزاهري، الوهابيون سنيون حنابلة،جريدة الصراط عدد16،5أكتوبر 1933
2-المصدر السابق 3- المصدر السابق
4-هو الشيخ السعيد أبو يعلى الزواوي ولد في 1925 هـ الموافق لـ 1866م بنواحي عزازقة بالقبائل الكبرى تعلم بمسقط رأسه ثم هاجر مع عائلته إلى دمشق وتعلم على علمائها حتى أصبح عالما جليلا عاد إلى الجزائر تقريبا في 1920 م أسندت اليه إمامة مسجد سيدي رمضان بالقصبة وقل يحارب البدع والمنكرات بلسانه كان مفتيا لجمعية العلماء نشر في كل جرائد الجمعية وخاصة البصائر الشهاب الاصلاح للشيخ الطيب العقبي ، توفي رجمه الله 8 رمضان 1371 هـ الموافق لـ 4 يونيو 1952 للمزيد عنه أنظر فضلاء ،من أعلالم الاصلاح الجزء 1ص 65 وما بعدها.
5-أبو يعلى الزواوي،وهابي،جريدة الصراط،عدد23،6أكتوبر 1933

".. و قد علمنا و علم كثير من العلماء المفكرين و المتأملين ان عمل الوهابيين في شأن زيارة القبور هو مذهب مالك بالحرف و طريقه ونلفت الانتباه الآن نظر المخالفين من الدجوي و أمثاله عندنا بالجزائر إلى ما في الشفاء عموما في باب حكم زيارة قبره-صلى الله عليه وسلم-وقول عياض "وكرهنا مالك ان يقال زرنا قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- و قوله: قال مالك في المسبوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- و يدعو و لكن يسلم و يمضي إلي أن قال اعني إمامنا مالك رحمه الله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ...".[1]

وزيادة على كل هذا الذي ذكرناه فقد نقلت جريدة "الصراط" إلى القراء قيام أعضاء مؤتمر الطرق الاسلامية الجزائرية بزيارة ألي الوالي العام للجزائر و بالنيابة عن زملائه ألقى الشيخ مصطفى القاسمي من زاوية الهامل خطابا أعرب فيه للسيد الوالي العام عما يحمله الجميع من عواطف الإخلاص الكامل لأم وطنهم فرنسا و من الارتباط و التعلق الودي الخالص بشخصه و أن رؤساء الطرق رجال نظام و سلام وهم يشكرون باحترام و مزيد اهتمام جناب السيد الوالي العام عما أصدره و استصدره من الأوامر وما اتخذه من الوسائل لتحسين حالة رعـــــاياه المسلمين." [2]

آخذ العلماء المصلحون على الكثير من الطرقيين ركونهم للاستعمار و في الكثير من الأحيان صاروا أداة طيّعة لتحقيق أهدافه البعيدة الأهداف التي عجزت الإدارة الاستعمارية بكل ما لديها من إمكانات و آليات من تحقيقها و هنا تكمن أهمية تركيز العلماء المصلحين الذين راحوا يشددون لهجتهم ضدهم أكثر من الاستعمار في حد ذاته لأن في إضعاف شوكتهم هو الحد من نفوذهم و تأثيرهم السحري الذي دام ردحا طويلا من الزمن على الجماهير ويعد البداية الحقيقية للإجهاز على الوجود الاستعماري في البلاد واعتقد أن هذا هو الدافع الأساسي الذي جعل حركة الإصلاح في الجزائر اكثر تشددا من غيرها في بلدان العالم الإسلامي ضد تيار الطرقية الظالة لأنها تحالفت مع الاستعمار ضد الشعب الجزائري فصار مصير امتيازاتها مرهون بمصير الاستعمار و إلا بماذا نفسر مراسلاتها السرية والعلنية مع الإدارة الاستعمارية[3]

وقد انتهى الأستاذ الأمام الشيخ ابن باديس إلى اتهام الطرقية المنحرفة بالعمالة لهذا الاستعمار وقال بان الأمة الجزائرية ابتليت بنوعين من الاستعمار الأول استعمار مادي ويتمثل في فرنسا بخيلها

1- المصدر السابق

2-المصدر السابق

3- من هذه المراسلات التي تمت بين رجال الطق و الادارة الاستعمارية مراسلة شيخ زاوية الهامل عبد القادر القاسمي الى السيد الحاكم العام للجزائر الرسالة مؤرخة بالجزائر في 1936/09/7م و الموضوع يدور حول تنبيه الادراة الفرنسية لنشاط العلماء الذي يمكن ان يشكل تهديدا لفرنسا بظهور الوطنية ضاربا امثلة بما قاله الشيخ العقبي في الملعب البلدي المنشور بجريدة الامة في 11 أوت 1936 A.O.M. H46

ورجلها و الثاني وهو الاستعمار الروحي ويتمثل في الطرق الصوفية التي سيطرت على أرواح الناس ونفوسهم و عقولهم و هواشد النوعين و لا يمكن القضاء على النوع الأول إلا إذا قضينا على الاستعمار الثاني لان الاستعمار يعتمد في سيطرته و في سياسته على الاستعمار الروحي فهو اليد التي تنفذ الأوامر و الجسر الذي يفتح له الطريق[1]

كما أكد الأستاذ مالك بن نبي على تسخير الإدارة الاستعمارية للطرق المنحرفة لخدمة أغراضها و التمكين لمشاريعها و مخططاتها فقد ذكر ما شاهدت عيناه من سيطرة الروح المرابطية الطرقية بمدينتين آفلو و الأغواط مثلا و تشجيع الاستعمار لمظاهر الاستعراض السنوي للطرقيين ووصف مالك حالة الوجد و الجذب الصوفي وصفا يفوق شهادة الرحالة الألماني حتى أن الغائب عن الوعي في الحضرة كان يخرق أمعاءه بسفود و حالات التخليص من الجن و ليالي الحضرة التيجانية و الرحمانية والعيساوية و القادرية و العمارية كانوا يرقصون على وقع الدف لتجلي الكرامات و الخوارق و نيل البركات.[2]

كما نشر الشيخ ابن باديس في شهابه مقالا مترجما لكاتب فرنسي اشتراكي أكد فيه صاحبه علاقة شيوخ الطرق بالسلطة الاستعمارية وقال انهم أصدقاء مخلصون لفرنسا مع تحميل هذا الكاتب الحكومة الفرنسية مسؤولية تساهلها مع المصلحين الذين يهدمون في رأيه سلطة أصدقاء فرنسا بآيات من القرآن و ينفذون آراء جماعات أجنبية خفية في القاهرة ودمشق ومكة فإنه سجل شهادته التي تكشف عن حقيقة تاريخية طمسها خصوم الإصلاح لأغراض إيديولوجية سياسية وهي أن الحكومة الفرنسية كانت تتابع جمعية العلماء وتطور حركتها الإصلاحية بطريقة بوليسية قال عنها صاحب المقال بأنها كانت منافية للأخلاق و قوانين الجمهورية[3]

من خلال ما تقدم ذكره يمكن أن نقول بأن رجال الإصلاح و النهضة في مواجهتهم لتيار الطرقيين قد ركزوا على إبراز جملة من مظاهر الانحرافات التي وقع فيها الطرقيون من فساد في معتقداتهم وانحرافات في سلوكاتهم الاجتماعية و السياسية(4) و كان العلماء المصلحون قد استعملوا في التمكين لخطابهم التجديدي و النهضوي منابر المساجد الحرة و النوادي و الزيارات العلمية لتوجيه العامة في مختلف أرجاء الوطن كما ساهمت صحافتهم الإصلاحية بقوة في مواجهة التيار الطرقي وفضح ممارساته بل وفسحوا بهذه الصحف المجال لإخوانهم في المغرب وتونس لدعم موقفهم و تعزيز مكانتهم في الأوساط الشعبية .

1- محمود قاسم،ابن باديس الزعيم الروحي...ص40
2- مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن....ص23
3- علواش منهج ابن باديس....ص176
4- أكد هذه الحقيقة جوليانعندما رأى أن هدف العلماء الاول يتمثل في الاصلاح الديني في حين يمثل العمل من أجل استقلال الجزائر هدفا ثانيا. أنظر: C, A, Julien, une pensée anti- coloniale, ed sindbad, Paris, 1979, p 166.

و كان من نتائج هذا المجهود الإصلاحي أن ضعف التيار الطرقي بعد أن نال المصلحون ثقة الفئات العريضة من الشعب فحسب المؤرخ شارل اندري جوليان [1] فان المرابطين ورجال الطرق بدأوا يتقهقرون و يفقدون مع الوقت عنصر المبادءة من جراء حملات العلماء على بدع المرابطيين و النزهاء و خرافات اللؤماء و دناة المرابطين الموالين للإدارة.

و لما كان المرابطون يفتقدون للقادة المقتدرين و حرية العمل فان نشاطهم اقتصر على

مجادلات مع العلماء المصلحين و تأسيس بعض مدارس القرآن و الاحتفال بالأعياد تكريما للأولياء الصالحين ولما كانوا خاليين من الإرادة البناءة و من الإيمان الفعال فانهم لم يقدروا على مواجهة حملات خصومهم إلا بالاهتزازات من حين لآخر و بخنوع محزن ،وكان العلماء هم الذين احيوا حقيقة الإسلام بالجزائر باثين فيه وعيا دينيا وقوميا[2].

ولم يكونوا مخطئين في مشروعهم النهضوي عندما ركزوا في البداية على انحرافات الطرقيين و المدروشين،فكل بناء يبدأ في الحقيقة من الأساس و بناءا على ذلك فان الجمعية قد بدأت بتطهير العقائد من الخرافات التي تقف خلفها الطرقية الصوفية الفاسدة المؤتمرة بأوامر الإدارة الاستعمارية فكانت محاربة الجمعية للطرقين تعني محاربة الاستعمار بطريق غير مباشر[3] لان الاحتلال الأجنبي لم يكن بمقدوره إرساء قواعده في البلاد لولا اعتماده على بعض الفئات المحلية التي قدمت ضميرها كبش فداء من اجل المحافظة على قوتها[4]

و مما يدل على تفكك العائلة الطرقية و فشلها في مواكبة الزمن و تحدياته و عجزها الكبير على المحافظة و الإبقاء على اتباعها و مريديها الأوفياء لها فضلا عن كسب اتباع جدد لها،فقد حاولوا أن يضربوا حركة الإصلاح "الجمعية" بأحداث جمعية ضرة لها و لكن لم تعمر طويلا و انحلت لانحراف الناس عنها و معرفتهم بحقيقة أمرها و من يقف خلفها، ثم سعوا إلى لم شملهم من جديد من خلال تأسيس ما عرف ب" جمعية الطرق و الزوايا" بزعامة شيخ زاوية الهامل مصطفى القاسمي في سنة 1937م وأسسوا جريدة خاصة سموها "الرشاد" يديرها عبد القادر القاسمي [5] و لكن لحقها نفس المصير، بل إن الكتاب و السنة في العمل و الابتعاد عن البدع و الخرافات و هي نفس دعوة المصلحين فقد جاء في كلمة

1- مؤرخ فرنسي اهتم بتاريخ شمال إفريقيا درس في ثانوية وهران مدة طويلة من الزمن ألف كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية، و كتاب إفريقيا الشمالية تسير و الجزء 1 من كتاب تاريخ الجزائر المعاصرة،توفي سنة 1992م أنظر EL Moudjahid, août -1992

2- شارل أندري جوليان،إفريقيا الشمالية تسير...ص126-127.

3- تأثرت الطريقة الرحمانية ببجاية بالفكر الاصلاحي ويتجلى هذا بكل وضوح في تأييد اليد محمد الصالح بودرية بن الشيخ حمو بن الشيخ مزيان صاحب الزوايا الأربع واحد شيوخ الطريقة الرحمانية ببجاية ونواحيها لخطة جمعية العلماء المسلمين بنشاطها الاصلاحي أنظر مقال: براءة من ظلال الطرقية جريدة البصائر عدد 159(31-مارس 1939)

4- بوصقصاف،جمعية العلماء المسلمين....ص55وما بعدها

5- انظر بحث الطالب ايت بعزيز عبد النور ،الشيخ الحافظي رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر 1421/1422هـ/2000/2001م ص133

مما يعكس تغلغل فكرة الإصلاح و امتداد نفوذها و يتجلى هذا في دعوة بعض المدعويين صراحة إلى وجوب التزام طريقة الشيخ عثماني عبد المجيد من زاوية طولقة التي ألقاها في المؤتمر قوله:"...لا نعتبر شيخ الطريقة إلا إذا أقام بالشريعة و علم الدين و العربية ....نحترم فرنسا إذا احترمت ديننا....وواجبات الزوايا بتعميرها بالدين و العربية [1]

و إن كان أحد مؤيدي الطرقيين قد خطب بالفرنسية فكان خطابه كله سبا و بهتانا لمن تصدوا لإصلاح المجتمع الجزائري،وتناول شيخ الطريقة الكتانية عبد الحي الكتاني الذي تناول العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأقصى في التاريخ ودعا في خطبته إلى أن السنة ترك العمل اقتداء باهل الصفة هذا ما يتنافى مع روح الدين الإسلامي و تعاليمه و النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لان يحتطب أحدكم الخ الحديث.....[2]

و يظهر جليا أن فضح المصلحين للتيار الطرقي المنحرف عن القيم الحقيقية للدين الإسلامي،قد شجعت رجال المسرح الجزائريين هم كذلك على تناول سلوكات بعض الطرقيين القائمة على الطمع والاحتيال و استغلال العوام الغافلين و العزوف عن العمل و الكسب الحلال و هذا ما نلمسه في مسرحية "فاقو" التي عرضتها فرقة الأستاذ محي الدين باشترزي في العديد من جهات الوطن، و التي فيها سلوك النفاق و الاستغلال للدين من طرف هؤلاء المرابطين، و عرضت كذلك مسرحيات أخرى تخدم نفس الغرض حملت العناوين التالية: جهالة المدينة،أش قالوا؟ سحار بسيف،زواج الغولة،السحار،بدوي في المدينة[3]

كما حاولت الإدارة الاستعمارية سنة 1948م أن تعطي دفعا للتيار الطرقي فأوعزت إلى شيوخ الزوايا لعقد مؤتمر لعله يؤدي إلى جمع شملهم فيكونون بمثابة قوة في وجه المصلحين و دعمتهم بأحد شيوخ الطرق بالمغرب الذي سبق ذكره و هو عبد الحي الكتاني[4] حتى يشد أزرهم و يحمسهم في الاجتماع بعد أن وهنت قواهم و ضعفت عزائمهم و لولاه كما قال الشيخ الإبراهيمي لما خطر مؤتمر الزوايا على بال واحد منهم حاش حواري عبد الحي بتلمسان[5].

و إذا كانت دعوة العلماء المصلحين قد استهدفت اجتثاث كل مظاهر الطرقية المنحرفة عن المجتمع حتى يقوى على النهوض و يستفيق من غيبوبته من فرط تخذير الطرقيين له مدة طويلة من

1- أنظر مقال،مؤتمر الطرقية جريدة البصائر العدد 111 السنة الثالثة 29 أفريل 1938.
2- أنظر المصدر السابق .
3-Nadya bouzar,Kasbardji ,lemergence artistique algérienne ao xx siecle,o-p alger,p 142-148
4- يذهب الباحث المغربي عكاشة برحاب إلى أن الشيخ عبد الحي حضر في مؤتمر رجال الطرق بالجزائر سنة 1948 بصفة ملاحظ وكان يسعى من وراء ذلك إلى تولي الزعامة في أنحاء الزوايا شمال افريقيا وهو ما تحقق فعلا في المؤتمر الذي انعقد لأول مرة على أرض المغرب بمدينة فاس أيام 4-5-6 أفريل 1953 أنظر عكاشة برحاب الزوايا والطرقية في مخطط الاقامة العامة 1948-1953 مجلة أمل عدد مزدوج 22-23-2001 ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب 2001 ص 95
5-الشيخ الابراهيمي، عيون البصائر، ج2' ص 621.

الزمن فقد دعوا في مقابل ذلك الناس إلى وجوب نهج طريق السلفية النهضوية التي تقوم على إحياء تعاليم الإسلام الصحيحة التي كان عليها السلف الصالح والانفتاح على المعارف وثقافة العصر.

و هكذا ارتفع صوت الإصلاح في الجزائر فكانت نتيجته انتشار الوعي الديني التجديدي في أوساط المجتمع الجزائري و تغلغله في كل نواحي القطر و لم تندلع الثورة التحريرية في فاتح نوفمبر 1954م حتى أصبغت الحياة الثقافية و الدينية بالجزائر بالتجديد و الاصلاح و النهضة، وانسحب الطرقيون من الساحة بعد أن فقدوا كل اعتبار معنوي عند فئات الشعب العريضة فقد كانت المفاجأة مفزعة في أوساطهم حين علموا أن صوت المصلحين بقيادة الجمعية قد سبقتهم إلى أوساط الجماهير،وهذا ما يفسر فشلهم الحقيقي و إعلان ولائهم للسلطات الفرنسية لا سيما و أن الجمعية كانت قد أحرزت ثقة أربعين ففي المائة من مجموع الشعب الجزائري باعتراف الإدارة الاستعمارية نفسها سنة 1954م حيث طلبت من جميع حكامها في إنحاء الوطن أن يقدموا تقارير تتعلق بنشاط الأهالي على كل المستويات.و هذا رغم دعم و تشجيع الإدارة الاستعمارية للطرقيين[1].

و خلاصة ما تناولناه هو أن مجهود العلماء المصلحين في حقل الإصلاح الديني لم يكلل بالنجاح إلا بفضل التضحيات بالجهد و الوقت و المال ،كما أن السير في هذا الطريق لم تكن من بدايتها إلى نهايتها مفروشة بالورود بل كانت محفوفة بالمكاره و الشرور فقد كان المصلحون يتعرضون في كل خطوة يخطونها لهدم صروح المبتدعين و المشعوذين لشتى أنواع العسف و التشهير سواء من طرف الإدارة الاستعمارية او من بعض مشايخ الطرق و اتباعهم من العامة الجاهلة بحقائق دينها و تعاليمه السمحة و من جهل شيء عداه.

3) الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة الفرنسية:

لم يكد العلماء المصلحون يخرجون من معركتهم مع الطرقيين منتصرين حتى دخلوا معركة أخرى لا تقل ضراوة عن الأولى و إذا كانت الأولي مع بني جلدتهم فإن معركتهم الجديدة القديمة مع الإدارة الاستعمارية التي كانت ترمي إلى افتكاك الاعتراف بمشروعية سيادة المسلمين في تسيير شؤونهم الدينية على المؤسسات الدينية الإسلامية و إشرافها المبكر عليها لذلك نهضوا يطالبون من إدارة المحتلين أن ترفع يدها عن الشؤون الدينية و أوقافها في الجزائر و أن تقر مسألة فصل الدين الإسلامي عن حكومتها أسوة بفصلها قضية الديانة اليهودية و المسيحية عن الدولة طبقا لمرسوم الدولة الفرنسية سنة 1907م [2]و قد جاء هذا المطلب من العلماء على اعتبارهم ممثلين لشعبهم في أمور دينهم و جاءت هذه الخطوة من العلماء بعد أن تمكنوا من الانقضاض على الطرقية في أوكارها و تخليص عقول الناس

1- بوصفصاف، معية العلماء ....ص 196

2- كانت قضية فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية تشكل المطلب الرابع من مطالب الأمة الجزائرية التي قررها المؤتمر الإسلامي و جاء الوفد إلى باريس لمطالبة الحكومة الفرنسية بإنجازها و الحصول عليها أنظر جريدة البصائر عدد 24 (19 6 1936)

منها إلى درجة كبيرة و في ذلك يقول الشيخ الإبراهيمي:"......عاهدنا الله أن نطهر دينه من الداخل و من الخارج و ان ننصره على أنفسنا حتى يكون عليها سلطان..لذلك حملنا حملتنا المشهورة على البدع والضلالات حتى قوضنا أركانها وآتينا بنيانها من القواعد.....و قد أصبح من أكبر أعواتنا عليها ربائب حجورها و لسائب جحورها و أفراخ وكورها ممن هداهم الله و أنار بصائرهم بالحق و إن سائرهم لسائر في طريق الهداية و من لم يهده القرآن و كلناه إلى الزمان....و نعم المربي ...... فلما بلغنا الغاية من ذلك التطهير أو كدنا انكفأنا إلي هذه الضلالة الناعمة بالأمن،النائمة في ظل القوة و هي بقاء مساجد الإسلام و رجاله و أوقافه و شعائره في يد غير يد أبنائه ،تصرفه على ما تريد، لا على ما يريد الإسلام و إنها لكبيرة عند الله و عند صالحي العبادة أن يعطي المسلم الدنية في دينه،و ها نحن أولا نعمل -في غير كلل-على تطهير الإسلام من هذه الضلالة كما طهرناه من الأولى و إنما لمتبعو أخراهما بأولاهما....."[1]

و برر الشيخ الإبراهيمي مسعى العلماء المجددين في هذا الاتجاه بحماية الأمة من الاندثار على اعتبار أن الدين الإسلامي يمثل أبرز دعاماتها"... و هذه القضية هي الجزء الأهم من أعمال جمعية العلماء لأهميتها في ذاتها و لأثرها البالغ في نفسية الأمة شرا في طورها القديم الذي نريد تخليصها منه و خيرا و بركة في طورها الجديد الذي نريده لها و تريدها له و لمنزلتها الرفيعة في القضية الوطنية العامة ...كما نعلم أن الاستعمار جاء إلى هذا الوطن بثلاثة أشياء ليمحو بها ثلاثة أشياء : جاء باللاتينية ليغمر بها العروبة،وجاء بالفرنسية ليقضي بها على اللغة العربية،و جاء بالمسيحية لينسخ بها الإسلام ويبدأ بالمجاورة ثم المضاراة ثم ترحيل الأقوى للأضعف وكل أعماله و شرائعه-بعد ذلك حياطة لهذه المبادئ و تقوية لها، و ما عمله في إحياء النزعات البربرية إلا مثال عن المبدأ الأول وما ضغطه على التعليم العربي إلا مثال عن القاعدة الثانية ،و ما تشجيعه للضلالات والبدع و تلكؤه في فصل الإسلام عن الحكومة و مشروع الإسلام الجزائري إلا أمثلة على المبدأ الثالث...[2]

و يوضح الشيخ الإبراهيمي كيف تريد الإدارة الاستعمارية أن تبقى هيمنتها على الدين الإسلامي عن طريق مشائختلبسهم لبوس علماء و أئمة دين و تحتفظ هي بكل من سلطتها عليه.و هذا ما لا يقبله منها العلماء المصلحون"......إننا نعلم أن للحكومة في هذه القضية أبوابا و مخارج و تقارير برامج، وأنها تدير الرأي في أيها اصلح و أيها اضمن لبقاء سلطتها على الدين الإسلامي و أن لها في ذلك أعوانا ضربت عليهم الأزلام ،فكانت لنا منهم الأسماء و لها منهم كل شيء،وان قطع الوتين ، أهون عليها من انقطاع سلطتها على هذا الدين و تقاضتها الظروف ،أن تلبسه العمامة،لتنتحل شبه الإمامة

1- المصدر الشيخ الابراهيمي، عيون البصائر ،جزء 2 ،ص.164

2- المصدر السابق...ص165

وتحفظ لنفسها شيئا من هذه السلطة....أما نحن فلا نرضى في القضية إلا بالحق كاملا،و هو أن يرجع ميراث محمد إلى أمة محمد،فان كانت رشيدة فهي أحق به و إن كانت سفيهة لم تخسر رأس المال و هو تصحيح العبادات و الشعائر و مهما تبلغ من السفه فلن تبلغ فيه إلى درجة الاستعمار الذي ابتلع آلاف الملايين من قيمة أوقافها، و جاء عليها ببعض "كيلوات" من الزلابية و بدار سمّاها بأذل الأسماء على المهانة و السخرية ،وهي دار " الصدقة".[1]

و يذهب الشيخ الإبراهيمي بالقول إلى أن فرنسا غاضبة على العلماء لأنهم كانوا أصحاب الريادة في المطالبة بعودة الوصاية على الدين الإسلامي إلي المسلمين ومن ثمة توجست خيفة من العلماء الذين هم في منظورها ليسوا فقط مشوشين عليها بل صاروا خطرين على أمنها و تواجدها في الجزائر"...أما غضب الحكومة علينا فمنشؤه واضح عندنا فهي تعتقد أننا أول من أطار من عينيها نوم مائة سنة نوما هادئا مطمئنا ، و أول من نبه الأمة من غفلتها عن هذه القضية،و أول من وقف في وجهها من هذا الصنف مطالبا ملحا ، لم يردعه تخويف و لم يثنيه تسويف[2]، و لم ينخدع بمغالطة،وجماع هذه الأسباب أنها ترى فينا شبح من يريد خلع الحلة من لابسها بعد أن طال منها استمتاعه وخلع الإمرة من صاحبها بعد أن استحكم فيها اضطلاعه ،وهي ترى في انفصال الدين عنها زعزعة للاستعمار و حرمانا له من مال وافر،وجاه عريض،وسلطان ممتد و جيش كان رهن الإشارة، و إذا كانت هي أسباب غضبها علينا...فلا زالت غضبى [3] و في هذا السياق يرى الشيخ الإبراهيمي أن مرد غضب العلماء على إدارة الاستعمار ليس راجع إلى الرغبة في رد الاعتبار لمسائل شخصية،بل هو غضب للدين الذي امتهن وانتهكت حرمته و كرامته، جازما بالقول بأنه لم يعرف قطر امتهان و استعباد للدين كما عرفته الجزائر"[4]

واعتبر الشيخ الإبراهيمي تعاطي العلماء السياسة حقا مشروعا للدفاع عن الدين[5] ما دامت فرنسا لا تسمع لمطالب الجزائريين"....فلتعلم هذه الحكومة أننا في سبيل مبدئنا احتككنا بالسياسة وشاركنا في مؤتمرها و اتصلنا برجالها واصطلينا بنارها، و في سبيل مبدئنا نأخذ بجميع الأسباب إلا سببا يحرمه ديننا و يأباه علينا شرفنا.....و طالما صارحنا هذه الحكومة ....بأنها هي التي خرجت من وضعها فأدخلت الدين في السياسة،فاضطررنا إلى أن نقابلها بالمثل فندخل السياسة في الدين،و البادئ

1- المصدر السابق،ص167

2- لقد تحدى علماء الجزائر في بداية الاحتلال اعتداء فرنسا على الأوقاف و المؤسسات الدينية الإسلامية ولكن لم يقدروا على تغيير شيء و باءت محاولاتهم بالفشل الذريع أعلم تعنت المستعمرين بذكر من هؤلاء الشيخ الكبابطي و الشيخ ابن العنابي و السيد حمدان خوجة و غيرهم.

3- الإبراهيمي، عيون البصائر الجزء 2،ص 178.

4- المصدر السابق، الجزء 2 ص 178.

5- في هذا الصدد ذكر العمودي أن علماء الدين هم أحق من كل أحد لارشاد الامة وتربيتها والدفاع عن حقوقها ومصالحها فلماذا يستنكر على علمائنا ما هو حق معترف به لكل زملائهم من علماء الاوطان الاخرى. أنظر: Lamine Lamoudi, musulmans, la défense, n° 137, (1937)

أظلم، على أن تدخلنا في السياسة أدنى إلى الشرف و ابعد عن الاستهجان من تدخلها في الدين"[1]

و من خلال مقال الأستاذ بيرك[2] عن تسخير الإدارة الاستعمارية لرجال الدين الرسميين لخدمة أغراضها يتجلى حقيقة مشروعية العلماء المصلحين الجزائريين في مطالبتهم فرنسا بفصل الدين عن دولتها فقد قدم بيرك صورة سوداء عن مستوى و سلوك هؤلاء الموظفين الدينين المنحط الذين كانوا في عمومهم عيون للإدارة على إخوانهم في بيوت الله أكثر مما كانوا في خدمة دينهم ووطنهم يقول الشيخ الإبراهيمي على لسان بيرك حرفيا:" إنا خطأنا الفاحش في سياستنا الدينية منذ عشرين سنة هو أننا تساهلنا في وجود موظفين دينيين في المساجد يسيطر عليهم الجهل المركب و الطمع و عدم التهذيب و لا حد لرغباتهم في أن يحمدوا بما لم يفعلوا فعدم الكفاءة،و المبالغة في الخضوع و الانقياد،هي الشهادات الوحيدة التي يمكن لهم أن يعتزوا بها.

لقد رأينا مفتيا يفتي الطيب العقبي في موضوع صبياني، حكم فيه علماء الدين أكثر من مائة مرة لكن هذا المفتي كان جاسوسا مجندا للبو ليس،كما سمعنا أحد الموظفين الدينيين في مؤتمر عام يظهر فكرا من الأفكار البالية التي يمجها الذوق، حتى انفجر زملاؤه التونسيون و المغاربة ضحكا ولم يستطيعوا له دفعا لكن هذا الموظف الديني ممن لا يكادون يفارقون مكاتب البوليس ...و هكذا ظهر في الإسلام الجزائري مراءون لا هم لهم سوى الامتثال إلى الظاهر من الباطن ،وزنادقة (يدافعون عما احتكروه من امتيازات)ولا يقيمون لكبريات المشاكل وزنا فأغلبيتهم مارقون من الدين جهلا أو قلة إدراك و هكذا شاركنا في انحطاط" هيئتنا الدينية الإسلامية معجلين بإذلالها هذا هو الخطأ الكبير و الذنب الذي لا يغتفر و أنا لنؤدي اليوم ثمنه غاليا[3]

والحق أن الجزائريين طالبوا بفصل الدين عن الدولة منذ وضع الادارة الاستعمارية يدها على المساجد والأوقاف لكن تبقى جمعية العلماء أبرز الحركات الوطنية عناية خاصة كما يظهر في كلمة الشيخ الإبراهيمي أثناء انعقاد مؤتمر الجمعية في الجزائر العاصمة عام 1951م:"بفضلكم سبعة عشر ألف طفلا أخرجوا من الظلمات واعملوا من أجل فصل الدين عن الدولة سيمثل هذا الانتصار نصف مما نأمله"[4]

فقد تقدمت بتقرير في هذا الصدد إلى السلطة الاستعمارية في 15 أوت 1944 حيث طرحت كيفية تطبيق فصل الدين الاسلامي عن الحكومة الفرنسية على الشكل التالي

أولا:فصل الدين الاسلامي عن الحكومة الجزائرية فصلا حقيقيا، بحيث لا تتدخل في شيئ، من

1-المصدر السابق،ص180

2- هو المستشرق أوغستين بيرك والد المستشرق و المفكر جاك بيرك عمل مديرا للشؤون الأهلية في الجزائر (1884-1946)من أهم آثاره مسكن الوطنيين في الجزائر ،رجال الفكر الجزائريون،مقتطفات من تاريخ الريف الجزائري أنظر الطيب بن ابراهيم،الاستشراق الفرنسي،دار المنابع الجزائر 2004 ص 172.

3- الشيخ الإبراهيمي، عيون البصائر،جزء2،ص210

4- جاكر لحسن ، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر...ص 236.

شؤونه، لا ظاهرا ولا باطنا، لا في أصوله ولا في فروعه".

ثانيا: تسليم ذلك كله إلى أيدي الأمة الاسلامية صاحبة الحق المطلق فيه وتقرير سلطتهم على أمور دينهم تقريرا فعليا خالصا لا التواء فيه، ويصير نافذا بما يأتي:

أ- تشكيل مجلس اسلامي أعلى مؤقت بعاصمة الجزائر

ب- من أهم أعمال المجلس، أن يتولى تشكيل جمعيات دينية بالطرق الممكنة، انتخابا أو تعيينا، وله أن يكتفي بما يراه صالحا من الجمعيات الحرة السابقة.

ج- إذا تمت تلك التشكيلات ينعقد مؤتمر ديني من المجلس الأعلى ورؤساء الجمعيات الدينية وبعض أعضائها البارزين، وفي هذا المؤتمر يوضع النظام العام للمستقبل طبق قانون الفصل.

د- كل ما يقرره هذا المؤتمر يعتبر قانونا نافذا يجب الخضوع له ولا ينقصه إلا مؤتمر سنوي آخر.

هـ- بعد انعقاد المؤتمر الأول ينحل المجلس الأعلى المؤقت وتنتخب الجمعيات الدينية مجلسا على النظام السابق، وإلى المدة التي يقررها المؤتمر.

و- يملك المجلس الاسلامي الأعلى المنتخب السلطة التنفيذية لمقررات المؤتمر الدينية السنوية، أما السلطة التشريعية فيملكها المؤتمر، وليس للمجلس الأعلى إلا تقديم الارشادات و وضع التقارير والدفاع عنها أمام المؤتمر[1]

ولأن السلطات الفرنسية لا تريد أن تنقص من سيادتها على الأمة الجزائرية شيئا انطلاقا من فلسفتها الاستعمارية القائمة على الأبعاد الثقافية و الإيديولوجية على خلاف الاستعمار الإنجليزي الذي يقدم المصالح الاقتصادية على غيرها فقد صمت آذانها و فضلت أن تسير كالنعامة إلى الإمام رافضة هذا المطلب الوطني و ما كان لها أن تعرض هذا الموضوع على المجلس الجزائري لدراسته إلا لكسب الوقت و قد أوكلت مهمة وضع مشروع يتضمن كيفية الفصل لأحد أعضاءه و بعد مدة جاء إلى أعضاء المجلس الجزائري بمشروع قال عنه من قرأه بإمعان انه "...ينص على فصل كل شيء عن الحكومة إلا الدين الإسلامي ومعابده و أوقافه و من المعلوم لدى الجزائريين أنه منذ أكثر من عشرين سنة و الهيئات الإسلامية تطالب بتحرير الديانة الإسلامية ورفع يد السلطة الاستعمارية عنها و تحويل الأمة الجزائرية المسلمة حق التصرف في أمور دينها و ذلك حق طبيعي لها لا ينازعها فيه إلا من أعمى العدوان أبصارهم وربوا على مبدأ هضم الحقوق و دوس الكرامات و النيل من معتقدات الشعوب و مقدساتها

و يذهب الكاتب إلى أن الحكومات الفرنسية التي تعاقبت على حكم الجزائر كانت جائرة ومناقضة للديمقراطية حيث تركت لليهود حرية دينهم، و شجعت ماديا و أدبيا رجال الكنيسة المسيحيين و ساعدتهم على تنصير المسلمين أما الديانة الإسلامية فقد اعتدت عليها اعتداءا شنيعا،وارتكبت ضدها أفضع الجرائم فهناك مساجد حولتها إلى كنائس و أخرى إضافتها إلى أملاكها وداست على مرأى من

1- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الاصلاحي في الجزائر، الجزائر، 1985.ص 193

2- الحسن بن الميلي :يجب تحرير الدين الإسلامي ،جريدة المنار عدد14 11ربيع الثاني 26/1372 ديسمبر 1952.

عشرة ملايين من الأمة الجزائرية المسلمة قداسة الدين الإسلامي باعتدائها على حرمة المساجد وانتزاع السلطة من علماء الإسلام وضعها بيد رجال إداريين من ذوي التعصب الديني فراح هؤلاء يمعنون في إهانة الدين الإسلامي و ينتهي صاحب المقال إلى القرار بان حق المسلمين في إدارة شؤون مؤسساتهم الدينية لا يمكن أن تتحقق إلا بعد أن يحقق الجزائريين السيادة الكاملة على إدارة مجمل بلادهم و ما ذلك بعزيز عليهم مادام النضال الوطني ماض في سعيه لتحرير البلاد و العباد من هيمنة الاستعمار "..... لقد آمنت الأمة الجزائرية بان كل شيء في هذا الوجود قابل للتطور أو تطور بالفعل إلا السياسة الفرنسية بهذه البلاد فلا يمكنها أن تتحول قيد أنملة عن التقاليد الاستعمارية العتيقة و كذا الساسة الفرنسيون و من بيدهم مقدرات بلادنا لا نراهم يريدون سبق الحوادث و مجاراة تطورات الأحوال ماداموا لم يحاولوا التحرر من فكرة التفوق العنصري و استغلال الإنسان لأخيه الإنسان.

انه ليجدر بنا أن نهمس في آذان أولي الأمر الفرنسيين الفنية بعد الأخرى قائلين:إن قافلة التحرير سائرة إلى الأمام بخطى متئدة ثابتة و لن يضرها المتضالون في التمسك بسياسة النعامة وسوف تظفر الأمة الجزائرية بحريتها الكاملة بما فيها حرية الدين و التعليم و تقرير المصير..."[1]

و ينتقد الشيخ العربي التبسي تسلط الإدارة الفرنسية على الدين الإسلامي و رأى في ذلك هضما لحقوق المسلمين و ظلما لهم و في ذلك يقول :" و نحن معشر الجزائريين الذين بلينا بسياسة تتجاهل الاعتراف بإنصافنا في ديننا و دنيانا نقول:ك كان ينبغي أن يكون هذا الكلام مقبولا بروح الرغبة في عدالة و إنصاف القسم الأكبر من سكان هذا القطر و مشتملا على التوصية بتعميم بين جميع السكان ويرفع المظالم التي عذبت القسم الأكبر من الجزائريين كمظلمة تسلط الحكومة على الدين الإسلامي واستعماره بين الأديان و كتخصص المسلمين بذلك الحكم الموروث من نظام القرون الوسطى حكم الأدواز المختلطة و المناطق المحكومة حكما عسكريا كالتفريق بين السكان المسلمين و غير المسلمين في التمثيل في جميع النيابات و كمعاملة اللغة العربية معاملة اللغة الأجنبية المحتقرة و ما إلى ذلك من قوانين الغالب و المغلوب...وكم كذلك من أمثلة أسيفة[2] و يرى الشيخ العربي التبسي إن الإدارة الفرنسية لم تكن جادة و لا مؤمنة بمسألة فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية و لذلك كانت تتماطل في وعودها للجزائريين فيما يخص هذه القضية منذ شكلت لها لجنة من الموظفين المسلمين الذين صاروا

1-المصدر السابق

2-الشيخ العربي التبسي،حول فصل الدين عن الحكومة ،جريدة البصائر السلسلة الثابتة عدد 177 1951/12/7م 8 ربيع الأول 1371هـ

يستخفون من هذه القضية رغم أن ذلك يمثل اعتداء ا صارخا على حرمة الدين الإسلامي و قداسة شعائره و معابده و اتباعه الذين لم يرتضوا لانفسهم أن يؤدوا شعائرهم خلف هؤلاء الأئمة الغير معينين و لا المفوضين من قبل المسلمين بل لا يعدون أن يكونوا موظفين عند الإدارة الاستعمارية"...أيها المستخفون بهذه القضية أيها الراضون بتأخيرها من سنة 1948م إلى اليوم أن هذا التأخير اعتداء صريح متعمد على الشريعة الإسلامية و على معابدها و على المتدينين الذين لا يدينون بأداء صلاة الجماعات و الجمعات و الأعياد و بقية الطاعات البدنية خلف أئمة " شركة الإسلام الجزائري" الذي هو تدبير سياسي استعماري لاستغلال دين الإسلام و معابده و القائمين به و لا صلة مطلقا بين الإسلام الجزائري و الإسلام الذي هو دين الله [1]

و حتى يكشف الشيخ التبسي أثر مأساة الديانة الإسلامية في الجزائر عاد إلى التاريخ ليأتينا بالشواهد التي تبين بكل جلاء كيف وقع الاعتداء على مساجد المسلمين و سيادتهم عليها و نبه إلى أن الموظفين فيها من طرف إدارة الاحتلال الغاصبة لهذه المساجد يعدون خارجين عن القواعد الشرعية الإسلامية ".. نحن نؤمن بان فرنسا غصبت منا مساجد و غصبت التوظيف فيها و هو أضر بالإسلام من كل مغصوب ولا يحق لها في الاستلاء عليها ومن تسلم الغاصب شيئا فهو غاصب أو شريك للغاصب و دين الله لا يمثله الغاصب و لا شريكه و لا معينة بل إنه لا يحل في الإسلام أن يسأل المغصوب أي الوظيف من الغاصب أو أن ينتفع به عن طريقه وإذا فعل فهو عاص الله في السؤال والانتفاع؟ فكيف يعقل أن يكون الإنسان في اللحظة الواحدة مأمور ومنهيا فمن عقل اجتماع الأمر والنهي في اللحظة الواحدة عقل شرعية أئمة الصلاة و في المساجد المغصوبة و عقل قيامهم بالقرب فيها و عقل طلب الشريعة للناس بان يأتموا بهم و يصلوا وراءهم ومن لم يعقل اجتماعهما لم يحل له أن يصلي وراء هؤلاء الأئمة و من اجل هذه القاعدة و غيرها من النصوص المانعة من الاقتداء بأئمة المساجد المغصوبة امتنع جميع الفقهاء الحقيقيين من الصلاة خلف هؤلاء الأئمة وجميع المتحرين في دينهم من العامة...."[2]

و يرى الشيخ التبسي أن المسلمين قد طال انتظارهم لكي يعودوا الى تأدية شعائرهم في مساجدهم وفق ما يستجيب للقواعد الشرعية و في ذلك يقول:"...هذه أربع سنوات انقضت على وجود الدستور الجزائري و على مجلسه و المسلمون ينتظرون بالساعة و الدقيقة تلك الساعة التي يقف فيها العمل بذلك الباطل و ترد المغصوبات إلى أهلها و تتوفر الشروط التي يأمن معها المصلون على صحة صلاتهم وراء أئمة المساجد و يعود الممنوعون اليوم من صلاة الجماعات و الجمعات ومن كل ما يسمى تعمير البيوت إلى تعمير المساجد....[3]

1- الشيخ العربي التبسي،فصل فرنسا عن الإسلام ،قضية لا قاضي لها، جريدة المنار السنة الثالثة عدد 13 الجمعة 26 ربيع الأول 1372هـ/12 ديسمبر 1952.

2-المصدر السابق

3-المصدر السابق

و ينتهي في الأخير إلى قناعة بان لا أمل للجزائريين في الحصول على حقوقهم الدينية والدنيوية في ظل الإدارة الاستعمارية بعد أن اصبح الدستور الجزائري المؤسس عام 1947م لا لشيء
سوى لكي يعقد من الأمور و يطيل في عمرها و يتهرب من المسؤولية و لو كان جادا و صادقا في هذا الأمر لحل المسألة من البداية لا أن يسندها إلى هذا المجلس المتفرع عنه"...فيما سبق قلنا هذه قضية و لا قاضي لها إذ قضاتها هم إما الدستور الفرنسي فالمسلمون الجزائريون محرومون من التمتع بجميع ما فيه من بنود إنسانية لا فرق بين ما لها مساس بدينهم و بين ماله صلة بدنياهم وقد أخرجها برلمانه فيما اخرج من القضايا التي جاءت في الدستور الجزائري سنة 1947م فلم يبق الدستور الفرنسي و لا برلمانه قاضيا في هذه القضية .

و أما الدستور الجزائري فهو تشكيلة أنشئت لتعقيد الأوضاع و إطالة عمر المسائل التي بها يحب الاستعمار طول العمر و البقاء ولو كان أهلا لحل تلك القضايا التي اشتمل عليها لسبقة وأصله إلى حلها وهو أحق منه برفع الباطل ونظرة المظلومين لو كان في النية إحقاق الحق و إما أعضاء المجلس الجزائري شرفي ومن هاته الظروف لعضوية المجلس الجزائري فهم تابعون لأصلهم الدستوري الجزائري في النيات و الأعمال متممون لمهمته فقضية فصل فرنسا عن الاسلام لا قاضي لها[1]

و قد عقبت جريدة المنار على مقال الشيخ العربي التبسي باعتباره أن قضية فصل الدين عن الدولة وهي مثل المشاكل كلها من مخلوقات الاستعمار لا تزول إلا بزواله و لا يمكن لهذا المجلس الجزائري حلها و لا حق له في ذلك لأنه لا يمثل الأمة الجزائرية إذ الدستور الجزائري و ما تولد منه وليد الاستعمار لا وليد إرادة الأمة الجزائرية و كل ما تعلمت منه الأمة هو الظلم و التدجيل السياسي[2]
يضاف إلى ما سبق عرضه في مجال الدعوة إلى فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية[3] على اعتباره حق من حقوق المسلمين ما اعتبره السيد بن عمار في مقال له بالمنار تحت عنوان " حرية الدين" بأن تعسف الإدارة الاستعمارية في هذه القضية مناف للقيم الحضارية و أصول المدنية ذلك أن نهضة أي شعب تنطلق من قدرته على ممارسة ديانته بكل حرية"...و من عجيب منطق الاستعمار أنه يرى حرية الدين مع الأقلية اليهودية فيسمح لها بإنشاء ما تريد و يساعدها و يضايق حرية الدين الإسلامي و أن من أصول المدينة حرية الدين و ما من شعب كان حرا في دينه إلا ويستطيع أن يتلقى المدنية و لكن السياسة الاستعمارية بخلاف ذلك بمحاولة إضعاف الإسلام و تزهيد المسلمين في دينهم و لغتهم العربية لغة الإسلام رغم من إشارة بعض الدهاة باحترام هذا الدين[4]

و قد استشهد الكاتب بما أقربه أحد كبار المفكرين الفرنسيين بعد دراسة مستفيضة له في طريقة حكم المسلمين وهو اعتراف صريح منه في أن الغرض الاستعماري هو محـــــو الدين الإسلامي

1-المصدر السابق
2- أنظر تعقيب جريدة المنار السنة الثانية عدد13 1992.

3 Claud Collot et henry Op Cit pp272 279

4-السيد ابن عمار،حرية الدين ،جريدة المنار السنة الثانية عدد7 الجمعة 26 شوال 1371/ الموافق ل 199 بيوليو 1952

يقول هاتوتو [1] في خطابه الذي ألقاه في المجمع الجغرافي " إن القواعد الجديدة التي يجب أن يكون عليها العمل في إفريقيا هي مخالفة القواعد القديمة التي كانت تجري عليها السياسة الاستعمارية فيما مضى من الزمان[2]

ثم يبين القواعد الجديدة التي ينبغي أن يعامل بها المحكمون فقال" إنها الأمن و السلام" ثم قال" إننا مدينون لهم بالعدل و السلم كما إننا مدينون لهم بالتساهل الديني ثم قال " إن التمدن الأوربي يجد في طريقه في إفريقيا لا سيما في شمالها ذلك الدين القويم العظيم الذي هو الدين الإسلامي و الذي هو في هذه الجهات (شمال إفريقيا) أكثر نشاطا منه في غيرها ثم يقول" فمن الواجب علينا التساهل في هذا الشأن بل ليس التساهل بكاف وحده فمن الواجب أن ندرس هذا الدين و نبذل جهدنا في فهمه و علينا أن نتخذ الكلمة الإسلامية (لا إكراه في الدين) شعارا لا تخرج عن حدود معناها و أن تحترم الدين الإسلامي و نحميه من كل قارئ فهل وجدت هذه الكلفة في نفوس الاستعماريين صدى؟[3] وقبيل اندلاع الثورة المسلحة استعرض المكتب الدائم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في دورته المنعقدة أيام 27-28-29 و 30 مارس 1954م تطورات القضية الدينية وتتبع سيرها منذ صدور قانون 1947م إلى سنة 1954م التي مرت عليها أمام المجلس الجزائري والدوائر الحكومية المختلفة انتهى الى قناعة تتمثل في عدم إيمان الإدارة الاستعمارية بمطالب الأمة الجزائرية التي لا ترضى و لن ترضى عن هذا المنكر العظيم وأنها ستبقى واقفة بكل ثبات من أجل انتزاع حقها المشروع والمحعقول تناضل في سبيله بكل الوسلائل والطرق المعقولة أتما الحكومة وأغلبيتها المطواعة في المجلس الجزائري فتتحملان مسئوولية وعواقب هذه الحالة النتردية التي تزداد سوءا يوما بعد يوم[4]

6- الدفاع عن القضاء الاسلامي

و لم ينس الجزائريون وهم يطالبون الإدارة الاستعمارية أن تعيد لهم حقهم في تسيير أمور دينهم و تفصل الديانة الإسلامية عن الحكومة أسوة بما فعلته مع الديانتين اليهودية و المسيحية،أن تكف عن انتهاك حرمة القضاء الإسلامي في الجزائر فقد اعتبروا ذلك جزء لا يتجزأ من شريعة الإسلام خاصة إذا علمنا بان الحكام كانوا "..من عهد الفتح الإسلامي إلى آخر العهد التركي يحترمون القضاء و يحلونه والمحل الأرفع فان بدت من قاض زلة أوهنة و أخذوه من غير شفقة و لا رحمة بعد أن يثبتوا من أمره كان من وراء القاضي مجلس الشرع يجمع جماعة العلماء لينظروا في الأحكام و هل هي موافقة للشرع و أحيانا يجتمع هذا المجلس تحت رئاسة الباشا بصفة مجلس نقض وإبرام ليتداول في القضايا الهامة.[5]

1-عريف هاتوتو،هو مستشرق فرنسي كبير

2-المصدر السابق

3-المصدر السابق

4- أنظر جريدة البصائر عدد 266 6 شعبان 373 هـ /9 أفريل 1954.

5- احمد توفيق المدني،كتاب الجزائر...ص335

و لكن منذ إقدام المستعمرين إلى الجزائر في سنة 1830 عبثوا بهذه الوظيفة عبثا فقد أصدروا مرسوما في يوم 28 فيفري 1841 ينسف نفوذ القاضي نسفا و ذلك بان نزع منه سلطة الأحكام في الجنايات و الجنح وجعل أحكامه تستأنف إلى دائرة الاستئناف الفرنسية[1] و قد ناهض العلماء الجزائريون مشروع الإدارة الاستعمارية الرامي إلى الإجهاز على كل ما تبقى من صلاحيات للقضاء الإسلامي كما كانت قبل الاحتلال و العمل على ترقيتها حتى يمكن لها أن تقوم بوظيفتها المنوطة بها على احسن وجه،وبناء على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف فانه لا يجوز شرعا لإنسان مسلم أو جماعة مسلمة أن تستبدل طوعا القضاء الإسلامي بالقانون الوضعي الذي يقوم على نصوص الشرع الإسلامي لأن "...التحاكم إلى غير الشريعة الإسلامية طوعا ردة و لا يبيحه أفقه الفقهاء و أتقى الأتقياء[2].

كما يعتبر القاضي في المجتمع الإسلامي صاحب السلطة الثانية بعد سلطة الحاكم السياسي وله يمتثل كل أفراد الرعية حكاما و محكومين "...إذ هو المنفذ للأحكام و أحكامه تشمل حتى الأمراء و الوزراء و لا ينزه أحد من تلك الأحكام مهما كبر شأنه و عظم سلطانه و كان دليل القاضي كتاب الله و سنة رسوله و كتب الفقه الإسلامي..[3]

و قد ذهب الشيخ الإبراهيمي إلى حد اتهام الإدارة الاستعمارية صراحة بأنها تبيت النية لإلغاء القضاء الإسلامي بشكل تدريجي و يظهر هذا حسبه جليا من خلال- تعقيد الإجراءات القضائية وتعزيزها بكثرة اللوائح و البلاغات- عملية التماطل و التسويف في سير القضاء

ـ محاولة إظهار القضاء الإسلامي بمظهر غير محترم و ذلك بالتغاضي لبعض القضاة عن الهنات الأخلاقية المخلة بشرف القضاء المشوهة لسمعته-أبعاد المحاكم القضائية عن المتاقضين ـإرادة فتح باب حرية التقاضي أمام السلم أو بين القاضي الأوربي و يرمي هذا في الحقيقة إلى تنفير المسلم من القضاء الإسلامي و اختياره للقضاء الفرنسي[4]

و دعا الشيخ الإبراهيمي إلى عملية إصلاح للقضاء الإسلامي و استقلاليته و حسبه أن لا عزة لأمة إلا بعزة قضائها و قضاتها معتبرا بعض القضاة بفعل أقوالهم و سلوكاتهم عونا على المسلمين ودعما للمستعمرين على مطالبهم بسبب افتقادهم للإرادة الناتجة عن استعبادهم من طرف الوظيف الرسمي.الذي يرتزقون منه بطريقة مذلة جعلتهم يعيشون في ذلة و مسكنة لم يجدوا وليا و لا نصيرا.[5]

1- المصدر السابق.

2- الشيخ السعيد بن محمد الشريف(أبو يعلى الزواوي) القضاء و حالته في الجزائر جريدة البصائر السلسلة الثالثة عدد31 (1948)

3- حمزة بوكوشة القضاء الإسلامي في الجزائر جريدة البصائر السلسلة الثانية عدد 1 جويلية 1947م

4- الشيخ الإبراهيمي، عيون البصائر جزء2 ص128

5-الشيخ الإبراهيمي،عيون البصائر،جزء2 ص129

و أعاب الشيخ الإبراهيمي على هذه الإدارة الاستعمارية محاولتها الهيمنة الكاملة على القضاء الإسلامي ففي الوقت الذي قلصت فيه صلاحيات القضاء الإسلامي و وحصرت وظيفته في أحكام الزواج و الطلاق و المواريث واحتكرت تعليمه ووظائفه لمن يتخرجون على يدها و بتعاليمها و جعلت نقض أحكام و تعقبها بيد القضاة الفرنسيين واصبح القضاء الإسلامي حتى في هذا القدر الضئيل خاضعا للقضاء الفرنسي و اصبح القضاة بحكم الضرورة لا يرجعون في أحكامهم إلى النصوص الفقهية و إنما يرجعون إلى اللوائح التي يضعها وكلاء الحق العام الفرنسيون و في هذا من الإجحاف وظلم القضاء الإسلامي مالا يرضي به المسلمون[1]

و لم نخف جمعية العلماء المسلمين قلقها من هذه المسألة حيث تقدمت بمطالب رسمية إلى الإدارة الفرنسية من اجل إصلاح القضاء و قد اقترح الشيخ ابن باديس تكوين مجلة أحكام شرعية على يد هيئة إسلامية يكون انتخابها تحت إشراف الجمعيات الدينية و إدخال إصلاحات على المدارس التي يتخرج منها رجال المحاكم منها تدريس تلك المجلة و التحقق بالعلوم الشرعية و طبع التعليم بطابعها [2]

و في سنة 1944م تقدم الشيخ الإبراهيمي بجملة من الاقتراحات في سبيل إصلاح القضاء الإسلامي نشرتها البصائر سنة 1950 جاء فيها:

أ-التعليم القضائي:وذلك بتوسيع برامج التعليم القضائي في مواد: اللغة العربية،و الأصول،ودراسة التفسير و الحديث و مآخذ الأحكام منها و تاريخ القضاء في الإسلام و فلسفة التشريع و علم النفس ضرورة فتح الباب لقبول علماء مدرسين لتلك العلوم من المتخرجين من جامع الزيتونة و غيره لا تراعي فيهم إلا الكفاية لما يراد منهم.

ب-الوظائف القضائية: يجب إدخال عناصر من المتخرجين من جامع الزيتونة أو غيره من المعاهد الأخرى في الخطط القضائية.

جـ- السلطة العليا: كذلك يجب تكوين مجلس قضائي أعلى من القضاة المسلمين يتولى اختيار القضاة وتسميتهم و مراقبتهم و النظر في سلوكهم و تحديد عقوباتهم و تكون سلطة هذا المجلس مستقلة عن القضاء الفرنسي.

د- محاكم الاستئناف: يجب تكوين محاكم استئناف إسلامية تستأنف إليها الأحكام الأولية و تكون سلطتها إسلامية بحتة و هذه النقطة من أهم نقط الإصلاح من حيث الاعتبار لان القاضي المسلم لا ينفعه إلا قاض مسلم [3].

1- الشيخ الإبراهيمي،عيون البصائر جزء 2 ص 133-134

2- الشيخ عبد الحميد بن باديس نفس المطالب التي قدمها لمكتب المؤتمر الإسلامي ،البصائر .1936

3- الشيخ الابراهيمي،عيون البصائر جزء 2،ص134-135

مما تقدم ذكره نستخلص أن قضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية واستقلالية القضاء الاسلامي كانت تمثل جانبا هاما في الخطاب النهضوي الجزائري حيث اعتبر العلماء الجزائريون هيمنة الإدارة الاستعمارية على الدين الإسلامي و مؤسساته بمثابة مساسا بكرامتهم الوطنية و الدينية ومن ثمة راحوا في كل مساعيهم و خطاباتهم ينددون بهذا الوضع و يحاولون أن يفتكوا من الإدارة الاستعمارية الاعتراف لهم بالأشراف على مؤسساتهم الدينية على غرار ما فعلته هذه الإدارة مع الديانتين اليهودية والمسيحية ،و لكن لا حياة لمن تنادي فقد أبت هذه الإدارة الاستعمارية إلا الإبقاء على هيمنتها على الديانة الإسلامية و هذا ما جعل الجزائريين في خطابهم مع بدايات الخمسينات ينظرون إلى مسألة فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية واستقلالية قضاءهم جزء من النضال لفصل الجزائر كلها ماديا وروحيا عن الدولة الفرنسية.

7ـ مقاومة التبشير: أمام النشاط الكبير الذي قام به المبشرون الأوروبيون للتمكين للمسيحية في الجزائر[1] و كل الشمال الإفريقي بل و العالم الإسلامي ذلك منذ أن بسط الاستعمار الفرنسي قبضته على البلاد سنة 1830م وقد تفطن رجال الإصلاح إلى هذا الخطر القاتل الداهم الذي بات بفعل دعم الإدارة الاستعمارية له يهدد الإسلام في عقر داره و بين أهله و ذويه فراحوا يحاربونه بكل طاقاتهم و جهودهم فزيادة على المؤسسات الدينية و التربوية التي كانت تعطي دروسا وافية في العقيدة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم ومن ثمة تشكل الحصانة الأولى لأبناء المجتمع من الوقوع ضحية في مخالب رجال التبشير الذين كانوا أسخياء جدا بإحسانهم على الجزائريين ليس لأنهم طيبون اكثر منهم وليس لان ديانتهم (المحرفة) تأمرهم بذلك بقدر ما كانوا يهدفون إلي تحقيق غايات خسيسة و هي إخراج الجزائريين من إسلامهم و إدخالهم في الديانة المسيحية.

و هكذا و بدافع من الغيرة الإسلامية شن العلماء الجزائريون حملات شعواء على هذا النشاط التبشيري و كان سلاحهم في ذلك في الغالب هي الصحافة العربية الإسلامية التي كانت تسهم بشكل كبير في توعية الجمهور العريض من الجزائريين من مكائد رجال التبشير حتى لا يؤخذوا بفعل المصاعب المادية و على حين غفلة من أنفسهم فيجدون أنفسهم في أحضان الكنيسة و يعد سلاح الكلمة و القلم هو اضعف الإيمان عند الجزائريين لتغيير هذا المنكر المتمثل في التعدي على الديانة الإسلامية في عقر دارها.و في هذا الصدد يقول السيخ البشير الإبراهيمي "....لكننا نعتقد كما هو الواقع أن الأقوال ليست

1- كلما استولى الفرنسيون على بلدة جزائرية إلا وكانت فكرة تجسيد الحضور المسيحي فيها هي خطوتهم الأولة لتنصير السكان وكمثال على ذلك عندما استولى الأباء البيض على المنيعة وجعلوها مركزا هاما للتبشير والتنصير فنصروا بها في سنوات المجاعة كثيرا من المسلمين والمسلمات و زوجوا بعضهم ببعضهن واقتطعوا لهم ضيعات وأراضي ملكوهم إياها كل ذلك استغلال لفقرهم وجهلهم ومرضهم :أنظر مقال أحمد بن بوزيد، الاصلاح في المنيعة جريدة البصائر عدد6 1947/9/12

هي السلاح الذي يحارب به التبشير مهما كانت حارة بليغة متينة الحجة و قصاراها التحذير من الوقوع في إشراك المبشرين و إنما السلاح الماضي الفتاك في هذا الميدان هو المال و لعمري كيف تستطيع أن تقاوم جمعيات منظمة من ورائها أمم غنية تغدق عليها المال مجهزة بالجيوش الوفيرة من الرهبان والراهبات والأطباء و الممرضات يوجد الجميع أخلاق ممتازة من العبر و الثبات و الإيمان الجازم بحسن عاقبة ما وقفوا أنفسهم له.

ولو عند اغنياء المسلمين بعض ما عند هؤلاء من سماحة اليد في سبيل الدين لطووا هذا التبشير الزائغ و لنشروا الإسلام في أقطار الأرض كلها، و أن دينهم ليأمرهم بهذا و لكن أين هم من دينهم .؟ [1]

ويذهب الأستاذ محمد ناصر إلى أن الكاتب المصلح "الفرقد"[2] يعد أول الكتاب الجزائريين عناية بموضوع "التبشير" و أكثرهم شجاعة على تحمل تبعات الهجوم على المبشرين فقد حمل القلم ضدهم حارا يدفعه حماس الشباب الثائر وهو لا يزال طالبا في الثانوية يعد العدة لاجتياز امتحان الباكالوريا،في أحسن الثانويات العامة فكان أن استدعاه مدير المدرسة و هدده بالطرد إن هو تمادى في مهاجمته المبشرين بقلمه...[3]

و يبدو أن "الفرقد" كان على دراية بأساليب المبشرين في العمل و مراحل ذلك التي كانت تتم بالتدرج بداية من التعرف على المحيط الاجتماعي،إلى مزاولة نشاطات التبشيرية"......إذا قصدوا بلدا يبدأون بالتقرب إلى أعيانها، ورؤسائها وموظفيها،ويصاحبونهم، ثم يعشعشون في البلد و يفتحون محلات شبه كنائس موهمين الناس بأنها سكانهم،ومحلات عبادتهم،و مأوى الفقراء و المساكين و الضعفاء أيضا ولكنهم يتخذون تلك الخلوات شركا يجلبون الناس إليها.

يبدءون بجلب الفقراء و المساكين الذين أعياهم الدهر و ابلهم فسئموا أنفسهم فصاروا يترامون على أول قادم جاء يؤازرهم في ببؤسهم و شقائهم،يأخذونهم إليهم و يظهرون لهم عطف الوالد لولده و حنان الأم لرضيعها....يعلمونهم مبادئ العلوم ثم يمزحون لهم تلك المبادئ بتعاليمهم الدينية فيسقونهم بذلك عسلا مسموما....."[4]

1-الشيخ الإبراهيمي،سجل.....ص73

2- هو الشيخ سليمان بن يحي بوجناح(الفرقد) ولد بمدينة غرداية سنة 1905م و بدأ الدراسة بإحدى كتاتيبها ثم سافر إلى تونس و عاد إلى الجزائر ليتم تعليمه الثانوي بثانوية باب الوادي الأمير عبد القادر حاليا عرف بالوطنية،حارب الاستعمار و التبشير و تعرض للنفي إلى أعماق الصحراء مرتين لمواقفه الوطنية من آثاره" كتاب الفرقد"وهو مجموعة مقالات اجتماعية و سياسية أنظر د/محمد ناصر المقالة الصحفية جزء2 ص 223.

3-د/ محمد ناصر المقالة الصحفية المجلد 1 ص144

4-د/ محمد ناصر المقالة الصحفية،مجلد1 ص145

و يبدو أن "الفرقد" الذي كان مثقف مزدوج اللغة عربية وفرنسية قد ساعده ذلك على الاطلاع و معرفة نشاط المبشرين و أعداء الإسلام في الجزائر وكل العالم الإسلامي.

أما الأستاذ الشيخ أبو اليقظان فقد عمد هو الآخر على ملاحقة نشاطات المبشرين بصحفه و مقالاته الأمر الذي سبب له متاعب جمة في عمله الصحفي و جهاده القلمي فقد نشر في العدد 18 من جريدته"وادي ميزاب" مقالا يحث فيه الجزائريين على العمل وينعي فيه على الكسلاء الذي يعتذرون عن العمل بقرب نزول عيسى عيه السلام فما كان من المبشرين إلا أن اغتصبوا هذه الكلمة واتخذوها سلما لتعليق شروحهم وكان قصدهم من ذلك التوصل إلى بث مهازلهم بين المسلمين من بنوة عيسى و ألوهيته من جهة و فديته بذمه للخلق من جهة أخرى و كونه واسطة لهمم تقربهم إلى الله و زلفي وتدوين أسماؤهم في سجله[1]

وبكل حدة حمل على المبشرين حملة منكرة فكتب تحت عنوان " يتقمصون في تبشيرهم"مقالا فيما سفه فيه معتقداتهم القائمة على تأليه المسيح عليه السلام فطلب منهم تنزيه أنفسهم عن ذلك واعتبار عيسى عليه السلام بشرا ورسولا "...إن موضوع الفصل يا لصوص العقول في البحث عن العمل ونبذ الكسل ،لا في شرح ونزول المسيح عليه السلام فإذا كان لكل شيء من تعليق فليكن في الموضوع لا في خارجه، إن كانت لكم نوايا حسنة،وقبل أن تخوضوا مسألة نزوله و أن تدخلوا فيما استأثر الله به يلزمكم أن تجردوه من الألوهية المزعومة و أن تؤمنوا به انه بشر و رسول وقبل أن تخوضوا في شرح نزوله و ان تدخلوا فيما لا يعنيكم يلزمكم أن تصدقوا انتم و أممكم بكل ما جاء به تبشيركم برسول يأتي من بعده اسمه"احمد" أما أن تكفروا به و بما جاء ثم تبشروا بألوهية و تدعو الناس أن يكونوا من تلاميذه فهذا نهاية الجنون و انتم أحوج الناس لان تدعوهم إليه ويحملكم على الإيمان به.[2]

و يحتج ضدهم لدى الحكومة و يحملها مسؤولية سكوتها من هذه الأعمال المنافية لما وعدت به المسلمين من احترام عقائدهم متسائلا عن سبب إرخائها العنان لهؤلاء يجوسون خلال الديار فسادا"...ونحن مع تأملنا في هذا الصنيع منها(أي الحكومة) لم ندرك سره و لا وجدنا له سببا يبرره فإذا كان قصدها بذلك تمهيد الطريق لها فقد تمهدت و ملكت على المسلمين ديارهم و أموالهم،و أي شيء بقي لها لم تصل يدها إليه و إذا كان قصدها به امتلاك قلوب المسلمين فان هذا يبعدها جدا عن المقصود و لا تزداد به إلا بعدا و لن تملك قلوب المسلمين بغير العدل و المساواة و الإحسان و مراعاة لمصلحتها ومصلحة المسلمين فإننا نحتج ضد وجود تلك الجماعات التبشيرية بالبلاد لا سيما في وادي ميزاب ونرجو منها بكل إلحاح إلغاءها وحلها[3].

1-ناصر أبو اليقظان ص 79 و ما بعدها

2-الشيخ أبو البيقظان ،يتقمصون في تبشيرهم جريدة وادي ميزاب عدد 1928/3/30/76

3-المصدر السابق

و حتى يكون الأولياء على بينة من أمرهم حثهم على ضرورة مراقبة أبناءهم الذين يبعثون بهم إلى المراكز التبشيرية بدعوى المعاملة الحسنة و مجانية التعليم حيث تكون التسهيلات المقدمة مقابل إدخالهم في المسيحية و تنشئتهم عليها [1]

و في سياق التصدي لنشاط المبشرين كتب الشيخ"الطرابلسي"[2] في جريدة وادي ميزاب مقالا تحت عنوان" سخافة المبشرين" فند فيه سخافة المبشرين في أطروحاتهم و قد ذكر في مستهل حديثه قصة ذلك الشاب السويسري الذي دخل إلى سوق المسلمين حاملا لبعض الكتب اليسوعية حيث طاف في أزقة البلد وكان كل من لقيه يعرض عليه ما عنده من الكتب ثم دخل سوق البلد و كانت السوق عامرة بالناس فاخترق الصفوف ليروج شيئا من الكتب بيد أن الناس قد عرفوا بضائع المبشرين و لما لم تروج بضاعة الشاب المبشر رجع بخفي حنين وجلس على مصطبه و اخرج ما عنده من الكتب فتكأكا عليه صبيان البلد و صاروا يسخرون منه حيث أراد أن يروج بضاعة ليست هذه سوقها.[3]

و ينصح هذا الكاتب المصلح المبشرين بأن يذهبوا ليبشروا حسب ما يزعمون بمن قتلوا المسيح وجلدوه و لم يؤمنوا بنبوته خيرا لهم من دعوتهم المسلمين ليدخلوا في دينهم ذلك أن المسلمين " متمسكون بأوامر كتابهم العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد [4]

و يذكر المبشرين بان المسلمين لا يوافقونهم في اعتقادهم الضال في مسألة قتل المسيح غليه السلام و التمثيل به معززا كل ذلك بشواهد من القرآن الكريم "......أيها المبشرون تريدون من المسلمين أن يوافقونكم في الاعتقاد بقتل المسيح و التمثيل به ... و المسلمون يقولون لكم قال الله العظيم في قرآنه الكريم " و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم و أن الذي اخلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الاتباع الظن و ما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه و كان الله عزيز ا حكيما [5]ثم يضيف ردا عليهم بشواهد ..... فيقول:

"أيها المبشرون تريدون من المسلمين أن يعتقدوا أن المسيح ابن الله و المسلمون يقولون لكم قال الله تبارك وتعالى في كتابه المحفوظ" و جعلوا لله شركاء الجن و خلقهم له بنين و بنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السماوات و الأرض أنى يكون له ولد و لم تكن له صحبة و خلق كل شيء وهو بكل

1- المصدر السابق

2- هو الهاشمي محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي(1887-1948م) ولد بمدينة طرابلس بليبيا وكان والده قد قدم إليها قبل هذا التاريخ من بريان جنوب الجزائر،حفظ القرآن الكريم و أخذ قسطا وافر من الثقافة العربية الإسلامية وزاول مهنة التعليم و بعد احتلال إيطاليا لطرابلس عاد إلى بريان وعاد إلى التعليم متنقلا ا بين القرارة بريان بسكرة،قسنطينة شارك بقلمه في الصحافة العربية الإسلامية و كان عضوا بارزا في جمعية العلماء المسلمين ،الجزائر أنظر د/ناصر المقالة الصحفية 29ص 299

3 - لطرابلس،سخافات المبشرين جريدة وادي ميزاب عدد116(11-1-1929

4- المصدر السابق

5- المصدر السابق

شيئ عليم، ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين و إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني و أمي آلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي حق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي و لا اعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي و ربكم و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ما كان لله أن يتخذ من ولد و قالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إذا...." [1]

و حتى يكون المسلمون الجزائريون على دراية من أمرهم و يحيطون علما بمكائد و مؤامرات المبشرين اهتمت الشهاب بموضوع التبشير و نقلت لقرانها مقالا تحت عنوان" جماعة المبشرين الامريكانية" ميتوديست" ببلاد القبائل و ترجمته إلى العربية جاء فيه بان هذه الجماعة مدعومة من أمريكا وتقدم خدمات مجانية للناس" فجماعات التبشير الأمريكية بالقبائل لها مركز قيادتهم بالجزائر(العاصمة) و إدارتهم المادية بيد وكيل عام لها تجول يده في الأموال الهاطلة عليها من أمريكا....أما القيادة الدينية الأدبية فبيد مطران امريكاني و جماعة الخدم و العملة اغلبها أمريكان وإنكليز وسويس[2]

و تظهر رغبة هؤلاء المبشرين في خدمة أغراضهم الدينية و الاستعمارية في محاولة نشر النزعات و إحياء النعرات فينقل الكاتب حرفيا عن أهداف المبشرين الأمريكان الذين كانوا ينفرون الناس من الفرنسية و تشجيع اللهجة القبائلية في نفس الوقت ".....كنا لا نستبيح اللوم على المسيول..من الوجهة الفرنسوية (أي السيطرة) لولا انه مستفرغ قواه و باذل جهده في إجلاء لغتنا و أبطال استعمالها فلقد اعتاد دائما انه لا يجيب رسالة تكتب له بالفرنسية من رجل أهلي و كلما لقي أطفال طبا بارورت وسلموا عليه بلغتنا يجيبهم بقوله:" لا تسلموا علي بلغة ليست لغتكم بل سلموا علي بالقبائلية [3]

و كان هؤلاء المبشرين الأمريكيين "الميتوديس" كثيرا ما يتجرءون أمام الأهالي على القدح و الطعن العنيف في الاسلام و على صد هؤلاء عن أداء واجباتهم الدينية و من وسائلهم في ذلك إكراههم على الإفطار في رمضان و إعطائهم لهم الخمر و المأكولات المحرمة عليهم دينا...."[4]

و لكي يعرف المسلمون بأن أعداءهم المبشرين الذين تغدق عليهم حكوماتهم أموالا طائلة في سبيل تحقيق مقاصدهم و أهدافهم يركبون كل المخاطر و الأهوال في سبيل التمكين لرسالتهم المسيحية

1-المصدر السابق

2- روني انلاند،جماعة المبشرين الامريكانية"ميتوديست" ببلاد القبائل جزء1،ترجمة الشهاب،ج4م5 ماي 1929

3- المصدر السابق

4- روني فانلان جماعة المبشرين الامر يكانية ميتوديس،ببلاد القبائل جزء2،ترجمة الشهاب ج5 م5 جوان 1929

هما بعدت الدار و نأى المزار و لهم من الشجاعة ما جعلهم يضمون أحيانا صوتهم لصوت الشعوب المستعمرة قبل دولهم وليس لهم من مهما سوى تحقيق مشروع التنصير و قد كتب في هذا الصدد الزعيم الإسلامي الكبير أرسلان[1] مقالا تحت عنوان:" ليس التبشير دعاية دنيوية استعمارية كما يظن بعضنا" جاء في بعض فقراته النقاط التالية:

حيث بين بداية المشاق التي يتحملها المبشرون لتحقيق أهدافهم" ..فالقسوس و الرهبان و الدعاة إلى النصرانية المخاطرون لأجلها بحياتهم في أقصى الأصقاع و المقتحمون في سبيلها القتل و الموت بالحمى الصفراء و بمرض التوم و غيرها و الراضون من جرائها بشظف العيش و فراق الأهل والديار ولا تعرضوا لكل هذه المخاطرة من أجل مآرب دنيوية بل من أجل مقاصد أخروية صرخة يريدون بزعمهم أن يهدوا بقية البشر.

و إني لأحترم هؤلاء الرهط من كاثوليك و بروتستنات أشد الاحترام و أتمنى أن يكون في الإسلام من يقوم بعشر معشار ما يقوم به هؤلاء من التضحية في سبيل ملته.."[2]

و في سبيل التمكين لدينهم المسيحي الذي يعملون على نشره كانوا لا يجاملون دولهم إذا تعلق الأمر بمسألة تأييد سيادة الشعوب التي تستعمرها دولهم "..و مما لا شك فيه أن الدول الأوربية تستشم حراسهم و إنما تساعدهم على مهماتهم بقدر استطاعتها لأنها تعتقد أن نشر المسيحية في مستعمراتها يكون عاملا عظيما في استتباب حكمها و مانعا من الانتقاض عليها و لكن المبشرين لا يهمهم توطيد الحكم الأوربي إلا إذا كان مساعدا على نشر المسيحية و بمجرد ما يرون الحكم الأوربي سببا للتنفير من المسيحية يكرهونه و يتمنون زواله لان هدفهم الحقيقي ليس نشر الولاية الأوربية بل نشر الإنجيل بأية طريقة كانت.

و لما ثارت الصين في السنوات الأخيرة في وجه أوربا و رأى الفاتيكان أن المتنصرين من أهل الصين هم متحدون مع أبناء جلدتهم البوذيين و أن الجميع يكرهون السيادة الأوربية أعلن البابا بمنشور شهير وجوب إجابة الدول الأوربية بمطالب الصين الوطنية بدون قيد أو شرط.

فكانت ترى أن هوى البابا هو حيث تكون مصلحة الدين المسيحي الكاثولوكي لا حيث تكون السلطة

1- مفكر إسلامي كبير ولد بلبنان سنة 1286هـ الموافق ل 1865م و توفي سنة 1937 سخر حياته لخدمة العروبة والإسلام و سلّ قلمه كالحسام ضد الاستعمار الاوربي ألف عدد كبير من الكتب القديمة منها" النهضة العربية في العصر الحديث" محاضرة و تعليق عن كتابه " حاجز العالم الإسلامي للمزيد عنه انظر د/سامي الدهان، الأمير شكيب أرسلان حياته و آثاره :دار المعارف بمصر 1976

2- الأستاذ : شكيب أرسلان، ليس التبشير دعاية دنيوية استعمارية كما يظن بعظنا، الشهاب ص749

الأوربية...."[1]

و يناشد الشيخ أرسلان المسلمين على شكل استفهام تساؤل؟ بأن يقتدوا بهؤلاء المبشرين في التمكين للاستعمار الذين لا هم لهم إلا نشر دينهم و أن اجتمع ذلك مع الدنيا"...فأين المبشرون بالإسلام الدعاة إلى القرآن الذين يبذلون الأموال و يجوبون الصحاري و يسلقون الجبال و يركبون البحار لأجل نشر كلمة التوحيد؟ و أين الجمعيات المؤلفة لهذا الغرض الحميد؟

انه سواء كانت رسالات الإفرنج التبشيرية ترمي إلى غرض ديني أو دنيوي فالنتيجة واحدة و هي أن هذه الرسالات من جميع الإفرنج تجاهد في نشر الدين المسيحي بنشاط يقصر عنه كل وصف"[2]

كما يأسف الأستاذ الشيخ محمد السعيد الزاهري للأوضاع المتردية التي آلت إليها البلدان العربية و الإسلامية من التفرق و الانشقاقات.وهدر الطاقات الأمر الذي أعطى الفرصة الذهبية لكل أعداء الإسلام من مبشرين و مستشرقين و مستعمرين لمحاولة اقتحام قلعة الإسلام و في ذلك يقول:".. التبشير المسيحي في كل يوم يهجم على الإسلام و يصحبه في دياره و علماء المشرقيات باسم البحث العلمي في كل يوم يهدمون معنا جديدا من قواعد الإسلام وحصونه و الاستعمار باسم التمدين يحاول أن يلتهم الإسلام التهاما و في كل يوم تصدر آلاف من الصحف والمجلات و الخطب و المحاضرات وكلها مطاعن و مفتريات على الإسلام في كل لغة من اللغات ومع ذلك أن المسلمين مازالوا طوائف وشيعا منقسمين على أنفسهم متفرقين في دنياهم لم يشعروا بما حاق بهم جميعا من الخطر الجسيم و ما مازال أكثر علماء الدين يؤلف لينصر طائفة مسلمة على طائفة أخرى أختها و ما زالوا في جمود وشقاق وضغائن و أحقاد..." [3]

و انتهى الشيخ الزاهري إلى القول بضرورة نهوض علماء الإسلام للتبشير بالدين الإسلامي و تسفية أفكار المبشرين و التصدي لهم إعلاميا في بلاد المسلمين" ...إني اعتقد أن التبشير الإسلامي في هذا اليوم هو ايسر ما يكون لو اجتهد علماء الإسلام و اعتنوا بهذا السفه و هذه المطاعن التي طعن بها الإسلام فجمعوها و تتبعوها و نقضوها و زيفوها بالحق و الآيات البينات ثم نشروا ذلك كله بين عامة المسلمين فان ذلك خير للناس و أجدى على المسلمين من كثير من مسائل" علم الكلام" والمسلمون بطبيعتهم الدينية دعاة مبشرون و إنما تنقصهم المعلومات الضرورية للتبشير بالإسلام..."[4]

أما الأستاذ محمود بوزوزو فقد كشف في مقال له بجريدة المنار تحت عنوان " ماذا تريد الكنيسة الفرنسية" عن ذلك الارتباط الوثيق بين التبشير و الاستعمار(5) حيث كان كل طرف يخدم الآخر،

1-المصدر السابق 2 -المصدر السابق 3 -الشيخ الزاهري ، الإسلام في حاجة الدعاية...ص118-119

4- المصدر السابق،ص119

5-من الشواهد التاريخية على تعاون المبشرين مع المستعمرين ما كان يقوم به رجل الدين الكاتوليكي بييردوفوكو بتمنراست و كان ضليعا في العربية و اللهجات المحلية و منها التارقية حيث كان يخدم سلطة الاستعمارية تحت غطاء الدين و ذلك بالتنسيق مع صديقه الحميم الجنيرال لابيرين فقد كان جاسوسا سريا لفرنسا يبعث بالتقارير إلى المكتب الثاني و لمّا اكتشف أمره و عرفت حقيقته عمد توارق على قتله أنظر ركيبي : الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز ص : 109-111.

فقد فسح المستعمرون المجال واسعا لدعاة التبشير المسيحي في الجزائر و قدموا لهم التسهيلات حيث"... أفسح المجال للتبشير و التنصير بوسائل مباشرة من ذلك _ بفضل سياسة التفقير و التجهيل مكن الكنيسة من الطمع في تنصير أطفال المسلمين الأيتام و الفقراء محاولة استغلال الفقر و الجهل جاعلة "الإحسان" وسيلة لبلوغ أهدافها و من هنا يتجلى ما بين الكنيسة و الحكومة الفرنسية"اللائكية" من صلة وثيقة كلتاهما تخدم الأخرى و تمهد لها الطريق...[1]

و يستغرب من هذا التحالف بين الاستعمار و الكنيسة حيث لا تؤمن أي طرف بآخر و لكنها المصالح هي التي جمعت بينهما و جعلتهما ينسقان لخدمة أغراضهما على حساب الجزائريين"...و إنها لظاهرة تدعو إلى عجب! اللائكية تؤيد الكنيسة و الكنيسة تؤيّد الحكومة اللائكية و هما في الظاهر مختلفان و من المعلوم أنّ العلاقة بين الدين و السياسية لاعتبار لها في اللائكية المبنية على مبدأ فصل الدين عن الدولة و لكننا نشاهد بعض رجال الكنيسة يسخرون الدين في خدمة الاستعمار وتدعيم أركانه [2]

و يستحضر الأستاذ يوزوزو شواهد تبرز بكل جلاء ميول المبشرين الاستعماريين و سكوتهم عن الجرائم المرتكبة ضد الشعوب مما يعكس حقيقة توجهات هؤلاء المبشرين الذين يقولون ما لايفعلون بل وكثيرا ما يتواطئون ضد الشعوب التي يدعونها لاعتناق المسيحية"...و لا تستطيع الكنيسة أن تنكر أنها خدمت الاستعمار: أنها خدمته بسكوتها عن مظالمه و مفاسده و خدمته بتحريضها إياه على التمادي في الظلم و الطغيان فقد رأينا مثلا في العهد الأخير دون أن نرجع إلى العهد القديم- مونسينيور لينو كبير القساوسة في الجزائر ساكتا عن مجزرة 8 ماي 1945م التي قتل فيها عشرات الآلاف من المسلمين الجزائريين شر قتلة ظلما و عدوانا كما رأينا في الأيام الأخيرة أحد القساوسة في الجزائر يخطب فيما يخص مجزرة الهند الصينية قائلا أن الفرنسيين المسيحيين يحاربون هناك في سبيل مدنية و مجد راية...و لا يخفى ما في سكوت الأول و تحريض الثاني من منافاة للتعاليم المسيحية السمحة، و إن دل هذا على شيء فلا أقل من أنه يدل على تواطؤ الكنيسة و الاستعمار على محاربة الإسلام في عقر داره وعلى إذلال الشعوب و استغلالها في أوطانها[3]

و يحمل الشيخ يوزوزو مسؤولية الجرائم الاستعمارية إلى رجال الدين المسيحي الذين لم يسعوا إلى تطهير و تهذيب نفوس المستعمرين فيقول"" و لا مبالغة أن يحشر الاستعمار في جملة المذاهب

1-محمود بوزوزو ، ماذا نريد الكنيسة الفرنسية؟ جريدة المنار عدد11،السنة الثانية الجمعة 26صفر 1375هـ 14نوفمبر 1952

2-المصدر السابق.

3-المصدر السابق

الهدامة و مسؤولية الكنيسة في ذلك غير بريئة فان تقصيرها في تطهير أرواح المستعمرين وتواطؤها معهم على الإدلال و الاستغلال من أسباب تقريبهم إلى الهاوية....."[1]

و يخص كبير القساوسة بالجزائر " مونيسيور لينو " بالنصح فيدعوه إلى توعية الفرنسيين المستعمرين بمبادئ المسيحية الحقة من غرس لقيم الحب و العدالة عسى أن يهذب سلوكاتهم و أعمالهم الاستبدادية ضد الجزائريين و أن لا يفكر في نشر دعوته المسيحية في الأوساط الجزائرية لان لهم دينا يغنيهم عن سواه

"..فإذا كانت الدعوة عامة للفرنسيين و الجزائر ين يشترط أن يترك للمسلمين الحرية المطلقة في الدعوة إلى الإسلام و إن كانت خاصة بالوطنيين فنحن نرحب بان يتحلى الفرنسيونب سياسة ودية بما في المسيحية من حب و عدالة اجتماعية علنا نجد نسيما طيبا بلسما لما نعانيه من الجروح الاستعمارية الحسية و المعنوية و إما إذا كانت الدعوة خاصة بالجزائريين المسلمين ففي دينهم غنية من كل دعوة وهو دين الله الحق" إن الدين عند الله الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل عنه وهو في الآخرة من الخاسرين"

فالمسلمون الجزائريون يرجون من " منسينيور لينو" و أمثاله أن يعترفوا لهم بحقهم في أن يعيشوا أحرارا في وطنهم يديرون شؤونهم بأيديهم و يتمتعون بكامل الحريات التي يتمتع بها الأحرار...."[2]

إن محاولات التبشير التي وقعت في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية لم يكتب لها النجاح في الأخير على الرغم من كسبهم لعناصر هنا و هناك جعلت رجال التبشير المسيحيين يقدمون مع بداية الثلاثينات من القرن العشرين على الاحتفال بتنصير ألف وسبعمائة جزائري و قد دفع هذا بالشيخ الزاهري إلى تنبيه الأمة الجزائرية إلى ضرورة الوقوف في وجه هؤلاء المبشرين قبل فوات الأوان حيث اعتناق النصرانية لا عن اقتناع بها و لكن عن ظروف صعبة و قاسية من فقر مدقع و حرمان"...و ليس على وجوههم و لا علامة واحدة تدل على انهم قد رضوا لأنفسهم هذا الدين الجديد أو ارتاحوا إليه و كان أكثرهم أطفالا صغارا قد عجز آباؤهم و أولياؤهم أن يقوتوهم أو أن يقودوا على ضرورياتهم، فالتقطهم المبشرون المسيحيون ،واستغلوا جوعهم وضعفهم فاستولوا عليهم واحتلوا منهم العقائد و القلوب...هؤلاء المرتدون لم يتركوا دينهم القيم حبا في النصرانية و لكنهم تنصروا ضعفا و جهلا...و ليس في هؤلاء المنتصرين و لا واحد مطبقا ومهما كان فقيرا معدما و إنما تركوا الإسلام إلى النصرانية حينما كانوا-كما لا يزالوا أكثرهم- ذرية ضعافا ما لهم من أولياء يواسونهم عند الحاجة الشديدة و الضــــــرورة القصوى....."[3]

و يهيب الشيخ الزاهري بالأمة الجزائرية لكي تنظر في هذا الأمر الذي يمثل شرا مستطيرا على

1-المصدر السابق

2-المصدر السابق

3-الشيخ الأستاذ الزاهري،ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف و يعتنقون النصرانية الكاثولوكية ،جريدة الشريعة ط عدد2 (1352هـ 24 جويلية 1933)

الإسلام في الجزائر داعيا إلى مقاومته و التصدي له قائلا "أيها الجزائريون إنها لكبيرة من الكبائر وعظيمة من العظائم أن ينتصر ألف وسبعمائة مسلم من صميم الإسلام في وطن كالجزائر كان أهاليه مسلمون لا يوجد بينهم و لا واحد غير مسلم و نحن بعد ذلك ندعي أننا من أشد الناس تمسكا بالإسلام يجب أن نعالج هذا الداعي بالوسائل العادلة المشروعة قبل أن يستفحل و يعظم أمره علينا فلا يستطيع أن نداويه أو أن نتلاقاه إن هذا العدل من أطفالها المنتصرين هو عدد كبير جدا و لا يزال يتزايد كل يوم وإن استمر هكذا فإننا نخشى على مصير الإسلام في هذه الديار.
أيها المسلمون الجزائريون كيف نرى أطفالنا و أفلاذ أكبادنا يفتنونهم عن دينهم و يصدونهم عن سبيل الله ثم لا نتحرك إلى إنقاذهم و لا نذهب أنفسنا عليهم حسرات!!! بمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام و آمان[1]

أما الأستاذ محمد خير الدين فقد عقد في هذا الصدد مقارنة بين مثابرة المبشرين لنشر ديانتهم بين ظهرانينا، وتقاعس وخلود الطرقيين إلى الراحة بل وإلى تشويههم لحقائق دينهم الحنيف فيكونون بذلك قد قدموا حدمة جليلة لأعداء الاسلام والمسلمين"..إذا كان الطرقيون هم رجال الدين حقا فما بالهم؟...يدعو المبشرون المسيحيون إلى دينهم ويبذلون الجهود ويجوبون مجاهل الأرض مستعذبين العذاب في سبيل نشر عقيدتهم، وهم يطوقون البلاد يدعون إلى طرقهم يجمعون الأموال ويتنافسون في التكثر من الأتباع ثم لا نكاد تسمع أحدهم يأمر بمعروف أو يسدي نصيحته لاخوانه المسلمين على كثرة ما يصادفه من منكر وفضاعة ويشاهده من سوء حال المسلمين.

يشد رجال الدين المسيحيون لكنائس فلم يتركوا في هذا الوطن بلدا إلا أقاموا فيه كنيسة وصومعة تقام فيها شعائرهم فما رأينا جماعة فيهم قابلوا هذا العمل بمثله وأسسوا في البلدان التي لا مساجد فيها تقام فيها الصلاة ويذكر فيها اسم الله..." ثم يضيف قائلا" قد استطاع الطرقيون بكل سهولة أن يفسدوا العقول وينتزعوا العقائد الصحيحة من القلوب ليحلوا ملها أباطيل فيها كثير من هنات الجاهلية الأولى، واستطاعوا أن يمهدوا لأعداء الاسلام والكائدين له بما أوجدوا في الأوساط الاسلامية من كسل وخمول واستسلام ورضا بالدون....[2]

5) التصدي للإلحاد: لم يغفل المصلحون الجزائريون كذلك ما كان يروج في المجتمع الجزائري من أفكار تدعو إلى التمرد على القيم الإسلامية و قد نتج هذا كتحصيل حاصل لانتشار الثقافة الأوربية بأفكارها اللائكية العلمانية و التعليم الأوربي اللاديني و غذته غفلة الأباء و الأولياء من هذه الناحية الضعيفة من أبنائهم [3]

و قد برر الشيخ الإبراهيمي مسألة انتشار الإلحاد ولو في نطاق ضيق إلى تلك التناقضات

1- المصدر السابق

2-أنظر جريدة البصائر 29 جويلية 1938

3-أنظر السجل...ص69

الكبيرة التي يأخذها من أوليائه المخلوطة بالخرافات"....و إن من الأسباب التي مكنت الإلحاد في نفوس الشبان المتعلمين مجانبة علماء الدين الجاحدين لهم و نفورهم منهم، و هي عادة ما يزال يتسم بها هذا الصنف من العلماء و بهذه العادة السيئة كادوا يضيعون على الأمة طائفة من أبنائهم دخولها للمستقبل وعدتها للشدة.....[1] و يرى بأن الطرقية مدخل للإلحاد"...وانك لا تبتعد إذا قلت إن لفشو الخرافات وأضاليل الطرق بين الأمة أثرا كبيرا في فشو الإلحاد بين أبنائها المتعلمين تعلما أوروبيا الجاهلين بحقائق دينهم ،لأنهم يحملون من الصغر فكرة لأن هذه الأضاليل الطرقية هي الدين و أن أهلها هم حملة الدين، فإذا تقدم بهم العلم و العقل لم يستسغها منهم علم و لا عقل، فأنكروها حقا و عدلا،أنكروا الدين ظلما وجهلا و هذه إحدى جنايات الطرقية على الدين"[2]

واعتبر الشيخ الإبراهيمي إن محاربة المصلحين للطرقية هو محاربة للإلحاد في معانيه وحسم لبعض أسبابه[3]

و أمام جمع غفير من المعلمين وجه الشيخ الإبراهيمي خطابا بين فيه للحضور أن الجهل بحقائق الإسلام و ضعف الصلة بالله تعالى يؤدي إلى الإلحاد كما أن التساهل في إقامة شعائر دين معين على نشر الإلحاد الجديد و في ذلك يقول :" ....فاحذروا الظهور بمظهر المستخف بالدين ولو في فلتات اللسان،فان لكل خلته و لكل كلمة تصدر منكم آثار في نفوس تلاميذكم لأنكم محل القدوة عندهم و لان زمنهم يتبرع بالباقي، فان وجد العون منكم كان أجود بالشر من الريح المرسلة "[4] و يضيف".....انتم حراس هذا الجيل و القوامون على أبنائه و أنتم بناة عقوله و نفوسه فابنوا عقوله على أساس من الحقائق وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل لأن الاستعمار شيطان و الشيطان عدو لنا يجب اتخاذه عدوا[5] ويندرج في هذا السياق أيضا مقالات الشيخ أبوا اليقظان التي تدور حول فكرة جوهرية و هي: أن كل بلايا و المصائب التي تصيب العالم الإسلامي عامة و المسلمين الجزائريين خاصة مرجعها إلى هذه التيارات الفكرية التي دخلت كل بيت فأفسدته عقيدة و سلوكا.[6]

و حتى لا يستلب الشباب المسلم بالأفكار الغربية و يسقط في هذه التبعية و التقليد الأعمى للقوانين الغربية اجتهد الشيخ أبوا اليقظان في إبراز مناقب التشريع الإسلامي و مزاياه و صلاحيته لكل زمان و مكان مدعما في خمس حلقات تحت عنوان" التشريع الإسلامي بشواهد النقل و العقل إيمانا منه

1-المصدر السابق ص70

2- المصدر السابق ص 71

3-المصدر السابق ص71

4- آثار الشيخ البشير الإبراهيمي الجزء3 دار الغرب الإسلامي 271

5-المصدر السابق، ص 27.

6-د/ناصر المقالة الصحفية المجلد 1 ص 98

بأن الشباب المسلم المثقف لم يعد يؤمن و يرضخ لغير الحجة و البرهان.

"...إن اكبر باعث لنا على خوض هذا الميدان و أن لم نكن فرسانه هو ما رأيناه بأعيننا و سمعناه بآذاننا و لمسناه بأيدينا من جراثيم الزندقة و الإلحاد التي سرت عدواها من الغرب إلى الشرق من طرق عديدة و سبل كثيرة..."[1]

كما تصدى المصلحون الجزائريون كذلك لحملات التشهير و التشويه للدين الإسلامي حيث ردوا على الكتاب الفرنسيين الذين سخروا أقلامهم للنيل من الإسلام كجزء من الحملة العدوانية التي تستهدف الكيان الجزائري الروحي و الثقافي و قد اعتبر الجزائريون ذلك جهادا ضد أعداء الدين والوطن لا يقل رفعة عن جهاد السيف و البندقية.

ولعل من ابرز الكتاب المصلحين الذين تصدوا لغارة الاستعمار على الإسلام الشيخ السعيد الزاهري الذي كان يبدج المقالات الرائعة و ينشرها في الصحف العربية دفاعا عن الإسلام كصحيفة الفتح لمحب الدين الخطيب حيث سفه الشيخ الزاهري دعاوي الاستعمار الآثمة على القرآن الكريم ومحاولاته التشكيك فيه ردا على مزاعمه الواهية التي تقول"...أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعرف القراءة و الكتابة و يدرس الكتب القديمة،لكي يصح ان يكون هو الذي عمل القرآن [2] فيبين بأن هذه لا تعدو أن تكون مفتريات قد افتراها العرب المشركون في عهد النبي صلى الله عليه و سلم من قبل أن تعضعض بها ألسنة هؤلاء المستعمرين و قد ادحضها القرآن و زيفها تزيفا،ثم أبرز رسالة القرآن الكريم في الحياة وتنظيم المجتمعات الإنسانية بما يتجاوب مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها "...فان من يتدبر-و لو قليلا- يعلم أنه منزل من الله ما فيه من شك و انه ما يقدر عليه من أحد غير الله بتناول القرآن ما يسمونه(الفلسفة الإلهية) أو "الإلهيات" و نسميه نحن " غيب السماوات و الأرض" فيذكر لنا من ذلك ما يمكن أن تؤمن به الفطرة البشرية كلها او ما يجب على الفطرة البشرية كلها أن تؤمن به أيمانا فيه الرضى و فيه الهدوء و الاطمئنان..." [3] ثم يضيف مبينا الدور التربوي للقرآن الكريم فيقول"...يتناول القرآن إصلاح هذه الإنسانية من ناحية التربية و التهذيب فيضع لها المثل الأعلى للفضيلة و الخلق الكريم و يدعوك القرآن إلى المثل الأعلى من الفضيلة و الخلق الكريم و يشوقك ويغريك به إغراء كثيرا حتى يصل بك -إذ أنت تخلقت بخلقه إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه امرؤ من الكمال [4]

أما الأستاذ عبد الحفيظ بن الهاشمي فقد تصدى للكاتب" أندري سرفييه" الذي ألف كتاب عن الإسلام كله كذب و افتراء و تشويه لحقائقه زاعما أن الدين الإسلامي دين بداوة ينافي كلية للحضارة

1-المرجع السابق،ص99

2- أنظر الزاهري، الإسلام في حاجة إلى دعاية...ص40

3-المصدر السابق ص4-41

4- المصدر السابق، ص41

والمدنية حيث فند اتهامات سرفييه بالحجة و البرهان"...من الغلط الذي ارتكبه انه حصر الإسلام و العربية في سكان البوادي..ثم ذكر أن البادية عدوة الحضارة و نفى كل محمدة فضيلة عن نبي الإسلام غير أننا نغلطه فيما يزعمه و نقول أن الإسلام لم يكن محصورا في سكان البادية بل عمّ القاصي و الداني من الحضر والبادية و لم يكن قاصرا على محيط جزيرة العرب بل عمّ باقي آسيا وتعدى إلى إفريقيا و أخذ بأطراف أوربا و ذلك في مدة لا تتجاوز ربع قرن كما سلفناه فان كان كل ذلك يسمى بادية فنقول له انه بادية [1] ويستحضر الأستاذ بن الهاشمي جملة من الشواهد التاريخية التي تدحض ادعاءات سرفييه الزائفة بان المسلمين لم يكن لهم حظ في صنع الحضارة فيقول"..أما دعوى أن مخترعي الفنون الأندلسية أصلهم من إسبانيا و اسلموا فالجواب أن التاريخ يكذبه فليس هناك دليل تاريخي يرشد إلى أن النابغين ببلاد الأندلس أصلهم من إسبانيا، و إنما الذي حكاه لنا التاريخ هو تجنس مسلمي الأندلس بالجنسية الإسبانية قسرا اثر الواقعة الشهيرة ..مالك ياسرفييه نسيت أو تناسيت رجالا لهم صدى بعيد في التاريخ إلى آخر المدى"كابن سينا" و "الفارابي" فيلسوف الإسلام اللذين خلفا من فنون الطب و الفلسفة ما جعل فطاحل أوربا اليوم تقتبس من نورهم و قد ترجمت أغلب كتب ابن سينا كما نعرف به المنتقد كما ترجمت مقدمة ابن خلدون إلى لغات عديدة التي ألفها صاحبها في البادية!!! كما ترجم أيضا مقدار وافر من كتب ابن رشد و غيره[2]

و في سياق الردّ على المفترين على الإسلام كشف الأستاذ أحمد ابن الهاشمي عن مبلغ ما يلحقه الكثير من المستشرقين من خلال أبحاثهم و ترجماتهم للقرآن الكريم من أخطار سواء عن قصد منهم أو عن قصور لإدراك كنه و أسرار العربية و في ذلك يقول (... حاولوا مجاراة أبناء اللغة و مقاسمتهم خفايا أسرارها و مستودعات خزائنها و هؤلاء قد حكم الزمان اليوم فيهم حكمه إنهم و إن كانوا خدموا العلم نوعا ما في هذا الباب فمن ناحية أخرى – ناحية فهم الكتب العربية و تفهيمها لأبناء ملّتهم قد أخطأ الجلّ منهم وجه الطلب و كلّ جهودهم و مساعيهم في هذا السبيل أسفرت عن نتائج يا ليتها كانت سلبية فقط فيهون الخطب و يتخلّص العلم منها لا له و لا عليه و لكنها لسوء الحظ فتحت مائات من الأبواب للطعن في الإسلام و زادات في أسباب سوء التفاهم بين المسلمين و الفرنسيين ...) (3).

1-الأخ عبد الحفيظ بن الهاشمي ، الإسلام لا تعمل فيه الأحلام ، الرد على أندري سرفييه ،جريدة النجاح عدد 110 11 ماي 1923

2- المصدر السابق

3-أبو العباس أحمد ابن الهاشمي المستشرقون و القرآن جريدة البصائر عدد 24 (1936/06/19

منبها للمثقفين المسلمين لضرورة أخذ هذه المسألة بجدية حتى لا تظهر صورة الإسلام سوداء زورا و بهتانا في عقول الغربيين (...إن المسلمين كغيرهم مدفوعون بحكم الجبلة لمحبة كلّ من له إنعطاف بل مجرّد إحترام للغتهم بقدر ما عندهم من التعظيم لكلّ من يخدم الحقيقة على الوجه الذي يرضي الحق و لكن اليوم و قد تعاطى الأجانب لها أشبه شيء بثغر تجهز منه الغزوات نحو الإسلام و المسلمين أو على الأقل للتخفيف من وطأته ...) (1)

و عندما أراد لويس بيرتران أن ينال من الحضارة الإسلامية و يسود صحائفها البيض على الإنسانية من خلال عملية افتراء منه على إبداعات الإنسان المسلم الشرقي الذي اتهمه بالتقليد والمحاكاة واجترار ما انجزته حضارات الشعوب الأخرى تصدى له الأستاذ محمد الصالح خبشاش من خلال مقال له نشره بالشهاب تحت عنوان" افريقيا غربية لا شرقية جاء فيه " عن زور وبهتان، أو عن خطأ ونسيان إذ المعروف أن الغربيين هم المطبوعون على التقليد لكنهم إذ قلدوا في شيء نسبوه إليهم، وعدوه من مخترعاتهم،و قد قلدوا العرب في كثير من الأشياء حتى في القميص ،فاسم القميص ،شميز (chemise) عندهم إذ نطق به حسب اللغة اللاتينية يكون قميصا عربيا،وهذا دليل على أن القميص الذي هو ضروري للبشر لم يكن من مخترعاتهم و إنما أخذوه عن العرب"[2]

أما الشيخ الإمام ابن باديس فقد عز عليه أن يصمت بعد أن راح أحد غلاة المعمرين بالجزائر ويدعي آشيل روبير يطعن في الإسلام و يقدح في تعاليمه و قيمه السامية و النبيلة فجرد عليه قلمه كالحسام ورد في الشهاب مفندا مزاعمه بالدليل و البرهان التي يدي فيها آشيل بأن المسلمين لهم تعصب وعداوة وحقد ضد المسيحية الغربية و أن القرآن كتاب مثير للحروب عنوان للهمجية و أن المسلمين بسببه لا يزالون يناصبون أوربا العداء و أن كل حركة تقوم في المشرق و المغرب الإسلامي،إنما تقوم لحزازات دينية في قلوب المسلمين أثارها في صدورهم القرآن.[3]

فيذهب الشيخ ابن باديس لإبطال مزاعمه بعيدا في أغوار التاريخ كاشفا تلك الحقائق المرة المتمثلة في النزعة العدوانية لأوربا المسيحية ضد عالم الإسلام و ما ارتكبت من جرائم فضيعة في حق المسلمين لا ذنب لهم سوى أنهم ليسوا مسيحيين مبينا في نفس الوقت سماحة الإسلام مع غيره من معتنقي الديانات الأخرى.

1-المصدر السابق.

2-محمد الصالح خبشاش إفريقيا غربية لا شرقية الشهاب عدد 7 (24 /1925/12

3-أنظر ناصر ،المقالة الصحفية جزء1ص193-194

"...عاش النصارى و اليهود و المجوس في الشرق و الغرب في حجر المسلمين و تحت سلطانهم، قرونا طوالا فما أكرهوا على إسلام و لا نصب لهم ديوان تفتيش[1] و لا أرهقوا بالضرائب و لا اقتيد وا للموت في سبيل الإسلام،ولا انتزعت أراضيهم بأفانين الاحتيال ولا منعوا من قراءة دينهم و لغتهم بوجوه المنع،و لا أخذت أموال بيعهم و كنائسهم و لا تعرض للطعن و التشهير بأديانهم، و أعراضهم وعظمائهم بالزور و البهتان و لا خصصوا بأحكام استثنائية في قانون العدل العام بل كان لهم فالمسلمين و عليهم ما عليهم...[2]

و كان رد الشيخ ابن باديس على آشيل في نظر الشاعر محمد العيد مشابها بل وانعكاسا لمواقف الشيخ محمد عبده من المستشرقين (هانوتو) و (برتيلو(فقال الشاعر يخاطب الإمام عبد الحميد ابن باديس

هذا ابن باديس يحمي متـــئدا كذلك يتئد الشــــم الأماثيـــل

إني أرى(عبده)المرحوم مندفعا ينحي على زعم (هانوتو) و (برتيلو)

كما رد الشيخ ابن باديس على المستشرق الكبير جوستاف لوبون لما ذهب إلى اتهام الإسلام بأن له ثمة علاقة مع الإيديولوجية البلشفية ورفض طرحه جملة و تفصيلا و يبين له ذلك البون الشاسع الموجود بين البلشفية القائم على الظلم و الاستبداد و حضارة الإسلام و نظامها العادل [3]

كما انتقد الشيخ ابن باديس الشيوعية واعتبر الإسلام هو القادر وحده على تقويض أركانها"...الإسلام و مبادئ الشيوعية على طرفي نقيض ، بل الإسلام متى تغلغل في نفس المسلم عامل قوي في تعويض الشيوعية الهدامة لكل دين ليس فيه من عناصر القوة الروحية ما يدافع به عن كيانه

--لقد نصبت إسبانيا الكاثولوكية بعد سقوط غرناطة المستعمرة سنة 1492 ديوان محاكم التفتيش

-الذي كان يقدم إليه الأندلسيون بمجرد الشك في انهم مازالوا يمارسون عبادتهم الإسلامية فيذوقون ألوانا من العذاب والبطش الوحشي..

1--ناصر، المقالة الصحفية جزء 1 ص194

2-د/ صالح خرفي، الشعر الجزائري...ص85-86

3-ناصر،المقالة الصحفية جزء1ص194

وكيان أربابه...فإننا لا نغالط أنفسنا في الحق و لا نستطيع أن نواريه...[1]

ويؤكد على ما ذهب إليه الشيخ ابن باديس الأستاذ مالك بن نبي الذي رفض المنهج الماركسي لتفسير الحضارة فيقول:" فماركس [2]ومدرسته يذهبان إلى إن كل اكتمال تاريخي لا يكون إلا نتيجة الضرورات المادية،وحاجات الإنسانية الاساسية، و بالتالي الوسائل الفنية التي يخترعها و يستعملها في تلبية الحاجات فالحاجة و الفن الصناعي يمثلان في نظر ماركس، مركزي التقاطب لقوى الإنتاج المركزين اللذين يحدان العلاقات الاجتماعية الخاصة بحضارة معينة، كما يحددان هذه الحضارة ذاتها معنويا و ماديا [3]

و يدحض الأستاذ مالك بن نبي هذا الطرح الماركسي في التفكك الذي يحصل للعلاقات الاجتماعية و سقوط الحضارات" و لكن هذه النظرية لا تفسر لنا النقطة الأساسية الماثلة فيما يحدث من تفكك العلاقات الاجتماعية و تلاشي الحضارات،دون ظهور أي تغيير في طبيعة الحاجات ووسائل الإنتاج......و هكذا نجد في التفسير الماركسي للوقائع التاريخية ثغرة أحدثها التحليل المفرط في المنهجية لهذه الوقائع ذلك التحليل الذي يتخذ نقطة انطلاق من حتمية مادية أي من عملية ميكانيكية لا إرادية لتخطيط الحضارة"[4]

و جملة القول أن مواجهة أعداء الإسلام من مبشرين و ملحدين و أصحاب مذاهب هدامة ومستشرقين حاقدين على العروبة و الإسلام قد احتلت حيزا هاما من الخطاب النهضوي الجزائري حيث اعتبرت على أنها تشكل خطرا حقيقيا على الأمة و أن عملهم يسير وفق مخطط استعماري دقيق يرمي إلى الإجهاز على الكيان الروحي للامة بعد أن تمكنت الجيوش المجهزة بأحداث آلات الدمار من السيطرة على الكيان المادي لها و من هنا نجد مواجهة هذه التيارات الهدامة الوافدة كانت مسؤولية على عاتق المصلحين و المثقفين الوطنيين الذين تصدوا لها من خلال خطبهم المنبرية في المساجد ومحاضرات في النوادي و مقالاتهم في الصحف.

حيث كشفوا للجمهور العريض من الجزائريين زيف ما يدعيه هؤلاء المبشرين الذين يلجئون إلى أساليب ماكرة لاقتناص العقول، و تشويه حقائق الإسلام ،و فساد منطق هؤلاء الملحدين الناشرين لسمومهم من خلال دروسهم العلمية في ثوبها الأكاديمي.

1- علواش، منهج ابن باديس ص .429

2-يعتبر كارل ماركس(1818/ 1883) المفكر الألماني زعيم النظرية المادية في تفسير التاريخ و يعد "الرأسمال" مرجعية كل الأحزاب و التوجهات اليسارية في العالم.

3--د/ سليمان الخطيب،فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت ط(1) 1413هـ 1993م، ص137-138

4- المرجع السابق،ص 138.

خلاصـــــــة

مما سبق ذكره و تبيانه من جهود مضنية للعلماء المتنورين الجزائريين في حقل الدعوة إلى الاجتهاد ،و نبذ الجمود و التحجر الفكري، و مواجهة كل أعداء الأمة الجزائرية من فكر طرقي جامد ومتخلف لا يساعد إلا على مزيد من التقهقر للإنسان الجزائري في كل مناحي الحياة المادية و الروحية ومواجهة كل القوى الأجنبية التي تريد النيل من مقومات الأمة الجزائرية من مبشرين و دعاة الحاد وتفسخ عقائدي و فكري ندرك مدى اجتهاد المصلحين الجزائريين في عملية النهضة و البعث للأمة وذلك من خلال الدفاع عن الإسلام الصحيح باعتباره دينا و دنيا و مجتمعا و إبراز مدى توافق تعاليمه السامية مع العلم و المدنية و التقدم.

- محاولة إيصال جوهر الإسلام الذي كان عليه السلف الصالح إلى أكبر عدد من شرائح المجتمع و ذلك بتوظيف كل القنوات و الوسائل المتاحة من خطاب مسجدي و مسامرة في نادي،و مقالة في جريدة أومجلة.

- اعتمد خطاب العلماء المتنورين على الحجة و الإقناع، و الابتعاد عن كل أساليب العنف اللفظي والجسدي، الشيء الذي جعل الكثير من الناس لا ينفرون منه بل كثيرا ما كانوا يتعاطفون ماديا و أدبيا مع أي مشروع إصلاحي نهضوي و يصيرون في الأخير حاملين لهموم الخطاب النهضوي و الإصلاح الديني و كمثال على ذلك تضامن ووقوف الكثير من القوى الوطنية الحية ضد مشروع غلق المساجد في وجه المصلحين.

-على الرغم من تأثير حركة الإصلاح الديني و النهضوي بأفكار المشرق الإسلامي من وهابية، ودعوات ثورية و تربوية لمدرسة الأفغاني و عبده ورضا إلا أننا نلمس التزاما كبيرا من قبل العلماء المصلحين بمراعاة الخصوصيات المحلية الجزائرية و المغاربية في مجال الدعوة إلى السلفية حيث عرفوا كيف يستفيدوا من تجارب غيرهم من دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي من دون أن يذوبوا ويتماهوا في شخصياتهم و مذاهبهم الإصلاحية و التحديثية أو يصيروا أتباع لهم و من ثمة كان خطابهم الإصلاحي قائما على الواقعية و بما يخدم المصلحة الوطنية.

- مثل الدين الإسلامي الأساس المرجعي في الإجابة عن السؤال النهضوي لماذا تقدم الغرب و تأخر المسلمون؟حيث أرجع العلماء المتنورون ذلك كله إلى قصور كبير في إدراك قيم الإسلام و من ثم دعوا بالرجوع إلى الأصول، و الاغتراف من الينابيع الحقيقية للإسلام، و فتح باب الاجتهاد لتحقيق مصالح الأمة المادية و الروحية ،و الاستجابة لتحقيق مطامعها الآنية و المستقبلية.

الفصل الرابع:

الخلفية الاجتماعية والاقتصادية للخطاب النهضوي

- تمهيد

1- التصدي للآفات الاجتماعية والعادات الوافدة

2- الدعوة إلى العمل ونبذ الكسل

3- العناية بالشبيبة الجزائرية

4- العمل على النهوض بالمرأة الجزائرية

5- الدعوة إلى النهوض الاقتصادي

خلاصة

تمهـــيد:

مـا فتئـت معـاول الاسـتعمار تعمـل علـى ضـرب البنيـة الاجتماعيـة والاقتصـادية للجزائـر[1] منـذ الوهلة الأولى التي أحكموا فيها قبضتهم على البلاد سنة 1830م حيث جردوا الجزائريين من أوقافهم وممتلكاتهم وسلبوهم موارد رزقهم الأمر الذي أدى إلى حدوث تفكك في أوصال المجتمع و تصدع في أركانه ،و "قد استعمل هذا الاستعمار في سبيل تحقيق أطماعه التوسعية سلاحين غزو مادي وسيلته الإبادة الجماعية ، و غزو أدبي وسيلته سموم المدنية الغربية ،ولم تكن أساليبه في غزو النفوس تقل فضاعة أو جرما عن أساليبه في احتلال البلاد"[2].

و حتى يمكن للاستعمار الفرنسي أن يحقق مشروعه الاستيطاني التغريبي راح يجهز على الكيان الجزائري تدميرا و تخريبا بكل الوسائل غير مبال بأبسط القواعد التي تحكم العلاقات بين الشعوب والثقافات و التي تقوم مبدئيا على أساس الأخذ و العطاء و التبادل الحضاري لا على القهر و الاستبعاد و فرض قيم الآخر بالقوة و الجبروت.

و الظاهر أن هذا الاستعمار كانت نيته إحداث تغيير جذري في البنية الاجتماعية و الاقتصادية الجزائرية وفق ما يستجيب لطموحاته التي لا حدود لها .منذ وقت مبكر فقد جاء في كتاب المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة للدكتورة تورين أن السياسة الثقافية الفرنسية تستهدف القضاء على الثقافة و نشر التعليم الفرنسي مكانها، و كان الغرض من هذا التعليم أن يتحول المجتمع الجزائري تحويلا كليا يجعله يخدم مصالح المستعمر و لهذا انتهجت السلطة الاستعمارية الفرنسية سيادة الاندماج.

وارتأت أن التعليم هو أحسن وسيلة لتحقيق تلك السياسة و تريد محو الإرث الثقافي الجزائري أي القضاء على ثقافة و لغة و شخصية الجزائريين حتى يكون بمقدورها فرض هيمنتها في البلد يرضخ له الأهالي.[3]

و معنى هذا أن الجزائر ينبغي أن تكون فرنسية رغم أنفها و أن تدفن ذاكرتها،و تقطع جذورها بالماضي ، و تتنكر لكل قيمها الحضارية و تذوب في قيم الآخر و ثقافته، و تضرب عرض الحائط بقيمها الاجتماعية و الدينية و التاريخية و الثقافية التي لا يمكن أن تقرأ عنوان شخصيتها إلا من خلالها و التي تضرب جذورها في أعماق التاريخ .

لقد كانت السياسة الاستعمارية تقوم على التعسف وهضم الحقوق و الدأب على تقويض أسباب

1-عن هذه النقطة بتوسع أنظر د/ عدي الهواري،الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي ترجمة جوزف عبد الله دار الحداثة ط1(1983) ص 117 وما بعدها.

2-ناصر، المقالة الصحفية...ج1 ص 205

3-أنظر مجلة الأصالة عدد 8(1972) ص48.

الحصانة في المجتمع الجزائري حيث رمته بالعلل المادية و الأدبية و سلطت بعضه على بعض بدعوى العصبية و المذهبية و الإقليمية فكان أن تسلطت على الأمة عوامل ثلاث لو تسلط عامل واحد منها على أمة كبيرة لزعزع ركنها و هد بناءها، إلا وهي الجهل و الفقر و الافتراق.
فالجهل أفقدها الشعور بوجودها ، و كيف تذب عنه،والفقر أقعدها عن العمل و شل أعضاءها عن الحركة ، و الافتراق أذاب قوتها و ذهب بريحها ، فبقيت و الحالة هذه عرضة للتلف و الهلاك والاضمحلال فاستغراقها في ذلك النوم المطبق إذا نتيجة طبيعية لتلك الحالة المحزنة التي جر إليها الظلم والاستبداد.." كما أن الأحداث العالمية هي الأخرى قد تركت آثارها السلبية على البنية الاجتماعية والاقتصادية الجزائرية فقد أثرت الحرب العالمية الأولى تأثيرا محسوسا على التطور الاجتماعي والاقتصادي في الجزائر و كان لظروف تبعية الاقتصاد الجزائري التامه بالاقتصاد الفرنسي نتائج مدمرة للجزائر فكان ارتفاع الأسعار بسرعة و نقص في البذور و المواصلات و الجفاف أن ظهرت المجاعة والأمراض و بخاصة في الريف الجزائري و تزايدت من جراء ذلك هجرة الناس من الريف إلى المدينة[1] و تناقصت المساحة الإجمالية للأراضي العائدة للجزائريين إلى 650 ألف هكتار و أغلبية الذين احتفظوا بأراضيهم كانوا من الفقراء أصحاب الأراضي الصغيرة ولم تكن حصصهم تمكنهم من توفير القوت لعائلاتهم و كان الفلاحون الذين لا يملكون الأرض يشكلون أغلبية سكان الريف الجزائري ففي سنة 1930م بلغ عدد الجزائريين الذين يملكون الأرض ما يقارب 600 ألف و عدد الخماسين 713 ألف وعدد العمال الزراعيين 467 ألف [2]

و صارت الأمة الجزائرية تبعا لذلك تئن تحت وطأة الفقر و الحرمان و استفحال العادات الوافدة في أوساط المجتمع الأمر الذي جعلها على شفا حفرة من انهيار كامل في قيمها الاجتماعية و بنيتها الاقتصادية و قد استاء لحالها هذا الذي آلت إليه بعض الزائرين لها من الجيران و أوطان العروبة والإسلام[3]

و قد أدرك المثقفون المتنورون مبلغ الأخطار التي باتت تتهدد مجتمعهم و حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم فراحوا يسعون لتجاوز حالة التخلف الاجتماعي و الركود الاقتصادي ، حيث مثلت المسائل الاقتصادية و الاجتماعية أخطر التحديات التي واجهوها آنذاك حيث اقترحوا في خطاباتهم ومجهوداتهم العلمية. جملة من الحلول الكفيلة بدفع المجتمع الجزائري قدما إلى الأمام على درب الرقي والازدهار و كان " ...الاهتمام بالمسألة الاجتماعية بالدعوى الاصطلاحية هو استجابة لمتطلبات

1-أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي،تاريخ الأقطار العربية المعاصر الجزء 2دار التقدم موسكو 1976،ص319

2- المرجع السابق جزء 2،ص 321 322.

3- أنظر عمد فريد، من مصر إلى مصر، ص 190.

عقيدتهم السلفية التي تدعو لإعادة بناء العصر الذهبي للإسلام أو على حد أدنى المساهمة بفعالية في تنظيم الحياة الاجتماعية للجماعة الإسلامية وفق مبادئ لإسلامية بحتة مع ملاحظة أن ارتباط المصلحين بالسلفطية لم يذهب بهم إلى حد النخلي عن أساسيات بناء العالم الحديث(1) و تزداد القضية أهمية عندما يستشعر المتنورون من خلال مظاهر اجتماعية بادية و مجسدة في كل واقعهم الاجتماعي المحيط بهم تمس قيمهم الدينية و الاجتماعية و تهدد كيانهم بالزوال و الاندثار.

و لعل أهم المحاور و الميادين التي شغلت بال النهضويين و دار حولها جهدهم و مسعاهم ما يمكن أن تبرز فيما يلي:

1-**التصدي للآفات الاجتماعية و العادات الوافدة،** و ذلك حتى يمكن المحافظة على تماسك المجتمع الجزائري ، فلا تنحل عراه و لا يفقد سماته الأصيلة القائمة على الإسلام و الآداب العربية

2- **الدعوة إلى العمل و محاربة التواكل و التبذير و الكسل،**الشيء الذي يمكن من الرفع من مستوى الجزائريين المادي و الاجتماعي و من ثم تجاوز حالة التضعضع و الانحطاط التي عادة ما تكون مدخلا للآفات و الانحرافات السلوكية و الاجتماعية.

3- **العناية بالشبيبة الجزائرية :**من خلال توعيتها و تنبيهها لمخاطر تلك السموم التي كانت المؤسسات الاستعمارية تنشرها في أوساطهم حتى تتمكن من غرس القيم الغربية في عقولهم.
فيصيرون كلا على أمتهم و عونا لعدوهم، وذلك قصد زعزعة الأسس التي يقوم عليها المجتمع الجزائري على اعتبار أن الشباب هم عماد أي مجتمع يتوثب نحو النهضة و الرقي.

4-**العمل على النهوض بالمرأة الجزائرية:** وقد اهتم بها رجال النهضة من خلال إبراز معاناتها والسعي للرفع من مكانتها في المجتمع حتى تقدر على أداء وظيفتها في المجتمع على احسن ما يرام .
فدعوا إلى تربيتها تربية إسلامية ووطنية ،وإعطائها الحقوق التي كفلها لها الشرع الإسلامي من دون انتقاص كما سعوا إلى تجنيبها مخاطر التفرنج و التغريب.

5- **الدعوة إلى النهوض الاقتصادي:** حيث اعتبرت المسألة على درجة قصوى من الأهمية في مجال الخطاب النهضوي ذلك أن العناية بهذا الجانب يعكس الإدراك الصحيح بجوهر الانحطاط الذي كانت تعيشه الجزائر حيث تمكن من إعادة بناء مقومات الشخصية الوطنية في بعديها الروحي و المادي معا

1- **محاربة الآفات الاجتماعية و العادات الوافدة:** أدرك رجال النهضة الجزائرية المخاطر الجسيمة التي تتهدد كيان الأمة الجزائرية إن لم يبادروا إلى تنبيه الناس و تحسيسهم بمضارها و السعي

1-أنظر د/ سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرييةجزء2،ص79

الحثيث للحد من استشراء دائها في مفاصل المجتمع و استئصال شأفتها منه حتى يمكن للأمة أن تحافظ على عنصر المناعة فيها و بالتالي تقدر على النهوض بالوطن وازدهاره،ذلك أن المجتمعات العربية الإسلامية التي أصبحت تحت نير الاحتلال الأجنبي قد صارت تحت رحمة الاستلاب الثقافي و المسخ الحضاري و قد صور أحد المصلحين التونسيين ذلك بكل جلاء و بين كيف صار المسلمون يقلدون الفرنسيين في قشور مدنيتهم وآفاتهم و عاجزين عن استلهام حضارتهم و قطف ثمار علومهم و مدنيتهم "...انهمكنا في الفجور و الخمور و خلعنا جلباب الحياء و ارتدينا أثواب الخزي و العار و تجاهرنا بكل رذيلة و نقيصة و بذلك وجد فاسدو الأخلاق في وسطنا مجالا فسيحا لترويج آثارهم و غرس بذور الفساد في تربتنا و بث سموم المهالك في وسطنا فأصبحنا على ما سوء الصديق و يسير العدو فما احتفظنا بديننا و آدابنا و عوائدنا ولا اغتضنا بغيرها من آداب تلك الأمم و علومهم و جميل سيرتهم في مضمار الحياة، ذلك شأننا نحن التونسيين شأن سائر الشعوب الإسلامية التي منيت بفقد استقلالها وتحكم الغربي في بلادها[1]

و من ثمة فقد صدع المصلحون الجزائريون كما صدع إخوانهم في باقي بلدان الإسلام بالدعوة إلى التصد ي لكل مظاهر التفرنج و الآفات و العادات الوافدة التي لا تقدم المسلمين في شيء بداية ب:

أ-التصدي للإنحراف الخلقي:

صارت مسألة الانحراف الخلقي تؤرق المصلحين و تنغص عليهم حياتهم و بدت لهم في الكثير من صورها أشبه ما يكون بالسيل الجارف الذي يريد أن يأتي على كل ما تبقى في هذه الأمة من مكارم الأخلاق فزيادة عن الجهل الذي جعل من بعض الآفات حسنات يتشبث بها راح آخرون يقلدون غيرهم حتى يصيروا أمثلة فلم يحسنوا التقليد لقصور أذهانهم و مداركهم ف " المغلوب مولع بتقليد الغالب في ملبسه و مركبه ...و في سائر أحواله"[2]

و قد اعتبر الأستاذ الشيخ أبو اليقظان أن غياب التربية الصحيحة هي السبب في استفحال الظواهر الاجتماعية المشينة في الأوساط الشعبية وانتقد بشدة أولئك الذين يتسترون تحت شعار خدمة الوطن و بناء المشاريع فيه وهم في حقيقة الأمر كاذبون حيث لا يقيمون من المشاريع إلا ما يكون هادما لأركان المجتمع.و مفسخ لأخلاقه و قيمه"...يشيدون المراقص لعمارة الوطن، يفتحون المقامر فيزعمون بأنه لإعلاء شأن الوطن، يعلنون عن الخمور فينادون أن شجعوا بضائع الوطن، ينظمون حفلات الرقص و الغناء فيختلط الحابل بالنابل فيعلنون عنها بلا خجل إن ما يتجمع منها لفائدة المشروع الخيري الوطني ..." [3]

1-الطاهر المناعي، المثقفون التونسيون و الحضارة الغربية في ما بين الحربين العالميتين،دار المعارف للطباعة ، سوسة تونس 2001،ص194-195

2- أنظر مقدمة ابن خلدون ط (4) بيروت د-ت ص147

3- أبو اليقظان ، نحن إلى التربية أحوج جريدة وادي ميزاب .عدد 52 (07-10-1927)

و قد ارتاع الشيخ أبو اليقضان من شدة البغاء[1] في الجزائر و انتشاره على نطاق واسع بتشجيع من الاستعمار الأمر الذي جعله يجتهد في إبراز مخاطر داء البغاء في الأوساط الاجتماعية و الآثار السلبية التي يتركها على صحة المواطنين و أخلاقهم و سلوكاتهم و علاقاتهم الاجتماعية معززا ذلك بأدلة من النقل و العقل [2]

فقد وضح مثلا الآثار الاقتصادية السلبية فقال"..من الوجهة الاقتصادية فان الزاني بانهماكه في جريمة الفحش يضطر لتبديد أمواله و تبذيرها في كل ما يستلزمه من أنواع القصف و المجون وهو لاستهتاره في ذلك تنصرف همته من الاشتغال بالكسب و تحصيل المال و بالطبع إذا فتح على نفسه أبواب الإسراف و التبذير على مصارعها و اغلق بيده الدخل يصبح عاجلا أو آجلا بائسا فقيرا" بشر الزاني بالفقر و العمى و لو بعد حين" كم بددت لذلك من أموال و كم خربت من ديار و أصبحت خرابا تذروها الرياح[3] و من الوجهة العائلية الأدبية، فإن الفاجر لمخالفته أوامر دينه و تمزيقه ثوب العفاف و وهتكه شرف العائلات و ظهوره في مظهر المجرم الفاسد الخلق يرمق من الهيئة الاجتماعية بعين الاستخفاف و الازدراء يعد لديها في زمرة الأنذال السفهاء الساقطين لا قيمة له و لا مجد و لا شرف اللهم إلا عند أمثاله من الأسافل و سقط المتاع..."[4]

كما تتفكك أسرته و تنحل عراها فيؤدي إلى خراب البيت"...من الوجهة العائلية فان الزاني بعدوله و انحرافه عن عائلته إلى الزنا تتفكك روابط الزوجية بينهما و تفسد علاقتهما و يضطرب حبل المحبة و الصفا بينهما فيعيش كل منهما في نزاع و خصام و يتهدم بذلك النظام العائلي و يذهب كل منهما في واد و قد يسري ذلك على كل من له علاقة بهما و يرتطم في حريق الفاحشة و هي نتيجة طبيعية بجريمته الأولى" و الزاني يزني به و لو بجدار بيته.." [5]

و قد ذهب كاتب بجريدة النجاح إلى اتهام السلطات الاستعمارية بنشر البغاء في الجزائر و ذلك لتحطيم الأمة و هذا لتنبيه الأمة التي تهدد كيانها فقال :" بغيات يختطفن الشباب و يسلبن عقولهم و يأكلن أموالهم و لا مجير لهم و لا ناصر لأن المرأة حرة في نفسها تفعل ببيتها ما تشاء.."[6]

و في هذا الصدد يمكن لنا أن ندرج ذلك المقال الذي جاء على شكل مقامة حرره الكاتب المصلح محمد

1- انظر عن أضرار البغاء كذلك مقال الكاتب عبد الكبير الزمراني البغاء ومفاسده أو صرخة في وجوه الفاسقين البصائر عدد 21، 29 5 1936 وعدد 22، 5 6 1936

1-الشيخ أبو اليقظان، أحسنوا رعاية الشباب، جريدة وادي ميزاب عدد 52(7-10-1927)

3- الشيخ أبو اليقظان، وباء الفجور جريدة وادي ميزاب عدد 90(6-7-1928)

4- المصدر السابق.

5- المصدر السابق

6- أنظر جريدة النجاح عدد 272 السنة السادسة 12 فيفري 1926م

الصالح خبشاش[1] ينفي فيه على أهل عصره في قسنطينة عدم تحكيمهم لعقولهم في أمور حياتهم حيث صارت تتحكم فيهم أهواؤهم و عواطفهم و أصبحوا يميلون إلى حب الظهور و التمسك بالمظاهر البراقة الكاذبة.[2]

و في الوقت الذي نجد فيه خبشاش يحث على تشجيع التجديد الذي يراه الطريق الذي ينقذ الشعب مما هو فيه من تأخر و جمود ذلك أن التجديد يعني انتصار العقل نجده في نفس الوقت يستحضر لنا ذلك الصراع بين التيار الوطني الأصيل و التيار التغريبي الفرنكفوني فنجده يعبر صراحة عن يأسه من هؤلاء الذين تتبعوا الثقافة الغربية الفرنسية "أما الشبيبة التي رضعت أثداء الكليات الكبرى و الليسيات فلا رجاء بقي لنا فيهم لكونهم أصبحوا أمة غيرنا مخالفين لنا من العوائد و كثير من المقاصد و هم يرون العربي دائما بعين النقص و الازدراء."[3]

اما الكاتب صالح العبدي فقد نعى على قوم من المسلمين تفننهم في تقليد الفرنسيين في الشكليات والموبقات وعزوفهم عن الاغتراف من ينابيع علومهم ومعارفهم والاقتداء بهم في صالح الاعمال وفي ذلك يقول(وهناك قوم ممن يدعون تقليد بيني أوربا لم يقلدوهم في علم مفيد ولا عمل نافع وانما قلدوا فساقهم وفاسدي الاخلاق منهم فلا يعرفون من المدنية الا اتباع الهوى والعمل بالمناكر والتفنن في الازياء وتعاطي المسكرات واحتساء كؤوسها وتعمير مواخير الدعارة والمسك لسافلي العادات ولعب الميسر بانواعه وارتياد نوادي القمار وتبذير الاموال في سفيه الاعمال مجنيا على المال ومواهب الاخلاق) (4) ناصحا شباب الامة الى ما يمكن من النهوض بالبلاد فيقول (ايها الاخوان ان الانقلاب في الدول لم يتحقق الا على اكاتف الشباب ونحن اذا ما اردنا اصلاح وضعنا الاجتماعي وتبديل وضعنا السياسي وتحسين سوقنا الاقتصادي فما علينا الا ان نفتح بصائرنا ونوحد صفوفنا ونجمع كلمتنا ونسعى لما فيه خيرنا واسعاد امتنا وتعزيز كياننا فيجب علينا ان نتدبر للامر ونستيقظ من رقادنا ونعمل على ما فيه نفع الامة والبلاد

أما الشاعر بن رحمون[6]فقد حث على وجوي ترسيخ الأخلاق الأصيلة في المجتمع والتصدي للعادات الفاسدة من خلال أشعاره (7).

1- ولد في نواحي قسنطينة سنة 1904 تعلم على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي لازمه ثماني سنوات حيث تقف ثقافة واسعة في اللغة و الأدب عمل مكرها في جريدة النجاح كما كان شاعرا مجيدا توفي مع الحرب العالمية الثانية ثم للمزيد عنه أنظر الشعر الجزائري المعاصر مجلة آمال سلسلة(1) ص 61ومابعدها.
2- د/ عبد الله الركيبي ،تطور الفكر الجزائري الحديث الدار العربية للكتاب تونس ،1978 ص 81
3- المرجع السابق،ص 83 نقلا عن النجاح 1927/2/27
4-صالح لعبدي، التقليد الاعمى باسم المدنية، البصائر، عدد40، 1936./10/23
5- المصدر السابق، عدد41، 1936/10/30
6- ولد الشاعر أبو بكر مصطفى بن رحمون بقرية ليانة نواحي زريبة الوادي بسكرة في 1921 م وبها تعلم وفي 1936 بدأت دراسته على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس حتى وفاته رحمه الله في 16 أفريل 1940 ،عمل مساعدا للشيخ السعيد الزاهري بجريدة الوفاق بوهران كما درس بالمساجدوبسعي من الشيخ الطيب العقبي أصبح مدرسا .بمدرسة الشبيبة في 1945 نشر الكثير من القصائد في جريدة الاصلاح والمنار والثريا التونسية ومجلة الأزهر المغربية توفي رحمه الله سنة 1984 م .للمزيد أنظر: كمال عجالي، ابوبكر مصطفى بن رحمون حياته وشعره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت
7- أنظر عجالي ، نفس المرجع، ص201 وما بعدها.

و ذهب الشيخ محمد بن بكير بن سليمان إلى أن حماية المجتمع من الآفات الاجتماعية تتوقف على حماية الطفولة من السقوط في الآفات و لا يكون ذلك إلا بالتربية الصحيحة التي تحث على الأخلاق.الفاضلة"...التربية هي تهذيب النفوس و تعويدها على الأشياء الحسنة و الأخلاق الفاضلة وسقيها بماء الارشاد والنصيحة حتى تصبح ملكة نفسانية راسخة في صاحبها، وأظهر مكان تتجلى فيه نفوس الأطفال فنفوس الأطفال لينة جلت مرآتها الإلهية قصور الأشياء تنطبع فيها قبيحها وحد....بها حسنا وقبحا فالطفل إن تربى على الشيم الكريمة و الأخلاق الفاضلة من الشجاعة و السخاء و الإيثار و الوداد و حب الصلاح من أول أمره يشب على ذلك و عندما يبلغ أوان الرجال تلفيه بطلا من أبطال الوطنية يتفانى في خدمة دينه ووطنه غير مكترث بما يعترضه من الكليات لكل ألم في سبيل قضية بلاده..[1]

وحذر بن باكير قومه من النتائج العكسية إذا ما أهمل جانب التربية القومية في الناشئة، حيث يؤدي الإهمال إلى تفكك عرى المجتمع و هدم صرح بنيانه فيقول "...و بالعكس أن عود الطفل الأشياء الرذيلة و الأخلاق الفاسدة تنمو فيه و تترعرع و تلك الجرائم الفتاكة تزداد بازدياده إلى أن يبلغ مبلغ الرجال وقد استحكمت حلقاتها و تفاقم أمرها من شب على شيء شاب عليه.

هنا تتجلى تلك الصور الفاسدة التي انطبعت إبان شبابه و هناك الخطر الداهم على جنسه ووطنه و هناك الفاسد الدامر و هناك الهدم لصرح الاجتماع.

فلينذر الذين يربون النشء أن يغرسوا فيهم الأخلاق الفاسدة فهم يسعون بذلك في فل عرش مجدهم بأيديهم وهم لا يشعرون فليحسنوا التصرف في الأمانة التي وضعت بأيديهم....[2]

ودعا معشر المسلمين إلى أن استرجاع مجدهم الفاتر و الذي لا يكون إلا بالتركيز على التربية التي تقوم على الدين و العلم"..إلا فليسع المسلمون في تربية نشئا تهم تربية مطابقة لروح العلم و الدين إن أرادوا حقيقة استرجاع مجدهم و إعادة ما في تراثهم فالأمة بأبنائها و البلاد برجالها فإذا كانوا مثال العزة والكمال فلا ريب و أن تكون عزيزة كاملة[3]

و في هذا السياق لا يرى الشيخ أحمد سحنون [4]من سبيل لمواجهة هذه الآفات سوى إدراج حسن التوجيه المتمثل في إشاعة السلوك القائم على حسن التوجيه لأبناء المجتمع و من دونه تبقى الأمة في فوضى و لا تتصور حركة و رضى و ازدهار في البلاد و في ذلك يقول:

1- الشيخ محمد بن بكير بن سليمان، التربية سبب رقي الأمة ، جريدة وادي ميزاب عدد1927-4.3/22

2- المصدر السابق

3-المصدر السابق

4- هو المصلح الكبير و الشاعر الفحل الشيخ أحمد سحنون أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولد بقرية ليشانة من أحزاب الغربي سنة 1906مو 1907 ،شارك في الثورة المسلحة و دخل السجن الاستعماري و بعد الاستقلال بقي مصلحا وفيا لقيم الثورة الجمعية و كانت له مواقف تاريخية خالدة ضد كل من يريد النيل من الإسلام في الجزائر، عمل إماما للجامع الكبير بعد الاستقلال كما كان عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى، عاش فترات صعبة نظرا لمواقفه في المطالبة بالتطبيق السليم للمبادئ الإسلامية توفي رحمه الله و طيب ثراه سنة 203م أنظر عنه محمد الأخضر عبد القادر السائحي روي لكم تراجم و مختارات من الشعر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1986م ص 81 و ما بعدها و جريدة الشروق اليومي 11 ديسمبر 2003 17 شوال 1424 هـ.

"..إن حسن التوجيه -إذن- هو كل شيء في بناء الشعوب ،هو مقود السيارة الذي ما أصابه العطب ألا أصاب العطب السيارة و من فيها..و إن حسن التوجيه، هو الذي ينقصنا اليوم فلا جرم كانت حركتنا من الاضطراب و الفوضى كزورق في بحر لجي مزقت العواصف شراعه و حطمت الأمواج مجاذفه"[1] وأن دعامتا هذا التوجيه هما: العلم و الحكمة معا.معززا رأيه هذا بشواهد من القرآن الكريم و في ذلك يقول"...و إن حسن التوجيه لا يعتمد على العلم وحده و إنما يعتمد أكثر من ذلك على نور الحكمة الذي يقذفه الله في قلب من أحبه من عباده كما قال تعالى " يؤتي الحكمة من يشاء و من يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا".

و آن الله لذلك يجعل هذه الحكمة أداة التوجيه الصحيح و الدعوة الرشيدة إذ يقول "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة" ثم يفسر جانبا من هذه الحكمة إذ يقول بعد ذلك " و جادلهم بالتي هي أحسن " و التي هي أحسن هي الكلمة الرقيقة الندية الموجهة التي تنزل على القلب كما تنزل قطرة الندى على برعم الزهرة فيتفتح و يبتسم للحياة، وإذا بهذا القلب المغلق، على ظلمته،المنطوي على تنكره للحق المصطلي بنار حقده و عداوته قد انتفض من هجمته وانقلب للحق حليفا بعد عداوته كما تصرح بذلك الآية الأخرى"ادفع بالتي هي أحسن فان الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم" يجب إذن أن نكون حكماء إذا أردنا أن نكون موجهين"[2]

و يرى الشيخ أحمد سحنون أن بناء المجتمع وازدهاره لا يتوقف على إنجازه على الشباب وحده بل ينبغي أن يقوم على قوة عضلات الشباب و حكمة و خبرة الشيوخ و تجاربهم"..و إن الشعب لا يسير إلى أهدافه إلا على قدمين قويتين من قوة إدراك الشيوخ و قوة عزم الشباب و إذا كان الشباب يمتازون بقوة عضلاتهم فان الشيوخ يمتازون برصيد ضخم من التجارب ،وقدرة بلا عقل يوجهها ربما تضر أكثر مما تنفع و عقل بلا قدرة تنفذ خططه و برامجه لا يفيد صاحبه من هنا يقول أحد شعرائنا:

آه لو عرف الشبا ب و آه لو قدر المشيب

و يقول توفيق الحكيم:" في الشباب يثمر الخيال و الشعور و العاطفة و في الكهولة ينضج العقل والحكمة..." [3]بل إن الأمل لا ينبغي أن تفقد حتى في الناشئة البائسة المتشردة التي جنى عليها الدهر فلم تجد حنانا و لا دفء الناس في أسرتها إذا عرفنا كيف نواسيها و نساعدها على الاندماج و يعتني بها ويصقل مواهبها و ينمي فيها الإحساس بالانتماء للمجتمع و هي يقول عمر شكيري [4]

1- الشيخ أحمد سحنون، حسن التوجيه ،جريدة البصائر عدد 305 8 جمادى الثانية 1374ه
2- المصدر السابق

3- المصدر السابق
4-ولد في قمار بوادي سوفعام 1920 م وتعلم بمسقط رأسه على عمار الياجوري وبلقاسم بن الساسي،تابع دراسته بعد ذلك بالزيتونة وأحرز على شهادة التحصيل سنة 1944 ولما عاد إلى الوطن عمل معلما بمدرسة الاخاء ببسكرة وبعدها علم بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة ثم درس بشلغوم العيد وبعدها ببرج بوعريريج ثم عين بعدها مديرا في مدرسة الصادقية بالعاصمة ،اعتقل أثناء الثورة من سنة 1956م 'إلى 19961 م ولما استقلت البلاد عمل في سسلك الأوقاف والتعليم للمزيد عنه أنظر فضلاء من أعلام الاصلاح الجزء 2 ص 125 وما بعدها .

"..هن أهم و أكبر الدلائل على حياة هذه الأمة بعد الخمود و يقظنها بعد الجمود أن تجدنا نشأتها و عامة أطفالها و خصوصا الهمل المشردين الذين لم يجدوا من بني جلدتهم قلوبا ترحمهم و أفئدة تحن إليهم و تئن لمصابهم- تحدهم على مستوى يكاد يكون متحدا في الإحساس النفسي و التأثر الباطني مع الأطفال الذين ساعدهم الحظ و تغدوا بلبان العلم و تفتحت أعينهم على أشياء لم يطلع عليها ذلك الطفل البائس المتروك.

و تبرز هذه الاحساسات و التأثيرات من نفوس أطفالنا في أحلى مظهر و أوضح صورة في المجتمعات العامة و المظاهر التي من شأنها أن تستفز الشعور و يطغى فيها الإحساس..."[1]

و في نظر الكاتب أن مشاهد الحياة الاجتماعية تعد بالنسبة للطفل الذي لا إمكانات له لتنمية الشعور فيه وتربى فيه الإحساس مدرسة يتعلم فيها و في ذلك يقول "..و إذا نحن بحثنا عن مبعث هذه الانبعاث النفساني في الطفل -مع أن الوسائل التي من شأنها أن تربي فيه ذلك الإحساس و تبعث فيه ذلك الشعور الحي بعيد عنها محروم منها نجده مستقي من مظاهر المجتمع مغذي بما سمع من أفواه الكبار و مما يتداو لونه في أحاديثهم و مجادلاتهم و نقاشهم،سواء أكانت تلك الأحاديث و المجادلات و ذلك النقاش مبنية على حجج و براهين صادرة عن سداد في الرأي و صواب في التفكير أو كانت المسألة على العكس، و ما أكثر ما تكون معكوسة ..." [2]

أما الأستاذ الشاعر رمضان حمود فقد ألح على ضرورة محاربة العادات الفاسدة في المجتمع والتي تتنافى جملة و تفصيلا مع قيم الإسلام،و منطق العقل السليم لأن إصلاح المجتمع و النهوض به متوقف على استئصال شأفتها قبل فوات الأوان."...إن للأمة الإسلامية عوائد عديدة لا تتماشى و الدين الإسلامي الحنيف و لا ترمي إلى الغاية السامية التي يرمي إليها،و منها ما هو موروث من زمن بعيد فهو غير موافق للحضارة الجديدة الصالحة و منها ما هو خالف الذوق السليم و الطبع المستقيم من أشياء أدخلها ضعفاء العقول في وسطنا ،كل هاته العادات وان اختلفت و تنوعت بحسب القوة و الضعف إلا أنها كلها بعيدة عن الدين كلها بعيدة عن الدين و الفضيلة و آفة في سبيل نهوض المسلمين و حياتهم المنشودة بل هي معول حاد يدمر ما بناه الأباء و الأجداد،و يفتح أبوبا عريضة للفساد و التدهور الأخلاقي يعسر على الخلق من بعدنا أبعاده" [3]

و يحث العلماء المصلحين على وجوب الإسراع بالإجهاز على هذه العوائد الفاسدة قبل فوات الأوان،وقبل أن يتحكم داءها في أوصال المجتمع فيعسر قلعها و يصعب اجتثاثها فيقول "...البدار البدار أيها العلماء إلى إصلاح حالكم قبل أن يخرج من قبضتهم فتندمون ولات مندم، أسرعوا إلى تلافي

1-الشيخ عمر شكيري، الشعور الحي في نفوس أطفالنا، البصائر عدد2 (1947/8/1)

2-المصدر السابق

3-الشيخ رمضان حمود، العادات الفاسدة جريدة وادي ميزاب عدد114 (28-12-1928)

الأمر قبل أن يتسع الخرق على الرا قع يجب عليكم قبل كل شيء أن تبتدئوا بتطهير الوسط من العوائد الفاسدة التي تمس الدين و تشوه وجهه الجميل بغير مهاودة و لا تقاعس يجب عليكم أن تتعاونوا على استئصالها و محو جرثومها من الوجود بكل ما أوتيتم من حكمة في الوعظ و براعته في الدعاية و تفنين في الإرشاد و بلاغة في الدرس و الكتابة فتارة بالكتاب العزيز و طورا بالسنة الشريفة و آونة بالدليل والبرهان و أخرى إن أمكن بالزجر و العتاب ،فاستعينوا في عملكم هذا بالصبر و الإرادة والصفح والتسامح فان طريقكم وعر شديد العقاب و محفوف بالمكاره ولكن الغاية شريفة و النتيجة سارة و الأجر عند الله عظيم..." (1)

و لم يغفل الأستاذ الشيخ حمود عن العادات التي تكبح جماح المجتمع و تمنع تطوره وازدهاره فحتى وإن لم تظهر فيها شرك بالله فإنها تعد أيضا متعارضة مع الدين و مخالفة لتعاليمه السمحة فوجب التصدي لها لكي تتحقق السعادة للإنسان المسلم في الدنيا و الآخرة و حتى لا يكون مستغلا مستعبدا من غيره و في ذلك يقول :" .أما العادات التي تردنا عن الوعي الصالح و الحضارة الصحيحة -و لكنها ما دون الإشراك- فإنها أيضا مخالفة للدين القويم و معاكسة لتعاليمه المشروعة، في أهم نقطة لأن الإسلام هو دين الفطرة أتى بسعادة الإنسان في الدارين و ما أضر بإحداهما أضر بالأخرى تبعا لأن الدنيا مطية المؤمن بها يبلغ الآخرة و من صلحت دنياه صلحت آخرته و لا ينبغي لنا أن نتهاون في مقاومة مما يفسد علينا حياتنا و ينغص عيشنا و يتركنا عبيدا مسخرين للقوي العتيد..." (2)

و يرى الشيخ حمود في الأخير أنه ينبغي مواكبة العصر في تطوره لأن عجلة التاريخ لا يمكن أن ترجع إلى الوراء و من غالب العصر غلبه،و إن نشر الدين و العلم هو السلاح الذي يغطي على العوائد الفاسدة"...إن العصر جاد في سيره فلنكن معه و أما عهد الرجعية فقد مضى وانقضى و من أبى إلا الانكماش و الانزواء في زاوية الجمود،فان الدهر وحده كفيل بتربيته و تقويمه أو كسره و إحراقه بنار الثبور التي أعدت لأولئك البؤساء و أما العادات التي يأباها الذوق و الطبع فان إتلافها سهل إذا انتشر الدين و العلم و قام كل بوظيفته التي خلق لأجلها بل لا تحتاج إلى مقاومة تذكر لأنها لا تعشعش إلا في بؤرة الجهل،وإذا طلع ما يمحق ذلك الضباب الكثيف ،ظهر كل شيء واتضح فتسهل التحلية بعد التخلية و الله الموفق إلى سواء السبيل" (3)

ب- محاربة القمار و الميسر:

و في سياق محاربة الآفات الاجتماعية استرعى انتباه المصلحين الجزائريين ظاهرة القمار والميسر و انتشارها في المدن و الأرياف الجزائرية حيث صار أبناء البلاد يسرفون في تبديد أموالهم

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق

3- المصدر السابق

وقتل وقتهم في لعبه منشغلين عما ينفعهم كانت نتيجة ذلك تدمير بيوت كثيرة[1]

فقد نبه أحد الكتاب بجريدة الصديق في مطلع العشرينات إلى أن لعب القمار لا يفتك بالأفراد المقامرين فقط بل يفتك أيضا بالعائلات التي تتعرض للعوز المادي من جراء ذلك فالرجال الذين يتجازفون بأموالهم يحرمون عائلاتهم منها، و الأكثر من ذلك فان هذا اللعب استفحل أمره في المجتمع حتى اصبح أشبه بالعبادة ففي برهة قصيرة يخسر ما ربحه في النهار كله، فيحرم نفسه و عائلته و أولاده من ثمرة عمله [2]

أما الأستاذ الشيخ عبد الرحمن بن عمر[3] فقد ذهب إلى أن آفة القمار منافية لتعاليم الشريعة السمحة كما أنها هادمة لأركان المجتمع برمته وإنما انتشرت وعم بلاءها كفيلة بان تهدم عروش وتطيح بامبراطوريات و في ذلك يقول "...إن القمار أو الميسر أعضل داء في الهيئة الاجتماعية و من العلل الوحيدة الآيلة بالأمة إلى الدمار و المفضية بها إلى الاضمحلال و الفناء.

لقد اجتمعت الأمم الغربية و خامة عاقبته و سنت لذلك قوانين زاجرة و ضربت عقوبات على أرباب محلاته حذرا من أن يعشعش و يفرخ فراخه المفسدة لبذور الإصلاح. [4]

و ينتهي بعد كل هذا إلى تبيان العواقب الوخيمة لهذه الآفة على المجتمع فيقول: "...يأتي المقامر و جيبه أفقر من جوف عير فما هي إلا عيشة أو ضحاها حتى يستولي على ما كان لأخيه من الثروة فيبتزها منه و ذلك الفراغ يصبح معمرا اختلاسا و أكلا بالباطل و لكن لا تنسى أن صاحبه أمسى يحرق عليه الأرم وتغلي مراجل صدره حنقا و بغضا بحيث إنه لم يتمنى إلا الانتقام منه و استرداد ما سلب منه كرها... وتصبح العداوة بينهما مستحكمة الحلقات بعدما كان الواحد يسقي الآخر سلوانا و يشاطره في أعز ما لديه هذه حالهما إذا كان المغلوب غير صاحب عيال أما إذا كان ذا عيال فالمصيبة لا تقف عند هذا الحد بل يتعدى هذا الظلم إلى أولئك الأفراد الذين لم يكن لهم دخل هناك و يرسل عليهم جيشا من بؤسه وشقائه..."[5]

و حتى ينتهي المدمنون من استفاف الحشيش و لعب القمار ألف الأستاذ بن العابد الجيلالي مسرحية عالج من خلال مشاهدها أضرار تعاطي المخدرات و لعب القمار، لعله بذلك يساهم في الحد من استفحال هذه الآفات التي تفكك عرى المجتمع و تزعزع أركانه التي يقوم عليها حيث تضر كثيرا من

1-الشيخ توفيق المدني، كتاب الجزائر،ص362

2- مضار الخمر و الميسر ،جريدة الصديق عدد54(27-3-1922)

3- ولد عبد الرحمن بن عمر بكلي في بلدة العطف بوادي ميزاب في 3-10-1901 م تعلم ببلدته ثم أكمل دراسته بجامع الزيتونة بتونس وتعلم على مشائخها الأفذاذ من أمثال:الشيخ الطاهر بن عاشور الشيخ الطيب سيالة الشيخ محمد الزعواني والشيخ محمد بن القاضي الشيخ الصادق الفقير ،كانت له صلاته بالحزب الدستوري ولما أكمل دراسته عاد إلى الجزائر يعمل بخدم الحركة الاصلاحية والوطنية توفي رحمه الله سنة 1986 ....فضلاء من أعلام الاصلاح الجزء 1 ص 172 وما بعدها .

4-الشيخ عبد الرحمن بن عمر القمار آلة الدمار ،جريدة وادي ميزاب عدد 40(15-7-1927)

و أنظر تشخيص بعض أدوية للآفات الاجتماعية عدد23 و أنظر عن الميسر الأمة عدد31(2-7-35)

5-المصدر السابق

الأسر وتنخر أموالها و تفسد أحوالها و تفلس رجالها[1] فقد عرض الأضرار "القمار" في الفصل الثالث من المسرحية فصور ذلك المشهد المشين في مقهى فقال:" في المقهى و حلقة على منضدة قمار، فيها الكبار و الصغار و الأصوات المرتفعة وضرب الأيدي شديد يتركب من تلميذ و أربعة مقامرين ..تلميذ آخر واقف مبهوت محتار ثم يقول :

التلميذ: يالها من مناظر مخزنة! تسيل الدموع، و تدمي القلوب: شيوخ و كهول و شباب مجتمعون على ما يضرهم و لا ينفعهم أضاعوا أعمارهم بين مجالس القمار و حسراته منهم الشيطان فيلعب بعقولهم كما يلعب الصبي بالكرة، لا من يفكر فيما يعود عليه و على إخوانه بالفائدة و الكرامة و لا هم إلا إضاعة الوقت الثمين في اللهو و اللعب ! مسكينة أمة هذا حال رجال شيوخها و شبابها[2].

و على لسان التلميذ الذي يدور حوار بينه و بين المقامرين يبرز الشيخ ابن عابد الجيلالي هؤلاء المقامرين و قتلهم لأوقاتهم النفيسة فيما لا فائدة ترجى من وراءه داعيا إلى الإقلاع عن هذه العادات الفاسدة المدمرة

التلميذ: لا أقول لكم :السلام عليكم- تحية الإسلام- فانتم في فعل محرم فاخبروني بربكم فهل أنتم مسلمون؟

كلهم: نعم و كيف!؟

التلميذ: يا حسرة على الإسلام، إذا كان المسلمون أمثالكم!

المقامر [1]: كيف تسأل عن إسلامنا و أنت ترانا بالشاش و البرنوس؟

وهنا يكشف بن العابد عن انحطاط أفكار اصحاب الاسلام الوراثي التقليدي

التلميذ: يا هذا إن الإسلام ليس باللباس، بل الإسلام بالقلب الطيب و العمل الصالح. فقلوبكم كلها مملوءة بالطمع و أعمالكم لا تكسبكم إلا المذلة والهوان

المقامر[2]: كيف ملئت قلوبنا طمعا؟

التلميذ: نعم كل واحد منكم ينتهي إن يغلب خصمه و يأخذ و هذا هو اطمع بذاته!

المقامر [3]: لا، لا، لا، طمع! و إنما اجتمعنا لتقصير الوقت...

التلميذ: عجيب إّن حالكم!فالوقت طويل، في نظركم، أردتم أن تختصروه و تقصروه ، ما أكثر جهلكم، أيها المقامرون !فلو كنتم تعرفون قيمة أوقاتكم و أعماركم، لقلتم: إنها قصيرة لا تكفي لما نريد، لهذا زهدتم فيها فأضعتموها في سفاسف الأمور و فارغات الأعمال ،فالوقت له قيمة غالية لا يمكن تقويمه بقيمة، فهو كما قال العرب في حكمهم:" الوقت ذهب ، إن لم تحافظ عليه ذهب"!

ثم سألهم قائلا:

التلميذ: هل تعرفون أن القمار..حرام على المسلمين حرمة عليهم الإسلام؟

المقامر ما هو إذن؟

1- د/ عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1983،ص233

2- المرجع السابق 474.

المقامر **(3)** : قلنا لك :إننا نقصر في الوقت ب "الدومنو"..و هذه ليست حراما، و نحن لا نلعب بالدراهم.

التلميذ: اعلم أن الميسر-وهو القمار-بجميع أنواعه حرام،سواء بالطاولة أو بغيرها، و سواء بالدراهم أو القهوة، و سواء من يلعب أو من... يتفرج[1]

و يسلط الأستاذ بن العابد في مسرحية الضوء على مسألة هامة تتعلق بأداء فريضة الصلاة وربط بين تركها و تعاطي المحرمات معززا ذلك بشواهد من القرآن الكريم ،فيقول علي لسان التلميذ المحاور للمقامرين حيث يسأل التلميذ المقامرين واحدا واحدا عن الصلاة

المقامر(1): أنا لا أصلي.

المقامر(2): أنا صليت أياما ثم تركتها،لأن البرد شديد

المقامر (3) :أنا لست على وضوء!

المقامر (4) :أنا على وضوء، لكنني لازلت لم أصل.

التلميذ: صدق الله، و صدق رسوله -ص- إذ يقول في القرآن الكريم عن القمار و الخمر و هما من الشيطان، و إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة و البغضاء في الخمر و الميسر و يصدكم عن ذكرر الله و عن الصلاة، فهل أنتم منتهون فلو كان فيه خير لما حرمه الله علينا.

ثم يقول لهمعلى لسان التلميذ بضرورة المحافظة على الصلاة لأنها عمود الدين:

التلميذ: هذا عماد دينكم و هي الصلاة، فقد ضيعتموها ،ولاشك أن دنياكم أيضا واقع لها مثلما هو واقع لدينكم فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أضاعها فهو لما سواها أضيع"[2]

و يتناول الأستاذ بن العابد مسألة ترك العمل و الحرص على اللعب في هذا الفصل من مسرحيته فيقول:

التلميذ: أليس لكم بساتين تخدمونها، و مصالح تقضونها؟

المقامر(1):نعم أنا لي بستان...ما رأيته منذ قطعت منه الثمرات

المقامر(2):و أنا لي حيوانات هي في الدار بلا أكل.

المقامر(3) :و أنا لي أولاد تركتهم ينتظرون ما آتي لهم به من القوت

المقامر(4): أنا عاطل لا عمل لي.

التلميذ: يا للمصيبة**!** صدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد ضاعوا كما أضاعوا دينهم**!**(ثم يخاطبهم متوجها إليهم):

انصرفوا أصلح الله حالكم إلى خدمة دنياكم، و تمسكوا بدينهم

و دعوا البطالة و القمار فقد ألحقهم بهذه الأمة السب و العار فكلما مر عليكم النصراني أو اليهودي إلا

1- المرجع السابق،ص 475

2-المرجع السابق،ص476

ورآكم منكبين على اللعب كأنكم قادة حرب..منكبين على خريطة العمليات الحربية..كل يحاول ربح المعركة في أقرب وقت.

المقامر (1) : صدقت و الله! فقد أعطيتنا درسا في الواجب علينا بارك الله للإسلام فيك![1]

كما كشف عن آثاره السلبية الوخيمة العواقب في المجتمع أحد الكتاب المصلحين بجريدة الأمة[2] حيث اعتبر الميسر هو سبب الكثير من الرذائل الفاسدة التي باتت تنخر البلاد و تتهدد سلامته و تماسكه لأنه يضرب الأخلاق الحميدة التي عليها تقوم أركان المجتمع في الصميم و في ذلك يقول"..إن في الميسر(القمار) مفاسد جمة خطيرة آثاره في الأخلاق أصبح من البديهي ما يجره القمار من الرذائل الفاسدة "الكذب و اليمين الفاجرة و الحلف بالطلاق و كلام الفحش و الشتم و السباب و الهمز و الغمز واللمز و القتل فتثور المنازعات و تشتبك الخصومات و تروع العائلات فتشتد العداوة و البغضاء بين اللاعبين ثم تسري إلى ذويهم و أقاربهم ثم يصبح المجتمع فتنة.

ينحط بهذا مستوى الأخلاق إلى أسفل دركة،بين المدمنين فلا يعرفون للفضيلة معنى و لا يرون للمروءة قيمة ...آثاره في المجتمع ....ما زالت تسري و يستفحل في المجتمع.[3]

ج-العمل على تطهير النفوس من الأهواء و الأغراض الدنيئة:

كما استرعى انتباه المصلحين الجزائريين آفات اجتماعية مقيتة على النفس الأبية و خطيرة على تماسك المجتمع و مصالحه الجماعية فراحوا ينبهون الناس إلى ضرورة مقتها ومحاربتها حربا لا هوادة فيها لأنها تمثل عائقا كبيرا من عواقب تحقيق المشروع النهضوي الجزائري في جوانبه الاجتماعية و الاقتصادية ذلك أن شيوع هذه الآفات يؤدي إلى تفكك البنية الاجتماعية. فتحت عنوان" الأنانية" كتب أحد المتنورين بجريدة وادي ميزاب يعرف هذا الداء الاجتماعي و مخاطرة حتى يقلع عنه المبتلين به فيقول "...إن الأنانية و حب الذات مرض نفسي يمنع صاحبه من الاهتمام بمصلحة الغير و الاشتغال بها و يحمله على الزهد في المصلحة العامة و على الإفراط في مصلحة النفس و احتكار المنفعة لها، دون سواها عمر العالم أم خرب أعز الدين أم أهين [4]

و كشف عن أصل هذا الداء الفتاك ومضاره الاجتماعية فقال:" ..ينشأ هذا المرض من عشق المادة والغرام بالمادة و الغناء في المادة و لهذا تراه متغلغلا في نفوس أصحاب الحرف المادية كالتجار والصناع و ضئيلا لدى أصحاب الحرف المعنوية كالأدباء و الحكماء و الفلاسفة...و تنشأ عن الأنانية أخلاق فاسدة أهمها الشح و الجبن و الحقد و الضعة و النذالة[5]

1-المصدر السابق 476 477

2-بدون إمضاء و يرجح أن يكون الشيخ أبو اليقظان

3- دون إمضاء، الميسر و آثاره في الأفراد و الجماعات جريدة الأمة عدد 31(1935/7/2-20ربيع الأول 1354)

4-مجهول، الأنانية جريدة وادي ميزاب عدد13 025-12-1926)

5-المصدر السابق

و الأكثر من هذا اعتبر كاتب بجريدة الأمة الأنانية بمثابة المحطم لبنية المجتمع و المقوض لدعائمه خاصة ذا مس أعيان الأمة و مثقفيها ".إن خطر هذا المرض-مرض الأنانية- وحب الذات لعظيم جدا على المجتمع لأنه إذا تسرب في الطبقات الرئيسية من الأمة من الأغنياء و العلماء و أرباب الحيثيات،أصبح كل فرد من هؤلاء لا يرى إلا ذاته و لا يحب إلا نفسه و لا يخدم إلا مصلحته و أصبح جمهور الأمة أغناما لم تخلق إلا لاستغلال ألبانها و أصوافها ..لن تراعي لها مصلحة أو يحفظ لها حق أو تصان لها كرامة..."[1]

و يبين الكاتب المصلح كيف يستغل الأنانيون الأوضاع الصعبة لكي يحققوا مآربهم المادية على حساب الأمة فيقول"...و هنالك تجد الذئاب العاوية و السباع الضارية المفترسة مجالا فسيحا لتمزيقها و تركها أشلاء مبعثرة هنا و هناك..فقد سكرت خمرة الأنانية النفس وصمت عن سماع النصح و الإرشاد آذان و ركب كل متن رأسه لا يلوي على أحد و لا يحسب للعواقب حساب رغم الزواجر و القوارع ...فهل مسخت في الجزائر البشرية؟ و هل بدلت الأرض غير الأرض؟ أم الرحمة و الشفقة و الحنان ما هي إلا ألفاظ لا توجد إلا في قواميس العصور الوسطى.[2]

ويضيف معززا بشواهد من الواقع عن انتهاز الأنانيين للأزمات الاقتصادية الصعبة التي كانت تمر بها الأمة من دون أدنى وازع ديني و لا أخلاقي فالغاية عندهم تبرر الوسيلة"..في هذا الوقت النكد والأزمة الخانقة يشتري القمح بمبلغ 70 ففرنك للقنطار و يباع السميد بمبلغ 175 فرنك و لا نسمع لهذا الانتفاع الشنيع صوت أو فرحة تخرج صمجة الآذان من المسؤولين عن هذه الأمة المسكينة؟.. في هذه العسرة تقوم نقابة الرحى بهذه العملية ثم تزيد فتحصر العمل في واحد منها زيادة أحكام حلقات الاحتكار و تقتير في المصاريف حتى لا يستفيد من العمل إلا القدر الضروري من العمال؟
أيليق بعصر العدالة و الحرية و المساواة أن ينعم أفراد قلائل بمئات الملايين من الأموال و يتقلب الملايين من الأنفس في جمرات الجوع و العراء."[3]

و من الموضوعات الاجتماعية التي عالجها المصلحون حتى لا تبقى تمثل عوائق لنهوض الأمة ورقيها آفة اليأس التي استشرت في أوساط المجتمع و كبلت إرادته عن العمل من أجل تحسين أوضاعه فبقي متخلفا في كل مناحي حياته وقد اعتبرها الأستاذ سعيد بن بكير[4] مرض فتاك فكتب يقول:
"...إن الآياس مرض فتاك تتولد جراثيمه في النفوس المظلمة التي لم تشرق عليها شمس الإيمان و سنته

1--مجهول ،الأنانية وحب الذات و خطرهما على المجتمع جريدة الأمة عدد9(13-11-1934)

2- المصدر السابق.

3-المصدر السابق

4- هو كاتب مصلح من وادي ميزاب عرف بمقالاته الاجتماعية في جرائد أبو اليقظان تتسم معالجته للقضايا الاجتماعية بالواقعية و إيجاء الحلول لها بالرجوع إلى تعاليم الشريعة الإسلامية.

في الكون و لم تتألف في سمائها نجوم الدعاة المرشدين من رجال التاريخ و عظمائه الذين وضعوا لنا بسيرتهم و حياتهم معالم الاهتداء في بيداء الحياة..."[1]

و لكي تتخلص الأمة الجزائرية من هذا المرض الاجتماعي "اليأس" و تصير في حالة صحية جيدة لا دواء لها ولا رجاء لها إلا بالعودة إلى التمسك و العمل بتعاليم الإسلام السمحة مدعما قوله بتاريخ المسلمين في عصرهم الذهبي الأول"...و لا سبيل لعلاج هذا المرض المنتشر بيننا و المتمكن في كثير من النفوس إلا بتقوية الإيمان و ترديد النظر في تاريخ الأمم الغابرة و الحاضرة و درس حياتها وأطوارها و تقلباتها و المثل الأعلى في هذا هي الأمة الإسلامية التي أعطت للأمم الضعيفة المنحطة أعظم الدروس في تاريخ النهضات و الانقلابات الخطيرة و أرتهم كيف يصير العبد سيدا و المملوك مالكا و القوي ضعيفا ،والمنحط راقيا و علمتهم كيف يكون الإنسان عزيزا أبيا كاملا في إنسانيته قويا كريما في نفسه[2]

واعتبر الأستاذ سعيد كل ناشد لحلول لهذا الداء داء اليأس في المجتمع خارج دائرة الإسلام وتاريخ الإسلام بأنه ضرب من المحال إن لم يكن ضلالا وتيها فالحل موجود في حضارتنا الإسلامية التي ينبغي أن تكون قدوتنا في هذا الصدد لا في المدنيات الأجنبية "...و من يرغب عن هذا التاريخ المدهش الذي فيه تفصيل لكل شيء و دليل لكل مختار و شفاء لكل داء إلا من سفه نفسه ودساها؟ و من يرد هذا الحوض الفياض و لا يصدر عنه بطلب يفيض إيمانا و نفسا شيما و اباءا وعقل يضيء حكمة وعلما و يشيع سدادا أو توفيق إلا من أضله الله على علم وختم على سمعه و قلبه وجعل على بصره غشاوة؟

مالنا نضرب الأمثال ونستنهض الهمم بنهضات الأمم الأجنبية و نحل ونسل هذه الأمة التي أدهشت هذه الأمم بخوارقها و مدهشاتها و علمتهم كيف ينهضون ز كيف يعيشون و كيف يحبون الحياة الطيبة...[3]

و في هذا السياق أيضا نجد الدعوة إلى ضرورة التصدي لآفة الوشاية و الانتقام التي عادة ما تصدر إلا من أناس في قلوبهم مرض.

و الذين يسوءهم أن يرتفع صوت الإصلاح الذي يعتقدون أنه سيكون ضد مصالحهم و لا يخفى ما يترك هذا من آثار وخيمة العواقب على المجتمع و في ذلك يقول"..إذا عجزتم أيها الشاة عن مجاراة العاملين في مضمار الصالحات و قصرتهم عن إدراك شأوهم في المكرمات ارضوا بما قسم الله لكم من عجز وقصور، ولازموا حدود طاقاتكم ووسعكم و لا تتجاوزها ودعوا الميادين لأصحابها و الأجام لأسادها فلا

1- الشيخ سعيد بن بكير،آفة الآياس، جريدة الأمة عدد 89 (8،9،1936)

2-المصدر السابق

3- المصدر السابق

تتعرضوا لأحد يسوء و لا تقعدوا بكل صراط توعدون و تصدون عن سبيل الله من آمن به و تبغونها عوجا..."[1]

و يدعو الكاتب هؤلاء المغرضين المتربصين بالعاملين الكف عن هذه العداوة التي وصلت إلى درجة الوشاية للإيقاع بالرجال المصلحين العاملين الذين لا غاية لهم و لا هدف إلا العمل من اجل النهوض بالأمة الإسلامية وإعزاز دينها "...و إن أبيتم إلا تكونوا خصماء للعاملين أعداء الداء للمصلحين فكونوا شرفاء في خصومتكم ،عقلاء في عداوتكم فلا تبلغن بكم الخصومة و العداوة مهما اشتدت إلى هذا الإسفاف السافل إلى هذا الحد من النذالة و الدناءة و خبث النفس إلى الانتقام بالعاملين والساعين لإعلاء كلمة الله و ترميم صرح الدين الإسلامي المتداعي وإحياء ما اندثر عن مجد أمتكم الغابر...[2]

و يكشف الكاتب المصلح عن الخلفيات الحقيقية لهذه العداوة المصلحين فيقول"..إنكم لم تهرعوا لاقتراف هذه المخازي و غرضكم في ذلك درء فساد ظهر أو دفع خطر نزل كما تدعون و تتشدقون وإنما غرضكم الوحيد التشفي و الانتقام من أناس أجابوا داعي الله فقالوا: ربنا الله ثم استقاموا و تعلمون أنكم كذابون مفترون و أن الفساد بكم حصل و قرن الفتنة بكم نجم و إنكم مفسدون مفتتون...."[3]

و يخبرهم بمآل حالهم و سواد صورتهم في نظر الناس حيث يتعرفون للمقت و المقاطعة التي تعزلهم عن محيطهم الاجتماعي و ترمي بهم إلى الهامش.

و في ذلك يقول "..فهل بعد هذا تجدون من أبناء جنسكم من في قلبه ذرة من الإيمان .يسكت عما تأتون أو يجد في قلبه ميلا إليكم أو ينظر إليكم نظرة شفقة ورحمة أو يواسيكم و لو بشربة ماء؟ و هل تطمعون منهم ان تروا منهم غير قلوب يملأها البغضاء ووجوه عابسة مكفهرة و عيون ترمي بشرر كالقصـــــر و السنة تصب عليكم اللعنات صبا؟ و هل تظنون أن تكون منزلتكم لديهم سوى منزلة الحشرات وخشاخش الأرض..."[4]

ثم يبرز سعي هؤلاء المناوئين للإصلاح بأنه خال من كل إخلاص لمن يتزلفون لهم وإنه لا يعدو كونه تحقيق نزوات شخصية في حب الانتقام بواسطتهم و باستخدامهم لا حبا فيهم"...و قادكم حب الانتقام و حدا بكم الخذلان لقرع أبوابهم متظاهرين بالود و الإخلاص و النصح لينتقموا لكم على حسابهم من هؤلاء الخصوم المعكرين عليكم صفو الهناء و يضربون على أيديهم حتى يخلو لكم الجو لتعثوا في الأرض فساد لا يعارضكم معارض."[5]

1-المصدر السابق

2-مجهول،الانتقام السافل،جريدة الأمة عدد1 (8-9-1933)

3- المصدر السابق

4- المصدر السابق.

5- المصدر السابق

و في سبيل تطهير المجتمع من آفاته التي تفتك بتماسكه و تعطل طاقاته وطموحاته دعا المصلحون الجزائريون إلى ضرورة تنقية النفوس من أدرانها و ذلك بتنزيه الحياة الاجتماعية من جملة من الأدواء النفسانية كالحسد الذي كثيرا ما يجعل الانسان ينظر إلى ما عند غيره من متاع وينسى أن ينهض ويكدح ليحسن وضعه، و قد استشهد الكاتب المصلح بما وصف به عبد الله بن المقفع الحسد و الآثار السلبية الناتجة عنه، حتى ينتهي الحساد من حسدهم لغيرهم فيقول على لسان لبن المقفع :"... أقل ما لتارك الحسد في تركه أن يصرف عن نفسه عذابا ليس بمدرك به خطأ و لا غائظ به عدوا فأنا لم نر ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد طول أسف و محالفة كآبة ...و لا يبرح زاريا على نعمة الله و لا يجد لها طعما و لا يزال ساخطا على من لا يرضاه و متسخطا لما لن ينال فوقه فهو منغص المعيشة دائم السخطة محروم الطلبة لا بما قسم له يقنع و لا على ما لم يقسر له يغلب، و المحسود يتقلب في فضل الله مباشر الكسور منتفعا به ممهلا فيه إلى عدة و لا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص"[1]

و نصح الكاتب المصلح الناس بضرورة التنافس الشريف لتحقيق الأماني و الأهداف بدل غبطة وحسد الناس على ما في أيديهم و في ذلك يقول :"..و إذا كان في هذا الحياة شيء يستحق أن يتحاسد الناس عليه فهو ما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم- إليه إذ قال (لا حسد إلا في اثنين رجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها و يعلمها)

على أن المراد بالحسد في الحديث هو التنافس أو الغبطة التي هي تمني مثل ما للناس من نعمة، لا الحسد على بابه و هو تمني، زوال النعمة على الغير، أو أن المراد أن الحسد إذا حسن في شيء ففي هذين، أي في أن تنفع المجتمع بأخذ شيئا و هما المال و العلم،و أي شيء أنفع من المال ، الذي هو قوام الأعمال؟ ومن العلم الذي صلح عليه أمر الدنيا و الدين، و الذي لا يصلح عمل و لا عبادة بدونه فكان-لذلك في أول آية نزلت من كتابه المبين [2]

و حسب الكاتب المصلح فان الأغنياء و العلماء عليهما أن يتصفوا بصفات الإسلام الحقيـــــقية و إلا صاروا مبغوضين من طرف الأمة داعيا إلى مقاومة آفة الحسد التي تتنافى مع التضامن الوطنـــي "...يجب أن لا يغتر الأغنياء وأو العلماء فلا عبرة بمجرد الغنى أو العلم ،و إنما العبرة بالنفع في الغنى والعلم ،و هو ما يصرح به -صلى الله عليه وسلم-في هذا الحديث إذ قال عن صاحب المال(فسلطة على ملكته-أي إفنائه- في الحق) و إذا قال عن صاحب الحكمة-أي العلم- (فهو يقضي بها ويعلمها) [3] ثم يضيف قائلا :" أما الغنى لحب التفوق و الاستعلاء ،والعلم لحب الظهور، و للجبروت والطغيان وللعلم طغيان كطغيان المال فلا يجلبان إلا الحقد و البغضاء من الناس و السخط و المقـــــــــت

1-أحمد سحنون ،الحسد جريدة البصائر عدد336 (1955)

2-المصدر السابق

3-المصدر السابق

من الله،و تلك هي التبعة بلا ثمرة و التجارة بلا ربح و هو ما وقع فيه أكثر أغنيائنا و معظم علمائــــــنا (و ما تصنع بالسيف إذا لم يكن قتالا) و بعد فإن الحسد آفة من آفات المجتمع التي تفتك بوحدته وتنخر في هيكل تضامنهم ونحن اليوم أحوج ما تكون إلى الوحدة و التضامن و من ثم فنحن أحوج ما نكون إلى مقاومة هذه الآفة و التطهر منها وقانا الله شر الحسد[1]

كما نبه المصلحون الناس إلى ضرورة تخليص نفوسهم من كل مظاهر الغرور الذي يجعل صاحبه أسير الخيلاء و الإعجاب بالنفس و يعمي بصيرته من كل نقيصة و في هذا الصدد كتب الشيخ أحمد سحنون الذي كشف عن أضرار الغرور "...ما أقوى مفعول هذا المرض و ما أشد فتكه بالنفوس وما أكثر ما يتوالد عنه من أمراض و ما أسرعه إلى رجال الفكر و العمل و ما أبعد المبتلي به عن معرفته بنفسه، وتواضعه لإخوانه و انقياده للحق و اعترافه بالخطأ ورجوعه إلى الصواب..."[2] و يبين أصناف هؤلاء المغرورين فيقول:"..و المغترون أنواع و أشكال فمنهم المغتر بماله وولده و منهم المغتر بعلمه و عمله ومنهم المغتر بشعره و أدبه و منهم المغتر بمنصبه ووظيفته، ومنهم المغتر بزيه و سيارته ومنهم المغتر بجماله ووسامته ،والكل جاهل لقدره،غافل عن حقيقته، مستدرج بما سيق إليه، مفتتن بما منح إياه، قال تعالى :" إنما نملي لهم ليزدادوا إثما " " سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" " يحسبون أن ما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات؟بل لا يشعرون" " فتحنا عليهم أبوب كل شيء حتى إذا فرحوا بها أوتوا أخذناهم بغتة"فإذا هم مبلسون"..فلا عجب -و هذا المرض بهذه الخطورة- أن يقاومه الإسلام مقاومة تستأصل جذوره و أن يزيح عن مخازيه بما يفضح كل مغرور و يكشف غروره..."[3]

ويذكر من علامات الغرور "... و من علامات المغرورين التطلع للشهرة وحب الثناء ذيوع الصيت و الاستئثار بالمناصب و الاستبداد بالرأي و اللجاج في الخصومة وكل ذلك قاومه الإسلام، دين التواضع ،و التسامح و التشاور و التضامن و التعاون،و الرجوع إلى الحق والرضوخ لرأي الجماعة."[4]
كما دعا الشيخ سحنون الناس كذلك الى الابتعاد عن الكذب الذي عده من اقوى العوامل الهدامة في الهيئه الاجماعية وافتك الامراض الاخلاقية التي قاومها الدين الاسلامي فيما قاوم من اخلاق فاسدة وعادا سيئة... وهو مع ذلك مناف تمام المنافاة لما جاء به هذا الدين القويم من مبادئ سامية وتعاليم روحية نافعة(5) وحسبه ان الكذب لو لم يكن فيه غير زوال الثقة لكان كافيا لان في زوال الثقة

1-المصدر السابق

2-الشيخ أحمد سحنون، الغرور جريدة البصائر عدد327 (1955/7/15)

3- المصدر السابق

4- المصدر السابق

5- احمد سحنون، الكذب وخطره على المجتمع، البصائر، عدد46، 1936/12/4

بين الناس تعطيلا لمصالحهم وفسادا لنظام المجتمع ففي المثل من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه، إن من عرف بالصدق أحرز على ثقة الناس فإن كذب صدق لثقتهم فيه ومن عرف بالكذب خسر ثقة الناس فإذا صدق بعد ذلك لم يصدق لعدم الثقة فيه" [1]

د- الدعوة للكف عن الإسراف و التبذير:

على الرغم من حالة الجزائريين المتدنية و بنيتهم الاقتصادية الهشة فان وجود العادات الفاسدة والتقاليد البالية زادت حالتهم سوءا على سوء من فرط كثرة النفقات و الاسراف الذي لا حدود له في إحياء الحفلات و المناسبات وكم في ذلك من هدر للطاقات الوطنية و تبديد للثروات فيما لا فائدة ترجى منه اللهم التظاهر نفاقا بالفخفخة الزائفة و قد نظر المصلحون إلى هذا التبذير على انه يشكل عوائق في سبيل النهوض بالبلاد و نلمس الاهتمام بهذا الجانب من خلال ما جاء في دروس " مجالس التذكير" للأمام ابن باديس الذي تعرض بالشرح و التفسير الدقيق لآفة التبذير و الإسراف الذي عده إنفاق في غير وجهه الشرعي ومعناه تفريق للمال في غير وجه شرعي دون تقدير فيصير بوجه آخر فالإنفاق في الملهيات تبذير وان كان قليل و الإنفاق في المطلوبات ليس بتبذير و لو كان كثيرا إذا انفق في مطلوب دون تقدير فاضل بمطلوب آخر كمن أعطى قريبا و أضاع قريبا آخر وانفق في وجوه البر وترك أهله يتضررون بالجوع[2]

و ذكر الأستاذ ابن باديس المسلمين بان التبذير مذموم شرعا و هو من عمل الشياطين و من يقوم به يعد أخ للشياطين و في ذلك يقول "... فالمبذر أخو الشيطان و الشيطان كان لربه كفورا فالمبذر كان لربه كفورا ذلك أن الله تعالى أنعم عليه بالمال الذي هو أداة لكل خير و عون عظيم على الطاعة فجعله أداة في الشر واستعان به على المعصية، ومكنه بالمال من نعمة القدرة على القيام بالحقوق فضيعها و قام بالشر و المفاسد، و هذا من أقبح الكفر لنعمة ربه الذي كان به مضارعا للشيطان أخـــــيه و العياذ بالله.[3]

و في هذا الصدد تجئ محاضرة الأستاذ الشيخ مبارك المالي حول السرف المالي لكي نبرز ونكشف عن مدى ما وصلت إليه أوضاع الجزائريين المادية من تدهور بفعل ذلك التبذير الكبير للأموال في

1-المصدر السابق

2-الشيخ الإمام ابن باديس،مجالس التذكير،من كلام الحكيم الخبير من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار قسنطينة 1402 1982 ص116

3-المصدر السابق

تغطية نفقات العوائد الاجتماعية ،ففي الوقت الذي كانت فيه الأزمان الاقتصادية تعض بنابها أبناء الشعب وصور الفاقة والفقر و الحيف بادية على كل ميادين الحياة الاجتماعية يقابل هذا إسراف كبير للأموال فيما لا فائدة ترجى منه، عوض أن يقدر الناس الظروف فيرشدوا النفقات و يعرفوا كيف يعالجوا أمورهم المادية بما يعود عليهم بالخير العميم فبعد أن عرف الشيخ الميلي السرف المالي وعواقبه الوخيمة في الآخرة حيث" عاقبة السرف المالي في الآخرة أن يلقي بصاحبه في النار، و عاقبته في الدنيا أن يلقي به في المتربة و الصغار..."[1] يبين بأن هذا السرف المالي كان على حساب المشاريع الخيرية المفيدة للمجتمع، في دينه ودنياه و في ذلك يقول:"...و السرف المالي هو الذي أخرج من أيدينا أملاكا وأي أملاك إلى أيد ترى من أشرف أعمالها سلبنا قوت يومنا والسرف المالي هو الذي قعد بالأمة الجزائرية على تعمير المساجد و أنشاء المدارس و اتخاذ ملاجئ للفقراء و العجز وبالآخرة أن السرف المالي هو الذي قسى القلوب و أمات الشعور وجعل ماضي وجودنا من منفعة لغيرنا و ما فيه من مصرة و مصرة فعلينا..."[2]

وراح الشيخ مبارك الميلي يعدد مساوئ السرف المالي و الأضرار التي يلحقها بالمصالح الاجتماعية إلى حد تعطيل سنن الله في الحياة، و من ذلك السرف المالي في الصداق حيث "..تغالى فيه الناس، تغاليا بعثهم عليه التفاخر بالتكاثر و اعتقاد إنه سبب للمجد أو مظهر من مظاهره،فحاطوا النكاح الضروري للبنين و البنات بصعوبات قل من يقدر على تذليلها، و سنوا له فوائد تخور العزائم لمحاولة تغييرها أو تبديلها .." و عدد بعدها النتائج السلبية المترتبة عن هذا الإسراف المالي، من عنوسة في وسط النساء وعزوبة في وسط الرجال و ضعف الأخلاق و انتشار للموبقات زيادة على ضعف الأمة بقلة النسل ورقة الدين، و حرف مواهب الشباب إلى الاشتغال بالفارغات بل العامرات بالمساوئ و الذي يألف مناظر الغرام و الهزل لا يستطيع أن يقف موقف الجد و البطولة[3]

كما عدد مساوئ و أضرار الإسراف المالي في الولائم الأفراح و الأطراح فقال:" ففي أفراح الأعراس نجد إسراف الناس في الولائم حيث يتنافس الأغنياء في مظاهر الترف و قلدهم من دونهم كل بما يجد يجهد حيث يمتد هذا الإسراف أياما تختلف باختلاف أقدار المولمين و لا تخلو هذه الولائم عادة من منكرات تكلم الدين و تغضب رب العالمين وعوائد مستنكرة تقدح في مروءة المولم و تجرح أصدقاءه من إعطاء المدعوين أموالا للراقصين و الراقصات و أما الإطعام على الموتى الذي يتكفل به ولي الميت وإعطاء أجرة للطلبة على قراءتهم القرآن و للمريدين على ذكرهم الأذكار ، وكذا إطعام المعوزين الذي يستمر أياما مما يشق عليه و يزيد متاعبه المادية و الإرهاق حيث يذهب الميراث بالإنفاق بل قد يتحملون الديون ثم يكشف عن ما يترتب زيادة عن ذلك فيقول :

1-من محاضرة القاها في مؤتمر جمعية العلماء سنة 1935 انظر السجل ،ص، 162-163

2-المصدر السابق ص 166 و ما بعدها

3-المصدر السابق ص 166 و م بعدها

- و قد أدى هذا إلى إفقار أسر و افتضاح بيوت مفاسد إحداها ضياع اليتامى و ثانيتها سوء حال اليتامى و ثالثهما قسوة القلوب و الغفلة من عظة الموت فقراء القرآن ترى الميت بينهم وهم يأكلون ويتلذذون و يتحدثون و يضحكون و يغتابون و يعيبون ووفود التعزية للمصاب يمتحنون فان وجدوا لديه من لوازم الضيافة قالوا:" ما مات من خلى مثلك خلاها عامرة" و إن لم يجدوا ما يسد نهمهم و يبهت نظرتهم قالوا:" خلات دار فلان[1] -

و لم يغفل الشيخ الميلي في ذلك السرف المالي في الضيافات و الهدايا، حيث كشف عن مساوئها، و مضارها، ثم بين للحاضرين أن الاقتصاد ضد الإسراف و التبذير و البخل و الشح و اعتبر أن من الاقتصاد ترك تعاطي بعض الأعشاب مثل الشمة و الدخان و الشاي و بلغة الأرقام نظر إلى ذلك حيث يمكن بتلك المبالغ المالية المنفقة على هذه الاعشاب إقامة مشاريع خيرية إنتاجية تعود بالفائدة على عموم المجتمع و في ذلك يقول:"...لنتصور لو سرفنا في مثل الدخان و الشمة و القهوة و الأتاي مما لا لذة فيه و لا نعيم ،ثم لنتصور اقتصادنا بترك هذه الأعشاب نجد في ذلك الاقتصاد ما يكفي للنهوض بمشاريع واسعة من علمية و صناعية و تجارية و فلاحية ذلك أننا ستة ملايين أ فلنفرض سدسنا يتعاطى الدخان و الشمة و ينفق فيهما كل واحد فرنكا كل يوم، فهذا مليون فرنك يذهب كل يوم في الدخان و الشمة و لنفرض ثلثينا يشرب القهوة و الأتاي و يستهلك كل واحد ربع فرنك في اليوم ،فهذا مليون يخرج كل يوم في القهوة و الأتاي فلو أننا استبدلنا بهذه أشياء مشاريع خيرية ،وقبوظها كل يوم مليونان من الفرنكات لكانت مشاريعنا أغني المشاريع و أقواها ووجودنا أشرف الوجودات و أعزها، فكيف لو اقتصدنا بترك المحرمات ونبذ قبائح المحرمات و نبذ قبائح العادات و كفا النفس عن بعض الشهوات ؟ يشكو التأخر و الانحطاط و نقيم على خطتي التفريط و و الإفراط.........[2]

إن هذه الدعوة الصريحة من العلماء المصلحين للإقلاع عن العادات الفاسدة المكلفة لباهض النفقات لم يكن المقصود بها التضييق أو التشديد على الناس و إنما كان ذلك من السعي لأجل توفير الأموال التي عليها يتوقف إقامة المشاريع ، وبذلك يكون عائد العمل و الترشيد في النفقات هو الطريق لإقامة دعائم نهضة على أسس سليمة وقوائم متينة.

و يؤكد هذه الحقيقة ما ذهب إليه الأستاذ مالك بن نبي عندما صور واقع المسلمين المزري بما يعكس حقيقة الاستهتار بالمال الذي يعد عصب الحياة و تبذيره فيما لا فائدة منه، و هو في أشد الحاجة الماسة إليه ،معتبرا الفقر في عالم المسلمين ليس قدرا ملازما و لكنه جاء فيما كسبت أيديهم و جهلهم يستوي في ذلك غنيهم و معوزهم ".......أسطورة (الفقر) ليست بأقل خطرا و حسبنا أن ننظر إلى ما يماك الفرد المسلم الثري من مال لنرى مدى فعاليته الاجتماعية ، لقد زاد اغنياء المسلمين على فقرائهم في العطل على الرغم مما يملكون من ثروات ، وكثيرا من اولئك الاغنياء لايهتمون برعاية طفل مسلم تربية علمية او فنية بل لا يهتمون برعاية عمل أي فائدة عامة ، فيقبلون عليه طائعين متنازلين عن قليل من رفاهيتهم ...) (3)

1-المصدر السابق،ص159 2- المصدر السابق ، ص 166 و ما بعدها .3- مالك بن نبي وجهة العالم الاسلامي ص 90 .

و يضرب أمثلة حية عن مبلغ الإسراف و التبذير للمال عند فقراء المسلمين فيما لا يعود عليهم بالنفع بل بالخراب و الدمار لبيوتاتهم و أوطانهم فيقول"..لقد لاحظت ذلك أخيرا في قرية صغيرة من قرى قسنطينة حيث توجد مدرسة هي المؤسسة الوحيدة ذات النفع العام هذه المدرسة توازن بصعوبة ميزانيتها السنوية المتواضعة في حدود ستمائة ألف فرنك و لكني قمت بتقدير إجمالي من واقع الإحصاءات خرجت بنتيجة هي أن هؤلاء الفقراء الذين يعانون الفقر فعلا قد أنفقوا في ليلة واحدة أكثر من مائتي ألف فرنك ما بين دارين للخيالة،وملعب (للسيرك) وكوخ قمار و بعض المقاهي[1]

ذكر ويضيف زيادة عن النتائج الوخيمة التي تعكس سفاهة عقول المسلمين و بعدهم عن التسيير الرشيد لأموالهم فيقول: "..فلو أننا اعتمدنا على جملة الأرقام من هذا النوع، لأمكننا أن نقوم سعر فاعليه رأسمال المسلم،أعني النسبة بين ميزانية المشروعات النافعة كالمدرسة و ميزانية التوافه التي أحصينا أنواعها، وسنجد أن نسبة السفه في الحالة المذكورة هي 95% ..."[2]

وفي هذا الصدد ناشد الشيخ سحنون الطبقة المتوسطة لكي تكون قدوة لغيرها من باقي شرائح المجتمع في مسألة الاقتصاد في النفقات "فلتكن الطبقة التي نعدها وهي طبقة متوسطي الحال على بال ولا تحتقر شيئا من مالها تنفقهفي غير ما يعود عليها بالنفع في دينها أو دنياها فمن القطرات يجتمع السيل ومن الذرات ينشأ الكثيب"[3]

و- مقاومة الخمور و الغناء الفاحش:

بذل المصلحون و كل الذين لهم غيرة دينية كثيرا من الجهد من أجل وضع حد لظاهرة تعاطي المشروبات الكحولية و استفاف الحشيش و ذلك حتى لا تتفكك عرى أوصال المجتمع و تذهب مقوماته و مناعته و قدراته الكامنة فيه.

فقد سعى الأستاذ الطيب العقبي إلى تطهير المحيط العاصمي من الآفات التي كان عاكفا عليها حيث " استقطبت حركته عنصر الشباب و كذلك عمال الميناء الذين واظبوا على الاستماع إليه واستمال الكثير من الجزائريين الذين هجروا المخامر و استطاع أن يجذب تلك العصابات الخارجة عن الشرع و المعتاد...[4]

و جسد الشيخ الطيب العقبي في الثورة على الحانات و تعاطي المسكرات بتأسيس " الجمعية

1-المصدر السابق ، ص 90

2-المصدر السابق،ص90-91

3-أحمد سحنون إصلاح المال، جريدة البصائر عدد 220 (6 3 1953)

4- الباحث أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية رسالة ماجستير مخطوطة،ص133

الإسلامية لمقاومة الكحول" بنادي الترقي بالعاصمة بتاريخ 16سبتمبر 1932م [1] و يبدو أن نشاط هـــذه الجمعية قد وجدت عراقيل في بداية عملها و هذا ما نلمسه في كلمة الشيخ العقبي في الاجتماع السنوي للجمعية الذي انعقد يوم الأربعاء ليلا(16-12-1934) حيث قدم للحاضرين اعتذاراته كون الجمعية في سنتها الثانية لم تبرهن على وجودها بأدنى عمل أو حركة تدل على حياتها...[2]

و حتى يقلع أولئك الذين يتعاطون الخمور كي يدخلوا في عالم اللاشعور فينسون مشاكلهم كما زعموا ذهب الأستاذ الشيخ عبد الرحمان الجيلالي [3] إلى إبراز مخاطر تعاطي المسكرات من الناحية الصحية والدينية و ذلك من خلال محاضرة ألقاها بنادي النهضة بالبليد فمن الناحية الدينية .

فهي محرمة و أكد بها عليها ديننا الحنيف في غير ما آية و حديث قال تعالى:" يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس الآية ،وروي ابن ماجة عن أبي هريرة يحدث عن النبي (ص)أنه قال" مدمن الخمر كعابد وثن" وروي الطبراني عن النبي (ص) قال:" الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر و من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه و خالته" و عن ابن ماجة أيضا عن حديث أنس " لعن رسول الله(ص) في الخمرة عشرة عاصرها و معتصرها، و شاربها ،وحاملها و المحمول إليه وساقيها و بائعها و آكل ثمنها و المشتري لها و المشترى له" .

أما من الناحية الصحية فقد أثبتت البحوث القديمة و الحديثة مضار الخمر و الكحول للصحة والعقل والنفس و هي مضار كثيرة فمن مضراتها الصحية فساد المعدة و الإقهاء، و هو فقد شهوة الطعام وتغيير الخلق و الخلق...و منها مرض الكبد و الكلى وداء السيل الذي يفتك في البلاد فتكا ذريعا......."[4]

و فند الشيخ الأستاذ الشيخ الجيلالي مزاعم من يقول بأن الخمر تداوي الأمراض مستشهدا بأقوال حكماء الطب فقد ذكر بقول الدكتور مار الأسكوتولاندي "الخمر لا تشفى شيئا" و صرح الدكتور " هيقينبر تام" أمام الجمعية الطبية البريطانية بقوله" لا أعلم مرضا شفي بالخمر قط" و أثبت آخرون من الأطباء بأن الخمر لا ينفع الجسم و لا يشفي المرض و هذا الذي سمعتموه من علماء و أطباء أوربا المتأخرين هو عين ما جاءنا منذ قرون عديدة في قول ابن مسعود الصحابي الجليل " إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم " اخرجه البخاري(5) كما نقلت المنـــار مقالا عن اضرار الخمر عن

1- أنظر جريدة النور عدد 50(27-09-1932)

2- أنظر مقال جمعية مقاومة الكحول الإسلامية جريدة الأمة عدد 15(25-12-1934)

3-مؤرخ جزائري ولد بدينة الجزائر سنة 1908 ساهم في نهضة الجزائر الحديثة بكيانه وقلمه حيث كان مدرسا بمدرسة الشبيبة و أثرى المكتبة بمؤلفاته القيمة و منها، تاريخ الجزائر العام 4 أجزاء زيادة على مقالاته الصحافية العربية الجزائرية للمزيد عنه أنظر ،مرتاض نهضة الأدب ص 221 و ما بعدها و الحبيب حشلاف،العلامة عبد الرحمن الجيلالي.

4- الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ،أخطار الخمر،مجلة الشهاب ج 7 9 صفر 1352/جوان 1933

5- المصدر نفسه

مجلة المسلم أبرزت ما يترتب عن تعاطي شرب الخمور من انعكاس سلبي على صحة الإنسان المدمن على الخمر هنالك أعراض عقلية تلحق به بسبب ذلك كالجنون و الوهم الذي يوصل إلى الشلل الحقيقي كما أن شرب الخمر يترك تأثيره السلبي على الرياضيين الأقوياء ،حيث دلت الإحصائيات على أن الكثير منهم ماتوا بالسل الرئوي كما أن كثيرين منهم أصيبوا بالجنون[1]

و ليس صحيحا ما يشاع بأن تعاطي الخمر يساعد على كثرة العمل فقد دلت أبحاث كثيرة من العلماء على أن الخمر شديدة الخطر على العمل الجسماني[2]

كما اعتبر الأستاذ الشيخ عبد اللطيف سلطاني[3] أن الخمر من الآفات المدمرة لأركان المجتمع إذا استفحل أمرها في بلادنا بفعل الجهل و التقليد الأعمى للأوروبيين[4] كما انشغل الفنانون بهذه الظاهرة المشينة في المجتمع حيث نجد رشيد القسنطيني [5] يعالج ظاهرة شرب الخمـر في صورة اسطوانة سجل عليها حوارا يدور بين امرأة و بعلها الذي آب عليها من الشارع سكران مترنحا و قد كانت هذه الاسطوانة محل إعجاب شديد في الأوساط الشعبية بالجزائر"[6]

كما نجد أولى المسرحيات التي قدمت في الجزائر ، خلال العقد الثالث من هذا القرن،عالجت مضار الخمر، و مساوئ الإدمان على الحشيش.[7]

و لكي نعرف مدى حرص مؤلف المسرحية على تحقيق هدفه من هذا العمل الفني نقتطف من مشاهد هذه المسرحية الذي دار بين شخص من أفرادها و الذي جاء فيه:

الحشائشي(1): و هل الحشيش حرام؟

التلميذ(2) : نعم هو حرام فالشرع حرم كل ما غيب العقل: كثيرة و قليلة قال الله تعالى في القرآن :" يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"و قال أيضا :" و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" فلا ربح للمسلم إلا إذا ترك الخمر و الحشيش ومثلهما من المحرمات لأنها مهلكة للنفس و المال و الشرف و العقل .

1-أنظر جريدة المنار السنة الثانية عدد 11(26 صفر 1372هـ 14-11-1952)

2- المصدر السابق

3- ولد سنة 1902 ببلدة القنطرة ببسكرة تعلم بمسقط رأسه ثم بسيدي عقبة التحق بجامع الزيتونة سنة 1922 وتخرج منه شهادة التطويع سنة 1925 م ليلتحق بعدها بالجزائر حيث ساهم مع اخوانه المصلحين في ارساء دعائم الاصلاح وساهم في نشر التعليم العربي انتخب سنة 1946 عضوا إداريا في المجلس الاداري لجمعية العلماء وفي1946م انتخب أمينا عاما لجمعية العلماء ومديرا لمركز جمعية العلماء بالجزائر،اعتقل مرارا وذاق مرارة التعذيب أيام الثورة المسلحة من قبل العدو وبعد الاستقلال عمل إماما بجامع كتشاوة من 1963 إلى 1964 م عمل أستاذا بثانوية حسيبة بن بوعلي بالقبة وثانوية الادريسي تقاعد سنة 1971 م وبقي وفيا لمبادئه محاربا بلسانه وقلمه لأعداء الاسلام والعربية حتى اصطفاه الله إلى جواره سنة 1404 هـ1984 م للمزيد أنظر فضلاء من أعلام الاصلاح الجزء 1 ص 251 وما بعدها.

4-الشيخ عبد اللطيف سلطاني ، الخمر و ضررها في المجتمع الإنساني جريدة البصائر عدد182 فيفري 1952

5-هو فنان جزائري ولد بالقصبة سنة 1887 يعد من رواد المسرح الجزائري و مؤسسيه الأوائل لعب بأدوار مسرحية كثيرة منها "جحا" توفي سنة 1944. للمزيد انظر

Djeghloul Abdelkador eliments dhistoire culturelle algerienne ENAL ,Alger 1984pp131-139

6-مرتاض ،المرجع السابق،ص 233

7- مرتاض ،المرجع السابق،ص 233

التلميذ (3): و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل مسكر خمر و كل خمر حرام" و النتيجة كل مسكر حرام! و قال أيضا :" لعن الله الخمر و شاربها و ساقيها و مبتاعها و بائعها و عاصرها ومعتصرها و حاملها و المحمول إليه..." [1]

و في هذا المضمار أيضا يمكن أن نعتبر بعض الأعمال الأدبية الروائية الجزائرية في العشرينات من القرن العشرين هي الأخرى قد ساهمت في الكشف عن مضار العادات الفاسدة كشرب الخمر و تعاطي المخدرات "الحشيش" من خلال رواية " زهراء،امرأة المنجمي" لعبد القادر حاج حمو التي كان بطلها عامل جزائري يعمل في مناجم الفحم بضواحي مدينة مليانة يعيش مع زوجته عيشة راضية قانعة، و ما أن خالط مجتمع المدينة و عاقر الخمرة مع رفاقه من العمال الأوروبيين حتى تدهورت حاله،و أهمل زوجته و ترك الصلاة وانتهى به الأمر إلى السجن متهما بارتكاب جريمة قتل لم يقترفها في الحقيقة[2]

كما عالجت رواية "مأمون" لشكري خوجة موضوع الخمرة و نتائجها المدمرة على حياة بطلها الذي جاء من عمق الريف الجزائري إلى العاصمة لمتابعة الدراسة وبعد مخالطة المجتمع المدني الأوروبي يحكم انه ابن"قايد" انتهت حياته بالمرض و الموت من جراء الشرب و السهر و لعب القمار[3] ونـي نفس هذا السياق ندرج كذلك مسرحية نكار الخير التي كان الهدف من عرضها على الجمهور الجزائري هو التصدي لآفة الخمر وابرازحجم الاضرار التي تترتب عنها [4]
كما اعتبر العلماء المصلحون صيانة المجتمع من كل مظاهر الانحراف في السلوكات و الأخلاق واجب يقع على عاتقهم و من ثمة فقد راحوا يبصرون أبناء المجتمع الغافلين وهم الذين يشكلون السواد الأعظم.فإذا فسدت أخلاقهم فقد ذهبت ريحهم ووهنت قواهم و اصبحوا عاجزين على دفع أي خطر يتهددهم لأن عنصر "المناعة" التي هي الأخلاق قد عدمت فيهم، كاشفين لهم زيف ما كان يروج وقتذاك في أوساطهم من ادعاءات سخيفة لبست لبوس الفن و الفن الأصيل و الحقيقي بريء منها، و قد اعتبر الشيخ رمضان حمود التخلف الكبير الذي أصبحت عليه العامة هو السبب الذي عرقل النهضة في الجزائر فحسبه " فالعامة بمكان الجسد من الإنسان و الخاصة بمكان القلب النابض، فالجسد وحده جثة هامدة لا تصلح إلا لملإ الفراغ و إشغال جزء من الهواء النافع و القلب وحده مضغة حقيرة لا تسد ثلمة و لا ترد صدقة ، فإذا التقيا وصلح الثاني تم المراد أن العامة الجزائرية تزخر كالبحر الخضم لأنها القسم

1- مرتاض ،المرجع السابق،ص 234

2- د/أحمد منور، أزمة الهوية...ص64

3-المرجع السابق ،ص65

4- Mehieddine Bachtarzi, memoires, t2, e n a l, Alger, 1984, pp 104 - 105

الأكبر الذي يتكون منه الأمة اجمعها و هي الكلمة الوحيدة التي يستمد منها الشعب كل قوته الحيوية ومن هنا يجب أن نعتني بها إعتناءا تاما..." [1]

و يرى الشيخ حمود أن الأمة لا يرجى صلاحها إلا بإصلاح بيئتها و هل البيئة صالحة عندنا فيصلح من حولها اللهم لا.[2]

انطلاقا من هذه القناعة راح الشيخ حمود يصب جام نقده اللاذع على ذلك الغناء الفاحش" الذي استشرى في المجتمع فصار يسري في شرايين الوطن سريان السم في الدم و المرض في الأعضاء و نبه إلى أن الغناء الماجن يشغل الناس عن العمل لتحقيق أهدافهم و يجعل حياتهم في شقاء و تعاسة وفي ذلك يقول:"...أليس هو تلك النغمة التي يبعثها خبثاء النفوس لفساد الأخلاق و قتل الشعور و نزع الغيرة من القلوب كما تنزع الشعرة من العجين و نشر أوبئة الفسق و الفجور و فتح أبواب التعاسة والشقاء يعسر وصدها بجهد جهيد؟ أليس هو ذلك السم الذي يجفف العقول فيتركها خرقة بالية لا تصلح إلا لمسح دم العار و الخذلان أليس هو ذلك التيار الذي يرقص الشبان و الكهول و حتى الشيوخ من العامة و ينسيهم ما خلقوا لأجله ؟ الغناء سلطان مستبد على رعية القلوب السقيمة يفعل فيها ما يشاء ويريد لأنه يجد قلوبا فارغة فيتمكن ويتعشعش، الغناء المجوني كالخمر،إذا شربت منه الكأس الأولى فالأخيرة لا يعقبها إلا صديد القبر طاشت عقول العامة وراء تيار الغناء و غاصت في بحوره الفاسدة وعمرت بيوته الخاوية[3]

و ينتهي الشيخ حمود إلى إبراز ذلك الشهد المخزي الذي كان يشكل صورة حية عن مدى الانحلال الذي وصل إليه المجتمع في عقد العشرينات حيث اصبح جمهور عريض من الناس مخدرا بأشكال من المجون و التعاطي للآفات التي كان سادرا فيها،غير واع أو مدرك لرسالته اتجاه نفسه وعائلته ووطنه و في ذلك يقول"...فلا ترى نهم إلا خاشعا -و لا خشوع الرهبان- أمام توق العهارة" أوالفوتوغرافات كما يسمونه في المقاهي العامة أمام الرائحين و الغادين و في داره بين أهله و أولاده أو مهر و لا نحو قبر الفضيلة أو المسرح كما يقولون ليشهد جوقه يعمل كيف ترأسها فلانة المشهورة وفلان الشهير[4] و هناك ترى الأعناق ممتدة و الرؤوس متمائلة ،والعيون طائرة و الأفواه فاغرة أما ذا هناك؟ حمار ينهق كلب ينبح وطير مذبوح أو متربعا حول طاولة الحلويات" و الشاربات" في بيت عائلي يدعي النزاهة و الفقه لأن صاحب عرس ضخم ذي "عوادة " دعاهم للتشرف بالحضور،فلا بأس

1- الشيخ رمضان حمود، الغناء الفاسق و تأثيره على الأخلاق جريدة وادي ميزاب عدد 95(10-8-1928)

2- المصدر السابق

3- المصدر السابق

4- المصدر السابق

لا باس إذا اختلطت النساء بالرجال و لا باس إذا مزقت الغيرة و الشرف[1]

و يحمل الشيخ حمود مثل هذه المشاهد الاجتماعية المنحرفة عن الجادة مسؤولية مآل شعور الأمة إلى الموت "..تلك هي بيوت الغناء المجوني التي قتلت شعور الأمة و إحساسها فتلك هي البيوت التي يتهافت عليها الغني و الفقير كتهافت الكلاب على الجيف تلك هي البيوت التي قضت على مجدنا و عزنا و نخوتنا و آبائنا.[2]

و لم يكتف رجال النهضة و الإصلاح إلى بتنبيه المجتمع إلى مخاطرة هذه الآفات الاجتماعية بل ذهبوا إلى المناداة بوجوب مقاومة الأسباب الكامنة وراء هذه الآفات الاجتماعية التي تعد في الحقيقة تحصيل حاصل لآفات لا تقل خطرا عن تلك التي تترتب عنها ألا وهي الجهل و الفقر"..و إننا في هذا الظرف في أمس الحاجة قبل كل شيء إلى قادة نظير قادتنا تألف و تؤلف، و تصرف عنايتها إلى الأهم الذي هو محاربة عوامل الشقاء و أشدها وطأة على المجتمع الجزائري ألا و هي الجهل و الفقر فإذا وفقت إلى أبادتها سهلت عليها مهمتها بل من الميسور إذ ذاك أن تتلاشى الآفات الاجتماعية الأخرى بطبيعتها بدون عناء، و ريحنا بهذا العمل من الشاذيين و المتمردين عن دعوتنا من أبناء ملتنا ووطننا الذي يعز علينا بقاؤهم في عزلة عنهم، الأمر الذي يمعن في تشتيتها و تفكيك وحدتها المقدسة [3]

و في الوقت الذي كان فيه المصلحون لا يفوتون مناسبة دينية دون أن يستغلوها في ترسيخ تعاليم الإسلام و قيمه السمحة في النفوس فإنهم كانوا يثورون ضد كل مظاهر الفساد و الانحراف الخلقي و العادات المنافية للشعائر الدينية و من ذلك ما كتبه أحدهم بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم حيث دعا إلى الاحتفال بهذه الشعيرة الدينية وفق ما يليق.بجلالها و عظمتها و قدسيتها و ضرورة الإقلاع عن استغلال هذه المناسبة للرفاهية و تحقيق الكسب المادي و لو كان ذلك منافيا للشريعة الإسلامية

".ما كان يخطو رمضان خطاه و يطير إلينا بجناحي الليل و النهار إلا وترى حركة جديدة و شمع جلية وضوضاء لإعداد معدات اللهو و المرح و ترويح النفوس ، هذا يدهن قهوته و يؤثثها و يبهرجها و هذا يجهز جوقته و ينظفها و يتفنن في الإعلان بها و هذا يزوق مرقصه و يزخرفه و هذا يشيد آلات اللهو واللعب.. كل هذا لأجل ماذا؟ لأجل إحياء ليالي رمضان المعظم عيد المسخ . كلا لإحياء جيوبهم و إماتة ليلي رمضان......" [4]

و يكشف هذا الكاتب المصلح عن تلك الأضرار الناتجة عن هذه الأعمال المنافية للدين من انتشار

1-المصدر السابق

2- المصدر السابق

3-المصدر السابق

4-مجهول، هل شرع رمضان لعبادة الهوى أم لعبادة الله؟ جريدة الأمة عدد 15 (25-12-1934)

للآفات الاجتماعية فيقول ".أتدري يا صاح ماذا ينتج عن ذلك؟ ينتج عنه اختلاط الحابل بالنابل ينتج عنه امتزاج الجنسين ببعضهما و قد يجمع مكان واحد الأب و ابنته و الأخ و أخته و الزوج وزوجته و الأم وابنها وهكذا أما ما يجري هنالك من أنواع القصف و الخلاعة و المجون و ما يبذر فيه من الأموال الطائلة فحدث و لا حرج... كل هذا على مرأى و مسمع من كثير من السادة العلماء و ربما شارك البعض منهم أو من يتصل بهم في كثير من ذلك بلا غضاضة و لا حرج..[1]

و يضيف مبرزا المعنى الحقيقي للمواسم الإسلامية"..إن مواسم الإسلام لم تشرع لتجعل مظهرا من مظاهر الكفر بالنعم و نكران الجميل و إطلاق العنان للنفس و إنما جعلت مظهرا من مظاهر الشكر و الثناء على الله تعالى و ذلك إنما يكون باتباع أوامره و اجتناب نواهيه و الوقوف عند حدوده، ان رمضان لم يشرع لقضاء لبنانة النفس ...في عبادة الهواء..")[2]

و إذا كان المصلحون يحتفلون بموسم المولد النبوي الشريف و يستغلون المناسبة لترشيد أبناء الأمة و توعيتهم بقيم دينهم و سيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم [3] فانهم كانوا في نفس الوقت ينبهون الأمة إلى ضرورة الكف عن ارتكاب كل ما يخالف هذه المناسبة العظيمة من طقوس وبدع تسيء إلى الإسلام من تبذير و انحراف أخلاقي من "..مناكر و جنايات إذ تشمل غالبا في صورتها على تبذير أموال الشعب،وتعمير المراقص و محلات المسكرات و تشجيع الإباحية..." [4]

و بناءا على ما سبق ذكره نستخلص ما يلي:

إن المجتمع الجزائري ككل المجتمعات الإسلامية كان يواجه تحديا سافرا لقيم اجتماعية تمس مشاعره الوطنية و القومية و تطعن في موروثه الحضاري.

كان رد فعل المصلحين و المثقفين قويا على جملة الآفات الاجتماعية و سيل العادات الوافدة حيث كشفوا للرأي العام الجزائري مبلغ المخاطر الجسيمة التي تتهدد كيانهم إن لم يقلعوا على هذه الآفات وينتهوا منها.

استعمل المصلحون أدلة العقل و النقل في محاربة الآفات الاجتماعية و كان أسلوب عملهم قائما على الحجة و الإقناع لا على العنف الجسدي أو اللفظي الشيء الذي جعل مسعاهم يكلل بالنجاح فعندهم أن العنف ما دخل شيئا إلا شأنه و اللين عاد كل شيئا إلى زانه.

-إن محاربة الآفات الاجتماعية تعد الخطوة الأساسية الأولى التي وضعت في سلم الأوليات عند ممثلي الخطاب النهضوي و شعارهم في ذلك قوله تعالى:" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"

1-المصدر السابق

2-المصدر السابق

3- أنظر عن احتفالات بالمولد النبوي الشريف بنادي الشباب بقنزات جريدة البصائر عدد 166 (19-5-1939)

4-الشيخ مبارك الميلي الاجتماع للمولد النبوي جريدة البصائر عدد112 ماي 1938

2- الدعوة إلى العمل و نبذ الكسل:

اجتهد المصلحون في دعوة المسلمين الجزائريين إلى ضرورة السعي الدؤوب للخروج من دائرة الفقر و الحرمان و الفاقة، و العمل على التحكم في نفقاتهم حتى يقدروا على تحقيق مستوى معيشي مقبول في ظل ظروف اقتصادية و اجتماعية صعبة و قاهرة كثيرا ما عمل الاستعمار على استفحالها و اتساع دائرتها في كل ربوع الجزائر من أجل أن تحيا شريحة المعمرين " الكولون" في رفاهية و بحبوحة من العيش فقد لاحظ الشيخ أبو اليقظان انحراف اهتمامات الكثير من الناس عن العمل الجاد بفعل فقدان الثقة في النفس وراحوا يعللون تقاعسهم و تكاسلهم عن العمل و الكسب بالتوكل الذي لم يكن سوى تواكلا منهم ذلك إن الاعتماد على النفس لا ينافي التوكل على الله تعالى". ان الاعتماد على النفس لا ينافي التوكل على الله سبحانه وتعالى لانفكاك جهديهما فان الاعتماد على النفس فيما هو داخل ضمن الطوق البشري كاتخاذ الأسباب و الاحتياطات اللازمة التي هي داخلة ضمن قدرة المخلوق، و أما التوكل ففيما هو خارج عن طاقة البشر "الحفظ من الآفات و منع الحوائج كإنزال الأمطار و إنبات الأرض و التوفيق و التسديد و التأييد و النصر الخ. [1]

و يرى بأن ترك اتخاذ الأسباب للوصول للرزق مناف لتعاليم و سنن الله في خلقه ".و ترك اتخاذ الأسباب التي اقتضت سنته تعالى بارتباط المسببات بها وترك اتخاذ الاحتياطات اللازمة و كل ما هو من وظيفة المخلوق بدعوى التوكل على الله في جلبها للإنسان و تمكينه منها إنما هو خور و سخافة و عبث مع الله سبحانه و محاولة لتبديل سنته في خلقه لأجل محاكاة ذلك الوهن الوكل كما أنه لا يتنافى التعاون مع الخير في المهمات ما دام يستشعر المرء من نفسه إنه يعتمد عليها في كل ماله وحده قدرة عليه بدون عسر أو حرج [2]

و يشدد الشيخ أبو اليقظان النكير على هؤلاء المتواكلين الذين ثبطوا عزائم الأمة و حالوا دون قدرتها على كسب معاشها وإنجاز المشاريع المثمرة الأمر الذي أدى إلي انتشار الفاقة و الفقر في أوساط المسلمين فيقول : "...و قد تسرب الغلط في معنى التوكل لكثير من الكسلاء والعاجزين فحملوه على معنى القعود عن العمل وعدم اتخاذ الأسباب و إعداد المعدات اللازمة لمواجهة الطوارئ ما هو داخل في طوق البشر تبريرا لميلهم إلى الدعة و إخلادهم إلى الراحة و عدم كفاءتهم للقيام بالعظائم،ففشلوا بذلك العامة و شلوا أعضاءها عن العمل، فعجزت عن إشادة المشاريع الكبيرة والمؤسسات العظيمة فنشأ فيها الفقر و حاق بها الذل و المسكنة و استثمر حالها هذه ذوو المطامع والغايات.[3]

1- الشيخ أبو اليقظان، الاعتماد على النفس جريدة وادي ميزاب ع 17(21-1-1927)

2-المصدر السابق

3- المصدر السابق

و يدعو الشيخ أبو اليقظان إلى التخطيط في إنجاز الأعمال من دون تركيز مبالغ فيه على النتيجة التي هي النجاح "....من الواجب على العامل أن يركز عمله على مبدأ صحيح و أساس قار وان يرسم له خطة مستقيمة تصله إلى غايته الشريفة و مثله الأعلى و أن يخلص فيه إخلاصا لا تشوبه شائبة ما ثم لا عليه بعد ذلك إن نجح أو لم ينجح؟ إذ عليه أن يعمل و ليس عليه أن ينجح و إنما الفوز و النجاح بيد الله فان فاز فبأمرين أمر العمل و أمر النجاح لضميره ، فليشكر الله على ذلك ليمنحه المزيد و إن خاب فقد فاز بأمر واحد و هو العمل و كفى هذا ترضيه لقبره وربه..[1]

كما يرى الشيخ أبو اليقظان بأن الإنسان إذا سار وفق هذا المنهج في حياته العملية يكون دوما دؤوبا على العمل و النشاط، آملا تحقيق أحسن النتائج و الأمنيات"...و متى تشبع العامل بهذه الروح فإنه لا يعتريه في حياته فشل و لا كسل بل يكون دائما متمنطقا بمنطقة العزم و الحزم و النشاط بصرف النظر عن فوزه أو إخفاقه كما أنه لا يرهقه هم و لا غم و لا نكد عندما يخيب، بل يكون في جميع الحالات مفعم الرجاء متدفق الآمال و ثابا إلى المعالي طماعا إلى الكمالات فأما أن يأخذ بضالته المنشودة و أما أن يموت في طريق العمل[2]

و عاب الشيخ أبو اليقظان على هؤلاء المتواكلين الذين لقبهم ب "المتشائمين" من العمل نكوصهم عن السعي لكسب الرزق و عمارة الأرض، و تقزيم كل من ينهض للاشتغال بل و التشميت به إذا لم ينجح فيه أو حسده إذا وفقه الله فيه"...لقد فشا هذا الداء داء التشاؤم بين كثير من الأوساط لإسلامية و الجموع الأهلية ففشا بسببه فيها داء الكسل و الفشل فتشجع الكسلان في كسله و تثبط الساعي في عمله حتى أصبح لعمله كالمجرم و الشقى أمام المتقاعسين فتراهم إذا نجح في شيء من مساعيه المبرورة يحسدونه و يقللون من قيمة عمله و يختلقون له النقائص فيه و المطالب حتى يشلوا أعضاءه و يزهدوا الناس فيه، وينزعوا ثقتهم منه، في حين أنهم يهرعون بلا خجل إلى الاستفادة من ثمرة عمله والاستغلال منها بطرق خفية ما وجدوا لذلك سبيلا"[3]

و إذا اخفق في مسعاه و لم يفلح في عمل ما فانهم بالمرصاد له حيث يشهرون به و يشتمون به و يصمونه بكل وصمات السوء و النقيصة و ذلك إمعانا منهم في تحطيم معنوياته و قتل روح المبادرة و العمل في نفسيته.

"...و إذا اخفق فيه انزلوا عليه وابلا من التجريح و التوبيخ لخفته و طيشه و تهوره و استغنائه عنهم برأيه و تهكموا منه وازدروا به و تشفوا منه و شمتوا به تنكيلا به وانتقاما منه كأنه ارتكب جرما فضيعا

1- الشيخ أبو اليقظان ،علي أن أعمل و ليس علي أن أنجح ،جريدة وادي ميزاب ع 51 (30-9-1927)

2-المصدر السابق

3-المصدر السابق

يستحق بـه صـارم العقـاب.و العجب من هؤلاء أنـهم فـي الوقت الـذي يهمـزون و يلزمـون و يستنقصـون أعمـال العـاملين.تـراهم أثنـاء هذا كلـه قعودا جـاثمين لا أثـر لهـم فـي أي إصـلاح و لا وجـود لهـم فـي أي مشـروع خيـري كـان بـل جلهـم منغمسـون فـي الفجـور و الخمـور وسـائر الشـرور، و البـاقي سـاكت يـرى ويسمع و لا ينبس ببنت شفة كأنما الإفساد ما عليه الخصم و إن كان عين الإصلاح و الإصلاح مـا عليـه الصديق و إن كان عين الفساد فالاصلاح و الإفساد علـى حسـب الهـوى لا علـى حسـب الحـق " و لـو اتبـع الحق أهواءهم لفسدت السماوات و الأرض ومن فيهن "[1]

و أشاد الكاتب أبو زهرة بجريدة الشهاب بالعامل المخلص الذي يفيد نفسـه أمتـه و يسـعى لتغييـر حالها من السيئ إلى الحسن مشمرا عن ساعد الجد للنهوض بمجتمعه من منطلق عمله سـواء كـان موظفـا أو مصلحا أو رب بيت متساءلا بدايـة عن من هـو العامـل المخلـص؟ هل هـو كـل شـجاع نجـده فـي كـل حركة مباركة؟ أم هو الذي يسعى بكل قواه لنيل غاية روحية شريفة ؟ أو هـو الـذي يبـذل الـنفس و النفيـس في تكوين سعادة حوله؟[2]

وأكـد علـى المبـدأ الأخيـر بقولـه " نعـم هـو وشـيء آخـر، فالإنسـان الـذي يجتهـد فـي ترقيـة منزلتـه الاجتماعيـة نعـده عـاملا مخلصـا ...و كـذلك مـن أحـب وطنـه و لغتـه و دينـه فانـه يصـدق عليـه لفـظ عامـل مخلص..و مثل هؤلاء الحازم الذي يتجاسر على محاربة البدع الضـارة بالـدين و العبـاد يتحمـل الصـعوبات في قطع دار النصابين و ممن لا أخلاق لهم..." (3)

كما يعتبر صـاحب الأخـلاق السـامية و المتقن لعملـه، و المدافع عن حقـوق من يملكهم و المحسـن البـاذل للخيـر و المـدرس و الطبيـب و المرشـد و الفنـان و غيـرهم فـي عـداد العمـال المخلصـين"...و مثـل هؤلاء أيضا من يسير سيرة حميدة و يكون ذا عفة و إخلاص و تقوي و الفاضل الذي يتعلم حرفـة فيحبهـا و ويجتهـد فـي إتقانهـا لسيما أن تعلـم شـيئا مـن الصـنائع التـي نحـن محرومـون منهـا كالخياطـة العصـرية والصياغة و النائب الذي يدافع عن حقوق منوبيه بحماسـة و غيـرة و يسـهر علـى مصـالحهم و الكـريم الذي يلتقط يتيما فيتكفله و يحسن له و يعامله معاملة الابن و لربما أنقذ بفعلـه هذا بريئـا يسـقط فـي يـد المبشـريين..."[4] ويـرى كـذلك 'ن المـدرس والطبيـب والمرشـد والـزوج الصـالح يعـدون باعمـالهم وعنـايتهم بـاهلهم عمـالا مخلصـين والـذي ودرس العلـوم العصـرية مـن طـب وكيميـاء وهندسـة وباشـر الفنـون الجميلـة كعلـم التمثيـل وفنـون الموسيق والتزويـق وغيـر ذلـك (5) ثـم يضـيف و المرشـد الـذي يـذهب مـن بلـدة إلـي بلـدة و مـن قريـة إلـي قريـة يعـظ النـاس و يحـثهم علـى العمـل ويحـدرهم مـن الأمـراض الاجتماعيـة كـالزنى و الخمـر و الميسـر و تـدخين المخـدرات و الـزوج الـذي يعامـل زوجتـه بلين ورفق و شفقة فيترك لها زمام المنزل و تربية الأطفال و با لجملـة يعتبرهـا شـريكة حياتـه ويعاملهـا المعاملة التي جاد بها الدين الحنيف و بالجملة فمجال العمل واسع جدا و كل هؤلاء عاملون مخلصون

1-المصدر السابق
2- الشيخ أبو زهرة، العامل المخلص، الشهاب، ج12، مج8، 1932،
3- المصدر السابق 4- المصدر السابق 5- المصدر السابق

و يمكنه أن يجتهد و يعمل العمل الذي يقدر عليه فلنكن من العاملين المخلصين و لننظر دائما إلى الأمام غير مكترثين بصعوبة العمل و غير يائسين من حصول النتيجة و لو بعد حين.....[1]

و ما نلمسه من طرح الأستاذ أبو زهرة هو بعد النظر عنده حيث اعتبر كل الأنشطة و الأعمال المفيدة للمجتمع حسبه جديرة بالتقدير و هو في هذا يرمي إلى نشدان المصلحة الوطنية و تلتقي نظرته هذه مع ما ذهب إليه الأستاذ الشيخ بعزيز بن عمر الذي اعتبر أن رجل الإصلاح الحقيقي هو ذلك الذي يسعى من أجل رضى و ازدهار أمته و في ذلك يقول:"...إذا شئت أن تكون من رجال الصلاح في هذه الأمة المنكودة الحظ فكن مشفقا عليها عاملا في سبيل رقيها و لسعادتها جهد المستطاع إذ بسعادتها سعادتك وبشقائها شقاؤك و كن رؤوفا فميول أبنائها الناهضين المتمسكين بأسباب نجاحها العاملين في سبيل إصلاحها و تهذيبها وقف معهم موقف المشجع المنشط بالقول و الفعل معا ثم عملوا جميعا بنشاط وثبات ساعين وراء غاية واحدة متفائلين بالمستقبل حتى تأخذوا بزمامها وترفعوها إلي مستوى الأمم الراقية" [2] محذرا من مغبة السقوط في فخ المثبطين لأوطانهم ، لأن بذلك تكون عائقا في سبيل نهضة وطنك وازدهار أمتك، و تصبح بفعلك هذا أكبر مجرم وظالم أي ما يمكن أن نسميه اليوم بمرتكب " الخيانة العظمى" للوطن "...و إياك و تثبيط العزائم و هدم الآمال النافعة في الناس إذ لا يفعل ذلك إلا كل ذي نفس شريرة تحب الأذى و لا تأنف من ارتكاب الجريمة فانك ان فعلت ذلك كنت عثرة في سبيل الرقي و متعمدا لخسارة الناس وفائقا يفضح عملك كل ظالم...[3]

كما اعتبر الشيخ الطرابلسي[4] إن العمل المثمن هو ذلك العمل المثمر بإتقانه وحسن القيام به داعيا الجزائريين إلى الاقتداء بالسلف الصالح".لقد كان للسلف الصالح بالصنائع التي اشتغلوا بها واعتمدوا عليها في رقيهم بقدر ما وسعه علمهم ومبلغ تقدمهم و تحروا فيها بنسبة أحوالهم الكمال والإتقان الذي ندب إليه الشارع عليه الصلاة و السلام حيث قال :" إن الله يحب الصانع الحاذق"

ثم يضيف محذرا من مغبة ترك العمل و الاستسلام للبطالة بأوخم العواقب"...فيجب علينا أن نتمثل أوامرهم.

و نجزم أن البطالة و الفقر موت يتناول جميع الشعوب كما نتناول الأفراد و في ذلك بلاء

1-المصدر السابق

2- الشيخ باعزيز بن عمر، المثبطون للعزائم،مجلة الشهاب ج 11م 6 (رجب 1349/ديسمبر 1930)

3-المصدر السابق

4- هو الشيخ محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي،ولد بمدينة طرابلس بليبيا و كان والده قد هاجر إليها قبل هذا التاريخ من بريان حفظ القرآن و أتقن تجويده بعد احتلال إيطاليا لطرابلس عاد إلى بريان، اشتغل طول حياته بالتعلم متنقلا ما بين بريان و القرارة،بسكرة ،قسنطينة شارك بقلمه في الصحف العربية شعرا ونثرا و هو عضو بارزا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين توفي رحمة الله ببريان سنة 1984 أنظر ناصر ر المقالة الصحفية،ج2،ص229

عظيم."[1] و بالجملة يمكن القول أن دعوة المصلحين و رجال النهضة إلى العمل و نبذ التواكل و الكسل نابع من قناعة راسخة في أذهانهم من إن الأمة لا يمكن أن تنهض من كبوتها و تخرج من تخلفها إلا إذا كانت واعية بواقعها المنحط و المتخلف و من ثمة عملت على تدارك العجز و التخلف بمزيد من الكد والعمل المنتج الدؤوب القائم على الإتقان و المهارة، داعين في نفس الوقت إلى التصدي و محاربة كل الأفكار الضالة و المضللة التي تنفر من العمل و تدعو الناس إلى ترك السعي لكسب الرزق وهي في الحقيقة تخدم الوجود الاستعماري و تطيل من عمره في البلاد لأنها تبقى الناس في تبعية .

3- العناية بالشبيبة الجزائرية: أدرك رجال النهضة أن الشباب هو عماد الأمة في بناء حاضرها والتطلع لمستقبلها و لذلك سعوا إلى النهوض به و العناية بهمومه و شؤونه و ذلك تحضيرا له لدور خطير سيقوم به إلا وهو تحرير البلاد من براثن الاستعمار و من التخلف" فالشباب في كل أمة هم عماد نهضتها و أساس رفعتها و عنوان قوتها و رمز عزتها و طالعة سعدها"

أ-إبراز أهمية الشباب في المجتمع:

الشباب أولوية الأولويات في المشروع النهضوي الذي لا يمكن أن يقوم به شعب جاهل و في هذا الصدد نجد رائد النهضة الجزائرية الشيخ ابن باديس قد رسم خطة قويمة للأمة كي تسير عليها في حياتها لتعود إليها شخصيتها المتميزة المتأهلة لحمل رسالة الحياة فقد كان هدفه من التربية و التعليم تكوين بناة نهضة و دعاة إسلام و جهاد و أطباء عقول و نفوس و أرواح.

فقد سأله أحد تلامذته يوما: لماذا لم تؤلف الكتب؟ فكان جوابه:" إن الشعب يا بني ليس اليوم بحاجة إلى تأليف الكتب بقدر ما هو بحاجة إلى تأليف الرجال هب أنني انصرفت و انقطعت عما أنا اليوم بصدده من نشر العلم و إعداد نشئ الأمة فمن يقرأ كتبي و تأليفي ؟مادام الشعب في ظلمات الجهل و الأمية !إن إعداد معلم واحد كفؤ يتصدى لمحاربة الجهل الفاشي في ربوع مجتمعنا خير من ألف كتاب تحفظ في خزائن إلى أن تبيد و تبلى.[2]

و كان الشيخ ابن باديس ينظر إلى رسالة التعليم و التربية على إنها سلاح للتصدي للسياسة الاستعمارية و ليس غاية في حد ذاتها في ذلك الوقت الذي كانت الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية مهددة بالاندثار"...إننا لا نريد أن نكون من تلامذتنا اليوم علماء بحث و فلسفة و آداب و خيال..و لكن فبل كل شيء أن نكون منهم أولا بناة نهضة و دعاة إسلام وجهاد و رجالا يقفون للاستعمار الذي أقام سياسته على أساس محاربة مقوماتنا الروحية و الثقافية حتى يسهل عليه أن يبتلعنا و يقضي على شخصيتنا [3]

1-الطرابلسي، الكد و الكسب جريدة وادي ميزاب عدد 29 (1927/4/29)

2-الأستاذ الشيخ محمد الصالح الصديق/ الشيخ عبد الحميد بن باديس جريدة صوت الأحرار 200/4/20

3-المرجع السابق

و قد كان التنويه بالشباب المتخرج من الزيتونة و عودته إلى الجزائر حيث كان يستقبل في الجزائر استقبال الفاتح و هذا ما نلمسه في قصيدة شيخ الزاهري يحي فيها دفعه من خريجي جامع الزيتونة لسنة1925 عادوا إلى وطنهم لخدمته فقال:

فأهلا وسهلا بالذين (تطوعوا) لخدمة الشعب، شعب الجزائـــــر

شباب لعمر الحق لم يك فيــهم سوى حازم، عف الطاوية طاهر

تجلوا على هذي الجزائر،بعدما سجا الجهل أشباه البدور الزواهر

هم النشء لا أضاع شبـــــابه و أمواله بين الخنا و المخامــــر

ليهنأ بهم شعب الجزائر ،إنهم هداة ذوو خبر بوعر المعابر(1)

أما الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة فقد حرص في قصيدته على حث الشباب على التآخي والسعي إلى تكريس قيم الإسلام السمحة في الأوساط الاجتماعية إيمانا منه بان الشباب في المجتمع له رسالة و في ذلك يقول:

يا شباب العلا اعتصم بالتآخـــــي زانك الله في العــــلا من شبــاب

انشر السنة الكريمة و العـــــمل بهداها و خذ بحــــــد الكتــــــاب

إن تكن قد بنيت في الناس مجدا فاحرس المجد من دواعي الخراب (2)

و هو نفس التوجه تقريبا عند الشيخ مصطفى بن حلوش(3) الذي حرص على وجوب العناية بعنصر الشباب على اعتبار أن تكوينه يعد الانطلاقة الحقيقية لتنوير المجتمع برمته و هذا في نظره ليس معناه إهمال إرشاد وتوجيه العامة و في ذلك يقول :

"...إن الذي يأتي الإصلاح بأنواعه من جهة العامة مخطئ الخطأ كله و لا نريد أن تغفل العامة من كل إرشاد و تهذيب لا بل الذي نريد أن لانصرف لها العناية إلا قليلا بالنسبة لما نصرفه منها للشباب إذ يمكن أن يكون هو وسيلة تهذيبها و ترشيدها و لا يمكن العكس..."(4)

وعنده أن العناية بالشباب بالتهذيب وزرع الأخوة في صفوفه حتى يكون متوحدا في مشاعره واهتماماته و الكفيل بنهضة الوطن "...فالشباب الشباب !الحرص على تهذيبه و توحيده قبل كل شيء

1-د/ صالح خرفي .الشعر الجزائري الحديث.... ص152

2-محمد الهادي السنوي.شعراء الجزائر جزء1 1926 ص26

3- من الرجال المصلحين ولد بمستغانم سنة 1907 ساهم في توطيد أركان جمعية العلماء بالتعليم و نشر العلم درس على يد والده في زاوية ثم بالجامع الأخضر بقسنطينة.ثم أكمل دراسته بجامع الزيتونة كان ينشط نادي النجاح بمدينة سيدي بلعباس في الثلاثينات عرف بالزهد و التقوى كما بقي بجامع القرويين بفاس ،توفي رحمه الله ما بين سنتي 1979 1981 م أنظر عنه أحمد الأزرق،النهضة الثقافية الأصيلة في مدينة سيدي بلعباس دار الغرب للنشر و التوزيع وهران 2003 ص 40و ما بعدها.و EL KORSO .Le cas de L'Association des ULAMA T1 PP 282 290.

4-الشيخ مصطفى بن حلوش الجزائري الإصلاح المنشود،مجلة الشهاب ج6 ،م6 ، صفر 1349

أوكد من كل شيء فعلى سواعده قامت نهضات الأمم و في أحضانه حطت رحالها...."[1]

هذه تعد دعوة صريحة للعناية بالشباب و التعويل عليهم في الرقي بالبلاد و الأخذ بيده الى سلم الترقي و الازدهار مادام هذا الشباب مؤمنا بمرجعيته الحضارية القائمة على العروبة و الإسلام والتاريخ الإسلامي، أما إذا كان توجه الشباب توجها تغريبيا مديرا ظهره لقيمه الحضارية الإسلامية فلا أمل يعلق عليه و لا رجاء ينتظر منه لإفادة الأمة حتى وان كان هذا الشباب متسلحا بعلوم عصرية فان ذلك لا يشفع له لان الجاهل أو المتجاهل لرصيد أمته الثقافي و الحضاري لا يمكن له أن يعرف كيف يفيدها ومن جهل شيء عداه و يبدو أن هذا ما أكد عليه أحد الكتاب بالشهاب عندما شدد النكير على هذه الفئة من الشباب التي تدعي العصرية و هي شاذة في سلوكاتها و توجهاتها عن المجتمع، و اعتبرها فئة مقطوعة الصلة بأمتها و في ذلك يقول:"... أما الشبيبة المتجددة فليس هناك صلة تربطها بكل طبقات الشعب حتى يسمح لها بحمل لقب العالمية أو شرف القيادة ولو مع قيام الدليل الحاسم على توافر معلوماتها في علوم الحياة واستيعاب مسائلها و أخذها عن دراسة طويلة معمقة لأن تطرف جمهرتها في كل شيء و إسرافها في التجديد و شذوذها عن نفسية المجتمع الذي تعيش معه مما يحول بينهما ويقصي أحدهما عن الآخر|، ولأن اللغة التي هي أحكم رباط قومي لم يكن محل عناية الكثير من هذه الشبيبة ،حتى كأنها أجنبية عنها لا تمت إليها بصلة و لا تستحق أن يكون بجانب أختها الرسمية في الروعة و العناية ..."[2] و يعضده في هذا التوجه و يؤكد عليه ما كشف عنه الشيخ أبو يعلى الزواوي في البصائر عندما أرجع انحطاط الأمة و تلاشى مجدها و هي التي علمت العالم العلم والمدنية إلى الانحراف عن العلم و القعود عن العمل، ذهاب العلم بذهاب العلماء و ذهاب العمل المنتج بانحراف الشباب إلى الآفات و الموبقات فيقول عن حالة بلاده"...نتصعد زفرات الإنسان الكامل...إذا فكر في حال أمته و ما هي عليه من جهل قاتل و غباوة مهلكة و تعاسة دائمة و ضلال مبينن و تختنق أنفاسه ويموت غيظا و كمدا... إذا قاس حالها بحال تلك الأمة النبيلة العاقلة الرشيدة التي كتبت تاريخها بمداد الفخر و القوة و الحنان و الرأفة الأمة التي علمت هذا العالم عندما كان يتخبط في دياجر الظلمات والغفلة الآن فخسرت الصفقتين فلا هي ركبت الدنيا و لا هي ركبت الدين الصحيح"[3]

و يستحضر الشيخ أبو يعلى الزواوي مشاهد البؤس و القنوط و الإحباط و هي بادية على أبناء الأمة ولا يرى من مخلص لذلك إلا بالتعويل على العلماء العاملين و الشباب الصالحين فيقول:"...قف قليلا مع العامة المسكينة سواء في المدن و البادية وانظر مجتمعاتنا العامة كيف تجدها تشابهت همومها وأحزانها وخفتها الشقاوة و المسكنة....فلا ترى القنوط كيف لبس وجهها و الكآبة كيف نسجت على رؤوس

1-المصدر السابق

2- مجهول، موقف العالم عندنا أمام طبقات الشعب، مجلة الشهاب رجب 1349 ديسمبر .1930

3-الشيخ أبو يعلى الزواوي ، حول علمائنا و شبابنا،جريدة البصائر عدد1938/10/21/136

الناس خيوطها؟ فلمن هذه العامة الجاهلة؟! و من يدير عقولها نحو دينها و مصالحها؟ لاشك أن هناك عنصرين عظيمين إذ لم تجعلهما المرفأ الأمين و المرجع الوحيد فلا شيء سواهما العلماء و الشباب.

أما الشباب فهو ركنها الشديد و حصنها الحصين و ساعدها المتين،و هل يعقل و يتصور أن تعتمد الأمة على ذلك الشباب الطائش المستهتر الماجن ،ذلك الشباب الذي سلبت منه تلك المدينة الكاذبة الخوانة فبقي يهرف بما لا يعرف...." [1] و هذا ما نجده عند أحد الكتاب بجريدة البصائر كذلك فقد دعا معشر الشباب إلى التسلح بالقيم الأصيلة و أن يقلع عن إتيان الأعمال التي تخل من مروءتهم و تنقص من فعاليتهم في المجتمع ورسالتهم في الحياة"...أن في الشباب حيوية فياضة و فتوة وثابة وقوة لا تجاري وإقداما لا يشق له غبار كما فيه ذكاء يلمع و حماس يلتهب.ولكن أضاع هذه المواهب العالية انكباب على الشهوات و استهتار في الموبقات والفجور وانغماس في أنواع المعاصي و المنكرات واستخفاف بواجب الدين.."[2]

و ينفي على الشباب المنحرف أي دور يمكن أن يقوم به في المجتمع بل إنه سيغدو خطرا على المجتمع وصار الأميين أفضل منهم ، طالبا منه أن يعرف رسالته الحقيقية فيكون مفيدا لأبناء وطنه".وهل مع هذه الصفات المختارة ينتفعون أو تنتفع أ متهم بتلك المواهب العالية؟ كلا بل ربما يعود الأمر بالعكس و بالا عليهم و على أمتهم و ماذا يجر ذكاء في خبث وإقدام في فسوق وفجور غير الويل والخراب؟ وأصلح من هذا أمية و بلادة و خمول أن لم تبن فلا تهدم أن لم تعمر فلا تخرب!

إلى الشباب:هل آن للشباب المسلم أن يدرك قيمته العظيمة وواجباته الكبيرة

هل آن للشباب المسلم أن يعرف ما فيه من بذور الحياة فيعمل على تغذيتها و تنميتها حتى تثمر الثمرات اليانعة؟[3] ولكن هل يمكن التعويل على الشباب في بناء نهضة أمتهم من دون الاعتناء بهم ومعالجة مشاكلهم؟

ب- معالجة مشاكل الشباب الجزائري:

لا يمكن للشباب أن يضطلعوا بدورهم في خدمة وطنهم إلا بمساعدته على تدارك العجز الذي يمنعه من أداء واجبه الوطني و حل المشاكل التي تعترض سبيله في الحياة فهو لا يمكن أن يحمل عبئه وحده، بل يتوجب تقديم العون له ودله أيضا على الطريق القويم وذلك من خلال تكوينه و تعليمه ورفع القيود البالية حتى لا تشل إرادته"

حرر الشباب من القيود و الأغلال، وأتح له علما و ثقافة ثم ارم به في تيار الحياة الصاخب يغالب الأمواج ، و ثق أنه يستعين على مواصلة رحلة الأيام بوحي من نفسه و بنور من عقله.."[4]

1-المصدر السابق

2-أنظر جريدة البصائر

3- المصدر السابق

4-عثمان شبوب.رسالة الشباب الجزائري جريدة البصائر عدد 336، 1955

ثم يضيف " أما مادام يرسف في هذه الأغلال فانه يفقد شخصيته من جهة و يفقد الشعور بالمسؤولية، والتبعة الاجتماعية من جهة ثانية، و أملي في الشباب أن يحاول جهده في تكون روح استقلالية لنفسه وان يثور يحطم كل من يعوقه عن تحقيق أشهى أمانيه و ألذ آماليه ، و يثير حربا شعواء على العقول التي نسخت عليها الجهالة خيوطها وحربا اشد واعنف على التشاؤم و دواعي اليأس وان يبني حياته على الثقة المتبادلة و الحب الخالص في الأوشاب مع نزع الأنانية و الأثرة وهدفه في هذا كله إحياء التراث الخالد عليه مستقبل العروبة.."[1]

- ولعل من أبرز المشاكل الاجتماعية التي كانت تعترض وتواجه الشباب الجزائري هي قضية الزواج وبناء بيت الزوجية حتى يمكن له أن ينخرط في الحياة الاجتماعية و لا يبقى على الهامش، و لا يصير عرضة للهزات و أشكال الانحرافات فمن دون تكوين أسرة يبقى الشباب بلا هدف و لا شعور بالمسؤولية في نفس الوقت.

- وقد آثارت قضية غلاء المهور العلماء المصلحين حيث نظروا إليها على أنها العائق الكبير أمام زواج الشباب المسلم،ومن ثمة راحوا يدعون إلى تيسير الأمور و تنبيه الناس و خاصة الأولياء منهم عن بث مخاطر التمادي في رفع المهور و التفنن في اختلاق الشروط التعجيزية التي لا يقدر على تحقيقها إلا فئة قليلة من أبناء المجتمع الأمر الذي يؤدي لا محالة إلى بروز ظاهرة العنوسة و العزوبة في أوساط الشباب و قد اعتبر الشيخ أبو اليقظان الغلو في رفع المهور بأنه صار بمثابة تجارة [2] محذرا من عواقبها الوخيمة[3]

و في هذا الصدد كتب أحد المصلحين ببلاد القبائل عن شيوع ظاهرة " العزوبة" و العزوف عن الارتباطات الزوجية التي يقترن بها مسؤوليات مادية و أدبية عند بعض الشباب فاعتبرها صورة من صور الانحراف في المجتمع ودعا أصحاب الأقلام من الكتاب،والشعراء ليتصدوا لها حتى لا يستفحل أمرها في أوساط الشباب الجزائري و في ذلك يقول على لسان شاب أعزب:

"...إنني لا أرى السعادة في الزواج و لا أراها في امرأة تزامل الرجل طول حياته، و كأنه يقول من أراد السعادة الحقة فليترك الزواج و ليتبع غيره مما هو محظور فصممت عن الإصغاء لكلامه و علمت أن لا همة لهذا و لا شرف، و لا إنسانية له و لا دين و ختاما أرجو من الكتاب الذين تمرنوا على الكتابة ومارسها و من الشعراء الذين يشعرون بالداء و الدواء أن يحفزوا أقلامهم و يصرخوا و لعل كثرة الصرخات تطن في أذن الشاب المسلم الأعزب، و ترجع المياه إلى مجاريها، وتعود الأخلاق إلى ما

1-المصدر السابق

2- المصدر السابق

3- الأستاذ أبو اليقظان، المغالاة في المهور وادي ميزاب عدد108(9-11-1928)

كانت عليه في زمن السلف.[1]

و لم يخف هو الآخر المصاعب التي كانت تعترض الزواج من تقاليد زائفة حيث كشف عن ذلك الرواج الكبير في ارتفاع المهور و المغالاة فيها من طرف أناس يحسبون أنفسهم أنهم أولياء وما هم في الحقيقة بأولياء بل تجار بضاعة في الأسواق لما هانت عليهم فلذات أكبادهم فلم يأخذوا بايديهم لكي يكملوا نصف دينهم بل راحوا يبتزون بعرض بناتهم كالبضاعة لا يهمهم إلا من يدفع لهم أكثر وهنا يظهر التطفل و الطمع بعينه"..بعد البحث الطويل و التجارب المؤدبة علمت أن لا زواج ما دام الناس لا يفهمون معنى الزواج إلا كما يفهم الحيوان معنى الأكل.

أتدري أيها القارئ الكريم كيف تباع النساء في أسواق الأسر؟ -والله- كالبقر يساومها هذا بماله القليل ويتزوجها ذاك بماله الكثير،وهي لا تعلم شيئا من ذلك حتى اذا آن وقت الزفاف أنبئت و أمرت بالاستعداد له[2]

حاولت التزوج مفندا آراء بعض الأخوان الذين أشاروا علي بعدم التزوج ببنات هذا العصر المستبد على جميع أمورهن، واخترت إنسانا ذا مكانة عند قومه و كتبت له رسالة و خطبته من ابنته فأجابني برسالة كتبها باللغة الدارجة و طلب فيها مني التقدم و لما كنت أستعد للذهاب إليه جاء تني رسالة أخرى منه حدد لي فيها الشروط التي ينبغي أن يستوفيها ليصاهره حيث ذكر صداق ثلاث آلاف فرنك،ومائة فرنك هدية وأخرى للحنة و أخرى للحمام و كبش و قنطار من السميد و أربعة أرطال من السمن و الشرط الأهم من بين هذه الشروط أ لا ترحل إلى عمالة قسنطينة و إن تسرع في الإجابة[3]

و بعد ذكر بأنه تقدم للثاني فكان أشأم من الأول و خطب الثالث فكان " ضغثا ايالة" و هكذا واستمرت الحال نحو ستين و أنا بين هذا و ذاك إلى أن بلغ السيل الزبى و لم يبق لي عمل سوى هذه الكلمة اهتف بها كيف السبيل إلى الزواج [4]

و لم يخف الشيخ الإبراهيمي حيرته و قلقه على ما آل إليه الزواج الإسلامي عند الجزائريين عندما طغت عليه التقاليد البالية فصارت تتحكم فيه إلى حد الخروج عن القواعد الشرعية حيث اعتبر ذلك هو السبب الجوهري في ظهور هذه المشكلة الاجتماعية في الأوساط الشعبية و في ذلك يقول "... ولو أننا وقفنا عند حدود الله، و يسرنا ما عسرته العوائد من أمور الزواج لما وقعنا في هذه المشكلة ولكننا عسرنا اليسر و حكمنا العوائد و العجائز القواعد في مسألة خطيرة كهذه فأصبح الزواج الذي جعله الله سكنا و ألفة و رحمة ـ سبيلا للقلق و البلاء و الشقاء ، و أصبح اللقاء الذي جعله الله عمارة بيت

1- الشيخ محمد الطاهر الورتلاني، العزوبة جريدة البصائر1938./8/25

2-الشيخ محمد الطاهر الورتلاني" بني شبانة" كيف السبيل إلى الزواج؟ ،جريدة البصائر عدد 1939./5/19/166

3-المصدر السابق

4- المصدر السابق

وبناء أسرة خرابا لبيتين بما فرضته العوائد من مغالاة في المهور و تفنن في النفقات و المغارم...." [1]

بل أن الشيخ الإبراهيمي اعتبر مثل هذا الزواج خارج عن قواعد الشرع الإسلامي حيث حلت البدع محل الأحكام الدينية و السنن النيوية الشريفة بل صار خارجا حتى عن قواعد الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها.

الأمر الذي أدى إلى فشله و انتفاء الحكمة منه و هي الألفة و بناء الأسرة المتماسكة مادامت المادة هي التي تتحكم فيه"... هذه العوائد بدلت حكم الله و ونسخت سنة رسوله ، فأصبح الزوج لا ينظر من الزوجة إلى دينها وحسبها و جمالها، و إنما ينظر إلى شيء واحد...إلى مالها، فلتكن من خضراء الدمن ، و لتكن دميمة الخلقة، كل ذلك لا يضيرها عند الزوج الطامع إذا كان لها مال، وولي الزوجة لا ينظر من خاطب ابنته إلى اصله ودينه و أخلاقه و إنما ينظر إلى شيء واحد..إلى ماله و ما يقدمه من المهر المغالي والحلي النفيس، وبعد هذا لا تعجب إذا رأينا كل زواج يبتدئ بهذا الاعتبار ، ينتهي بالطلاق و العداوة والخصام بعد أشهر أو أيام "[2]

و من ثمة فقد نصح بضرورة العودة إلى الشرع الإسلامي لتنظيم الزواج لأنه صمام الأمان من تبعات كل المشاكل و الآفات و الانحرافات و التفكك الأسري مستشهدا بأمثلة من التاريخ الإسلامي "..إن الصدقات التي يتغالى فيها هؤلاء الحمقى يكتفي فيها الإسلام بأقل متمول،و قد زوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مسلمة مؤمنة على أن يعلمها زوجها سوار من القرآن واكتفى بخاتم من الحديد.ولو وجدت أن مقاصد الإسلام في هذه السنة أعلى من كل ما يعمله الناس فهو يرمي بما شرع إلى بناء البيوت على المحبة و التعاون على تربية النسل و تعليمه و تقوية الأمة به.."[3]

و يكشف الأستاذ محمد شهرة عن الآثار السلبية الناتجة عن اهمال الشباب و ضياعهم من تصدع في بنية المجتمع مهيبا بأعيان الأمة و صلحائها لكي يأخذوا بيده و يجنبوه من الوقوع في المهالك و ذلك خدمة للوطن و إرساء لدعائم الأمة مبينا أسباب هذا الانحراف عن الجادة فيقول :"... أما الشباب و هو مصدر القوة و الحيوية المتدفقة و التوثب الحي- هذا الشباب المفكك الجاهل" جدير بكل عناية و توجيه و حقيق بكل إصلاح و علاج كيف تعالجه و ما يشكوه؟ كثيرة هي أمراض الشباب لا يبلغها الحصر أما أسبابها فهي إهمال في التربية و فساد في التوجيه..زاده (تجاهل المسؤولين و سكوتهم عنه) علة على علة.. حتى أصبح - الشباب- للأمة مصدر الشر و البلاء و الفساد عوض أن يكون مصدر الخير والفلاح فمن للأمة يقودها نحو غايتها المثلى[4]

1-الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، من مشاكلنا الاجتماعية،الشباب و الزواج،جريدة البصائر عدد12/6/سبتمبر 1947

2- المصدر السابق

3-المصدر السابق

4-يعد من الكتاب المصلحين الذين ساهموا بالقلم في ترقية المجتمع و معالجة مشاكله الاجتماعية

و يبلغ بها إلى ما تصبو إليه إذا لم يكن هو الشباب؟ و ليس كل الشباب في إمكانه أن يحقق للأمة آمالها ويبلغ بها نحو غايتها المثلى...."[1]

ويأتي الكاتب محمد شهرة بشواهد من الواقع الاجتماعي المعيش تعكس حقيقة ما يقول من صور نابية للانحراف و التهور و الانغماس في الآفات لافتا بذلك الانتباه إلى هذه الحالة المزرية إلى من يعتبرون عماد الأمة فيقول "... إني معك و بينك، أراك بعيني فأرى أشياء يخجل من يتكلم عنها فكيف بمن يشاهدها؟ أرى شبابا يعاقر الخمر و القمار..و يتخذ المقاهي نواديا له يلعب فيها الورق والأحجار..تراهم و قد داروا حلقات و تعالت أصواتهم و بحت حناجرهم و ازبدت أفواههم..ينتهي هذا بمعركة حامية الوطيس من شتم و سب و لكم بسب يتعدى إلى الدين و القومية...." [2]
و يقترح في الأخير الكاتب الحل الذي يخرج هذا الشباب من سلوكاته المنحرفة حتى يمكن له أن يتمتع بالحياة و يذوق طعمها و يؤدي رسالته في المجتمع على أحسن وجه "...أيها الشباب إنك تريد الحياة،و لا شك وتريد أن تكون أهلا لآمال الأمة ، و أن تكون قادرا على أداء الرسالة.و تعلم و لا شك أنك في حاجة إلى علاج ..إلى تلقيح ضد هذه الأمراض، إني أقدم لك علاجا واحدا: هو الثقة في نفسك ، لماذا أنت بطال و متكاسل و فاسد؟ لأنك لم تجد -كما تزعم- مكانا للعمل و الحياة كلها ميدان للعمل إني أطلب منك أن تثق بنفسك و متى و ثقت بنفسك لا تسل عن شيء .الطريق أمامك فسر و لا تهب أنك ستبلغ الأمانة و تؤدي الرسالة...أما رسالة الشباب فهي رسالة الأمة: الحياة الحرة الكريمة...تحت ظلال القومية و بين أكتاف العزة و الشرف!.. [3]

و يعتبر الكاتب أن الاستعمار مسؤولا عن تدني أوضاع الشباب الجزائري و عن سابق إصرار يريد أن يبقي هذا الشباب جاهلا غير واع و مدرك بمسؤوليته اتجاه نفسه ووطنه، حتى يمكن استغلاله وتكريس وجوده أكثر في الجزائر".. هذا هو شبابنا يقاسي من ويلات الجهل و الظلم و الفقر و يقضي حياته حائر اللب، خائر القوى ،مرمي في مفترق الطرق ...فمن المسؤول عن هذه الجريمة البشعة؟ أهي الأمة؟.لا لا وجود للأمة التي تستطيع أن تنقذ الشباب عن هذه الهاوية ..و إذا كانت لنا أمة في استطاعتها أن تقوم بهذا العمل الشاق؟و هي الأخرى تقاسي ما يقاسيه شبابها..إذن فمن منا المسؤول عن هذا ؟..لا تحاول المداراة فالسبب أو المسؤول الوحيد هو أن من جلس ليحكم هذه الأمة و يسمو بها نحو مجتمع راق كما يدعي! و أين لعين الاستعمار أن ترى ما نتردى فيه؟[4]

1- محمد شهرة هل الشباب الجزائري كسول ؟ جريدة البصائر عدد 322 (1955)

2- نفس المصدر

3- نفس المصدر

4- نفس المصدر

و يحسب الأستاذ شهرة أن الاعتماد على الذات بتجميع قوة الأمة المشتتة هو الكفيل وحده بانتشال الشباب من وضعه المتدني و من رام فلا خلاف هذا فقد حكم ببقاء الوضع على ما هو عليه".إن العلاج الوحيد هو أن لا نتكل على الغير و أن تجعل من أنفسنا أمة تتصدى للعمل، و لا يتم إلا إذا اتحدت قلوبنا المتفرقة، وانضم بعضنا إلى بعض و أصبحت أمة ، آنذاك تجد أمتنا الجديدة نفسها قادرة على إنقاذ الشباب من الهلاك..أما غير هذا-أعني أن نجعل منا أمة جديدة -فإن التغيير لا يطرأ على الشباب وسيبقى الشباب كما كان جاهلا فقيرا كسولا يتسكع في الطرقات و يفني حياته بين جدران المقاهي والبارات و الطرق..و السجون![1]

بل أن هناك من الشباب الذي لم تتهيأ له التربية الإسلامية من فقد كل إحساس بماهية وجوده في هذه الحياة فضلا عن التغيير في النهوض بالبلاد و لذلك تراه لا مبال بأي مبدأ في الحياة يسعى لتحقيقه ويضحي في سبيله فتحت عنوان "واجب الشباب المحمدي"كتب الأستاذ الشيخ الأكحل شرفاء [2] في هذا الصدد مبينا كيف تسعى المنظمات الشبانية العالمية لتقمص قادتها وتترجم أقوالهم إلى أعمال في الميدان بينما الشباب المسلم سادر في غيه،سابح في حلمه، لا يحرك ساكنا"..كما لا يعرب عن ما تقوم به اليوم منظمات الشباب الشيوعية والاشتراكية و غيرها من أدوار كفاحية و دعائية مدفوعة بنفس الفكرة و نفس المعتقد في مبادئها و قادتها وسادتها، و لكل فرد من أعضاء من هذه المؤسسات حماس جارف،يدفعه إلى الاستهانة بالأخطار و السخرية حتى من الموت نفسه في سبيل تحقيق الأغراض التي يعمل من أجلها..كل هذا يجري على مرأى ومسمع من شبابنا دون أن يحرك في نفسه إيمانا و لا يثير نخوة و لا يهز ضميرا و لا يسمع زئيرا شبابنا الذي ظلم نفسه ،وظلم مجتمعه،وظلم أقدس مبدأ و أعظم ناموس عرفه كون الله.فسمى نفسه(الشباب المسلم؟!) دون أن يحاول بحث هذا المعنى وما يترتب على هذه النسبة من مسؤوليات و أخطر تبعة ، ليجد نفسه بعد البحث أكان هناك أو ليس هناك....؟[3]

وبعد ذلك عرف الأستاذ شرفاء الشباب المسلم بأنه" كما أفهمه هو الذي لا يعرف لنفسه- بعد توحيد الله تعالى- زعيما غير محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- و يحبه ويؤثر حبه هذا على حب نفسه وماله وذوية...ثم يؤمن بأن شريعة محمد (ص) هي الطاقة التي تسيره و تعاليم محمد(ص) هي المقود الذي يحركه،وتاريخ محمد(ص) هو الضوء الذي يهتدي به[4]

و حتى يجعل الشباب الجزائر ي يحس بالمسؤولية الملقاة على عاتقه عاد إلى التاريخ الإسلامي

1- المصدر السابق

2-من رجال الحركة الإصلاحية في الجزائر عرف بمقالاته التوجيهية بجريدة البصائر ،ولد في قرية اغيل علي بني ورتيلان سنة 1925 م ،تعلم بمسقط رأسه ثم التحق بدروس الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة سنة 1938 م تعلم بعد وفاة الشيخ ابن باديس على الشيخ مبارك الميلي ،ثم تابع دراسته بجامع الزيتونة بتونس بعدها عاد إلى الوطن حيث عمل مدرسا ومديرا في مدارس جمعية العلماء،وبعد الاستقلال عمل أستاذ ثانوية وفي 1982 م انتدب إلى وزارة الشؤون الدينية حتى أحيل على التقاعد سنة 1986 م، للمزيد عنه فضلاء ،من أعلام الاصلاح الجزء 3 ص 27 وما بعدها..

3- الشيخ محمد الأكحل شرفاء،واجب الشباب المحمدي ،جريدة البصائر عدد.316

4- الشيخ الأكحل شرفاء،واجب الشباب المحمدي جريدة البصائر عدد317 (1374هـ/1955

ليستحضر جملة من الشواهد التي تعكس بطولات الشباب المسلم عبر تاريخ الإسلام في سبيل دينه وحضارته حيث روي نقلا عن الإمام عبد الحميد بن باديس في شهابه قصة الغلمان اللذان قتلا رأس الكفر في مكة المكرمة أبا جهل وجاء بما عقب به الشيخ ابن باديس على هذه القصة الملحمية الجهادية ".نعم الشباب أولئك الشباب ينقضون كالصواعق، ونعم الشيوخ أولئك الشيوخ يثبتون كالجبال، على شباب العلماء المسلمين بالجزائر: معلمي النشء وواعظي الجموع واجب تثقيف و أكيد في تقديم أغذية مقوية من هذه الدراسات المذكرة لإخوانهم الشباب(فان الذكرى تنفع لمؤمنين) و ان شبابنا يفتقر إلى مثل هذه المعلومات التاريخية ليبني حياته الإسلامية من جديد...[1]

ثم يضيف مؤكدا على دور الشباب في النهضة فيقول:

" و هو بطبعه لا يتأثر كثيرا بوعظ الشيوخ إلا من رحم ربك- لأنه يرى أن هؤلاء الشيوخ و (لا يعرف القياس مع الفارق) يمثلون جيلا غابرا ويفكرون بنفس عقلية ذلك الجيل الغابر، و لا يقدرون على تفهم التطورات العميقة التي تفرضها مقتضيات الحياة العصرية على أفكار الناس و أعمالهم، أما إذا تجند لهذه الدعوة المحمدية الكريمة شبان ذو خبرة شاملة ،و إيمان عتيد،ونكران للذات يجعلهم لا يستنكفون عن تكمل نقصهم ، و تقوية ضعفهم و خدمة أنفسهم دوما و استمرارا بإضافة كل ما يلزم من محصول علمي إليها فانهم إذا فعلوا هذا قادرون -دون ريب- على إبراز نهضة إسلامية حقيقية شاملة في الشباب: يصبح بعد حين من الدهر قوة اندفاع إسلامية هائلة تتحدى الظروف وتقنع الصروف وترغم الأنوف وتقهر الزحوف ولو عدت بالملايين أو مئات الألوف و تالله لو قام حينا هذا التكتل المتين لما ضاعت فلسطين ولكن؟ هل يوجد عندنا الآن هذا الشباب المسلم الداعي؟[2]

وانتقد الأستاذ بعزيز بن عمر السياسة الاستعمارية التي جعلت جمهورا عريضا من أبناء البلاد محرومين من كل عناية اجتماعية الأمر الذي جعلهم يصيرون مساح أحذية في الشوارع".......إلا يعلم المتحدثون بوجود مراكز للتعليم الصناعي و ملاجئ لإيواء الطفولة اليائسة في الجزائر أن بقاء مهنة مسح الأحذية على ما هي عليه مكذب لوجود هذا التعليم المهني و ناف لكل إصلاح يتبجح به أبواق الاستعمار في هذه البلاد..."[3] معتبرا كل ما تم من إنجازات في هذا المجال هو لخدمة أبناء المعمرين"...إن ما تم من هذا في الجزائر منصرف كله إلى المجتمع الأوربي و إلى بيئة المحظوظين أما المجتمع الأهلي فلم يصله منه إلا قطرات لا تروي الغلة، فعمت أرجاء البطالة و ما إليها من الأمراض و الآفات الاجتماعية و منها ما يحمل في قاموس الاستعمار اسم " يا ولد" أو يا أولاد إطلاقا له على طفولة جنى عليها الوضع الاجتماعي عندنا جناية...فهل يكون لنا الحق في أن نرجو من الميزانية الجزائرية التي

1- المصدر السابق

2- المصدر السابق

3- الشيخ باعزيز،يا ولدي،جريدة البصائر عدد 308 (4-3-1955)

اتسعت لكل شيء ،مما يزيد في ترف المترفين و ثروة الرأسماليين أن تتسع إلى أن تشمل الطفولة المشردة فتنقذها ن هذه الحرفة المهينة : مسح الأحذية و التشرد في الشوارع لغير غاية؟.و بذلك يكون القائمون على توزيعها قد حاربوا البطالة في الكبار و الصغار على السواء و شقوا طريقا نحو الرقي المنشود ، و إقامة عدالة اجتماعية لا تعطي قوما بحرمان آخرين"[1]

و إذا كان ثمة إجماع على وجوب العناية بالشباب ليكونوا ذخيرة الأمة للمستقبل و من ثمة يسترخص كل غال و نفيس في سبيل إعدادها و تكوينها ،فان الشباب كذلك تلزمه واجبات يقوم بها ليؤدي ما عليه لصالح أمته فيعمد كما ذهب الأستاذ عبد المجيد الشافعي[2] إلى الدفاع عن قيم شعبه ووطنه "...على الشباب أن يتمسكوا بواجباتهم من دون تقاعس و لا تأخر لأنهم لو تأخروا و لم يقوموا بواجباتهم حق القيام لترتب على ذلك اختلال الأنظمة و فساد القوانين و لأصبحت أمتهم تئن أنين الثكلى و تندب حظها من تقاعس أبنائها عن العمل و تتوقف الحركات عن السير و الزيادة في التقدم و لظلت الأعناق متطاولة نحوها والأبصار طامعة إليها والطمع باعثا لها على التحفز و الوثوب في الإستلاء عليها و الاستلذاذ بما لديها من أموال و ثمار لعدم من يدافع عن كيانها و هكذا مغبة المتقاعسين عن القيام بواجباتهم"[3]

وفي هذا السياق ذخب الساذلي المكي في نصيحته للشباب إلى وجوب العمل على النهوض بالأمة والوطنةعوض التهالك عاى الأشياء المي لا طائل من ورائها "هلم هلم لنؤسس من بناء أمتنا الذي أصبح أطلالا، كل مجد طريف ونعلي هممنا بما هومى وأعلى من تلك القشور والمخدرات التي لا تزيدنا إلا سحقا على الطريق السوي وابتعادا عن جادة الحق ونبتعد عن تلكم السفاسف والدنايا فإنك أيها الشباب بمنزلة القلب من الجسد إذا صلحت صلحت الأمة كلها وإذا فسدت فسدت وولت الأدبار وسقطت في مهاوي لا قرار لها... إني أودعك تاركا مسؤولية الأمة والوطن على كاهلك ونبعتها عليك قائلا لك اخدم لترجع لهما عزتهما وذلك باتباع القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم[4]

إن نظرة رجال النهضة و الإصلاح إلى عنصر الشباب بهذه العناية و الاهتمام الفائق نابع من قناعة قائمة على أساس أن الأمة الجزائرية إن لم تكن متوفرة على طاقات شبانية حية مؤمنة بقيمتها التاريخية ومرجعيتها الحضارية و متسلحة بقسط وافر من العلم و المعرفة يوفر لها قدرا من الوعي الوطني بحيث يجعلها مدركة من جهة للواقع الجزائري المزري و من ثمة تندفع متوثبة من أجل خوض معركة التغيير فيه من جميع الجوانب، و انطلاقا من هذا فقد رأينا كيف كان التركيز قائما أولا على إعداد هذا الشباب و تكوينه، و تربيته تربية إسلامية صرفة،ثانيا انصب الخطاب على المشاكل التي تعترض طريق هذا الشباب وتحول دون قدرته على أداء رسالته،ثالثا، تحسيسه بواجبه الديني و الوطني

1- المصدر السابق

2- من رجال الحركة الإصلاحية ساهم بدروسه و مقالاته ي نهضة الجزائر الحديثة

3- الشيخ عبد المجيد الشافعي،واجبات الشباب جريدة البصائر عدد 39(1948/6/14)

4- الشاذلي المكي، الى الشباب، البصائر، عدد 36 (1936/9/25)

و القومي حتى يعرف مهامه المنوطة به في هذا الجانب. و لكن هل يمكن أن نجد شبابا تتوفر فيهم المواصفات التي تستدعيها النهضة أن لم نبدأ و نسعى إلى النهوض بمن تربى هذا الشباب و يعتني به ويشكل مدرسته الأولى في الحياة ألا وهي المرأة كأم و أخت وزوجة و مواطنة صالحة؟

5- قضية المرأة الجزائرية في الخطاب النهضوي: قضية أخذت حيزا كبيرا في اهتمامات رجال النهضة الجزائرية الحديثة حيث أولوها عناية كبيرة فائقة بعد أن أدركوا أن الكثير من معوقات النهضة ناتجة أساسا من ذلك التخلف التي تعيش فيه الأسرة الجزائرية التي تعد المنطلق الأساسي لترقية المجتـــــمع،أو تخلفه.

والواقع أن الشيخ الطهطاوي يعد أول من لمس الحاجة إلي "التربية" متأثرا في ذلك بما شاهده من المرأة الأوربية و الفرنسية خاصة [1] حيث أكد في كتابه " المرشد الأمين لتعليم البنات و البنين" الفوائد الجمة التي يقطفها المجتمع من تعليم المرأة فيقول" ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات و الصبيان معا، لحسن معاشرة الأزواج فتتعلم البنات القراءة و الكتابة و الحساب ونحو ذلك ، فان هذا مما يزيدهن أدب و عقل و يصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام و الرأي، فيعظمن في قلوبهم،و يعظم مقامهن ، لزوال ما فيهن من سخافة الفعل و الطيش مما ينتج من معاشرة المرأة الجاهلة لمرأة مثلها، و ليمكن للمرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال و الأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقاتها، فكل ما تطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن، و هذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة، فإن فراغ أيديهن من العمل يشغلن ألسنتهن بالأباطيل و قلوبهن بالأهواء و افتعال الأقاويل فالعمل يصون المرأة عمالا يليق وبقربها إلى الفضيلة [2].واعتبر احترامها دليلا على التقدم و المدنية ذلك لأنه " كلما كثر احترام النساء عند قوم كثر أدبهم و ظرافتهم فعدم توفية النساء حقوقهن فيما ينبغي لهن الحرية فيه دليل على الطبيعة المتبربرة.."[3]

و يذهب الأستاذ علي مراد إلى أن ثمة تأثيرات خارجية وافدة على الجزائر هي التي جلبت مسألة قضية المرأة و تحررها من ثلاث قنوات .

1- تأثير البعث التركي اللائكي الذي يسوي بين المرأة و الرجل و قد جاء مع تركيا الحديثة.

2-تأثير حركة الإشعاع المصري" الحركة النسوية" التي تزعمها قاسم أمين صاحب كتاب تحرير المرأة و المرأة الحديثة و التي لقت رواجا واسعا في الأوساط الأدبية، و مالك صفي ناصف (4) التي أسست

1- فهمي جدعان،أسس التقدم عند مفكري الإسلام..ص.459

2- الشيخ رفاعة الطهطاوي، الأعمال الكاملة ص393

3- د/ محمد جميل منيمة،فجر النهضة العربية مرحلة الريادة الأولى دراسة نقدية في فكر الطهطاوي الفكر العربي عدد 39 –40-1985

4- فق اهتمت بواقع المرأة في مجتمعها سائلة لكي تجيب (مالغرض من تربية البنت على العموم والمصرية على الخصوص؟ الغرض تقريبها من السعادة بقدر الامكان واعدادها لان تكون عضوا حيا نافعا في جسم الامة وتهيئتها للقيام

باعباء الزوجية والامومة. انظر شفيق العمروسي، باحثة البادية أول صوت نسائي يشارك في معركة تحرير المرأة، مجلة العربي، عد 287، اكتوبر 1982، ص 147 وما بعدها

الاتحاد النسوي المصري 1923

3 - **التيار المفرنس بالمغرب** المتأثر بالدعاية الوافدة من الشرق من طرف نخبة نسوية واسعة[1] ويذهب الأستاذ الشيخ توفيق المدني إلى المرأة الجزائرية رغم جهلها العظيم تمتاز بخلال كريمة و سجايا طيبة فهي محافظة أتم المحافظة على التقاليد القديمة و العادات التي ورثتها عن الأسلاف و هي مسلمة متينة الإيمان على قاعدة إيمان العجائز ثم زوجة أمينة صورة وفية تشاطر زوجها آلام الحـــياة دون جزع [2]

و بظهور الصحافة الجزائرية العربية مع بدايات القرن العشرينات تعالت بعض الأصوات كذلك و لو بشكل محتشم بالدعوة إلى ضرورة العناية بشؤون المرأة الجزائرية فقد كتب بن عزوز معمر عن حالة المرأة الجزائرية و ندد في مقال له لسياسة التجهيل ضد المرأة تحت غطاء العفاف و في ذلك قال:"..قد تقرر في عقول الناس إن لن أقل جلهم أن المرأة إذا تعلمت أدى تعليمها إلى مضار شتى فإنها حتى قدرت على تركيب جملة كتبت رسالة لزيد أو بيت شعر لعمرو، لأن النساء على مذهبهم، من طبعهن و طبيعتهن الخداعة (كذا)..و الخيانة،و عليه فاللبيب عندهم من يترك زوجته سابحة في بحر الجهالة و هذا حكم مناقض لما أمر الله و رسوله حيث أنه جاء في الحديث النبوي الشريف " العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة" [3]

كما سجل في الربع الأول من القرن العشرين أيضا أصوات منادية بضرورة معاملة المرأة معاملة لا إجحاف و لا ظلم فيها في حدود ما تمليه قواعد الشريعة الإسلامية فقد ثار الأستاذ عمر بن قدور على ذلك الوضع الذي استعبد المرأة داعيا إلى تعلمها و النهوض بها ".لما كانت المرأة المسلمة لسوء الحظ جاهلة أخرجت شقيا كسولا و أنبتت نباتا خبيثا ، تهيئ المرأة المسلمة أفكار أبنائها إلى التواكل و الخمول و التكاسل و الجمود.."[4] و راح كاتب مصلح آخر بعدد مزايا التعليم و أثاره الطيبة على بناء الأسرة المتماسكة فقال:"...ألم تر أن المرأة الكاتبة أطيب للمعاشرة للرجل الكاتب من امرأة جاهلة ، بربك هل تتصور سعادة ليست كمثلها سعادة يفوز بها الكاتب صاحب الكاتبة يتبادلان الأفكار ويقلبان الدفاتر و الأسفار، فيستفيدان الغابر من الأخبار و يقتفيان ما عفى من الآثار، و تصور في ذهنك ما يستفيده منهما الولدان.[53]

و مع بداية الربع الثاني من القرن العشرين نضجت الدعوة إلى معالجة المرأة الجزائرية

1-Ali Merad.op cit p 272

2- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر ص 362

3-ابن عزوز معمر،حالة المرأة ،جريدة كوكب افريقيا، ع: 187،(2-12-1910)

4-عمر بن قدور الجزائري، جهل المرأة المسلمة، جريدة الفاروق عدد 38(1913/11/23)
5-أحمد بن الغزالي " جواب عصري طبيعي، جريدة كوكب إفريقيا عدد 219(14-7-1911)

معالجة شاملة تجعل منها عنصرا فاعلا و متفاعلا في مجتمعه يساهم في تنمية المجتمع مثلما يساهم في ذلك أخوها الرجل إدراكا من رجال النهضة لأهمية الدور الخطير الذي تضطلع به المرأة و أن أي مشروع إصلاحي نهضوي لا يأخذ بعين الاعتبار إصلاح و ترقية المرأة و دمجها في المجتمع مشروع محكوم عليه بالفشل ما دام الكثير من مسائل النهضة يتوقف نجاحها و تحقيقها على مدى نجاحنا أو إخفاقنا في ترقية شؤون المرأة .

و من الواضح أن قضية المرأة " في خطاب النهضويين قد اتسم بالتمسك بالقواعد الشرعية الإسلامية من دون مزايدة في ذلك أو مناقصة غير عابئين و لا مبالين و لا منجرين من وراء تيارات تريد معالجة قضية المرأة من منظور الفكر الغربي.

و هذا ما يعكس حقيقة أصالة الخطاب النهضوي الجزائري و قدرته على معالجة القضايا الاجتماعية التي كانت و لا زالت تمثل إشكالية تستدعي استمرارية المتابعة في معالجتها و البحث عن الحلول المواتية لها بما يتجاوب و تحديات العصر.

-ولعل من أبرز النقاط التي استرعت أكثر من غيرها اهتمامات النهضويين فعملوا على معالجتها وإيجاد الحلول الناجعة لها:

أ-ترقية وضعية المرأة الجزائرية و الرفع من مكانتها.

ب- مقاومة السفور و التبرج

جـ - العمل على تربيتها و تعليمها.

أ- ترقية المرأة الجزائرية: كانت المرأة إبان الحقبة الاستعمارية ترسف في قيود الجهل و التقاليد البالية التي انتعشت وازدهرت" فأبناء جلدتها لم يفكروا في تكوين مدارس أهلية لها بعد أن اضمحلت ديار "المعلمة" و المدارس الحكومية للبنات لا تأوي إلا نحو ثلاثة آلاف بنت بقطع النظر عن نوع التعليم الذي يتلقينه فيها...و لقد تبلغ الفاقة بنساء البادية حدا يجعلهن ينزحن إلى المدن فيعملن بصفة خادمات في المنازل الأوربية و الإسرائيلية و تقودهن الفاقة و الحاجة إلى المواخير و يعبث بهن عبثا تتفتت له القلوب و تنفطر منه الأكباد فأغلبية النساء في الجزائر تقاسي من المهد إلى اللحد آلام الفاقة و الاحتياج والعمل الشاق و لا تكاد تعرف للحياة معنى و لا للذة العيش سبيلا [1]

انطلاقا من هذا الواقع المزري و المتدني الذي آل إليه حال المرأة الجزائرية راح رجال النهضة والعلماء المصلحون يعملون على التخفيف من هذه المعاناة و يدعون في خطاباتهم إلى وجوب إصلاح شؤونها من خلال الأخذ بيدها و تقدير شخصيتها حق قدرها فهي الأم و البنت و الأخت و شريكة الحياة

فقد أبدى الإمام الشيخ ابن باديس اهتمامه بمكانة المرأة باعتبارها شقيقة الرجل و تشكل نصف المجتمع وهي الركن الركين الذي يقوم عليه بناء الأسرة فإهمال تربيتها و تركها جاهلة هو هدم لهذا الركـــن

1- الأستاذ توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 368

وتفكيك لبنة الأسرة و إضعاف لقدرتها على الاضطلاع بمسئوليتها التربوية و الاجتماعيةالمرأة خلقت لحفظ النسل وتربية الانسان فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها التي تكون بها المرأة امرأة لا نصف رجل ولا نصف امرأة والمرأة التي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها[1]

و اعتبر الأستاذ علي مرحوم مكانة المرأة في المجتمع جد حساسة و تشكل فيه موقعا هاما".إن المرأة تمثل الدور الرئيسي على مسرح حياة الأمة و من ثم فهي تؤلف بين أجزاء مجموعتها و تربط بين عناصر مجتمعها و تؤثر في نظام حياتها تأثيرا قويا....و أن المرأة تشغل مركزا خطيرا في المجتمع و تسيطر على تكوين مستقبله و توجيهه إما إلى النور و إما إلى الظلام[2]

أما الأستاذ أحمد ذياب [3] فيرى أن صلاح الأمة متوقف على صلاح المرأة فيه فبدونها لا يمكن أن نتصور وجود مجتمع ".المرأة من الأمة كالروح من الجسد إذا صلحت صلحت الأمة كلها و إذا فسدت فسدت الأمة كلها[4] و ينظر الأستاذ حمزة بوكوشة إلى المرأة باعتبارها من وراء كل رقي وازدهار في الحياة فهي تشكل نصف المجتمع و لها فضل على النصف الآخر أيضا ".هذه البنت التي نكلأها اليوم ستغدو الزوجة الوفية و الأم الحضية و الدار العامرة، و أنها ليست نصف الأمة فقط بل النصف الآخر من صنع يدها و صوغ قالبها و إنتاج معملها...[5]

كما أن الوضع الذي حول المرأة إلى جحيم لا يطاق جعلها محل عطف من قبل الأستاذ رضا حوحو الذي عايش فترة من زمن شبابه الأول مأساة التخلف التي كانت عليها الفتاة الحجازية فأهدى روايته "غادة أم القرى" [6] للمرأة الجزائرية قائلا:" إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب، من نعمة العلم من نعمة الحرية ....إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود ،إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة ،تعزية و سلوى[7] بل أن نهضات الشعوب عبر العصور هي إسهام الرجال و النساء معا و هذا ما حدا بالأستاذ مالك بن نبي إلى تأكيد دورها في مراحل البناء الحضاري و من ثم فأي تعطيل لدورها في العمل و الوظيفة أو في التربية و الرعاية هو تعطيل لطاقة هامة تساعد بشكل أساسي على

1- أنظر آثار الامام عبد الحميد بن باديس الجزء الخامس منشورات الشؤون الدينية ،دار البعث قسنطينة 1991 ص 441
2- الأستاذ علي مرحوم، بناتنا في المكاتب الفرنسية جريدة البصائر ماي 1949 عدد.80
3-أحد رجال الحركة الإصلاحية الجزائرية ساهم بلسانه و قلمه في نهضة الجزائر ولد ببلدة قنطرة قرب بسكرة سنة 1915 يقيم بمدينة البليدة زاول دراسته بالزيتونة ابتداءا من 1935 و حصل على التحصيل سنة 1941 صار أستاذا بمهد ابن باديس (1953-1956) مدير مدرسة حتى سنة 1962اشتغل بعد الاستقلال منصب أستاذ العربية بثانوية الفتح بالبليدة أنظر د/ مرتاض فنون النثر ص 486-.487
4-أحمد بن ذياب الأسرة في الشريعة ، جريدة البصائر عدد 75 (1949/4/11)

5-الشيخ حمزة بوكوشة، قيمة المرأة في المجتمع ،جريدة البصائر عدد 8 (21فيفري 1936).
6- رواية "غادة أم القرى" الأديب رضا حوحو لما كان مقيما بالحجاز طبعت بتونس سنة 1947 و هي مرآة عاكسة لوضع المرأة الحجازية في مطلع القرن العشرين، و قد قامت جريدة البصائر بعملية إشهار لشراء رواية "غادة أم القرى" أنظر مرتاض فنون النثر ،ص 191
7- مرتاض، فنون من النثر الجزائري..ص193.

البناء التقدمي في مسيرة التحضير"....فالمرأة و الرجل يكونان الفرد في المجتمع فهي شق الفرد، كما أن الرجل شقه الآخر، و لا غرو فالرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: النساء شقائق الرجال..
فالمرأة و الرجل قطبا الإنسانية، و لا معنى لأحدهما بغير الآخر فلئن كان الرجل قد أتى في مجال الفن والعلم بالمعجزات فالمرأة قد كونت نوابغ.."[1]

و للمرأة الدور الخطير في إعداد الأشخاص و هي مؤشر النجاح أو الفشل و لذلك يلاحظ أن الاستهتار بدورها التربوي في المجتمعات الأوربية قد أدى إلى تفكك الأسرة و تداعي أركانها مما انعكس انحدارا في مستوى العلاقات الاجتماعية، و من ثم دوسا لكرامة الإنسان ، و تدنيسا لإنسانيته[2] معتبرا الوضع الذي آلت إليه المرأة الأوربية وضعا مزريا لا يمكن أن يكون قدوة لغيرها مادام هذا الوضع قد أخرجها من صميم أنوثتها فصارت في نفسيتها و طبيعتها البشرية مشوهة لا هي بقيت امرأة و لا هي صارت رجلا ذلك " لأن الذي حررها قذف بها إلى أتون المصنع و إلى المكتب وقال لها : عليك أن تأكلي من عرق جبينك، في بيئة مليئة بالأخطار على أخلاقها و تركها في حرية مشؤومة ليس لهاو لا للمجتمع فيها نفع،ففقدت وهي مخزون العواطف الإنسانية الشعور بالعاطفة دون أن تبقى امرأة ،وهكذا حرم المجتمع من هذا العنصر في بناء الأسرة و هو العنصر الأساسي فيها و جنت أوربا ثمار هذه الأسرة المنحلة مشكلات من نوع جديد [3]

واعتبر الاستاذ مالك أن الاسلام هو الذي أنصف المرأة وجعلها على قد المساواة مع أخوها الرجل تتقاسم معه أعباء الحياة وتشعر بقيمة الكرامة الانسانية "..حين جاء الاسلام كبح في الذكر دوافع الجفاء والتحطيم، ولم يترك كله إلا قدرة التغلب على النفس وقدم التنظيم والتوجيه، فكون بذلك مجتمعا تتمتع فيه المرأة بكثير من الحقوق، مقابل بعض الواجبات حتى أن الفقه الاسلامي لم يفرض عليها إلا واجب الزوجية ، أما الواجبات المنزلية كالغسيل والطبخ فإنها ليست مطلوبة منها، وحتى الرضاعة ليست فرضا عليها، بل على الزوج أن يأتي بمرضعة لولده"[4] مثل هذا التأكيد على قيمة الوظيفة التي تضطلع بها المرأة لم تتوقف عند خطاب رجال النهضة ومفكريها بل تعدت إلى الأصوات النسائية الجزائرية ،حيث ذهبت الكاتبة مليكة بن عامر[5] إلى التأكيد على حق المرأة الجزائرية لمشاركة الرجل في الحياة العلمية و الثقافية مؤيدة حقها في العمل".إننا ننتظر يوما ليس ببعيد تكون المرأة فيه تشاطر الرجل في سائر أعماله و تساعده على القيام بالأمور المهمة التي نرجو من ورائها خيرا كثيرا و نفعا عظيما..."[6]

1-مالك بن نبي،شروط النهضة .ص 115-116
2- السحمراني، المرجع السابق،ص 213

3- مالك بن نبي، شروط النهضة ،ص 119

4-مالك بن نبي، في مهب المعركة دار الفكر بالجزائر ودمشق ط (1) 2، 141 هـ /1991، ص 110

5-كاتبة جزائرية كانت تنشر مقالات في الاصلاح الاجتماعي بجريدة، البصائر الثانية.

6- مليكة بن عامر، المرأة الجزائرية ين الحاضر و المستقبل جريدة البصائر العدد (20 ماي1955)

و عندها أن الإسلام هو الذي أعاد الاعتبار للمرأة و حررها من ربقة العبودية التي كانت فيها قرونا متطاولة....."

فهذا الدين الإسلامي الشريف هو الذي اعتق المرأة من العبودية التي كانت سائدة في الزمان الجاهلي وحررها من قيودها و أغلالها التي كانت مقيدة بها آنذاك، فقد كانت في ذلك الوقت المظلم لا تعرف لها قيمة و لا يقام لها وزن، شأنها شأن متاع البيت و أثاثه و لا ميزة تميزها،و لكن الاسلام الحنيف عندما جاء بمبادئه الصادقة و تعاليمه الفاضلة،قرر لهذه المرأة مصيرا محمودا و عرفها قدرها-ورفع شأنه ومنحها حقها و أحياها بعد موتها- و حدد لها مهمتها في الحياة...."[1] الأمر الذي جعل هذه المرأة الجزائرية المتفقهة في أمور دينها تدرك ما لها و ما عليها في الحياة فانطلقت تسهم في ترقية أمتها وخدمة وطنها"....فلما عرفت المرأة الجزائرية هذا كله،و أدركت نصيبا من الثقافة العلمية و التحلي بالأخلاق الفاضلة و الآداب الكاملة و تحققت بأنها هي التي تنير السبيل لأمتها بالعلم و المعارف قامت ونفضت غبار الخمول و الركود و بدأت تترك الجهل و آثاره و تتبع العلم و أقطاره و أصبحت تبني لأجيالنا الحاضرة و المستقبلة أساسا صحيحا و بنيانا مرصوصا،وهي تحرض أخواتها على الاجتهاد والقيام بواجبهن نحو-دينهن- و -لغتهن- و أماتهن ووطنهن و شريعة دينهن السمحة[2] و مبشرة بمستقبل زاهر لهذه المرأة الجزائرية الواعية و المسؤولية التي تتحملها في تحرير وطنها من كل أشكال التعسف و التخلف "...سيكون للمرأة الجزائرية شأن عظيم يذكر ، و عمل صالح يؤثر تتناقله الأجيال و يتحدث به التاريخ الذي لا يظلم واحد بهذا الوطن فإن مستقبلها يوجب عليها أن تكون مكافحة في ميادين العلم والثقافة، تحارب الجهل و الرذيلة، و تستبسل في الدفاع عن نفسها و عن أمتها، ارفعي رايتك أيتها الفتاة الجزائرية و قومي بنصيبك فإن التاريخ خير شاهد على فضلك و خير معترف بجهودك، رغم أنف المكابرين و الجاحدين.[3]

إن هذه الدعوة لمكانة المرأة في المجتمع يعكس في الحقيقة وعي النخبة المثقفة و المتنورة في ذلك الوقت بالدور الهام و الخطير الذي تضطلع به المرأة في المجتمع في الكثير من مناحي الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و التربوية و يتفق هذا الطرح مع الأبحاث الحديثة التي نظرت إلى مكانة المرأة ووظيفتها في الحياة نظرة شمولية بكل أبعادها الإنسانية و الاجتماعية و الاقتصادية ".أن التربية لم تعد تقتصر على

إنجاب الأطفال و تقديم الحاجات الأساسية لهم من مأكل و ملبس و حماية و لم تعد هذه الأمور بكافية وإن تحققت جميعا، لتأمينهم ضد المرض و التخلف بشتى جوانبه ..فإعداد الأم هو إعداد للنشء نفسه

1-المصدر السابق

2-المصدر السابق

3- المصدر السابق

لتأهيله لتبوء المراكز الإنتاجية التي يرغبها المجتمع وتتعايش مع سلم التقدم و الحضارة.."[1]

و هذا الإدراك الكبير من العلماء لدور المرأة و مكانتها في المجتمع و حتى تبقى وفية لوظيفتها راحوا يؤكدون على ضرورة محافظتها على أصالتها العربية الإسلامية بعيدا عن كل تشدد أو تطرف وغلو أو تأثر بحركة السفور الوافدة على البلاد و التي تشكل في نظر العلماء إضافة لسموم الغرب الطامحة للنيل من عفاف المرأة الجزائرية و سلوكها الإسلامي ، فشكل ذلك معركة بين أنصار الأصالة و أنصار السفور و التغريب فكيف برزت هذه المعركة كيف تصدى لها المصلحون؟

ب- مقاومة السفور و أدعياؤه:

على الرغم من الظروف الاجتماعية الصعبة التي كانت تحيى فيها المرأة الجزائرية و حملات التنصير التي كانت سهام الاستعمار و أدعياؤه تريد النيل منها،و التأثير على شخصيتها العربية الإسلامية [2] فقد بقيت صامدة متحدية محافظة على حجابها متمسكة بأهدابه تمسكا شديدا بشهادة الفرنسيين أنفسهم[3] و لما راحت الحملات التغريبية المسعورة تهاجم في قيم المجتمع الجزائري و تريد النيل منها حتى يمكن لها سلخه من انتمائه الحضاري العربي الإسلامي و من ثم إذابته في بوتقة المدينة الغربية و رأوا في المرأة الهدف الكبير لهم فإذ حققوه حققوا كل شيء بعده لذلك سعوا لجعل المرأة الجزائرية نسخة ثانية من المرأة الغربية."[4] هب نفر من المفكرين المتنورين يذودون بخطبهم و أقلامهم عن حياض الأمة و يدافعون عن قيم الأسرة الجزائرية ضد الذوبان و الانحلال فقد نظر الأستاذ رمضان حمود إلى هذه الحملات العنيفة على الأسرة الجزائرية على انه عدوان آثم ينبغي التصدي له و الوقوف في وجهه لأنه يريد فقط تمسيخ المرأة الجزائرية المسلمة باسم التمدن و التجديد و المناداة بخروجها من بيتها سافرة مكشوفة المفاتن معتبرا هؤلاء المقلدين للغرب تقليدا أعمى و بالا على الأمة داعيا بلهجة حادة إلى وجوب التصدي لهم"..أيها الشرقيون ،أيا من لا يزالون في مرحلتهم الأولى من نهوضهم إن كان هناك ما يسمى نهوض بالمعنى الحقيقي، و يا من ينظر إليهم العالم بأسره بعين الأمل حبا في إنقاذه من مخالب المادة السامة،قوموا من نومكم و هبوا في سكوتكم فان المرأة ليست مستعبدة و لا شقية كما تزعمون و لكنها حرة سعيدة في بيتها مع زوجها و أفلاذ كبدها إنها لا تشكو إلا من جلبتم و ضوضاءكم

1-د/ صلاح الدين أبو صالح، المرأة العربية ودورها في التنمية ، مجلة دراسات عربية العدد2 السنة السابعة و العشرون ديسمبر 1990،ص80.

2- اعتبر بعض المثقفين الفرنسيين مطالبة النخبة الجزائرية بالحريات كالفرنسيين ماداموا يعتقدون بأنهم و قد وصلوا إلى درجة كبيرة من التحضر ، ناسيين بأنهم لم يحركوا ساكنا في مسألة تحرير نسائهم و بناتهم اللواتي يعشن في عزلة وقصور تفكير، و يعكس هذا عدم ارتياحهم لبقاء المرأة الجزائرية محافظة على قيمها و تقاليدها أنظر:

LAfrique Francaise suppe Mai1938,p91

3- د/ ناصر، المقالة الصحفية ج1 ص 244

4- ليلى بن ذياب، اخترت لكم المرأة و المجتمع جريدة البصائر عدد163 (جويلية 1951)

حولها إنها في هناء و سلامة مادامت في جانب وأصواتكم المزعجة في جانب[1]

و يدعو هؤلاء المتغربين للكف عن استدراج المرأة المسلمة إلى الشارع باسم الموضة تفتح لها أبواب الفساد و الضياع"..إنها تقوم بشؤون بيتها و تربية أولادها ما سلمت من غمزاتكم الشيطانية..إنها نظيفة الذيل طاهرة القلب صالحة ما لم تفتحوا باب منزلها و جنتها الأرضية و تنادوها بالسفور و الخروج إلى جهنم الفتن و معارك الشهوات حسب أبطال الدعارة يجولون و يصولون، إنها راضية و مغتبطة بالعيش ما دام قلبها لا يشغلها إلا رب منزلها ووحيدها إنها في هناء و سلامة ما دمتم لم تضعوا في عنقها الرطب سلاسل "الموضة" الثقيلة ....[2] و مثل هذه الدعوة إلى إقصاء الحجاب الذي يعد لباسا شرعيا للمرأة المسلمة في نظر الأستاذ الزاهري دعوة آثمة ليس لها من غاية سوى هدم الأسرة المسلمة فهم يطمحون إلى سيادة السفور على الحجاب و يحثون المرأة الجزائرية على سلوك ذلك المسلك حتى تكون كالمرأة الفرنسية حرية وسفورا حيث اعتبر أن تلك الحركة حركة "الإلحاد و التقليد"و ليست حركة تجديد لأن غايتها التفرنج و الاندماج في الغرب اندماجا تاما بكل معنى الكلمة و من وراء هذا السعي ناس تعلم أكثرهم في مدارس أجنبية غير إسلامية أسست لمثل هذه الغاية في الشرق[3]

و يدافع الشيخ الزاهري عن "الحجاب" و مبرراته فيقول:" إن الحجاب أيها السادة هو فصل ما بين الرجل و المرأة لتنقطع هي إلى منزلها تصلحه وتربي أولادها و ينقطع هو إلى العمل و الاكتساب خارج البيت ثم ماذا تريدون من سفور المرأة المسلمة الجزائرية؟ تقولون أنكم تريدون لها أن تخرج إلى ميدان العمل والجهاد ولكن هل نسيتم أنكم في بلد، أكثر أبنائه في عطلة وأكثر أبنائه في عطلة وبطالة؟ فهل تريدون لنسائنا أن يعشن أيضا عاطلات متشردات؟ يذرعن الطرقات جيئة و ذهابا طول النهار وزلفا من الليل.[4]

و يرد على اللذين يقولون بأن العفة ليست في ارتداء الحجاب ساخرا من دعاة السفور:" إنه مهما بالغ دعاة السفور في دعوى أن العفة ليست في ارتداء الحجاب فما هم بقادرين على أن ينكروا أن الحجاب هو أعون على العفاف، و أنه أقرب للتقوى ، في أي جو من أجواء السفور تستطيعون أن تجدوا العفاف أيها السادة الإخوان؟ تجدونه في هذه الحضارة اللامعة التي تسيل خلاعة واستهتارا؟أم أين تجدونه إلا حيث لا يكون سفورا؟ أو حيث لا يكون اختلاط بين الرجال و النساء..[5] و بما أن مراكز الإغراء قد وضعت لتكون مصائد للعفيفات من النساء فقد حذر الشيخ الزاهري منها صيانة للأخلاق و التماسك الأسري.وفي ذلك يقول :"...لا أريد أن أنبهكم يا سادتي إلى هذه الملاعب و المراقص و المـــــلاهي

1- الشيخ رمضان حموددعاة التجديد جريدة وادي ميزاب عدد 113(21-12-1928)

2-المصدر السابق

3- الشيخ محمد السعيد الزاهري، الإسلام في حاجة إلي دعاية و تبشير..ص60-61

4-المصدر السابق/ص62

5- المصدر السابق،ص 64

والمسارح الحمروات (جمع الحمراء) و ما يكون فيها من إثم وغي و لا إلى هذه الروايات التي تمثلها دور السينما (الصور المتحركة) فتتمثل فيها الغواية و الضلال تمثيلا يغري الزوجة بالغدر والخيانة و يزين لها ذلك تزينا وهل أكثر الروايات التي يسمونها روايات حب و غرام الا روايات غدر و خيانة وإثم سميت بغير أسمائها و تضليلا و دعاية إلى الشر و الفساد.. [1]

أما الأستاذ الشيخ أبو اليقظان فقد راعه ذلك الاستخفاف بالحجاب من قبل كاتب تونسي[2] الذي لم يتورع على اتهام الحجاب بأنه وسيلة تستر على ارتكاب الجرائم".و إن حجاب المرأة أخطر على عفتها من السفور، و أن الحجاب ليس إلا تقية محكمة تمكنهن من القيام بأخطر الأدوار [3] فرد عليه ردا مفحما كاشفا له زيف ما يدعيه زورا و بهتانا على الحجاب الذي يوفر للعفة و الفضيلة ".و إذا كان الحجاب تقية محكمة للقيام بأدوار خطيرة فهل يكون سفور المرأة،وهي ناقصة عقل ودين سياجا وحصنا حصينا لطهرها و عفافها؟ إذا رأيت يا حضرة الناقد في السفور و مع تهذيب أخلاقها صيانة و سياجا لعفافها أفلا ترى الحجاب مع تهذيبها أكثف سياج و أقوى وقاية لطهرها؟ [4]

و لأن هذا الكاتب بجريدة النديم التونسية عنيدا فقد أخذته العزة بالإثم فرد على الشيخ أبو اليقظان بلغة شديدة اللهجة على صفحات جريدة لسان الشعب التونسية في عددها 285 الأمر الذي جعل الشيخ أبو اليقظان يجرد قلمه كالحسام فيدبج مقالين طويلين نحت عنوان " أردنا نصيحة فأراد فضيحة" دعم فيها مشروعية الحجاب و مصداقيته بأدلة نقلية و عقلية و أقوال اعتراف بعض دعاة السفور أنفسهم ، وقد أجمل وجهة نظره حول أحقية الحجاب و بطلان السفور في قوله:" و الحقيقة أن مسألة السفور والحجاب مسألة جمود و حركة ورقي وانحطاط وعلم و جهل، بل هي مسألة تدين و تجرد ،عفاف وتهتك ،عقل و طيش ، وجملة هذه فتنة من فتن أوربا خدعت بها أغرار المسلمين لينصرفوا عن واجباتهم الدينية و الوطنية الحقيقية..."[5]

يندرج في هذا السياق كذلك موقف الإمام الشيخ ابن باديس الملتزم بخط الإمام الشيخ رشيد

1- المصدر السابق،ص 64

2- هو الكاتب الهادي العبيدي الذي عرف بمقالاته الصحفية كان من المشجعين للنساء المتعلمات اللاتي بدأن يسعين منذ عام 1928م في تأسيس الجمعيات و النوادي النسائية و بسبب دعوته الى السفور أثير بينه و بين دعاة المحافظة على القيم الإسلامية الأصيلة جدال قلمي فتحت له أعمدتها صحف تونسية ك "النهضة" و " الوزير"و ط الصواب" و صحف الجزائر كجريدة وادي ميزاب أنظر أحمد خالد أضواء من البيئة التونسية على الظاهر الحداد و نضال جيل الدار التونسية للنشر ط(3) 1976 ص 254 و ما بعدها.

3- الشيخ أبو اليقظان، همسة في أذن ناقد النديم وادي ميزاب ع 67(271-1928)

4- المصدر السابق

5- الشيخ أبو اليقظان، أردنا نصيحة فأراد فضيحة، جريدة وادي ميزاب ع (1928/3/2).

رضا، حيث نظر إلى قضية المرأة من منطلق قواعد الشريعة الإسلامية و هذا تؤكده إعادة نشر مقال مطول للشيخ رضا الذي سبق نشره في مناره تحت عنوان " حكم الله في المساواة بين الرجال والنساء"[1]

فقد اتفق الشيخان رضا و ابن باديس على وجوب المحافظة على حجاب المرأة التقليدية [2] وعدم تربيتها تربية استقلالية حرة في جميع ميادين العلم و المعرفة و أقر بسلطة الزواج عليها و إشرافه على حظوظ الأسرة دونها.."[3]

و كذلك نجد الشهاب عندما قدم كتاب " امرأتنا"[4] للشيخ الطاهر الحداد[5] لم تمدحه و تحث على قراءته والاستفادة منه بل كشف عن خطورته على الدين و القيم و بينت للقراء تعارض مضامينه و محتوياته مع تعاليم الشريعة الإسلامية ، فقد ذكر صاحب الشهاب الشيخ ابن باديس أنه اعتقد لما حدثه صاحب [6] الكتاب عنه أنه يدعو فيه للنهوض بالمرأة نهوضا صحيحا و تعليمها تعليما مفيدا في حدود إسلامها التي هي بنظر كل عاقل منصف حدود بالإنسانية طرحه حيث لم يدع الشرقية لطرح حجابها و قد تفاجأ الشيخ ابن باديس من تطاول الشيخ الحداد على الشريعة بإبطاله لآيات من القرآن الكريم و أحكامه القاطعة[7] "..و ما توقعنا من أنه يكون ممن يدعونا إلى الذهاب بها في تيار المدينة الغربية إلى ما يخرجها عن

1-أنظر الشهاب، الأعداد من ج6 م 6 إلى ج 1 م 7

2-كما نشرت البصائر موضوع الحجاب ،الكاتب الحجازي أنظر العدد 104(18-3-1938)

3- د/ محمد الصالح المراكشي،قراءات في الفكر العربي الحديث و المعاصر، الدار التونسية للنشر1992،ص112

4- هو كتاب ألفه الطاهر الحداد سنة 1930م دافع فيه عن السفور،اعتقادا منه بأن ذلك خطوة على درب التقدم كما فعل أتاتورك في تركيا لما حارب قيمها الإسلامية و لكن هل تطورت و لعل من أبرز من رد على الحداد في تونس الشيخ محمد الصلح بن عواد في كتابه الذي يحمل عنوان" الحداد على امرأة الحداد" أنظر أحمد خالد أضواء من البيئة التونسية ..ص336 و ما بعدها.

5- الطاهر الحداد كاتب و أديب تونسي أحد مؤسسي النقابة الأولى بتونس ولد و نشأ بمدينة تونس سنة 1889م و توفي سنة 1935 درس بجامع الزيتونة حاز على شهادة التطويع سنة 1920م كان من دعاة تحرر المرأة إلى حد الخروج عن تعاليم الشريعة فأثار ضده المصلحين،للمزيد أنظر جعفر ماجد الطاهر حداد الشركة التونسية للنشر تونس .1979

6-حيث تتلمذ الحداد على الشيخ ابن باديس لما كان طالبا في الزيتونة سنة 1912 و قد اشتمل دفتر الحداد على إطراء بعض مشائخه مثل الشيخ ابن باديس حيث شهد له فيما قرأ عليه بالمواظبة و الفهم و الأدب أنظر أحمد الدرعي، دفاعا عن الحداد تقديم و تحقيق محمد أنور بوسنينة تونس 1976 ص 12.

7- أنظر الشهاب كتاب "امرأتنا " للشيخ الطاهر الحداد ج 11 م 6 (رجب 1349 ديسمبر 1930) ص 714 و يبدو هو تعليق للشيخ ابن باديس.

حدود دينها ووظيفة أنوثتها، فإذا بنا لما أهدى لنا كتابه و طالعناه وجدنا ما هو أدهى من ذلك و أمر، وجدناه يدعو إلى إبطال أحكام عديدة من أحكام القرآن الصريحة القطعية الاجماعية ، و تعطيل آيات عديدة من آياته بدعوى أنها غير لائقة بالنساء في هذا العصر ، و هذا هو الجحود نفسه لبعض القرآن وجحود بعضه كجحود كله في مفارقة الإسلام"[1] ثم يضيف الشيخ ابن باديس".... فيجهل هذا الأصل الشيخ الحداد أم رضي بنفسه بانطباقه عليه؟ نحن لا نخشى على المسلمين من دعوته شيئا لأنه من المعلوم الضروري عندهم أن جحود شيء من القرآن كفر به و إنما نخشى عليه هو أن يستمر عندهم على عقيدته فيكون من الهالكين و ربما عدنا إلى الكتاب في فرصة أخرى[2]

كما علقت الشهاب على محاضرة ألقتها بعض المتبرجات بتونس تدعو فيها إلى السفور حيث قوبلت بالاستنكار و الرفض من الأمة التونسية ".و في الحق أن التفكير في رفع حجاب الجهل عن عقل الفتاة بالتعليم القومي يجب أن يكون قبل التفكير في رفع حجاب الحياء عن وجهها بالتقليد الأجنبي و أن من يرى غير هذا مخادع أو مخدوع و لا خير فيهما."[3]

أما الشاعر محمد العيد آل خليفة فقد دافع هو الآخر عن حجاب المرأة المسلمة و لم يرض لها بديلا عنه و اعتبره حصنا واقيا لها من كل الذي يمكن أن يلحق بها الشرور و الآثام لأن عصمة المرأة في العفة و الاحتشام .

كيف ينجو من الشرور نساء

لا يواري وجوههن لثام

عصمة المرأة احتجاب و صون

و آباء وعفة و احتشام [4]

داعيا في نفس الوقت إلى فسح المجال لها لكي تتعلم ما يمكن أن يكون سلاحا لها تدرأ به عن نفسها ذلك أن المرأة المتعلمة لا تتجاسر على المعصية فعلمها يمنعها من ذلك أما الجاهلة فعادة ما تكون ضحية كل محتال و نصاب.

علموا المرأة الحقائق في الديـــن فقد طرحت بها الأوهام

علموها كيف الوقاية مما هاجمته شـــــره الأيــــــــــام

لا تغرنك بضاعة نخاســـــين كانت بها الدمـــاء تسام

آتوا النساء نصيبهن من الهدى يخرجن نشئا كالرماح الشرع [5]

1-المصدر السابق،ص 714

2- المصدر السابق،ص 715

3-أنظر الشهاب " الصون و التبرج" ج 1 م 5 (رمضان 1347ه/فيفري 1929)
4-أبو القاسم سعد الله،محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث دار المعارف،1961م ص 59.
5- المصدر السابق،ص 59 –60.

و تتوافق هذه النظرة إلى المرأة بما جاء عند الشاعر حافظ إبراهيم الذي اعتبر المرأة بمثابة مدرسة أولى في المجتمع:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

و إذا كان التوجه العام للجزائريين ينحو منحى مدرسة الإصلاح الكبرى التي يمثلها تلميذ الشيخ محمد عبده الأستاذ الشيخ رشيد رضا في النظر إلى قضية هندام المرأة الجزائري من منظور شرعي حيث التأكيد على أن السفور ظاهرة اجتماعية وافدة علينا من الغرب، و هي في عمومها تعكس المجتمعات الغربية المتحررة من القواعد الشرعية و الأحكام الدينية ، و أن الحجاب هو أصل من أصول الشريعة الإسلامية و من ثمة لا اجتهاد فيه فإن هذا لم يمنع من ظهور بعض الأصوات النشاز في المجتمع الجزائري من الذين دعوا إلى السفور فقد رأى الشيخ أبو يعلى الزواوي أن المرأة المسلمة يكفيها
الالتزام بالعفة و الأخلاق المستقيمة "...لا حجاب غير الخلق الحسن و العقيدة الإسلامية الصحيحة والشرف و الفضيلة و الرفعة و النزاهة [(1)] و يبدو أن الشيخ أبا يعلى الزواوي لا يعتقد الترويج للسفور بقدر التأكيد على التربية الإسلامية القويمة للمرأة حتى تبقى محترمة و بعيدة عن الرذيلة [(2)]

أما الشاعر محمد الصالح خبشاش فقد روعته الوضعية المزرية التي آلت إليها أوضاع المرأة الجزائرية فأشفق عليها و على حالها و لكنها ليست بنظرة جزائرية بل بتأثير دعاة تحرر المرأة فعوض أن يركز في قصيدته على تربيتها و تعليمها و يلوم الاستعمار على تسببه في جهلها و أميتها راح يدعو إلى سفورها ونزع الحجاب عنها متناسيا أن الحجاب الذي ينبغي أن يدعو لنزعه هو حجاب الجهل والأمية والخرافة.

تركوك بين عباءة و شـــــقاء مكؤوبة في الليلة الليـــــلاء
مسجونة مزجورة محرومـــــة محفوظة بملاءة ســـــوداء
فإلى متى هذا الحجاب؟ إلى متى؟ إلى التلاشي؟ أم ليوم لقـــاء؟
أترابكن من الفرنج غدون فـــي غرط العلا في عزة قعســاء[(3)]

و لم نسمع بعد ذلك تأكيد على هذه الدعوة و بالتالي يكون قد تراجع على هذا الاندفاع أو ذهب أما الأستاذ الشيخ العمودي فقد اعتبر الاقتصار على جانب الحجاب و السفور فيما يتعلق بالمرأة لا يعكس حقيقة ما ينبغي أن نطلع به من عناية بشؤون المرأة من جميع الجوانب و يبدو عنده أن قضية هندام

1-أنظر محمد ناصر،المقالة الصحفية الجزائرية ج 1 ص 249

2- المرجع السابق، ص 249

3-أنظر محمد الهادي السنوسي الزاهري، شعراء الجزائر.جزء 2، ص 94

المرأة المسلمة قضية مفصول فيها شرعا و لذلك نجده يؤكد على وجوب التمسك بالحجاب"..و رغم كوني من القائلين بوجوب توفية المرأة جميع حقوقها بسائر صنوفها،فإنني أبغض السفور و أستحسن الحجاب لأنه عنوان الصيانة و العفاف، و لأنه أكبر معين على تطبيق قاعدة توزيع الوظائف الاجتماعية.."[1]

و إذا كانت دعوة العلماء و المصلحين للمرأة الجزائرية بضرورة الحفاظ على لباسها الشرعي الذي هو "الحجاب" فإن ذلك يعد صيانة لها من موضة "السفور" الغربية التي تريد أن تجهز على عفة أخلاقها، فإن دعوتهم إلى تربيتها و تعليمها وحل مشاكلها الاجتماعية يعد ثورة اجتماعية تستهدف النهوض بها لكي تقدر على أداء وظيفتها في المجتمع على أحسن وجه.

جـ ـ تعليم المرأة الجزائرية:

نظر العلماء المصلحون إلى تربية المرأة الجزائرية و تعليمها أمور دينها و دنياها على انه يشكل ركن من الأركان التي يقوم عليها مشروعهم الإصلاحي و النهضوي[2] بحيث تصير المرأة المتعلمة واعية بالدور الذي تقوم به في مجتمعها للدفع بها قدما إلى الإمام على درب التطور و الرقي والازدهار أما بقاءها جاهلة أمية فان هذا الوضع يجعلها غير قادرة ليس فقط على المساهمة في بناء المجتمع بل حتى على إعداد الناشئة وفق ما تقتضيه قواعد التربية الحديثة.

وانطلاقا من هذه القناعة فقد ذهب كاتب رمز إلى اسمه ب الغريب بجريدة المنتقد إلى التأكيد على وجوب صقل فكر الفتاة المسلمة و تربيتها وتعليمها حتى تكون مع المدرسة خير من يعول عليهما اكثر للاضطلاع برسالة التربية في المجتمع "..للتربية موضوعان حجر الأم في بيتها و غرفة المعلم في ومدرسته، و لكن العمدة على الأول اكثر من الثاني..لذلك يتعين على الأم المربية أن تكون عالمة بما لا بد منه من أصول التربية الكاملة..."[3]

كما أن العناية بشؤون البيت و تنظيفه و تربية الناشئة تربية صالحة و صحيحة يقتضي نيل المرأة لقسط من المعارف التي تؤهلها للاضطلاع بهذه المهمة الشاقة و النبيلة و في هذا الصدد نجد الأستاذ الأمين العمودي حتى وان لم يكن من دعاة تعليم المرأة تعليما عاليا إلا انه كان من المؤمنين بتربيتها و تعليمها المقدار الذي يسمح لها بان تكون ناجحة ومواطنة صالحة مع صيانة أخلاقها".أنا لا يروقني أن أرى الفتاة المسلمة من حاملات الباكالوريا أو من أعلام الدكاترة،بل حسبي أن أجدها تعرف الضروري من تعليم دينها و تتقن كيفية الانتفاع بحقوقها كما تتقن أداء واجباتها بكافة أنواعها،وتعلم مع

1- د/محمد ناصر، المقالة الصحفية ج 1،ص 255 نقلا عن جريدة الإصلاح ع 11(1930/1/23)

2- أنظر عبد الكريم أبو الصفصاف ، موقف العلماء المسلمين الجزائريين من تعليم المرأة الجزائرية إبان الربع الثاني من القرن العشرين ، مجلة سيرتا جامعة قسنطينة عدد 1 ماي 1979 ص 57 وما بعدها.

3- أنظر جريدة المنتقد عدد 8(20-أوت-1925)

ذلك ما هي الشروط اللازم توفرها في البنت البارة و الزوجة الصالحة و الأم المثلى فتعلمها حينئذ يجب أن يكون عربيا إسلاميا قبل كل شيء .على أنني لا أحكم بمنع إرسال بناتها إلى المكاتب الفرنسية قبل تجاوزهن السن الذي يجوز فيه ذلك ومع الاحتياط التام و التحفظ الحقيقي بما يلائم عوائدنا و أخلاقنا الخاصة بنا...[1]

أما الأستاذ الشيخ ابن باديس فقد ركز في هذه المسألة على معالجة الجوانب الأساسية في شخصية المرأة الجزائرية من ضرورة تفقيه وتكوين و إعداد حتى تقدر على رسالتها في الحياة على أحسن وجه بداية من قدرتها على القيام بشؤون بيتها و العناية بأمور أطفالها ".. خلقت لحفظ النسل،وتربية الإنسان في أضعف أطواره ،فهي ربة البيت وراعيته و المضطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به، فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها ، وتربيتها على الأخلاق السوية التي تكون بها المرأة امرأة لا نصف رجل ونصف امرأة ،فالتي تعد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها "[2] وزاد عن هذا بالدعوة إلى ضرورة تكوين شخصية المرأة في بعدها الديني الوطني و القومي حتى نضمن ناشئة جزائرية متشبثة بوطنها و أصالتها ".. فعلينا أن نعلمها ما تكون به مسلمة، ونعرفها طريق الدين الذي مالها و ما عليها نفقهها في دينها و لغتها و قوميتها، فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد أولادا منا ولنا يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية و لا ينكرون أصلهم و إن أنكرهم العالم بأسره ولا يتنكرون لأمتهم و لو تنكر لهم الناس أجمعون [3] و حتى يكون لطرح الشيخ ابن باديس صدى ومصداقية عند الجزائريين عاد بهم إلى أيام الإسلام الزاهية فقد لجأ لدراسة نساء السلف للمساعدة في حل مشاكل تطور المرأة، إذ رأى أنه من المفيد الرجوع إلى تراجمهن ففي قصة الشفاء بنت عبد الله وهي من المهاجرات من مكة و التي كانت تعرف الكتابة و التي استعملها عمر بن الخطاب في بعض المهام في الدولة يقدم ابن باديس شخصية قوية اعتبرها نموذجا فاضلا للمرأة المسلمة حيث: سابقتها في الإسلام معرفتها الكتابة،و قدرتها على ممارسة الأعمال العامة.

و يريد ابن باديس بذلك تذكير المعاصرين بنماذج من الماضي، حافزا عن كل التطورات التي تحصل منذ ثلاثة عشر قرنا، وربما يقف ضد التطور كمبدأ فيما يخص المرأة و بالنسبة إليه فإن الدور الذي ستلعبه المرأة المسلمة هو دور " الشفاء الذي نقها به عمر بن الخطاب نتيجة لتمتعها بقدرات مهنية و عقلية،هذه القدرات المفترض وجودها لتحل قضية المرأة [4].

1- محمد الأخضر عبد القادر السائحي محمد الأمين العمودي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري 1988ص 91 نقلا عن جريدة الاصلاح عدد 90/28/8 1926 بعنوان المرأة المسلمة الجزائرية

2- أنظر وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس الجزء 5 ط(1) دار البعث قسنطينة 1991،ص441

3-المصدر السابق

4- الأسعد، حركة ابن باديس. ص 93

إن تركيز الشيخ ابن باديس على المرأة الأصيلة نابع أساسا عن قناعة كان يعيش تجربتها واقعيا بفعل تأثير الثقافة الغربية في أولئك الذين أداروا ظهرهم لتاريخهم، و من ثمة يصير خطر ذلك على البناء الاجتماعي أكثر من خطر الجهل ".العالمة التي تلد أبناء لا يعرفونها يعرفونها مثل أمهاتنا عليهنا الرحمة خير من يوم تسلك هذا الطريق في تعليم المرأة قد نهضنا بها نهضة صحيحة ترجو من ورائها كل خير وكمال[1] "واستنادا إلى شواهد من سيرة السلف الصالح وتاريخه دعا الشيخ ابن باديس إلى تعليم المرأة بقوله:" علينا أن ننشر العلم بالقلم في أبناءنا و بناتنا في رجالنا و شبابنا على أساس ديننا وقوميتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نصل إليه من العلم الذي هو تراث البشرية جمعاء، و ثمار جهادها في أحقاب التاريخ المتطاولة و بذلك تستحق أن نتبوأ منزتلنا اللائقة بنا، و التي كانت لنا بين الأمم[2]

و إذا كان الأصل في تربية النشء هو البيت فقد أكد الشيخ ابن باديس على دور الأم فيه على اعتبار البيت هو المدرسة الأولى للناشئة " أن البيت هو المدرسة الأولى و المصنع الأصلي لتكوين الرجال ، وتدين الأم هو أساس حفظ الدين و الخلق و الضعف الذي نجده في ناحيتها في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت بسبب جهل الأمهات و قلة تديهن [3]

ورأى الأستاذ الشيخ مبارك الميلي أن النهضة الجزائرية لن يكتب لها النجاح إذا كانت أبواب التعليم مفتوحة في وجه الفتيان وموصدة في وجه الفتيات حيث نبه إلى ضرورة تدارك ذلك ضاما صوته إلى أصوات الفريق الذي أيد تعليمها بناءا على الاعتبارات التالية:

- إن فساد القلوب و انحطاط العقول كان شاملين للأمة من ذكورها و إناثها فيجب أن يكون إصلاح القلوب و ترقية العقول عامين الذكور و الإناث.

أن المرأة شقيقة الرجل في الإنسانية فلتكن شريكته في التربية و التهذيب و لا تظلم بحرمان حقها من ذلك .

- و أن الأم هي مدرسة الأولى التي يتلقى فيها الأبناء معلوماتهم الأولية.

- و أن الأنثى مكلفة في حكم الإسلام بمثل ما يكلف به الرجل لا يفترقان إلا فيما يرجع إلى القوة والسيادة فيختص الرجل بالإمامة و الولاية ومناصب الحكم فيما يعود إلى الضعف و الحنان فيختص بالأنثى كالحضانة و تنزل إثنتين منزلة واحد في الشهادة.

- و أن الأنثى شريكة الرجل في منزله و قرينته في حياته لا غنى لأحدهما عن الآخر ،فلا بد من تشاركهما في التهذيب و تقاربهما في التثقيف ليرغب الفتى في الفتاة و تعرف الفتاة كيف تعاشر الفتى ليكونا وهما زوجان أقرب إلى الوفاق و أبعد من الشقاق.[4]

1- الأستاذ محمد الميلي،ابن باديس و عروبة الجزائر، دار العودة ، الثقافة بيروت 1973،ص 138.

2-أنظر د/صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث..ص 173 نقلا عن الشهاب ج 3 م 15 أفريل 13359 هـ)

3- د/ مصطفى عشوي المدرسة الجزائرية إلى أين؟ دار الأمة الجزائر ،ص 25-26
4-الشيخ مبارك الميلي،تعليم المرأة الكتابة مجلة الشهاب ج 6 م 12

و كان الشيخ الميلي من الذين يرون بضرورة التفكير في طريقة الجمع بين تعليمها و المحافظة على أنوثتها وعدم ترجلها في الوقت الذي نصح فيه بضرورة تعليم أبنائهم و بناتهم العلم النافع.(1)

و الحق أنه منذ تأسست جمعية العلماء كانت تهدف الى تعليم أكبر عدد من الفتيات و توعيتهن فقد جعلت تعليمهن مجانا، و هو ما جاء على لسان رئيسها الشيخ ابن باديس الذي كتب في الشهاب يقول:" فأما البنون فلا يدفع منهم واجب التعليم إلا القادرون ،و أما البنات فيتعلمن كلهن مجانا، لتكون منهن بإذن الله المرأة المسلمة المتعلمة.(2)

كما نوقشت قضية المرأة في مؤتمر طلبة إفريقيا سنة 1932 م الذي عقد بالجزائر جاء فيه ما يعبر انه أول لفتة جادة لمشكلة المرأة في المغرب العربي :

1- وجوب تعليم المرأة

2- غاية تعليم المرأة هو تثقيف فكرها وتربية أولادها والقيام بشؤون المنزل ثم اتخاذ حرفة تستعملها عند الحاجة.

3- المطلوب من شعب الشمال الإفريقي المتمثل في هذا المؤتمر أن يسعى في تأسيس مدارس حرة تتعلم فيها البنات المسلمات اللغة العربية (3)

أما بالنسبة لليلى بن ذياب فإن بناء الأسرة المتماسكة مرهون بتعليم المرأة وتثقيفها لأنها هي التي تمثل المدرسة الأولى في المجتمع." المرأة هي قوام المنزل وربة الدار وأم الأشبال ودعامة الأسرة وهي القدوة الحسنة لأبنائها إذا صلحت والسيئة إذا طلحت وهي المسؤولة على إسعاد أطفالها ومراعاة ثقافتهم وصحتهم،ولذلك فإن من واجبها علينا أن نعطيها حقها من الحرية وأن ندع لها الفرصة لأخذ قسطها من التعليم ونيل نصيبها من الثقافة السامية والآداب الرفيعة فنخرجها من ظلمات الجهل ونفكها من قيوده."(4)

و تلتقي دعوة النهضويين الجزائريين هذه القائمة على الدعوة إلى تربية و تعليم المرأة على قدم المساواة مع الرجل مع دعوة رواد النهضة العربية الإسلامية كالشيخ عبد الرحمان الكواكبي الذي نظر إلى التعليم "...على أنه قاصر إذا تناول الرجال و أهمل النساء لأن المرأة هي التي تربي الرجل الأمر الذي يعني أن تعليمها سينعكس على الرجل، لا سيما و أن الحياة تتطلب مشاركة المرأة و الرجل ومخالفة ذلك تكون مسؤولية آدم و حواء إلى هذه النسبة المتباعدة، هي قسمة جاء بها الاستبداد السياسي"(5) و إذا كانت الدعوة إلى تربيتها و تعليمها يمكن أن نرجع أصولها إلى مطلع القرن العشرين،

1- المصدر السابق

2-د/ عشوي،المدرسة الجزائرية...ص 25

3- د/صالح خرفي،الشعر الجزائري...ص172

4- ليلى بن ذياب ،تعليم المرأة جريدة البصائر عدد 93 .

5- علي نوح الكواكبي: صوت النهضة العصروي في خطاب النهضة مجلة المستقبل العربي عدد 196 (جوان 1995) ص 106

فان نضج هذه الدعوة وتجسيدها في الميدان لم يكتب لها النجاح إلا مع تأسس المدارس العربية الحرةحيث فتحت المجال واسعا أمام الفتيات لكي ينهلن من العلوم والمعارف حتى يقدرن على القيام بواجباتهن الاجتماعية و الوطنية على أحسن وجه جنبا لجنب مع الرجال.

د- معالجة مشاكل المرأة الاجتماعية :

و في سياق معالجة قضية المرأة الجزائرية لم يغفل المصلحون و النهضويون أن يتناولوا مسائل جديدة طرأت على الحياة الاجتماعية لم يعشها المجتمع الجزائري من قبل كقضية تحديد النسل التي اعتبرتها جريدة البصائر بأنها مفتعلة و أنها ليست حلا لمشكلات المجتمع الحديث [1] كما رد الشيخ أبو يعلى الزواوي على أولئك الذين يطعنون في تعدد الزوجات في الإسلام وهو في معرض رده على سيناتور وهران الذي اعتبر تعدد الزوجات في الإسلام نسبة للجزائريين لا يستحقون الحقوق الفرنسية من أجل ذلك و استحسن أن تكون مثل الترك هذا ما وقفنا له على مقالات ذكرتها الجرائد و قد استشهد بأقوال الإمام رشيد رضا في رده على هذا القاذف في الإسلام و ذهب الشيخ أبو يعلى الزواوي إلى أن الحكمة في تعدد الزوجات يعد مفتاحا لحل بعض المشكلات الاجتماعية في البلاد فمثلا إذا كان في بلدنا عشرة آلاف غني يقدر على الزواج و القيام بأربع نساء لا ينح إيواء بل أنقذ أربعين امرأة؟ بلى! وأما ما يقال من الخلاف و النزاع في البيت فهو كسائر الخلافات و النزاعات في جميع الشؤون الاجتماعية الاشتراكية التي لها قوانين يلجأ إليها عند اللزوم و هذا مما لا تخلو منه أسرة و لا جماعة ولا أمة و لا دولة...." [2]

و لكن هذا لا يمنعنا من القول بأن التعدد في الإسلام و القرآن مقيد بعدم الجور و الظلم[3]

أما الشيخ ياعزيز بن عمر فقد كرس قلمه لتناول مجمل القضايا الاجتماعية في وقته ومنها قضية الضمان الاجتماعي في الجزائر و حرمان المرأة الماكثة في البيت من المنحة[4] و قضية عمل المرأة خارج البيت، و حرمان الفتاة من دخول المدارس الأمر الذي جعل الشبان المتعلمين من مناطقهم يستنكفون من الزواج منهن الأمر الذي أدى إلى استفحال ظاهرة العنوسة كما نظر الشيخ باعزيز إلى أنه لا ينبغي فسح المجال للمرأة كي تخرج من البيت للعمل ي المصانع و الورشات قبل تحصينها بالعلم الذي يجنبها السقوط في مهاوي الرذيلة".... يجب التفكير لا في استخدام المرأة في المعامل و المصانع وهي لم تتحصن بعد بالعلم [5] الذي يجنبها شرور المجتمع و يبعدها عن الرذيلة و خاصة إذا خلت البلاد

1- تحديد النسل ليس حلا للمشكلة،جريدة البصائر عدد 1955/11/305

2- الشيخ أبو يعلى الزواوي، تعدد الزوجات في الإسلام جريدة البصائر عدد 136(1938/10/21)

3-أنظر المنجي الشملي،قضية المرأة في تفسير المنار حوليات الجامعة التونسية ص.13

4-الشيخ باعزيز بن عمر،الضمان الاجتماعي في الجزائر ، ،جريدة البصائر عدد 1955/3/25/311

5- الشيخ باعزيز بن عمر، المرأة و العمل خارج البيت ،جريدة البصائر، عدد296 (1954/12/10)

من هذه المعامل أو كانت و لكنها لم تسع العاملين، فكيف تسع العاملات ، و إن كل دعوة للمرأة إلى الظهور بهذا الميدان في مثل مجتمعنا لسابقة لأوانها ، فليمسك منها أصحابها إلى حين و إذا كان لابد من التفكير في الموضوع فليكن في إيجاد العمل للرجل قبل المرأة ..."[1] و حمل مسؤولية انحراف الأطفال عن الجادة و جنوحهم لارتكاب الجرائم في المجتمع إلى الأولياء.

الأب و الأم اللذان لم يربيا الأطفال على الاستقامة حيث يترتب على ذلك عدم القدرة على ضبطهم- كتعويدهم على الدلال المفرط الأمر الذي يؤدي به إلى التمارض حتى لا يذهب إلى المدرسة و يرفض بعض الأطعمة المفيدة لصحته بل و يتعدى الأمر إلى السرقة لا لأنهم محتاجون و لكن لتلبية رغبات شهواتهم التي لم يتعودوا على كبحها، تعاطي الأباء للخمور الأمر الذي يؤدي إلى الإهمال العائلي و من ثمة انحراف الأولاد الذين يجدون أنفسهم بلا عناية مادية و أخلاقية، فينغمسون في الآفات لها انعكاسات سلبية وبابا للشقاق و الطلاق على الأبناء الذين يجدون أنفسهم محرومون من عاطفة الأولياء " وما أشقى الطفل الذي يضطره فراق الأبوين إلى الحياة مع أحدهما دون الآخر فينشأ محروما من عطف أحد الجانبين عليه، فاقدا لتلك الحماية المزدوجة التي لا غنى لطفل عنها، و هو مستقبل حياة اجتماعية معقدة لا هادي لها في مسالكها المتشعبة إلا نور حب أبويه و حرصهما معا على إيصال الخير إليه وحمايته من كل مكروه،وهو إذا فقده الطفل كان له أثره السلبي لافي تكوينه الشخصي و سلوكه الاجتماعي فحسب ، بل في حبه لواقعه و علاقته بمواطنيه فينشأ عصبي المزاج متشائما بالحياة متبرما لا يفكر إلا في إشباع شهواته و الانقياد لأهوائه يسيء الظن بالناس جميعا لأنه لم ير من سيرة أبويه ما يجعله يثق بهم و يسيء الظن بالدين أنه لم يشهد حوله في البيت هو صغير إلا ما لا يمت إلى الدين بصلة ويمضي على هذه الوتيرة في احتقار كل شيء ، والزراية بما تحترمه الأوضاع و التقاليد إلى أن يسقط في أحضان الإلحاد سقوطا يقوده إلى البوار و الخسران في الدنيا و الآخرة و لعذاب الآخرة أكبر و لكن إذا كان الأولياء مسؤولين عن هذا كله فما هي مسؤولية المجتمع اتجاه ذلك أيضا؟ [2] و هو بذلك يريد أن يجعل نصيبا من المسؤولية أيضا يقع على عاتق المجتمع الذي له دور في حماية أبناؤه من الآفات ومساعدتهم على تجاوز الأزمات.

كما عالج الأستاذ باعزيز أيضا مسألة مغادرة بيت الزوجية و آثارها السيئة على المجتمع في تلك الحقبة الاستعمارية حيث كان الرجل يغيب عن أسرته أحيانا فترة ليست بقصيرة و ربما زاد على ذلك فتزوج من امرأة أخرى في المهجر و ما يتبع ذلك من مشاكل، و هجران كذلك الزوج لبيته من فرط إسراف الزوجة في النفقات و نفاذ صبره على ذلك و أنظر آثارما يترتب على ذلك [3]

1-يظهر أن العلم الذي قصده الأستاذ ياعزيز بن عمر هو علم الدين الذي يخلق في صاحبه ذلك الوازع الديني الذي يجعله يستشعر عظمة الخالق سبحانه و تعالى فلا يفكر في ارتكاب الجرائم.

2- المصدر السابق

3- الأستاذ ياعزيز بن عمر،مغادرة البيت الزوجية،جريدة البصائر عدد336 (1955/10/7)

ولا يجد الأستاذ ياعزيز من حلول لمثل هذه المشاكل الاجتماعية العويصة إلا تقوية الوازع الديني في النفوس و طبع الجيل الجديد بطابع الإسلام الصحيح و السعي كذلك في رفع مستوى الأسرة اجتماعيا واقتصاديا[1]

كما نظر الشيخ أبو يعلى الزواوي إلى مسألة ميراث الإناث [2] في بلاد القبائل على أنه مخالف لقواعد الشريعة الإسلامية و لا يعدو أن يكون تطاولا على حقوق المرأة و هضم لحق من حقوقها أقره الشرع الإسلامي[3] كما لفتت ظاهرة إجبار الفتاة من قبل أوليائها كي تتزوج بمن لاترغب فيه.

فنجد الأستاذ احمد بن عاشور يعالج مسألة الزواج و الاختيار من خلال أقصوصته الأخرى تناول بعض الاهتمام من الكتاب المصلحين الذين رأوا في ذلك إجحاف في حق الفتاة فقد عالج عانس تشكو حيث أب يبحث عن خاطب غني وفتاة تحلم بفارس يدخل قلبها و أم تشفق على ابنتها

ليلى فتبحث لها عن زوج و تكون أمه طيبة حتى لا تؤذيها فينتهي الأمر إلى تطليق ابنتها "ليلى" [4]

و من المشاكل التي عالجها المصلحون ظاهرة التبرج و الخلاعة و الخروج عن مألوف الآداب العامة حيث استنكفوا من ذلك و اعتبروه منافيا للقيم الإسلامية كمظاهر العري في الأماكن العامة و في مكاتب العمل و ما إلى ذلك من الظواهر التي رأوا فيها باب تدخل منه الآفات و من ثم تفكك أوصاله و تقضي على عنصر الحياة و التماسك فيه يقول الشيخ أبو يعلى الزواوي في هذا الصدد "....تجرد النساء من الحشمة ،و اختلاطهن بالرجال في المقاهي و التجمعات و الحمامات الصيفية تلك البدعة بل الوقاحة المدهشة ألا وهي اختلاط الرجال و النساء متجردين من اللباس في الاستحمام بشطوط البحار و كذلك في المكاتب و الإدارات..."[5]

وعاب الشيخ عبد المجيد الشافعي على بعض الأولياء إفراطهم في تقييد حرية بناتهم إلى حد منعهم من الاختلاط إلى المدارس والاكتراع من ينابيع العلم والمعرفة الأمر الذي يجعلهن طيلة حياتهن جاهلات أميات بقواعد الدين وأسرار الحياة يحدث سوء التفاهم بين الأزواج ويحدث الطلاق وضياع الأولاد كما يعزف الشباب المثقف على التزوج منهن فيفضي ذلك 'إلى أزمة اجتماعية ..وإني أصارح قرائي المحترمين بأن الأمة الجزائرية قادمة وبوضعها الراهن على مشكلة خطيرة جدا ذلك يوم يصبح الزوج مثقفا والزوجة جاهلية وتسوء المفاهمة بين الجانبين ويتكدر صفو المعاشرة ويذهب الأولاد ضحية هذا الشؤم العظيم وأن أخوف ما أخاف منه أن يأتي يوم يترفع فيه المثقف عن التزوج بالجاهلة وتعم العزوبة وتلك الطامة الكبرى[6]

1- المصدر السابق

2- عن حرمان المرأة في منطقة القبائل من الميراث أرجع إلى الشيخ السعيد بن زكري، أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل -Jean paul charnay la vie Musulmane en Aalgerie p 21 1965 Paris p 86-87

3- أبويعلى الزواوي، قضية ميراث الإناث عند قوم الزواوة جريدة البصائر عدد 67(فيفري 1949)

4- عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، ص 178

5- د/ عبد المالك المرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر.ص 178.

6- عبد المجيد الشافعي ،التقاليد وثقافة المرأة الجزائرية ،جريدة البصائر عدد 295 (1374 هـ-1954 م).

ويدعو الأستاذ الشافعي الأولياء إلى وجوب تجاوز التقاليد البالية حتى نتجاوز التخلف والانحطاط فيقول "أيها الأباء إنكم بهذا مسؤولون ....أركان المجتمع – لا قدر الله – إذا أنتم تماديتم على هذا التحفظ الفاسد واستسلمتم للتقاليد المخطئة التي تمنعكم من التقدم وتبيح لكم التأخر وإني أدعوكم أيها الآباء لتحطموا ذلك السياج الحديدي الذي حال دون تقدمكم وتركم في هاوية الضلالة وأود أن تمدوا أيادي المساعدة لجمعية العلماء وتتعاونوا معها على تكوين جيل جديد من بنات وبنين تسير مع الأمم الحية في المستقبل القريب."[1]

و نظر الأستاذ باعزيز إلى مناسبة " عيد الأمهات" على أنها عديمة المعنى بالنسبة للمجتمع الجزائري الذي آل وضعه إلى الفاقة و البؤس و أن هذا العيد " عيد الأمهات" لا يهم إلا الجاليات الأوربية القادرين على القيام بها أما الأمهات الجزائريات فبعيدين كل البعد عن كل هذا بعد أن صرن يتسولن من أجل أبنائهن "...إننا نسجل بمزيد الأسف أن الكثرة الضخمة من أمهاتنا ، لا تتذوق معنى لعيد الأمومة أو بلغن صداه نظرا لضيق دخل الأسرة الذي يعكر صفو حياتها الروحية أو الأدبية من عدة وجوه أوللخطوب التي حلت بها فافقدها عاهلها، و ألقت بالأم و أولادها صبيتها إلى العراء فأصبحت تحترف التسول و على ذراعها رضيعها الذي لم يبلغ الفطام ،و ما أكثر هذه المناظر المؤذية في شوارع العاصمة[2] و على النقيض من ذلك نجد الميسورين حلا يتفنون في الاحتفاء "...حيث ترى غير بعيد عنها مظاهر الترف و النعيم في تجدد دائم و تطور شامل تجدد الفصول و الأيام و كيف تشعر أم هذه حالتها وهذا مكانها في المجتمع بمعنى من معاني عيد الأمومة؟ و كيف يشعر بنيها و هم حولها يبكون ويتضورون جوعا بأسبوع الطفولة الذي يقال أن الغاية منه هو إدخال السرور على الطفولة البائسة والتنفيس عن كربها بما تجود به أكف ذوي الثراء و الإحسان من التبرعات لحمايتها من الآفات الاجتماعية [3]

و يضيف مستطردا حديثه عن تلك الحياة الوحدانية التي تجد المرأة فيها نفسها بعد أن يهاجر زوجها إلى فرنسا بحثا عن العمل و توفير القوت لعائلته"..ثم كيف تشعر أم بالاحتفال بعيد الأمومة وقرينها قد تركها مكرها منذ سنوات و فارقها وصبيتها إلى حيث يجد ملتمسا للرزق و الكسب عله إذا سعف بالمطلوب أسرع فنفس عنها كربتها و أفاض عليها من دخله و أجره الذي قد لا يتسع لحاجته هو في بلاد الغربة؟[4]

1- المصدر السابق.
2- يعزيز بن عمر، عيد الأمهات جريدة البصائر عدد 322 (10 جوان 1955 19 شوال 1374هـ)
3- المصدر السابق
4- المصدر السابق

و نظرا للأوضاع الاجتماعية الصعبة التي صارت تحياها المرأة الجزائرية و لا مبالاة السلطات الاستعمارية فقد ناشدت كاتبة رمزت إلى اسمها ب " باية" المثقفين الجزائين من علماء و أدباء لكي يأخذوا بيدها و يسعوا إلى ترقية وضعيتها الاجتماعية و الثقافية حيث تقول "..أيها العلماء، أيها الأدباء ، ألم يرق قلبكم لحال المرأة البدوية ألم تكن في قلوبكم رحمة فترحمها كما رحمتم بنت المدينة فابنوا لها المدارس أعطوها حقها في هذه الحياة..يا أهل العلم و الأدب و يا أهل الجاه و المال ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء أخرجوها من الظلمات و سيروا بها إلى نور العلم كبنت المدينة إنها تعيش كالبهائم على الأرض ، فأدبوها و سيروا بها إلى الطريق المستقيم طريق الجنة و النعيم ..علموا البنت إن تعليم البنت هو الذي يرفع عن الأمة الجهل و الأمية و يصعد بها إلى أعلىعليين "[(1)]

و على العموم كانت عناية المثقفين النهضويين الجزائريين بقضايا المرأة الجزائرية قد ركزت على المسائل التالية:

-إعادة الاعتبار للمرأة الجزائرية من خلال السعي لترقيتها ورفع مستواها الاجتماعي حتى تكون في مستوى الدور المنوط بها في المجتمع.

- التصدي للتيارات الغربية الرامية إلى تمسيخ المجتمع برمته، حيث نظر المصلحون الجزائريون إلى دعوة السفور " على أنها دعوة آثمة على اعتبار أنها ظاهرة دخيلة على المجتمع الجزائري جاءت نتيجة احتكاك المرأة المسلمة بالمرأة الأوربية و هي تعبير عن تقليد أعمى للحضارة الغربية.

-سعي النهضة الجزائرية إلى تربية المرأة و تعليمها أمور دينها و دنياها حتى يتسنى لها الإسهام في بناء مجتمعها و تطويره .

- العمل على معالجة مشاكل المرأة الجزائرية الاجتماعية الناتجة عن الوضع الاستعماري من جهة ومستحدثات الحياة العصرية من جهة أخرى ، كتحديد النسل،و العمل خارج البيت، و البؤس الاجتماعي و اقتراح الحلول من منظور الشريعة الإسلامية.

5-الدعوة إلى النهوض الاقتصادي:

لقد تعرض المجتمع الجزائري أكثر من غيره إلى عملية تفكيك شاملة من جراء الحركة الاستيطانية الأوربية و السياسية و القمعية التي مارستها السلطة الاستعمارية إزاء النخب الاجتماعية والطبقات المسيرة مما أدى تحول السلطة السياسية إلى الفرنسيين تحولا كاملا و مصادرة الأملاك

العقارية للمؤسسات الدينية و لأفراد الشرائح الاجتماعية العليا إلى تفقير و انهيار الأرستقراطية العسكرية والمخزنية التقليدية و إلى ذوبانها بصفة نهائية حوالي سنة 1900م[2]

1- باية، البدوية و الحياة جريدة البصائر عدد296

2- نور الدقي، المغرب العربي و الاستعمار ،شركة سراس للنشر تونس 1997،ص60

و آلت عملية الابتزاز العقاري إلى تمركز ملكية الأراضي في يد شريحة قليلة العدد من كبار المعمرين و المؤسسات الخاصة إلى إحداث شروخ عميقة في البيئة الاجتماعية بالريف تمثلت في تراجع عدد المالكين الزراعيين الجزائريين و تعزيز مؤسسة "الخماسية "كما يظهر في الجدول التالي: [1]

السنة	ملاكون	مزارعون	خماسون	عمال زراعيون	السكان الزراعيون والعاملون	إجمالي السكان الزراعيين
1901	620899	37455	350715	151108	1135166	3230647
1910	4530211	/	42685	207707	116476	3525768
1914	565218	40755	407050	210205	116352	3605449
1930	617544	50771	634600	428032	1730974	4419943

و لم يكن الاقتصاد الحضري المعتمد على النقل و البناء و المضاربات التجارية و العقارية لاستيعاب أفواج الفلاحين الوافدين، وقد أدى هذا إلى استفحال ظاهرة البطالة و فقد عدد العاطلين عن العمل إلى 70,000 سنة 1948م من أصل 234554 أجير.[2]

و عرفت تجارة الجزائريين كسادا و تقلصا، في الوقت الذي راحت تجارة المعمرين تزداد تطورا وانتعاشا واتساع نطاق اقتصادهم بفعل مساعدة الدولة لهم، حيث تغدق البنوك بالقروض على الأوروبيين تجار و صناع و فلاحين ، في الوقت الذي بقي فيه الأهالي محرومين من ذلك حيث أبواب البنوك موصدة في وجوههم مما يضطرهم إلى التعامل لدى المرابين الذين يتناولون منهم فائضا يتراوح بين 18 و20%[3] و قد أدى هذا الوضع الاقتصادي المتدني للجزائريين إلى شبه انهيار للبنى الاقتصادية الجزائرية.

وإن العلاقة بين المستعمر والمستعمر هي علاقة اقتصادية بمعنى أن هدف الاستعمار هو البحث عن أكبر منفعة للمستعمر الذي لم ير في المستعمر إلا أداة لإثرائه[4]

أ- السعي لإقامة مشاريع اقتصادية وطنية :

لقد تفطن المثقفون الجزائريون منذ وقت مبكر من القرن العشرين إلى هذا الغزو الاقتصادي الاستعماري الذي فرض وجوده في البلاد بقوة السلاح و المال و هيمن برأسماليه على كل مرافق الحياة الاقتصادية و الاجتماعية فراحوا ينبهون الأمة إلى ضرورة الاهتمام باقتصادهم الوطني و السعي بكل

الوسائل و الإمكانات المتاحة للمحافظة على قيم العمل و في أيدي الجزائريين من حرف و صناعات وأنشطة تجارية.

1- المرجع السابق،ص61
2- المرجع السابق ص 61
3-أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر..ص 392.
4 Bouba Mohammedi, Tabti, La societe Algerienne avant l indipandance dans la litterature OPU Alger 1986 p246

و يبدو أن المفكرين الجزائريين قد تأثروا في هذه المسألة بتلك الأعمال التي نشرها مفكرون كبار في هذا المجال "كخير الدين التونسي في كتابه " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك الذي يحوي في فصوله الكثير من القضايا الاقتصادية التي تعكس" أهمية البعد الثقافي و الحضاري في المسألة الاقتصادية (العمران- الحضارة التقدم) (1) واعتبر نهضة المسلمين لا تتحقق إلا بنشر العلم وتنمية الاقتصاد و في ذلك يقول أن" حسن حال الأمة الاسلامية وتنمية أسباب تمدنها بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان، وتمهيد طرق الثروة من الزراعة والتجارة وترويج سائر الصناعات ونفي أسباب البطالة ، أساسه جميعا حسن الامارة المتولدة منه الأمن، المتولد منه الأمل، المتولد فيه اتقان العمل المشاهد في الممالك الأوروبية بالعيان وليس بعده بيان.."(2) حيث نلمس هذا في رسالة "إرشاد المتعلمين" للشيخ المجاوي حيث جاء في الفصل الرابع منها حديث بائن عن الإقتصاد الذي سماه "المعاش" حيث ذكر ما يلزم للإنسان في هذا المجال من ضرورة عناية " من أعمال مخصوصة أقربها الطبخ و التناول وزد على ذلك لاحتياجه للكسوة و البيوت التي تقيه الحر و البرد. و لله در المأمون العباسي حيث قال : الناس أربعة ذو صناعة و ذو زراعة وذو تجارة و ذو إمارة و ما سوى ذلك فإنهم يغلون الأسعار و يكدرون المياه. أما الصانع فكل الناس يحتاجون إليه و قيل الصنعة آمان من الفقر و لو لم تكن الصنائع شريفة لما كان إدريس عليه السلام خياطا و كذلك لقمان قال الشاعر:

لولا الحياكة و الذين يلونها بدت الفروج و لاحت الأدبار (3)

وفي هذا الصدد لا نستبعد كذلك تأثر التجار الجزائريون المقيمون بتونس،والميزابيونمنهم على وجه الخصوص بالفكر الاقتصادي السائد بتونس في ظل المنافسة القائمة على الحرية الاقتصادية واقتصاد السوق،يقول الباحث التونسي حقي"إن غالبية الملاك والتجار وأصحاب الحرف الحرة المندمجين بكبار الرأسماليين قد استفادوا بشكل واسع من النظام الرأسمالي الذي دخل في تونس مع مؤسسة الحماية الفرنسية "(4)

وفي مطلع القرن العشرين ظهرت دعوات من خلال بعض المقالات المنشورة في بعض جرائد ذلك الوقت تحسس الناس بأهمية الاقتصاد فقد بين السيد الحبيب بن قطاط في مقال له بقوله :" .لولا التجارة والصناعة فما عاش أحد ولما خصص الانسان بأمور من بين سائر الحيوانات وما خلف الله لنا

1- أنظر أحمد جدي ، الإشكالية الاقتصادية في الفكر العربي الحديث، مثال أحمد بن أبي الضياف و خير الدين التونسي، مجلة المستقبل العربي عدد 196 (1995) ص 82 و ما بعدها.

2- خي الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، الطبعة التونسية للنشر ماي 1972، ص 89

3- الشيخ عبد القادر المجاوي ، إرشاد المتعلمين، القاهرة 1877 ص 10

4- HAGGI. OPCIT PP-72 / 77

عقلا إلا لتستنبط به ما ينفعنا، و ما خلق لنا أيد إلا لنستعملها في أمور يكون به إصلاح لشؤوننا"[1]

و حرص على تنبيه المسلمين إلى ضرورة العناية بالنشاط الصناعي و التجاري حتى لا يبقى حكرا على غير المسلمين فقال:". ولو نظرنا في هاتين الصناعتين الشريفتين وجدناهما بين أيدي إسرائيل وغيرهم،و لم نجدها عند المسلمين إلا في بعض أفراد مشتغلين بهما، و لكن ليسوا بقائمين بالمطلوب وغير اعيين فيما يجب عليهم ۤ يهرعون إليه فعند ذلك بعثت بنا الثقافة إلى تنبيه المسلمين من غفلتهم وإيقاظهم من غيبوبتهم...."[2]

و مع مطلع العشرينات من القرن العشرين ، أدرك بعض المفكرين المتنورين الجزائريين مخاطر إهمال الجزائريين للعلوم الاقتصادية و ما يترتب ذلك من آثار سلبية على حياتهم و لذلك دعوا الناس إلى ضرورة التعامل الواعي مع الأنماط الاقتصادية الأوروبية وفق القواعد العلمية التي تضبط كل الأنشطة الاقتصادية التي لا مكان فيها للعفوية و المغامرات و الارتجالية القاتلة.

و على هذا الأساس كانت الدعوة إلى العناية بالاقتصاد و إقامة المشاريع الجماعية كيف تتضاعف ثروة المسلمين فيقدرون بالتالي على تغطية كل النفقات على القطاعات الضرورية في حياتهم فكان الأستاذ عمر بن قدور من الذين دعوا إلى ذلك حيث يقول :" ...إن الاقتصاد هو القوة التي تطلبها لرقي الشعب فيجب أن يعتني بها كالتعليم و هي لا تتكون للأفراد ما لم يكونوا مجتمعين، و إن تكونت الثروة لبعضهم فمن باب الشذوذ...لأن هو أضعاف أضعاف ما يناله الأفراد المتفرقون منا..
فالاجتماع و تأليف الشركات الكبيرة لهذا الغرض يتكون للشعب قوة لا يستهان بها فتتكاثر ثروة أفراده، وإذا تكاثر المال تكونت سعادته و نمت صلاحياته ، و عظمت مجتمعاته واستطاع كل واحد أي يمد يد المساعدة للمشاريع الخيرية و التعليمية [3]

و قد دعا الشيخ ابن باديس إلى ضرورة إدماج الجزائريين في الهياكل الإنتاجية و اكتسابهم للحرف و المعارف و الخبرات المهنية\،و يعد كل ذلك مساهمة فعالة في التكوين الحقيقي للجيل الجديد من الجزائريين و يصل إلى الاعتماد على النفس أي إعداد إطارات الجزائر ما بعد الاستعمار[4]

و قد نصح الشيخ ابن باديس جمعية التربية و التعليم بقسنطينة بضرورة التكفل بتمهين الأيدي العاملة مقيما عملها بقوله،".إن فيها اليوم مصنعا للنسيج.و تسعى جهدها في تحقيق ينص عليه قانونها الأساسي من تأسيس المصانع و الملاجئ و المحلات العامة "[5]

و ينعي الشيخ ابن باديس على المسلمين تفريطهم في الكثير من حرفهم الصناعية التقليدية داعيا إلى رفع

1-أحمد بن قطاط، التجارة و المسلمون، جريدة المغرب عدد 1(10- 4 -1903)
2-المصدر السابق.
3-عمر قدور، التعليم و الاقتصاد، جريدة الصديق عدد 3(13-8-1920)
4- الباحث أحمد مريوش ،دراسة النزعة العقلانية و الوطنية في منظومة ابن باديس...ص 99
5- المرجع السابق ص 100

التحدي و ذلك مزيد من الاهتمام بصناعاتهم "...و طريق المحافظة على ذلك النظام البقاء على إقامة أمين فني على رأس كل صناعة و جلب الآلات الحديثة لاستعمالها في الصناعة و جلب الآلات الحديثة لاستعمالها في الصناعة الوطنية التي يجب مع ذلك أن يسكب عليها الذوق الفني الجزائري الشرقي ويطبع بطابعه الرشيق حتى لا تغزوها الصناعة الحديثة و تطغى عليها كما هو الواقع الآن..."[1]

كما سعت جمعية العلماء المسلمين إلى تحسيس أرباب المال و الأعمال في الجزائر إلى ضرورة توحيد صفوفهم في مؤسسة اقتصادية وطنية حتى يفيد أبناء شعبهم بشكل فعال و عدم ترك الساحة في هذا المجال حكرا على غيرهم، فقد دعا رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1942م إلى تجميع قوة الجزائريين و تكوين مؤسسة الاقتصادية يساهم فيها المسلمون من التجار وغيرهم بروؤس الأموال الإسلامية (الجزائرية) لتكون أداة و نواة لانطلاق اقتصادي كبير.[2]

و قد لبى الدعوة جماعة من كبار الاقتصاديين المسلمين يمثلون العمالات الجزائرية الثلاث وتمخضت بعد ذلك فكرة تأسيس شركة "آمال" للشمال الإفريقي لتكون بذلك شركة " أمل" انطلاقة جديدة من خلال فتح قنوات الاتصال و التبادل و المتاجرة بين الجزائريين.[3]

و تم تأسيس هذه الشركة الاقتصادية في يوم 3 ديسمبر 1942م و كان عدد المساهمين فيها مائة شخص وقدر قيمة السهم الواحد بنصف مليون فرنك فرنسي قديم و بعد أن اجتمع المساهمون انتخبوا مجلسا للإدارة و نصبوا على رأسه الحاج طيار و السيد عباس بن الحسين التركي المعروفان بالنزاهة في ميدان الاقتصاد[4]

كما سعى الشيخ بيوض في كل مناسبة في دروسه ووعظه في المسجد إلى الدعوة إلى النهوض بالنشاط التجاري و تحسين أساليبه و مزاحمة اليهود في تجارة الجملة التي استأثروا بها في الجزائر وعلى تجارها الصغار المسلمين و كان يدعو في دروسه إلى اقتباس الأساليب العصرية الحديثة في التجارة لتكون متاجر المسلمين كمتاجر الأوروبيين أو أحسن في النظام و النظافة و السعة و العمارة

1- الشيخ ابن باديس، الصناعات ومالها من الأثر الفعال و حرمان الجزائر منها مجلة الشهاب ب ج 9 م 6.
2-الأستاذ ناصف ،الإصلاح الاقتصادي في مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين شركة آمال للشمال الافريقي نموذج حي جريدة العصر،عدد 6 (8 ذو الحجة 1417هـ/15 أفريل 1997 ص 209

3- المرجع السابق ص 20
4- عن المساهمين في إنشاء هذه الشركة الوطنية نذكر من عمالة قسنطينة :عمر شيكوقسنطينة، الحاج شاوي بسكرة، خير الدين عبد القادر بسكرة،حسين بن شريف قسنطينة ،فاضل صالح باتنة،باي العقون الحواس عنابة ايت شعلال ايدير شاطو دان احمد التيجاني تماسين و من عمالة الجزائر ،طيار الحاج محمد بن طاهر الجزائر،بليلي محمد الجزائر ابو نوران مصطفى الأصنام، شكيكن عبد الرحمن المدية عباس تركي بن حسين، الجزائر،قدور الزبير الجزائرن موهوب محمد بجاية،خطاب محمد الفرقاني الجزائر، و من عمالة وهران ، بن ديمراد العربي تلمسان، بوعياد العربي تلمسان، بن قلفاط تلمسان، بن علي خالد بلعباس ،أنظر جريدة العصر عدد 6 ص 20.و مذكرات الشيخ خير الدين الجزء 2 ص 106-107 .

وحسن المعاملة و في الأمانة و النشاط و شدة الحب للعمل و إتقانه (1)

و الحق أن الميزابين استجابوا لدعوة الشيخ بيوض و علماء الاصلاح الآخرين في التجارة وأدركوا بعقولهم المثقفة واجبهم في التجارة حيث انشئوا الكثير من شركات التجارة بالجملة في الأقمشة والمواد الغذائية و الأدوية ،و العقاقير و في مواد البناء و التجارة و غيرها فازدهرت هذه الشركات ووقع الإقبال عليها من التجار المسلمين لقد وجدوا فيها الاخوة الإسلامية و الأسعار و الرخيصة والعمارة و النصح و كل ما أرادوا من النظام و النشاط(2)

و كانت هذه النهضة في التجارة خير و بركة على الإصلاح في الجزائر فان التجار بتبرعاتهم السخية يمدون الحركة الإصلاحية في كل مشاريعها الخيرية في مدارسها كما أن بعض الميزابيين استثمروا في مجال النقل و ذلك لتخفيف المعاناة عن سكان الجنوب الذين كانوا يجدون صعوبة كبيرة للسفر إلى الشمال حيث كان تأسيس شركة النقل للشيخ بوكامل خير مثال على ذلك فزيادة على مجهوداته الكبيرة في تسيير أمور السفر لإخوانه في الجنوب فإنه كان محسنا لا تطغيه المادة فكان بذلك نموذجا لمن يريد حقيقة خدمة الصالح العام حيث صار يضطلع كل سنة بحجيج بيت الله الحرام "... إنه اعتاد أن يقوم كل سنة هو و أبناؤه و عماله و مشروعه سائر مهمات حجاج بيت الله الحرام في الذهاب والإياب (3)

أما الأستاذ مالك بن نبي الذي درس أحوال و بلدان بلدان العالم الإسلامي و لاحظ ذلك الضعف الملحوظ في البنيات الاقتصادية لأقطاره فقد دعا المسلمين الى استثمار طاقاتهم من أجل بدء مسيرة التقدم القتصادي.

" إن وطنا متخلفا لا بد له أن يستثمر سائر ما فيه من طاقات يستثمر كافة عقوله و سواعده و دقائقه و كل وشبر من ترابه، فتلك هي العجلة الضخمة التي يجب دفعها لإنشاء حركة اجتماعية و استمرار تلك الحركة." (4)

و يكشف لهم قيمة الاستثمار الجماعي في إنجاز المشاريع التي تخرج العالم الإسلامي من ركوده وتخلفه فيقول:"...إذا أردت البلدان الإسلامية أن تخرج من مشاكلها الاقتصادية و تحقيق اقتصاد متطور يواكب اقتصاد العالم لا بد لها من انتهاج سياسة الاستثمار الاجتماعي..."(5)

و يرى أن نجاح المشاريع الاقتصادية ليس بالامر الهين، فوراء نجاح أي نشاط اقتصادي نجد انسان متكون و مثقف "...الانسان اساس نجاح أية خطة اقتصادية ، و لكن عندما يكون قد ربي على

1-الشيخ محمد ديوز، أعلام الإصلاح في الجزائر الجزء 5 دار البعث قسنطينة1403 هـ/ 1982م ص 59
2- المصدر السابق، ص 59
3- أنظر مقال بدون توقيع، كيف تكون الوطنية الصادقة جريدة الأمة عدد 22(1935/2/26)
4-مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه ، دمشق دار الفكر،سنة 1978، ص 172
5- المصدر السابق، ص 168.

لالتزام الدقيق بالقيم الحضارية لمجتمعه حتى تكون أفكاره و مفاهيمه متجانسة مع الوسط الثقافي بشكل كامل بالقيم الحضارية[1] بيد أن ذلك كله لا يعني شيء إذا بقي المسلمون لا يترجمون فكرهم النظري إلى عمل ملموس في الواقع " إن الهوة الحاصلة بين عالم الفكر و عالم التطبيق هي السبب الأساسي في التخلف الحاصل في العالم الإسلامي و لا بد إذن من نقل الأفكار إلى حيز التطبيق العملي حتى تنطلق عجلة البناء، و حتى تتحول الأفكار إلى وظيفة اجتماعية ،ثورية الآفق تقدميـــــة الأبعاد .[2]

و إن حل المشكلة الاقتصادية عند مالك بن نبي منحصر حتما في الوعي الاقتصادي و يتجلى هذا الوعي الاقتصادي في التكوين الشخصي للفرد و تغيير عاداته و نسق نشاطه و مواقفه أمام المشاكل الاجتماعية كما يتمثل من جهة أخرى في الانتقال من المرحلة النباتية إلى الوضع الإيجابي الفعال[3]

و يرى ابن نبي أن المشاكل لا تحل بصورة جذرية إلا في إطار الاتحاد الاقتصادي في الميدان الزراعي و الصناعي ذلك أن البلد القليل المساحة و القليل السكان لا يمكنه أن يتخلى بأية صورة من الصور عن الاتحاد كما يرى من جهة أخرى ضرورة تكتل المنتجين للمواد الأولية ككتل البلدان الصناعية صاحبة العملة الصعبة و ذلك من اجل إحلال العدالة في ميدان المبادلات التجارية، هذا ويلاحظ مالك بن نبي أن الفكر الإسلامي بعد الموحدين أمسى آلة تدور في فراغ ،تسمع جعجعة و لا ترى طحنا حتى أن اتجاها أو مذهبها اقتصاديا إسلاميا خاصة لم يكن ليقوى على البزوغ لأن قحط القرائح والعقول ليس كمثله قحط[4] .

و أن الحل لا يكون في تبني النموذج الاشتراكي، أو النموذج الرأسمالي بقدر ما يكمن في العمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي بإمكانات الأمة العربية الإسلامية [5] وحسب الشيخ عبد الحميد بن باديس فانه في مجال التنمية الاقتصادية نجد الاسلام قد دعى الى لون من العدالة الاجنتماعية هو اقرب الى الانسانية من الدعوات المتطرفة الجامحة التي تعرقل سير الحضارة الانسانية وفقا للسليقة البشرية ذلك ان الاسلام يدعو الى اشراك الفقراء في الاموال حيث شرع في مجال النهوض الاقصادي وسائل غير الربا والاحتكار مثل القراض المزارعة والمغارسة مما يظهر فيه التعاون العادل بين العمال واصحاب الاراض والاموال وهذه دعوة الى العدالة الاجتماعية سقت الدعوات الوضعية بمئات السنين (6)

ب- الحث على ترقية تجارة الجزائريين: كانت تجارة الجزائريين متخلفة و ليست في مستوى مقبول يؤهلها إلى تلبية حاجات الناس الأمر الذي جعل الساحة تخلو للتجار اليهود الذين كانوا يهيمنون على قطاع التجارة و زادتهم هيمنتهم و غطرستهم عندما جاءت الحرب العالمية الأولى حيث استعملوها ، فأثروا ثراء فاحشا على حساب الشعب الجزائري عندما علموا بضعف المستوى الاقتصادي الأهلي فراحوا يشددون الخناق على تجار المسلمين بالاحتكار و المراباة الفاحشة كما كان المستعمر من ألذ

1-د/ أسعد السحمراني،مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا دار النفائس ط(2) 1406 هـ 1986 م ص 241
2- المرجع السابق،ص .242
3- د/ عبد اللطيف عياد، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي ،ص 50
4- المرجع السابق،ص 50
5- المرجع السابق،ص 55.
6- عبد الكريم بوصفصاف، أسس الدعوة الاصلاحية في حركة علماء الجزائر خلال النصف الاول من القرن العشرين، سيرتا، عدد10، 1988، ص 148 وما بعدها

أعداء التجارة الأهلية، فهو يفرض عليها الضرائب الثقيلة وينزل بها على رؤوس المسلمين دون غيرهم.[1] و قد اعتبر الشيخ المولود الزريبي مع بداية العشرينات أن تقدم الأمة مرهون بتقدم تجارتنا حيث يقول ". يجب على التاجر اليوم أن يجري على الطريقة التجارية الحديثة فان الربح الناهض في رواج البضائع لا في وقوفها و قد علم بالمشاهدة لدى أرباب السلع فضل ربح المال المدار مرات متعددة على ربح واحد ناشئ عن الاحتكار.....

و أما اليوم يجب على التاجر سلوك الطريق العصري و اتفان مسك الدفاتر......[2]

و كشف الأستاذ أبو اليقظان في مقال مطول له في عدة حلقات تحت عنوان " تجارتنا وتجارتهم " عن معاناة الجزائريين و حالة الإذلال التي آل أمرهم إليها بعد أن أصبحت ناصية تجارتهم بيد اليهود حيث صور هذه الحالة تصويرا دقيقا تدمى له القلوب و تتقطع له الأكباد مستحضرا مشهد حي عن عنت و استهتار التاجر اليهودي بالتاجر المسلم عندما يذهب إلى محله لشراء بضاعة فيقول:"... إذا توجه الى بعض المستودعات الكبرى ليستورد ما يسد به فراغ دكانه فهنالك المقت الأزرق و الموت الأحمر يلاقي من السيد صاحب المستودع الشموخ بالأنف إلى عنان السماء الإعراض بالجانب المصاعرة بالخد عبارات التحقير و الاستخفاف بالمسلم و ما تصرف عن الإسلام و المسكين يتذلل وهو عظيم و يتبلد وهو ذكي، و يتصامم و هو سميع كل ذلك منه تلطيف من نزف السيد عله يجد المجاملة و الملاينة في المعاملة[3]

أما عن المضايقات و التعسير و في التخليص فحدث و لا حرج "..فإذا جاء دور المساومة، جاءت المغالاة في الأثمان و المضايقات في الآجال و المقلقات و المضحكات و المبكيات فإذا وصل دكانه سابقته كشوف الأسعار و ضايقته رؤوس الشهور و توالت عليه الرسوم كإشراط الساعة وتساقطت عليه الأوراق كأوراق الخريف.[4]

و يرى الأستاذ أبو اليقظان أن سر تخلف تجارة المسلمين وازدهار تجارة غيرهم يعود إلى كون الآخرين و هم اليهود " انتصروا بالعلم و الاتحاد و المال.."أما نحن يقصد المسلمين فقد " انهزمنا بالجهل و الافتراق و الفقر.."[5]

و يرشد الأستاذ أبو اليقظان التجار المسلمين الميزابين إذ أرادوا حقيقة أن يعطوا دفعا لتجارتهم

1- د/ ناصر، المقالة الصحفية،ج 2 ،ص 87

2- الشيخ بن محمد الأزهري، تقدم الأمة بتقدم تجارتها جريدة الصديق عدد 43 (12-9-1921)
3- أبو اليقظان، تجارتنا و تجارتهم جريدة وادي ميزاب عدد1(1-10-1926)
4- المصدر السابق عدد 1 (1-10-1926)
5- المصدر السابق عدد 1 (1-10-1926)

فيخرجونها من حالة التخلف و الركود و يرتقون بها إلى مصاف التجارة الراقية المزدهرة أن يلتزموا باتخاذ الإجراءات التالية: التي تقوم على التنظيم و العلم و القدرة.

1- العلم: لمعرفة الحسابات و مسك الدفاتر و المكاييل و المقاييس و النظامات المالية و مسايرة الحركات الاقتصادية في العالم و مراقبة الأسعار في العواصم في الطلوع و النزول و معرفة المصادر والموارد و المفاهمة مع أصحابها على اختلاف الألسن و اللغات وكيف تؤسس النقابات و الشركات وتدار المستودعات و المصارف الكبرى بالضبط و النظام الخ [1]

و قد نصح في هذا الصدد بضرورة إعداد الإطارات من الناحية العلمية و إدراك قواعد الشريعة الإسلامية حتى يقدروا على ممارسة نشاطاتهم التجارية بشكل صحيح و سليم و خال من كل الشبهات"...تعليم أبنائها جميع ما يتعلق بالمسائل المالية من الحلال و الحرام و إحكام البيوع و الربا[2] وسائر النوازل المستحدثة حتى بعلم الولد ما يؤخذ و ما يذر و ما يحل و ما يمنع لئلا يتسرب إليه الفساد فيخسر الربح ورأسمال فتسري عدواه لغيره فيفسد عليهم دينهم و دنياهم فلا يبارك الله في أعمالهم و لا يجيب دعائهم..و فضلا عما يتركه الطعام الحرام من الأثر السيئ بالأمة في الدنيا فإنه يورث صاحبه الغضب الإلهي العذاب المخلد في النار...[3]

ثم يدعو إلى إخضاع هؤلاء الأولاد إلى تربصات ميدانية حتى يستكملوا تكوينهم و من ثم يمكن التعويل عليهم فيقول :"..تعليمهم الحساب و مسك الدفاتر ......تدريبهم على أساليب التجارة العملية وإدارة المستودعات الكبرى حتى يعرفوا كيف الأخذ و العطاء و كيف الاستصدار و الاستيراد.
وربط الصلات بينهم و بين الديار الكبرى." و الأكثر من هذا دلهم أيضا على ضرورة معرفة علوم عليها يتوقف نجاح النشاط التجاري معلم النفس التجاري، و القانون التجاري فمعرفة "........طبائع الحرفاء وأذوقاهم و أميالهم و مبالغهم في الثقة و المال حتى يعرفوا ما تمس حاجتهم إليه فيدخروه و كيفية التوصل للحقوق المالية لدى المحاكم إذا اغتصبها النصابون و المحتالون........"[4]

2- الاتحاد: لتوحيد الأسعار و تسيير دفة التجارة على وتيرة واحدة ،والدفاع عن كيانهم وحل مشاكلهم و إنقاذ ضعيفهم و تنظيم جبهة المقاطعة لخصمهم كاشفا في نفس الوقت حالة الشقاق المنافية لكل تقدم في

1-أبو اليقظان، تجارتنا و تجارتهم جريدة وادي ميزاب عدد 3 (15-10-1926)
2-يتفق هذا مع مقاصد الشريعة الإسلامية التي تحرم الربا كونه يفسد كيان الجماعة البشرية و يهدم تضمانها بما يبثه من روح الشره و الطمع و الأثرة و مقصد المنع هو الحيلولة دون هذه المحاباة لرأسمال المال على حساب الجمهور والتاريخ و لكن لا يضل دولة بين أغنياء المجتمع و هو بمثابة مقدمة لظاهرة التضخم و مسبب للأزمات الاقتصادية،لأنه

يشكل فائض القيمة الذي يأكله القوي دون مبرر باستغلال حاجة الضعيف أنظر د/ محمود الخالدي سوسيولوجيا الاقتصاد الإسلامي شركة الشهاب الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989، ص 66-67.

3- أبو اليقظان، تجارتنا و تجارتهم جريدة وادي ميزاب عدد4(22-10-1926)

4- المصدر السابق،عدد4(22-10-1926).

الأوساط الإسلامية لعلهم يقلعوا عنها فيقول: "...و الشقاق قد دبت عقاربه بين الأفراد و الجماعات لأسباب واهية يتنازعون و يتخاصمون كلهم لم يشعروا انهم إخوانا دينا و لغة ووطنا و جنسا و مصلحة ....إذا عثر بأحدهم جدة سعوا ضده لدى أعدائه و أعدائهم حتى يورطوه و يريحوا أنفسهم من وجوده، وإذا ربح فيهم واحدا أو نبغ منهم نابغة حسدوه و التقطوا له السقطات ووضعوا له العراقيل حتى يصرعوه خوفا من أن يظهر لهم تعاليا عليهم فيعيشوا كلهم رقودا في حضيض إلا ما شاء ربك...[1]

3- و المال لتوسيع نطاق التجارة وتحسينها و التطور بها و نفخ روح الحركة و النشاط في سائر دوالبها و استيراد البضائع في أوقاتها [2]

و لم ينس أن يبرز حالة الفقر البادية للعيان و التي لا تسمح بتطوير تجارة و لا ازدهارها وكأنهم يريد أن يقول للناس بضرورة العمل لتجاوزها فيقول:"......و الفقر عام فلا رؤوس أموال يستتدرونها لتحريك دواليب التجارة و توسيع نطاقها لا مصارف لهمم على القواعد الإسلامية يتوكئون عليها و لا نقابات لتوحيد أساليب التجارة و حل المشاكل و الأخذ بيد ضعيفهم إلا ما كان من النزر اليسير مما لا يسمن و لا يغني..."[3]

و حتى يتسنى لمعشر الفلاحين و التجار و أهل الحرف التغلب على نفوذ اليهود التجاري والمالي و المعرفي اقترح الأستاذ أبو اليقظان إقامة مصرف جزائري لا مكان فيه للمعاملات الربوية و يقوم على قواعد الشريعة الإسلامية "...يؤسسونه على القواعد الإسلامية المقررة في الفقه الإسلامي و ييسرونه بالأساليب العصرية و يغذونه من رؤوس أموال المثربيين من المسلمين في الجزائر-فانه فيما يرى الوسيلة الوحيدة التي تنقذ الفلاح و التاجر الأهلي من تعاستها..........[4]

و ذهب الأستاذ أبو اليقظان في مقاله " الانتحار التجاري" إلى أن المنافسة التجارية لا يمكن أن تكون بين الجهلاء و الخبراء و أن الجهل بأصول التجارة[5]. يعد أحد الأسباب الرئيسية للإخفاق في المشاريع التجارية، فلكل حرفة رجالها و خبراتها، و من جهل شيئا عاداه و فاقد الشيء لا يعطيه و في ذلك يقول :" ....و منها الجهل بفن التجارة و قواعدها لا بين الجهلاء أمثاله و لكن بين شياطين التجارة وعفاريتها المتخرجين من مدارسها فيحاول أن يقلدهم فيصبح واردهم كالعصفور أراد أن يقلد في مشيه مشية الحمام فبقي مذبذبا لا هو أحسن التقليد و لا هو بقي على مشيته وتلك نتيجة طبيعية للجهل بالشيء و الدخول فيه على غير هدى و كيف يحسن المرء شيئا و يجيده و هو لم يتخرج فيه عن أربابه و إنما دخله في غمرة من الوقت و غفلة من الزحف ،لو كانت (الصنعة صنعة) كما يقولون لما صلح هذا

---

1 - الشيخ أبو اليقظان، تجاتنا وتجارتهم جريدة وادي ميزاب عدد 3(15أفريل 1926)
2- المصدر السابق عدد3 (15-10-1926) 3- المصدر السابق عدد 3 (15-10-1926)
4- الشيخ أبو اليقظان،حاجة الجزائر إلى مصرف أهلي جريدة وادي ميزاب عدد 89(29-6-1926)
5- انظر في هذا الصدد كذلك مقال "من امراضنا الاجتماعية" للاستاذ الحفناوي هالي الذي اعتبر فيه كساد السلع و خسارة التجارة وضياع الرأس المال مرده جهل التجار المسلمين لابسط قواعد التجارة وعلم الاقتصاد وغيابة الجمعيات الاقتصادية ، جريدة البصائر عدد 82 .

المعلم إلا لكنس الحنوت...[1]

معتبرا هؤلاء المتطفلين على مهنة التجارة هم سبب فساد سمعتها "...و يا مصيبة الفنون من أمثال هؤلاء الأدعياء الذين يعكرون الموارد لا هم يشربون و لا هم يدعون من يشرب ،وهو السبب الوحيد في فساد سمعة الفن و تشويه جماله بين البصراء و النقاد على أن سهام الخسارة إنما تصيبهم مباشرة قبل كل أحد..."[2]

و لا تنتهي المشكلة في حقيقة الأمر بمزيد من الترقيع لواقع تجارة المسلمين الجزائريين المتدني بقدر ما ينبغي التفكير في تحقيق الملموس من العمل المفيد هذا ما ذهب إليه أحد الكتاب بجريدة الأمة في مقال تحت عنوان " هل لتجارتنا من نهوض؟" حيث دعا إلى وجوب النهوض بالتجارة من خلال المبادرات الميدانية و تجاوز حالة النقد السلبي الذي لا يترجم إلى أعمال فالأمة في حاجة إلى رجال عمل لا إلى رجال قول إذا ما أردنا حقا أن نرفع من مقام تجارتنا و نجعلها قادرة على مواجهة تحديات العصر.

".....كلنا متفق على أن تجارتنا متأخرة كثيرا بالنسبة لغيرنا و يحتاج منا شيء من التجديد و الإصلاح وهذا شيء ممكن بل سهل التناول إذا وجد رجال عاملون يدركون كنه التعاضد و الوئام يقدمون ذلك رغبة في تأسيس الجمعيات و عقد الشركات ترى أكثرنا ...بالضعف الذي نحن فيه و لا يجهل التقصير القاضي على أعمالنا، و لكن قليل جدا من يلفت نظره إلى اكتشاف وجه الصواب و هذا عجز يجب التخلص منه... بل الواجب هو السعي في العمل و المشاركة في البحث عن وسائل الإصلاح بدل التشكي الذي لا يجدي و التذمر الذي ليس من ورائه نتيجة..[3]

و يدعو صراحة إلى قفزة نوعية في هذا الميدان يمكن التجار الجزائريين من تجاوز حالة الاحتكار والهيمنة اليهودية و الاستعمارية على التجارة من خلال تأسيس شركات تجارية للبضائع يتعامل معها التجار الجزائريين مباشرة فيقول "...أن نقوم قومه رجل واحد و نأخذ في تأسيس الشركات المنظمة ليمكن لنا جلب البضائع مباشرة من أماكنها و توزيعها على أهل التفصيل منا مع حسن المعاملة فبذلك تتكون منا أمة جديرة بالحياة الحقة [4] و حذر الجزائريين من مغبة القعود عن العمل في هذا الميدان بأوخم العواقب التي ستلحقهم و تزيد في مأساتهم و مهانتهم "...و أما البقاء على ما نحن فيه وترك الحبل على القارب و التردد و التواني و هذا لا يزيد إلا ضعفا و هوانا و لا يزيد أولئك الذين نتردد عليهم صباح مساء لمساومة بضائعهم إلا تمردا و استئثارا و أخشى أن يسفه العجز أحلامنا

1 - أبو اليقظان،الانتحار التجاري و أخطاره جريدة الأمة عدد 49 (5-11-1935(7 شعبان ،1354هـ)

2-المصدر السابق عدد 49 (5-11-1935).

3- مجهول، هل لتجارتنا من نهوض؟ جريدة الأمة مم-م-ب سيرة.عدد 7(21 رجب 1353هـ 30 أكتوبرر 1934)

4- المصدر السابق.

ويقضي على أشعة آمالنا التي لا تزال تلمع من وراء الطيب فيض الله للعمل رجالا يخرجونها إلى عالم الظهور..." (1)

و اعتبر مسألة المال في تطورهم و تخلفنا في هذا المجال حجة واهية و تضليلا لا يستقيم مع منطق التطور فالثورة و ليدة العمل التعاوني و العكس ليس صحيحا"... قد يقال أن في أيدي غيرنا ثروة لا سبيل لنا إلى مجاراتهم في ميدان العمل... و هذه حجة دامغة و سخافة باطلة إذ الشواهد تحقق لنا أن الفضل في تحصيل الثروة يرجح إلى روح التعاون الدائب بينهم و إلى تسيير الأمور بدقة و حكمة و إلى حسن الظن بأنفسهم و الطموح إلى التقدم و هذا في مقدورنا و متناول أيدينا متى أردنا..." (2)

و ارجع ثراءهم و احتكارهم لقطاع التجارة إلى رضوخنا لهم و استسلامنا لاملائتهم حاثا المسلمين على ضرورة العمل و الوحدة لصنع مستقبل الأمة و النهوض بها "...و الفضل في ثرواتهم الطائلة يرجع أيضا إلى سخائنا معهم و الرضوخ لمعاملاتهم كما شاء و شاءت لهم أغراضهم و القناعة بما نتحصله من بعد احتكارهم الفاحش! كفى من التقصير الذي قضى علينا حينا من الدهر و لنستأنف العمل من جديد ،فالوقت وقت جد و عمل فان النهوض حياة و في التقدم سعادة و في الاتحاد قوة..."(3)

من خلال كل ما تقدم يظهر لنا إجماع الوطنيين من الجزائريين على ضرورة التعويل على النفس و القدرات الذاتية لتجاوز تخلفها الكبير في تجارتها.

- و توحيد الجهود الفردية المشتتة من خلال خلق مشاريع جماعية تعود بالفائدة على الجميع.
- عصرنة قطاع التجارة و تطوير آلياته من خلال غرس الثقافة التجارية
- القيام بمبادرات وطنية لكسر احتكار اليهود للتجارة في الجزائر.

جـ - في مواجهة الأزمات الاقتصادية:

عرفت الجزائر أزمات اقتصادية خانقة تركت انعكاساتها على الأهالي من الناحية الاجتماعية حيث أدت حالات الجفاف و القحط و الجراد إلى مزيد من التدني لمستوى المعيشة عند الأهالي و ظهرت المجاعات كصورة من ابشع صور المآسات التي عرفتها البلاد، و لعل أشدها تلك التي وقعت سنة 1920م التي صار فيها الناس يتسقطون أمواتا في الأسواق من الجوع (4) و اضطر الناس إلى أن يقتاتوا من الأعشاب كالخبيزة و التلاغودة (5) (نوع من البطاطا البرية) و تضاعفت الأسعار في سائر أنحاء

1- المصدر السابق

2- المصدر السابق

3- المصدر السابق

4- محمد الخروبي، مسبغة عظمى ، جريدة الفاروق عدد 6 (12-7-1920)
5- كان الناس في زمن المجاعات يذهبون جماعات جماعات إلى الحقول لاستخراج هذه النبتة من الأرض ثم يقومون بتجفيفها في الشمس قبل طحنها و صنع الغذاء منها و في الكثير من الأحيان خلطها بشيء من الدقيق حتى يمكن أكلها لمرارتها.

البلاد ولكن هذا ليس وقت الموعظة و التوبيخ بل وقت السعي لإنجاد التعساء من مخالب الفاقة التي حطت رحالها في ديارهم...و ألجأهم الجوع للنهب و السلب و الفرار أفواجا نحو المدن و القرى بقصد طلب ما يسد الرمق من أرباب الثروة و المقدرة...[1]

و حتى تجد دعوته صداها عند الأغنياء ربطها بإخلاص النية لله تعالى رجاء الثواب منه".إخواني ابن الهمم العالية ،ابن القلوب الرحيمة...أين أهل الصدقات و التبرعات في سبيل الله ورسوله هلموا وأنقذوا إخوانكم من اعظم المصائب ألا وهو داء الجوع فمن الواجب على كل الأهالي أن يؤسسوا من الآن جمعيات خيرية في المدن و القرى و البوادي لجمع التبرعات من مال و حبوب وتوزيعها على الضعفاء و المساكين و من خانته الأيام وردته ذليلا بعد عزة.."[2]

و يظهر أن الأزمات الاقتصادية الخانقة في الجزائر لم تعرف انحسارا و لا توقفا بل ازدادت انتشارا وتفاقما الأمر الذي جعل المثقفين الجزائريين يدعون إلى مزيد من الاجتهاد و السعي الحثيث لإيجاد حلول لها والتخفيف من وطأتها الشديدة على الفقراء و المحرومين و هذا ما نلمسه من خطاباتهم منذ منتصف العشرينات من القرن العشرين حيث ذهب المثقفون إلى تقديم اقتراحات لمواجهة الأزمة الاقتصادية وتوجيه دعوات للقادرين لمد العون لضحايا الأزمة الاقتصادية، و ذهب البعض الآخر إلى ضرورة إقامة مشاريع لمحاصرة الأزمات و حلها بشكل جذري فقد دعا الأستاذ محمد الصالح خبشاش الأمة الجزائرية إلى ضرورة تمتين بنيتها الاقتصادية بقدراتها المتجمعة و ذلك من خلال تأسيس شركات وطنية تملك رؤوس أوال تواجه بها كل التحديات و ذلك ".بتأسيس شركات ذوات رؤوس أموال تشتري الحبوب و توفرها لحين الحاجة ثم توزيعها على المحتاجين مع ضم المصاريف اللازمة..." [3] مع دعوة عامة للناس بترشيد النفقات "...فهذا عصر رحلت فيه خيرات بلادنا إلى أقاصي أكسيا و بلاد الأمريك... فاقتصدوا إذا شئتم أن يبقى فيكم عرق ينبض و إلا فاستعدوا للرحيل من هذا العالم..."[4]

أما الشيخ عبد الرحمن بن عمر فقد ترجى الجزائريين لكي يحسنوا وضعهم الاقتصادي أن يعتنوا بفلاحة الأرض فهي مصدر رزق لهم ولعائلاتهم وأبناء شعبهم:.

"..اعتنوا أيها الجزائريون بعمل الأرض فهي الكنز الذي يريش الأفراد و الأمم.. أعطوها قليلا تعطيكم كثيرا، فالدنيا كلها أخذ و عطاء...فهل تستفيق أمة الجزائر؟ و متى تقر عينها ببينهما و تكون أزمة

1-الأمير خالد،المجاعة و دوائرها جريدة الإقدام عدد 9 (1920/11/15)
2-المصدر السابق.

3-الأستاذ محمد الصالح خبشاش، هلم الى تأسيس الشركات جريدة الحق عدد 10(23-7-1926) نقلا عن ناصر المقالة ج 2 ص .102

4-محمد الصالح خبشاش،الاقتصاد عمار و الإسراف دمار جريدة الحق عدد 11(25-7-1926) عن المقالة ص 102-103

التجارة بأيديهم؟ و متى تتورد خدودها باستحواذهم على خياراتها؟..."[1]

و في سبيل تعزيز الكيان الجزائري و المحافظة على تماسكه و مناعته ناشد أحد المثقفين معشر الأغنياء و الأثرياء كي يعملوا على إنشاء جمعيات تعاونية لمساعدة ضحايا الأزمة الاقتصادية، ضاربا لهم أمثلة حية في هذا المجال من أوروبا فقط في الضروريات لا في الكماليات كما هو عند الغربيين"... فهل في رجالنا الموسرين الكرماء من تحملهم نفوسهم الكريمة و شهامتهم الإسلامية لتأسيس جمعية من هذا النوع تعاونون فيها على انتشال منكوبيهم مما وقعوا فيه لا لجرم أو تبذير و إنما لمجرد خناق الأزمة...و أن لم يكن بباعث الأريجية الدينية فبالاقتداء برجال سويسرا على الأقل لا في الناحية الكمالية و لكن في الضرورية فقط..."[2] معتبرا هذه المبادرة بمثابة إرساء لتقاليد حسنة في المجتمع تجعل الجميع يطمئنون ويأتمنون من عوادي الدهر و نوائبه و هو بمثابة استثمار يعود عليهم و على الأجيال الآتية بالخير العميم"...و يعلم الله إذا فعلوا كم يحملون من أجر و كم يكسبون من فضل و يتحملون من محمدة و كم يوفرون من كرامة و ما يدريهم أنهم بهذا الصنيع الجميل-يمهدون لهم و لأجيالهم فرنشا وتيرة من الاحسان والمساواة فيما إذا مسهم وأجيالهم الدهر بنابه لا قدر الله فالناس دول و اليوم يومان: يوم لك ويوم عليك..." [3]

و من أجل تنوير العامة و الميسورين منهم على وجه الخصوص بمخاطر و تداعيات هذه الأزمة الاقتصادية المتفاقمة سرد جملة من الحقائق المرة عما آل إليه كيان المجتمع من تفكك و تمزق وتناحر قيما بين أفراده الأمر الذي يستدعي و يتوجب تحمل المسؤولية ، من خلال إنشاء الجمعيات لكي تعمل على تضميد الجراحات،والتخفيف من حدة المعاناة المادية و خلق أجواء الصفاء و المحبة وزرع روح التكافل في صفوف أبناء الأمة فالأزمة كان من نتائجها"... ما نراه في أغلب الأوساط من قلق النفوس وضيق الصدور و صفر العقول، و تبدل الأخلاق و تغيير الطباع ففسدت العلاقات و تفككت الروابط وكثرت الخصومات و المنازعات لأجل بقلة أو ثمرة أو قرعة عنقودا و ما إليها من التوافه والسفاسف أو ليس من الواجب إزاء هذه الحالة الشاذة تأسيس جمعيات للتوفيق بين المصالح و إصلاح ذات البين تخيفا لأثقال الهموم و العموم من المتجاورين و سد لمنافذ الشحناء و البغضاء و تبديد لأسباب العناء والشقاء و تنمية للمحبة و الأخوة العامة و توفير لوسائل الراحة و الهناء؟

و هل هذا يتيسر بغير التعاون و تضحية بشيء من الوقت و الجاه و المال؟..." [4] محذرا من اللامبالاة وعواقبها الوخيمة فيقول:"...أما إلقاء الحبل على الغارب و ترك الناس

1- عبد الرحمن بن عمر، الحياة الصناعية و الزراعية في الجزائر جريدة وادي ميزاب عدد 264(6-1-1928).
2- أبو اليقظان، التعاون الاجتماعي و آثاره في الأمم و الجماعات جريدة الأمة عدد (1932/09/8)
3- المصدر السابق.
4- المصدر السابق.

يناوش بعضهم بعضا القوي يأكل الضعيف و الغني يبتلع الفقير فهذا لا حدله إلا اشتعمال نيران الفتن والقلاقل والاضطرابات و الكل صائر إلى هذه الهوة لا محالة إذا لم يتدارك بربهم الحكمة و حصافة الرأي..."[1]

كما يبدو أن المشاريع المنجزة لمصلحة الجزائريين لم يقم بأعبائها إلا أصحاب الدخل المتوسط و قليل من الميسورين فكثير من الأغنياء أعمت بصيرتهم المادة و تمكن الشح من نفوسهم فلم يعودوا يبالون بأوضاع أمتهم مهما كانت متدنية و في حاجة إلى إصلاحها مما كان يحز في نفوس الناس و يدخل الأسى في قلوبهم و لسان حالهم يقول: كيف بالضعفاء يساعدون و يساهمون و الأثرياء يرفضون ويتبرمون من المشاركة في المشاريع الخيرية "...كلما دخلت بلدة و سألت عن حركة النهوض فيها وجدت أنها في النماء و الازدهار لكنك متى اجتمعت بأركان الحركة و مسيريها أمام الجماهير واستقصيتم عن نشاط الأغنياء و إقبالهم و التفافهم حولهم وجدت منهم عيون تدمي و قلوب مقرحة ونفوسا تفور تكاد تميز من الغيظ فتأخذك الدهشة و الاستغراب في السر في ذلك!

هنالك يفيضون لك كالسيول المنهمرة في حالتهم معهم و يبينون لك في جلاء إنه ما قامت تلك الحركة إلا على أكتافهم و أكتاف أفراد قلائل من الكرماء و متوسطي الحال فهم الكل في الكل عند كل نائبة و كل حادثة و ملمة..." [2] و الأكثر من ذلك تجدهم يسخرون من رجال الخير يتعللون من امتناعهم من المساهمة في مشاريع الخير بالأسباب الواهية التي لا تقنع أحدا "...أما حضرات عامة الأغنياء والموسرين فهم في معزل عن هذا بل تراهم يضحكون على أذقان أولئك الفضلاء الكرماء و يعدونهم من البله و الغفلة بمكان و ربما يتخذونهم هزوءا و فاكهة أفواههم إذا قدر لك أن تشير على أحدهم بمعاضدة المشروع الفلاني أو الجمعية الخيرية الفلانية اعتذر لك بان العام كبير و أن الأزمة شديدة و انه أبو أولاد و ببذره في تلك يدخره لهم..."[3]

و نلمس في مقال نشره صاحبه وادي ميزاب لم يكشف عن اسمه تحت عنوان: " نظرة في تأسيس الجمعيات الخيرية" بعد نظر كبير في معالجة أزمة المجتمع الاقتصادية و تداعياتها حيث لم تقتصر دعوته على إغاثة الملهوفين و مواساة المحتاجين بصورة مستعجلة بل نجده يبحث عن حلول جذرية لتجاوز الأزمة من خلال تأسيس المشاريع للشغل و تعلم الصنائع حتى يكون ثمة الانتاج و كفاية "... ليس المطلوب من الأمة مجرد الإحسان و إنما المطلوب منها الإحسان و التسول و تصريفه في مصارفه ووضعه في مواضعه حتى يثمر الثمرة المنشودة منه و إلا فإنه ينتج رد فعل..إن تخفيف وطأة الجوع على الإنسان حسن جدا و لكن وجهة أخرى عنه الكسل و الاتكال فيزداد بذلك الوهن و البطالة

1- المصدر السابق.

2--مجهول، أين أغنياؤنا عند إحياء المشاريع الخيرية. جريدة الأمة عدد 19 (5-2-1935) 30شوال 1323هـ

3- المصدر السابق.

و تضعف النفوس و تخور الهمم و تفتر العزائم..."[1] ثم يضيف على هذا قوله: "... و عوض إشباع بطون أولئك ينبغي أن نخلق لهم أشغال بطريقة المعارضة و المعاضة و نفتح لأبنائهم أبواب العلم و أبواب الصنائع حتى يعيشوا معيشة جد و عمل معيشة عز و فخار فيفيدوا و يستفيدوا لا معيشة ذل ومسكنة و طمع وامتهان لان الطريقة الأولى تربى فيهم العز و النشاط و الهمة و الشجاعة و الاعتماد على النفس والطريقة الثانية تربي فيهم الخشوع والخضوع و ضعف النفس و الحطة و الصغار فأي الطريقتين أنفع؟ و أي السياستين أنجح...[2].

وفي هذا السياق يصور لنا الشاعر بن رحمون كيف صار الفقر المدقع يجر أذياله في مدن وقرى الجزائر داعيا الميسورين للعطف على حال الذين صاروا معدومين يتسولون من أجل سد رمقهم والمحافظة علىى حياتهم حيث يقول:

لا تعذلوه فإن الفقر أضــواه　　　والحظ عاكسه والدهر عــاداه
لا تنهروه أن تستجدي اكفكم　　　فالجوع آلمه والصبر أعيـــاه
ما كان يبسط للتسآل راحته　　　إلا و وجدانه عن ذلك ينهـــاه
والمسنون حياتهم من فيضها　　　تحيا الشعوب وتزدهي الأقطار
بهباتهم تبنى مشاريع الهدى　　　وببرهم تتزين الأسفـــــــار
ويخمدهم تتلى أناشيد العلا　　　وتتوج الحفلات وأسمــــار[3]

د- مشاكل العمال: كانت معاناة العمال الجزائريين كبيرة نظرا لضعف الأجور و عوائد العمل الذي لا يكفي لتغطية النفقات الضرورية و يسد الحاجيات الأساسية للعامل الذي يكون مسؤولا على أسرة فأجرة عمال الفلاحة الجزائريين كانت سنة 1925 تقدر ب 8 فرنكات في الجزائر الوسطى لينخفض إلى 7 فرنكات، ورغيف الخبز كان يصل إلى 1و75 فرنك ،الزيت ب 8,30 فرنك خمس سنوات بعد ذلك أي في سنة 1930 م تلتهب الأسعار حيث يصل الخبز إلى 2,35 فرنك و الزيت ب 9,50 فرنك [3]الأمر الذي جعل الجزائريين يهاجرون إلى فرنسا بحثا عن العمل و كانت الحكومة الفرنسية هي التي شجعت على هذه الهجرة أثناء الحرب العالمية الأولى و بعدها نظرا لتكبدها خسائر باهضة في المعدات و الأرواح حيث خسرت مالا يقل عن 1,8 مليون شاب فرنسي نتج عن ذلك نقص كبير في اليد العاملة التي تعد ضرورية لإعادة بناء فرنسا إلا أن ذلك لم يستمر طويلا فقد وقف المعمرون في الجزائر ضد هذه الهجرة خوفا من أن يجعل اليد العاملة في الجزائر مرتفعة الثمن.[4]

1-مجهول،نظرة في تأسيس الجمعيات الخيرية، جريدو وادي ميزاب عدد (25 مارس 1927)

2- المصدر السابق

3- كمال عجالي، نفس المرجع ص .201

4-Fadhila yahiaoui ; roman société coloniale ;p 50

5-د/عمار بوحوش،العمال الجزائريون في فرنسا...ص 135

و قد اعتبر الشيخ ابن باديس عملية المنع للجزائريين من الهجرة إلى فرنسا طلبا للعمل بمثابة نزولا عند رغبة المعمرين الذين يريدون دائما أن يكون الجزائريين تحت تهيمنهم و في خدمتهم بأبخس الأثمان"...راعت هذه الحركة مستعمري الجزائر لأنها رفعت عليهم أجرة اليد العاملة و فتحت عيون العملة للفرق بين المعاملتين: معاملة الفرنسي الباقي في بلده و معاملة المستغل المطبوع بصبغة المستعمرين..." [1] و يتعجب الشيخ ابن باديس من الحكومة الفرنسية التي تقبل العمالة الجزائرية زمن الحرب و الشدة و تطردهم زمن السلم من دون غيرهم و هذا التمييز بعينه "...أنا لا أعجب من المستعمرين و كيدهم فان- شرهم الاستعماري لا تلينه عاطفة و يقومه برهان..و إنما تعجب من موافقه الحكومة لهم فيما يبدون فبأي وجه من القانون يمنع الناس من السفر إلى فرنسا؟أيحسن في شرع الإنسانية و المروءة أن يستدعي العملة في وقت الحرب و الضيق و الحاجة يطردون في وقت السلم و السعة و الاستغناء عنهم؟ لم يتعرض لأبناء الطليان و الأسبان و غيرهم....

أن الحق لظاهر ،ولكن العملة الجزائريون شرقيون و كفى مسلمون و كفى ثم وكفى[2]

و أمام هذا المنع و التضييق على الهجرة وسد باب طلب الرزق في وجه الجزائريين راح البعض ممن اسودت الدنيا في عيونهم و يئسوأ من وجود عمل في وطنهم يغامرون و يخاطرون بأنفسهم بركوب الأخطار من اجل الالتحاق بفرنسا.فكان أن وقع الحدث المروع الذي ارتاع له الجميع وهو تفحم و موت زهاء أربعون عاملا جزائريا في باخرة سيدي فروش في سنة 1926 حيث ركبوا هذه الباخرة المشؤومة متخفين في بيوت الفحم[3]فرثى هذه الحادثة المأسوية الشعراء من أمثال الشيخ محمد العيد و من الكتاب أمثال الإمام الشيخ ابن باديس الذي تأثر بهذا الحادث أيما تأثر.و حمل الاستعمار كل المسؤولية فهو الذي فقرهم و جعلهم هائمين على وجوههم هاربين من وطنهم فرارا من الموت و مهاجرين رغم أنفهم بحثا عن القوت "...واحسرتاه عليكم يا أبناء الجزائر ما أسرع ما توالى عليكم البلايا، و الأرزاء و ما أكثر ما يجتاحكم البؤس و الشقاء أحاط الفقر بكم و استبد المستعمرون والمتمولون الأهليون بكم....فقلتم نذهب إلى فرنسا بلاد الحرية و الحكومة الاشتراكية ...فلما قلتم فعلتم وقلت اليد العاملة بالثمن البخس ، لما ذهبتم قامت قيامة الأجر الاستعمار و نادى بالويل و البوار،وخراب الديار و صدر قانون التحجير المشهور و لكن هيهات أن يقف القانون المكتوب أمام الجائع المحروم فأخذت الحاجة تدفعكم و الطماعون سيساعدونكم، حتى وقعت الفاجعة الأليمة باخرة"سيدي فروش" فذهب جمع منكم من الفقر إلى القبر..[4]أما الشاعر محمد العيد فقد رثى الباخرة بقصيدة مؤثرة كشف من خلالها عن معاناة الجزائريين

____

1– الشيخ ابن باديس،الخدمة،الجزائريون في فرنسا جريدة النجاح عدد 136 قسنطيني.(7-12-1923)2- المصدر السابق.3- محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر...جزء1 ص 14 و Taib belloula les Algériens en France p 32-33 4- الشيخ ابن باديس، ضحية التحجير من الفقر إلى القبر،الشهاب عدد 26(13-5-1926)

في وطنهم الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة فكانت الكارثة و مما جاء في هذه القصيدة:

فيالله من دهر تفــــانى   عن البلوى و لم يبصر قريبا
يالله من دهر تجـــافى   عن الذكرى و اكبر أن بنيبا
ألم يوقن بأن الخطب خطب   تكاد له البصائر أن تغيبا؟
ألم يوقن بأن الخطب انحنى   على العمال شبابا و شيـــبا؟[1]

ثم كشف عن ظروف الحادثة الصعبة و مأساتها

قسى البلد الجريح و ضاق ذرعا   بهم فيمموا البلد الرحـــيـــبا
و أدرك ربعهم جدب مشـــت   لهم فاستقبلوا الربع الخصـيــبا
و قل للقائمين على فرنـــسا   تعالوا فاشهدوا الخطب العجيــبا
جسوم في (فروش) مجدلات   تعاني تحته (الفاز)الرهـــــيبا
و أجساد ممزقة الحشــــايا   تكاد لها النواحي أن تشيـــيا [2]

و مع اشتداد الأزمة الاقتصادية و شيوع ظاهرة البطالة بشكل واسع في أوساط الجزائريين مع نهاية النصف الأول من القرن العشرين بات الأمر يتطلب تغيير جذريا لأوضاع الجزائر لا حلول ترقيعية للأوضاع كلما شعرت الإدارة الاستعمارية يتمثل في أوساط الشعب ساخطة عن سياستها"أن المسؤولين عن الوضع الحاضر قد كادوا يجمعون على أن المشكل الجزائري إنما هو مشكل اقتصادي اجتماعي يكفي لإيجاد حل له عاجل إنشاء بعض الورشات أو المراكز لتشغيل اليد العاطلة و تشجيع من إرادة الهجرة و الضرب في الأرض على مغادرة أهله و ذويه فرارا من البطالة الضاربة بأطنابها في البلاد والحال انهم يعلمون علم اليقين أن المشكل أن كان اقتصاديا و اجتماعيا في نظرهم فهو وليد السياسة المتبعة سياسة الاحتكار و الاستئثار بكل شيء فهي الأهل لكل بؤس و فاقة و بطالة و المنشأ لكل مشكل اجتماعيا كان أو اقتصاديا أو سياسيا فالحل إذن إن ما أوجدته سياسة منحرفة إنما هو في زوال تلك السياسة المنحرفة باعتبارها الأصل لكل هذه الآفات الاجتماعية و بهذا يصبح المشكل سياسيا رغم من أبوا إلا أن يتجاهلوا ذلك [3] و دعا الشيخ باعزيز إلى مسايرة الدول الأوروبية إلى محاربة البطالة حيث نقاباتهم تسعى دوما لجعل الألة من الأدوات التي تكون في صالح العامل قبل أن تكون في صالح أرباب العمل"...

1- أنظر الهادي السنوسي،شعراء الجزائر جزء 2 ص13 2-المصدر السابق، ص 153-الشيخ باعزيز بن عمر،اليد العاملة مهددة بانتشار المكينات و الآلات جريدة البصائر عدد 1955/4/304

فأخذت منظماتهم و نقاباتهم المختلفة تجاربة ...وتعمل على جعل الآلة و المكينة من الأدوات التي تخدم العامل قبل أن تخدم أرباب الإعمال.،و يوشك ان يكون النجاح حليف هذه الحركة المنادية في اوروبا بتخفيق ضغط الإنتاج الآلي على اليد العاملة استمساكا بمبادئ التشريع من كل إنسان يحس و يشعر فلتحيى الديمقراطية [1]و اعتبر الاستاذ باعزيز ان الانحطاط الاجتماعي هو رديف الجهل و ان العلم هو الكفيل وحده بنشر الوعي في الاوساط الاجتماعية حتى تقدر الامة على رفع الغبن عن نفسها وتطالب بحقوقها مستدل في ذلك بكفاح الطبقة العمالية في امريكا حيث نجد المدرسة الحديثة لم تدخر جهدا في نشر التعليم العام بين الطبقات و الجمعات الامر الذي جعل الرجل العادي يفهم انه عضو في المجتمع ، و ان له من الحقوق ما للاخرين كما ان عليه من الواجبات ما عليهم فهو يطالب بالعدل الاجتماعي لان المدرسة قد ارته انه مهضوم الحقوق مهان الشخصية. وهل في الامكان حرمان شخصا ادخلته الى المدرسة وعلمته الدفاع عن حقوقه وحرياته من الاستمتاع بكامل تلك الحريات (2)و في هذا الصدد يلتقي الأستاذ باعزيز بطرح الشيخ العرباوي في مقاله المعنون ب " مشكلة البطالة في الجزائر" والذي ذهب فيه إلى أن مقياس الرضى الاجتماعي في كل عصر يتوقف على جملة الوسائل الضرورية لحماية حقوق أفراد المجتمع الاجتماعية و تمكينه منها و متى انعدمت هذه الوسائل الضرورية انعدم المجتمع الصالح و عم الانحلال والتفكك أفراده و جماعاته واختل نظام حياته الاجتماعية تبدو آثاره السيئة في كل مظاهره الخاصة والعامة[3] و كشف الشيخ العرباوي عن خطر تفاقم أزمة البطالة في أوساط الجزائريين حيث ذكر بان "... عدد ضحاياها في صعود مستمر ،يزيد كل سنة عن سنة التي قبلها باعتراف المسؤولين أنفسهم و هو ما لا نجد له من اثر في المعسكر الأوروبي الذي اصبح لا يشكو ظلما و لا هضما[4]

كما اعتبر الأستاذ مالك بن نبي، البطالة المستفحلة في الجزائر ينبغي أن ننظر إليها ليس بمعزل عن الحالة العامة التي تعيش فيها الجزائر " إن مشكلة البطالة بالجزائر تتميز بطبيعة خاصة، لأنها ليست قضية فئة من الناس تحرمهم من الشغل أزمة اجتماعية مؤقتة فينتظرون، على أبواب المصانع والورشات عودتهم إلى الشغل، بل هي قضية الشعب بأكمله، شعب وضعته ظروف اجتماعية وسياسية ونفسية خارج دائرة العمل.[5] وأن الجزائريين في ظل الحكم الاستعماري صاروا يعيشون على الهامش مستبعدين كل الاستبعاد عن التحكم في وسائل الانتاج كما أنهم محرومون من الحصول على مناصب شغل التي باتت كلها في أيدي من يتحكم في رقابهم "...نجد كل الآلات التي تحرك وتقود هذا الميدان، توضع بالخصوص في يـــــــد (الأوربي)....وفي ميدان العمل، فإن الطبقة الكادحة الجزائرية تعلم أي مكان تشغله في اهتمام أصحاب الأعمال الاستعمار يبين وهم الذين في أيديهم وسائل التشغيل جميعا، إذ زيادة على إشرافهم على القطاع العام، يتصرفون في أغلبية القطاع الخاص، وقد تأتيني في يوم واحد

1-المصدر السابق. 2- با عزيز بن اعمر اثر التعليم و التطور الفكري في رفع المستوى الاجتماعي العام البصائر ع 320 (1955/05/27). 3-الشيخ العرباوي" مشكلة البطالة في الجزائر " جريدة البصائر عدد 277(2-7-1954)
4- المصدر السابق. 5- مالك بن نبي، في مهب المعركة..ص 122

من جهتين مختلفتين أنباء، تدل على أن العامل الجزائري يعاني وضعا واحدا في أية ناحية من البلد، ففي مدينة الجزائر أو في مدينة سكيكدة يرفض العامل المسلم كلما وجدت الفرصة لتشغيل الأوربي، حتى لا يبقى مكان للأول إلا في الأشغال الشاقة، في الزراعة وفي المناجم حيث يجد العامل المسلم من يشغله، ولكن في أي جحيم.."[1]و تعرض الأستاذ باعزيز عمر كذلك إلى معاناة العمال الجزائريين في فرنسا حيث كشف في مقال له تحت عنوان " هل هذا من العناية بحياة عمالنا الجزائريين في فرنسا؟ في تقرير يذهب إلى أن الإحصاءات التي أجريت في صناديق الضمان الاجتماعي بفرنسا بينت أن اغلب الأمراض الطويلة المدى التي ما فتئت تغزو أوساط عمال شمال إفريقيا في البلدان الأوروبية عامة و الفرنسية خاصة إنما هو مرض السل الذي فتك بطوائف منهم فتكا ذريعا[2] و قد ارجع الأستاذ باعزيز ذلك إلى رداءة المسكن و سوء التغذية والتغيير في المعيشة مضيفا إليها ظروفا و أحوالا أخرى تكتنف هجرتهم و من أهمها وجودهم في بيئة أجنبية عنهم و الوحدة و كلها عوامل تتعاون على إحداث تغيير في أخلاقهم و أبدانهم[3] و يخلص الكاتب المصلح في مقاله هذا إلى نتيجة و هي أن ما يكتنف هجرة عمالنا إلى فرنسا من الأخطار والآفات ينغص على كثير منهم فوائدها المادية ،فهم في كثير من الظروف لا يخاطرون حيث يهاجرون بحياتهم فقط بل بحياة أسرهم و ذراريهم كذلك من خلفوهم وراءهم يعانون الهم و النكد وشظف العيش و ما أكثر الأسر التي يعود إليها عائلوها المهاجرون بأمراض مزمنة بعد أن فارقوها وهم أصحاء أقوياء جسما و عقلا وزيادة على ذلك يتعرض العمال المهاجرون إلى أمراض أخلاقية وآفات اجتماعية لا عهد لهم بها قبل أن يغادروا مسقط رأسهم ويرى أن الحل لهذه المشكلة لا يعالج بالأقوال أو عن طريق حلا سريعا في فتح مكتب أو إدارة للنظر في حالة العمال الغادين و الرائحين و العاطلين مادامت الأوضاع الاجتماعية القائمة في البلاد تقويها وتمدها بطول العمر إن هنا البطالة و البؤس والفقر وهنالك المرض وسوء التغذية ورداءة المسكن وقسوة الجو فأين المفر؟ و ما المخلص؟ يقول عمالنا و قد استولت على أنفسهم الحيرة ، و تملكتهم الأزمة إذ يرون أن بلادهم قد ضاقت في وجوههم في الوقت الذي اتسعت فيه لغيرهم من الأجانب المنعمين و على ضوء ما تقدم نقول أن الهجرة لا تكفي وحدها حلا لمشكلة اليد العاملة عندنا ما لم تجد لها حلا آخر عمليا في بلادها يقوم تدريجيا على محاربة البطالة فيها و إيجاد العمل لهذا الجيش العرمرم من الشباب المتهيئين له..[4]

1- مالك بن نبي، المصدر السابق،ص 138-193

2- الشيخ باعزيز بن عمر، هل هذا من العناية بحياة عمالنا الجزائريين في فرنسا جريدة البصائر عدد 346(23-12-1955)

3- المصدر السابق

4- المصدر السابق

وتعرض إلى معاناة المهاجرين الجزائريين في ديار الغربة بفرنسا كذلك الأستاذ احمد بن عاشور [1] في مقال له بعنوان " الهجرة من الجزائر إلى فرنسا" [2] كما تعرض لمعاناة المهاجرين الجزائريين في المهجر فرنسا مالك واري في كتابه " في طرق الهجرة" حيث كشف عن الواقع المر الذي صار يحيا فيه الإنسان الجزائري المغترب بحثا عن لقمة العيش بعد إن ضاقت عليه السبل في وطنه ففرا كما قال من البطالة ليقع في فخ بطالة أخري.

و قد زار السيد واري أخوانه المهاجرين الجزائريين حيث تنقل في سائر المدن التي يتواجد فيها العمال الجزائريون ووقف على حالتهم المزرية و بؤسهم و ما تعانيه أسرهم التي خلفوها وراءهم من هموم ابتعادهم عنها [3]

وفي هذا المناخ الاستعماري حرص الاستاذ بن اعمر على ابراز صور من البؤس الاجتماعي الذي صار يجر اذياله عند مدخل كل مدينة و قرية منتهزا مناسبة اعياد الميلاد ..."يودع الاف من اطفالنا وشيوخنا البائسين في البوادي و الحواضر عام ويستقبلون آخر وهم يتضورون جوعا و يندبون حظا بينما تجد الاخرين في نفس المكان و الزمن قد اصيب بالتخمة و داء البطنة و النهم ، انها لمعرة اجتماعية تطبع مجتمعنا بطابع الانانية و اقفار النفوس من ماعين الرحمة و الاحسان ...."[4]

و حسب بن اعمر فان هذه الاعياد فقدت كل معناها لما صار في المجتمع فئة قليلة محضوضة تعيش في الرفاهية ، و اكثرية من الشعب مسحوقة لا تجد ما تسد به رمقها كاشفا بذلك عن مبلغ ما وصل اليه المجتم من تفاوت طبقي رهيب حيث يقول : " ...و أي يقيم للاعياد الشعبية اذا انقلبت في مجتمع من المجتمعات الى اعياد اورستوقراطية لايشارك فبها الشعب المحروم الا بالنظر الى مظاهرها الخارجية ، و أي يقيمة للاعياد عامتا اذا اصبحت خاصة و استحالت الى اعراس و حفلات تقام في قصور طبقة من المطرفين ...امام اكثرية شعبية بائسة لاتملك شر ونقير ..."[5]

1- من مواليد مدينة البليدة في سنة 1907درس على بعض شيوخ البليدة كمحمد بن مناد،و محمد بن جلول إمام المسجد المالكي ونور الدين عبد القادر،انتقل سنة 1913 الى قسنطينة حيث اخذ العلم على يد الشيخ ابن باديس عمل مدة طويلة في مدارس جمعية العلماء عرف بقلمه الناضج في كتابة المواضيع الأدبية و الاجتماعية كما عمل بعد الاستقلال مدرسا للغة العربية بإكمالية "العربي التبسي" يلبليدة للمزيد أنظر د/ مرتاض فنون النثر ، ص487 و ما بعدها

2- أحمد بن عاشور ، الهجرة من الجزائر إلى فرنسا،جريدة البصائر عدد 43(12-7-1948)

3- أنظر مالك واري، " في طرق الهجرة " تعريف بالكتاب جريدة البصائر عدد315 (22-4-1955).

4- باعزيز بن عمر يودعون عاما و يستقبلون عاما وهم على قارعة الطريق يتضورون جوعنا جريدة البصائر عدد301 (1955-01-14)
5- نغس المصدر

ثم يضيف الكاتب بن اعمر حاثا على وجوب خرس ثقافة المصالحة و التضامن الوطني فيقول : " ...ان من معاني الاعياد في كل امة احياء التضامن و بث روح التعاون والتآخي بين سائر الواطنين فيتعاطفون تعاطفا يغذي ما بينهم من وشائج القربى و روابط الجوار ، ويزيل ما اقامته الاغراض و الحزازات الشخصية في اوساطهم من فوارق و امتيازات اضرت بالانسانية و هدمت ما سنته المساواة و امرت به الاخوة العامة " (6)

و يخدر من مغبة ترك الحبل على الغارب وعم الاهتمام بمعالجة هذا الجانب الامر الذي يؤدي الى مزيد من التفكك الاجتماعي الذي يفضي الى حالة اللامن واللا استقرار في المجتمع فيقول :"... و لاخير في مجتمع يهمل اطفاله وشيوخه البائسين ممن ليس لهم ملجأ الا الشارع و الطريق وليس لهم فراش الا العراء ، و انهم لا لوف مؤلفة تزخر بهم البادية و الحاضرة ويوشك ان ينقلب امر الصغار منهم اذا استمر اهمالنا لهم الا آفة اجتماعية فيكون من اول اعراضها الانتقام باقبح الطرق في المجتمع الذي لم يفكر في مستقبلهم و لم يعن بتنشئتهم انشأة الصالحة التي يجن منها الوطن خيرا كثيرا ..."(7).

و كخلاصة عامة للفصل نقول أن: معشر المصلحين و المثقفين الجزائريين قد نظروا إلى جملة القضايا الاجتماعية و الاقتصادية بنظرة نهضوية تقوم على أساسين رئيسيين :

- **الأساس الأول:** هو نقدي يستهدف تخليص الأمة من موروث تقاليدها الزائفة والعادات الوافدة التي لا تتفق مع منطق الشرع و لا العقل و التي تقف حائلا دون تطور المجتمع ورقيه حيث الدعوة الصريحة إلى محاربة جملة الآفات التي تريد أن تنال من روح الأمة و تمسخ أخلاقها و قيمها الحضارية .
- **رفع الغبن عن المرأة الجزائرية و السعي** لإخراجها من سجن ظلام الجهل و الأمية و التقاليد البالية
- **محاربة الكسل و الدعة و الخمول و التواكل** و التي تحد من فعالية المسلم الجزائري الإنتاجية

-أما الأساس الثاني فهو بنائي: يتوجه إلى صياغة مشروع مجتمع من خلال الدعوة إلى مكارم الأخلاق التي تحمي المجتمع من التفكك ، وحث أبناء الأمة على العمل و السعي إليه. لان في ذلك تقوية لأواصر المجتمع و ترقية له.

- البحث عن البديل الاجتماعي و الاقتصادي للنهوض بالمجتمع من خلال تشجيع التعاون عامة والمشاريع الجماعية التي تعود بالفائدة على كل أفراد الأمة و مسايرة روح العصر في هذا المجال
- حيث تجد ثمة اهتماما من قبل النخبة الجزائرية بموضوع عصرنة النشاط الإنتاجي وتشجيع الانتاج المحلي منه على وجه الخصوص كالحرف و الصنائع التقليدية.

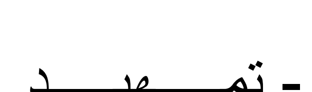
-العمل على النهوض بالمرأة و الشباب واعتبارهما دعامتان هامتان من دعائم المجتمع فالمرأة من خلال تعليمها و توعيتها برسالتها في البيت و المجتمع و الشباب على اعتبار انهم عدة المجتمع ومطمح آماله في بناء الوطن و النهوض به.

6-المصدر السابق

7-المصدر السلبق

الفـــصل الخامـــس

ملامح المشروع التربوي في الخطاب النهضوي



- تمـــــهيـــــد

1- التربية أساس التعليم

2- إصلاح المناهج التربوية والإدارة المدرسية

3- ترقية اللغة العربيـة

4- فــي سبيل تعليم أصلي وعصري

5- العناية بالتاريخ الوطني

خلاصة

تـمـهيــــد :

تعد التربية النظام الاجتماعي الذي ينبع من فلسفة كل أمة وهو الذي يطبق هذه الفلسفة أو يجليها إلى الوجود ، وهو الجهاز الاجتماعي الذي يعبر عن روح الفلسفة من جهة ، وهذا الجهاز هو الذي يحقق تلك الفلسفة من جهة أخرى . [1]

وقد كان لانحطاط العالم الإسلامي في حياته المادية والأدبية في العصر الحديث وظهور أوربا كقوة تريد أن تبسط هيمنتها على غيرها أكبر الأثر في تعالي الصيحات المدوية التي أطلقها أصحابها من أجل تنبيهه إلى واقعه المتردي والسعي من أجل نهوضه ونفظ سبات النوم عن جفونه لكي يستفيق من غفوته ويعي وظيفته في الحياة ويعد الشيخ رفاعة الطهطاوي من الرواد الأوائل في العالم العربي الإسلامي الذين دعوا إلى وجوب إعادة الاعتبار للتربية على اعتبارها تمثل حجر الزواية لنهضة شعوب العالم الإسلامي حيث اعتبر التربية قرينه للترقي في الحضارة والعمران وإعطائها تعريفا دقيقا متكاملا في فلسفته وره وقال بأنها " تنمية أعضاء المولود الحسية من ابتداء ولادته إلى بلوغه حد الكبر وتنمية روحه بالمعارف الدينية والمعشية [2] .

وقدم لنا الطهطاوي مفهوما تربويا – مدنيا متقدما حيث ربط بين تقدم المجتمع وتقدم التربية فقال :
"... حسن تربية الأجيال ذكورا وإناثا وانتشار دلك فيهم ، يترتب عليه حسن تربية الهيئة المجتمعية (الاجتماعية) يعني الأمة نتماعها ، فالأمة التي حسنت تربية أبنائها واستعدوا لنفع أوطانهم هي التي تعد أمة سعيدة وملة حميدة ... " [3] .

ويكاد الشيخ الطهطاوي يكون من دون منازع رائد الدعوة إلى التعليم الإلزامي في العالم الإسلامي "...وبالجملة فتربية أولاد الملة وصبيان الأمة ، وأطفال المملكة ، ذكورا وإناثا ، من أوجب الواجبات كيف لا والتربية مطلوبة حتى في غير الآدمي... " [4] .

أما الأستاذ الإمام محمد عبده فقد حث المسلمين على وجوب العناية بالتربية الإسلامية وتنشئة الأجيال المسلمة عليها ، محذرا إياهم من المخاطر الناجمة عن تعليم أبناء المسلمين في المدارس الأوربية المسيحية حيث لا يسمعون إلا ما يناقض عقائد دينهم الإسلامية ولا يرون إلا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي ، ويعيب عليهم التمسك بعرى الطاعة لأوليائهم ، ومما يزيد الأمر خطورة كون القبول ينفث إلى قلوبهم لأنه آت من أساتذتهم القائمين على تربيتهم بإذن آبائهم [5] .

1- محمد فؤاد الأهواني ، التربية في الإسلام . دار المعارف القاهرة ط (2) 1975 ص 7 .

2- د / محمد جميل منجنيقة ، فجر النهضة العربية مرحة الريادة الأولى دراسة نقدية في فكر الطهطاوي
مجلة الفكر العربي عدد 39 ، 40 ص 54

3- المرجع السابق ص 55

4- المرجع السابق ص .

5- رشيد رضا تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبدو ج 2 ص 567 .

وأعاب الشيخ ألكواكبي على المسلمين في زمانه عقم منظومتهم التربوية التي لم تعد قادرة على تقديم شيئ للمجتمع حيث غلبت لغة العنف والتلقين على روح الحوار وحجة الإقناع وفي ذلك يقول "...الإقناع في التربية ، خير من الترغيب ...فضلا عن الترهيب ...والتعليم مع الحرية بين المعلم والمتعلم خير من التعليم مع الوقار ...والتربية تربية الجسد وحده إلى سنتين هي وظيفة الأم وحدها ثم تضاف إليها تربية النفس إلى السابقة ، وهي وظيفة الأبوين والعائلة معا ، ثم تضاف إليها تربية العقل إلى البلوغ ، وهي وظيفة المعلمين والمدارس ...ولابد أن تصحب التربية بعد البلوغ الظروف المحيطة وتربية الإنسان نفسه..." [1] .

وقد حاول علماء الجزائر اقتفاء أثر الإمام الطهطاوي والشيخ محمد عبده في مصر ومحمود قبادو وخير الدين في تونس وصف التقدم الذي بلغته الدول الأوربية ومقارنته بما كانت عليه الأمة الإسلامية أيام عزها من قوة ومناعة ثم ما أصابها بعد ذلك من وهن وانحطاط ورأوا أنه لا سبيل إلى تدارك هذا الضعف إلا بنشر التعليم والأخذ بأسباب التقدم [2] . خاصة وأن آلة الدمار الاستعمارية راحت تحاول محو كل ماله صلة من قريب ومن بعيد بين الشعب ومنظومته التربوية الأصيلة حتى يتسنى لها إذابته في بوتقة الحضارة الغربية ف " النظام الاستعماري المسلط على الجزائر يرمي إلى إدماج الشعب الجزائري في المجموعة الفرنسية ، وحرمان الشباب الجزائري من تعلم اللغة العربية والتعاليم الإسلامية في المدارس الحكومية بدعوى أن الجزائر أصبحت جزءا لا يتجزأ من فرنسا ..." [3] .

وبناء على ذلك قام المثقفون الجزائريون بسعي حثيث لإرساء دعائم مدرسة جزائرية أصيلة ومتفتحة إيمانا منهم بأن كسب رهان المستقبل في هذا العالم لا يكون إلا بالعلم والثقافة والتمكن من ابتكار العصر . فالشعب المثقف لا يستعمر في فكره وإرادته وأن استعمر في أرضه ، وقد قرن الشيخ الإبراهيمي حياة الأمم على المدارس وكأنه يريد أن يقول بأن الشعوب التي لا مدارس لها لا وجود لها في الحياة "...حياة الأمم في هذه العصر المدارس ...والمدرسة منبع العلم ومشرع العرفان وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة ، فمن طلب هذا النوع من الحياة من غير طريق العلم ذل ، ومن التمس الهداية إليه من غيرها ضل وحياة الأمم التي نراها ونعاشرها شاهد على ذلك ..." ثم يضيف مبرزا قيمة المدرسة التي تحتل منزلة القلب من الجسد "... إن الأمم تبني ما تبني من القصور وتشيد ما تشيد من المصانع وتنسق ما تنسق من الحدائق وتحف كل ذلك بالسور المنيع فإن ذلك كله مدينة ضخمة جميلة لكنها بغير مدرسة عقد بلا واسطة أو جسم بلا قلب ..." [4] .

1- علي نوح صوت النهضة العصروي في خطاب النهضة مجلة المستقبل العربي عدد 196 (6 – 1995) ص 105

2- عبد العزيز الساحلي قضية التربية والتعليم من خلال فكر علماء الإصلاح ...ص 137

3- نفس المرجع ص 138

4- الشيخ البشير الإبراهيمي تركي رابح . الشيخ الإبراهيمي في ذكراه العشرين مجلة الدوحة قطر أوت 1985 ص 15 .

وقد كان هذا في الحقيقة ردا على الاستعمار الذي فرض اللغة الفرنسية لغة للتعليم و للثقافة وحارب ا للغة العربية وحرمها وصارت بالنسبة للجزائري لغة ثانية . إنها حقا مشكلة غريبة أن تكون لغة التعبير وأداة التعبير هي الفرنسية في بلد عربي إسلامي ، ولكن الظروف التاريخية هي التي فرضت هذا الواقع الشاذ ..." [1] .

وقد اعتبر رجال التربية مسألة العناية بالتربية والتعليم حجر الزاوية لإقامة نهضة جزائرية حديثة على اعتبار أن الأمم الراقية المزدهرة ما وصلت إلى ما وصلت إليه من تطور وازدهار في شتى الميادين إلا بفضل عنايتها بالمنظومة التربوية وفي ذلك يقول الشيخ عبد الحفيظ ابن الهاشمي "...يحق بنا أن لا نسكت عن التعليم فإنها النقطة الوحيدة التي عليها المعول في نهضتنا القومية ومبادئنا الاجتماعية ...فلو كان الشعب متشبعا بالعلوم لرأيت فلاحين يظاهرون المستعمرين الأوربيين الذين ملكوا البلاد بفطنته وعمل ودهاء ، ولو كان الشعب متشبعا بالعلوم لرأيت مهندسين ومقاولين يتقاضون من المرتبات ما يتقاضوه المهندسون والمقاولون الأوربيون ..." [2] .

أما علي بوشقرون فقد ذهب إلى أن نشر التعليم عن طريق المدارس هو خير معين للمجتمع على النهوض.(... فلا يعزب عن البال أن محاربة الأمية والقضاء على الجهل الذي عم أرجاء القطر وطغى على أهله آكد واستئصاله من جذوره ألزم... فينبغي ان توجه أهم المجهودات إلى نشر التعليم وتعميمه بين مختلف طبقات الشعب ليشترك الكل في القيام بالواجب...)(3)

ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 م كان من بين أبرز مقاصدها نشر العلم وتعميمه في الأوساط الشعبية الجزائرية ، وقد تمحور مجهود المصلحين الجزائريين في مجال النهوض التربوي لرسم معالم المستقبل الزاهر للأمة الجزائرية على تحقيق الأهداف التالية :

1) التربية أساس التعليم .

2) إصلاح المناهج ومحتوى البرامج التربوية والإدارة المدرسية .

3) ترقية اللغة العربية .

4) تدريس التاريخ الوطني والقومي .

5) في سبيل تعليم أصلي وعصري .

1- د / سعاد محمد خضر ، الأدب الجزائري المعاصر ، منشورات المكتبة العصرية صيد بيروت 1976 ص 87

2- أنظر جريدة النجاح عدد 27 سنة 1923 .

3- علي محمد بوشقرون، بشائر النهضة الجزائرية الأمم برجالها، رواق المغاربة، الأزهر الشريف، جريدة صدى الصحراء، عدد9(1926/2/1)

1) التربية أساس التعليم :

تعد التربية الصحيحة بمثابة حجر الزاوية في إقامة أي بلد حضاري ، كما تعد انعكاسا لفلسفة الأمة وتطبيقها عمليا . وهي المعبرة في نفس الوقت عن روحها ، ومنذ أن ظهر الإسلام في المشرق والمغرب تشكلت أسس التربية التي يبنى عليها المجتمع فلم يكد القرن الثاني الهجري يطلع حتى كان ثمة جهاز تربوي متغلغل في ناحية من نواحي المجتمع الإسلامي ابتداء من الكتاتيب التي تعلم الأطفال والصبيان ، إلى المدارس العليا التي تعلم الكبار . وقد ازدهرت الحضارة الإسلامية بسبب دقة هذا النظام وانتشاره ، فكانت تلك التربية محققة لروح الإسلام [1] .

وقد جمعت التربية الإسلامية منذ ظهور الإسلام بين تأديب النفس وتصفية الروح ، وتثقيف العقل وتقوية الجسم فهي تعتني بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية دون التضحية بأي نوع منها على حساب الآخر [2] .

وعلى هذا الأساس بنى المربون الجزائريون مشروعهم التربوي على أساس اقتران التربية بالتعليم ومراعاة البعد الروحي والمادي فيها معا .

أ- التربية وقيم المجتمع : نظر المربون الجزائريون إلى التربية باعتبارها الوسيلة التي تعكس شخصية الأمة ومن خلالها يبدع و يبتكر ومن ثمة كانت مرجعيتهم في ذلك هو الموروث الحضاري الإسلامي ، ومن خلاله قبلوا أو رفضوا كل أشكال التربية والتعليم مع نظرة انفتاحية على واقعهم المعاش فهم يعيشون عصرهم ، وقد تجلى ذلك بداية في نظرة الشيخ ابن بأديس لفلسفة التعليم الفرنسي التي حسبه تقصي كل حالة علاقة بشخصية الإنسان الجزائري الروحية والثقافية فقد قال إمام إدارة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة في هذا الصدد "...كان أبناؤنا من قبل لا يذهبون إلى أي من المدارس الأجنبية التي لا تعطيهم غالبا من العلم إلا الفتات الذي يملأ أدمغتهم بالسفا سف ، حتى إذا خرجوا منها خرجوا جاهلين لدينهم ولغتهم وقوميتهم وقد ينكرونها [3] .

ويحذر الشيخ ابن بأديس من خطورة السياسة التربوية للاستعمار وينبه في وقت مبكر قبل غيره من الوطنيين إلى أهمية التربية والتعليم في النهوض بالأمم وقيادتها وتوجيهها الوجهة التي تراد لها ، ورأى أنه بفلسفته الغربية مثلما كان سببا في تطور الشعوب وترقية الإنسان فكريا وعمليا كان أيضا مصدر كوارث وجرائم سياسية و اقتصادية و خيانات وراءها علماء نابغون من صانعي أسلحة الدمار الشامل ومهندسي سياسة الاستعمار وخططه .

1- المرجع السابق ص 9 .

2- الأهواني ، نفس المرجع ص 9 .

3- أحمد مريوش : دراسة النزعة العقلانية والوطنية في منظومة ابن بأديس الإصلاحية مجلة المصادر عدد 7 – 199 .

وقد كشف الشيخ ابن بأديس عن انحراف بعض شيوخ الإسلام في زمانه وتقاعسهم عن واجب تعليم الأمة والدفاع عن الدين والوطن ، ولما لم تقبل اقتراحاته لإصلاح التعليم بالزيتونة ولم يستجب أساتذة التعليم الإسلامي الحكومي في الجزائر لدعوته إلى إنشاء كلية إسلامية بالعاصمة على غرار الأزهر والزيتونة ، واصل نشاطه الإصلاحي وتنفيذ خطته التربوية ووضع أمله في الشباب ، فاتجه إلى تعليم النشء لتكوين قادة المستقبل وحثهم على التمسك بقيم الإسلام والتسلح للحياة بأسلحتها وأولها العلم . ولم يقف عند هذا الحد بل دعاهم إلى هز الجامدين لبعث الحياة فيهم وإلى المغامرة والتضحية وخوض الخطوب وصدام الغاصبين الظالمين دفاعا عن الإسلام والجزائر [1] .

وذهب الأستاذ الشيخ أحمد ابن أبي زيد الأغواطي [2] إلى ضرورة وضع قادة الأمة لمسألة تعليم الشبيبة في أولويات عملهم الإصلاحي إذا ما أرادوا حقا الوصول إلى تحقيق النجاح في بناء نهضة "...يجب على قادة الأمة الجزائرية النائمة والتي هي في حالة انتقال من طور الموت إلى الحياة يجب عليهم أن يبدأوا من حركاتهم على أسا س متين يضمن لهم النجاح في مأموريتهم ويبعث فيهم الارتياح والاطمئنان لما أوجدته أياديهم البيضاء ، ألا وهو تعليم الشبيبة الناشئة لأن الشباب هم رجال المستقبل وهم حاملو لواء مجد أمتهم فيه ويجب عليهم زيادة على الدعوة الإصلاحية الاجتماعية أن يعتنوا بالتعليم عناية كبرى وان يعملوا بقاعدة علمه و ربه وترك حبله على غاربه ..." [3] .

ونبه الشيخ الإبراهيمي إلى ضرورة اليقظة و الاحتراس من النتائج الوخيمة التي نحصل عليها من التعلم في البلدان الغربية حيث نفقد خصوصياتنا الذاتية والوطنية "...إن الغرب لا يعطينا إلا جزءا مما يأخذه منا ولا يعطينا إلا ما يعود علينا بالوبال وقد أعناه على أنفسنا فأصبح المهاجر منا إلى العلم يذهب بعقله الشرقي فينبذه هناك كأنه عقال على رأسه لاعقل في دماغه ثم يأتينا بعقل غربي ومعه امرأة تحرسه أن يزيغ ..." [4] .

وشدد الشيخ الإبراهيمي وهو يخاطب جمهورا من المعلمين الأحرارعلى وجوب العناية بالتربية قبل التعليم ذلك أن نجاح الثانية متوقف على الأولى"...احرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم واجعلوها حاديكم في تربية هذا الجيل الصغير وهاديكم في **تكوينه وهي: أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يأت في خيبته في الحياة من نقص في العلم وإنما خاب أكثر من**

1- علي علواش : منهج الإصلاح عند الإمام ابن بأديس بين السلفية والنهضة رسالة دكتوراه دولة مخطوطة جامعة الجزائر 1420 ه 1999 م ص 330، 331

2- من علماء الإصلاح في بلدة الأغواط ولد سنة 1919 وتخرج من جامع الزيتونة سنة 1937 انتخب كاتبا مركزيا لجمعية العلماء سنة 1946، كما عمل مدرسا في مدارس جمعة العلماء وبعد الاستقلال شغل مديرا للمعهد الاسلامي بالاغواط ومديرا ومفتشا للشؤون الدينية وعضوا بالمجلس الاسلامي الاعلى توفي رحمه الله سنة 1994. أنظر منشوات فرع الاغواط لاتحاد الكتاب الجزائرن سنة 1999.

3- أحمد بن أبي زيد الأغواطي : التعليم عندنا وحاجته إلى توحيد ونظام مجلة الشهاب ج 1 م 3أ (14 مارس 1937)

4- د / تركي رابح ، الشيخ البشير الإبراهيمي ، الدوحة ص 15

خاب من نقص في الأخلاق ، فمنهما كانت الخيبة ومنهما كان الإخفاق ..." [1] .

ودعا المربين إلى ضرورة الارتفاع إلى مستوى القدوة الحسنة لتلامذتهم فيكونوا متحلين بالخلال الحسنة مما يجعل تلامذتهم يقتدون بهم "...احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال ، فطبقا على ما يرونه ويشهدونه منكم من الأعمال فإن الناشئ الصغير مرهف الحس طلعة إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها ، ولا ينالها اهتمامكم وإنه قوي الإدراك للمعايب والكمالات فإذا زينتم له الصدق فكونوا صادقين ، وإذا أحسنتم له الصبر فكنوا من الصابرين ، وعلموا أن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشا في نفوسكم فهو زائل وإن كل سحر تنفذونه لاستنزالهم غير الصدق فهو باطل إلا أن رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة و أما ما يأخذه عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة ..." [2] .

والأكثر من هذا الذي ذكرناه يحمل الشيخ الإبراهيمي معشر المعلمين مسؤولية محاربة الأمية وغرس الفضائل في الناشئة وتعويدها على القيام بشعائرها الدينية فيقول "...إن حاجتنا إليكم هي أن تنقضوا هذا الجيل الناشئ من الأمية التي ضربت بالشلل على مواهب آبائهم ، وكانت نقصا لا يعوض في إنسانيتهم ثم كانت سببا فيما يعانونه من شقاء ، وأن تحببوا لهم العربية وتزينونها في قلوبهم ، وأن تطيعوهم على التآخي والتعاون على الخير ، وأن تربوهم على الفضيلة الإسلامية التي هي مناط الشرف و الكرامة والكمال و أن تأخذوهم بممارسة الشعائر الدينية صغارا حتى نامن تضييعهم كبارا وأن تزرعوا في نفوسهم حب العلم والمعلم وحب الأم و الأب وحب بعضهم بعضا وحب الله ورسوله والإسلام قبل ذلك ومعه وبعده . لا يغيركم ضعف حظكم من العلم إذا وفر حظكم من الأخلاق الفاضلة فإن أمتكم في حاجة إلى الأخلاق والفضائل ، إن حاجتها إلى الفضائل أشد وأوكد من حاجتها إلى العلم لأنها ما سقطت هذه السقطة الشنيعة من نقص في العلم ولكن من نقص في الأخلاق ..." [3] .

ولأن السياسة التعليمية الفرنسية كانت قائمة على فلسفتها اللائكة الإلحادية فقد حث الشيخ لإبراهيمي المعلمين على التصدي لموجة الإلحاد وذلك بالتمسك بالقيم الإسلامية سلوكا ومعاملة "...وفي وطنكم موجة من الإلحاد جاءت في ركاب الثقافة الغربية ومكن لها القصد الصحيح من غايات الاستعمار ومهد لها في نفوس هذا الجيل جهله لحقائق الإسلام وضعف صلته بالله . وإن تساهلتم في إقامة شعائر الدين واستخفافكم بأحكامه معين على تفشي الإلحاد في الجيل الجديد الذي تقومون على تربيته.([4])

1- الشيخ البشير الإبراهيمي عيون البصائر ج 2 ص 290

2- نفس المصدر ص 291 .

3- نفس المصدر ج 2 ص 296 .

4-نفسالمصدر،ج2،ص298

ودعاهم الشيخ الإبراهيمي إلى وجوب ربط العلم بالحياة وعدم الجمود على تلقين القواعد النحوية "...امزجوا لهم العلم بالحياة والحياة بالعلم . يأت التركيب بعجيبته ، ولا تعمروا أوقاتهم كلها بالقواعد. فإن العكوف على القواعد هو الذي صير علماءنا مثل " القواعد " وإنما القواعد أساس ، وإذا أنفقت الأعمار في القواعد فمتى يتم البناء ؟ . ربوهم على أن يعيشوا بالروح في ذلك الجو المشرف بالإسلام و آدابه وتاريخه ورجاله ، ذلك الجو الذي يستوي ماضيه ومستقبله في أنهما طرفا حق لا يشوهه بالباطل ، وحشيتا جديد لا تبليه الزمن ، وعلى أن يعيشوا بالبدن في هذا الزمن الذي يدين بالقوة ويدل بالبأس وعلى أن يعيشوا بالروح في ذلك الزمن المشرق العامر بالحق والخير والفضيلة . وعلى أن تلبسوهم لبوس عصرهم الذي يبني الحياة على قاعدتين : " إن لم تكن آكلا كنت مأكولا " و " كن قويا تحترم " [1] .

_ ويصيب الشيخ الإبراهيمي كبد الحقيقة عندما يحث على ضرورة توحيد فلسفة التعليم التي تؤدي لا محالة إلى توحيد المشاعر الدينية والوطنية ، وبذلك تكون المدرسة العربية الحرة قد هيأت جيلا قادرا على الصمود و مواجهة التصدي الاستعماري ..." و غايات الغايات من التربية .وهي توحيد النشء الجديد في أفكاره و مشاربه و ضبط نوازعه المضطربة ، وتصحيح نظراته إلى الحياة ونقله من ذلك الاضطراب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه إلى مضطرب أوسع منه دائرة وأرحب أفقا وأصح أساسا ، فإذا تم ذلك وانتهى إلى مداه طمعنا أن تخرج لنا المدرسة جيلا متلائم الأذواق متحد المشارب ، مضبوط النزعات ، ينظر إلى الحياة كما هي – نظرة واحدة – ويسعى في طلبها بإرادة متحدة ، يعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة في اتجاه واحد .

وغاية التعليم بالنسبة للشيئ هي تفقيهه في دينه ولغته وتعريفه بنفسه بمعرفة تاريخه ، تلك الأصول التي جهلها آباؤه فشقوا بجهلها وأصبحوا غرباء في العالم ، مقطوعين عنه لم يعرفوا أنفسهم فلم يعرفهم أحد ..." [2] .

وقد حذا الشيخ أبواليقظان حذو الشيخ الإبراهيمي في إبراز أهمية التربية التي تعد عنده الطريق الصحيح نحو عملية البناء في كل الميادين وعلى مختلف الأصعدة فتحت عنوان " نحن إلى التربية أحوج " راح الأستاذ أبو ليقظان يؤكد على ضرورة ملازمة التربية للتعليم فيقول : إذا ما أردنا فعلا لعلومنا وأعمالنا ثمارا ونتائج تعود بالمنفعة على المجتمع . "...أن عديم التربية الصحيحة لا يعرف كيف يستفيد من مواهبه فلا يعرف كيف يستفيد من جسمه ولا من عقله ولا من ذكائه ، ولا من علمه ولا من جاهه ، ولا من ماله ولا يل كثيرا ما تكون هذه القوات وبالا عليه وعلى من له علاقة به ، وهي له كالسيف الحاد الطرفين في يد صبي ولكن بالتربية الصحيحة يعرف كيف يستفيد الصحيح من صحته ، والعاقل من عقله ، والـذكـي مـن

1- نفس المصدر ج 2 ص 300 .

2- نفس المصدر ،ج2، ص 303 - 304.

ذكائه والعالم من علمه ، والوجيه من جاهه والغاني من ماله ...الخ . كما يعرف كيف يفيد غيره ..." [(1)]
ثم يضيف مؤكدا على أن ما ينطبق على الفرد ينطبق على المجتمع . فإذا كانت الأمة على حظ عظيم من التربية نالت مكانتها التي تستحقها بين الأمم . وان أهملت تربية أبنائها صارت في عداد الأمم الضائعة . "...وما قلناه بالنسبة للفرد ينطبق على المجتمع فالأمة إذا كانت عديمة التربية العمومية فهي وأن كانت لها مواهب ومزايا لكنها لا تعرف كيف تستفيد منها بل تبقى عاطلة فيها وكامنة كمون التبر في بطن المعدن ، لا يعرف كيف يستفيد منه مالكه ما دام لم يعرف طرق التعدين ولم يقدر على استخراجه "...نعم إذا ترتبت تربية صحيحة عمومية فإنها تكون جديرة بالاستفادة من مواهبها العمومية حتى تأخذ شكلا ممتازا بين سائر الأمم ..." [(2)] .

ويكشف الشيخ أبواليقظان عن ذلك التعليم الأكاديمي المجرد من التربية كيف يكون وبالا على صاحبه وعلى المجتمع ويعتبر بذلك عديم الجدوى "...يتعلم متعلم فيخوض في بحار العلوم ويحلق في أجوائها فيتحصل على أنواع الشهادات ويتنسم وظائف عالية ويلقب بألقاب ضخمة ، ولكنك هل تجد له من التربية الصحيحة ما يستحق به ولو الشهادة الابتدائية وهل تجد منه الفضيلة ما ترقيه من الفقه والنزاهة و الاستقامة ؟ ..." [(3)] .

ويشفق لحال هذه الأمة التي تعليمها بلا تربية كيف يكون حالها عندما ينعدم هذا التعليم بالمرة أو يكون ا لحظ منه قليلا ، داعيا بالعودة إلى مرجعية الأمة المتعلقة في الإسلام وقيمه السمحة في تربية أبناء الأمة التربية الصحيحة "...إذا كانت هذه عاقبة من يتبع مناهج التعليم الثقافية إلى النهاية فما بالك بحال من انقطع وسط الطريق ؟ وكان تعليمه بأسلوب عقيم مشوش ؟ ولم يلج هو هذا الباب بالمرة ؟ كأني بالقارئ الكريم يتساءل : هل يوجد ذلك النوع من التربية ؟ وأين يوجد ذلك النوع من التربية ؟ ومن الواضع له ؟ .
ما أقوله : إدا أحسن الإضفاء ، نعم يوجد ذلك في الإسلام ضمن القرآن المجيد والسنة الصحيحة منذ ثلاثة عشر قرنا والواضع لقواعده هو الله ورسوله ..." [(4)] .

ويستحضر الشيخ أبوا ليقظان مشاهد تاريخية لكي يبين لنا بأن نور الحضارة العربية الإسلامية ما كان له أن يبزغ ، لو لا تلك التربية الصحيحة القائمة على تعاليم الدين الإسلامي "...وأن هذا النوع من التربية قد وضع الله ورسوله قواعده في القرآن الكريم والسنة القويمة وقد رأينا شيئا من أثره في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم . وقد درج على ذلك السلف الصالح من بعدهم ونسجوا على منوالهم فوصلوا ما

1- الشيخ أبواليقضان : نحن إلى التربية أحوج ، جريدة وادي ميزاب عدد 2 (18 أكتوبر 1926).
2- المصدر السابق
3- المصدر السابق
4- الشيخ أبوا ليقظان : نحن إلى التربية أحوج ، وادي ميزاب عدد 3 (15 أكتوبر 1926) .

وصلوا وتركوا من الآثار الخالدة مثل ما تركوا ، ثم لما تغيرت الأوضاع وأساليب التربية وأصبح التعليم صناعيا حافا خاليا من روح التربية والتهذيب الإسلامي أجدبت النفوس بعد الاخضرار وقطعت القلوب بعد الاخضرار والازدهار فتقلص ظل العدالة من الأرض ، ومالت شمس السعادة الحقيقية نحو الغروب فأصبح العالم في ظلام حالك ، ورجع إليه كل ما كان قبل النبوة من المفاسد والمظالم والشرور .وهل لهذا الليل من نهار ؟ وهل تعود تلك الشمس من مشرقها ؟ ..." [1] .

ولا يرى الشيخ أبواليقظان مستقبل أمته بعين التشاؤم بل يراه بعين التفاؤل ، حيث يمكن للأمة أن تستعيد عافيتها ويعود إليها رشدها وسعادتها إذا عادت إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة فتتخذوهما منهاجا قويما في التعليم "...فلو يتخذ قادة الأفكار وسواس العقول من القرآن والسنة منهاجا يكون أساسا للتربية والتهذيب هو القاعدة العملية في الحياة وتنفذه بكل دقة وتحميه بكل ما لديها من القوة أفلا تشرق تلك الشمس المنشودة ؟ أفلا ينكشف هذا الظلام على البشر ؟ . فإذا ما أسس منهاج التعليم على قاعدة الأخوة والمساواة والحب والولاء في الله والإخلاص والإنصاف والتواضع ...الخ أفلا يعود للعالم شبابه ؟ فيعيش البشر على بساط الأخوة والصفا في سلام عام وأمن شامل وعز وسعادة ورخاء امرئ ما لأخيه وعليه ما عليه من الحقوق والواجبات . فينكب كل على عمله حسب فطرته واستعداده ولا يتعدى مداره فهل من سعادة فوق هذه غير تلك السعادة الخالدة ؟ [2] . ويرى الشيخ أبواليقظان في الأخير أن المدنية الحديثة القائمة على المادة والزاهدة في القيم الروحية والتربوية صارت لعنة على الإنسانية وسببت لها من المآسي أكثر مما أسعدتها "...التعليم الفني الصناعي المجرد من التربية والتهذيب فهو وأن بلغ من الرقي والنظام ما بلغ فلا ينتج إلا أبناء المادة الخالية من روح العفة والفضيلة وحب المادة . كما لا يخفى منار والقلاقل والحروب وشقاء العالم في كل زمان ومكان .

إن غالب من يقترف الجرائم والموبقات الفردية والاجتماعية لم يقترفها وهو جاهل لها وإنما يفتقدها وهو عالم بأنها جريمة ، ولكن لم ينفعه علمه لأن علمه خال من روح التربية و التهذيب الصحيحين بل كثيرا ما زاده علمه حذق و مهارة بأساليب المكر و الخداع فيكون علمه في هذه الصورة آلة فتاكة ووبالا عاما فأنتج عكس المقصود ..." [3] . وعليه يتوجب على المصلحين التفكير في التربية قبل الشروع في التعليم "...وقبل أن يهتم المصلحون ببث التعليم الصناعي يجب أن يصرفوا هممهم إلى تربية النفوس وتهذيب الأخلاق ...فليهيئا للعلوم تربية زكية حتى تنبت فيها نباتا حسنا وتثمر للأمة أثمـار يانعــة وليسلــكوا

1- المصدر السابق

2- المصدر السابق

3- المصدر السابق

بالنشأة مسلك الأم الحاذقة برضيعها ..." [1] .

ويتوافق هذا الطرح القائم على أن التربية هي أساس التعليم ، مع ما جاء به الشيخ محمد بن بكير الذي أكد على مبدأ أن التربية التي تستلهم روحها من قيم الإسلام والعلم هي التي تعيد للمسلمين مجدهم وعزتهم وتلحقهم بركب التقدم "...ألا فليسع المسلمون في تربية نشأتهم تربية مطابقة لروح العلم والدين إن أرادوا حقيقة استرجاع مجدهم وإعادة ماضي تراثهم ، فالأمة بأبنائها والبلاد برجالها فإذا كانوا مثال العزة فلا ريب وأن تكون عزيزة كاملة ..." [2] .

ب) التربية الوطنية والدينية : لم يكتف المصلحون بالتأكيد على ضرورة ملازمة التربية الصحيحة للتعليم حتى تكون ثمار لذلك بل راحوا يؤكدون كذلك على البعد القومي لهذه التربية من منطلق الحرص على تنمية الشعور الوطني في نفوس الناشئة خاصة وعامة الناس بصفة عامة حتى يتشكل من ثمة وعي وإدراك بضرورة الانتماء إلى المجموعة الوطنية والخروج من دائرة الانتماء القبلي والشعائري الضيق . الأمر الذي يجعلنا ندرك حقيقة بأن البعد التربوي في المؤسسات التعليمية ليس التحصيل العلمي وتعزيز البعد التنظيمي في المعركة منذ الاستعمار فقد كتب في هذا الصدد الأستاذ إسماعيل العربي يدعو إلى تربية وطنية في مضامينها وفلسفتها لتفويض السياسة الاستعمارية القائمة على مبدأ " فرق تسد " "...ليست وحدة الشعور الوطني والتفكير السياسي هو الأمر الوحيد الذي يمكن للتربية القومية أن تعالجه بل إن كثير من المشكلات الاجتماعية التي لا تزال البلاد تعاني منها في أضرارها ..."لا يمكن أن تجد حلولا حاسمة ما لم تكن تلك الحلول نتيجة لعمل مشترك قائم على أساس التربية القومية .

والتربية القومية هي التي يرجع إليها الفضل في تحويل تفكير الإنسان وجعل اهتمامه يتعدى حدود العائلة إلى القبيلة ثم الأمة كلها ، وهي خليقة بأن توسع أفق تفكير بحيث يتجه إلى خدمة مبادئ قومية في نطاق سياسي واقتصادي وثقافي واسع ، كما هو الشأن بالنسبة للولايات المتحدة ...ويستمد منهاج التربية القومية عنده من عناصر كثيرة أهمها :

1- الدين 2- اللغة 3- وحدة الظروف السياسية والاقتصادية . [3]

كما نظر المصلحون إلى هذه التربية الوطنية على أنها الحصن المنيع للناشئة الجزائرية حتى لا

تتعرض لعملية الاحتواء من قبل التعليم أللائكي العلماني ، والتعليم التبشيري لما كانت الوسائل التربوية الجزائرية تكاد تكون معدومة ، فقد اعتبر " المعلم " المحرك الأساسي في العملية التربوية فإن كان صالــحا

1- المصدر السابق

2- الشيخ محمد بن بكير : التربية سبب رقي الأمة . جريدة وادي ميزاب عدد 4 – 3 – 1927

3- الأستاذ إسماعيل العربي : مناهج التربية القومية جريدة البصائر عدد 93 (أكتوبر 1949) .

ووطنيا صلحت معه الأجيال وتشبعت بالروح الوطنية وإن كان فاشلا ولا يتملك أدنى حس وطني ، أتت الأجيال على يديه فاشلة مخيبة لآمال الشعب والوطن فقد أبرز الأستاذ ابن العابد ألجلالي. الدور الريادي للمعلم في العملية التربوية فكتب يقول "...يجب على المعلم أن يمحو من ذهنه كل اعتبار غير اعتبار كونه أبا يحمل صفات الأب كاملة من حب وشفقة وتحمل وتقدير النتيجة الطبيعية لكل عاطفة من هذه العواطف أمر لابد منه لأن كلا منهما أصل من أصول الأخلاق الكاملة التي تجعل من المعلم الذي يحملها قوة دافعة لأبنائه في سبيل العمل لصالح دينهم ، ولغتهم ، ووطنهم ، وتجعل من أذهان أبنائه صفحات أنصع وأكثر قبولا لصورة الكاملات النفسية . [1] وحتى يقدر المعلم الجزائري على أداء واجبه على أكمل وجه توجب عليه أن يتحلى بالقيم الوطنية المتمثلة في : 1) العربية والعروبة 2) الإسلام 3) الإيمان بالجزائر. وقد عكس ابن العابد هيامه بالجزائر في مقالاته وأشعاره حيث لم يخل نشيد من أناشيده التي نظمها للأطفال من كلمة الوطن " الجزائر " يقول في نشيده " الفتي "

جزائر العزا أسلمـي * دون بلائك دمـــي
هـذا فؤادي وفمـــــي * وانتظري كلي غدا
بنــــا الجزائر تعــود * كمــا تبدت للوجود
أفقا يغض بالسعــود * ويملأ الأرض نـــدى . [2] .

بل إن الشاعر محمد العيد يرى في إهمال التربية المدرسية السبب الرئيسي في انحطاط العالم الإسلامي ومن ثمة دعا المسلمين إلى ضرورة الاعتناء بالتربية(فعلى التربية فليقبل المسلمون وليعتنوا على الاخص بالتربية المدرسية وليضعوا لها المناهج المدققة والبرامج الموفقة، فما أوتي المسلمون إلا من ناحية إهمالهم لهذا الجانب وما وفق غيرهم إلا بما تداولوا فيه من رأي سديد وقول مفيد وعمل رشيد ...)(3). ويؤكد على هذا المنهج التربوي ويعضده أيضا الأستاذ علي بن حالة هو الآخر حيث نظر إلى مستقبل البلاد على أنه مرهون بحسن إعداد وتربية الناشئة ولذلك دعا معشر المعلمين لكي يحسنوا أداء وظيفتهم على أكمل وجه فهم قدوة تلامذتهم الذين يمكن أن نغرس فيهم الفضائل وروح الانتقام ما داموا صغار أما إذا صاروا كبار فيكاد يصير الأمر مستحيلا فمن شب على شيء شاب عليه .

"...إنه يصعب إصلاح المجتمع إذا أهملنا تربيته تربية أحداثنا لأنهم مجتمع المستقبل ، ولأن الإنسان يصعب عليه إصلاح نفسه إذا ما نشأ على القواعد القبيحة ..." [4] . داعيا المعلمين لكي يرتفعوا إلى مستوى القدوة الحسنة لتلامذتهم فيقول : "...ومما يؤثر على التلميذ الصبي أخلاق معلمه ، فإن أخلاق المعلم ينبغي جدا أن تكون حسنة وألا فسد تلاميذه ورمى بهم في هوة الرذائل ، وأما الصبي الذي يكون فيه رعاية المربي قبل أن

1- الأستاذ محمد الطيب العلوي . محمد بن العابد الجيلالي المربي ...مجلة الثقافة عدد 7 .8مارس 1995 م ص 124 .

2- المصدر السابق ص 126 . 3- محمد العيد، التربية المدرسية وأثرها في المجتمع، البصائر، عدد2، جانفي 1936

4- الأديب الشاب : علي بن حالة . تهذيب الأحداث وإصلاح المستقبل . جريدة المنار عدد

(27 رجب 1370 ه – 4 ماي 1951 م) .

تتكون فيه قوة الإدراك كلها ، وإنما بعضها ، فإنه لا ينبغي أن يخوض ببعض الوحوش . أو المخلوقات الوهمية أو بأي شيء كان فينشأ جبانا رعديدا وهذا عيب كبير في حق الرجل وفيه رذيلتان : رذيلة عملية سلبية وهي الجبن ورذيلة نفسية وهي اعتقاده أن الجبن ينجينه من الأخطار ..." [1] . فيقول بعد ذلك عن أثر التربية في نهضة البلاد "...إن الإنسان لا يمكن أن يجد زاجرا – وهو صوت الضمير _ إلا إذا تربى في صغره وقوم تقويما ولا سبيل إلى تأثير هذه التربية تأثيرا قويا في نفس الطفل إلا إذا قرنت بالتعليم ودامت معه حتى يجتاز المرحلة الأولى من حياته ويشب عن طوقه أما إذا فارقته فإنه لا نؤمن عليه سوء الأخلاق ولذا ينبغي أن نعير للتربية اهتماما في تعليمنا لأبنائنا حتى تستدعيهم البلاد .[2] .

أما أحد الكتاب بجريدة "المنار" فقد أكد على وجوب أن تكون مرجعية التربية والتعليم للجزائريين نابغة من قيم الأمة ومستوحاة من تاريخها الحافل بالأمجاد و البطولات وفي هذا البعد الوطني والقومي في التربية "...أما أهداف التربية والتعليم بالجزائر فيجب أن تستوحي نم تعاليم الإسلام وتستند إلى تقاليد الوطن التاريخية وتلائم المناهج السياسية لشعب عربي مسلم وتساعد على تحقيق أمانته القومية من وحدة عربية شاملة خالصة لا تشوبها شائبة الامتزاج والاختلاط بالمبادئ الاستعمارية التي ما تزال تسود الوضع الحالي للبلاد وقتنا هذا . [3] . داعيا في الأخير إلى الثورة على الأمية من خلال بناء المدارس وتوفير المعلمين الأكفاء "...إن الحملة لمكافحة الأمية يجب أن تشترك في إثارتها وإعداد العدة لها جميع الهيئات الثقافية والوسيلة لذلك هي تأسيس المدارس في جميع المدن والقرى وتوحيد المناهج والتوجيهات المسلكية وحين اختيار المعلمين الذين ينتدبون للقيام بهذا الواجب الوطني ذي الأثر العظيم في الاتجاه الوطني العام ..." [4] .

بناء على ما تقدم نقول بأن المصلحين الجزائريين قد أدركوا منذ وقت مبكر أن التعليم من دون تربية صحيحة لا يمكن أن يحقق الأهداف السامية المتوخاة منه وهو تكوين المواطن الصالح الحريص على خدمة وطنه و الدفاع عن دينه ومن ثمة نجد دعوتهم قد مست كل جوانب التربية الدينية ، والنفسية والمدنية والوطنية وهو إدراك ذو بعد شمولي لمفهوم التربية قديما وحديثا . وهي متوافقة في ذلك مع جوهر ما جاء في فلسفة التربية الإسلامية القائمة(5) على العناية بالجانب المادي والحسي في الإنسان "...بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الحسم ، فهي تعتني بالتربية الدينية والخلقية والعلميــة والــجسميـة دون

1- المصدر السابق .

2- المصدر السابق .

3- المطالع : أهدافنا من التربية والتعليم . جريدة المنار سنة أولى عدد13

(جمعة 6 ربيع الثاني 1371 ه 4 جانفي 1952 م) .4- المصدر السابق .

5- يرى القابسي أن تعليم الوالد لولده القرآن الكريم ليس واجبا دينيا فقط فبالاضافة إلى ذلك نظر إلى القضية كمسعى يكسب الفضائل ويحقق المراتب العالية عند الله، أنظر عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي، دار إقرأ، بيروت، ط1، بيروت، 1985، ص 79.

تضحية بأي نوع منها على حساب الآخر فمن المعروف أن النبي عليه الصلاة والسلام افتدى أسرى بدر بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، ومن وصايا عمر بن الخطاب إن يعلموا أبناءهم السباحة والرماية ..." (1) .

كما أن الحرص على جعل التربية أساس التعليم كقاعدة في تأسيس المشروع التربوي هو الوقوف في وجه المدرسة التبشيرية التي ينبغي بكل ما نملك لاستقطاب أكبر عدد من أطفال المسلمين إليها فقد كانت " الخدمات التعليمية التي قدمها المبشرون لأبناء الجزائريين ...تهدف إلى تحقيق غاية واحدة هي تنصيرا لأطفال الذين يؤمون المدارس التبشيرية ، وما البرامج التعليمية التي طبقوها في مدارسهم سوى إحدى الوسائل التي بواسطتها سعوا إلى تحقيق ذلك الغرض ... (2) .

وإذا كان هذا المسعى المقصود منه بناء الشخصية الوطنية بناء سليما فإنه من دون شك لايمكن أن يتحقق ذلك ويكتب له النجاح ما لم يدعم ذلك بإعادة النظر في المناهج المدرسية ومحتوى برامجها حتى تكون المحصلة التربوية عطاء و أداء وهذا ما حاول المصلحون الجزائريون أن يبرزوه من خلال طروحاتهم و اجتهدا تهم .

2) إصلاح المناهج التربوية والإدارة المدرسية :

على قلة اتساع رقعة دائرة التعليم في الأوساط الاجتماعية الجزائرية آنذاك راح المصلحون الجزائريون من أساتذة ومديرين ومشرفين على المؤسسات التربوية الجزائرية يدعون ويعملون على إحداث عملية إصلاح على مستوى البرامج ومحتوياتها والمناهج التعليمية وأساليبها وذلك حتى يكون لهذا التعليم مضمون وطني ويسهم في تكوين إنسان جزائري مؤمن بقضايا أمته الحضارية معالجين النقاط التالية :

أ- عقم طريقة التعليم وكيف يكون إصلاحها : نبه المربون الجزائريون إلى ضرورة العمل على ترقية التدريس فقد استصرخ أحد الكتاب مع مطلع العشرينات في جريدة الصديق القائمين على التعليم بوجوب تجديده وتطويره بعد أن أصابه الإهتراء والعقم معززا قوله بشواهد من التاريخ الإسلامي "...وإلى متى هذا الفتور من العزائم ومذهب كل غافل إلى ارتياد ما يحلو له لنيل سعادته ورميه ...؟ .(3) ثم يضيف بقوله :"...وإلى متى هذه الغفلة الطويلة وسكوتكم العميق ؟ أفما أنتم أبناء سادات القرون الوسطى ذوي المعارف العليا وأصحاب المدارك الوقادة التي توقت العالم بتعاليمها الصحيحة لربما أنكم تذكرون أن هذا التعليم العقيم الذي تزاولونه هو مما كان أولئك الأسلاف الكرام يعتنون بتشييده وتنظيمه على هذا النظام فبحق نقول لكم ليس الأمر كما تزعمون بل أولئك الأسلاف شيدوا نظاما لم يبق منه لديكم إلا القشور وأسسوا مشاريع

1-الأهواني : التربية في الإسلام ...ص 9 .

2- وعلي : التعليم التبشيري .....ص 134

3- (م _ س) التعليم العقيم وتقصير المعلمين في التعليم جريدة الصديق عدد 4 (3 أوت 1920) .

علمية أنجبت الفحول في عنوان شبابهم وصغر سنهم ، وكان أكثر متخرجي المكاتب القرآنية في ذلك العصر الإسلامي المنير يخرجون محرزين على مبادئ العلوم الدينية والأدبية حتى أن بعض الصبيان ينظمون الشعر وهم في نفس المكتب يزاولون حفظ القرآن الكريم وهذا خلاف لبعض الدارسين الزاعمين بأن القرآن الكريم لا يمتزج معه في التعليم شيء مطلق إلا أنهم معذورون لإنشاء أهم القصور . [1] .

وقد أعاب الشيخ ابن الهاشمي على رجال التربية ما كانت عليه الكتاتيب القرآنية من جمود وتخلف في طرائقها التعليمية وتحفيظها للقرآن الكريم من دون أدنى فهم "...إذا سألت المتعاطي للقرآن اليوم عن حالته في التعليم أجابك بأنه وصل إلى سورة كذا ، وإذا ناقشته في فهم بيت شعر أو آية من القرآن الكريم أجابك بأحد أمرين إما بقلب المعني أو بدعوى الجهل بالكلية ، وإذا سألته عن أمد تعاطيه للقرآن أجابك بأنه ابتدأ القرآن منذ عشر سنين . [2] . أما الشيخ الأستاذ أبوا ليقظان فرد ضعف التعليم إلى ضعف المعلمين في مستواهم وأدائهم وطرق تدريسهم واعتمادهم على أسلوب التعنيف ومنع الطريقة الحوارية(3) لإيصال المعرفة للتلاميذ "...والتلميذ في أثناء ذلك كالمريد أمام شيخه ، لا يبدي حراكا كأنما على رأسه الطير ، وإذا حاول أن ينبس ببنت شفة لإستضاح مبهم أو استكشاف مغلق ، فسرعان ما يعد مما ريا ، ومناظرا يجب كم فمه وإخماد أنفاسه وأن حمله الشغف للبحث واستجلاء الغامض ، حكم عليه بأنه معاند ومكابر [4] وهذا يعد خلاف للطريقة الفضلى عند المربين وهي الطريقة التي تجمع بين الإخبارية والحوارية [5] .

_ وقد اقترح الأستاذ ابن العابد المبادئ التالية في العملية التربوية حتى تؤتى كلها و هي :

1- اعتماد الواقع الجزائري بخصائص طبيعته ومجتمعه أساسا في المواد التعليمية "والطبيعي أن تختلف صور الحياة في هذا القطر عنها في القطر الآخر فإن مناظر الوطن وصور حياته في مصدر إلهام أبنائه فخير لنا ولأبنائنا أن تعرض عليهم أشياء و أسماء يشترك في تطبيقها على حقائقها الحس والذهن معا.[6]

2- أيضا مراعاة واقع الطفل، وله تفكيره وحاجاته خاصة في وضع البرامج، وتأليف الكتب : " فعلى

1- المصدر السابق .

2- الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي تهذيب التعليم بالمكاتب القرآنية ووجوب تغيير البرنامج الحالي جريدة النجاح عدد 186 (12 _12 _1924)

3- كانت طرق التدريس بالجزائر وببلاد المغرب ككل تقوم على الالقاء والشرح والتلقين وهي طريقة تقليدية يكون فيها دور الطالب سلبيا يعتمد على الحفظ وعندما قدم علماء الاندلس أدخلوا على أسلوب التدريس طريقة تعتبر حديثة في ذلك الوقت أعتمد فيها على المحاورة والمناقشة والتعمق في التحليل والبحث والتعليل يشارك فيها الطالب بما يقدمه من أبحاث وآراء حتى يتسنى له استيعاب الموضوع، كما يكلف الطالب بالابحاث والانشاء وبالتحرير لتوسيع نطاق معارفه. أنظر عبد العزيز فيلالي، جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، مجلة سيرتا، عدد10، أفريل 1988، رمضان 1408، ص 66 وما بعدها.

4- الشيخ أبوا ليقظان العلم والتعليم الصحيحان جريدة وادي ميزاب عدد 6 (5 _ 11 1926)

5- الطالب عبد الرحمان بن أحمد التيجاني : الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 _ 1977
ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983 ص 80 .

6- الشيخ ابن العابد الجلالي نشرة مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة عام 1936 .

العلماء أن يستحثوا همم الأمة إلى تأسيس الجمعيات التعليمية ، وإن يمدوها بإرشاداتهم ، وأن يخصصوا منهم لجنة لتأليف كتب دراسية مصورة على عدد سني الدراسة تكون مادتها من نوع ما يقع تحت حس الأطفال ومداركهم وأذواقهم" .

3- استخدام الأساليب الحديثة في حدود المحافظة على الشخصية الجزائرية المسلمة ، وعدم الوقوع في عدوى التقليد الأعمى : " على المعلمين أن يسلكوا في تعليم الأولاد أحدث الطرق وأقربها إلى أذهان الناشئة وأن يقتصروا لهم من التعليم الديني على الآداب والأحكام " [1] " وليس معنى هذا أننا ننكر فائدة الأساليب الحديثة إنما نريد أن نسترشد بها في سبيلنا ولا نقلدها تقليدا أعمى ، ليكون سيرنا بأبنائنا وبناتنا إلى الغاية لمقصودة في طريق واضح ، ليس فيه غموض ولا إبهام " إن المسألة مسألة ثقافية ، وهي فن من الفنون التي تقوم على ملاحظة الطبيعة ومحاولة تعديل أوضاعها بما يناسب الذوق أو المصلحة . [2] .

4- ربط التعليم بالتربية " فإذا أضيفت إلى التعليم التربية كان موقف المعلم هنا أدق وأشد حرجة ذلك لأن التربية والتعليم كلاهما من عمل الآباء وليس كل معلم في استطاعته أن ينزل نفسه منزلة الأب من أبنائه"[3]

5- الابتعاد عن طريقة الخطأ وتكديس المعلومات وتعويضها بتنشيط تفكيرهم مع مراعاة نموهم العقلي : " فلنحذر الحذر كله من أن نستغل نشاطهم، وحشو أذهانهم بمحفوظات معنوية لا تتناولها أذهانهم البسيطة"

6- خلق الحوافز لدى الأطفال المتعلمين "... كما يجب تخصيص شهادات وحوافز للمجدين في ناحية من نواحي التعليم ..."[4] .

7- التنبيه إلى تجنب اكتظاظ الأقسام الدراسية " فلا يجاوز القسم أربعين تلميذا ، وما زاد على ذلك فهو نقص في ثمرة التعليم ، بل ربما يجعله عقيما بالكلية " . [5] .

8- توسيع دائرة النشاط لدى الطفل بتعويده ممارسة بعض الأعمال وتدريبه على مزاولة الرياضة البد نية "... ولمضاعفة هذا النشاط يجب تهيئة طرق لتشغيلهم بعد التحصيل وإدخال بعض الصناعات في مدارس التعليم ، وأنواع من الرياضات البد نية ..." . [6] . وهناك نواح تفطن لها الشيخ ابن العابد ودعا لها : كمجانية الكتاب المدرسي و جزأرة الكتب والمواضيع المدرسية وترسيم الرياضة البد نية وتعليم التربية الفنية . كما تفرد في تعليم اللغة العربية والمواد الاجتماعية بطرق ناجعة استوحاه من خبراتـه الشخصـيـة ،

1- محمد بن العابد الجلالي ، السجل ، ص 111

2- الشيخ ابن العابد نشرة مدرسة التربية والتعليم الإسلامية عام 1936

3- المصدر السابق .

4- المصدر السابق .

5- المصدر السبق .

6- المصدر السابق .

واستطاع باجتهاداته المركزة على تحديث الطرائق والوسائل أن يخلق في نفس الأطفال رغبة وإقبال ، لم يعرفه التعليم الرسمي ولا التعليم الكتابي المنتشر آنذاك . [1] .

وفي هذا السياق اعتبر الأستاذ الأغواطي أنه إذا كان التعليم ضروري لكل أمة ولا يمكن لها الحياة بدونه فكذلك لا يمكن لها أن تأمل الخير والنجاح إذا كان تعليمها القومي مختلف المناهج تتحكم فيه الفوضى والإظطراب إذ أن اختلاف برامج التعليم في الأمة الواحدة دليل على ضعفها وتقهقرها وهو من أعظم الآفات وأخطرها على وحدة الشعور التي يجب أن تسود البلاد والتي إذا فقدت معها قوة الشعب الأدبية وحل محلها الشقاق وكثرة المذاهب والآراء التي من شأنها أن لا تعود بكثير فائدة على الشعوب الهزيلة المحتاجة إلى التغذية الأصيلة مثل شعوب شمال إفريقيا وبالأخص الشعب الجزائري . [2] .

ويضرب أمثلة عن هذا الواقع التربوي المتردي فيقول :

ومن آثار هذا التعليم القومي أننا نشاهد بين طلاب من حيث هم فروقا عظيمة في المعلومات فضلا عن العمر والقابلية العقلية المعبر عنها ب " الاستعداد الفطري ". [3] ولا يخفى انعكاس هذه الفروق في المردود التربوي حيث " يتسبب عن هاته الفروق اختلاف الخامة فيما بينهم في المسائل التي هي من حقها أن تكون من باب المثقف عليه بالطبع ...وكذلك نجد صغار الطلبة يتجادلون في أحقر المسائل التي لا طائل تحتها ولا نجد بعضهم شديدي التعلق بالمناقشة في الألفاظ أكثر منهم بها في المعاني الجوهرية وكثيرا ما يؤدي احتكاكهم بأتفه الأمور إلى إساءة الأدب وتحريج بعضهم بعضا من غير داع لذلك ..." [4] .

ويظهر الضعف واضحا في الزوايا والمدارس القديمة حيث ينعدم التأطير الجيد فيها ، الأمر الذي يجعل الطلاب لا يستفيدون من التعليم بالتقليد هذا بالقدر الذي يجعل منهم إطارات نافعة ومفيدة لمجتمعهم الذي هو في أمس الحاجة لإسهاماتهم العلمية "...إن اختلاف التعليم بالجزائر يظهر جليا في الزوايا القديمة والمدارس الحديثة ففي الزوايا نجد التعليم قاصرا على كتاب أو كتابين من كتب الفقه يحفظها طلابها حفظا بمتنها وشرحها وحواشيها بدون فائدة إذ لا يجدون أستاذا كفئا يرشدهم طريق الاستفادة ، ويترتب على أنك إذا سألت أحدهم في مسألة من المسائل أصلا ، وكثيرا من أمثال هذا الجهول من يؤم المسلمين ، ويا للحزن في صلاتهم ويرشدهم إلى دينهم حسبما يمليه عليه جهله المركب أنه أصاب شاكلة الصواب ..." [5]. ويعتقد أبو يعلى الزواوي أن سبب انحطاط التعليم مرده عقم طرق التدريس فحسب ما ذكر له أحد الناس انه حضر ثمانية عشرة مرة دراسة المقدمة الأجرمية وما فهم منها شيئا ثم حضرها على طالب علم آخر مرة واحدة وما غاب عنه شيئ في محتوياتها فاستفاد في نصف شهر مالم يستفده في أعوام وهذ من حسن الصناعة والإجادة ...).(6)

1- الشيخ الطيب العلوي : محمد بن العابد الجلالي ...الثقافة ص 129 .

2- الشيخ أحمد أبي زيد الأغواطي : التعليم عندنا وحاجته إلى التوحيد ونظام مجلة الشهاب ج 1 م 13 (14 مارس 1937)

3- نفس المصدر .4- نفس المصدر 5- نفس المصدر .

6- أبو يعلى الزواوي، تاريخ زواوة، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، ط1، الجزائر، 2005، ص 150.

- ونظر الأستاذ عبد الرشيد مصطفاي إلى هذا الضعف الذي عليه التعليم العربي في الجزائر على أنه نتاج افتقاد العملية التربوية لأبعادها البيداغوجية أكثر من افتقادها للبرامج ومحتوياتها ، ذلك أن التعليم لا يجدي نفعا ولا يثمر إلا إذا كان المعلم يعرف كيف يفيد ، وبعبارة أدق ليس التعليم متوقفا على البراجم بل نحن محتا جون فيه إلى أساليب وكيفيات أكثر منه إلى البرامج وأي معلم عربي جزائري تقرر عنده كل هذا بل أي معلم جزائري تقرر عنده أنه يعلم شتى العلوم إلا في البيداغوجية فإنه لا يعرف أن هناك فن البيداغوجية وأن هذا الفن يبحث في أساليب التعليم المنتجة بقول : التعليم هو الإفادة بأسهل طريق وأنفعها [1] .

كما بين عدم نجاعة تعليم قواعد اللغة العربية بواسطة اللغة الفرنسية بحيث لا يتعود المعلم على النطق باللغة العربية وأن للإنسان إذا ما حظر درسا من هذه الدروس ليسأل نفسه أهذا درس في اللغة العربية أم هو درس في اللغة الفرنسية لكثرة استعمال هذه [2] ،الأمر الذي يتوجب حسبه من المسؤولين إقصاء مثل هذه الكتب من برنامج التعليم واستبدالها بكتب أخرى عربية محض حتى يتعلم التلاميذ اللغة العربية بالكيفية العربية العصرية ، وبهذا التغيير لا بغيره يصلح التعليم العربي في المدارس الثانوية وبهذا التغيير لا بغيره يستطيع التلميذ أن يقف على اللغة العربية وقواعدها وأسرارها ويتشوق إليها في حياته العلمية . [3] .

_ ويعزو أحد الكتاب المصلحين رمز إلى اسمه ب " عبد الرحمن " حالة الانحطاط التي آل إليها التعليم عند الجزائريين إلى جمود المناهج التربوية وعدم عصرنتها وعدم قدرتها على تحقيق أي مردود تربوي مهما طالت مدة الدراسة حيث يقول : "...التعليم في وقتنا يكاد ضوءه ينطفئ إن لم نقل انطفأ تماما . كيف يزدهر وغالب من يزعم أنه المتعاطي له يسلك طريقة عقيمة لا تنتج نتيجة ولو استمرت عمر نوح ..." [4] . معتبرا نفرا من الجامدين سببا في عقم التعليم وهم بالتالي يشكلون حجر عثرة أمام أي تطوير أو ترقية للتعليم فهم بالمرصاد لكل مصلح ومجدد في هذا الميدان داعيا الناس الذين تشربت نفوسهم بمبادئ الإصلاح أن لا يفشلوا بل ينبغي عليهم أن يولوا عناية فائقة لأبنائهم المتمدرسين بتوفير المناخ الملائم والمشجع للاستزادة من العلم والمعرفة حتى لا تكون النتائج سلبية وعكسية . "...كيف يزدهر والأفراد الذين يوفقوا إلى طريقة من طرقه المنتجة تشن عليهم الغارات ليل نهار ويرشقون بنبال التخطبية ثم كيف يزدهر ومجموع أفراد الأمة نسك الطريقتين لا نبلغ واحدة في المائة على أن عشر ذلك المجموع لـــم ينقطـــع إليـــه

1- أنظر نشرة أعمال المؤتمر الثاني لطلبة شمال إفريقيا المسلمين بالجزائر 1932 ص 23 _ 24 .

2- نفس المصدر ص 28 .

3- نفس المصدر ص 28 _ 29 .

4- عبد الرحمن : حالتنا التعليمية جريدة وادي ميزاب عدد 2 (18 _ 10 _ 1926)

كمال الانقطاع لذا يجب علينا نحن الذين تسمح نفوسهم بتضحية قسط من عرق جبينهم (إن أردنا إحياء مجد أمتنا حقيقة) أن نشجع نفوسنا بعدم إشغال أولادنا إلا فيما يزيد اندفاعهم إلى الأمام وألا فيما يحي ميت عزيمتهم وولههم إلى العلوم حتى لا نرى ثلمة في جدار تعليمهم وما دمنا لا نهتم بهذا ، ولا نعتبره نقطة من أهم نقط الحياة فلا يرجى كمال نجاح ولا حسن نتيجة . [1] . وراح يصور الوضعية التعليمية المزرية والمنحطة من عزوف على العلم ، واعتباره أمرا ثانويا في الحياة إن لم يكن مضيعة للوقت في نظرهم ،ومن ثمة صار يتعاطى هذه المهنة النبيلة كل من هب ودب فذهبت قيمة المهنة وهانت في عيون الناس وصرنا لا نناقش أبنائنا في مسائل تعليمهم وكان قصد الكاتب من ذلك أن يدفع بالغيورين على أمتهم للمبادرة لإصلاح القطاع التربوي وأن يحرصوا على متابعة العملية التربوية حتى تؤتى أكلها وتينع ثمارها . فالإدارة الاستعمارية لا يهمها التعليم العربي الإسلامي ما دام لا يتوافق مع مشروعها الحضاري الاستعماري . "...و ما دام السواد الأعظم يعتبر التعليم من سقط المناع ولا يستقل به إلا البطالون و الكسلاء ، وإن الاهتمام به ضرب من العبث ولم نفرق بينه وبين مآخذه المنتجة والعقيمة فنحن بمعزل من نيل أوفر نصيب وما دمنا لا نعهد بأولادنا إلى أساتذة مهرة أكفاء يوصلونهم إلى درجة الرجال العاملين ونثقف عقولهم بعلوم خالية من الأوهام والخرافات ، وما دمنا لا نناقش أبناءنا الحساب فقد عزدواؤنا وضللنا السبيل أهدانا الله بصرافك ..." [2] .

ولا يذهب بعيدا عن هذا التوجه والطرح الأستاذ الفضيل الورتلاني الذي رأى قي تربية الأولاد وإعدادهم مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الأولياء الذين ينبغي ليس فقط إيصال الولد إلى أي معلم وتركه عنده بل ينبغي انتقاء المعلم الكفء العارف بخبايا التعليم والمتمكن من أساليبه التبليغية العصرية حتى يتحقق

التعليم "...لا يظن أن ذلك المربي هو كل من انتصب لتحفيظ القرآن على الحذاق ...فالرغبة في القرآن لا تكون بحال بمجرد العناية بحفظه وصرف الوقت في مطلق سرده ، إنما الرغبة فيه تكون بفهم تعاليمه وإدراك حكمه وأسراره ..." [3] .

ولكي يقتنع كل من مازال مترددا في تقبل المنهج الحديث القائم على الفهم لا على السرد والإلقاء الجاف الذي يصير صاحبه كمثل الحمار يحمل أصفارا لأنه يحفظ معلومات لا يدرك معناها و لا الغاية من تعلمها . ضرب أمثلة عن جمود الكثير من المؤسسات التربوية الأمر الذي جعل حصيلة عملها هزيلة ومؤكدا على منهج التعليم العصري في الوصول إلى من الغاية التربوية فيقول : "...ومن أراد التحقيق فليراجع التاريخ . هل كثر الحفاظ بالكيفية القديمة أو الحديثة ففي قسنطينة قبل اليوم مثلا عشرات إن لم نقل

1- نفس المصدر .

2- نفس المصدر .

3- الشيخ الفضيل الورتيلاني : التربية والتعليم مجلة الشهاب 1936 ص 35 .

مئات الكتاتيب القرآنية بيد أن حفاظه يعدون على الأصابع مع زهدهم بعد في العمل على فهمه ، والسبب في ذلك واضح هو الاقتصار على التحفيظ دون التفهيم في الكيفية العتيقة فلم ينف من شك إذن أن الطريقة التي أشرنا إليها هي وحدها النافعة وغيرها إلى العقم أقرب منها إلى الفائدة ..." [1] .

والحق أنه منذ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة1931م وهي تسعى جاهدة للنهوض بالمنظومة التربوية الجزائرية فقد أدرجت مسألة التربية والتعليم في مؤتمرها السنوي الخامس بنادي الترقي سنة 1935 م حيث تناول الحضور موضوعات التعليم ألمسجدي والمدرسي ، وطريقة الدعوة والإرشاد ألقيت فيه مجموعة من التقارير والخطب الهامة تضمنت مسائل طرق التدريس ومناهجه والأمية . [2] . وكانت خلاصة التقارير التربوية تدعو إلى:

1- الدعوة إلى ترقية التعليم العربي شكلا ومضمونا في أساليب وطرق التدريس .

2- وجوب تعليم الفتاة الجزائرية .

3- طبع التعليم بالتربية الدينية الإسلامية وجعل إحياء اللغة العربية هدفا له . [3] .

ومع توسع دائرة التعليم العربي في شتى نواحي البلاد زادت الحاجة إلى عقد اللقاءات التقييمية لمسار في تعليم المؤسسات التربوية أكثر فأكثر . حيث صار الأمر يتطلب مراجعة المناهج التربوية ومحتوى البرامج من حين لآخر على وجه الخصوص ، والظروف المادية والأدبية المحيطة بذلك بصفة عامة حيث يتوقف نجاح العملية التربوية على الظروف التي فيها .

وبناء على ذلك فقد تم عقد مؤتمر المعلمين الأحرار تحت إشراف جمعية العلماء بتاريخ 16 / 17 رجب 1356 ه الموافق للعاشر من سبتمبر 1937 م بنادي الترقي – الجزائر – والذي تناول أبرز المسائل التربوية التي كانت تتطلب إعادة النظر فيها وتقويم مسارها : مثل المناهج والبرامج واحتوى جدول أعماله على المواضيع الآتي بيانها : والكتب المدرسية ، والاستماع إلى اقتراحات المدرسين في هذا الصدد وهذا ما نلمسه في جدول الأعمال الذي دار على المحاور التالية :

_ ما هي وسائل توحيد التعليم ؟ .

_ ما هو الأسلوب الأمثل في التعليم ؟ .

_ ما هي طرائق تربية الناشئة ؟ .

_ خلاصة التجارب في التربية والتعليم ؟ .

1- المصدر السابق .

2- أنظر سجل جمعية العلماء ...ص 35 .

3- نفس المصدر ...ص 115 .

_ ما هي الكتب المختارة للتدريس ؟ .
_ ما هو الرأي في تعليم البنت المسلمة ؟ .
_ ما هو الرأي في طريقة التعليم ألمسجدي ؟ .
_ تقديم تقارير حول إقبال الأمة على التعليم ...الخ . [1] .

أما المؤتمر الثالث للمعلمين الذي عقد بدار جمعية العلماء في شهر سبتمبر 1947 م في العاصمة تحت إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي وبمحضر الشيخ العربي التبسي والشيخ محمد خير الدين ...ومعظم أعضاء الجمعية ...وتضمن جدول أعمال المؤتمر ...وضع مناهج ونظم تربوية وتعليمية . تقتضيها المرحلة التي أصبح الشعب يعيشها ويتطلع إلى ما بعدها تمشيا مع تطور سير النهضة الوطنية العامة في البلاد ومع الإقبال المتزايد على فتح مدارس جديدة في العديد من المدن والقرى ، وما يتطلبه ذلك من توفير المعلمين الأكفاء لتلك المدارس التي تعلق عليها الآمال في تربية الأجيال على خير مثال وتوج ذلك المجهود في ترقية

المنظومة التربوية في استحداث جمعية العلماء قرارا تاريخيا (شهادة الدراسة الابتدائية) في مدارسها سنة 1952 م ، وقد لقيت هذه الخطوة الجديدة ارتياحا واستحسانا لدى جميع الفئات الشعبية وبعثت روح الجد والنشاط في جميع الهيئات العاملة في حقل التربية والتعليم [2] .

كما كلفت لجنة التعليم سنة 1954 بوضع البرامج و الاشراف على تنفيدها(3)

<u>ب) الدعوة إلى العناية بالتربية البد نية :</u>

ولم يخف المهتمون بقضايا التربية والتعليم أيضا ضرورة العناية بالتربية البد نية وإدخالها في البرامج الدراسية فقد ألح مدير مدرسة الحديث بتلمسان على وجوب العناية الفائقة بالتكوين ألبدني للتلاميذ بنفس اهتمامنا بتكوينهم في المجال الديني والعلمي والثقافي "...وبعد أما آن لنا أن نؤمن بفائدة الرياضة فندخلها في برامجنا التعليمية ، ونهتم بها مثلما نهتم بالتربية الدينية وسائر الفنون العلمية ؟ فصحة الأطفال في التعليم جد هامة كأهميتها في مستقبل حياتهم الاجتماعية ومحال أن تحقق معاني التربية والتعليم في مدارسنا المسماة بذلك مع أطفال ضعاف البنية معتلي الصحة ما دامت جودة الصحة هي الغرض الجوهري من كل عمل ..." [4] . ثم يضيف في دعوته إلى ضرورة العناية باستقامة التلاميذ في أقسامهم فيقول : "...فنحن نريد من مدارسنا (مدارس التربية والتعليم) أن تكون خير عامل للتربية الحقة والتعليم الصحيح ، لتحافظ على أبناء الأمة ومعقد آمالها في المستقبل ، فتجعل من حجراتها مستشفيات للعقول والنفوس والأبدان فتعتني بتقويم أجسامهم كما تعتني بتقويم ألسنتهم وتهتم بتهذيب خلقهم إلى جانب اهتمامها بتهذيب أخلاقهـم ،

1- انظر جريدة الأمة عدد 138 (28-9-1937).

2- علي مرحوم، جمعية العلماء، الثقافة، عدد 66، 1981، ص 30 .

3- انظر مخضر جمعية العلماء، سبتمبر 1954، ص.41

4- الشيخ محمد الصالح رمضان : الطفل والرياضة البد نية جريدة البصائر عدد 93 (31 / 10 /1949) .

كما اعتبر الأستاذ عمر جغر أن التربية البدنية ضرورية لكل أفراد المجتمع، فهي عنده لازمة لكل فرد و جماعة و خصوصا للمشتغلين بالأشغال العقلية و كثيري الجلوس و المصابين بأمراض للمعدة و تكون في الأماكن الواسعة[1] .

ج- كيف تكون العلاقة بين التلميذ والمعلم ؟ :

اهتم المربون بعلاقة التلميذ بمعلمه وفق ما يستجيب للنظرة الحديثة فقد لفت الأستاذ الشيخ محمد الشبوكي[2] المربيين إلى ضرورة الابتعاد عن العنف في تعليم الأطفال حتى يكون فعلهم التربوي ناجحا وفاعلا مثمرا . "...إذا كان لكل شيء أساس عليه يبنى وبه يتقوم ، فإن التعليم الناشئة وتثقيفها لأساس عظيم الاعتبار لا تظهر فوائد التعليم ولا تجني ظفرا به إلا به وما ذلك الأساس إلا تربية الناشئة وتغذيتها بكل ما يندرج بها إلى الكمال وينمي في نفوسها الصغيرة معاني الفضيلة وليس المقصود من كلمة "التربية" ذلك المعنى الضيق الذي لا يتجاوز إرهاب الطفل وإكراهه على الخضوع إلى قوانين المدرسة خضوعا لا يجد معه لذة ولا يتنشق فيه عبير الحرية بل المقصود من الكلمة معنى أوسع وأسمى وأعظم خطرا من ذلك ولعلي لا أكون مخطئا إذ قلت : أن هذا المعنى هو توجيه الطفل إلى الصلاح بأساليب تمليها شخصية المعلم نفسها..."[3] .

ودعا المعلمين إلى بذل جهدهم في التعامل بالحسنى مع التلاميذ حتى يألفهم ومن ثمة يكونون مستعدين نفسيا لتقبل المعارف العلمية منهم ، فالنجاح العلمي متوقف على النجاح التربوي . أي إيجاد ثقة متبادلة بين الملقي والمتلقي "...فعلى المعلم أن يفهم جيدا أن سلوكه الحسن مع تلاميذه هو المادة الأولى والهامة من مواد التعليم ، فإذا كان هذا صحيحا ، ولا أخاله إلا صحيحا فجدير بالمعلم أن يعني قبل

1عمر جغر، الرياضة البدنية في المعهد، البصائر، عدد 90 (1949.09.05) .

2- : هو الأديب الشاعر محمد الشبوكي ولد سنة 1915 م ببلدة الشريعة بتبسة وبها حفظ القرآن الكريم ومنها رحل إلى الجريد التونسي حيث أخذ الدروس الأولية في علوم العربية والإسلام ثم عاد إلى الوطن حيث واصل دراسته على يد الشيخ العربي التبسي سنة 1937 م حيث التحق بالزيتونة ، تحصل على الأهلية في سنته الأولى . وبسبب الحرب العالمية الثانية وقع انقطاع دام سنتين ثم واصل تعلمه بالزيتونة حتى حصل على شهادة " التحصيل " سنة 1934 م .

التحق بالقرية الإصلاحية تحت إشراف جمعية العلماء وصار من مساعدي الشيخ العربي التبسي بعد أن التحق به طلاب (الجامع الأخظر) بقسنطينة بعد وفاة العلامة ابن باديس سنة 1940 م

عمل وأدار مدار لجمعية العلماء (تاورة – باتنة – شريعة) شارك في الثورة التحريرية وسجن بعد الإنقلاب صار عضوا بالمجلس الإسلامي الأعلى . أنظر محمد الأخضر السائحي ، روحي لكم تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1962 ص 105 وما بعدها .

3- الشيخ محمد الشبوكي : التربية أساس التعليم جريدة البصائر عدد 2 (1_ 8 _ 1947) .

عنايته بتلقين مادة الدرس وشرحها شرح شخصيته لتلاميذه وافاضته عليهم من روحه وأن يثق بأنه لا يكتب له النجاح في مهمته التعليمية إلا إذا جاد ذلك الشرح ويرع في تلك الإقامة . فوضيفة المعلم حينئذ ذات طرفين: تربية وتعليم ولا يحصل الطرف الثاني إلا بحصول الأول كما لا تكون النتيجة إلا بمقدمتها ..." [1] . ويحث الأستاذ الشبوكي على تعزيز البعد التربوي في العملية التعليمية الذي يؤدي إلى تقوية المردود العلمي فيقول : "...ولست في حاجة إلى القول بأن الاعتناء بالناحية المادية من برامج التعليم ، وإهمال الناحية الروحية منها هما اللذان شكوا مدارسنا أثرهم السيئ في نفوس التلاميذ فنحن وإن كنا نحمد الله على أن لنا مدارس شيدناها بأنفسنا رغم الأهوال و الأغوال وضحينا في سبيلها بكل مرتخص وغال إلا أن ذلك كله لا يمنعني من الهمس بحقيقة حلوة ولا أقول مرة في آذان إخواني المعلمين ملاحظا لهم بأننا أمناء هذه الأمة الجزائرية على أبنائها الذين هو معقد آمالها ومكامن عضويتها وجيل مستقبلها ، ولا يمكن لنا أن نرعى هذه الأمانة بكل إنصاف إلا إذا أنصفنا أنفسنا فقوينا نواحي الضعف منها وكملنا جوانب النقص فيها حتى تكون لنا هذه النفوس أوفر مادة للتربية تعيننا على واجبات التعليم وبهذا أيها الإخوان لا بغيره نستطيع أن نقولها صريحة مدوية : ثقي أيتها الأمة الجزائرية العربية المسلمة بأننا سنكون من أبنائك جيلا شعاره العروبة الناطقة والإسلام الصحيح ..." [2] .

وواضح أن علاقة المعلم بتلامذته ما فتئت بعد العصور الذهبية تتدهور شيئا فشيئا حتى صارت في العصور المتأخرة بعيدة كل البعد عن قواعد التربية وروح الإسلام ، حيث حلت القسوة محل الرفق ، الأمر الذي أدى إلى ضعف المردود التربوي والتحصيل العلمي بسبب ذلك . فكثيرا ما يكون العنف اللفظي والجسدي هما سبب تسرب الأولاد من مدارسهم وقد كره المربون في الإسلام "...التشديد على الصبيان ، ونصحوا بالرفق واللين فقد سئل القابسي مثلما سئل قبله ابن خلدون وسحنون "...هل يستحب للمعلم التشديد على الصبيان أو ترى أن يرفق بهم ...فهو يسوسهم في كل ذلك بما ينفعهم ، ولا يخرجه ذلك من حسن رفقه بهم ، ولا رحمته إياهم ، فإنما هو لهم عوض عن آبائهم . .."[3] .

وهذا ما جعل الكثير من المربين الذين يباشرون العملية التربوية يوميا ينصحون إخوانهم المعلمين بضرورة نهج أسلوب الرفق في التعامل مع الفصول الدراسية ، فقد بين الأستاذ محمد الحسن الورتلاني(4) عيوب الطريقة التقليدية في التعليم والتي تعتمد على العنف والإسراف في استعمال القوة عوض نهج أسلوب اللين والرفق في العملية التربوية معززا كلامه بشواهد من الواقع المعيش "...لقد شاهدت أكثر معلمي المكاتب القرآنية لا يرون في تأييد التلميذ وتأديب وغرس الطاعة في ذوقه إلا بطريقة " العصا والفلقة " و ما يضارع هذا من القسوة والشدة والعنف جهارا وعنوة فيكون التلميذ بهذه الكيفية .

1- نفس المصدر .2- نفس المصدر .3- الأهواني : التربية في الإسلام ...ص 130 .

4- ولد ببني شبانة في سنة 1914 تعلم بمسقط رأسه ثم تابع دراسته بقسنطينة على يد العلامة عبد الحميد بن باديس عمل في سلك التعليم العربي الحر في مدارس جمعية العلماء كمدرس ومدير علم بباتنة وبمدرسة الفلاح بوهران واثناء الثورة درس بمدرسة التهذيب بالابيار وبعد الاستقلال عمل مفتشا للتربية والتعليم أنظر من أعلام الإصلاح، ج2، ص174 وما بعدها.

- ولا ريب – فاقد النقاش والإحساس الروحي ..." [1] . وينصح بالطريقة المثلى في التعليم فيقول : "...فالمعلم واجبه أن يستعمل الأسلوب الذي يستولي به على مشاعر قلوب التلاميذ والتلميذات ، وإن يدرأ سيئاتهم بالرفق والمجاملة لا بالشدة والفظاعة ، فإن كان الكبير في حق الداعي أن يدعوه بالحكمة والموعظة الحسنة ويعالج مفاسده بالتي هي أحسن فكيف بالصغير الذي يرى في عنفوان طفولته إلا الهزل و المزح فيمكن معالجته شيء يجلبه عن الرذالة ويسله من النذالة كما تسل الشعرة من العجين مـــــن حـيث لا يشعر ،وبذلك تستقيم أخلاقه حيث يشب على أشرف الخصال ونبالة الروح ..." [2] .فمهمة التعليم تتطلب الكثير من الزاد العلمي والدراية بالمهنة والرغبة التطوعية لممارستها والشخصية المتزنة ، فينبغي على المقبل على ممارستها أن يعرف المسؤوليات والصعوبات الموجودة فيها فلا يفت بمظهرها الخارجي ويعض امتيازاتها الجذابة الرغبة في الاتجاه إليها [3] . بل أن سر نجاح العملية التربوية كما ذهب إلى ذلك الأستاذ الجيلالي الفارسي تعود إلى حد كبير إلى شخصية المعلم الذي يعرف وظيفته حق المعرفة ويدرك المسؤولية تجاه الناشئة التي تعد وديعة عنده وأمانة في عنقه يتوجب عليه أن يرعاها حق الرعاية فيقوم مقام الأولياء في العناية بأبنائهم "...أما الأخلاق التربوية فهي بيت القصيد في المعلم ويجب أن يكون من الشروط الأساسية لقبوله إذ هي التي تضمن له النجاح في مهمته وأقصد بالأخلاق التربوية تلك العواطف والسجايا التي تفيض على المعلم من صفات الأمومة العطف والحنان والرفق والتلطف ومن صفات الأبوة الشدة في غير عنف والليونة في غير ضعف والإيثار على النفس والمبالغة في التأديب والتهذيب ..." [4] . كل ذلك ضروري أن يضيف إليه معرفة ظروف كل تلاميذه وطبائعهم حتى يعرف كيف يصلح من شؤونهم ويجعلهم متجاوبين مع ما يقدمه من دروس لهم . "...تلك الصفات التي تكون لحمة الأبوة الروحية بين المعلم وتلامذته وتخلق بينهما جوا صافيا من المودة والاحترام، وتجعل المعلم يتنازل في محادثتهم ومعاملتهم من وسطه الكبير إلى وسطهم الصغير دون تبذل وإسعاف حتى لا يفقد شخصيته المؤثرة فيهم ، يهش وينش في وجوههم ويخالطهم مخالطة النظير لنظائره حتى يحبب إليهم العلم ويملأ قلوبهم بالأنس والنشاط ، ويكون في جميع ذلك حريصا على تعرف طبائعهم وأخلاقهم وميولهم حتى يعالجهم معالجة ناجحة.

فإذا كان المعلم مزودا بهذه الأخلاق والصفات فإنه يكون أقدر الناس على تبليغ رسالته . وأقربهم إلى النجاح في مهمته ..." [5] . وفي هذا الصدد حمل الاستاذ أبو بكر الاغواطي(6) مسؤولية العناية بالتلاميذ إلى الولياء بالمنزل وذلك بتوفير الجو الملائم لنموهم وتكوينهم باعتبار أن المنزل هو

1- الشيخ محمد الحسن فضلاء : إلى معلمي المكاتب جريدة البصائر عدد 146 (30 _ 12 _ 1938).

2- نفس المصدر .3- الشيخ با عزيز بن عمر : هل مهمة التعليم شاقة ؟ جريدة البصائر عدد 326 (8 _ 7 _ 1955).

4- الأستاذ الجيلالي بن محمد الفارسي : رسالة المعلم جريدة البصائر عدد 93 (31 _ 10 _ 1949). 5- نفس المصدر

6- ولد بوادي سوف سنة 1912 وتتلمذ على الشيخ بن باديس أكمل دراسته بالزيتونة كان عضوا فعالا في جمعية العلماء تقلد وظيفة التدريس والادارة في مدارسها ودخل المعتقلات أثناء الثورة وبعد الاستقلال عمل مفتشا في سلك التعليم توفي سنة 1987. أنظر مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الاغواط، منشورات اتحاد الكتاب فرع الاغواط، 1998، ص 198.

مدرسة الطفل الأولى[1].

ومن الأهمية بمكان الإشارة كذلك في الصدد إلى تلك المذكرة التوجيهية في التربية التي جاءت في جريدة البصائر وتحمل توقيع الأستاذ إسماعيل العربي حيث جاء فيها ما يلزم معشر المعلمين والأساتذة لكي يتجاوزوا نهائيا تلك الأساليب التربوية العقيمة في إنجاز العملية التعليمية بحيث يتوجب عليهم الإقلاع من العنف الجسدي واللفظي للتلاميذ والاعتماد على لغة الحوار وتوجيه التلاميذ إلى إدراك البعد البيئي وكيف يمكن فهم الاستفادة من الأرض ، ويمكن نوجز ذلك في هذه النقاط :

1- الارتفاع إلى مستوى الأبوة بالنسبة للمعلمين بحيث يرعون الناشئة في مقاعد الدراسة "...إذا لاحظنا في الطفل الكسل والغفلة وقلة العناية فل نبحث عن أسباب ذلك في سوء التغذية أو في ظروف الحياة المنزلية أو في المرض ..." [2] .

2 – تجنب العقاب الجسدي للتلاميذ ومقابلة ذلك باللين لا بالزجر وكثرة اللوم وتجنب استعمال كلمة "لاتفعل" إلا عند الضرورة القصوى وابتسم في وجوههم ، وأرحمهم إن كانوا متعوبين .

3 – الاعتناء بالهندام ورعاية التلاميذ في نظافتهم وعلمهم حب المدرسة أكثر مما يحبون بيوتهم .

4 – شجع التلاميذ على المشاركة واجعل الدروس مفيدة ومسلية لا جافة ومملة ، وساعد التلاميذ على إيجاد الحلول لمشاكلهم .

5 – رغب التلاميذ في المطالعة وحببها إليهم والاعتناء بالتربية البد نية وحب البيئة والأزهار والطيور .

6– قال جان جاك روسو: "أعرف الطفل ، لأنني واثق من أنك لا تعرفه" . وأنا أقول : "أحبب الطفل فإنني

متأكد من أنك لا تحبه بالكفاية " .[3] .

وضمن هذا الاتجاه يجيء مقال أحد الكتاب بجريدة " المنار" تحت عنوان " كيف نحمل الأطفال على الطاعة " حيث هاجم فيه ذلك المسلك التقليدي العقيم في أسلوب التربية آنذاك والذي يقوم على العنف والإملاء والإلزام ، الأمر الذي ينعكس سلبا على التكوين النفسي للأطفال ، حيث يشبون وهم عديمي الشجاعة ، جبناء ، قد فلتت في نفوسهم كل إرادة وهمة لتغيير واقعهم "...نلاحظ أن من المربين من يرون أنه لا سبيل إلى حمل الطفل على الانقياد والطاعة إلا بالضغط مستعملين في ذلك كل ما لديهم من وسائل الشدة والقسوة لإخضاعه ، وغايتهم من ذلك هي الانتقال التدريجي بالأطفال من مرحلة الطفولة إلى مرحلـة

1أبو بكر بن بلقاسم، التلميذ و المنزل، البصائر، عدد 93 (أكتوبر 1949 م) .
2- إسماعيل العربي : مذكرة توجيهية في التربية جريدة البصائر عدد 93 (أكتوبر 1949 م) .
3- المصدر السابق .

الكبر بأقصى ما يمكن من السرعة ..." فيؤدي هذا إلى تحطيمهم ووأد مستقبلهم ومستقبل بلدانهم نتائج ذلك "...إنه يقتل شخصية الطفل ، ويغرس فيه الجبن الذي لا حد لأضراره وويلاته والتي من نتائجها ما نعاني اليوم من تسلط أجنبي وعدوان استعماري وضيم عنصري لا تبيت عليه النفوس الأبية ولا ترضخ له أجيال ربت على الحرية الشخصية ..." (1) .

أما المربين الذين يسلكون في توجيههم للناشئة مسلك لغة الحوار والحرية و اللين فعادة ما تكون ثمار ذلك الوصول إلة إنجاز الحلول المعقولة وتجاوز المشاكل بأقل تكلفة "...ومن المربين من يرون أنه يجب أن يؤخذ الأطفال بالرفق والملاينة حتى يذعنوا ويستجيبوا استجابة حرة لا أثر للضغط فيها لمطالب الكبار من المعلمين والوالدين ..."

وهذا ما يؤدي حسبه إلى الحيلولة المنطقية والمعقولة حيث " حل المشكل " حلا معقولا بينا " (2) .

ويرى الكاتب في الأخير أن الوقت قد حان لإرساء قواعد تربوية تقوم على التفاهم واللغة الحوارية وتتجاوز من ثمة كل أشكال العنف اللفظي و الجسدي الذي لا طائل من ورائه "...علينا معشر الوالدين والمعلمين أن نكون منطقيين مع أنفسنا والواقع وأن نخاطب أبناءنا وتلامذتنا كلما قصدنا إلى نصحهم وإرشادهم بصوت واضح طبيعي وبشكل اعتيادي لا تصنع فيه ولا تكلف وكل منا على ثقة بأنه مطاع الأمر مستجاب الدعوة وأن ندع الصياح وإظهار الغضب المخيف والتهديد جانبا ، فإننا ولا شك ترانا دخلنا عالما مفعم بالتفاهم ، وتعرف أن الأمل في الطفل أن يكون حرا مطلقا ولكنه مستعد أن يطيع ويمتثل وعلينا أن نجعل شخصياتنا محترمة محبوبة من طرف الأبناء والتلاميذ داعية للطاعة والانصياع لا مخيفة مستوحية للبغض والنفور ..." (3)

وهذا ما نبه إليه علماء التربية المسلمين الذين دعوا معشر المعلمين إلى الرفق بالتلاميذ والاخذ بيدهم حتى ينجحوا في دراستهم فقد أرشد القابسي المعلم الى ضرورة الالتزام بالمبادئ التالية: ا- أن يكون بالتلاميذ رحيما رفيقا فليس له أن يكون دائما عابسا لأن العبوس من الفضاضة بل ويعتادوها الصبيان فيجرؤون عليه ويطلب منه ان يستعملها في أوقاتها وعند الحاجة أي إذا استعملت للتأديب دون الضرب فإنها تكفي المعلم إنزال العقاب وما يترتب عليه من إثم. ب- أن يكون معهم عادلا. ج- النظر في صلاحهم وأدبهم حيثقث يضع المعلم طلابه قيد المراقبة من الناحية السلوكية والاخلاقية. د- من الناحية التحصيلية يضع المعلم برنامج عمل من اجل تفقدهم في دراستهم قراءة وكتابة مثيرا فيهم الحماس والمناقشة. هـ- السهر على غقامة علاقات حسنة فيما بينهم فلا يدعهم يؤذي بعضهم بعضا وإيفاء الطالب حقه من الوقت والعناية وفي حال التغرير بالصبيان أو التفريط في حقوقهم يقرر القابسي منع المعلم من التعليم.(4)

1- المطالع : كيف تعلم الأطفال على الطاعة : جريدة المنار عدد 11 (ربيع الأول 1371 ه / 8- 12- 1951 م) .

2- نفس المصدر .3- نفس المصدر .

4- عبد الأمير شمس الدين، نفس المرجع، ص 82 وما بعدها.

ويتوافق هذا المنهج التربوي الذي كان التأكيد عليه في مدارس التعليم العربي الحر مع ما ذهب إليه الباحثون المعاصرون الذين دعوا إلى وجوب التخلص من كل أشكال التسلط على التلاميذ في فصولهم الدراسية حتى يتسنى تحقيق مردود تعليمي جيد يعود بالفائدة على المجتمع ذلك أن " ... التشدد في ممارسة السلطة التربوية يوجد في أصل كل العقد التربوية والاظطرابات النفسية ، وعلى هذا الأساس ..." (1) . بل ودعوا في مقابل ذلك إلى إقامة علاقات حب ومودة بين المعلمين وتلامذتهم حتى يمكن تفعيل الجهد التربوي وجعله قادرا على إيجاد تعليم مفيد فقد بينت "...التجارب التربوية أن الشخص الذي ينال حب الطفل وتقديره هو الوحيد الذي يستطيع أن يؤثر في الطفل ، وأن يعمل على تطوير ذكائه فالطفل لا يستطيع أن يفصل بين إعجابه وحبه ، وهو لا يمتلك القدرة النقدية الكافية بتنفيذ أسباب حبه وإعجابه ، وهو يدين بذكائه إلى هؤلاء الذين يحبهم بالدرجة الأولى . وهو في الوقت نفسه يرفض كل تعاون مع الأشخاص الذين لا يحبهم ومع ذلك فإن المعلمين والمربيين يجهلون غالبا هذه الحقيقة مع أنها واضحة جدا ..." (2) . واعتبر الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي ضرورة أن تتوفر في معلم العلوم الدينية مثلا كفاءتان : أولاهما الكفاءة العلمية وهي تقتضيه أن يكون متبصرا في عمق بجميع علوم الإسلام ، وأن يكون واسع الإطلاع على الثقافة العامة . والثانية الكفاءة التربوية وهي تقتضيه أن يكون مستقيما في خلقه وسلوكه بحيث يستطيع أن يجعل من استقامته أول سبيل إلى تنشئة طلابه على مثل تلك الاستقامة ، كما تقتضيه أيضا أن يكون مخلصا في مهمته التي يقوم بها ،بحيث لا ينظر إليها على أنها مجرد سبيل للارتزاق ..." (3) .وحتى في فترة الامتحانات ينبغي أن لا نعمد بالضغط على التالميذ عن طريق التخويف بالعقوبات في حالة الرسوب، لأن ذلك سيؤثر لا محالة على صحتهم البدنية والعقلية ولكن هذا لا يمنع من مراقبتهم في اعمالهم الدراسية حرسا على مستقبلهم. (4)

وانطلاقا من هذا ندرك ان المربين الجزائريين في خطابهم النهضوي قد أدركوا من البداية كيف يمكن تحسين المردود المدرسي من خلال إرساء تقاليد تربوية قائمة على إيجاد فضاء لعلاقات متينة بين المعلم والمتعلم على اعتبار أن ذلك يشكل المنطلق الأول في عملية النهوض بالمنظومة التربوية العربية الحرة، وأن أي سعي في هذا المنحى يتجاوز العلاقة بين المعلم والمتعلم مسألة الخيبة و الفشل الذر يع .

د إصلاح مناهج التعليم بالزوايا :

لم ينس العلماء المصلحون مؤسسات الزوايا التي صار التعليم فيها عقيما فراحوا يبرزون نقائصها ويقترحون طرق إصلاحها حتى تواكب العصر فقد كتب في هذا الصدد الشيخ ابن بأديس مـبـرزا عـيـوب

1- د / علي وطفة ، سلطة التربية ومجازفات التسلط ، مجلة العربي عدد 526 سبتمبر 2002 م ص 174 .

2- نفس المرجع ص 177 .

3- د / محمد سعيد ، تجربة التربية الإسلامية في ميزان البحث المطبعة التعاونية دمشق – د – ت ص 122 _ 123 .
4- باعزيز بن عمر، موسم الامتحانات ، جريدة البصائر، عدد 323، (17 / 6 / 1955).

الأساليب العقيمة المتبعة في بعض الزوايا الطرفية والنتائج السلبية التي تحصل للمتخرج منها في حياته المهنية تلك "...الذي يعد متخرجا منها بعد مقاساة آلام الغربة والسخرة لا يقوى على تركيب جملة بسيطة بل على وضع إمضائه ، وإنما قصارى معلوماته أنه يكون مستعدا لترشيح الناس له إماما في مسجد ولو كان جاهلا لشروط الإمامة ، ومتعهدا من جهة أخرى يبسط راحته وإرخاء أذياله للتقبيل ، وبتعليم الصبيان فلذات أكباد الناس وتربيتهم على غراره ويجمد مواهبه ثم يلفظ إلى المجتمع كهلا أو شيخا ليتعثر بقية حياته وينسب فلا هو حي و لا هو ميت [1] .

واعتبر أحد المصلحين أن فكرة إصلاح التعليم العربي التي سرت في الجزائر وصوبت مهامها إلى زوايا الزواوة بصفتها معاهد علمية ومدارس نظامية قديمة قد طرأ عليها من الاحتلال والتغيير في نظامها ما جعل التعليم فيها عقيما فكانت في أشد الحاجة إلى إدخال الإصلاح فيها ، وأنه لا يمكن إصلاحها من خلال مسؤوليها والقائمين عليها ، ففاقد الشيء لا يعطيه مقترحا إرسال طلاب المنطقة إلى قسنطينة والمعهد الزيتوني حيث هنالك يكرعوا من ينابع العلم ويتشبعوا بروح الإصلاح الحقيقية فإذا عادوا تحقق الإصلاح على أيديهم في تلك المنطقة [2] ."...إثر هذا قرأنا لكثير من الكتاب الجزائريين مقالات طويلة عريضة في إصلاح التعليم بمنطقة الزواوة كانوا وجهوا كلهم فيها المسؤولية إلى أرباب الزوايا فيما يخص هذا الإصلاح بدون أن ينظروا كثيرا في أمرهم . هل كانوا مستعدين للإصلاح وعارفين بكيفيته ، وإنما هم محتا جون إلى التنبيه لا غير ، أم ليسوا كذلك فيرجعوا بهم إلى شيء أخر مما هو أجدى وأقرب كان يكتبوا لهم في إرشادهم إلى إرسال البعثات العلمية على نفقة زواياهم هذه إلى الخارج إلى قسنطينة حيث ذلك المنهل العذب وإلى المعهد الزيتوني حيث يسمع الطالب على الأقل فكرة الإصلاح ويجد نظاما أرقى من مقام الزاوية فلعل هذه الإصلاحات المنشودة تتحقق بهؤلاء النازحين عندما يرجعون وهم عارفون له وهل يوجد الإصلاح إلا العارف به وهذه هي الخطوة الأولى لإصلاح التعليم بالزاوية في نظري ..." [3] .

وتناول الأستاذ با عزيز بن عمر مسألة التعليم بالزاويا بلاد القبائل حيث نوه بقيمتها فهي "... ما أسست إلا للعلم فالعلم هو الذي يحفظ الإسلام لا مجرد ما يلقن للعامة من أوراد وأذكار فلينتبه المنتبهون فمن أراد أن يقف على حقيقة ما أنقل فليذهب إلى بلاد الزواوة وليدخل هذه الزوايا واحدة بواحدة فإنه بدون شك لا يرى في ساحتها إلا من يسمعه يقرأ القرآن و لا أفراد مجتمعين إلا على قراءة القرآن أو ما ليه من الدروس العلمية وبهذا كما قلنا أنها مدارس ومجامع علمية تكاثرت في بلاد الزواوة ونمت وزكت على أيدي رجال عظماء منذ عهد قديم كما سمعتم ولو عززت في هذا العهد الأخير بحسن الإدارة والإصلاح المطلوب

1- الشيخ ابن باديس :أساليب التعليم في منطقة الزواوة جريدة الشهاب ج 6 م 5 (جويليه 1929) .
2- محمد الصديق صالح : با عزيز بن عمر : مجلة أول نوفمبر عدد 38 / 1979 / ص 34 .

3- الكلام على الإصلاح المنشود للتعليم بهذه الزوايا ، جريدة الشهاب ج 2 م 9 (شوال 1351 ه / فيفري 1933) .

لكان فيها خير عظيم للمجتمع الإسلامي في هذا القطر ..." (1) .
ثم كشف الأستاذ بن عمر عن التخلف في طرائق التعليم بتلك الزاوية حيث جمدت على الأساليب القديمة ولم تحدث أي تجديد أو تغيير وفي ذلك يقول "...أنه لم يزل على الأسلوب القديم من الابتداء بحفظ القرآن الكريم وشتى الفنون والانتقال بعد ذلك إلى دراسة الفقه والنحو والصرف ...الخ على طريقة لا تؤهل الطالب للبحث والاستنساج والتصرف فيما يعلم بل نجده يتلقى كل شيء بالتسليم راغبي ما لا ينبغي التسليم فيه لمصادماته للعلم الصحيح ومع ذلك يكلف المتعلم بأعمال كثيرة يباشر ها داخل الزاوية وخارجها(2) ولا يجرم أن تلك الأعمال تعوقه كثيرا عن الوصول إلى غايته في المدة اللازمة لذلك ، وتطيل بقاءه في الزاوية فيفوته القيام بكثير من الواجبات التي نيطت بعهدته بصفته عضوا عاملا في مجتمعه الإنساني وهذا هو الواقع الآن في هذه الزوايا ..."(3) . ويرى بأن هذا راجع إلى الخلل في برنامج التدريس الذي لا يحدد حجم الزمن للطالب في الزاوية "...وهذا كله يرجع أيها السادة إلى عدم النظام الذي يحدد مدة التعلم للطالب في كل ما يزاوله من العلوم ويضمن له النجاح ونرجو أن ينتبه لهذا الخلل العظيم في المستقبل القريب ...ومعلوم أن هذا الأسلوب لم يكن في ماضي هذه الزوايا الزاهر على هذه الطريقة لأنه لم ينفع الآن كما نفع إذ ذاك لما أنجب كثيرا من الرجال منهم من بقى هنا ومنهم من نزح . فأظهر تفوقا عجيبا كالمشداليين الثلاثة : أبي على ناصر الدين وعمران المشدالي ، ومحمد بن بلقاسم المشدالي ..." (4) . ومن المعلوم أن المريدين من بني عباس من المواظبين على حضور دروس الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس رغم أنهم يسكنون بعدين عن قسنطينة وكان عددهم قد بلغ 40 تلميذا ، ومن هؤلاء الشيخ صادق عيسات الهاشمي من بوجليل والشيخ حسن هوش من تتري وزور ، والشيخ العربي عيسى المدعو بالشيخ القمقوم ، والهادي حجرس (قائد الناحية العسكرية بقسنطينة) ، ومحمد الشريف ابركان من القبائل الصغرى .(5) .

ويتأكد هذا الانحطاط في تعليم الزوايا وجموده على الطرائق القديمة حيث ينعدم اختصاص المشايخ في تعليم المواد الدراسية ، زيادة على غلبة الحفظ والتلقين للمواد الدراسية على حساب الشرح والفهم والمحاورة ، فقد جاء في تقرير الأستاذ الناصري في مؤتمر جمعية طلبة شمال إفريقيا المنعقد بتونس سنة 1931 م . أن التلميذ في الزوايا التـي تعلم المواد القديمة "...يقضـي الإنسان جزءا وافـرا مـن عـمـره

1- السيخ يا عزيز بن عمر : الزوايا بالزواوة ، جريدة الشهاب ج 1 م 9 (رمضان 1351 ه جانفي 1933) .

2- يتولى مقدم النظام في زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي على سبيل المثال توزيع المهام وتعيين الموكلين بها في الاجتماع الرئيسي الصباحي يوميا ويعين خلاله الخبازين والطباخين وكل القائمين بالمهام المتربة عن ذلك من غربلة الدقيق وفتل الكسكس وطهيه، وسقاية الماء على الدواب أو على الظهور(أعباء عقابية). أنظر أحمد صاحي، أعلام من الزواوة ، إيقواون، مطبعة الثورة الافريقية، الجزائر، ص .99

3- السيخ يا عزيز : الزوايا بالزواوة ، جريدة الشهاب ج 2 م 9 (شوال 1351 _ فيفري 1933) .

4- نفس المصدر.

5- مقران أسلي : الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل رسالة ماجستير مخطوطة جامعة الجزائر (1411 .ه / 1991 م ص 203) .

يحفظ القرآن ثم إذا حفظ القرآن فالقراءات السبع أو العشر يشرع في حفظ المتون في النحو والصرف والفقه والتوحيد إلى أن يحصيها مع الشرح والحاشية فينال الجائزة وذلك بعد سنوات عديدة قليلا ما يخرج برنامج الزوايا عن الفنون التي ذكرناها ..." [1] . ثم يضيف كاشفا عن سوء الكيفية التي يعلم بها فيقول "...والكيفية التي تدرس بها هذه الفنون سيئة جدا وكثيرا ما يلجأ التلميذ إلى الحفظ أكثر من التجائه إلى الفهم والتدبير لذلك تراه لا يخرج من الدائرة التي سطرها له أستاذه وهكذا سوء كيفية التعليم في الزوايا راجع إلى شيء وهو أن العلوم كلها يدرسها عالم واحد حفظ شتى المتون ويرددها على مسامع التلاميذ شتى مرات . أين التخصيص وتجزئة الأعمال خاصة القرون الأخيرة ؟ قد فات الوقت الذي كان يدرس العالم الواحد جميع الفنون العربية الإسلامية ..." [2] . مع انعدام لدراسة العلوم العقلية في هذه الزوايا تشبثا من مشايخها بتقاليد الزوايا العلمية كما ألفوا آبائهم عليها رافضين إدخال أي تجديد عليها "...ثم التعليم في الزوايا منحصر في فنون الأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافيا والأصول والتفسير فضلا عن العلوم الطبيعية لا تعرف في الزوايا مع أنها مفتاح العقول والتدبير . وإذا سألت ما هذا الخلل في برنامجكم يا أهل الزوايا قالوا أنا وجدنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون وإذا سألتهم نظاما جديدا استعاذوا بالله من كل نظام جديد ..." [3] ويتوافق هذا تماما مع ما أقره الأستاذ علي امقران في دراسته عن المعهد السحنوني ياربعاء بني إيراثن . حيث ذهب إلى القول بأن الطرق التربوية الحديثة لم تأخذ سبيلها نحو طريقة التدريس بالمعهد السحنوني إلا بعد الحرب العالمية [4] كما أن الملتحقين من المعهد إلى المعهد الباديسي أوالمعهد الكتاني بقسنطينة وجامع الزيتونة كان أغلبهم يلتحق بالسنة الثانية ، والقلة من يلتحق بالسنة الرابعة سنة الشهادة الأهلية وذلك نظرا لعدم دراستهم للعلوم العصرية . كما تدعى آنذاك مثلما درسوا علوم العربية والفقه الإسلامي. [5] .

وعندما أسندت للأستاذ الشرفاوي مادة علم الانشاء بالمعهد اليلولي وهي مادة حديثة على الطلبة لم يجد ما يسعفه لتبليغ هذه المادة لندرة المراجع إلا الرجوع إلى الدروس التي أخذها على علماء الأزهر ومشايخه وفي ذلك يقول " أما بعد فقد كنت مدرسا بمعهد سيدي عبد الرحمان اليلولي وطلب من الطلبة **أن أدرس لهم علم الإنشاء بعد الإلحاح ثم فكرت في اختيار المادة التي تعود عليهم بالنجاح لم أجد من بين الكتب المتداولة ما يناسب احوالهم وخصوصا أن هذا العلم أحدث في هذا المعهد وليدا جديدا فينبغي أن أسلك بهم لأجل ذلك**

1- أنظر نشر محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد تحت إشراف الجمعية الخلد ونية المطبعة الأهلية تونس 1931 م ص 82 .

2- نفس المصدر ص 82 _ 83 .

3- نفس المصدر ص 820_ 83 .

4- علي امقران : المعهد السحنوني ياربعاء بني إيراثن بزواوة مجلة سيرتا عدد 5

رجب 1401 ه ماي 1981 م جامعة قسنطينة ص 72

5- نفس المصدر ص 72 .

طريقا مفيدا لذلك لم أر بدا من الرجوع إلى ما كتبته من الدروس حين تلقيت هذا العلم من مشايخي بالأزهر الشريف ضممت إلى تلك الدروس ما رايته صالحا لإفادة الطلبة فألقيت دروسا مفرقة.(1)

والحق أن الزوايا التي كانت ملاذا للعربية وعلومها وللدين الإسلامي وحافظت عليها من التلاشي والاندثار . لا يمكن أن ننتظر منها تعليما عصريا متطورا وهي التي كانت في الأغلب لا تقدر على تغطية مصاريف التسيير فيها إلا من خلال المساعدات ناهيك عن أن أغلب هيئة التدريس فيها من المشايخ الذين لم يدرسوا في المعاهد العليا التي تعطي الدروس فيها وقف المناهج التربية العصرية . فإذا عرف السبب زال العجب .

<u>ه- في تنظيم الإدارة المدرسية :</u> إن التوسع الذي عرفه التعليم العربي الحر وزيادة هياكله القاعدية وموارده البشرية والمالية اقتضى وضع أسس واستحداث تنظيمات إدارية تسمح بإدارة هذه المؤسسات بالكيفية التي تسمح بالسير العادي لها فقد انعقدت في سنة 1952 م مؤتمرات جهوية لمدراء مدارس جمعية العلماء لدراسة القضايا التي ترتبط بالإدارة وعلاقة المدير بالتلاميذ والمعلم والمجتمع ، حيث جمع مركز جمعية العلماء بالعاصمة مدراء مدارس عمالة الجزائر يوم 11 / 5 / 1952 م واجتمع مدراء مدارس عمالة وهران في مدرسة الحديث بتلمسان في 15/ 5 / 1952 م وكان ذلك تحت إشراف العربي التبسي . أما في عمالة قسنطينة فقد تولى الأستاذ محمد خير الدين الإشراف على مؤتمر مديري عمالة قسنطينة الذي انعقد في معهد ابن باديس وذلك بتاريخ 17 / 5 / 1952 م [3] . وقبل هذا التاريخ انعقد في سنة 1946 م مؤتمر للمعلمين الأحرار بتاريخ 1 سبتمبر 1946 م ودام ستة أيام تناقش الحضور فيه وبحثوا عن أهم السبل المؤدية إلى تطوير التعليم العربي وتوحيد برامجه ، كما عرض المعلمون الحاضرون تجاربهم الخاصة في طرائق التعليم وكيفية تعليم الدين الإسلامي للأطفال ، وإبراز وشرح فوائدالرياضة للأطفال [3] و من أجل ترقية التعليم العربي الحر راحت لجنة التعليم العليا التي تقوم مقام وزارة التربية اليوم بسعي حثيث لإدخال التجديد ومناهج التعليم العصرية حتى يرتفع المستوى أكثر فأكثر . وتكون من وراءه ثمار تعود على الوطن بالمنفعة ومنذ سنة 1955 م صار مركزها بمعهد ابن باديس بإشراف الشيخ العربي التبسي ، وكان من أبرز ما قامت به لتطوير وترقية مناهج التعليم وبرامج الدراسة :

1- توحيد البرامج في المدارس جمعية العلماء .

2- تعيين الكتب والحصص الدراسية ومواقيتها على وجه التعريب .

1- إيسلي ، الحركة الإصلاحية والدينية، ص 263.

2- محمد الحسن فضلاء : المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر دار الأمة الجزائر ط (1) 1999 م ج 2ص 17 .

3- نفس المصدر ج 2 ص 14 وما بعدها .

3- استحداث لائحة داخلية للنظام المدرسي (التسجيل الغياب ، النظام في الفصل ، العقوبات ، فترات الراحة والعطل)

4- دراسة حالة كل معلم على حدا من حيث الشهادة ، الأقدمية كل واحد في درجة .

5- ضبط مهام وأدوار كل من الجمعية المحلية ، المدير ، المعلم ،المفتش والأسس التي تقوم عليها الصلة بين الجميع .

6_ الإشراف على العمل الدراسي خلال السنة ومعالجة المشاكل الإدارية والفنية .

7_ العناية بالمعلم وترقيته الفنية والعلمية . [1] .

8_ إصدار دورية شهرية (نشرية) تحتوي على مبادئ التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع .

9_ إصدار مناهج التعليم في ثلاثة أجزاء . السنوات الستة الدراسية .[2] .

10_ عقد لقاءات ، ومؤتمرات دراسية لترقية التعليم .

11_ تنظيم الامتحانات السنوية ، النهائية والإشراف عليها .

12_ إجراء المناظرات بين المعلمين ، والنظر في دراساتهم وكيفية ترقيتهم .

13_ ثم إنشاء نظام التفتيش المدرسي ، وكان في البداية عاما ثم تحول العمل التفتيشي على أساس جهوي ويكون المفتشون من أعضاء لجنة التعليم العليا . [3] .

ومن ملامح الإصلاحات التربوية في الجزائر ما نهض به المربون في وادي ميزاب من ترقية للبرامج التعليمية ومناهجها من خلال توحيدها فقد كان التلاميذ المزابيون يضطرون إلى الانتقال من مدرسة في الشمال إلى أخرى في الجنوب أو العكس فيجدون كتب غير كتبهم ومناهج عير التي ألفوها ، فتعذر عليهم مواصلة الدراسة فيضيعون .[4] .وكان زعماء النهضة ومديرو المدارس العربية الحرة والمثقفون البارزون يتمنون أن يكون لمدارسه منهج واحد ومفتش عام يطلع على سير التربية والتعليم فيها ويأخذ بأيدي ألمعلمي، سيما المبتدئين منهم ولا يكون هذا إلا بتوحيد التعليم .

ولقد تحقق هذا الأمل وتجسد في مسعى الشيخ عدون بن الصالح .[5] . الذي دعا سنة 1945 م مدراء مدارس العربية الميزابية وأساتذتها البارزين في الشمال والجنوب إلى اجتماع عام عقد في مدينة بريان،حيث فاتحهم في مسألة توحيد المناهج والكتب المدرسية ورغبهم في ذلك ، فوجدهم عند حسن ظنـــه

1- إسماعيل العربي : أعمال لجنة التعليم العالي جريدة البصائر . سبتمبر 1949 م عدد 93 (1949 م) .

2- فضلاء محمد الحسن . ج 2 ص 20 – 21 .

3- محمد الفسيري : التفتيش وأثره في سير التعليم جريدة البصائر سبتمبر 1945 م عدد 93 .

4- محمد علي ديوز : نهضة الجزائر جزء 3 ص 223 .

5- من رجال التربية والتعليم في الجزائر ، شارك في مؤتمرات جمعية طلبة شمال إفريقيا . كما أشرف على تنظيم وترقية التعليم بوادي ميزاب .

فشرعوا في دراسة المناهج المتبعة والكتب المقررة فحذفوا ما حذفوا واستبدلوه بأحسن وأقروا ما أقروا وانتهوا من جلسات أشغالهم التي دامت خمسة أيام بلياليها إلى وضع برنامج متكامل، بأحسن المناهج في التربية والتعليم واختيار أحسن الكتب في التدريس ، وأثروا الكتب التي ألفت على الطريقة الإستقرائية الملائمة للصغار. وحتى تبقى عملية المتابعة لسير هذه الإصلاحات والعمل على تجسيدها في الميدان فقد" انتخب المجتمع لجنة مثلت فيها كل المدارس لتنعقد في كل عام لتجديد النظر في المناهج والكتب ، وتنفذ ما يشير به المفتش العام للمدارس وجعلوا مركزها القرارة . ومن ثمة أصبحت المدارس العربية الابتدائية موحدة في مناهجها الدراسية ، منسجمة بمعهد الحياةأكثر ، فازدهرت بالنظم الحسنة ، وازدادت رقيا وتقدما ، وازداد المعهد بحسن أعدادها للتلاميذ تقدما و ازدهارا[1].

وكان الشيخ عدون خيررئيس للجنة توحيد التعليم وخير مفتش للمدارس، يقوم بعمله في اخلاص ونشاط وحكمة وحسن العشرة ولين العريكة وإرادة. فنال محبة الجميع، وبفضله نجحت اللجنة في مهمتها. وقد ظلت هذه اللجنة تعقد اجتماعاتها في كل سنة حتى تأسست جمعية قدماء التلاميذ ، وكان أعضاء اللجنة كلهم من الأعضاء القدماء البارزين، فصاروا يجتمعون للنظر في شؤون التربية والتعليم في أثناء جلسات المؤتمر الذي يعقده القدماء كل سنة، وكان الأعضاء البارزين في مؤتمر القدماء كلهم يشاركون في البحث في شؤون التربية والتعليم ويقترحون عليها ما يرونه يخدم التعليم فازدادت اللجنة قوة ومنفعة[2].

و قصد إصلاح الخلل الموجود في المنظومة التربوية دعا أبو اليقظان إلى مراعاة الأموى التالية: أولا تحسين حالة المعاهد العلمية الحالية، ثانيا زيادة معاهد جديدة حسب الحاجة، ثالثا مراعاة تحسين أسلوب التعليم و إدخال النظم الجديدة عليه، رابعا انتقاء الكتب القيمة، خامسا تأسيس مكتبات لتسهيل المراجعة، سادسا إرسال البعثات العلمية إلى منابع العلم لإكمال دراستهم ومساعدتهم على ذلك[3]

ومن أجل النهوض بالتعليم والعناية برجاله وكوادره فقد خرجت اللجنة العليا للتعليم سنة 1949 م بجملة من القرارات كلها دعوة إلى ضرورة إنشاء صندوق تأمين للمعلمين وتحسيس المجتمع المدني بأهمية الإسهام في المشاريع التربوية وكذلك الخروج بقرارات تسهم في ترقية المعلم . ويمكن أن نلخصها في النقاط التالية :

1- إنشاء صندوق باسم " صندوق الضمان الاجتماعي " تسدد منه مرتبات المعلمين الذين يتعرضون للحوادث أو يدخلون في عطل مرضية .

2- تنبيه الجمعيات المحلية إلى الاشتراك في صندوق التأمين ضد الحوادث التي يتعرض لها الأطفال يوميا.

1- ديوز : نهضة الجزائر جزء 3 ص 224 .

2- نفسه، ص 224 – 225..

3- دون إمضاء. كيف الوصول إلى العلم النافع، جريدة وادي ميزاب، عدد 9، (26 / 11 / 1926).

3- تنبيه الجمعيات المحلية إلى ضرورة الاشتراك في الصندوق العائلي . [1] .

4- أن تعقد اللجنة اجتماعين في العام ، الأول في سبتمبر والثاني في عطلة أبريل ، ويمكن للمكتب الدائم خارج هذا أن يستدعي اللجنة لاجتماع فوق العادة إذا لزم الأمر .

5- إضافة المادة التالية إلى القانون العام : " ينظر في ترقية معلم من درجة إلى درجة بعدما يقضي ثلاث سنوات في درجته .

6- استبدال نظام التفتيش الذي سار العمل بمقتضاه في العام الماضي بنظام جديد " جهوي يشترك فيه أعضاء لجنة التعليم العليا جميعا . كل في الجهة القريبة من المدرسة التي يديرها . على أن يرفع كل واحد منهم تقريرا إلى المكتب الدائم بعد الزيارة التفقدية للمدارس الموجودة في جهته المحددة له .[2] .

_ وفي هذا السياق يمكن أن نستجلي أهمية بعد " العامل المالي " في الإدارة التربوية للمدارس العربية الحرة . حيث كشف الأستاذ علي مرحوم(3) في مقاله المعنون ب" العامل المالي في مدارس جمعية العلماء" الذي كلفته " لجنة التعليم " للحديث فيه وإبراز أهميته ودوره في النهوض بالمؤسسات التعليمية ماديا وأدبيا حيث اعتبر في البداية أن الإنفاق على المدارس التعليمية تعد من أفضل سبل الإنفاق نظرا للآثار العظيمة التي يتركها هذا الإنفاق على تلك المؤسسات وما يحدثه من ثورة فكرية في الأوساط الشعبية . "...إني أعتقد كما يعتقد كل عاقل أنه لا قيمة للمال ولا لصاحب المال ما لم يستعمله في الصالح العام ، ويجعل منه أداة لجلب السعادة والراحة والهناء لنفسه ولأبناء وطنه ...وأفضل سبيل لإنفاق المال هو سبيل التربية والتعليم اللذين يرفعان من شأن الأمة ويسموان بها إلى مصاف الأمم العزيزة الماجدة ، التي منحت أعز ما تملك في حياتها لأنها فن التربية والتعليم ، ووهبت أفضل ما عندها من نشاط وعناية لحياة التربية والتعليم وانتشارها وتعميمها في شعوبها ، والمدرسة هي المنهل العذب الذي يكرع منه طلاب التعليم المثمر والتربية الكاملة ، وهي المورد الصافي الذي يرد منه عشاقها والمصدر الذي يصدر عنه الإنتاج الصالح العامل لخير الأمة والبلاد ..." [4] . ثم يعرض لمعاناة المدارس العربية الحرة من التمويل المالي الذي لا يعد وإن يكون على شكل هبات وتبرعات الأمر الذي لا يسمح بالسير العادي لهذه المؤسسات ويزيد من متاعب القائمين عليها "...يجب أن نعترف في صراحة بأن هذه الطرائق التي اتبعت لحد الآن في جمع المال لفائدة المدارس بصفة خاصة ، ولفائدة المشاريع القومية بصفة عامة لا تعتمد على أساس صحيح لأنها طرائق وقتية يلتجأ إليها وقت الحاجة ونتيجتها تتحسن وتسوء تبعا للأهواء والنزاعات التي تسيطر علــى الذين يجودون بهـذا

1- الأستاذ إسماعيل العربي : قرارات لجنة التعليم العليا جريدة البصائر عدد 93 (31 _ 10 _ 1949 م) .

2- المصدر السابق . 3 – ولد بنواحي الميلية بجيجل سنة 1913 وبها حفظ القرآن الكريم ثم درس بميلة ليلتحق بعدها بالجامع الاخضر بقسنطينة حيث أكمل دراسته به، درس بمدارس جمعية العلماء بقسنطينة ثم عمل كمدير في كل من بسكرة وسطيف وبرج بوعريريج ثم عين مفتشا جهويا لمدارس جمعية العلماء، ساهم في الثورة التحريرية وبعد الاستقلال عمل أستاذا ثم إطارا بسلك الوقاف توفي رحمه الله سنة 1984. أنظر فضلاء، من أعلام الاصلاح، ج1، ص 292 وما بعدها

4-الأستاذ علي مرحوم : العامل المالي في مدارس جمعية العلماء جريدة البصائر عدد 93 (31 _ 10 _ 1949).

المال وهي ليست دائما في صالح هذه المدارس كما هو معلوم ..." [1] .

ويضيف عن البدايات الصعبة لمدارس التعليم العربي الحر وما تكبده القائمون عليها من مشاق حيث كان رجال التربية يعلمون أبناء الشعب وينيرون الدرب أمامهم غير مبالين بوضعيتهم المادية والاجتماعية التي كانت في أسفل السافلين وفي ذلك يقول "...إن المؤسسين لمدارسنا والعاملين فيها ، قد لاقوا في طريقهم من العنت والنصب وصادفوا من المشاق والتعب ، ما تنوء بحمله الجبال ، كل ذلك في سبيل التحصيل على المقدار اليسير من المال الذي يحفظ حياتها ويقيها قائمة ألذات ، بادية الهيكل وإن كان أحيانل بلا روح .

من المطلعين والعارفين لا يتألم للحياة التعسة والعيشة الرديئة التي يعانيها المعلمون في هذه المدارس ، فهم يتحملون الشدائد ، ويكابدون عنت الفاقة والاحتياج ويلاقون أحيانا الإساءة وشر المكافأة ممن لا خلاق لهم،والذين لا يعلمون إلا لفائدة أنفسهم على حساب أمتهم . ولكن المعلمين يمرون بكل ذلك مر الكرام من غير أن تفتر لهم عزيمة أو تضعف لهم أرادة في مكافحة الأمية وبعث الروح القومية واسترجاع الحياة للغة العربية في هذا الوطن ..." [2] .

وينعى علي مرحوم على الأولياء الذين يعتقدون بما يقدمونه من مساهمة مالية نظير تعليم أبنائهم على أنها ضرب من الإحسان إلى المعلمين متناسين أن ما يقدمونه لا يعدو كونه ثمن لمجهود مضن يقوم به رجال مهنة المتاعب فهم مخطئون في ذلك ." ...من المحقق أن موارد الدخل مختلة في كثير من المدارس ، ونشاطها المادي ضعيف جدا وهذا ما يؤثر على نشاطها الأدبي بطبيعة الحال ويجعل نتائجه غير مرضية وذلك لأنها لا تملك أي مصدر دائم للدخل اللازم لنفقاتها ، عدا أجرة التعليم التي يتقاسع عن دفعها ويماطل في أدائها كثير من أولياء التلاميذ ظنا منهم أنهم يؤدون هذا المعلوم للمدارس التي تعلم أبناءهم على سبيل الصدقة "...وهذا غلط محض ، لأن المعلم إنما يأخذ ذلك مقابل عمل شاق يقوم به [3] ويحاسب عليه مثله في هذا مثل عباد الله الآخرين الذين يقومون بما عليهم من الواجبات لينالوا ما لهم من الحقوق ..." [4] .

ويرى الأستاذ علي مرحوم في البحث عن تمويل قار خير ضامن لاستمرار الجهد التربوي وخير كافل لتعليم راق ومتطور لأن الاعتماد على الهبات يجعل هذه المؤسسات التربوية رهينة لكل التقلبات. وفي لهجة حادة وغاضبة يدعو إلى التفكير في أساس متين لبناء هذه المشاريع التعليمية فيقول :

1- ذهب الأستاذ سعدي بوزيان إلى أن طلبة معهد الشيخ ابن باديس كانوا يجمعون بأنفسهم الزكاة والإعانات من الناس خاصة في مواسم جني محاصيل الحبوب (القمح – الشعير) يسهموا بها في تغطية المصاريف وتعزيز ميزانية المعهد .مقابلة مع الأستاذ بمدينة الجزائر 3 / 3 / 2005

2- علي مرحوم المصدر السابق.

3- كان مرتب أستاذ بمعهد ابن باديس بقدر = 12 ألف ثم 20 ألف فرنك ثم رفع إلى 30 ألف فرنك ولم يزد على ذلك حتى أغلق المعهد نهائيا عام 1957 م . أنظر الشيخ أحمد حماني : صراع السنة والبدعة جزء 2 ص 271 .

4- علي مرحوم المصدر السابق.

"......فإلى متى وهذه المدارس تعيش على الصدقات المختلفة والتبرعات الشخصية التي لا استقرار لها ولا دوام ؟

...يجب التفكير الجدي في وضع أساس متين لبناء المستقبل ، ولا يكون ذلك إلا بإيجاد موارد الدخل القارة التي تصونها من السقوط وتبعد بها عن تقلبات الأجواء السياسية المظطربة التي كثيرا ما عرقلت سيرها وتحررها من سيطرة الأشخاص واستبدادهم بها واستعمالها في قضاء مآربهم الشخصية ..."(1) .

ثم يبن كيف يمكن إحياء الأوقاف للإنفاق على التعليم كما كان سائدا قبل احتلال البلاد سنة 183 م مهيبا بالميسورين حالا كي يضطلعوا بهذه المهمة النبيلة فيقول : "...وجمعية العلماء التي أحيت ما اندثر من الفضائل الإسلامية الكثيرة في هذه الربوع وعلمت الأمة كيف تحافظ على دينها ولغتها وتستعيد مفاخر ماضيها ...جدير بها أن تدعو الشعب الجزائري إلى إحياء سنة السلف الصالح في توقيف الأوقاف على مشاريع التربية والتعليم التي هي روحه وسر وجوده . والأمة التي أصبحت تجمع عشرات الملايين بطريقة متنوعة وتنفقها كل عام على هذه المدارس المتعددة خليقة بأن تلبي هذه الدعوة الحسنة وتستجيب نداء الجمعية التي لا ندعوها إلا إلى الخير ويضع ذو الفضل والإحسان من أثريائها الدعامة التي تقوم عليها حياة العربية والإسلام في هذه البلاد كما يفعل غيرهم من أثرياء العالم .

وزيادة على ما أشرت إليه يمكن السعي في تأسيس مشاريع تجارية وفلا حية لفائدة مدارسها وكل ما يأتي بعد هذا من الاشتراكات والتبرعات المختلفة يعتبر بمثابة النوافل الزائدة على الفريضة فمثل هذا العمل المنظم يمكن أن تطمئن على حياة مدارسنا وازدهارها وتقدمها وأن يتوصل إلى تحقيق الغرض المرغوب فيه والمرمى المطلوب من إنشائها ..." (2) . ذلك أن العناية بتأسيس المدارس وتجهيزها وفتح الفصول الدراسية بها وإيجاد التمويل للصرف عليها وتسييرها كانت الشغل الشاغل لجمعية العلماء المسلمين التي كانت لا تعتمد على المحسنين والمساهمين فقط لتسيير مؤسساتها التعليمية بل وكذلك على مجهود معلميها والقائمين عليها كما يقول الشيخ الإبراهيمي : "...أما دعائم هذا البناء التي نمسكه أن يزول ونصونه أن يختل أو يحول فهم أشبال الغاب ، وحمأة النفور ، عمار المدارس وسقاة المغارس ، مربو الجيل وأئمته أبناؤنا المعلمون المستحقون لأجر الجهاد وشكر العباد ، الصابرون على عنت الزمان وجحود الإنسان وكلب السلطان ؟ المقدمون على كثرة الخوان وقلة الأعوان ..." (3) .

كما أكد علماء الجزائر المجتمعين في سبتمبر 1954 على وجوب العناية بالجانب المالي لضمان السير الحسن لنشاط مدارس التعليم العربي الحر حيث اعتبروا وظائف اللجنة المالية ينبغي أن " تتولى إيجاد الوسائل لجمع الميزانية وتراقب صرفها دخلا وخرجا، وتبتكر الطرق التي تنمي موارد الجمعية علاوة على الميزانية المقررة وذلك بإنشاء مشاريع اقتصادية كنشر الكتب والكراريس والدفاتر وساير المواد الكتابية التي تحتاج إليها المدارس وتتصل بالشعب والجمعيات المحلية من الناحية المالية ..." (4)

1- المصدر السابق .2- المصدر السابق .

3- الشيخ البشير الإبراهيمي :مدارس جمعية العلماء ، جريدة البصلئر عدد 93 (31 _ 10 _ 1949) .

4- أنظر محضر جمعية العلماء، سبتمبر 1954، ص 43

و- دعوة إلى إصلاح التعليم الزيتوني :

ولم يكن العلماء الجزائريون ينظرون إلى إصلاح التعليم و النهوض به وخاصة المناهج التربوية ومحتوى البرامج على أنه مسألة داخلية بل أنهم كانوا يرجون ويأملون أن يسرى الإصلاح في كل معاهد العالم الإسلامي ، وانطلاقا من هذه القناعة فقد استرعى انتباه الشيخ ابن باديس تلك الحالة المزرية التي آل إليها التعليم بالجامع الأعظم الزيتونة [1] الذي تخرج منه سنة 1913 م حيث صارت هذه الوضعية كما وصفها أحد الغيورين عليها صور ما ولدته طرق التدريس العقيمة من الشعور بالمرارة والفشل والغيظ الشديد في نفسية الطالب الزيتوني حيث يقول : زرت بعض إخواني من الطلبة الزيتونيين فألفيته والأسى قد سطر على صفحات وجهه الكئيب آية من آية الحزن ...وجدته محتدما غيظا ، يكاد ما به أن يعدمه الرشد فتنفلت منه قواه المدركة ... نعم وجدته على النحو الذي ابنته ، ولكن هل علمت ممن يكاد يتميز من الغيظ ...يفتاظ من شيخ مكسال أو مهذار أو مشعوذ في دروسه ....[2] .

_ ولعل من أبرز الملاحظات الدقيقة التي كشف الشيخ ابن باديس من خلالها عن عيوب التعليم الزيتوني ومواطن القصور فيه ما نجمله في ما يلي :

1- عدم قدرة طرق التدريس المتبعة فيه من تأدية الغرض التربوي الذي يتصوره ، فالتعليم السائد فيه يقوم على الفلسفة اللفظية والإغراق في المناقشات اللفظية العقيمة على مدارالسنة ومن ثمة يفوت عليهم كنه المعارف ، ولا يكتسبون إلا ثقافة صورية لفظية .

2- ابتعاد المناهج والأساليب عن الهدف الحقيقي للتربية وهو إرجاع ضمير الإنسان المسلم إلى الحقيقة القرآنية ، وقصورها في تدريس كتاب الله على أساس كونه كتاب هداية وعدم دفع الطلبة بالقدوة والتشجيع إلى تطبيق آياته وأحكامه على أحوالهم وشؤون معاشهم .

3- اقتصار طرق التدريس المتعارف عليها في المغرب الإسلامي في عهده على الفروع العلمية المنتشرة دون استدلال ولا تعليل ولا قيلس ذلك أن العلماء يعرضون عن ربط هذه الفروع بأصولها ومعرفة مآخذها من مصادرها الأصلية رغم أنهم يقرأون هذه الأصول ويطالعونها ، ولكن لم يخطر ببال أحد منهم أن يرجع فرعا إلى أصله أو يبحث عن دليله مع أنه من العسير إن لم يكن محالا كما قـال الشيخ ابـن بـاديس "... أن

1- عرف جامع الزيتونة إصلاحات في مناهجه التربوية أيام وخير الدين حيث كان ذلك سنة 1875 م نتيجة عمل لجنة مختصة في 5 أبواب أهمها : الباب الأول : الذي يظبط المواد المقررة تدريسها وهي على نوعين إجبارية واختيارية مع تعيين الكتب المقررة يلاحظ فيه إدخال عدة مواد علمية . لكن ما يؤسف له أن الكتب العلمية المقررة رغم أنها قديمة تجاوزها الزمن لم تقع الإستعانة بالكتب المترجمة في مصر فلم تضيف كتب غير ما مر على تأليفه قرون ويرى الحداد أنه لا إصلاح للزيتونة ما لم تصلح العقول بالفكر والهمم بالعمل وبهذا نجعل لعلومنا القديمة صلة = بحياتنا الحاضرة تسدد مصالحها وتحفظ كيانها من الاندثار .أنظر الطاهر الحداد : التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة ص 55 وما بعدها وحفناوي عما يربه الصحافة وتجديد الثقافة تونس في القرن التاسع عشر ص 248 وما بعدها . .

2- أحمد خالد : الطاهر الحداد ونضال جيل ...ص 33 .

يضبط الفروع من لم يعرف أصولها " . [1] .

وقد استدل الشيخ ابن بأديس على كلامه بما أورده عن الشيخ ابن عبد البر القرطبي في كتابه " جامع بيان العلم وفضله " حيث قال : "...وأعلم أنه لم تكن مناظره بين اثنين أو جماعة من السلف إلا لتفهم وجه الصواب فيصار إليه ، ويعرف أصول القول وعلته ، فيجري عليه أمثلته ونظائره وعلى هذا الناس في كل بلد إلا عندنا (في الأندلس) كما شاء ربنا وعند من سلك سبيلنا من أهل المغرب فإنهم لا يقيمون علة ولا يعرضون للقول وجها ، وحسب أحدهم أن يقول فيها رواية لفلان ، ورواية لفلان ومن يخالف عندهم الرواية التي لا يقف على معناها واصلا وصحة وجهها ، فكأنه خالف نص الكتاب وثابت السنة إلى أخره . كما استدل على انحطاط مناهج التعليم بما أورده الإمام أبو بكر بن العربي في كتابه " العواصم من القواصم " من نقد لاذع لفقهاء الأندلس في عصره حيث رماهم بالتقليد والجمود وجفاف المناهج وعقمها [2] .

4- كما انتقد الشيخ ابن باديس مشايخ المعاهد الإسلامية وعلى رأسها الأزهر الشريف حيث كانت علاقة الأساتذة بالطلاب ضعيفة والاتصال عابر بينهم لا يتجاوز أوقات الدراسة بحيث يتخرج الطلبة في العلوم والفنون المختلفة ولكنهم لا يملكون الروح التي ينفخها الأستاذ في طلابه وفي ذلك يقول الشيخ ابن باديس "...أغلب المعلمين في المعاهد الإسلامية الكبرى كالأزهرلا يتصلون بتلاميذهم إلا اتصالا عاما لا يتجاوزأوقات التعليم فيتخرج التلامذة في العلوم والفنون ولكن بدون تلك الروح الخامة التي ينفخها المعلم في تلميذه – إذا كانت للعلم روح – ويكون لها الأثر البارز في أعماله العلمية في سائر حياته ..." [3] .

وهذه الروح التي تحدث عنها الشيخ ابن باديس هي التي كان السيد جمال الدين الأفغاني يبثها في نفوس طلابه حيثما حل وارتحل . أهم ما اقترحه الشيخ ابن باديس لإصلاح التعليم الزيتوني :

_ تقسيم التعليم فيه إلى قسمين مع تحديد مدة الدراسة في كل منها . _ قسم المشاركة أو القسم العام ومدته ثماني سنوات، وقسم التخصص ويشمل فرع القضاء والفنون، وفرع الخطابة والوعظ والإرشاد وفرع تخريج المعلمين ومدته أربع سنوات للفرع الأول وسنتان للفرعين الأخرين واقترح أن يعقد للطلبة جميعا امتحان سنوي من ينجح فيه يحوزعلى شهادة (عالم مشارك) بدل من (عالم متطوع) إذا كان قسم المشاركة. وعلى شهادة العالمية إذا كان في قسم التخصص[4]. أما مناهج الدراسة فقد تصوره الشيخ بن باديس على الشكل التالي: بالنسبة للغة العربية والنحو والصرف أن

1- سلوادي عبد الحميد بن باديس مفسر 1 ..ص 169 وما بعدها .

2- المرجع السابق ص 171 .

3- د / تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد ابن باديس ...ص 312 .

4- بناء على مرسوم 1933 فقد حددت مدة الدراسة وما يقابلها من شهادة تحصيل كما يلي: الطور الثانوي الاول(مدة دراسته 4 سنوات) تنهى بشهادة التعليم (الاهلية). الطور الثاني الثانوي (مدة دراسته 3سنوات) يتوج بشهادة التحصيل التي حلت محل شهادة التطويع (البكالوريا) . الطور العالي(مدة دراسته 3سنوات) يتوج بشهادة العالمية(ليسانس). أنظر: Mahmoud Abd el Moula, L' université Zaytounienne et la société Tunisienne, Tunis , 1971, p 130.

تدرس ولكن شرط أن تطبق قواعدها على الكلام الفصيح لتحصيل الملكة ، وأما قراءتها لذاتها وبدون تطبيق كما كان جاريا فيعتبره تصنيفا وتعطيلا وقلة تحصيل . [1] .أما فيما يخص العقائد ، فيرى وجوب الرجوع إلى آيات القرآن الكريم والابتعاد عن أدلة المتكلمين الصعبة ومصطلحا تهم الجافة ويعتبر ذلك من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير . وفي مادة الفقه ينبغي الاقتصار على تقرير المسائل دون تشعباتها ثم يترقى بهم إلى ذكر بعض أدلتها وفي أصول الفقه ، ويجب أن نذكر فيه المسائل مجردة . ثم يترقى إلى تطبيقها على المسائل الفقهية لتحصل لهم من هذا ، ومن ذكر أدلة المسائل الفقهية ملكة النظر والاستدلال [2] .

_ وأما فيما يخص التفسير فيوصي بتفسير الجلالين [3] وهو ما كان الشيخ محمد عبده يدرسه لطلابه من قبل ويقول الشيخ ابن باديس أن المقصود من سرد هذا التفسير هو أن يطلع المتعلم على التفسير بفهم المفردات وأصول المعاني بصورة إجمالية [4] .

وفيما يخص منهاج قسم التخصص في القضاء والفتوى فإنه يحتوي على التوسع في فقه المذهب ثم الفقه العام وأوصى بتدريس كتاب " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " لابن رشد مع دراسة آيات وأحاديث الأحكام وعلم التوثيق والتوسع في علم الفرائض والحساب والإطلاع على مدارك المذاهب ، فيعيرون بعد تخرجهم فقهاء إسلاميين ينظرون على حد تعبيرهم _ إلى الدنيا من مرآة الإسلام الواسعة لا من عين المذاهب الضيقة .

وأما فرع الخطابة فيقترح في صناعة الإنشاء والإطلاع على أنواع الخطب ودراسة آيات المواعظ والآداب وأحاديثها مع التوسع في السيرة النبوية ونشرة الدعوة الإسلامية ويمرنون على إلقاء الخطب الارتجالية .

أما في فرع التعليم فينبغي التوسع في العلوم ، مع القيام بالتطبيقات الميدانية ، ودراسة الكتب المخصصة لفن التعليم [5] .ويبدوا جليا أن الأسس والمبادئ العامة التي دعا إليها الشيخ ابن بأديس لإصلاح التعليم الزيتوني(6) قد اجتهد بصفة علمية لتحقيقها وتجسيدها في الواقع العلمي من خلال عمله التربوي في الجامع الأخضر بقسنطينة [7].

كما نجد مساندة العلماء بالجزائر لذلك الإضراب الذي قام به الطلبة الزيتونيين عقب الحرب العالمية الثانيـــة

1- اسلوادي عبد الحميد ابن باديس مفسرا ...ص 173 .2- المرجع السابق ص 173 _ 174 .

3- سلوادي عبد الحميد بن باديس مفسرا ...ص 174 .

4- ألف هذا التفسير الإمامان جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ويمتاز تفسيرهما بسهولة العبارة والإبتعاد عن التطويل . أنظر سلوادي ص 174 . 5 - المرجع السابق ص 174 . 6 - وفي هذا الصدد دعا أيضا الابراهيمي هو الآخر إلى وجوب الاصلاح بالمعهد الزيتوني مقترحا جملة من الحلول نذكر منها : الاستقلالية عن المؤثرات السياسية والتيارات الحزبية والتسلط الحكومي، وإيجاد الموارد المالية الكفيلة بحماية الادارة الزيتونية من تدخلات الحكومة التي لا تعطي بدون أخذ وبدون أن تتخذ من العطاء وليجة التدخل ومقادة للمسيرين. أنظر محمد الصالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990، ص 44.

7- طالبي آثاره جزء 3 ص 183 .

من أجل إصلاح التعليم فقد كتب الشيخ الإبراهيمي مساندا للإضراب الذي دام فترة طويلة وظهرت على إثره (حركة صوت الطالب الزيتوني) وقد جاء في مقال الإبراهيمي

"... أضراب ما صنعتم أم أطرب ؟..."[1] . وساندوا الاتجاه الإصلاحي في المغرب الذي كان أبو شعيب الدكالي أحد ممثليه [2] .

_ كما نجد عبد الله شريط [3] قد أحسن تصوير الأزمة التي كانت تعاني منها روح الزيتونة وكشف عن سلبيات التعليم التقليدي الذي ما زال حسبه لم يواكب العصر .[4] .

تأسيسا على ما تقدم نخلص إلى أن المجهودات التي قام بها المربون الجزائريون لإصلاح المناهج التربوية والإدارة المدرسة تدخل في إطار السعي للنهوض بالمنظومة التربوية الجزائرية ، وذلك بالعمل :

_ على تخليصها من جمودها وأساليبها العقيمة التي لا طائل من ورائها .

_ توحيد المناهج التربوية .

_ إبراز العلاقة ما بين المعلم والمتعلم ودورهما في الأداء التربوي .

_ تنظيم للإدارة المدرسية بأسلوب عصري يكفل السير الحسن للدروس التعليمية .

_ العناية بالمعلم واعتباره حجر الزاوية في البناء التربوي .

ولكن هل يمكن أن نتصور نجاحا لمنظومة تربوية مهما ستحدثنا من وسائل وأساليب عصرية وتطوير لمحتوى البرامج إذا لم نبادر في نفس الوقت إلى العناية بلغة التعليم فنعمد إلى ترقيتها والنهوض بآدابها ؟ . وهذا ما حاول المربون الجزائريون أن ينهضوا به .

3 النهوض باللغة العربية وآدابها :

تعد اللغة لسان حال كل أمة وترجمان أفكارها ومستودع خبراتها وقيمها الحضارية التي تعبر عنها، وعن قيمتها بين الشعوب والأمم . كما أنها تمثل الأداة الفعالة التي بها نتعلم ونكسب مـــن المعـــارف

1- سلوادي ص 175 _ 176 .

2- د / أبو القاسم سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر جزء 4 ص 153 .

3- أستاذ التعليم العالي في الفلسفة . وهو أحد المؤسسين بقسم الفلسفة = جامعة الجزائر في عهد الاستقلال . درس بالزيتونة ثم تابع دراسته العليا في الفلسفة حتى حصل على دكتوراه دولة في الفلسفة من مواليد سنة 1921 م . من مؤلفاته : " الجزائر في مرآة التاريخ " بالاشتراك مع محمد الميلي الإبراهيمي، " الرماد " مجموعة شعرية " معركة المفاهيم "، " أخلاقيات غربية في الجزائر "، " الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون،" الإديولوجية والنهضة " ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب " . أنظر السائحي تراجم ...ص 159 وما بعدها .

4- سعد الله : المرجع السابق ج 4 ص 152 .

والمــهارات ما يؤهلنا لولوج عالم الرقي والازدهار فهي كما عرفها مصطفى صادق الرافعي تعد " صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه ...فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر ، حتى أن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة ، ونشأ الثاني على أخرى والثالث على لغة ثالثة لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء [1] .

كما اعتبر الأستاذ رشيد رضا مسألة العناية بها واجب مؤكد لأن في ذلك تكمن سعادة الأمة في الدنيا والآخرة "...للغتنا العربية علينا من الحق ما للغة الإنجليزية على الإنجليز ، والفرنساوية على الفرنسيين،ولها حق آخر علينا هو أقدس من سائر الحقوق يوجب علينا إحياءها ، وهو حق الدين الذي لا يمكن حفظه إلا بها وهو ركن سعادتنا الدنيوية والأخروية .[2].

أ) تصوير محنة اللغة العربية إبان الحقبة الاستعمارية :

وإدراكا من سلطات الاحتلال الفرنسية المهيمنة على البلاد منذ 1830 م لقيمة اللغة العربية في الحفاظ على كيان الأمة الجزائرية واكتساب العلوم والمعارف فقد راحت منذ البداية تكشف عن عدائها التام للغة العربية تنسج لها أحابيل المكائد لتقع بها في المصيدة وتزيحها عن الحياة العلمية فقد راهن دهانقة الاستعمار على إحلال الفرنسية محل العربية "...إن أهم الأمور التي يجب أن يعتني بها قبل كل شيء ، هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين ..." أو حتى إنصافا لهم كما قال أحد خريجي المدارس الفرنسية أنه " عندما يتكلم الجزائريون لغتنا (اللغة الفرنسية) يصبحون نصف فرنسيين ..." [3] .

وكان الهدف من وراء هذه السياسة هو صبغ الجزائر بصبغة فرنسية حتى تنقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر ماضيا وحاضرا ومستقبلا بثقافتها العربية الإسلامية وفصلها عن شقيقاتها في المغرب والمشرق العربيين ، وبهذه الطريقة تصير الجزائر أسهل انقيادا وأكثر قابلية لسياسة الفرنسة والإدماج النهائي ، وكان الفرنسيون يعملون جاهدين على أن تكون الجزائر هي نفسها فرنسا [4] .

وقد كان الاستعمار الفرنسي كما ذكر الأستاذ عمار أوزيقان بارع الذكاء في محاربته المستمرة والمميتة للغة العربية حيث كان يعمد إلى غلق كل مدرسة عربية موجودة على بعد ثلاثة كيلومترات من أية مدرسة فرنسية غايتها تعليم بعض المفردات الكافية لإدارة العمال الزراعيين .[5] . فمنذ 1830 م والحرب

1- مصطفى صادق الرافعي ، من وحي القلم جزء 3 دار المعارف القاهرة 1972 م ص 33 وما بعدها .

2- محمد كشاش ، رؤية نهضوية لتطوير العربية : رشيد رضا نموذجا مجلة المستقبل العربي

عدد 196 (6 _ 1995 م) ص 115 .

3- عبد القادر حلوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ص 63 .

4- المرجع السابق ص 63 .

5- عمار اوزيقان الجهاد الأفضل دار الطليعة بيروت ط 1 1962 ص 30 .

معلنة على اللغة العربية في الجزائر بل وأعلن عن موتها (ونادى المستعمرون برجوع اللاتينية إلى سابق عهدها في من الجزائر كما كانت في العصور الرومانية وفي عموم بلدان المغرب ومصر والشام إبان الاحتلال الروماني [1] . وغير خاف على أحد أن هذه السياسة الإستدمارية التي استهدفت محو اللغة العربية من الجزائر على أرضها وتحت سمائها ، وإن لم تفلح في مساعيها بصفة كلية إلا أنها قدرت على إضعافها وتحييدها بشكل يكاد يكون كلي من المؤسسات الإدارية وكل الدوائر الحكومية وحتى في مجال التعليم أحلت محلها "العامية" حتى كاد مع نهاية القرن 19 م رسمها ينمحي من هذه الديار ." فالسلطات الفرنسية كانت لها بالمرصاد تنتهز كل فرصة سانحة لتقطع أمام الناطقين بالضاد سبيل الارتقاء وتوصيد أبواب الحياة حتى لا يحل الجزائريون محلهم في المجتمع [2] .

ولم تجد هذه اللغة وهي تصارع من أجل البقاء ، وتتشبث بالحياة من يدرء عنها سهام الأعداء الموصية ضدها إلا أبنائها الذين استشعروا الخطر يتهدد أهم عنصر مكون لكيانهم الحضاري بعد الدين الإسلامي فأنبروا يدافعون عن حياضها ويجتهدون للرفع من شأنها وترقية علومها وآدابها حتى تعود مزدهرة كما كانت في سالف عصورها الذهبية وقد لمسنا هذا جلي في مطالب النخبة الجزائرية المثقفة مع نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حيث كانت هناك أصوات مبحوحة تحتج في عرائضها على هضم حقوق اللغة العربية وتدعو إلى إعادة الاعتبار لها . فبناء المدارس والإكثار منها كان يتصدر هذه العرائض ، إلا أن المدرسة التي يطالب بها الجزائريون هي المدرسة التي تمكن مقومات الشخصية الوطنية من التفتح والنمو وذلك بتدريس اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية واعتبار هذه اللغة أيضا لغة العلم والتكوين ...[3] . فقد تقدم الشيخ محمد بن رحال بعريضة (شكوى) لمجلس الشيوخ الفرنسي قصد تكوين جامعة إسلامية في الجزائر لمواجهة التدهور والانحطاط الذي آل إليه أمر المسلمين نتيجة الإهمال والقمع الاستعماري .[4] .

واعتبر ابن رحال التضييق على اللغة العربية لإحلال الفرنسية محلها خطأ فادحا لأن في ذلك تحديا للشعب الذي يتكلمها " إن هذه اللغة تعد لغة للأمومة بالنسبة لملايين السكان المسلمين ، وإذا كانت حاجتنا لا يد منها لدراسة الفرنسية فإنها لا يمكن أن تكون بديلا من اللسان الأهلي .[5] .

1- مولود قاسم نايت بلقاسم : العربية في التعليم العام والعالي وأساليب النهوض بها في الجزائر الثقافة عدد 101 (1988) ص 19 .

2- سعدالدين بن أبي شنب ، النهضة العربية بالجزائر ...ص 40 .

3- جمال قنان ، الشعب الجزائري في مواجهة الاحتلال ، جريدة الشعب (11 _ 10 _ 1984) .

4- أنظر عبد القادر جعلول ، تاريخ الجزائر ص 60 .

5- M Ben rahal Apprenez le coran aux Indigenes Lecho d Alger 18 janvier 1921

واستطرد مركزا على أهمية اللغة العربية في حياة الجزائريين الفكرية والثقافية فقال "...تصوروا شعبا بلا لسلن يعبر به عن آرائه ، واستجلاء أفكاره السابقة وترجمة المشاعر وتطوير المنطق والعيش والتقدم ؟ إن هذا غير مقبول لأن اللغة هي أداة التكوين الفكري والثقافي وأن أقدم السلطات العمومية على مخالفة هذا الأمر مناف لماضي المسلم الجزائري الذي لم يكن مظلما .[1] . كما نظر الشاعر ابن الغزالي [2] إلى اهتمامه بنظم الشعر وقرظه إلى رغبته الجامحة في خدمة اللغة العربية وآدابها بعد أن أحس بضعفها وانحطاطها حيث كتب عن ذلك في سيرته يقول "...تشجيع للناشئة على إتقان اللغة العربية التي أشرقت آنذاك الإمتحلال ..." [3] .وذهب في نفس السياق أحد الكتاب آنذاك بجريدة الصديق تحت عنوان " نداء لمن كان له قلب " يستجدي فيه أبناء أمته بضرورة الاعتناء بلغتهم العربية إن أرادوا حقا أن يلحقوا بركب الأمم الراقية والمتمدنة وأخرجوا من دائرة الانحطاط والتخلف كسائر الأمم "...معشر المسلمين الجزائريين ما ضرورة الاهتمام باللغة العربية والعمل على إحيائها إلا لأن الدهر قد كشف لنا عن قناعة وأبان لنا أن الأمة لا يسعد حالها ويرغد عيشها ويؤول أمرها إلى التمدن والحضارة والرقي إلا بتأسيس المدارس ، ولأن جميع الأمم التي هي عاضة بالنواجذ على لغتها على أحسن ما يرام من الوجهتين المادية والأدبية ..." [4] .

_ إن هذه الدعوات الوطنية المنافحة عن اللغة العربية والتي استماتت دفاعا عنها في ظل ظروف صعبة وقاهرة قد تعززت أكثر فأكثر منذ مطلع الربع الثاني من القرن العشرين عندما توفرت جملة من العوامل أنتجت مناخيا ثقافيا واجتماعيا ساعد كثيرا على الاهتمام باللغة العربية وآدابها من منطلق الحرص على جعلها بمثابة الأداة الفعالة لتحقيق المشروع النهضوي حيث راح المثقفون الغيورين على اللغة العربية يسعون بكل ما أوتوا من جهد وقوة إلى إحلالها المحل اللائق بها في المجتمع مجسدين ذلك في الميدان من خلال أقلامهم ومقالاتهم وخطبهم ودروسهم .

---

1 -. OP _ cit-

2- ولد أحمد كاتب بن الغزالي في حدود سنة 1873 م وهو ينتسب إلى قبيلة بني كبلوت الشهيرة بنواحي قالمة وسوق اهراس تعلم على يد والده ومشايخ عصره ثم دخل المكتب الفرنسي بقالمة سنة 1884 م وفي 1889 م التحق بمدرسة قسنطينة ثم انقطع بسبب المرض ثم عاد إليها سنة 1891 م فتلقى بها دروسا بطريقة تقليدية غير متجاوبة مع روح العصر وكان يميل في المدرسة إلى النحو ونظم الشعر ، يعد من الشعراء المصلحين له مقالات بجريدة كوكب إفريقيا عالج فيها مواضيع اجتماعية . للمزيد عنه أنظر الهادي السنوسي شعراء الجزائر في العصر الحاضر جزء 1 ص 160 وما بعدها وكذلك عبد الحميد بن عدة ، من رواد النهضة الفكرية الجزائرية الحديثة ، أحمد كاتب ابن الغزالي مجلة المبرز المدرسة العليا للأساتذة عدد 11 (1998) ص 125 وما بعدها .

3- أنظر الهادي سنوسي ، شعراء الجزائر جزء 1 ص 160

4- كاتب (مغرور) نداء لمن له قلب ...جريدة الصديق عدد 52 (6 _ 3 _ 1922) .

ب إبراز أهمية اللغة العربية في المجتمع والتصدي لدعوى العامية :

دعا المربون الجزائريون إلى إعادة الاعتبار للغة العربية في الجزائر ، وراحوا بمقالاتهم وإشعارهم يصورون الحالة المزرية التي آلت إليها لعل ذلك يبعث النخوة في الغيورين عن أبنائها علهم ينهضوا للدفاع عنها والرفع من شأنها بعد أن صار كما قال شوقي ما سح الأحذية يستكف من النطق بها . فقد وقف محمد اللقاني بن السائح من القصحي ومأساتها موقف حافظ إبراهيم :

هاهي أم اللغى تنعي لمصيرهـــا * هاهي ألفاظها تبكي وتبكينـــا
صارت شبيهة أثواب مرقعـــــة * تــضـم من جرق ملاييــنـــا
بل هي أم لفات الأرض أجمعهــا * كل لها عند ضيق اللفظ يأتينا
يا ربة الحسن يا ذات الجمال ويا ... * ملكة الأمر رفقا إذ تلومينا [1] .

كما تغنى الشاعر محمد العيد بجمال اللغة العربية مبرزا مكانتها الحضارية عله بذلك يستلفت من حوله لكي ينهضوا بها :

ووعى الناس ألسنا منـك شتـــى * فـي مغـاز علوية ذات بـال
وتجلت فصحى اللغات كشمـس * فخبـا كـل كوكـب متـلالـي
زانك الضاد مـن لسـان بـــديـع * أيها الفيلم البديـع الـجمـال
وبدا الشرق فيك للغرب مرعى * للحضارة مخصبا بالرجال [2] .

أما الأستاذ ابن بأديس فقد لفت انتباهه مظهر مزري طغى على مجالس الجزائريين استعمال الفرنسية التي كثيرا ما يجهلها أكثر الحاضرين مما جعل التحاور والتفاهم بينهم مستعصيا أن لم نقل مستحيلا وفي ذلك يقول الشيخ ابن بأديس عن غياب العربية في إحدى المجالس : "...كان أكثرية الحضور بالجلسة العامة الفارطة تفهم العربية الكتابية وفيهم عدد قادرون على الخطابة بها وكثير منهم لا يعرفون الفرنسوية،وكانت الأقلية تفهم الفرنسوية وتخطب بها ولا تعرف من العربية إلا الدارجة ولكنها لا تستطيع أن تعبر بها عن جميع أفكارها . ومن هؤلاء الذين تولوا تحرير قانون النادي لمعرفتهم وذكائهم فكتبوه بالفرنسية التي يعرفونها دون العربية التي يجهلونها فلما اجتمع القوم جاء المشكل المحزن وهو عسر التفاهم بين إخوة دينهم واحد ووطنهم واحد ولغتهم واحدة ، بما يتفاهمون ؟ بالدارجة ؟ أم بالعربية ؟ أم بالفرنسية ؟ "...نكتب هذا والأسف ملء قلوبنا على ضياع لغتنا حتى كاد ينسد طريق التفاهم بيننا ، وبكل إخلاص نقول لإخواننا الذين برعوا في لغة غيرهم حتى كادوا يفوقون أهلها ، يجب عليكم أن تعتنوا شيئا بلغتكم حتى لا يحرم إخوانكم من جواهر معارفكم ، ولا تحرموا أنتم مما عندهم فإنه لا يحصل التفاهم بينكم إلا بها ..."[3] .

1- د / صالح خرفي ، شعر المقاومة الجزائرية ...ص 268 _ 269 .
2- د / صالح خرفي ، شعر المقاومة الجزائرية ...ص 271 .
3- الشيخ ابن باديس (بدون إمضاء ولملة الشيخ ابن باديس) نقدات حول النادي لا تفاهم بغير العربية جريدة المنتقد عدد 9 (27 _ 8 _ 1925) .

وقد اعتبر الأستاذ مبارك الميلي الإسلام واللغة العربية من الأسس التي يقوم عليها كيان الأمة وأي ضرب لأحد هما هو ضرب لوحدة الأمة حيث دعا الأستاذ الميلي الأمة الجزائرية إلى العناية بلغتها التي لا سعادة لها إلا بها "...أيتها الأمة الجزائرية ارجعي إلى دينك ولغتك فلن تسعدي إلا به ، وان تسعدي به إلا بأحكام لغته. إن دينا خالط مزاجنا وتمكن من شرايين أبداننا لا تقبل ذواتنا دواء بغيره مما يخالف طبيعته ومن حاول إصلاح أمة إسلامية بغير دينها فقد عرض وحدتها للانحلال وجسمها للتلاشي وصارها دما لعرشها بنية تشييده ومن أعرض عن اللغة العربية فقد أعرض عن ذكر ربه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا ..."[1]. أما الأستاذ الشيخ أبوا ليقضان فقد انتابه شعور من الخوف على اللغة العربية من أن تضيع ويذهب مع الأيام رسمها ومن ثمة دفعته غيرته الوطنية وعقيدته الإسلامية إلى تنبيه المسلمين بضرورة العناية بلغتهم فتحت عنوان "اللغة العربية غريبة في دارها" كتب مقالا قيما استهله بإبراز أهمية اللغة العربية في الإسلام وسير شؤون المسلمين في علاقاتهم ببعضهم على اعتبارها أداة تواصل بينهم "...لا يخفى أن اللغة العربية لغة الدين الإسلامي ، لغة القرآن المجيد ، لغة الحديث الشريف ، لغة التدوين والتأليف في الإسلام، لغة التخاطب والتفاهم بين سائر المسلمين في الدنيا و الآخرة ، فهي الصلة بين الله تعالى وعباده وبين رسوله وأمته وبين شرعه وعباده ، وبين الأوائل والأواخر وبين الغائبين والحاضرين . وإحياؤها إحياء لتلك الصلة الكبرى والرابطة العظمى والحبل المتين ، و تتهاته لتلك ، وسعادة المسلمين منوطة بإحيائها لا من حيث كونها لغة قومية فقط ، وحياة القومية بحياة لغتها وموتها بموتها ولكن من حيث كونها لغة الدين لغة الشريعة أيضا ، إذ لا تتلقى هذه كما يجب إلا بإتقان تلك وتفهم أساليبها ومناهجـــها عند أئمتها ..." [2] . وفي مقال آخر يضرب المثال ببولونيا كيف كانت لغتها هي حصنها المنيع الذي جنبها الضياع (خذ لك مثلا بولونيا كيف قسمت إربا إربا، وأسست المدارس بانتزاعها وغلرست بذور الوطنية في قلوب ابنائها حتى جاء فيه يوم واصبحت من عظام أوربا)(3). وحتى يبدد شكوك تلك النفوس التي مازالت غير مقتنعة بقدرة اللغة العربية على أخذ مكانة مرموقة في عالم الثقافة والعلم ، عاد الشيخ أبوا ليقظان إلى فترات الازدهار التي عرفتها اللغة العربية لكي يؤكد على ما يقول بشواهد تاريخية "...هامت بها أسواق رائجة في نوادي دمشق وبغداد وقرطبة والقيروان والقاهرة وتجاوبت أصداء الآداب والشعراء والعلماء بين جدران سائر الممالك الإسلامية ..." [4] .لكي يحدثنا بعد ذلك عن الانحطاط الفظيع التي آلت إليه العربية في القطر الجزائري حتى صارت عبارة عن خليط غير متجانس من اللغة لا جامع له . وفي ذلك يقول " أمش معي أيها الأخ الكريم ، وادخل المحال العمومية ولا سيما في العاصمة ، المجتمعات والنوادي والمحتفلات والمقاهي ، والمسارح وغيرها مـن الأماكن الأهلية ،

1- الشيخ مبارك الميلي الدعوة إلى تعلم اللغة جريدة المنتقد عدد 1344/2/14 ه 1925/9/3 م .

2- الشيخ أبوا ليقضان ، اللغة العربية غريبة في دارها ، جريدة وادي ميزاب عدد 55 (3 _ 11 _ 1927م) .

3 – بدون إمضاء، الأمية في الأمم شلل، جريدة وادي ميزاب عدد 105، (9/ 10 / 1928).

4 – أنظر وادي ميزاب، عدد 55، (1927/11/3).

أصغ جيدا لما تسمعه من المتخاطبين ، فماذا تسمع هنالك يا ترى ؟ . تسمع رطانة غريبة وخليطا من اللغة لا هو عربي ولا بربري و لا فرنسي وإنما هو مزيج من العربية والبربرية و الفرنسية والعربية منه أقل الثلاثة مع ما هو عليه من التكسير والاختزال .[1].

ويرجع الكاتب المصلح هذا الانحطاط لوضع اللغة العربية في الجزائر إلى الأسباب التالية :

أولا: جهل المسلمين وإعراضهم عن العلم الصحيح وضعف تمسكهم بالدين الحنيف ، ولو أنهم عضوا على دينهم بالنواجذ وأقبلوا على العلم الصحيح ونفروا من الجهل نفورهم من الفقر لكان للغة العربية بينهم ما لها بين إخوانهم في الشرق من المكانة العليا والمنزلة الرفيعة .

ثانيا : عدم رغبة الحكومة في وجودها ، والعمل على قتلها وإماتتها لإسرار تعلمها هي ، فلو تركتها وشأنها ولم تصبها في مقاتلها بتقييد حرية نشرها أو أنها نشطت سيرها وأنعشت روحها كما يقتضيه الإنصاف نحو الأغلبية الساحقة لكان لها شأن وأي شأن .

ثالثا : وهن القومية العربية واندماجها في القومية البربرية وعدم اعتبار هذه للعربية بما يجب للإسلام من الاعتبار ، وللوسيلة حلم المقصد فلو كانت للعنصرية العربية نعرتها على إحياء لغتها أو كان للعنصرية البربرية نحو اللغة العربية ما لها نحو الدين من التقدير والاعتبار لقاموا جميعا وهم كلهم مسلمون وهي لغتهم جميعا . بخدمات جليلة نحوها تجعلها في الجزائر كما في تونس [2].

إلا أن الشيخ أبوا ليقظان رغم كل هذا الذي أصاب لغته نجده متفائلا بمستقبلها ما دام ثمة شعور يسري بين الكتاب لواقعها ، وما دامت ثمة بوادر النهوض بدأت تظهر من خلال الجرائد العربية والنوادي [3].

وفي هذا الصدد راح العمودي في جريدة الدفاع يصرح في مقال له تحت عنوان: تعليم العربية " إن المسلمين الجزائريين لا يطلبون إلا شيئا واحدا: الحرية المطلقة من أجل تعليم لغتهم لأطفالهم من قبل مدرسين تحت رقابتهم الخاصة وإننا نذكر الذين يحكموننا أن المسلم يعتبر كل مساس بلغته كأنه مساس بدينه". (4)

ومن أجل تكريس تقاليد الحديث باللغة العربية في الأوساط الشبانية الطلابية ومن ثمة تستعيد مكانتها التي فقدتها بعد مجيء الاستعمار الفرنسي . كان الأستاذ الشيخ ابن بأديس يحث طلابه على التحدث بالعربية حتى يتعودوها وتصير سليقة لهم وطبيعة فيهم . يقول الشيخ الأستاذ يا عزيز بن عمر "...وإني لأذكر أستاذنا عبد الحميد ابن بأديس كان يحثنا في حلقات دروسه على التزام الفصحى في مناقشاتنا وأبحاثنا لما في ذلك من تدريب للألسنة على التخاطب ، وللأقلام على الكتابه ، كما كان يوصينا أن نسير على نهج بعض الشيوخ في تدريس النحو والصرف بالعامية ..."[5].

1- المصدر السابق .2 - المصدر السابق .3- المصدر السابق .

A G , agitation politique et religieuse chez les musulmans d' Algerie, A F, novembre 1936, p584-4 Bouvreuil

5- الشيخ محمد الصديق ،عبد الحميد ابن بأديس ، جريدة صوت الأحرار الثلاثاء 25 أفريل 2000 م حلقة (3) الجزائر

وكان الإمام الشيخ ابن بأديس ينكر شديد الإنكار على الذين يريدون أن يستبدلوا الفصحى بالعامية موهمين أن العربية لم تعد صالحة في هذا العصر وهي عنده فكرة استعمارية "...أن الاستعمار حاول مرارا عندنا أن يوهم الناس بأن اللغة الفصحى لم تعد صالحة في برامج مدارسه بدلا من الفصحى،ولكنه ما لبث أن فشل في محاولته ، ولا سيما بعد أن رأى الفصحى قد أصبحت لغة الصحافة والخطابة والمدرسة فعدل عن خطته ، وأبقى عليها في مدارسه الرسمية المزدوجة وزاد فسمح لها بالظهور في برامج إذاعته .[1]

كما كان الإمام ابن باديس ينتشي طربا عندما يرى طلابه يتحدثون بالعربية ويتنافسون في الأسلوب الفصيح(2) حيث سألوه يوما عن أقرب الطرق لجعل اللغة الفصحى لغة التخاطب بين الطلبة والمثقفين فكان جوابه ما ملخصه ومؤداه " أن العامية لا تسير على العامة والخاصة معا وقد كان مفهومها أن تكون العامية لغة العامة بسبب ما تعاقب عليها من أدوار الأمية والجهل والانحطاط ...وأما أن تكون لغة الخاصة وهي عادة متعلمة متخرجة من مدارس اللغة العربية فهذا ما لا تستسيغه ، ولا نرى كيف نتخلص منه إلا عن طريق المدرسة " ...ولا نرى اليوم من حل للمشكلة في نشر التعليم وتعميمه والقضاء على الأمية في البيت والطريق والمجتمع ، وإذا زدنا فأكثرنا من الندوات الأدبية والعلمية التي تلتزم فيها الكلام باللغة الفصحى فلا شك أننا لا نلبث أن نحصل على نتائج باهرة في نشر الفصحى بين المتعلمين كتابة وتخاطبا..." [3] .

ويعزز هذا الطرح كذلك الأستاذ الشيخ الإبراهيمي الذي كان يجتهد في التمكين للعربية الفصحى حتى تستعيد دورها الذي كان لها أيام العصور الزاهية "...لقد بدأت دروسي ومحاضراتي في تلمسان بالعربية الفصحى وأخذت بنفسي بذلك أخذا أصل فيه إلى درجة الإغراب أحيانا وكان لي من وراء ذلك الالتزام فرضان : أحدهما إقامة الدليل للمعلمين باللغات الأجنبية على أن الفصحى لا تعيا بحمل المعاني مهما تنوعت وعلت وأنها تبز اللغات في ميدان التعبير عن الحقائق والخيالات والخواطر والتصورات وقد بلغت من هذا الغرض ما أريد ، والغرض الثاني : أن أحدث في نفوس العامة المحببين للعلم والدين أسفا. نفض مضاجعهم فيدعهم إلى تدارك ما فاتهم منها في أبنائهم [4].

ثم يكشف الشيخ الإبراهيمي عن تجاوب الناس مع دروسه بالفصحى فيقول "...وكنت أرى من عامة المسلمين حسن الإصغاء ينبئ باهتمام عميق فاتا وله على أنه تأثر بالآيات والأحاديث التي يكثر ترددها في

1- المصدر السابق .

2- مما يؤكد على عناية المثقفين الجزائريين بغحياء اللغة العربية الفصحى والعمل على نشرها في الاوساط الشعبية ان صدى ذلك وصل إلى المشرق حيث ابدى الدكتور زكي مبارك إعجابه عند اتصاله بأحد اعداد الشهاب فراح ينوه بمجهود علماء الجزائر فحسبه ان حرص اهل الجزائر على اللغة العربية هو من أظهر ما هم عليه من الشهامة والرجولة والغباء، أنظر: صالح بوغزال، الدعاية وحاجتنا إليها، جريدة البصائر، عدد 6 (1947.09.12).

3- المصدر السابق .

4- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، عرض الحالة العلمية مجلة الشهاب ، ج 9 م 10 (اوت 1934 م) .

الدرس منزلة على ما سبقت له والتأثر بكلام الله وكلام رسوله طبيعي في المسلمين وكم كنت أخشى أن ينفضوا من حولي يوما لعدم فهم ما يسمعون لولا أنني أوى إلى ركن شديد من كلام الله ورسوله . وقد رجعت إلى العامية في بعض الدروس فاستهجنوها ونبت عنها أذواقهم إني لا أدري لماذا لا تعجب للعامي يتعلم الفرنسية بالسماع وتعجب ._ بل لا تكاد تصدق له أن يتعلم العربية بالسماع مع أن العربية أقرب إلى عاميته وفطرته وروحه ..."[1].

ويبدو أن تضييق الإدارة الاستعمارية على اللغة العربية في المؤسسات التربوية وخلق ضرة لها وهي العامية وتقليص حجم تدريسها في برامج المدارس الثانوية ، ضف إلى ذلك انسداد سوق العمل في الغالب للحاملين لشهاداتها زاد في تهميشها مقارنة بالفرنسية التي كانت محضية في التعليم والعمل وفي هذا الصدد كتب الشيخ با عزيز بن عمر عن حظ اللغة العربية في المدارس الثانوية وكيف أزدري بها ما دامت غير معترف بها كلغة رسمية بل طغت بالعامية والكتب المدرسية المؤلفة لهذا الغرض والتي تزيد الطلاب منها نفورا "...وماذا يهمهم من لغة لم يعترف بها كلغة رسمية بجنب اللغة الفرنسية ، ولم يخصص لها معها إلا نحو ثلاث ساعات في الأسبوع تزاحمها فيها اللغة العامية التي اشتقت منها ، ثم اعتبرت لغة مستقلة عنها، ولتنفيذ هذه الخطة قد عهد بالتأليف في اللغتين إلى طائفة من الأساتذة فألفوا في اللغة العامية كتبا مختلفة .[2] ملئت بالحكايات المكذوبة ، تقرأ للتسلية ومحاربة اللغة الفصحى كما ألفوا في هذه الأخيرة كتبا أخرى على طريقتهم المعروفة من مزج الشرح والبيان باللغة الفرنسية فابتكروا لكل منهما أساليب خاصة واحد لهما نحوا خاصا عريبا لا يعتمد في التطبيق إلا على جمل ركبت تركيبا ليس في العربية شيء [3].

ويبرر الأستاذ أسباب عدم تشجيع الاستعمار للغة العربية . حتى لا ينتج للجزائريين وعي يؤهلهم للنهوض بوطنهم "...هذه هي المدارس التي يعتمد عليها بعض الأدباء الجاهلين في تعليم أولادهم لغتهم العربية في حين أنها ليست فيها إلا كل ما يعرفهم منها جريا على تحقيق مقاصد السياسة الاستعمارية التي كان من أهدافها أن يتجرد الأهلي المسكين من كل قوة وسلاح ماديا وأدبيا ، فالتثقيف والتعليم من الأسلحة الماضية التي يخشى خطرها على النفوذ الاستعماري ، إذ ملك الأهالي شيئا منها أمكنهم به أن يفتحوا أعينهم على ما يعمل الاستعمار بين سمعهم وبصرهم من إبقائهم جاهلين عبيدا لا يصلحون إلا أن يكون آلة صماء في يده لا علم ولا تربية ولا ثقافة لأن وجود شيء من هذا بين يدي أبناء المستعمرات يدفعهم إلى التمرد على نظمه التي نسبها لانتزاع الثقة من نفوسهم وجعل قلوبهم هواء ليس فيها معنى الشعور يعزا لحياة ..." [4] .

1- المصدر السابق .

2- الشيخ با عزيز بن عمر ، اللغة العربية بالمدارس الثانوية جريدة البصائر عدد 10 (1947.10.13).

3- المصدر السابق

4- المصدر السابق .

وفي سياق المحاولات الاستعمارية للنيل من اللغة العربية والتطويح بها والحط من شأنها كشف الأستاذ باعزيز بن عمرعن الطريقة العقيمة التي كانت تدرس بها علوم اللغة العربية بالجامعة الجزائرية والتي لا تجذب إليها أحد لكي يتعلمها حيث تشرح باللغة الفرنسية للطلاب ، والحصيلة هي أنهم يتعلمون كل شيء إلا شيء اسمه اللغة العربية ودفع هذا الوضع الشاذ للغة العربية في الجامعة إلى هجرانها إلى لغات الغرب مكرهين بل فيهم من يندب حظه لأنه بقي سنوات يتعلمها فلم يأخذ منها شيئا لأنه حسب ما كان يروج ضدها صارت لغة تركها ركب الحياة السائر وأصبحت لا صلة لها بالفن والجمال والموسيقى فهي من أجل هذا خرجت من لغات الحياة التي تساير العصر وتخدم الفكر وتساهم في نشر العلم والفلسفة[1].

يتوافق هذا الذي ذكره الأستاذ بن عمر عن حالة تدريس اللغة العربية بالمدارس الثانوية تدريسها و الجامعة مع ما جاء في تقرير الأستاذ الناصري في إحدى جلسات جمعية طلبة شمال إفريقيا المنعقد بتونس حيث كشف هو الآخر عن حالة التردي التي آل إليها وضع اللغة العربية في هذه المدارس حيث تدرس اللغات الأجنبية بكيفية أحسن من اللغة العربية ذلك أن من يتعلم اللغة الإنجليزية يستطيع بعد أربع سنوات أن يقرأ كتابا لشكسبير ويفهمه ويترجمه إلى الفرنسية بينما يمضي التلميذ ستة سنوات يتعلم اللغة العربية فلا يستطيع بعد تلك المدة أن يترجم قطعة من أسفار سندباد البحري ولا يعلم هل للغة العربية آداب وأشعار وكتاب والسبب في ذلك يعود إلى انعدام الكفاءة في الأساتذة الذين يبعثون لتدريس اللغة العربية حيث يعلمون بكيفية غير منتجة لجهلهم اللغة وعدم المبالاة بها ويضاف إلى هذا سبب آخر هو ضيق حصة العربية حيث لم تترك لها مجال تنشرح فيها صدور التلاميذ ففي الوقت الذي تجد فيه برامج اللغة الإنجليزية يشمل دراسة كتب أكبر الشعراء والكتاب الإنجليز ، تجد برنامج اللغة العربية منحصر في علم القواعد النحوية والصرفية بالطريقة الفرنسية ومطالعة كتاب أسفار سندباد البحري وجود الصياد وبعض القطع من كتاب ألف ليلة وليلة . كأن الأدب العربي لا يعرف إلا هذه الكتب [2].

وعندما نعود الى الأستاذ با عزيز بن عمر نجد الأسلوب المخزي في تعليم اللغة العربية بالجامعة الجزائرية و الذي وصل إلى حد الاستهتار بها راح يكشف عن عبث تدريس الدين الإسلامي للمسلمين الجزائريين باللغة الفرنسية منتقدا بشدة هذا الأسلوب بالجامعة الجزائرية حيث يتعلم الطلبة الجزائريون العلوم الإسلامية باللغة الفرنسية "...إن أسلوب التدريس لهذه العلوم الإسلامية لا يكون في التلميذ ملكة لفهم هذه العلوم والتعبير بلغتها فهو إن نظر إليها وهي بين يديه وجدها كتبا عربيـــة ، وأن

1- باعزيز بن عمر، اللغة العربية و الدين بالجامعة الجزائرية، البصائر، عدد 5(05-09-1947).

2- أنظر نشر محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين بتونس 1931 م ص 78 .

حاول أن يفهمها التجأ إلى اللغة الفرنسية التي هي لغة الدرس والشرح لكل ما يقرأ أو يدرس بالجامعة الجزائرية ..." [1] .

ويدحض الأستاذ با عزيز هذه الطريقة في التعليم ويكشف عن زيفها وعم تطابقها مع منطلق المناهج التربوية فيقول "...لا تقول أن اللغة الفرنسية لا تتسع لنقل ما في هذه الكتب العربية المقررة إلى أذهان أولئك الطلبة العاكفين على تفهمها باللغة الفرنسية وأساليب الترجمة وإنما تقول إذا ذاك أن ثقافة هؤلاء الطالبين ليست من العربية في شيء كما يزعم بعضهم بحجة أنهم درسوها ونظروا في علومها وآدابها وكون الدراسة كانت للعربية بغير العربية لا يضر شيئا كثيرا . كلا لو كان هذا صحيح لكانت تكفينا لغة واحدة لدرس كل ما في العالم من ثقافات كتبت بلغات مختلفة عديدة في عصور متباينة لأنها كلها ترمي إلى خدمة العقل وترقية الفكر وتقويم الذهن بطريقة تكاد تكون واحدة وتنشر شيئا واحد يسمى العلم والعلم لا يعرف الأوطان والألوان ، ولكنه من العلم كذلك أن نعرف ما يؤدي به من لغات هذه الأوطان وتلك الألوان وما يتصل بذلك من الخصائص التي تقوي الترجمة على تأديتها ..." [2] .

كما كشف الأستاذ الناصري هو الآخر عن ضعف التحصيل للغة العربية بالجامعة الجزائرية نظرا لضعف مستوى أساتذتها أنفسهم ففاقد الشيء لا يعطيه ذلك أن الحاصل على شهادة التعليم العالي في اللغة الفرنسية يمكن أن يدرس اللغة العربية بمجرد حصوله على شهادة في العربية(Brevet d arabe) هذا الذي أصاب التعليم العربي بالكلية وهذا الذي قضى عليه قضاء لا رجوع فيه من بعده وهذا الذي يبعد عن التعليم العربي أكثر التلاميذ .

التعليم العربي بالكلية يشتمل على درس وجيز في الأدب العربي ودرس في علوم اللغة كالنحو والصرف واللغة وكل هذا يكون بالفرنسية من حيث أن سبيل التعليم هو التعريب أو التعجيم ولا يخفي العاقل أن هذه الكيفية عقيمة من نفسها وليس غريبا أن يبقى تلميذ السنين من غير أن يقدر على تحرير رسالة عربية .[3] .

ولا يستغرب الأستاذ علي مرحوم هذا الانحطاط الذي وصل إليه تعليم اللغة العربية بالمؤسسات الثانوية والجامعية والفرنسية . فحسبه أن ذلك يعد شيء طبيعي لإدارة استعمارية لم تساعد في يوم من الأيام هذه اللغة لكي تزدهر وتتطور بقدر ما سعت إلى وأدها والقضاء عليها ، لكن يستغرب من بعض المثقفين الجزائريين وحتى من العامة من يترفع عن الحديث باللغة العربية ففي محلات عمل المحامين والأطباء والصيادلـة ، مثلا لا نجد مكـــانا للغة الضـــاد حتى فـــي قاعـات الانتظــــار "...وأنت إذا ملــت إلـــى

1- با عزيز اللغة العربية والدين بالجامعة الجزائرية جريدة البصائر عدد 5(05-09-1947).

2- المصدر السابق .

3- أنظر محاضر مؤتمر شمال إفريقيا بتونس ص 79 .

مجلس من مجالس الشباب الخاصة على سبيل الصدفة رأيت أكثرهم يستنكف من إجراء الكلمات العربية على لسانه ويخجل من النطق بها ، كأن ذلك يلحق به عارا أو فضيحة ، ووجدت لغة التخاطب في أوساط شبابنا المثقف بلغة غيره أجنبية خالصة ..." [1] .ثم يضيف عن ذلك الغياب الملحوظ للغة العربية في محلات أصحاب المهن الحرة من معشر الأطباء والصيادلة والمحامين رغم أن روادها في الغالب من الجزائريين الأمر الذي يعكس حقيقة ما وصل أليه نفوذ الفرنسية حتى داخل أوساط الجزائريين "...وأنت إذا تجرأت ودست أنفك في ملفات السادة المحامين والأطباء والصيدليين وغيرهم ممن على شاكلتهم لتستنشق عبير العربية وتتنسم نسمتها في مطبوعاتهم وجميع أمورهم التي تستعمل فيها القراءة والكتابة فلا تكاد تشم لها رائحة ولو كان بعضهم يجيدها ، وحتى في قاعة الانتظار عندهم لا نرى غالبا إلا الجرائد والمجلات الأجنبية كأن زبائنهم لا يكونون إلا من الأجانب ..." [2] .

ويهيب بالغيورين على اللغة العربية لكي يحافظوا عليها ويعضوا على ذلك بالنواجد لأن في ذلك محافظة على هويتهم وشخصيتهم الوطنية ومعالم على طريق التحرر من الاستعمار . "...وإذا ما أردنا الحياة الحقيقية للغتنا والمحافظة عليها ، وحمايتها من عوادي الزمن ومصائب الأيام فلا تطلب ذلك عند الاستعمار، وتهمل الجانب العلمي من القضية وهو جانبا علينا أن نجعل اللغة العربية شعارا لنا في كل أمورنا وأن نفرضها فرضا على أنفسنا ومن هو تبع لنا ، فتتعلمها صغارا أو كبارا ذكورا وإناثا ، ونتوجه إليها بجميع احساساتنا وعواطفنا ونمنحها أقصى ما يمكن من مجهوداتنا وقواتنا الحسية والمعنوية ، فإن محافظتنا على اللغة هي المحافظة على الحياة والقومية التي تستخص وجودنا وتميزنا عن غيرنا ، وذلك هو

المفتاح الذي يخرجنا من سجن الاستعمار ، لأن اللغة أثر فعالا في حياة الأمم والشعوب ولهذا جعلها الاستعمار هدفه الأول بالحرب والإبادة ..." [3] .

وفي الأخير ينتهي الشيخ علي مرحوم إلى قناعة بأن ترسيم اللغة العربية هي فعل شعبي وطني يفرض نفسه بنفسه على الواقع وعلى الاستعمار الأمر الذي يتطلب منا بذل المزيد من الجهود لتأسيس المدارس وتنظيمها كي تكون وسيلة لتعميم استعمال اللغة العربية وهو في هذا يعاكس أصحاب الشعارات ويريد فقط العمل الدءوب لترقية اللغة وتعميمها "...ففي إمكاننا واستطاعتنا أن تجعل تحت لغتنا رسمية لنا وأنف العدو راغم ولكن لا تستطيع أن تحقق ذلك عمليا إلا إذا ضاعفنا مجهوداتنا وواصلنا العمل لتشييد المدارس وتنظيمها في المدن والقرى التي خلت منها ، وكنا في إعانة الموجود منها بالنفس والنفيس ، وأقبلنا بأولادنا عليها كما نقبل على غيرها ، وأحطناها بالعناية والرعاية الكاملة ، وأعلناها حربا شعواء على الأمية

1- الأستاذ علي مرحوم رسمية لغتنا بأيدينا جريدة البصائر عدد 15 (1947) .

2- المصدر السابق .

3- المصدر السابق .

والجهالة ، فبذلك نبرهن لأعداء العربية في هذه البلاد على ارتباطنا بماضينا الزاهر وحيويتنا الزاهرة وعملنا للمستقبل على أساس العقل والمنطق والحكمة [1] .

أما الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي هاله وضع اللغة العربية في الجزائر فقد اعتبر مصير بقائها مرهون بعمل الشعب لصالحها لأن الحكومة الفرنسية لا يهمها هذا الأمر إلا بقدر ما يحقق لها ما تريده وقد "...أسست ثلاث مدارس رسمية في كل الوطن الجزائري ، لا يتجاوز عدد طلبتها كلها خمسمائة طالب أي من كل 10.000 من سكان الجزائر رتبت المدرسين الرسمين في بعض مساجد المدن الجزائرية ، وجددت للمدرس منطقة لا يتعداها وهي أعداد الشباب وتلقينهم مبادئ العربية ليتمكنوا من دخول إحدى المدارس الثلاث ، أما مدارس الحكومة التي أعدتها لتعليم الناشئة الجزائرية فعددها يبلغ 625 مدرسة في سائر أنحاء القطر ففيها نحو ثلاثين ألف طالب يتعلمون تعليما ليس فيه للدين وللعربية أي نصيب..." [2] .

أما الأستاذ الشيخ محمد الطاهر الأطرش [3] فقد ذهب إلى أن سر انحطاط اللغة العربية فهو ناتج عن انحطاط الناطقين بها في العصور الحديثة حيث قزموها قبل أن يقزمها أعداءها إن كان ثمة من حافظ على بقائها وأبقاها حية ترزق فهو السر الكامن فيها فخلودها من خلود القرآن الكريم . زيادة على جهود المعاهد الكبرى في العالم الإسلامي كالزيتونة والأزهر والقرويين "...واللغة العربية أصابها ما أصاب أمتها في العصور الحديثة من التدهور والانحطاط وخلا محرابها من عابديها وتضاءل شأنها في نظرهم ووصموها بالعقم وهجروها إلى غيرها من اللغات الأجنبية ولولا المعاهد الدينية كالزيتونة والقرويين والأزهر الشريف ولولا السر الكامن فيها وهو سر الخلود سر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لكانت اليوم في رمسها ولكان بدلها في كل قطر [4] من الأقطار العربية رطانات مختلفة مثل التي حلت باللغة اللاتينية [5] .

ويضيف بان اللغة العربية قد بان نهوضها للعيان والفضل في ذلك يرجع إلى جمعية العلماء المسلمين التي حرصت كل الحرص على توسيع دائرة التعليم العربي الحر في أوساط المسلمين من خلال إقدامها على تشييد المدارس والمعاهد العلمية "...ولكن نواميس الخلود الكامنة فيها تحركت في كيانها وبعثتها مـــن جديد

1- المصدر السابق .2- أنظر د / محمد ناصر ، المقالة الصحفية ج 2 ص 54 .

3- ولد سنة 1927 بالمسيلة درس بمسقط رأسه ثم انتقل إلى المنصورة التي تردد على كتاتيبها ثم درس بزاوية سيدي مخلوف بمزيطة وفي سنة 1943 التحق بزاوية ابن الحملاوي بوادي سقان وفيها تعلم مبادئ العلوم على مدرسين تونسيين وفي سنة 1945 التحق بجامع الزيتونة الذي نال منه شهادة التحصيل سنة 1951 عاد بعدها إلى الوطن حيث انخرط في سلك التعليم العربي بمدارس جمعية العلماء تعرض للاعتقال اثناء الثورة المسلحة وبعد الاستقلال عمل مدرسا حتى نال تقاعه سنة 1983 عرف بدفاعه عن القيم الاسلامية والوطنية له مقالات إسلامية وتربوية بالبصائر السلسلة الثانية. للمزيد أنظر فضلاء، من أعلام الاصلاح، ج3، ص 45 وما بعدها.

4- يبدوا أن العامل المحلي المتمثل في الزوايا والكتاتيب والمساجد هي بدورها قد ساعدت على بقاء اللغة العربية في البلاد وما المؤثرات الخارجية إلا عوامل مساعدة بذلك .

5- الشيخ محمد الأطرش ، خلود اللغة العربية جريدة البصائر عدد 305 (4 مارس 1955 م) .

بعثا صالحا تداركت فيه بعض ما فاتها من نهوض وتقدم واسترجعت مكانتها المفقودة بين لغات العالم ، وما كثرة الكتاب والشعراء في الشرق الآن ، وكثرة تأليفهم وانتشار المعاهد العلمية والمدارس التثقيفية على غرار الأمم الحية وما ظهور النهضة العلمية التي غرست جمعية العلماء المباركة بذورها في الجزائر ، وما شيدت لها من ثكنات وما جندت لها من جنود وما ذللت لها من صعاب إلا دليل واضح على أن اللغة العربية أصبحت سائرة في طريق الخلود ، وأنها مشرقة مرة أخرى على عصر ذهبي مشرق..." [1] .

وواضح بشكل جلي أن هذا السعي من قبل الجزائريين لإعادة الاعتبار للغتهم العربية جاء كرد فعل على تلك السنوات الطوال العجاف التي مرت على اللغة العربية واستهدفت القضاء عليها ، فالإدارة الاستعمارية في الجزائر قد حاولت بمعاونة بعض المستشرقين أن تحصر اللغة العربية في نطاق ضيق جدا فتقتصر على العامية وتعليمها للفرنسيين بهدف فهم الشعب الجزائري وتفكيره كما أنها قصرت اللغة العربية الفصحى وتعليمها لبعض الموظفين الذين تحتاج إليهم كصلة ورابطة بين الإدارة الفرنسية والشعب الجزائري ..." [2] . وفي المقالات التي نشرت في المجلات العلمية والثقافية يكفي كما قال الأستاذ ركبي أن تستشهد بنص واحد لأحد المستشرقين الذين لعبوا دورا كبيرا في هذا المجال وتعني به " ديسبارمى " فهو في أحد كتبه " القواعد في الفوائد والقواعد والعقائد " يتحدث بسخرية فيحمد الله على أن جعل للعرب لغتين اللغة الفصحى واللغة العامية وهو يوجه خطابه للتلاميذ الفرنسيين فيقول "...لهذا السبب واجب على كل واحد من التلاميذ النصرانيين يتعلم هذه اللغة العامية باش يتكلم مع جميع المسلمين ويفهم واش يتكلموا..."[3]. فالهدف إذن من تعليم اللغة العامية للفرنسيين واضح وهو فهم عقلية الجزائريين الوطنيين أما عندما يتوجه بخطابه إلى الجزائريين فإنه يدعوهم لتعلم الفصحى للانخراط في سلك التراجمة والموظفين والأئمة والقضاة الخ وكلا الهدفين في الحقيقة لا يخدم إلا مصالح الإدارة الاستعمارية في الجزائر ولا يخدم الثقافة العربية ولا اللغة العربية أداة لهذه الثقافة ..." [4] .

وقد لاحظ الكاتب محمد بن علي الطاهر الجباري [5] . وما وصلت إليه لغته العربية من تدهور

1- المصدر السابق .

2- د / عبد الله ركبي ، عروبة الفكر والثقافة أولا ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ص 26 .

3- نفس المرجع ...ص 26 .

4- نفس المرجع ص 27 .

5- من الغرب الجزائري عاش في منتصف القرن 19 م عمل قاضيا في أواخر أيامه ، كما ألف قصيدة هزلية تحت اسم مستعار هو الشاطر وعنوانها " مغامرات طاليس عربيس " ونشرت مع ترجمتها عام 1887 م أنظر ركبي ، تطور النثر الجزائري ص 88 .

وتشويه بعد أن استبدت بها اللهجات المحلية وسيطرت عليها حيث استشرى فيها اللحن والرطانة فاستنكر انتشار العامية بلهجاتها المتعددة وألفاظها البعيدة عن العربية الأم وقد ذكر بعض من هذه اللهجات [1].
وهذا يدل دلالة قاطعة على مبلغ ما تركته السياسة الفرنسية على العربية لم يذكره الجباري خوفا من أن تلاحقه الإدارة الاستعمارية بعصاها الغليظة ، والتي في الحقيقة شكلت معركة كبيرة بين العربية والفرنسية لم تكن موجودة قبل 1830 م . وما زالت متواصلة إلى اليوم بشكل سافر في عز الدولة الوطنية .

ج - **اللغة العربية في مواجهة الادارة ودعاة الفرنسة:**

استرجعت اللغة العربية نسبيا بعض وقعها في الأوساط الشعبية الجزائرية كما أن ما استحدث من مؤسسات تربوية و ثقافية عزز من مكانة اللغة العربية و آدابها فقد كثرت المدارس العربية التي تنشر المعارف العربية وازدادت النوادي و الصحف التي تنشر الثقافة العربية الإسلامية الأمر الذي أدى إلى اشتداد ساعد اللغة العربية بالجزائر.والفضل في ذلك يرجع إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث ساهمت في "التمكين لهذه اللغة في البيئة الجزائرية والحفاظ عليها وعلى ماضيها العريق وعلى الثقافة العربية الأصيلة ولم يقتصر الأمر على المناهج والبرامج التربوية أو على المحاضرات والدروس بالمساجد والنوادي أو على الصحافة التي لعبت دورا هاما أيضا في هذا المجال لم يكن هذا فحسب بل تعدى الأمر إلى الإدارة حيث كانت هذه المدارس الحرة تتعامل في أنظمتها الإدارية باللغة العربية ..." [2] .

وقد أدى هذا كله إلى حنق الإدارة الاستعمارية على اللغة العربية فبادرت إلى استصدار مرسوم 8 مارس 1938 م الذي أعلنت الحكومة الفرنسية بموجبه أن اللغة العربية " لغة أجنبية في الجزائر " ورغم استنكار الشعب الجزائري بكل فئاته وتوجهاته [3] السياسية لهدا القرار فإن الإدارة الاستعمارية لم تبال ومضت في سياسة قمع التعليم العربي الحر .فأعلنت سنة 1948م عن مرسوم يمنع بموجبه كل من لا يحمل شهادة جامعية فرنسية أن يدرس وحتى ان يعلم العربية في الجزائر [4] وقبله في سنة 1944م صدر مرسوم ينص على غلق المدارس الحرة وكان غرض الاستعمار من خلال سن هدا القرار هو تعطيل تعليم اللغة العربية وتهجينها أيضا بعدما اجــبر

1- المرجع السابق ص .89
2- د / ركبي عروبة الفكر ...ص 27 .
3- أحمد مريوش ، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحركة الوطنية الجزائرية ، مجلة الرؤية ، الجزائر العدد 2 (ماي ، جوان 1996 م ص / 12 و ما بعدها) .
4- أستاذ مولود قاسم العربية في التعليم العام والعالي .....ص 20 .

تعليم الفرنسية إلى جانبها وبدلك يتسنى له إخراج نموذج من المتعلمين المولودين لغويا فيتحقق من ثم المشروع .الاستعماري [1] وقد عارض العلماء المصلحون وعلى رأسهم الشيخ الطيب العقبي قرار شاتينو وبعث برسالة مؤرخة في 20 نوفمبر 1945م إلى مدير الشؤون الأهلية يطلب فيها منه التراجع عن قرار فبراير لأنه يعارض مصالح الجزائريين "... فنحن نتوجه إلى هذا المشروع ونحن أقوياء وبحقنا أقوياء بما قدم لنا من صريح العهود والوعود لكن لنكو نوا على ثقة سيدي المدير بأن المسلمين ليسوا متحملين مسئولية هذه الغلطة الفادحة ،نعم لقد كان من الممكن و لازال من الممكن أن نطلب من شيوخ التدريس الحر مقدار من اللياقة و الكفاءة والأخلاق الحميدة واحترام القوانين والنظم .وإنما الأمر الذي لا يفهم ولا يتوصل لفهمه كنهه الإدراك هو إجباركم الخضوع لشيء ليس هو في طاقتكم ومقدرتكم وكيف يمكن أن نطلب من المسلمين وجوب معرفة اللغة الفرنسية دون أن تكون أبواب المكاتب مفتوحة على مصراعيها أمام الجميع دون إي تمييز أو إجحاف" [2] .

وعوض أن تراجع الإدارة الاستعمارية نفسها و تعود إلى رشدها فتخلي بين الجزائريين و لغتهم العربية وترفع يدها على ما ليس لها فيه حق ، ركبت رأسها و مضت من دون تردد في محاصرة اللغة العربية بالقوانين الجائرة في عز نضج الوعي الوطني الذي يعتبر اللغة العربية مسألة مقدسة غير قابلة للتفاوض و لا النقاش وكأني بالإدارة الاستعمارية تريد أن توقف عجلة التاريخ فقد أقدمت على ماهو أشنع وأخضع .ففي يوم 5 مارس 1954م أمام إعلان الحكومة الفرنسية عن احتمال تعليم اللغة العربية في حدود ما .في الجزائر أمام تزايد النشاط السياسي الوطني اجتمع المفتشون العامون الأوروبيون للغة الفرنسية في الجزائر وقرروا هذا القرار العجيب الغريب في المنطق العالمي "نعلن نحن المفتشين العامين للتعليم الفرنسي في الجزائر أننا قررنا ما يلي "حيث أن اللغة العربية هي لغات ثلاث في الواقع :

1_العربية الكلاسيكية (أي الفصحى التقليدية) وهي لغة قديمة ميتة مثل اليونانية و اللاتينية

2_ والعربية الفصيحة الحديثة وهي لغة أجنبية إذ هي معروفة في المشرق العربي فقط وغير معروفة في الجزائر و ممنوعة عندنا (أي في الجزائر)

_ والعربية الدارجة العامية و هي لا تصلح للإدارة ولا للتعليم

"فلا عربية إطلاقا في الجزائر " [3]

1- مريوش المرجع السابق ص 122 .

2- الشيخ الطيب ألعقبي جريدة الإصلاح عدد 52 السنة العشرون 12 جوان 1947

3- الأستاذ مولود قاسم العربية في التعليم العام و العالي ص 20 -21 و د / ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر منطلقات وآفاق، ص 74 – 75 .

والواقع أنه لم تكن الإدارة الاستعمارية فقط هي التي تحارب اللغة العربية و تضيق عليها و تمعن في قمع أصحابها(1) بل نجد كذلك الفئة المتفرنسة من أبناء جلدتنا من الذين أداروا ظهورهم للغتهم و حضارتهم العربية الإسلامية و تعلقوا بتلابيب المدرسة الفرنسية والمدرسين الفرنسيين الذين تعلقت قلوبهم بهم و سكنت نفوسهم إليهم فصاروا أعوانا لهم على إخوانهم في الدين و الوطن وراحوا يتحرشون عليهم خاصة بعد أن وجدوا أنفسهم موظفين في الإدارة الفرنسية و إخوانهم المعربين يكابدون المشقات من أجل الوصول إلى عمل لكسب الرزق و القوت ،مطلقين دعاية مازال مفعول ها ساريا إلي يومنا هذا و هو أن الوظائف حكرا على المفر نسين وحدهم دون غيرهم مهما حصل غيرهم من الجمهور على معارف و حازوا عليه من شهادات يقول الأستاذ إسماعيل الزكري في هذا الصدد "...و أكبر حالة يرثى لها ببعض النواحي بالجزائر هي أن كثيرا من الناس الجهالة و المتشدقين بالتعليم الفرنسوي تحدهم عقولهم السخيفة بأن الرزق معلق بالحروف الفرنسوية ، فمن لم يحصل على الشهادة الابتدائية إلى النهائية لا يعيش ولا تحلو له الحياة و لو نال أكثر من عشرين دكتوراه بغير هذه اللغة... " [2].

ويرد الأستاذ الزكري على أمثال هؤلاء المتباهين على غيرهم باكتسابهم بلغة العدو للمناصب و الوظائف بأن المعربين ما كانوا ليتحرروا من قيمهم الوطنية التي تدفعهم لا للارتزاق باللغة العربية فقط بل لكي يدفعوا المصاريف الكثيرة و ركوب المخاطر في سبيل تعلمها وتعليمها لأبناء الوطن و العمل من أجل ترقيتها و ازدهارها لأن في ذلك تأدية لواجب و طني ."...وها نحن نجعل من يعتقد هذا الاعتقاد الفاسد و يزعم الزعم الباطل على يقين بأن إذا ما غادرنا الأوطان لأجل هذا الوطن المقدس ،واجب تعلم اللغة العربية و أنفقنا أموالا طائلة في سبيل بعثها و الفحص عن سيرة أدبائها و حملة لوائها الأبطال لا نتوخى وراء ذلك بحبوحة العيش و رفاهيته ،إنما تريد إحياءها ورفع رايتها بين أعين العدا المعزين للغتهم في كل مكان و زمان ..." [3].

و يكشف الأستاذ الزكري عن ما آل إليه حال اللغة العربية في الجزائر و نعتها بكل النعوت التي تزيد الناس نفورا من تعلمها حتى صارت غريبة في عقر دارها و هي التي كان لها الفضل الأكبر في بناء الحضارة الإنسانية و ما كان هذا ليحدث لولا ذلك التحامل عليها و الجهل بها و من جهل شيئا عاداه " .... إن هذه الوضعية الشاذة التي عليها اللغة العربية في الجزائر لا تزال تنفر أبناء هذا القطر

1- وتعددت مدا- من أجل التمكين للغة العربية كان الشيخ بن باديس ينتهز كل فرصة للتعريف بمكانتها وبأنها غير معادية لأية لغة أخرى، فبمناسبة انعقاد مؤتمر معلمي اللغة الفرنسية بقسنطينة اغتنم المناسبة فدعا معلمي اللغة الفرنسية من الجزائريين بضرورة النظر للفرنسية كلغة علم وثقافة لا كأداة لفرنسة الجزائر كما يريد الاستعمار " ... إننا لا ننكر أن اللغة الفرنسية لغة علمية وعالمية معا ولكن الاستعمار لا يريد أن تكون كذلك عندنا إنما يريد أن تكون أداة لفرنسة أبنائنا وصرفهم بها عن لغتهم وجزائريتهم فكان عليكم أن تثبتوا له بمؤتمركم أنكم جزائريون تعلمون الجزائريين لا فرنسيون تعلمون الفرنسيين كما كان علينا معاشر معلمي العربية أن نثبت له كذلك أننا لا نبغض اللغة الفرنسية ولا نحاربها ولكن لا نرضى بحال مهما انتشرت وتعددت مدارسها أن تخلف لدى أبنائنا لغة قومنا ووطننا..." أنظر باعزيز بن عمر، من ذكرياتي مع الإمامين الرئيسيين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، منشورات الحبر، الجزائر، 2006، ص 79

2- إسماعيل الزكري ،هل من فضل اللغة العربية بالجزائر ؟ جريدة البصائر عدد 98 (1949/12/05م) . 3- نفس المصدر.

من التعليم العربي و الأخذ بقواعد الدين الإسلامي و ننذرهم بصعوبة اللغة العربية الرائقة مع فقد فائدتها المادية و لا يدرون أن كل الاختراعات البديعة مصدرها و منشؤها الأصلي القرآن العزيز المنزل على خير عباد الله _ص _ بهذه اللغة الشريفة لمن قام باستنباط معانيه الدررية من أهلها واستخراجها من عالم الخفايا إلى عالم الانكشاف و الظهور..."[1] .

و ينتهي الكاتب المصلح إلى قناعة راسخة بأن المستقبل سيكون للغة العربية بالجزائر رغم أنف كل الأعداء المتربصين و المحاربين لها"...فلن يستطيع بعد اليوم أن يقف أمام تيار هذه النهضة المباركة التي صاحت في وجوه الجاحدين و الجامدين أن اللغة العربية حية ناهضة في هذا القطر رغم كل معارض و مكابر يريد أن يصد الناس عنها و ينفر أبناءها منها " [2] .

د- ترقية العربية كلغة علم و آداب:

أدرك رجال النهضة و الإصلاح من معشر المثقفين و المربين أن العناية باللغة العربية و ترقية آدابها و فنونها هو الذي يعطي البعد الحضاري الحقيقي للجزائر فأمة بلا لغة إنسان بلا لسان بل أن لغة الأمة عنوان ثقافتها و حضارتها و لذلك تعني الأمم كافة بلغتها و تعمل على ترقيتها ...[3] فهي في استعمالاتها تعد بمثابة الوعاء الثقافي للأمة وأداة لاكتساب المعرفة الجديدة ، زيادة عن كونها تعد وسيلة التواصل في كل ماله صلة بحياة الناس الاجتماعية و الفكرية و الاقتصادية من هذا المنطلق راح الأستاذ البشير الإبراهيمي يستعيد أمجاد اللغة العربية ومآثرها على العالم وتأثيرها الفعال في نهضات الأمم الأوروبية وذلك حتى يعيد الثقة بها إلى تلك النفوس التي تزعزعت بفعل الدعاية الاستعمارية و الاستشراقية الآثمة التي تصم العربية بالجمود بل تضعها في عداد اللغات الميتة وفي ذلك يقول "...إن كثيرا من العلوم التي بنيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلا عن طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين منا ومنهم و إن المنصفين منهم ليعترفوا للغة العربية بهذا الفضل على العلم والمدنية ويوفونها حقها من التمجيد و الاحترام ويعترفون لعلماء الإسلام بأنهم أساتذتهم في هذه العلوم عنهم أخذوها وعن لغتهم ترجموها وأنهم يحمدون للدهر أن هيأ لهم مجاورة المسلمين بالأندلس و صقلية و شمال إفريقيا و ثغور الشام حتى أخذوا ما أخذوا واقتبسوا ما اقتبسوا ولا يزال هؤلاء المنصفين يذكرون فضل معاهد الأندلس العربية ومعاهد شمال إفريقيا ومعاهد الشام على الحضارة القائمة ولا يزال ينتهجون بعض المناهج الدراسية الأندلسية في معاهد هم إلى الآن ..."[4] ويدافع عن تلك التهمة المشينة التي تجرد العقل العربي من الإبداع بحجة باطلة وهـــي إن العـرب ترجـموا

1- نفس المصدر .

2- نفس المصدر .

3- محمود ثيمور مشكلات اللغة العربية منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت د- ت ص 4

4- الشيخ مجمد الإبراهيمي العربية مجلة الشهاب ج /م 10 (محرم 1358 ه فيفري 1939 م)

علوم الأوائل ونقلوا عنها نقلا مجردا ولم يزدوا شيئا في التراث الفكري الذي نقلوه إلى العربية "...إن العرب ليس لهم فيما ترجموا إلا النقل المجرد وأنهم لم يزيدوا شيئا في التراث الفكري الذي نقلوه و إن وظيفتهم في هذه الوساطة و وظيفة الناقل الأمين الذي ينقل الشيء كما هو من يد إلى يد .... و الحقيقة التي يؤيدها الواقع و يشهد بها المنصفون منهم أن العرب حينما نقلوا علوم الأوائل كما كانوا يسمنوها نقلوا بدافع وجداني إلى العلم و رغبة ملحة فيه و أنهم نقلوا ليستقلوا وليستغلوا و لينتفعوا بثمرة ما نقلوا . و لا يتم لهم هذا الاستقلال في العلم إلا بالتمحيص التصحيح..."[1]

ويستعرض فضل العربية في ظهور ما يعرف بالتخصص العلمي عند العلماء المسلمين فيقول "...واللغة العربية هي التي أفضلت على علماء الإسلام بكنوزها ودقائقها وأسرارها وأمدتهم بتلك الثروة الهائلة من المصطلحات العلمية والفنية التي تعجز أية لغة من لغات العالم عن إحضارها بدون استعانة أو استعارة فبحثوها في كل علم وبحثوها في كل فن وملأوا الدنيا مؤلفات ودواوين و من عرف كتاب أبي حنيفة الدينوري في النبات وكتاب أبي عبيدة في الخيل وكتاب لهمداني في تخطيط جزيرة العرب و كتاب الجاحظ في الحيوان و كتب الأليمة في الطب و النجوم و الإبل ر أى العجب العجاب من اتساع هذه اللغة و غزارة مادتها و علم مقدار أفضالها على الأمة العربية ..." [2] .

وينتهي الشيخ الإبراهيمي إلى الحديث عن دور المستشرقين في خدمة اللغة العربية فبين أن المستشرقين فريقان فريق جاحد لمزايا اللغة العربية وعلومها يعمل على موتها ويثبط الناس ويتجنى عليها وينحلها القلوب [3] . أما الفريق الثاني فقد خدمها أكثر مما خدمناها اليوم حيث يقول :
"...فكم كتبوا عنها مؤلفات وكم عقدوا للبحث عن دقائقها مؤتمرات وكم طبعوا من أسفار سفرها القيمة في اللغة و الأدب والتاريخ والعلوم ولو لم يكن من فضلهم عليها إلا إحياء أمهات علمية عجزنا نحن عن إحيائها لكان ذلك موجبا لعرفان جميلهم و إذا كان فضل العربية عليهم في القديم عظيما فقد قابلوا الفضل بفضل ولهم الشكر على كل حال إن في هذه النقطة موضع أعتبار وهي أنه إذا كان الأجنبي عن هذه اللغة يعرف لها فضلها فيحيي من آثارها ما استطاع ويحث قومه على تعلمها و الاستفادة من ذخائرها وحكومته من ورائه تجمع له مئات الآلاف من أسفارها القيمة فماذا صنعنا نحن ونحن أبناؤها حقيقة ؟
الحق أن ما صنعناه نحن لهذه الأم ضئيل وأن ما أنفقناه في سبيلها قليل ولكن النية في خدمتها صحيحة والرغبة في تعلمها ملحة وعلى الله قصد السبيل" [4] .

1- نفس المصدر.

2- نفس المصدر.

3- نفس المصدر.

4- نفس المصدر.

ولأن نهضة المجتمع لا تقوم على مجرد عملية إحياء التراث الماضي المشرق للأمة فقط بل ينبغي كذلك أن نعتمد على روح الاجتهاد والابتكار وفي سبيل ترقية اللغة العربية وآدابها قام الشيخ رمضان حمود بأبحاث فيها روح تجديدية على شكل مقالات نقدية تعكس بعد نظره في عملية التطوير التي ينبغي أ ن تحدث للعربية وآدابها وعدم الجمود على التراث التليد مهما كانت قيمته فقد دعا معشر الشعراء والأدباء كي يشمروا عن سواعد الجد وينهضوا بلغتهم وآدابها وفي ذلك يقول :

"...فيا أيها الأدباء اجعلوا نصب أعينكم إعلاء الأدب العربي وترقيته وافهموا واعتقدوا أن موقفنا مع أجدادنا الكرام كموقف الأم الحنون مع ولدها فإنها إذا ربته وبلغ أشده واستوى فلا بد له من القيام والسعي في مناكب الأرض ،لا الركود في حجرها والدوران حولها.

فمكث الماء يبقى آسنا... وسرى البدر به البدر اكتمل

أجهدوا أنفسهم في درس لغتكم في فهم أسرارها ، في تدقيق معانيها في إتقانها غاية الإتقان، فإذا تم لكم المراد واستحوذتم على جانب وافر منها انبذوا عنكم كل صلة بينكم وبين ماضيها .اجعلوها وسيلة إلى نيل مآربكم لا غاية لا تتجاوزونها ،غيروا، فننوا ، وسعوا ، أصلحوا "، فإنكم بدلك تكونون عصرا مستقلا منيرا ذا ميزة على غيره مملوء بالأعمال الجليلة والاختراعات الخطيرة ..."[1]

ويطلب من الشعراء أن يكون خطابهم للناس بلغة عصرهم لا بلغة القدماء التي يستعصي عليهم فهمها "...لا يسمى الشاعر شاعرا عندي إلا إذا خاطب الناس باللغة التي يفهمونها بحيث تنزل على قلوبهم نزول ندى الصباح على الزهرة الباسمة لا أن يكلمونا في القرن العشرين بلغة " امرئ القيس " و طرفة بن العيد " و " المهلهل " الجاهلين الغابرين "[2] .

ويرى للشعراء رسالة في الحياة فيقول "... الشعراء روح الشعوب ،فإذا نصحوا لها سارت و تقدمت وإذا خانوها ،فالسقوط و الاضمحلال حظها ،وأما السبيل الذي يسلكه شعراؤنا اليوم المملوء بالتحذلق و التشدق بالألفاظ الضخمة الرنانة و السعي وراء الخواص فغايته الويل والبوار ..." [3] .

كما يحث الأدباء بأن يسعوا لنهضة أمتهم بأقلامهم و أفكارهم " فيا أيها الأدباء الأحرار أنبذوا منكم التكلف و التنطع في اللغة "، وأفرغوا المعنى الجميل في اللفظ الجميل و اخضعوا لصوت الضمير و الواجب وصفوا أنفسكم من الانتقام قبل الانتقاد ولا تقيدوا كتباتكم بطريقة أحد مهما كان شأنه و قدره في الأدب ومهما كان بيانه الساحر ولكن أتمنى أن تدور رحى أقلامكم حول محور واحد و تتسابق خيل أفكاركم نحو غاية واحدة وهي " سعادة الشرق بأي طريق كان [4] .

1- د/ صالح خرفي حمود رمضان المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985 ص113- 114 .

2- المرجع السابق ص 117 - 118 .

3- المرجع السابق ص 118 .

4- المرجع السابق ص 119.

كما يمكن عن طريق الترجمة حسب الأستاذ حمود إثراء الثقافة الوطنية فالانفتاح على اللغات الأجنبية سبيل للرقي" إن عوامل التغيير في مملكة الأدب كثيرة لا تحصى وأهمها الترجمة الصحيحة و التعريب الذي يقطع به مسافات بعيدة عن مركز التقليد إلى غاية التقييد ."

إن المرء يستطيع بلغته و أدبه مهما كان عنصره و جنسه و مهما كان حبه للتجدد و متمسك بهما تمسكه بروحه التي بين جنبيه و إذا أهدى الله له لغة أجنبية بذرها تبذيرا غير آسف عليها ولا نادم على ما فعل و إن قدر له ترك شيء في يديه يرد به حوادث الزمان استعمل فكره في استخراج اللب من القشور و الذهب من التراب فيحظى بجانب وافر من بلاغة اللغة بينما هو في لغته صفر الكف من عدم البحث و التنقيب لوقوف بعض النقاد الجامدين في سبيل مراده قائلين له " كل هذا .....وإلا مت " فماذا عساه يفعل يا ترى إذا لم يبدل الطريق ؟ ويترك تلك الصخور في مكانها ؟ ويسمح في حقوق كثيرة ؟ (1)

ويدعو الشيخ حمود صراحة إلى إلى بعث طلاب العلم إلى أوربا حتى إذا ما عادوا مملوءين بوطاب العلم و المعرفة العصرية بثوا ذلك في قومهم عن طريق التعليم و الترجمة " لا ينهض الأدب العربي من كبوته هاته إلا إذا نهض العالم الإسلامي من غفلته و أرسل بعثات إلى عواصم أوربا من نخبة شبابه الزاهر لدراسة جميع اللغات الحية كما فعلت مصر و سوريا و هما جزء من هيكله الضخم ،فهذا يتخرج في الفرنسية مثلا و هذا في الإنجليزية و هذا في الألمانية و هذا في اليونانية وهكذا...الخ فإذا رجعوا إلى أوطانهم بثوا آداب و علوم تلك اللغات في قومهم بطريقة التعليم و الترجمة بشرط أن يغظوا أبصارهم عن عادات و أخلاق أساتذتهم و لا ينسوا ميزتهم الشرقية ..."(2)

و يدعو حمود إلى اكتشاف أسرار تطور الغرب ووصوله إلى درجات عليا من الرقي و معرفة الأسباب الحقيقية التي قادت إلى نجاحه في نهضته الحديثة و الابتعاد عن التقليد الأعمى الذي عادة ما يتوقف عند قشور الحضارة و مظاهرها الخارجية التي لا تسمن و لا تغني من جوع "...فلا تمضي مدة وجيزة حتى تنشر بذور الحياة في أرضه - أي الشرق – الخصبة و تنبت نباتا حسنا يعسر على غيرهم غرسها في أمد طويل و مساع جسيمة وهذا النبات لا يثمر إلا بالبحث عن أسرار نهوض الغرب و دراسة أدبه درسا عميقا لا مجرد إطلاع و تسلية وتعجب و الوقوف بجانب شعرائه و بلغائه و علمائه موقف تمحيص و استنتاج لا افتتان و عمى..." (3) و ينحي اللائمة على شباب الأمة الذي انحرف عن هذا المسار وصار لا يحسن إلا تقليد الغرب في انحلاله الخلقي فيقول "...ولكن أيـن يكون ذلك و شبابنا أرشدهم الله وهـــم فـــي

1- د/ محمد ناصر رمضان حمود ص 137 .

2- نفس المصدر ص 138 .

3- نفس المصدر ص 138 .

وطنهم بجانب فقهائهم متفرجون ملبسا ومطعما ومشربا ومجونا وإلحادا لا أدبا و علما و نشاطا ويقظة وإتحادا وقوة وكأن لغة غيرهم غاية يسعى لها ما وراءها غاية لا وسيلة من الوسائل التي توصلهم إلى سعادة دينهم ووطنهم وأمتهم ..." [1].

ونلفي في جريدة البصائر موضوعا عن توصيات مؤتمر مدرسي العربية يكشف لنا عن مدى متابعة المربين الجزائريين لما يصدر عن غيرهم في دنيا العروبة من إسهام لخدمة اللغة العربية وازدهارها حيث جاءت تلك التوصيات معززة لموقع اللغة العربية في الحياة العلمية والعملية حتى تواكب كل تطورات العصر ومبتكراته وتبعد عن نفسها تهمة الجمود فقد أوصى المؤتمرون أن مدرس العربية الجيد هو الذي يستطيع أن ينفذ إلى جميع المواد الأخرى من خلال دروس المطالعة والأدب والتعبير ويستطيع أن يعين مدرسيها، ويكون عند التلميذ الملكة التي تتفاعل عندها جميع المواد أو أكثرها وأن تكون النصوص الأدبية أساسا لدراسة تاريخ الأدب وأن يتبع كل نص بما يستنبط منه من حقائق أدبية وبعد ذلك دراسة تذوقية نقدية شاملة لجميع نواحيه [2] كما ينبغي أن تنتقى النصوص التي يتمثل فيه العصر الذي قيلت فيه مع مقابلتها من الأدب الحديث...بحيث تكون من الأدب الرفيع وتمثل روح العصر الذي قيلت فيه ،وأن يوازن بينها وبين ما يماثلها من الأدب الحديث ،بحيث تكون الحياة الحاضرة محورا تدور حوله كل الدراسات الأدبية حتى يعرف التلميذ أن اللغة العربية تساير كل نهضة في أي عصر ..." [3].

_كما قرر المؤتمرون ضرورة ربط تعليم الدين بالحياة من جميع نواحيها ، و أن ما يعرض على التلاميذ يكون مشتقا من حياة التلاميذ أنفسهم . [4] ولأن الأدب ينبغي أن يكون سلاحا نستعمله لنفتك به حقوقنا ووسيلة نبني بها مستقبلنا الثقافي والحضاري بين الجيلالي بن محمد ألأصنامي رسالة الأدب في الحياة وأنه تعبير صادق عن مشاعر الأمة وتطلعاتها في واقعها العملي ، فأضحا أدعياء الأدب الذين تجردوا من كل خلق وأدب .

_ فقد عرف في البداية المفهوم الحقيقي للأدب الذي يعني العلم والثقافة وكل المعارف الإنسانية فيقول : "...قربدة ما يفهم من فحوى هذه المادة الفياضة إذا سالت على أسلات السن الأدباء في الأسمار أو انسجمت من أفواه المدارة في غسق الليل أو وضح النهار إنها عبارة عن دائرة من المعارف مركزها العلوم اللسانية بجميع أنواعها وأقطارها بقية العلوم والفنون وتاريخ أبناء المصاقع من الخطباء في أنديتهم ومواطن صولتهم والمفلقين من الشعراء في مرا تعهم الطبيعية ومصارعهم الغرامية وإحساسا تهم الوجدانية وفيالق الأبطال في أيامهم وميادين كفاحهم ومواقع جلادهم هذا هو المعنى الذي كانت تستشعره القلوب عن هذه

1- المصدر السابق ص 138 .

2- توصيات مؤتمر مدرسي العربية عن الأهرام جريدة البصائر عدد307 (1955/02/25) .

3- المصدر السابق .

4- المصدر السابق .

المادة المخصبة ..." [1] ويبدي سخطه على أولئك الذين اعتقدوا أن الأدب هو الإحاطة بالأسماء وحفظ مسمياتها من دون إدراك لكنه هذا الأدب فصاروا كمثل الحمار الذي يحمل أسفارا حيث "...حسبوا أن الأدب عبارة عن معرفة أسماء الكتاب والشعراء والمعنيين والمغنيات ومعرفة أن جبران خليل له من المؤلفات كذا وكذا وأن طه حسين له من الكتب كذا وظنوا أن الأدب لا يتطلب من الأديب أكثر من أن يعرف أن فلان كاتب وأن الآخر أكتب منه فكنت إذا تحدثت إليهم أو سامرتهم لأتسمع منهم إلا هذه العبارات الجافة التي لا تسفر عن نتيجة ..." [2].

ويحمل الأستاذ الجيلالي هؤلاء مسؤولية تردي الحياة الاجتماعية والأدبية وكساد سوق الأدب وفقرها عندما خلا الجو لهم فصاروا يصولون يجولون "...خلا جو الأدب لهؤلاء الأدعياء في هذه الديار فأخذوا يعبثون في أرجائه فسادا ويجوسون خلال دياره ،فانقلبت بهم معالمه مجاهل ومرا بعه بلا قع ومنابعه الفياضة و نوا ضب واستنسر بغاتهم واستأسدت ذئابهم واعتلت سقلتهم على العلية من رجال هذا الشأن..."[3] .

ويدعوهم في الأخير بالعودة إلى الرشد فيتركوا الأدب للأدباء ويعرفوا منزلتهم الحقيقية فلا يدعون بضاعة ينفقونها وهم أصلا لا يملكونها ..."ليس الأدب يا هؤلاء ما تضنون بل الأدب فوق ما في أنفسكم الصغيرة وأعلى من هممكم الفاترة وأرقى من مكسوباتكم الضئيلة فإن كان لكم شيء في هذه الصناعة غير ما سمعناه فأتوا به وألا فاعلموا أن بضائعكم قد نودي عليها بالكساد فلن تروج بعد في أسواق الأدب ولن تتفق عند الأدباء طالما ضربنا عن عواركم صفحا وطوينا عن دعاويكم العريضة كشحا فلم يكن لكم من نفوسكم وازع يزعكم ويخفف من غلوائكم ويثوب بكم إلى رشدكم ويرجعكم إلى الطريقة المثلي .هذه صرخة داوية وصيحة صارخة أقرع بها آذان ذئاب الأدب علها تردع أحمقهم وتنبه غافلهم وتشعر جميعهم بأن هناك من يحمي حمى الأدب ويذود عن حياضه ..."[4]

كما نجد في مقال الأستاذ حمزة بوكوشة " هل يوجد في الجزائر شعراء " ما يمكن اعتباره بمثابة دعوة منه للشعراء الجزائريين لكي يكونوا في مستوى الأحداث الجسام التي صارت تعصف بأمتهم ويبدو أن مثل هذا النقد للشعراء هو تحفيز على توظيف شعرهم في خدمة وطنهم ودينهم ومجتمعهم فقد ساء الأستاذ بوكوشة ما مر على الجزائر من أحداث مايوا دامية ولكنها مرت على الشعراء مر الكرام . " إن أحداثا جساما وخطوبا عظاما كخطوب سطيف مرت ومضت لشأنها دون أن تحرك العزائم ،وتذكي القرائح

1- الأستاذ الجيلالي بن محمد الأصنامي الأدب في نظر أدعيائه جريدة البصائر عدد108 (15 أفريل 1938)

2- نفس المصدر .

3- نفس المصدر .

4- نفس المصدر .

وتوقظ المشاعر، وتلهب العواطف :فأين كان أولئك الشعراء؟وما بالهم خرست ألسنتهم فلم تـــــرفع عقائرهم ؟.[1] وما دمنا نتحدث عن ترقية آداب اللغة العربية عند النهضويين الجزائريين لا يمكننا أن نمر من دون إشارة إلى ذلك الركن القار في جريدة البصائر والذي حمل عنوان " في ظلال النقد " حيث كان يمثل هامشا هاما للأدباء و الشعراء والنقاد لكي يدلوا بدلوهم في تقييم الأعمال الأدبية بكل حرية .لا فرق في ذلك بين كاتب كبيروأديب ناشئ .وقد ساهم ذلك كثيرا في ترقية الأدب العربي الحديث بالجزائر ،على الرغم من خروج البعض عن قواعد النقد وعدم تقبل النقد من الآخرين أحيانا[2] .

_ كما كانت الصحافة والمناسبات الدينية والوطنية والمدرسية نعمة على اللغة العربية وآدابها في الجزائر حيث كانت منبرا للتباري الأدبي ومجالا واسعا لايتاح في غيره لتفجير المواهب وتلقيح الأفكار وإبداء الرأي ونشر الإنتاج الأدبي ،فقد استطاعت الجزائر بأبنائها وإمكانياتها المحدودة أن تعيد اللغة العربية مكانتها الحضارية والتاريخية .فنضجت الكثير من الفنون الأدبية وصارت في مستوى مثيلاتها في ديار العروبة مثل القصة ،المسرح،المقالة ،القصيدة وغيرها [3] .

ويرجع الفضل في هذا الذي تحقق إلى جهود القوميين سواء بالمفهوم الوطني المحلي أو بالمفهوم العربي الإسلامي فالتعليم القومي الذي اعتمد على الجهود الوطنية واستهدف التغريب أساسا له سواء في المدرسة من حيث المواد والمناهج أو سواء في التسيير الإداري لهذه المؤسسات التي أنشأها الشعب بامكاناته الخاصة التي سمحت له بتخطي الحرمان الذي كان يحياه في هذا المجال الأمر الذي أدى إلى قطع التعريب شوطا بعيدا وفرض نفسه على الواقع الوطني واعتمد على الغنسان الجزائري فكرا وتطيقا رغم الحرب الطويلة التي شنها الاستعمار على العربية والمعربين. (4)

بناء على ما تقدم نقول إن سعي المربين الجزائريين الدءوب لترقية ا للغة العربية وآدابها نابع من قناعة راسخة بأن وضع العربية المزري في محيطها الاجتماعي والثقافي يستدعي التجنيد لوقف الإجهاز على ما تبقى فيها من روح تدب وحياة تنبض .ومن ثمة فقد عمدوا من البداية إلى إعادة الاعتبار لها في الأوساط الشعبية وتدبيج المقالات لتمجيدها باعتبارها لغة الدين والعلم والحضارة _ اعتبار اللغة العربية عنوان شخصية الأمة وترجمان ثقافتها وأفكارها._ التصدي لأعداء اللغة العربية والصمود في مواجهة تيار " العامية ". الذي يريد أن يستغل وضع الفصحى المنحط لكي يحل محلها ،وفي هذا ضرب لتراث الأمة الفكري والثقافي الذي أنجزته الأجيال عبر القرون ._ لم يكن مجهود المربيين الجزائريين إبرازا لمكانة العربية العلمية والثقافية فقط بل تعدى ذلك إلى العمل على ترقية علومها وآدابها من خلال الدعوة إلى تخليصها من القوالب الجامدة والأساليب الضعيفة التي كانت تعلم بها وجعلها لغة وظيفية تستجيب لتطورات ومستجدات العصر

1- أنظر مقالة المنشور بجريدة البصائر (2)عدد 85 (4 / 7 /1949)

2- أنظر رد الأديب رضا حوحو على الأستاذ أبوا القاسم سعد الله عندما قدم له ملاحظات علمية على بعض كتاباته الأدبية، جريدة البصائر 2. .

3- حول هذه النقطة راجع كتاب د / مرتاض، فنون النثر الجزائري . 4- عبد الرحمان سلامة، التعريب في الجزائر، ش و ن ت، الجزائر، 1981، ص 28 – 29.

4) في سبيل تعليم أصلي وعصري :

كان إيمان المربين الجزائريين كبيرا بضرورة إرساء دعائم نهضة علمية في البلاد تتكئ على القيم الأصيلة للأمة من جهة وتنفتح على الحداثة الغربية من جهة أخرى .ولذلك نجد جهودهم قد تركزت من البداية على الدعوة إلى تعليم متوازن ومتكامل في أسسه ومحتواه والفلسفة التي تشكل بعده لا يغلب جانب على آخر من منظور كما يقول جورج قرم :

" التفاعل الإيجابي والإثراء المتبادل من جراء التعددو الاختلاف وذلك بالنظر الحيادي العلمي المجرد من العواطف إلى الثقافات الأخرى ... إن تعيد إلى هذه الأمة مناخا فكريا وتقنيا يسمح للمجتمع العربي باستفادة حيوية مستقلة ذاتيا عن المقارنة بالحضارة الأخرى هذا هو في نظري الطريق الوحيد إلى استفاقة حضارية جديدة نتمكن من خلالها من تبديد الضباب الكثيف الذي يحيط بحياتنا الفكرية عندئذ ستظهر.... تدريجيا الوسائل التنمويةالأصيلة لتأمين الازدهار المجتمعي المتوازن والمتماسك ولاستعادة مكانتنا في ركب الحضارة الإنسانية ..." [(1)].

وقد تمحورت خطابات النهضويين في هذه المسألة على إبراز أهميته :

1- دعوة جديدة صحيحة للعلم الذي لأفرق فيه بين العلوم النقلية والعقلية فكلاهما مكمل للآخر والغاية من الاثنين سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة .

2- الحث وبذل قصارى الجهد للحاق بركب الأمم الراقية وذلك بالانتفاع من علوم ومعارف العصر الضرورية لأية أمة تريد أن تحيا عصرها سيدة نفسها ماسكة لزمام أمورها في شتى الميادين من دون تبعية ولا هيمنة عليها .

3- تكوين الإنسان الجزائري العصري في فكره والأصيل في شخصيته ومرجعيته الحضارية .

أ إبراز أهمية التكامل بين العلوم النقلية والعقلية :

أدرك المربون الجزائريون أن بقاء التعليم على ما هو عليه من جمود في محتواه وبرامجه وطرائق إيصاله عقيم وعديم الجدوى ولا يكرس سوى مزيدا من التخلف والانحطاط بالنسبة للأمة ومن ثمة يزيد من تخديرها وغطها في سباتها العميق في الوقت الذي أصبح فيه الغرب مهيمنا بعلمه العصري ومبتكراته المادية والأدبية مسيطرا على دقة كل هذا العالم القديم والجديد ومنه العالم العربي الإسلامي والسؤال الملح الذي يطرح نفسه آنذاك هل من سبيل للحاق بهذا الغرب المتعلم والمصنع .فكان أن ثار المثقفون الجزائريون على غرار كل مثقفي العالم العربـــي الإسلامـــي على هذا الوضع التعليمي المتردي ودعوا إلى إقامة مدرسة

1- جورج قرم نحو استقامة حضارية جديدة مجلة دراسات عربية السنة 16 عدد3 (1980) ص 57 .

جزائرية أصيلة ومتفتحة حتى يكون ثمة ضمان لنتاج هذه المدرسة من حيث الانتماء والعطاء وإقنفاءا لأثر رواد النهضة العربية في القرن 19 م الذين أدركوا أهمية التعليم المدرسي في عملية التحول الاجتماعي وترقية الأمة في مختلف النواحي فقد كان شغف الجزائريين كبيرا بأهمية التعليم الأصلي والعصري الذي لايمكن الهدف المتوخى منه في الترقية المادية فحسب بل وأيضا في تكوين المواطن الصالح الذي له غيرة على وطنه وشخصيته فلا يمكن بالتعليم العصري وحده أن نبني نهضة وطنية لذلك قرنه المصلحون الجزائريون بالتعليم الأصلي للحيلولة دون تسرب الأفكار الإلحادية واللائكة فتهدم كيان الأمة وتقوض أركانه ودعائمه وهذا ما نجده متجليا بكل وضوح في كلمة الشيخ أبن بأديس للطلاب الذين تكونوا في المدارس الفرنسية يحثهم على إسعاد أمتهم وخدمتها وعدم إدارة ظهورهم لقيمها الحضارية فيقول : "...عليكم أن تلتفتوا إلى أمتكم فتنتشلوها مما هي فيه بما عندكم من علم وما كسبتم من خبرة .محافظين لها على مقوماتها سائرين بها في ركب المدنية الحقة بين الأمم وبهذا تخدمون أنفسكم وتخدمون الإنسانية بأنها من أمة عظيمة من أممها ثم لايمنع هذا من أخذ العلم من كل أمة وبأي لسان واقتباس كل ما هو حسن مما عند غيرنا ..." [(1)]

وقد طبق الأستاذ ابن بأديس في منهجه التربوي عملية التكامل والمزاوجة بين العلوم النقلية والعلوم العقلية فقد جاء في قانون جمعية التربية والتعليم التي أسسها بقسنطينة أن مقصودها "هو نشر الأخلاق الفاضلة والمعارف العربية و الفرنسوية والصنائع اليدوية بين أبناء وبنات المسلمين"[(2)] .

أما الأستاذ الشرفاوي [(3)] فقد أحسن بوعيه الثاقب أن المسلمين الجزائريين الذين يحوزون على العلوم النقلية الإسلامية ينقصم العلم العصري الذي لاغني عنه لولوج الحضارة والمدنية ولذلك نبه مع بداية العشرينات إلى ضرورة أخذ من الغرب العلوم التي نحن في حاجة إليها لا أن نأخذ كل شيئ قد لا يتوافق مع قيمنا الحضارية وفي ذلك يقول :"...إننا لا نريد العلوم الدينية لأنها موجودة عندنا ،وإنما نريد العلوم الصناعية التي هجرت في البلاد الإسلامية في هذا الزمن وهي مرقاة في كل عصر كالعلوم الميكانيكية والهندسية والكيميائية والتجارية وسائر الصناعات ،فعلى أعيان الأمة وأغنيائها ومصلحيها أن يجتهدوا في إيجاد الطرق لتوصيل العلوم العصرية ،لينتشلوا أمتهم من الهاوية ويحفظوا لها كيانها ويعيدوا لها مجدها [(4)]

1- د / عبد القادر فوضيل محمد الصالح رمضان إمام الجزائر عبد الحميد بن باد يس .
دار الأمة الجزائر ط (1) 1998 ص 169 .
2- أنظر المجلة الشهاب ج 2 م 7 ص .115
3- عالم جزائري ولد بمنطقة القبائل سنة 1880 تعلم بمسقط رأسه ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف وفي سنة 1933 عاد إلى أرض الوطن حتث إنصب للتدريس بزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي له أفكار إصلاحية كان ينشرها على مجدها شكل مقالات في جريدة البصائر ،كما يلقيها على شكل دروس توفي سنة 1945، انظر الثقافة عدد 22 (1974) ص 12 وما بعدها.
4- الشيخ الرزقي الشرفاوي أسباب الرقي جريدة الصديق عدد 39 (1921) .

وفي خطوة جريئة تنم عن إدراك كبير لأهمية إدخال العلوم الحديثة في المناهج الدراسية أقدم الشيخ أبوا ليقظان الذي سبق له وأن عايش عن قرب ما كان يروج في تونس من أفكار إصلاحية وأشرف على أول بعثة طلابية جزائرية إلى تونس سنة 1914 م على تأسيس أول مدرسة نظامية بالقرارة سنة 1919 م وجلب لها الكتب المدرسية الحديثة .ووضع لتلامذتها برنامجا دراسيا متطورا اشتمل على كثير من المواد التي كانت تعد في تلك الفترة غريبة أو مستهجنة لعدم إدراك الناس لأهميتها وقيمتها كالرياضيات والجغرافيا وغيروهما [1] .

وعلى هذا النحو كذلك أبدى الشيخ إبراهيم أطفيش رغبة جامحة نابعة من قناعة راسخة بأن العلم الصحيح والدين الصحيح لا يتنافران بل كلاهما ضروري للآخر لسعادة الإنسان ."...لا يعقل أن يبقى هذا الدين العظيم الذي أسعد البشر بكمالاته صورة في نفوس أهله أو يزعم بعض من ينتمي إليه أن العلم الحيوي يخالفه فيقضي به الأمر إلى الاختلاف والاعتراض بالسوء والطعن على كل ما يبد ومن العلوم النافعة وأن الإسلام لا يؤيد بالسيئات وإنما بالحسنات ومحاسن الأعمال "...ولا إلتفات إلى أقوال الذين أفناهم الجمود ولم يرق لهم أن ينهض المسلمون إلى إثارة الأذهان واستعمال المذاهب العقلية واستعمال العلوم حتى يكون ديننا في عز ومنعة بقوة أهله ..." [2]. إلا أن الذي تميز به المصلحون الجزائريون عن إخوانهم في العالم العربي الإسلامي وإن كانوا متحدين معهم في الغايات والأهداف المستوحاة من الإصلاح والتجديد هو اختلافهم معهم في المنهج ،ففي حين نلاحظ أن رفاعة رافع الطهطاوي ومحمد عبده وأحمد خان وخير الدين التونسي وعلي مبارك قد ركزوا عملهم الإصلاحي بدعوة المسلمين إلى اقتباس العلوم العصرية من الغرب والاستفادة في تطبيقاتها نرى المصلحين الجزائريين قد ركزوا عملهم الإصلاحي مع إيمانهم بهذه الأفكار على إعطاء الأولوية لنشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية والدفاع عن الشخصية الوطنية الجزائرية العربية الإسلامية المهددة بالمسخ والذوبان .

ولا غرابة في هذا مادامت الجزائر على خلاف إخوانها في العالم الإسلامي بما في ذلك تونس والمغرب كانت عرضة للإدماج زيادة على حرمان شبابها من تعلم لغتهم العربية وتعاليمه الإسلامية في المدارس الحكومية بدعوى أن الجزائر أصبحت جزء لايتجزء من فرنسا . [3]

وفي هذا المعنى يقول الشيخ البشير الإبراهيمي "...غاية التعليم هي تفقيه النشء الجديد في دينه ولغته وتعريفه بنفسه بمعرفة تاريخه ، تلك الأصول التي جهلها آباؤه فشقوا بجهلها وأصبحوا غرباء في العالم ، مقطوعين منه لم يعرفوا أنفسهم فلم يعرفهم أحد . " ففي تحقيق هذه الغاية السلمية تجتهد ونكـــدح

1- د / محمد ناصر أبو اليقظان وجهاد الكلمة .....ص 47 .

2- د / محمد ناصر الشيخ أطفيش ....ص 91 .

3- الساحلي قضية التربية والتعليم ....ص 137 138

وللوصول إليها ، وفي العمل لها نلقى الآذى ، وفي الأذى فيها نلقى راحة الضمير واطمئنان النفس وببلوغها - إن شاء الله - نكون قد أدينا الأمانة وقضينا المناسك وكفرنا عن جريمة التقصير وفزنا بالعاقبة فحمدنا السري " [1] . أما أبو اليقظان فيرى في التعليم السبيل للخروج من الإنحطاط فيقول "يها المسلمون أيحلو لكم الأكل و الشراب و حالتكم هذه كما ترى، فالتعليم من بينكم مفقود، و ظل سحاب الجهل على ذنوبكم ممدود، أترضون بحياة الذل و المهانة، و لم تنهضوا من رقدتكم ؟؟" [2]

وتأسيسا على ما تقدم يظهر لنا جليا بعد النظر في الخطاب التربوي الجزائري الحديث حيث كانا خطابا واعيا من حيث انسجامه مع السياق التاريخي فهو يتعامل بعقلانية مع مظاهر الانحطاط التربوي بالتصدي لمعالجتها وتصويبها بما يتفق وروح العصر لا بالقفز عليها والبحث علي بدائل أخرى للحاق بالغرب وتجنب الوقوع في أخطاء رواد النهضة الذين تبنوا مسايرة التيار الغازي والانخراط فيه ولم يردوا الانغلاق على النفس وإعادة التقويم والتفسير فكان أن ارتكزت النهضة العربية الحديثة على الحاضر والمستقبل ولا تستلزم حركة ضمن الماضي وإعادة تفسير التاريخ وقراءته على ضوء الإشكاليات المستجدة [2] .

وهكذا نجد أنه في الوقت الذي عملت فيه جمعية العلماء المسلمين على توحيد لغة التعليم والمناهج ورفض الازدواجية التي تفضي لا محالة إلى تشكيل نخبتين متصارعتين في المجتمع بنظريتين مختلفتين في توجهاتهما الحضارية . وأن الاستعمار قد أوجد النقيض بتركه نخبة متغربة لاترى الماضي والحاضر والمستقبل إلا بعين الغرب . [3] نجد تجربة محمد باشا المبكرة والمنطلقة تقريبا إن لم نقل قبل النهضة اليابنية تتعثر في الأخير لأنها حملت بذور فشلها في أحشائها .

فإذا كانت المقدمات خاطئة فبا لضرورة النتائج تكون خاطئة .

فاليابان التي آمنت بقيمها الحضارية وحدت تعليمها في اللغة والمحتوى .

اختار محمد علي أن يترك القديم على قدمه وأن يعتني بالتعليم الحديث ،وهناك بذرت بذور التعددية في التعليم العربي الحديث "...وبدأت أقطار الوطن العربي تأخذ عن مصر هذا النوع من التعليم كما هو تقريبا ، تعليم ثنائي غير ممتزج ،وتعليم مفرغ من محتواه ،وتعليم يرتبط في توجهاته وبنيته بالواقع الذي نشأ فيه وأقام أصلا لخدمته .[4] .

1- نفس المرجع ص 139 2- دون إمضاء الوطنية الحقة، جريدة واد ميزاب، عدد (1927.10.05)

3- أنظر حول هذه النقطة . د / محمد وقيدي و د / احميدة النيفر . لماذا أخفقت النهضة العربية ؟

دار الفكر معاصر دمشق بيروت ط (1) 1422 ه 2002 م ص 32 .

4- هذه النخبة المفرنسة كان من المفروض توضف قدراتها اللغوية على إثراء التجربة الوطنية في التربية والتعليم بنفائس الكتب المترجمة للعربية .وبآراتها الصائبة ولكن للأسف ما من يوم إلا وهذه تزداد بعدا من مقومات شعبها أكثر من أي وقت خاصة ونحن نعيش في زمن العولمة .

5- د / الخميسى .التربية وتحديث الإنسان العربي ...ص 103.

_كما أن توحيد لغة التعليم في كل المواد بالنسبة لجمعية العلماء في مدارسها الحرة تعكس النظرة الثاقبة لمسائل التربية والتعليم التي كلها كانت قائمة على وحدة اللغة ووحدة البرامج ووحدة الهدف الأمر الذي يفضي إلى وحدة الشعور والتوجه وهذا بالضبط الذي تنشده المدرسة الحديثة في كياناتها القومية الوطنية ،وينسجم طرح جمعية العلماء وتوجهها التربوي العلمي مع هذا المبدأ الذي يبدو أن غالبية البلدان العربية اليوم لم تأخذ به فراحت باسم الحداثة وعصرنة المناهج تعمل بمبدأ الازدواجية في تعليمها ،الأمر الذي أفضى إلى الفشل الذريع ، وجعل المختصين ينبهون إلى ضرورة تصحيح هذا الخطأ. خطأ الازدواجية والعودة إلى اللغة العربية قي إعطاء الدروس والمعارف في كل الأطوار التعليمية يقول الأستاذ الدكتور عصام نور الدين بنوع من الحسرة والمرارة "...إني أرى أننا نسير نحو الهاوية إذا لم نرسم سياسة تعليمية واضحة لا لبس فيها ولا غموض .تنص على تعليم العلوم كلها باللغة العربية دون سواها وفي كل المراحل ...وفي كل التخصصات ..." [1] .

ب) الدعوة إلى تعلم العلوم العصرية :

عرفت الجزائر عبر تاريخها الطويل عناية فائقة بالعلوم والمعارف التي تسهم في رقي المجتمع وتطوره ولم يكن ساعتها ثمة فرق بين علوم توصل إلى سعادة الإنسان في دنياه وأخره وعلوم تحقق سعادته في الحياة الدنيا فقد عرفت الجزائر نبوغ عدد كبير من العلماء كان لإسهاماتهم أكبر الأثر في الحضارة العربية الاسلامية و الانسانية فذكر منهم في العلوم الدينية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني، وأبو الحسن التبسي ،والعلامة ابن مرزوق الخطيب ، وابن مرزوق الحفيد ، وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام ، قاسم بن سعد العقباني ، والإمام محمد بن يوسف السنوسي ، وفي العلوم اللسانية والاجتماعية نذكر أبوعبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمسابي ، وأبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن علي نفح التلالسي ، وأبو زكريا يحي بن خلدون أخ العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، وأبو العباس أحمد المقري صاحب نقع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وصاحب العمدة بن رشيق القيرواني .[2] . الذي أتم تعليمه العالي بالقيروان وكان قد أخذ تعليمه الإبتدائي والثانوي بمدينة المسيلة مسقط رأسه . أما في العلوم الطبيعية والرياضية والطبية والفلكية فنذكر منهم أبو عند الله محمد بن علي بن النجارالتلمساني ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني ، أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بإبن الفحام ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الحباك ، إبن مرزوق الحفيد الإمام السنوسي ، أبو الحسن علي بن محمد القرشي البسيطي القلعادي أبي عبد الله الشريف[3].

1- د / عصام نور الدين ،همومنا اللغوية مجلة دراسات عربية عدد 2 السنة 27 كانون الأول ديسمبر 1990 ص 102 .

2- أخذ تعليمه الثانوي بمسقط رأسه المسيلة ولما بلغ العشرين من عمره واصل تعليمه العالي بالقيروان التي إستقر بها حتى صار من يعرف بها أنظر الأستاذ إبراهيم الطوزري مراكز الثقافة بإفريقيا خلال القرون الخمسة الأولى . مجلة مرآة الساحل عدد 5 (أفريل 1967) ص 27 .

3- د / عبد الحميد حاجيات الحياة الفكرية بتلمسان عهد ابن الزيان مجلة الأصالة عدد 26 (1975) ص 139 وما بعدها .

إذا عرفنا هذا النبوغ الجزائري في العلوم النقلية والعقلية إبان العصور السالفة .ندرك مغزى دعوة المثقفين الجزائريين بضرورة الاعتراف من ينبوع الحضارة الأوروبية والاهتمام بالعلوم العقلية الحديثة باعتبارها دعامة النهضة الأوروبية من منطلق الأخذ بزمام المبادرة من جديد بعد طول انقطاع ناتج عن قلة العناية بها في العهد العثماني ، ومحاربة لها إبان الوجود الاستعماري وقد نلمس هذا الحس العلمي عند الجزائريين من خلال بعض كتاباتهم المؤلفة (1) أو المترجمة حيث ثمة شعور بالحاجة إلى العلوم العصرية ناتج عن إطلاع من التراث العلمي العربي الإسلامي وما هو موجود عند الأوروبيين بشكل بائن للعيان فمقالات الشيخ الحفناوي المترجمة للعربية في جريدة المبشر والتي تناولت مواضيع طبية وطبيعية واقتصادية وتجارية غاية في الأهمية ، هي دعوة في الواقع للعلم والمعرفة حتى وإن كانت عبارة عن تلخيص وصياغة بالعربية فقط .[2]. كما نلحظ في ما كتبه ابن الخوجة في المبشر من مقالات لها مسحة علمية تتعلق بالفلاحة وكيفية غرس النباتات وإحياء الأراضي بالأشجار [3] .لتجنب ظاهرة التصحر كلها تذكي روح البحث العلمي في نفوس القراء ، وترغبهم في مزايا العلوم العقلية والطبيعية الحديثة .

وقد تجذرت هذه الدعوة عقب الحرب العالمية الأولى حيث أصبحت دعوة ليس فقط المثقفين والمربيين والشعراء بل أيضا دعوة السياسيين وكل الوطنيين الذين رأوا في العلم العصري أداة لتجاوز حالة التخلف والانحطاط التي هي عليها أمتهم وفي هذا الإطار نجد مقال الأمير خالد في إقدامه حيث دعا صراحة المسلمين لنفض الغبار عن أنفسهم والإسراع للإكتراع من العلوم العصرية فيقول "...هذا عصر السباق في بحار العلوم والصناعات والاقتصاد فلا أمل بلا علم ولأعلم بلا معارف ولاكتساب بلا كد وجد واعلموا أن حياة الأمة بحياة لغتها . فلنتعلم اللغتين الفرنساوية والعربية والكتابة فهي لغة آبائنا وديننا الحنيف ولنا أن نقتدي بجارتنا تونس ونؤسس مدارس ابتدائية فرنساوية وعربية حرة على النمط الجديد من تبرعات الأهالي[4].

أما من الشعراء فنجد اللقاني بن السائح هو الآخر قد استنهض قومه لكي يسارعوا إلى تعلم العلوم العصرية ناعيا عليهم وضعهم المزري الذي لا يحسدون عليه مذكرا إياهم بما كان عليه أجدادهم من عز وسؤدد وما بلغوه من رقي وازدهار عله بذلك يكون دافعا لهم لسلوك مسلكهم في هذا المجال

1- ذكر ابن صيام في رحلته إلى فرنسا في منتصف القرن 19 كثيرا من التفاصيل ومحاولته شرح ما يراه لقرائه خصوصا ما تعلق منها بالمكتشفات العلمية الحديثة وقد راى الكثير منها وكذا الاعتناء بالمكتبات والحرص على جمع كل أنواع الكتب فيها بما فيها كتب المسلمين المعتبرة التي قل نظيرها في بلاد المسلمين. أنظر خالد زيادة، ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979، ص 10 وما بعدها.

2- الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، جزء 5 ص 157 .

3- المرجع السابق جزء 5 ص 167 – 168 .

4- الأمير خالد (خادم القوم) العلم والتعلم جريدة الأقدام عدد 12 (30 / 12 / 1920) .

هـيا نـؤم زلال العـــلـم نشربـــــــه * فالـجهل يقتلنا والعلـم يحـيينـا
فالناس بالعلم شقوا الأرض وافترقـوا * وشيـدوا وبنوا عـزا وتمـكينـا
الـنــاس فـي الجو طاروا وعـــــلوا * ونحن نحسبهم جهلا شياطين
ألم نكن أمة أعلى الـورى حسبـــان * ألم نكن أمة أزكى الورى دينا
ألسنا من معشر دان الزمان لهم نود طوا الأرض تنظيما وتمكينا . [1] .ش

ونرى لكي نكمل معرفتنا عن أولئك الذين دعوا اعملوا من أجل التمكين للعلوم العصرية في المدارس والمعاهد العلمية أن نعرض لتلك الجهود الميدانية في ظل ظروف صعبة ومليئة بالعراقيل والعقبات الكأداء .

فقد عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على إدخال المواد العلمية في برامجها التربوية لتسليح الناشئة بالآداب التي تمكنهم من خدمة وطنهم وتحقيق أهدافهم في الحياة حيث أدخلت مادتي التاريخ والجغرافية والعلوم والرياضيات . واستبدلت الكتب المدرسية القديمة بالكتب المدرسية الحديثة [2]. وهذا الذي نجده ملحوظا في الخطاب التربوي عند الشيخ ابن بأديس يؤكد على تطابق العمل التطبيقي بالخطاب النظري في خطة المشروع التربوي عند المصلحين الجزائريين .

فقد نظر الشيخ ابن بأديس إلى العلم الحديث على أنه السبيل إلى رقي المسلمين الجزائريين وتقدمهم ولذلك دعا الشباب الجزائري إلى توظيف العلم الغربي في الجزائر بما يتلاءم مع قيمها ويعمل على رقيها "...فأرجوكم أيها الشباب الحازمون أن تأخذوا العلم بأي لسان كان وعن أي شخص وجدتموه وأن تطبعوه بطابعنا لننتفع به الانتفاع المطلوب كما أخذه الأوروبيون عن أجدادنا وطبعوه بطابعهم النصراني وانتفعوا به ..." [3] .

والأكثر من هذا نجد الشيخ ابن بأديسويدعو إخوانه الجزائريين إلى مسايرة عصرهم بما يتوافق مع قيمهم الحضارية ويحقق سعادتهم في كل ميادين الحياة المادية و الأدبية والمدنية " ...حافظ على حياتك ولا حياة لك إلا بحياة قومك ووطنك ودينك ولغتك وجميل عاداتك وإذا أردت الحياة لهذا كله فكن تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق المعاشرة والتعامل،كن عصريا في فكرك وعملك وفي تجارتك وصناعتك ، وفي فلاحتك وفي تمدنك ورقيك ... " [4].

1- اللقاني بن السايح بني الجزائر جريدة الأقدام عدد 116 (2 / 2 / 1923) .

2-beljuedj « ben badis et le muta lisame revue de l'occident musulman et de la méditerranée n 1 (1973) p76

3- د / طالبي أثار ابن بأديس . جزء 4 ص 340 .

4- الأستاذ محمد الميلى ابن بأديس وعروبة الجزائر ...ص 165 – 166 وآثاره جزء 3 ص 178 0.

وهذه الدعوة إلى العلم عند الشيخ ابن بأديس هي نفسها تقريبا دعوة ابن رشد الذي حث على البحث عن المعرفة الفلسفية أينما كانت ومن أي ملة جاءت .وما ينطبق على المنطق والفلسفة ينطبق بالقطع في مجال العلوم كلها بصرف النظر عن كونها إسلامية أو غير إسلامية ، وهذا ما يعنيه ابن بأديس من حيث أن العلوم والآداب والفنون تراث الإنسانية كلها [1] . كما تتطابق نظرة ابن بأديس من هذه الوجهة مع ما دعا إليه الشيخ محمد عبده الذي اعتبر إصلاح التعليم هو الذي يرمي إلى اقتباس ما يفيد الأمة الإسلامية من المدنية الحديثة لأن المسلمين لا يستطيعون أن يعيشوا في عزلة . ولابد أن يتسلحوا بما تسلح به غيرهم مصدقا للآية الكريمة " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " وأكبر سلاح في الدنيا هو العلم ومن حسن حظ المسلمين حسب رأيه " أن دينهم يشرح صدره للعلم ويحض عليه ، وللعقل ويدعو إليه وللأخلاق الفاضلة التي تدعوا إليها المدنية الحاضرة " [2] .

كما نجد صدى هذا التوجه في كتابات الشيخ إبراهيم أطفيش الدي عبر عن سخطه من تعطل سير قطار نهظة المسلمين عندما ركنوا إلى الدعة والكسل وعزوفهم عن العلم والعمل " هلكت الأمة الإسلامية بترك سنة الله في الكون وإهمال البحث عن واجب الحياة وموجب الفلاح ،وظن كثير ممن يعدون أنفسهم في زمرة العلماء ، الجمود والخمول والاستسلام أمام العالم هو الحق فهلكوا وأهلكوا ..." [3] .

فصحيح عنده أن لا نكران لفضل الفقه فإنه علم العبادات ومعرفة الحلال والحرام وهو من العلوم المقصودة بالذات لكن لا يعقل أن تنشغل الأمة بالفقه وتعرض عما سواه بل الواجب أن يكون ما يخص الهيئة الإسلامية كالموازين والأنكحة والوصايا والأحكام وأمثالها موزعا بين أفراد مع مشاركتهم في غيرها من العلوم ،كما يجب أن يتخصص أفراد لعلوم الحياة مع مشاركتهم في العلوم الشرعية حتى تنهض الأمة كلها بما يكفل لها السعادة من العلوم في الدين والدنيا [4] .

ولذلك نجد الشيخ أطفيش يفيض في التعريف وإبراز أهمية العلوم العقلية في ترقية المسلمين الذين أصبح أغلبهم في زمانه لا يعرفون حتى أسمائها مثل الكيمياء ، والطبيعة ، والهندسة والرياضيات ، لعله بذلك يحفز أبناء المسلمين على دراستها والانتفاع بها ويخرس أصوات الجامدين الذين ضاق بهم هو وغيره من المجددين في الجزائر ذرعا .

فقد اعتبر **علم الجغرافية** الذي حسبه يمكن من معرفة بقاع الأرض وجهاتها والأوقات وأقسام الإسلام من غيرها كما تعرف بما احتوت عليه الأرض من الأمم والأجيال والمدن والجبال والبحار والنباتات والبراكين و أنواع الحيوانات التي سخرها الله للإنسان زينة ونعمة دفأ [5] ناعيا على المسلمين

1- الجزار الإمام المجدد ابن بأديس ص 71 .

2- الساحلي قضية التربية والتعليم ص 46 .

3- الدكتور محمد ناصر الشيخ إبراهيم أطفيش ص 89 .

4- الشيخ إبراهيم أطفيش الدعاية في سبيل المؤمنين ص 37 .

5- أنظر الشيخ أطفيش ....ص 90 .

إهماله وتركه في الوقت الذي انشغل به الأوربيون وعرفوا من خلاله ما عند المسلمين من ثروات كثيرة نبغ في الأوروبيين من لا يحصون في اكتشاف أحوال القارات والأمم وينابيع الثروة في الأرجاء وأطلعوا على خفايا البلاد الإسلامية وما تكنه من الكنوز ...كل ذلك بهذا الفن الذي طالما هزأ به الجامدون . [1] .

علم الهندسة : وقد عرفه بأنه علم به تعرف المقادير والأبعاد والأنواع وخواصها وهو من العلوم الضرورية كل ما شهدت به فهو حق عند الله تعالى واعلم أن العدد تكييف الأزمنة والهندسة تكييف الأمكنة والدنيا والآخرة هما الأزمنة والهندسة هي معرفة المقادير والأبعاد والأنواع وخواص تلك الأنواع ومبدأ هذا العلم من النقطة التي هي رأس الخط والمقادير ثلاثة أنواع : الخطوط والسطوح والأجسام وهي الهندسة وتقدير كل صانع في أول ابتدائه في صناعته هو الهندسة . [2]

علم الطبيعة : علم يبحث فيه عن معرفة الظواهر الطبيعية للأجسام باعتبار كونها كتلا أي بدون أن يحصل تغيير في تركيبها وبه تتعين النواميس التي بواسطتها تتفاعل الأجسام .

وفائدة هذا العلم هو تكميل القوة النظرية بالوقوف على بعض ما أودع الله في هذا العالم البديع من الأسرار فيزداد معرفة بحكمة العليم الحكيم المريد القادر الذي لا تحيط به الأفكار [3] فيقبل عليه بكليته قائلا

" ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار "

وقد استنكر الشيخ أطفيش أولئك الجامدين الجهال عندما نظروا إلى هذا ا العلم على أنه يقود إلى الكفر لا إلى استكشاف آيات الله في الكون وتسخير منافعها وقد أخبر الله تعالى على سبيل الامتنان والتذكير بنعمه [4] بقوله " خلق لكم ما في الأرض جميعا " وقوله تعالى " وسخر لكم ما في الأرض جميعا منه أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " .

علم الكيمياء : عام يبحث في تحليل الأجسام وتراكيبها سواء كانت تلك الأجسام بسيطة أو مركبة ، فيكون هذا العلم باحثا عن كيفية تفاعل الأجزاء الدقيقة المركب منها الجسم في بعضها وعن طبيعة تلك الأجزاء وعن طريق كيفية تحليل الأجسام ثم تراكيبها [5] . وهذا العلم في نظر الشيخ أطفيش ضروري بالنسبة للكثير من العلوم والاختصاصات وعلى ذلك يتوقف عمل الفقيه فقد أشترط في صحة فتواه وفي ذلك يقول " إذا نظرنا إلى إلى هذا العلم نظرة عامة نجده يحتاج إليه في كثير من الفنون وحتى الفقيه فـي فتاويــه

1- نفس المصدر ص 46 .

2- نفس المصدر ص 50 .

3- نفس المصدر ص 53

4- نفس المصدر ص 54

5- نفس المصدر ص 58 .

فكثير منها لا تصح إلا إذا كان عارفا بهذا الفن ولا غرابة إذا سئل المفتي عن مادة طبية أو ذهنية أو عطرية مثلا وردت من أوربا وهي مصدر الكل بلا نزاع لاتصح فتواه إلا على طريق اكتشاف مركبتها لما في كثير من مواد أوربا من الكحول والمواد الشحمية وللنجاة من حرج المحرمات والإنتفاع بالنافع لقاعدة (جلب المصالح ودرء المفاسد) يكون عارفا بهذا الفن حتى إذا سئل عن سيئ منها صح له الإفتاء عن بصيرة وألا كانت عن حدس فيعظم خطأه " .[1] .

علم النبات : وهو علم يبحث فيه عن الأوصاف العامة لجميع النباتات والخاصة بكل نوع لتميزه عما سواه وعن وظائف أعضائه وترتيب أنواعه ترتيبا قانونيا به تتيسر دراسته .

وهذا العلم يساعد دراسة ملكة تربية النبات كل في فصله وتربته وما يليق به من من ماء وهواء ومياه [2] وهو بذلك لاشك تتوقف عليه كل الأنشطة الزراعية والرعوية وفي ذلك دعوة للنهوض بعلم الفلاحة .

العلوم الرياضية : وقد أعتبره الشيخ أطفيش ضروري لايمكن أن يستغني عنه الناس وهو من العلوم التي ينبغي أن يتلقاها المرء منذ صباه لأنه يقوي العقل ويورث النظر الصحيح وسرعة الإدراك وملكة الفهم. [3] . وهو يرى ضرورته بالنسبة للأمة الإسلامية أوكد بحكم ظروفها الاقتصادية المتواضعة التي استوجبت أن يكون أغلب أبنائها مهاجرين يكسبون قوتهم عن طريق التجارة [4] .

وينعي الشيخ أطفيش على المسلمين تفريطهم في هذا العلم بجهلهم بقيمته رغم أن قطاع التجارة الذي يعد من ميدان لكسب معاشهم يعتمد أساسا على علم الحساب ، الأمر الذي جعل قطاع التجارة بيد الأجانب [5] . ويستبد بالشيخ أطفيش الغضب من أولئك الجامدين الذين يزهدون الناس في هذا العلم في الوقت الذي صار فيه التجار المسلمون في تبعية لغيرهم في هذا المجال . موهمين الناس أن هذه العلوم لنيل متاع الدنيا وهي مخالفة لتعاليم الدين . "...أليس من الخزي أن يكون الأجانب على جانب عظيم من النظام في أعمالهم وحياتهم ومعاملاتهم وجامعين لكل ما يعود من الفنون عليهم بالقوة والسلطان ونحن نعلل أنفسنا بأن هذه الفنون للحياة الدنيا وهي متاع قليل وتضر بالدين إلى أمثال هذه الترهات التي لو لم تكن موجودة لبذل الأجنبي في سبيل إيجادها ونشرها بيننا ملايين من الأموال وأنفق في ذلك أعظم مجهودا حتى لا يستقيم لنا من أمر ..." [6] .

1- نفس المصدر ص 60 .
2- نفس المصدر ص 62
3- نفس المصدر ص 63
4- د / ناصر الشيخ أفطيش ص 92
5- أنظر الدعاية ص 64
6- الدعاية ص 64

علم تهذيب النفس : وهو علم يبحث فيه عن أحوال النفس وطرق إصلاحها وتطهيرها من الأخلاق السيئة وهو حسب الشيخ أطفيش ضروري للحياة الفردية والاجتماعية والعائلية حيث حفظ الفطرة في النفوس حتى لا تتطبع بالخبائث والرذائل فتصبح من المفسدين . [1] .

ويرى بأن الجامدين قد زهدوا في هذا العلم وابتعدوا عنه فصارت نفوسهم مظلمة وعقولهم غير صقيلة فضاعت منهم الفطرة السليمة داعيا المسلمين إلى العناية بدراسة علم النفس والوقوف على أسرار الإسلام حتى يعلموا سر وجودهم ومعنى إنسانيتهم [2] .

يصدر الشيخ أطفيش في نظرته إلى العلوم العصرية عن رؤية ثاقبة للدين الإسلامي الذي يحث على أخذ ما يفيد المسلم من علوم ومعارف من أي كان كما جاء في الحديث النبوي الشريف :

" الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهم أحقوا بها " [3] كما تعكس معرفته الكبيرة بمظاهر الانحطاط عند المسلمين فكان أن دفعته حميته الإسلامية لاقتراح حلول ناجعة وعقلانية لتجاوز حالة التخلف والركود في الجزائر وكل البلدان الإسلامية وقد دعا الشيخ الزريبي قبله كذلك ، إلى العناية بعلم النفس .

وهذا الخطاب النهضوي الذي دعا إليه الشيخ أطفيش في وسط أجواء غلب عليها نفور النفوس الجامدة ومحاولتها التصدي له والتشكيك فيه .قد التقى مع جهود غيره من المصلحين الذين تجاوبوا مع دعوته فراحوا يجسدون تلك الأفكار المجددة المتنورة في الميدان العلمي حيث نهض الشيخ ببيوض بالمشروع التربوي والنهضوي في الجنوب الجزائري .

_ كما نهض الشيخ ابن بأديس مع أصحابه وأتباعه في الشمال وكل الجزائر وبدا في عيون الناس وكأنه بمثابة قطب ثاني لوادي ميزاب بعد انتقال قطب الأئمة الشيخ أمحمد أطفيش إلى جوار ربه سنة 1914 م . فقد شجع الشيخ بيوض تلاميذه ببني ميزاب إلى دخول المدارس الفرنسية لتحصيل العلوم العصرية كالتجارة التي هي حرفة الميزابيين ، واللغة الفرنسية التي هي لغة الإدارات في الجزائر كلها منذ أن صار زعيما للحركة الإصلاحية في وادي ميزاب منذ منتصف العشرينات [4] .

وكانت المدارس العربية الحرة في ميزاب تعلم الفقه الإسلامي والعقيدة وفقه العبادات وتاريخ الرسول (ص) والخلفاء الراشدين وتاريخ الجزائر والمغرب وجغرافيتهما وجغرافية البلدان الإسلامية الأخرى واللغة العربية والمحفوظات من الأدب العربي وتعتني بأخلاق تمزجها بكل الدروس وتخصه بدرس خاص في يوم من الأسبوع وغير هذا مما تستلزم ه الثقافة الإسلامية العربية التامة .[5] ولم يهضم

1- الدعاية ..... ص 76 .

2- الدعاية ص 76 .

3- حديث نبوي شريف .

4- محمد علي ديوز با علام الإصلاح في الجزائر جزء 5 ص 39 .

5- نفس المصدر ص 39 .

الجامدون هذا التوجه النهضوي الجديد الذي راح يشق طريقه إلى الأمام في ميزاب كما في سائر كل جهات الجزائر فثارت ثائرتهم وراحوا يعارضون نهجه هذا وكل من سار فيه من دعاة الإصلاح الذين دعوا إلى التعليم العصري ، حيث سلقوا التعليم وحزب الإصلاح من على منابر مساجدهم وفي مجالسهم ومحافلهم بالسنة حداد وقالوا أن هذا التعليم في المدارس الفرنسية كفر وأنه لا يجوز في الدين وأن الداعين إليه إرضاء الذين يدفعون الأمة إلى هلاكها وغير هذا مما كانوا يهولون به على العامة . [1]

لم يستسلم الشيخ بيوض وحزبه الإصلاحي لهذه الأراجيف التي كانت تستهدف وأد فكرة الإصلاح في المنطقة وإجتثاثها من أصلها واستمر في جهاده . فقد واصل الشيخ بيوض وحزب الإصلاح الدعوة إلى التعلم العصري العربي الإسلامي في مدارسهم الحرة والتعلم في المدارس الفرنسية في كلا التعليميين سيما في التعليم الفرنسي ، وأزالوا مخاوف الأمة منه ، ورأي المزابيون الأفواج الأولى من خريجي المدارس العربية الحرة الذين أتموا تعليمهم في المدارس الحكومية الفرنسية أيضا ورأوا صحة عقيدتهم في الدين وامتلائهم بالخلق الإسلامي العظيم وثقافة عقولهم القوية بمعرفتهم للغة العربية الفرنسية واقتدارهم وجدواهم ونجاحهم في مجال الحياة العملية سيما في ميدان التجارة التي هي حرفة جمهور المزابيين ، فزالت مخاوفهم من المدارس الفرنسية فأقبلوا عليها ، وفي أوساط الأربعينيات من القرن العشرين كان الإقبال عليها كبيرا.[2]

وفي سبيل تنمية الوطن وازدهاره نلفي مقالا قيما لصاحبه عمر بوناب ذهب فيه بعيدا في التأكيد على قيمة العلم العصري في بناء صرح النهضة الاجتماعية باعتباره أداة للوصول إلى تحقيق الرفاه الصناعي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي ، والخروج من التبعية بكل صورها وأشكالها وبنظرة إستشراقية لمستقبل البلاد . يرى بأن السير نحو تحقيق استقلال سياسي غير مقرون باستقلال ثقافي وعلمي يبقى ناقصا فعنده أن " العلم هو الوسيلة الأولى من وسائل الاستقلال ولايمكن الوصول إلى الغاية إلا بعد الحصول على وسائلها ، لأن الاستقلال معناه إنفراد الأمة بحكم نفسها وإدارة شؤونها وتصريف تجارتها توريد وتصدير أو الموازنة بين الاثنين قلة وكثرة والاعتماد على محصلات بلادها ونقلها من باب الفلاحة إلى باب الصناعة والقيام بهذه الأمور يستدعي علما اختياريا وفنا تجريبيا تقوم عليهما دعائم الاستقلال ..." [3] ثم يستطرد مبينا خطوات العمل الوطني في حقل التربية والتعليم التي ينبغي أن يعتمد على سياسة المراحل وضرورة تكاثف جهود الجميع للنهوض به مادامت العملية تصب في خدمة المصلحة الوطنية فيقول : " إن التعليم الذي نعنيه

1- نفس المصدر جزء 5 ص 43 .

2- نفس المصدر جزء 5 ص 43 .

3- عمر يوناب . العلم وسيلة الاستقلال جريدة البصائر، عدد 5، (1947/9/5) .

ونعده وسيلة وهو ما يحصل من الثانوي والعالي ، أما التعليم الابتدائي فهو مفتاح لهما فقط ولا يفيد شيئا فيما نقصده وأن أمتنا لم يعمر فيها التعليم الابتدائي فضلا عن غيره ....فعلينا إن أردنا أن نعده للاستقلال أن نعلمه بادئين بالمرحلة الأولى مستعدين للثانية والثالثة ولا يتم ذلك إلا بتعاون الآباء والأمهات والأفراد والهيئات ورؤساء الحركات فكلهم مسئولون عن تعلم الشعب ولكن مسؤولية الرؤساء ذي الأتباع أعظم وأكبر ..." [1]

وينحني باللائمة على ألئك الذين لا يرون في الاهتمام بالعلم وسيلة لتحقيق الاستقلال على الأقل كأولوية عندهم وينظرون إلى ذلك على أنه يشكل بثا للروح الانهزامية في الأمة و يرى في ذلك نوع من المغالطة لأن إرادة الأمة لا تتقوى ويشتد ساعدها ويصلب عودها إلا بالعلم حيث يقول :"...يقول بعض المتفائلين والخياليين أن مثل هذا الكلام يبرد عزائم الشعب ، ويثبط همته ، ونقول له أن العزائم بلا علم باردة بطبيعتها فلا تحتاج إلى تبريد وأن العلم هو المشدد للعزائم . فعلموا الأمة تشتد عزائمها ...[2]

وهو بذلك كأنه يريد أن يقول : أن الوعي الوطني الحقيقي هو نتاج العلم والتثقيف ،وهو الكفيل وحده بتحقيق استقلال كامل لامكان فيه لعقلية " القابلية للاستعمار " .

وقد وجدت الدعوة إلى تعلم العلوم العصرية نقلة نوعية في الخطاب التربوي الجزائري في مواجهة عقلية الجامدين التي رأت بفعل قصورها الفكري . أن في ذلك تهديدا لكيان الأمة يعرضه إلى التفسخ والانحلال والذوبان في الآخر وهو نفس الأمر الذي أعترض النهضويين التونسيين لما دعوا إلى الإصلاحات التربوية وإدخال العلوم العصرية واللغات الأجنبية حيث جوبهوا بمعارضة شديدة تعكس حقيقة ذلك المناخ المعادي لكل حداثة وتلك التربة الخفية التي صارت جدباء لامكان فيها للعلوم فقد كتب أحد المهتمين بالإصلاح التربوي بنعي فيه على الشيوخ الجامدين وقوفهم في وجه العلوم العصرية واللغات الأجنبية التي تعد وسيلة لهذه العلوم فيقول : " ومما يؤسف له أن نرى غالب المسلمين متقاعسين عن التركيع من ماض هذه العلوم الناقصة جدا ، وقد أعناهم على هذا التقاعسين بعض من يدعي الزعامة العلمية بقولهم " أن علوم الفلسفة والطبيعة والكيمياء والفلك علوم اعتزالية مضرة بالعقائد الإسلامية " وما ذالك إلا عجزهم عن فهم أسرارها ...ولو اقتفوا آثار الفرنسيين في علومهم وآدابهم وأساليبهم المبنية على دعائم التجارب والتطبيقات الحسبية الحقة لعلموا أن التقدم لا يكون إلا بدراسة اللغات الأجنبية دراسة تحصيل لينقلوا منها الاكتشافات والاختراعات الجديدة إلى لغتنا العربية ما تتوسم منه انتشار المعارف المدنية . [3] .

1- المصدر السابق .

2- المصدر السابق .

3- الطاهر المناعي المثقفون التونسيون والحضارة الغربية ص 246 .

نستنتج مما سبق تناوله أن مسألة " العلوم العصرية " وتعليما بقدر ما وجدت التجاوب الكبير في الأوساط الاجتماعية وراح الإقبال يزداد عليها يوما بعد يوم ، وجدت أيضا المعارضة وصنوف الصد من قبل الشيوخ الجامدين الذين قصرت أفهامهم عن إدراك فوائدها ومنافعها فراحوا يروجون الدعاية السخيفة في الأوساط الشعبية كدعوى أنها مدخل للفكر والخروج عن الملة .

_ اتسمت الدعوة إلى العلوم العصرية باستعمال الحجة في الإقناع و التي تكون محصلتها في الأخير قناعة أن لا أمل للأمة الجزائرية خاصة والإسلامية عامة بالإكتراع من العلوم العصرية مع التمسك بالعلوم النقلية تراثنا العلمي .

5) الدعوة إلى تعليم التاريخ :

يعد التاريخ كمادة للتدريس ضرورية لتكوين الإنسان الواعي لمسؤوليته في المجتمع. وذلك بما تتركه الثقافة التاريخية التي يكتسبها في تعلمه ودراسته، من إحســاس بالواجب الذي يدفعه للتفاني في خدمة وطنه وأمته من موقع انتمائه الحضاري والجغرافي الذي يحدد له تصوره لنسيج علاقاته الثقافية والاقتصادية والسياسية مع الآخرين. كما أن هذه الثقافة التاريخية التي يكتسبها هي التي تدفعه إلى بناء الحضارات والمدنيات ، وإقامة الكيانات السياسية التي تتوفر على الأمن الغذائي والسياسي.وإدراكا من الاستعمار لخطورة تعلم الجزائريين للتاريخ ومن ثمة تسلحهم بقدر من الوعي الذي يؤهلهم للمطالبة بحقوقهم والنهوض لاستعادة سيادتهم الوطنية ، فقد منعهم من ذلك وعمد بكل قوة إلى إقصائه من المناهج التربوية وأحّل محله تاريخ مزيف للجزائر التي أفرغ تاريخها العربي لإسلامي من كل محتوى وشهّر لدعايته الماكرة التي تقوم على أنّ التاريخ الجزائري سلسلة متعاقبة من الهيمنة الأجنبية لا أثر فيها لإسهام الشعب الجزائري ، تبدأ مع الفينيقيين قديما لتنتهي بالفرنسيين مرورا بالرومان والبيزنطيين والأتراك"[1] .

وقد سعى المثقفون الجزائريون لضرورة إحلال عادة التاريخ محلها التي يليق بها في المنظومة التربوية. من حيث ان الإدارة الاستعمارية منذ احتلالها للجزائر وهي تسعى جاهدة في برامجها التعليمية على مسخ وتشويه تاريخ و جغرافية الجزائر ، بتجاهلهما أحيانا و حرمان الجزائريين من دراستها الدراسة الصحيحة في المدارس الحكومية ، وإفضائها من التدريس في المدارس الحرة.

وظهر التركيز في البرامج التعليمية الفرنسية على اعتبار أصول الجزائر علــى أنهــا "غالية" مــع إشــارة

1- د / ناصر الدين سعيد وني الدراسات التاريخية في الجزائر بين الأمس و اليوم : مجلة "الميرز" المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة عدد 12 . 1999 م ص 106 .

خاطفة للنومديين والبربر ووصف حياتهم وصفا سيئا.[1] .وراحت البرامج التعليمية تضفي طابع القداسة على فترة الاستعمار الروماني في شمال أفريقيا معتبرة مجيء الفرنسيين إلى الجزائر سنة 1830م بمثابة استئناف من جديد للمهمة التي استهلها الرومان ، وتصوير الفتوحات الإسلامية تصويرا سلبيا ، معطية تفسيرات خاطئة عن الثورات التي وقعت في بلاد المغرب الإسلامي في القرن الأول الهجري ، لا كون هذه الثورات وقعت ضد ظلم بعض الولاة ولكن كونها رفضا للإسلام كما زعموا [2] . كما تعتبر الفترة العثمانية ببلادنا كلها سواد فاتر على الجزائر ، وفي هذا تزييف مفضوح للحقائق التاريخية ، لا لشيء سوى لأن الجزائر العثمانية بقيت زهاء ثلاث قرون سيدة الحوض الغربي للبحر المتوسط .

إن هذا التسخير للمدارس التعليمية لوظيفة فرنسا الحضارية حسب زعمها من خلال مادة التاريخ قد دفع المصلحين والمرشدين الجزائريين إلى التصدي لذلك من خلال إعادة الاعتبار لهذه المادة في المدارس العربية الحرة ، وذلك بترقيتها في المحتوى وطريقة الإيصال و الأداء .

أ تحسين محتوى مادة التاريخ:

تكمن أهمية محتوى مادة التاريخ كون أن ذلك يكتسي أهمية بالغة المستوى في بناء ذهنية المجتمع. فهي تشكل قوة ارتباط للأمة كما تشكل في نفس الوقت قوة وعي ويقظة، فهو ذاكرتها التي بقدر ما تسلم لها وتحسن التعامل معها تقوي شخصيتها ويمتد تأثيرها فهي لا تشعر بذاتها وشخصيتها الحاضرة على وجه صحيح إلا إذا كان لها تاريخ وفي هذا الصدد كشف الشيخ إبراهيم أطفيش عن أهمية التاريخ وفوائده الجمة في حياة الأمة معيبا على الشيوخ الجاحدين التهوين من شأنه واعتباره غير ضروري بالنسبة للمسلمين ، حيث يقول:"...إن التاريخ اتخذه كثير ممن يدعي العلم مع عظم فائدته فهزءا ولعبة يا للأسف ، وبلغ بهم التهاون إلى حد تزهيد الناس فيه وهم لا يعلمون من تاريخ الإسلام شيئا ...والحال أن حياة الأمة الإسلامية واتصال حاضرها بماضيها متوقف عليه ، والوقوف على أحوال الأمة الإسلامية وأطوارها التي تقلبت فيها وكيف تشتتت وتمزقت وتجزأت إلى فرق ..منها الضال ومنها والمحق كل ذلك لا يقف عليه إلا من عرف التاريخ... [3] .

كما حث الأستاذ الحسين الورتلاني المعلمين في المدارس العربية الحرة على ضرورة إعطاء مزيدا من العناية الفائقة لمادة التاريخ، حيث اقترح أن يعلموا تلامذتهم قسما وافرا من تاريخ الإسلام ولا سيما من

1- عبد القادر حلو ش سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ....ص 154 .

2- حول هذه النقطة وما آثارها المستشرقون المفروضون من أمثال هنري لاووست وفلهوزن عن دعاوي زائفة عن تمرد البربر على الإسلام أنظر د / الحبيب الجنجاني دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي دار الطليعة بيروت ط (1) 1980 ص 27 ومابعدها

3- الشيخ أطفيش الدعاية في سبيل المؤمنين ...ص 41.

تاريخ الشمال الإفريقي وتاريخ عظماء الشمال الإفريقي في القرون السالفة... [1] . لأن ذلك في نظره يعزز من إيمانهم بشخصيتهم وحقيقة وجودهم.لذلك العلم تأثير عظيم في حياة الأمم والواجب على الأطفال المسلمين أن يفقهوا تاريخ دينهم وتاريخ وطنهم لكي يدركوا حقيقتهم الاعتقادية والجنسية غاية الإدراك...[2] كما أنه يحيط التلاميذ الجزائريين علما بأمجادهم التاريخية ومعالمها الحضارية في وقت صارت فيه المدارس الفرنسية تبرز المعالم الرومانية في الجزائر ، كما أن المدارس الفرنسية تعلم لتلاميذها المدنية الرومانية في شمال إفريقيا وتمدح لهم " تمقاد "و" شر شال "و" لانبيس " و" الجم" ، يجب علينا كذلك أن نعلم لتلاميذنا الحضارة الإسلامية في المغرب ونذكر لهم الماضي الذي لا يزال مجيدا في تلمسان والقيروان وبجاية ومراكش وكذا في جميع المدن المغربية التي كانت عواصم لمختلف الدول العربية البربرية."[3] وهذا ما أكد عليه كذلك الأستاذ عمار النجار عندما لفت نظر القائمين على وضع الكتب المدرسية لمدارس التعليم الحر إلى وجوب إعطاء مزيد من العناية إلى الوطن تاريخا وجغرافيا إذ لا يعقل حسبه أن يعرف تلاميذنا عن المشرق أكثر مما يعرفونه عن أمجاد وطنهم (... فهل يرضيك أن يعرف" تلميذنا" مثلا النيل والأهرام وأبا الهول وبعلبك ويحفظ عن ظهر قلب تلك المدائح التي قيلت في فاروق أو في غيره ثم هو لا يعرف أثرا من آثار بلاده ولا يحفظ شعرا يصور معالمها، أو يشيد ببطولة زعمائها؟...) [4] وعندما انعقد مؤتمر طلبة شمال إفريقيا بالجزائر سنة 1932م احتلت مادة التاريخ جزء من جلسات المؤتمرين الذين أعطوا لها أهمية بالغة ، وانتهوا في الجلسات إلى جملة من الاقتراحات تخدم مادة التاريخ وذلك بالدعوة إلى:

أولا: طلب من السلطات المعنية بالتعليم في الأقطار الثلاثة تغيير مادة التاريخ العربي وتوسيع نطاق تعليمه وتوحيد كتبه وتدريسه باللغة العربية .

ثانيا: نطلب من إدارة العلوم والمعارف ضرورة الحث على تعليم التاريخ بكل الوسائل .

ثالثا: تستدعي الجمعيات العلمية بالشمال الإفريقي الإكثار من المحاضرات التاريخية وحث الطلبة على التخصص في علم التاريخ بمنحهم جوائز على ذلك وإضافة حفلات في ذكرى عظمائها خدمة للتاريخ[5]

_ كما نجد في هذا الصدد اقتراحا قدم للمؤتمرين من قبل الأستاذ الشاعر مفدى زكريا تمثل في ضرورة تشكيل لجنة تتكفل بتحضير كتابين ، أحدهم للمدارس الابتدائية والآخر للمدارس الثانوية كما اقترح على الجمعيات العلمية القيام بمحاضرات بأسلوب تحريري يغرس الروح الوطنية في القلوب ، وإقامة حفلات لإحياء ذكرى عظماء الأمة العربية الإسلامية . وتأسيس جمعيات تمثيلية تقوم بتمثيل الروايات التاريخية كرواية المعتصم والعجوز[6].

1- مصطفى محب الدين البرزياني التعليم المدرسي جريدة البصائر .
2- المصدر السابق 3- المصدر السابق
4- عمار النجار، حول أرستقراطية الكتب، جريدة البصائر، عدد 357، (1956)
5- نشرة أعمال المؤتمر الثاني لطلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد بالجزائر سنة ،1932 مطبعة الإتحاد تونس ص 107 _ 108 .
6- المصدر السابق ص 109 .

_ كما كشف الأستاذ سعد الدين بن أبي شنب (1) في عرضه الذي قدمه عن دراسة التاريخ بالجزائر مبلغ التقزيم للتاريخ العربي الإسلامي في كتب التاريخ المدرسية الفرنسية حيث نجد الانتقاء الذكي لصور من التاريخ الإسلامي والعربي لا تعبر في الحقيقة عن مسار الأمة الحضاري الحافل بالأمجاد والبطولات والإسهامات الكبيرة في الحضارة الإنسانية فيما نعثر عليه في كتب التاريخ الفرنسية التي يتعلم فيها أبناء الجزائريين : 1_ حالة العرب في الجاهلية حيث وصف لحياتهم في الصحاري مع مواشيهم فوق الإبل ، معيشتهم بعيدة عن كل تمدن راق . ثم بعدما أخرج الله منهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ترقوا وتمدنوا وصاروا مجتمعين حول الرسول (ص) والقرآن الكريم . 2_ بعد أن استولى الإسلام على شبه الجزيرة العربية وجمع شملها وتوسع في المشرق والمغرب وصل الصين شرقا وإلى جنوب فرنسا غربا . 3_ ورد في هذه الكتب المدرسية ذكر معركة بواتيه وانهزام العرب ورجوعهم إلى الأندلس .
4 _ بعد ذلك يتحدثون عن علاقة الخليفة هارون الرشيد مع ملك فرنسا شارلمان 5_ الحروب الصليبية وخصال الملك صلاح الدين الأيوبي. 6_ اختراع البارود والورق والبوصلة ومساعدة العرب في شق البحار واكتشاف الأقطار. 7_ ذكر الفلاسفة كابن رشد وابن سينا وابن زهر الذين أخذوا يظهرون الفلسفة اليونانية خصوصا فلسفة أرسطو طاليس وعلوم أخرى مثل الطب والهندسة والجبر والحساب .
8 _ ثم يذكر المؤلفون الإفرنج عجائب الحمراء وجامع قرطبة واشبيلية وغيرها .
مطالبا السلطات الحاكمة بضرورة تدريس التاريخ العربي بكيفية أثمروأوفرمن الطريقة الحالية السيئة[2] .
ويرى الكاتب المطالع بجريدة المنار أنه ينبغي إعادة تدريس التاريخ من منظور قومي يستجيب لمنطق الأهداف الاجتماعية والإنسانية للمجتمع بما يعزز قدرته على التقدم والازدهار وتجاوز حالة التخلف والاستعمار"...إن التاريخ عامل أساسي في توجيه الشعوب نحو غايات وأهداف خاصة في الأمة التي أذيقت أنواعا وأشكالا من الحكم الأجنبي وعرفت الحرمان من التمتع بأبسط الحريات الأساسية كالأمة الجزائرية مثلا التي ابتليت بالاستعمار الروماني البغيض والاستعمار الفرنسي وارث الوحشية الرومانية خليق بقادة حركتها الثقافية أن يعنوا العناية التامة بتدريس كفاح أبطالها الغزاة المستعمرين إلى جانب أعمال العسف وحرب العدوان التي شنها أعداؤها طلبا للاستعمار وحبا في الاستبداد والتحكم في الرقاب ..." (3)

1- ولد سعد الدين بن أبي شنب في سنة 1907 بالجزائر العاصمة ودرس بثانوية بيجو التي سميت فيما بعد ثانوية المير عبد القادر ثم درس بجامعة الجزائر حيث حصل على الليسانس وشهادة الدراسات العليا في الآداب القديمة اللاتينية واليونانية، علم في المارس الثانوية بالجزائر والمدية من عام 1938 إلى عام 1947 كما كان يلقي دروسا في مدرسة التعليم العربي وفي معهد الدراسات العليا الاسلامية ودرس أيضا بالثانوية الفرنسية بلاعاصمة من عام 1951 إلى عام 1954 عمل كمشرف على الدراسات في كلية الآداب بجامعة الجزائر من عام 1951 إلى 1957 ثم هاجر إلى تونس حيث درس بتكميلية الصادقية وكان في الوقت نفسه يمارس نضاله الوطني وبعد الاستقلال أشرف على المحاضرات بكلية الأداب بجامعة الجزائر ثم عين عميدا بالكلية نفسها سنة 1964 كتب العديد من المقالات في الأدب والمسرح والشعر الملحون والتاريخ في الصحافة الوطنية والجنبية كما مثل الجزائر في عدة مؤتمرات عالمية توفي سنة 1968. أنظر جعفر بن أبي شنب، مجلة الثقافة، عدد55، 1980
2- المصدر السابق ص 105 وما بعدها
3- المطالع : التاريخ في خدمة القومية . جريدة المنار عدد 17 (4 جمادة الثانية 1371 ه الموافق ل 29 / 2 / 1952 م).

وذلك حتى يصير المجتمع مالكا لحصانته القومية كله ثقة واعتزاز بمقوماته التاريخية تمكنه من توظيف كل قدراته التي تسمح له بمقارعة الاستعمار ودحره ومن ثمة استعادة السيادة الوطنية حيث يقول : "...لتنشأ الأجيال مطبوعة بالطابع القومي الذي يجعلها تحب من يجب أن تحبه وتبغض من يجب أن تبغضه فيدفعها الحب إلى رفع شأن الوطن وإعزازه ويحملها البغض على مكافحة الغاصب المحتل وإرغامه على الاعتراف بالحق المسلوب والتخلي عن الوطن المغصوب ..." (1)

ونبه الكاتب إلى ضرورة وضع مادة التاريخ في المنظومة التعليمية في المكانة التي يستحقها على اعتبار أن التاريخ من أهم العناصر التي تكون الشخصية الوطنية بحيث ينبغي أن نعرض في دروسنا التاريخية لمشاهد من الجرائم الاستعمارية حتى يتنامى الحقد على الاستعمار كمقدمة للتفكير في محاربته "...يجب أن نعد التاريخ من أهم العناصر القومية و إلا ندخر وسعا في خدمته خدمة تؤهلنا إلى تبوء مقعد عزنا في يوم يراه الغاصب بعيدا ويراه ذووا المبادئ قريبا .

وإذا أردنا أن نكافح النزعة الاستعمارية فعلينا أن نحمل حملات عنيفة على غريزة حب التسلط والاستعمار في دروس التاريخ وأن نبين للتلاميذ بأن الوقائع الحربية التي توالت منذ عهد بعيد - وما تزال- كانت نتيجة طبيعية لسياسة السيطرة وحكم الشعوب بالقوة ..." (2)

على أنه ينبغي من تسطير الأهداف المرجوة من دروس التاريخ بكل دقة مستخلصين العبر من تاريخنا من خلال استحضار لمشاهد من بطولات أجدادنا الذين قاوموا الاستعمار بكل بسالة .

وكذلك الصور من الجرائم البشعة التي ارتكبت في حق شعبنا من قبل المحتلين ، إن ذلك وحده كفيل لتعزيز الروح الوطنية وتجذ يرها لدى الجماهير "...ينبغي أن تكون لدروس التاريخ أهداف معينة واضحة لما لها من أهمية عظيمة في حياة الأمم وأن تعمل على تحقيق تلك الأهداف بصبر وثبات ، ولتكن العبر التي تستخلصها مأخوذة من كفاح أبطالنا ضد الغزاة الأجانب ، والأمثلة التي تقدمها مستخرجة من المقاومة الوطنية ، لتدريس بكل اهتمام فضائح المحتلين وما أقاموا من مجازر في الأمس البعيد والقريب محافظة على امتيازا تهم الخاصة فإنها تكفي لطبع النشء بالطابع القومي المشهود..." (3)

1- المصدر السابق .

2- المصدر السابق .

3- المصدر السابق .

ب   طرق تدريس التاريخ :

أولى المربون الجزائريون أهمية فائقة لطرق تدريس التاريخ لطلاب العلم في المدارس العربية الحرة حتى تكون ثمة نتائج إيجابية ، وتكون المحصلة هي تمكين الناشئة المتعلمة من ثقافة تاريخية كفيلة بأن تشكل لدى صاحبها وعيا ناضجا بمهماته المستوجب عليه القيام بها اتجاه وطنه وأمته ذلك أن تحصيل المعلومات التاريخية وحشو الذاكرة بها من دون فهم وإدراك لماهيتها لإفائدة ترجى من ورائها . كما أن لا أثر إيجابي بمقدوره أن ينرك عند المتعلم لها . فأسلوب تدريس التاريخ بإجماع كل علماء التربية يكون عقيما إدا كان قائما على الإلقاء والحفظ من دون شرح . وقد أكد على هذا هنري جونسون عندما اعتبر تدريس التاريخ كحقائق مؤكدة تعود الإنسان أخذ الحقائق قضايا مسلمة . والتلاميذ الذين يتعودون أخذ المعلومات وقبولها كمسلمات بدون تمييز ، يستمرون طوال حياتهم بعد المدرسة ينقلون المعلومات ويتقبلونها دون نقد . وميل التلاميذ في المدرسة إلى اعتياد النظر إلى الصفحة المطبوعة كدليل كاف على صحة ما مطبوع منها،يجعلون يستمرون في حياتهم المستقبلية على العبودية للصفحة المطبوعة[1] .

وحرصا على جعل مادة التاريخ ذات بعد حضاري وهدف وطني فقد كشف الأستاذ بوزوزو في مناره عن قيمة مادة التاريخ في المدرسة حيث أن للتاريخ آثر عظيم في تكوين البطولة وخلق رجال الأعمال الاجتماعية العامة في مختلف ميادين العمل . وهو من هنا قد استحق العناية العظيمة التي يوليها إياه مسيرو دفة التربية والتعليم في الوزارة والهيئات الثقافية لمختلف شعوب العالم الحر أو المولى عليه في كل عصر ومصر. .."[2]

ونبه الأستاذ الكاتب إلى ضرورة الإقلاع عن تدريس التاريخ لذاته من دون تسطير أهداف له حيث ألح على وجوب إسهام دروس التاريخ في إعداد الإنسان الجزائري في المعترك التاريخي . "...نرى بعضا من معلمي التاريخ يقتصرون على تلقين القطع التاريخية التي يختارونها لتلاميذهم دون أن يجعلوا لدروسهم تلك ما يجب من أهداف خاصة يهدفون إليها من تعليم التاريخ ، كان التاريخ يدرس لذاته أي لمجرد حفظ حوادثه واستظهارها عن ظهر قلب .إننا لاننجح في تعليم التاريخ ولاتحصيل النتيجة المرجوة إلا إذا أعددنا له أهدافا معينة نرمي إلى تحقيقها [3] . ثم يدعو صراحة إلى تكوين النشء الجزائري المعتز بتاريخه وأمته التي هي جزء من الأمة العربية الإسلامية ، وأن لغته هي العربية ."...يجب أن نرمي إلى محاولاتنا إلى إقناع التلميذ بأن الوطن الجزائري مثلا ملك للأمة الجزائرية منذ أقدم العصور ... وأنه جزء من الوطن العربي الكبير الممتد من الخليج الفارسي شرقا إلى بوغاز جبل طارق غربا . وأن تثير في المتعلم حب التعاون والتفاني في سبيل الدفاع عن الإرث العظيم ، وهنا يجب أن تذكر للتلميذ الحروب التــي

1- أنظر د / يوسف جعفر سعادة دور القراءات الخارجية في تدريس التاريخ مؤسسة الخليج العربي القاهرة 1985 ص 86

2- الأستاذ يو زوزو ، أهدافنا من تعليم التاريخ جريدة المنار عدد 15 (1 _ 2 _ 1952).

3- المصدر السابق .

قام بها أجداده دفاعا عن الوطن وماله من تراث هو منه كالدعائم بالنسبة للبيت أهدافنا مـن تعليـم التاريـخ وتعددها له قائلين ، اللغة القومية ، والدين المنيع ، والفوائد الجارية ..." [1] .

ويوجه الكاتب نقدا بناء للمدارس العربية الحرة التى مازالت مادة التاريخ فيها تقدم بأسلوب جاف لا طائل من ورائه داعيا القائمين عليها بوجوب إصلاح هذا الأمر وفق ما يعزز الشخصية الوطنية التاريخية فيقول "..نلاحظ أن مدارسنا العربية الحرة بالجزائر قد ارتفع عددها بالنسبة إلى الماضي القريب وتكونت لها هيئات عليا تخط مناهجها وتمد معلميها بتوجيهاتها ولكن هل اهتم القائمون بأمر هذه المدارس المنبثة في جميع أنحاء الوطن بإعداد مناهج تلائم التوجيه القومي المنشود ؟

الجواب لا . فإننا لازلنا نرى معلمي المدارس الحرة في خصوص مادة التاريخ يدورون حول نقطة واحدة هي حشو أدمغة التلاميذ بخلا صات جافة خالية من التوجيه المثالي . وفوق هذا مازلنا لا نبدي الاهتمام المطلوب بتعليم تاريخ الجزائر . ولسنا مع هذا نريد أن نعرض عن التاريخ الإسلامي العام ، وما يتعلق منه بصدر الإسلام الخصوص ، إنما لا يليق أن يعرف التلميذ الشيء الكثير عن العهد الأموي ولا يعلم شيئا عن بلاده في عهد الفنيقيين والرومان والعهد الإسلامي [2]

ودعا إلى إدخال روح النقد في دراسة التاريخ حتى يمكن الاستفادة منه "...يجب أن يهدف معلم التاريخ إلى تنمية روح الانتقاد في التلاميذ لدى دراسة حادثة تاريخية ليعتادوا النظر إلى الحوادث خلال جهات متعددة لا من جهة واحدة فقط ، فإن ذلك أضمن طريق لمعرفة الحقائق المجردة وقد تحقق لنا مدرستنا الهدف الأول من تأسيسها بتكوين المواطن الصالح ، المستعد للدفاع عن تراثه بالنفس والنفيس والثبات أمام الغزو الثقافي الأجنبي الذي راح خطره يستفحل يوما بعد يوم[3] .

ويبدو واضحا أنه منذ أن تأسست المدارس العربية في الجزائر وخاصة تلك التي كانت تمولها وتشرف عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت الإدارة الاستعمارية تتوجس خيفة من الآثار التي سيتركها في المدارس العربية الحرة خاصة بعد أن عمد المؤرخان الكبيران : الشيخ مبارك ألميلي والأستاذ أحمد توفيق المدني على تأليفها كتابيهما القيمين " تاريخ الجزائر في القديم والحديث " للشيخ ألميلي و " كتاب الجزائر " للمدني واللذان صار معتمدان في المدارس العربية الحرة [4] .

1- المصدر السابق .

2- المصدر السابق .

3- المصدر السابق .

4- تقرير عن التعليم العربي الحر بمدارس جمعية العلماء المسلمين أنضر : 9 H 46 A _ O _M

كما لا ينبغي أن نهمل صحافة الإصلاح المتمثلة في جرائد ومجلات جمعية العلماء المسلمين وصحف أبو اليقظان[1] ، التي كانت تعزز أركانها الثقافة و الوطنية بالكثير من المواضيع التاريخية التي تغطي جوانب كثيرة من التاريخ الإسلامي ، وتاريخ الجزائر ، والمغرب العربي ، والعالم العربي الإسلامي الحديث والمعاصر . حيث يجد فيها القراء عموما والشريحة المتعلمة المثقفة من أساتذة وطلاب المدارس العربية الحرة ضالتهم في إشباع نهمهم و أغناء ذاكرتهم بالمادة التاريخية القيمة التي تساعدهم على إثراء دروسهم إذا كانوا أساتذة واستكمال النقائص في برامج التاريخ المدرسية أن كانوا طلابا كما أن مربين في المدارس العربية كانوا ينشرون الوطنية عن طريق المحفوظات ودروس التاريخ [2]. ضف الى ذلك ما كانت جمعية العلماء توليه من اهتمام بالغ بالاعياد والمناسبات الدينية حيث كانت تقيم لها الاحتفالات بمحضر رجال الاصلاح وتلاميذ المدارس واولياؤهم ورواد النوادي حيث يلقي التلاميذ خطب ودروس ويقومون بعروض مسرحيةواداء اناشيد وطنية ودينية. (3) وفي ذلك تعزيزا للتاريخ الوطني والعربي الاسلامي لدى الناشئة خاصة والمجتمع عامة الأمر الذي يؤسس لمشهد ثقافي وطني يكون التاريخ هو محوره الرئيسي.

وهكذا تبين بكل جلاء أن المربيين الجزائريين كانوا على درجة كبيرة من الوعي بأهمية تدريس التاريخ بالكيفية التي تجعله مفيدا ومؤثر أيما تأثير في تكوين شخصيتهم وصقلها ، وترسيخ القناعة لديها بالانتماء إلى الوطن والحضارة العربية الإسلامية ويزيد في تقوية حسها الوطني الذي ليفتأ يزيد يوما بعد يوم حتى ينفجر كالبركان عندما تتوفر شروطه على الاستعمار .

1- صحف ومجلات البصائر ، الشهاب ، صحافة وصحف أبو اليقظان : كالنبراس. المغرب . الأمة .

2- J Desparmet,le Nationalisme a L école Indigène en Tunisie et en Algérie A _ F, fev, 1935, p p 104 – 106.

3- بسييس ، ملامح المجتمع الجزائري من خلال جريدة البصائر، ص 80 – 81.

خلاصـــة :

كان مسعى الجزائريين التربوي لتكريس المشروع النهضوي قد تمحور على النقاط الأساسية بالدعوة إلى ترسيخها ، أو بضرورة إعادة النظر فيها أو البحـــث علـــى ترقيتها والدفـــاع عنـــها،وتأصيلها،وعصرنها ، حيث دعا المربون إلى ضرورة السعي لبناء الشخصية الجزائرية وتكوين النشء الجديد على أسس المقومات الحضارية للمجتمع الجزائري القائمة على الدين الإسلامي ولغته العربية، وانتمائه للعالم العربي الإسلامي . فغاية التعليم هي تفقيه الإنسان الجزائري في دينه ولغته وتعريفه بنفسه وتاريخه .

_ والعناية بالنشء الجزائري الجديد بتربيته تربية إسلامية صحيحة ، تجعل منه قادرا على الدفاع على وطنه وتراثه الحضاري .

_ كما ألح المهتمون بالتربية والتعليم على ضرورة مراجعة المناهج التربوية وأساليب التدريس العقيمة في الكتاتيب والزوايا والمدارس العربية الحرة .

_ الدعوة إلى ترقية اللغة العربية وإبراز مفاخرها ومكانتها بين اللغات كانت تستهدف الدفاع عنها وحمايتها من البطش الاستعماري الذي اعتبرها غريبة في عقر دارها وبين ذويها ، كما كانت الرغبة في تصويرها تصويرا علميا نابع من قناعة راسخة بأنها ليست فقط مقوم أساسي من مقومات الشخصية الوطنية ولكنها أيضا لغة علم وإبداع وابتكار وأداة للثقافة المعاصرة .

_ التأكيد على اللغة العربية الفصحى بالوقوف في وجه الدعوات الهدامة التي كانت تشجع وتدعم اللهجات المحلية مكان اللغة القومية .

_ لم تكن الدعوة إلى نشر وتدعيم اللغة العربية إقصاء للفرنسية وهذا ما يعكس بعد النظر عند المربين عكس المفر نسين الذين كانوا يضيقون ذرعا من اتساع دائرة اللغة العربية في المؤسسات التربوية .

_ نلمس في ملامح هذا المشروع التربوي الجمع بين التعليم الأصلي الذي يعزز البعد الوطني والحضاري للأمة ، والتعليم العصري لمواكبة العصر وترقية الأمة في كل مجالات الحياة الأدبية والصناعية والعلمية .

_ أن معركة التعريب لم تكن وليدة الاستقلال بل أنها تعود جذورها وأصولها إلى الفترة الاستعمارية .

_ اعتبار تدريس مادة التاريخ وسيلة لتكوين الإنسان الوطني وليس غاية في حد ذاتها .

الفصل السادس

بعد الهوية في الخطاب النهضوي

1- في مفهوم الهوية

2- مكونات الهوية الجزائرية

3- الوحدة العربية الإسلامية

4- التصدي لأعداء الهوية الجزائرية

5- الهوية و إشكالية الحداثة

خــلاصــــة

تـــمـــهيـــد:

شكلت قضية الهوية محورا هاما من محاور الخطاب النهضوي الجزائري الحديث والمعاصر من منطلق الحرص "... على تأمين وصيانة القيم الحضارية للأمة الجزائرية والتي صارت عرضة لكل المخاطر التي تتهددها من قبل المخططات الاستعمارية ، التي كانت ترمي أساسا " على إذابة الهوية والشخصية الوطنية فضلا عن التحدي الديني والمذهبي، وقد عرفت هذه السياسة بسياسة الإدماج والاستيعاب في الجزائر..."[1]

وقد انبرى المثقفون الجزائريون للدفاع عن كيان أمتهم الحضاري وذلك من خلال دحض كل المزاعم الاستعمارية المغرضة التي وظفت مخابر العلوم الأنثرولوجية والاجتماعية والتاريخية لتحقيق أغراضها وذلك على مدار سنوات الاحتلال الطويلة ، وأنفقت عليها أموالا طائلة نظرا لصعوبة المهمة التي تريد تحقيقها وترمي إلى الوصول إليها.

ولم تكن معركة " الهوية" سهلة ولا هينة في زمن لم تكن فيه الوسائل والإمكانات ما يرشحه للتفوق والانتصار على الأنا هو الجزائر المغلوبة على أمرها والمغزوة في عقر دارها المهضومة في حقوقها.

لولا ذلك التحدي الكبير الذي أبداه المثقفون الجزائريون، ونفسهم الطويل في ميدان المعركة الحضارية والذي لا يقل أهمية عن بطولة رجال المقاومات الشعبية فكلاهما يعكس إجابة الرفض للوجود الاستعماري المادي والأدبي في النهاية.

وقبل أن نتطرق بالحديث إلى معركة الهوية" وأشكال التحدي التي أظهرها المثقفون الجزائريون في الميدان النظري والعملي من أجل التمكين لمقوماتهم الحضارية يجدر بنا أن نعطي تعريفا، لمفهوم الهوية" ودلالاته" الأدبية والتاريخية حتى يتسنى لنا إدراك خلفيات المعركة وأبعادها الحضارية

1- عبد القاضي محمد أحمد، الإسلام والعروبة في المغرب العربي ، مجلة قضايا عربية ، السنة السادسة ، عدد2، حزيران 1979 ص 263 .

1- فى مفهوم الهوية ودلالاته اللغوية و التاريخية :

أ- مفهوم الهوية لغويا :

إن الهوية كما يعرفها قاموس " المنجد " باللغة العربية ، منعاه " حقيقة الشيء أو الشخص ، المطلقة ، المشتملة علة صفاته الجوهرية " و هي في اللغة العربية مشتقة كما هو واضح في مبناه من الضمير المنفصل " هو " الذي يدل على ذات الشيء أو الشخص المستقلة من ذوات الأشياء أو الأشخاص الآخرين . أما في اللغة الفرنسية ، فإن لفظ الهوية L'Idendité مشتق من الكلمة اللاتينية Edém´ " التي نقال عن الأشياء أو الكائنات المتشابهة أو المتماثلة تماثلا تاما مع الاحتفاظ في ذات الوقت بتمايز بعضها عن البعض " . [1]

و جاء في قاموس لا روس " إن الهوية معناه " مجموع الظروف أو الحيثيات التي تجعل من الشخص شخصا مميزا أو محددا " [2] و هو التعريف نفسه الذي نلمسه تقريبا عند قاموس " روبير " الذي جاء فيه أن " ما يسمح بالتعريف على شخص بين جميع الأشخاص الآخرين لكنه يضيف بين قوسين عن الهوية بأنها : " الحالة المدنية و الصفات المميزة للشخص "

أما من حيث تعريفها الفلسفي فهي تسعى إلى توضيح معالم الشيء ، الذاتية و يكشف تاريخ الفلسفة هذا الموضوع في مختلف مراحل الفكر الفلسفي فقد كان " هيراقليدس " يقول بالتغيير في حين أن برمينيدس يعتقد أنه يتعين على الشيء أن يظل بعيدا عن كل تغيير ، و يواجه الفلاسفة دائما سؤال أساسي و هو : هل العالم يتغير حقيقة أم ظاهريا أو لا يتغير مطلقا ؟

و بحسب الإجابة المقدمة . نستطيع تصنيف آراء الفلاسفة في التاريخ إلى القائلين بالثبات و القائلين بالتغيير و المحاولين الجمع بين التغيير و الثبات . [3]

هذا و اعتبرت "الموسوعة الفلسفية" الهوية بأنها " مقولة تعبر عن تساوي و تماثل موضوع ، أو ظاهرة ما مع ذاته . و يتطلب تعيين هوية الأشياء أن يكون قد تم تمييزها مسبقا ، و من ناحية أخرى ، فإن الموضوعات المختلفة غالبا ما تحتاج إلى تحديد هويتها بهدف تصنيفا و هذا يعني أن الهوية ترتبط ارتباطا لا يمكن فصمه بالتميز بين الأشياء . [4]

1- د / منور : أزمة الهوية ، ص 8 .

2- المرجع السابق ، ص 8- 9 .

3- الزواوي بغورة : الخطاب الفكري في الجزائر ، ص 122 .

4- د / منور : أزمة الهوية ، ص 9 .

أما من حيث الدلالة التاريخية فالهوية ظاهرة إنسانية ملازمة للإنسان- فردا كان أم جماعة- تكون ضامرة في حالة كمون في الظروف العادية الطبيعية الخالية من التوترات غير أنها تخرج من طور الوجود بالقوة إلى طور الوجود بالفعل عندما يستفزها الآخر، فالأنا أو الجماعية ترفض الالتماهي فيه.

وحتى تبقى – الأنا- متمايزة فإنها تعود- في الظروف الصعبة إلى ذاتها تسكنه جوهرها وتستحضر مخزونها ، وتحلل واقعها وتستشرق مستقبلها، واعتمادا على كل ذلك- تتحدد خصائصها التي تتميز بها عن الآخر.(1)

كما أن الهوية كمعطى تاريخي تعتني دائما بمضامين جديدة و تملك القدرة على التحدي و التجديد و التعرف على ذاتها في الماضي و الحاضر ، كما تتعرف في الوقت نفسه على غيرها و من هنا تكون معرفة التاريخ شرط أساسي لمعرفة الهوية و الوعي بها .

و حسب ما جاء في دراسة الباحث يغورة فإن المستقبل و العودة إلى الذات هما الشكلان الأساسيان للمقاربة الجديدة للهوية و التي تعطي حاضرنا و أنيتنا على المستوى الفردي و الاجتماعي و الثقافي شرعية و دورا استراتيجيا و من ثمة فإن التأكيد على الهوية لا يعني الإنطواء و التقوقع على الذات كما لا يعني الانعزال و السلبية و الرفض و إنما الهوية المعنية هنا تعني كيفية تموضعنا في العالم هذا التموضع الذي يعني و في نفس الوقت ، تنشيط العودة إلى الذات مع الأخذ بعين الاعتبار للتغيرات الحاصلة في المحيط لأن الإنسان كائن مستقبلي . (2)

و الحق أن المدلول التاريخي للهوية يني في أبرز ما يعنيه وعي بالذات كأنا متميز عن الآخر من حيث مكوناتها ، من جهة و من حيث ما هو مطلوب منها لكي تؤكد على المحافظة على ذاتها و استقراريتها في الحياة من جهة أخرى خاصة إذا عرفنا بأن ما يهدد الهوية لم يعد عدوا مرئيا يمكن تحديه و مواجهته بل صار هذا المعادي للهوية للنيل منها متماهيا في العلم و الثقافة التي لا غنى لأمة عنها . و ليس صحيحـا بالمرة مـــا هـــو مقرر عند البعض بـــأن

1- سالم حداد، صراع الهوية بين الأنا والآخر ، دار الأطلسية للنشر تونس ط(1) 2000، ص8 .
2- الزواوي يفورة : الخطاب الفكري في الجزائر ، ص 126 .

الذي حارب الهوية قد رحل ، و لم يعد ثمة خوف عليها ، فالاستعمار الجديد أخطر و تحديه لهويتنا أكبر . " ... الاستعمار الحديث أخطر من القديم لأنه يغتال و يتكلم على حقوقه ، إنه يفرغ حياتنا الثقافية من مضمونها و يجعلنا ضائعين ، شاكين في كل شيء...".(1)

و عليه فإن هوية الأمة كلما استشعرت الأخطار تهددها فإنها تعتبر مشبثة بكل عناصر تكوينها و مقوماتها طاردة لكل العناصر الغربية عنها " ...لذلك نرى الفعاليات الجماهرية تستفز إيجابيا ذاكرة شعوبها عندما تشر بخطر الذوبان و تطرح إشكاليات بمثابة الوخزة ، فتتحرك المشاعر التي مالت إلى الاسترخاء فيسترجع الإنسان فردا أو جماعة مقومات كيانه المتمايز... " (2)

وتحدد الهوية انطلاقا من الخصائص والسمات المميزة للأمة، والفاعلة فيها ، والتي انتهت إليها ، عبر مسيرتها الجدلية في التاريخ من خلال تعاملها مع المحيط ، طبيعة وبشرا كاللغة والتاريخ والدين والثقافة و القيم والتقاليد ، وتشكل هذه العناصر مجتمعة الأرضية النفسية للأمة والتي تشترك في هذه المقومات، وبما تتمايز عن الآخر ، وربما بها تحارب ومن أجلها تحارب .(3)

2- ما هي مكونات الهوية الجزائرية عند النهضويين الجزائريين: إن مسيرة الإنسان الجزائري طوال تاريخه القريب والبعيد أورثته مجموعة من الخصائص ، ومعاناته الحضارية، ومؤسساته الاجتماعية أكسبته طائفة من الفضائل الأخلاقية ومقاومته الاستعمار، منذ غلب على أمره وهبته مجموعة من الخصائل النادرة، وتلك كلها تؤلف مجموعة من القيم السلوكية التي جعلت فيه إنسانا متميزا في حياته الفردية والجماعية.

و لا شك في أن هذه الخصائص هي التي منحت ذلك الإنسان الوجود السليم والوفاء للأصالة والاستمرارية على المقاومة عبر سلسلة المحن، والمعاناة ومحاولات القهر التي استهدفت وجوده ومقومات ذلك الوجود و لا ريب في أن هذه الأصالة مرتبطة بالشخصية القومية والروحية أكثر شمولا من الحدود القطرية .(4)

1- منور : أزمة الهوية ، ص 8 .
2- أنظر مجلة المستقبل العربي ، ص 29 .
3- الحداد، المرجع السابق، ص 8

4- د/ سليمان عشراتي، الشخصية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجزائرية ، الجزائر 2002 ص 73.

أ- الإسلام: شكل الدين الإسلامي العنصر الأساسي في البنية الفكرية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لبلاد المغرب منذ القرن الأول الهجري حيث رأى فيه المغاربة تلك المكانة التي رأوا أنفسهم يتبوأونها في صفوف العرب الفاتحين الأمر الذي دفعهم إلى تبني الإسلام في أوساط بربرية ، ذلك لأن الاعتبار المادي والمعنوي الذي ناله البربر تحت راية الإسلام كان الترجمان الحق على أهلية هذا الدين الطارئ لأن يكون عقيدتهم .[1]

كما رأى المغاربة أنهم بواسطة العدالة الإسلامية يمكنهم أن يحققوا كل رغبتهم، فأقبلوا على الإسلام، يدخلون في دين الله أفواجا.[2]

وتمكن من نفوس أهلها تطبع الناس في أسلوب حياتهم ، ولم يجد هذا التطبع في النفوس ما يشاغه من مخزون ثقافي قديم في شأنه أن يزاحم الجديد ولو استقر به الأمر كما كان الحال بالنسبة لأقطار مشرقية مثل الشام والعراق وخراسان، حيث ظلت مواريث الثقافات القديمة دينية فلسفية تنازع بشكل أو بآخر التطبع بالثقافة الإسلامية المستقرة وتحدث أحيانا شقوقا في روابط الوحدة الثقافية كما بدا جليا في منازع الغنوصتة الشرطية القديمة وفي منازع فلسطينية هندية يونانية، أما بالمغرب فقد خلص الاستقرار الثقافي الإسلامي الذي صنعته العقيدة الإسلامية من تلك المنازعة الثقافية إلى حد بعيد لخفة الموروث الثقافي القديم فكان ذلك عاملا مهما للالتزام الثقافي الإسلامي .[3]

وأدى تمكن العقيدة الإسلامية من نفوس المغاربة صافية غير مدخولة إلى تشكل جديد لنمط الحياة يتقوم بمقتضيات هذه العقيدة .

وظل الدين الإسلامي على مدار التاريخ أبرز عنصر مشكل للهوية فقد اعتبره الأستاذ عبد الوهاب بن منصور بمثابة الركن الأساسي للجزائر وكل شمال إفريقيا حيث يقول عن الإسلام بأنه" الفتح الوحيد الذي أصاب الجزائر وخلف فيها آثاره الظاهرة والباطنة إلى اليوم."[4] كما اعتبره الشيخ أحمد حماني بصاحب التأثير القوي على النفوس إذا استقر وتغلغل في أعماقها وقد اعتنقه البربر في شمال إفريقيا وأقبلوا على الدخول فيه بصدور رحب وقلوب راضية[5] ولم يمكث بينهم قليلا حتى جعل منهـم جنوده الأقويـــاء وأبطاله

1- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 193.

2- د/ عبد المجيد النجار، المستقبل الثقافي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط(1) 1997، ص 23 .

3- النجار، نفس المرجع، ص 25 .

4- عبد الوهاب ابن منصور، التاريخ المفترى عليه، جريدة البصائر، عدد 205، أكتوبر 1952 .

5- لم يسجل التاريخ و لو مرة واحدة قبل الاستعمار الفرنسي أية حركة مهما كان لونها أو نوعها أو طبيعتها بالمغرب تعادي العروبة و الإسلام أو تدعو إلى العرقية أنظر د / سعيدوني الجزائر منطلقات و أفاق ص 79 .

الغلابين .[1]

كما انبرى الشيخ ابن باديس للدفاع عن الإسلام باعتباره الأساس المتين الذي يقوم عليه الكيان الجزائري، فقد كتب في جريدة البصائر تحت عنوان : " ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان....يبرز قيمة الإسلام في إرساء دعائم الأمة الجزائرية فعنده أن الإسلام قد لعب الدور الأساسي في التكوين التاريخي للشعب الجزائري أن و حياتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، حيث ساهم الإسلام في عملية المزج والتوحيد بين العرب الجاهلين لرسالة الإسلام، والبربر الذين أقدموا على اعتناقه في العقيدة واللغة والآداب والأخلاق وجعل منهم عنصرا عربيا مهما مسلما مع غيرهم من العناصر الوافدة على البلاد حديثا كالعنصر التركي والزنجي الإفريقي، أمة الجزائر\، وأبو الإسلام[2]

واعتبر ابن باديس الإسلام العنصر الفعال الذي صهر أبناء الجزائر في بوتقة حضارية واحدة موحدة" إن أبناء يعرب وأما زيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثم أبت تلك القرون تمزح مـــا بينهم فـــي

الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء حتى كونت منهم في أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا ، أمة الجزائر وأبوه الإسلام، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء أمازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعادة كلمة الله وما أسالوا من محابر في مجالس الدرس لخدمة العلم ، فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم..." (3)

و الحق أن هذا ما نجده مجسدا في الواقع العلمي الذي تشكل بفعل ذلك التفاعل الذي حدث في التاريخ بين الإسلام و الإنسان المغربي الذي خرج بفعل ذلك و نتيجة لذلك من دائرة الانغلاق على الذات إلى فضاء أرض صار فيه يشعر بكينونته و ذاته و قادرا على صنع الفعل التاريخي الواعي بعد أن كان قبل ذلك متفاعلا مع الآخر الذي كان مستعبدا له " ...مع الرسالة الإسلامية بدأ أبناء المغرب لأول مرة في التاريخ يتحسسون وجودهم ، فالرسالة حولتهم من طاقة معزولة تعيش على هامش التاريخ و تعرقل مسيرتـــه إلـى

1- الشيخ أحمد حماني، تأثير الإسلام على النفوس، جريدة البصائر عدد 130(1938أنظر كذلك محمد الصادق بيسبيس الذي يقول " أن آخر الأمة الوحيدة التي استطاعت بعبريتها الدينية والسياسية أن تهضم البربر هضما أبديا هي الأمة العربية الفاتحة المنقذة من ظلام الجبارين استطاعت ذلك بمبادئ دينها العملية في مناطق العدل والحرية والأخوة وتطبيقها قاعدة من أسلم فله مالنا وعليه ما علينا، ومن دخل في ذمتنا

حميناه، في نفسه و ماله وولده""انظر محمد الصادق بيسبيس، الاتحاد الفرنسي و مصرعه بالمغرب المسلم العربي، جريدة البصائر، عدد 17، 29ديسمبر 1947 .

2- الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان، جريدة البصائر عدد 3 جانفي 1936 .

3- محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، ص 50

طاقة فاعلة تساهم في صنع التطور و في صيرورة الكيان و تحول الصراع في فضاء المغرب على رحابته، من صراع أفقي قبلي في مجمله إلى صراع عمودي مع الآخر " الكافر " من صراع الانغلاق إلى صراع الفتح ، من صراع يكسر بين الشتات إلى صراع من أجل الوحدة بكل أبعادها ..." . (1)

فالتاريخ الذي كتب للجزائر بالإسلام و في الإسلام و للإسلام لا يمكن أن ينفصل عن التاريخ العام للوطن و شخصته أفراد الأمة بكل أبعادها و خصائصها المتميزة . (2)

كما نجد الدين الإسلامي على خلاف باقي الأديان السماوية و الوضعية هو الذي أسهم في نشر اللغة التي جاء بها نزول القرآن الكريم باللسان العربي المبين و ما ترتب على ذلك من تقديس المسلمين للغة العربية كتقديسهم للقرآن الكريم . و تقديس المجتمع لشيء من الأشياء يتطلب بالضرورة فهمه و المحافظة عليه . و من ثمة ارتبطت اللغة العربية ارتباطا وثيقا بالإسلام لأنها مفتاح فهم العقيدة الدينية و وسيلة المحافظة عليها . (3)

ب- اللغة العربية:

ساهمت اللغة العربية بقسط وافر في بلورة الشخصية الجزائرية، حيث شكلت كما يقول الإمام الشيخ ابن باديس الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأغر ومستقبلا السعيد، وهي لغة الدين والجنسية والقومية ، ولغة الوطن المحروسة (4) ، ثم يضيف مبرزا فعاليتها في وحدة التماسك الاجتماعي فيقول".إنها وحدة الرابطة بيننا وبين ماضينا، وهي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواح أسلافنا، وبها يقيس متن يأتي بعدنا من أبنائنا وأحفادنا الغر الميامين، أرواحهم بأرواحنا، وهي وحدها اللسان الذي نعتز به، وهي الترجمان عما في القلب من عقائد وما في العقل من أفكار وما في النفس من آلام وأمال...إن هذا اللسان العربي العزيز الذي خدم الدين وخدم العلم، وخدم الإنسانية ، هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ سنين، فليحقق الله أمانينا .(5)

ويعتبرها الشيخ ابن باديس باللغة القومية للجزائر، لأنها تعبر عن الهوية والمقومات الذاتية ، وهي لغة التفكير القومي الذي هو أساس تفكيرنا والذي يتميز وفقا لمميزات قوميتنا يقول الشيخ ابن باديس:" تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفراد، و لا بقاء لشعب إلا ببقـاء مقوماتـــه، ومميزاتـــه

1- الحداد : صراع الهوية ، ص 141 .

2- د / أحمد بن نعمان : كيف صارت الجزائر مسلمة عربية ، دار الأمة ، الجزائر ، ص 23 .

3- نقس المرجع ص 43 .

4- محمود قاسم، ابن باديس الزعيم الوحي....ص 63
5- نقس المرجع ص 63

فالجنسية هي مجموع تلك المقومات وهي، اللغة التي يعرب بها، ويتأدب بها، والعقيدة التي بنى حياته على أساسها، والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها، والشعور المشترك بينه وبين من شاركه في هذه المقومات .[1] كما أنها " ...الرابطة بين ماضي الجزائر المجيد و حاضرها الأغر و مستقبلها السعيد و هي لغة الدين و الجنسية و القومية و لغة الوطنية المغروسة ..." .[2]

أما الشيخ البشير الإبراهيمي فيذهب إلى أن اللغة العربية تشكل أحد الروابط المتينة التي تحدد المفهوم الصحيح للوطنية الجزائرية الذي يشكل جزءا مهما من الوطن العربي الإسلامي " هذه العروبة الأصيلة العريقة في هذا الوطن هي التي صيرته وطنا واحدا لم تفرقه إلا السياسة، سياسة الاستعمار في عصوره الوسطى، وسياسة الاستعمار في عهده الأخير، وهذه العروبة هي ماسكة على كثرة المفرقات، وهي ملاكه على وفرة العوامل الهادفة وهي رباطه الذي لا ينفصم ببقية العروبة في الشرق وهي السبب في كل مما يؤخذ من تلك الأجزاء وما يعطيها فينصرها في الملمات، ويتقاضاها النصر في المهمات فالعالم العربي بهذه العروبة المكينة كالجسد الواحد إذا ألم بجزء من أجزائه حادث، أو نزلت به مصيبة تداعت له سائر الأجزاء بالنصرة والغوث أو بالتوجع والامتعاض .[3]

بل أن الشيخ الإبراهيمي يعتبر الكيانات السياسية التي تأسست في الشمال الإفريقي كلها شكلت في بعدها الحضاري مظهرا عربيا حتى وإن كان مؤسسها من البربر."...إن كل ما يحتج به القادمون في عروبة هذا الشمال حجة عليهم، فالدول التي قامت كاللمتونية و الرستمية والموحدية والصنهاجية والمرينية والزيانية ليس لها من البربرية إلا النسبة العرفية وهي فيما عدا ذلك عربية صميمة ، عربية في الضروريات المقومة للدولة ، كوظائف العلم من إدارية ومالية ووظائف القضاء من عقود وتتسجيلات، وعربية في الكماليات التي تقتضيها الحضارة والترف كالغناء والموسيقى والشعر..."[4]

ولذلك ليس صدفة كما قال السيد عمار اوزيقان" أن تغذي اللغة العربية اليوم شعور الانتماء إلى الوطن الجزائري، كما كانت تحي، منذ ألف سنة، حركة التوحيد اللغوي في الدولة الفاطمية أو دولة الموحدين."[5]

كما اعتبرت الثقافة العربية بمثابة مقوم أساسي للشخصية الجزائرية ، ولهذه الثقافة خصائصها المميزة التي تتمثل في عدد من الخصائص منها:

1- عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان، إمام الجزائر الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، ص 76 .

2- أنظر أحمد نعمان : كيف صارت الجزائر مسلمة عربية ص 23 .
3- الشيخ البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، جزء 2، ص 478، .479
4- الشيخ البشير الإبراهيمي، المصدر السابق، ص 478 .
5- عمار أوزيقان، الجهاد الأفضل، دار الطليعة بيروت .

- أنها ثقافة عربية تشكل اللغة العربية إطارها، وهي لغة ذات تاريخ قديم متصل الحلقات، كما أنها ثقافة سايرت الحضارة ونظمها، وكانت أداته طيعة في الزيادة من إنتاجها الثقافي في ميادين الأدب .

- خصوبة التراث الفكري العربي الإسلامي في الجزائر والعالم العربي .

- إن لهذه الثقافة آدابها وفنونها، وآثارها التي انطبعت بطابعها الخاص، وتأثرت بظروفها ومزاجها،وترجمت عن أطوار حياتها، وتاريخها.

- تمتاز الثقافة العربية عن غيرها من الثقافات الأخرى ،بأنها ثقافة محررة، لأنها كانت وسيلة لتحرير الشعوب التي تقبلتها من الخرافات والوثنيات، والعصبيات والمظالم، وطريقا إلى إيقاظ الوعي في هذه الشعوب وتغذيتها بمثل أخلاقية جديدة، وفلسفة في الحياة والاجتماع متميزة.[1]

ج- التاريخ الوطني :

نظر المثقفون الجزائريون إلى التاريخ الوطني والقومي للجزائر على أنه يشكل مقوما أساسيا من مقومات الهوية الوطنية، ينبغي الدفاع عنه والذود من أدبي

اته، فأمة بلا تاريخ هي أمة بلا ذاكرة ، وأمة بلا ذاكرة فهي لا محالة أمة غير واعية لواقعها ومستقبلها عرضة للاضمحلال والتلاشي.

- وحتى يمكن للاستعمار أن يثبت وجوده راح قادته و مفكروه يعملون على محاولة التشكيك في امتزاج العنصرين العربي والبربري ساعين إلى إبراز وجوه الخلاف في التقاليد والعادات والطباع والأخلاق، والادعاء بأن البربر الذين فتحوا الأندلس وغزوا فرنسا وفتحوا ايطاليا إنما كانوا برابرة مسيحيين ينحدرون من شعوب أوروبية أصلا والادعاء بأن البربر شعب مستقل عن العرب الغزاة.[2]

بل أن هذا الاستعمار قد أقدم على تنفيذ خطة دنيئة تتمثل في تهديم المعالم والشواهد التاريخية الجزائرية والسعي إلى طمس كل ما له صلة بإسلام الجزائر وعروبتها عبر التاريخ، وتقوم هذه الخطة على:

1- تهديم المدن العربية الجزائرية بقصورها ومساجدها ومدارسها ومعاهدها وإحلال المدن المبنية على الشاكلة الأوروبية محلها.

2- استغلال المحتلين الفرنسيين على الآثار المكتوبة والمتعلقة بتاريخ الجزائر.

3- دراسة الآثار المكتوبة والتركيز على الجوانب السلبية والسيئة منها ، ثم ترجمتها ونشرها، وتلقح بلقاح الاستعمار ، وتضاف إليها بعض االنصوص المشوهة مما كتبه غلاة المسيحيين في الجزائر في العصور الوسطى.

1- د/ تركي رابح، التعليم القومي..ص 58- 59 .
2- أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1385 هـ/ 1965م ص 96 .

- الإنكار التام للتاريخ الجزائري، والادعاء أن الجزائر ليس لها، ولا لأهلها تاريخ يمكنها أن تفتخر به وتعتز به . (1)

- وقد رد الأستاذ محمد السعيد الزاهري على تلك الأطروحة الاستعمارية التي تذهب إلى أن البربر أصلهم لاتيني كاشفا زيف هذا الادعاء مبينا نسب البربر إلى أرومة الأمة العربية فعنده أن القول بأن البربر هم من أصل لاتيني لم يقم عليه دليل يؤبه له من العلم والتاريخ، وقد عمد أصحابه إلى النقوش والصور التي لا يزال بعض البربر إلى الآن يضعونها على الأواني فقالوا: أنها تشبه بعذ الوجوه التي وجدت في ايطاليا ، مما يدل على أن البربر من أصل لاتيني.

ويزعمون أن البربر، حينما كانوا لاتين وكانوا نصارى ، نبغ منهم رجال في السياسة والدين، وأنهم بعد أن صاروا عربا مسلمين انحطوا وتأخروا وزعم المؤرخ الفرنسي(رن) أن البربر كانوا أوزاعا بين الأمم والشعوب وقال أن أكثرهم هنود وآريون.

ويرى الأستاذ الزاهري أن ما تواتر عليه رأي المؤرخين هو أن البربر يجمعهم جذعان عظيمان هما: البتر والبرانس وهما من عرب اليمن تركهما افريقش (أحد تبابعة اليمن) في ليبيا هذه التي سميت باسمه إفريقيا فيما بعد وذلك حينما رجع من غزوها .(2)

ويظهر مفهوم الشيخ ابن باديس في منظوره الديني إلى أن وجود عنصرين في التركيبة السكانية للجزائر لا يمثل أي إشكالية ذلك أنه عبر التاريخ ساهم" الأمازيغ(البربر) إلى جانب العرب في بناء صرح الحضارة الإسلامية ، فاستحقوا بتوتها على قدر المساواة دون تفرقة أو تمييز، وواقع الجزائر أكبر دليل على ما يقدمه، كما أنه أكد أنه: ليس تكون الأمة يتوقف على اتحاد دمها، ولكنه متوقف على اتحاد قلوبها وأرواحها وعقولها اتحادا يظهر في وحدة اللسان وآدابه واشتراك الآلام والآمال .(3)

ويدعم الشيخ ابن باديس نظرته هذه بالحديث النبوي الشريف " وليست العربية بأحدكم من أب و لا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي .(4)

ويؤكد الشيخ ابن باديس على الامتزاج الحضاري بين العرب والبربر في بوتقة واحدة فيقول" وقد كتب أبناء يعرب وأبناء ما زيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما آزاقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله، وما أسالوا من محاربهم في مجالس الدرس لخدمة العلم، فأي قوة بعد هذا القول تستطيع أن

1- عبد الوهاب بن منصور، التاريخ المفترى عليه، أكتوبر 1952 ، جريدة البصائر ، عدد 204.
2- أنور الجندي، الفكر والثقافة، ص 98 .
3- ساجد احميد عبل، الشيخ عبد الحميد بن باديس والوعي القومي العربي ، مجلة المستقبل العربي عدد 254، أفريل 2000، ص 61-62

4- أنظر دعب

ل، المرجع السابق، ص 62

تفرقهم؟" لم يفترقوا وهم الأقوياء، فكيف يفترقون وغيرهم القوى، كلا ، والله بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم وقوة ترابطهم" .[1]

وقد جاء تأكيد الشخصية الجزائرية كرد فعل لبروز مسألة الظهير البربري[2] من قبل إدارة الحماية في 16 ماي 1930م و يقضي هذا القانون بمنح الجماعة المحلية صلاحيات قضائية وإنشاء محاكم لا تسند في أحكامها إلى الشريعة الإسلامية ، ولكن إلى العادات والتقاليد البربرية كما يقضي بإنشاء محاكم استئناف صلاحياتها تشمل الأنشطة المدنية والتجارية و الأحوال الشخصية والإرث أما الجنح فيتولاها

التشريع الفرنسي، مما رتب على ذلك أن شن رجال الإصلاح الديني حملة شعواء ضده.[3]

وقصد تعزيز التاريخ الوطني الذي يشكل أحد مقومات الشخصية الجزائرية في أوساط المجتمع راح بعض المؤرخين الجزائريين يبذلون قصارى جهدهم من أجل إحياء مآثر التاريخ الجزائري عبر العصور، بعد أن حاولت الأقلام الاستعمارية تحريفه وتشويهه وفق ما يستجيب لأغراضها ومخططاتها، وهذا ما يظهر في كتابات الشائخ الثلاثة: مبارك ألميلي، وأحمد توفيق المدني، وعبد الرحمن الجيلالي، الذين كان قصدهم الظاهر والباطن من تأليفهم هو تعميق البعد الوطني وإبراز الجزائر كأمة مثل كل الأمم، في كل العصور التاريخية.

فالأستاذ العلامة مبارك الميلادي كشف من خلال مؤلفه" تاريخ الجزائر في القديم والحديث في ذلك الوقت العصيب" إن الجزائر لم تمت وأن أهلها لم يفرطوا في ذات لغتهم، ولا في ذات تاريخهم، بل أن تشبثهم بأصالتهم الجزائرية ازداد، وحرصهم على دينهم تضاعف، ورغبتهم في معرفة كل ما يمس حضارتهم أو ما يمت إليها قد اتسعت على نحو عجيب."[4]) مقدما الكتاب هدية لشعبه الناهض اننا نكرس كتابنا و نهديه الى الشعب الجزائري و الى شبابه المفكر و الى رجاله الذين يناضلون بكل اخلاص)[5]

ومن هنا نجد كتاب ألميلي يهدف إلى تلبية حاجة أكثر منه رغبة في التأليف من أجل التأليف" فقد نظر ، فيما يبدو في أمر هذه الأمة الجزائرية فوجد فيها نزوعا إلى الحرية، وآنس منها تشبثا بدينها ولغتها وحضارتها

1- دعبل، المرجع السابق، ص 62

2- هو إقرار العرف في المناطق البربرية، وقد صدر الظهير الأول سنة 1914 م بايعاز عن المقيم العام ليوني ثم صدر الظهير الثاني سنة 19922م، ويتضمن تأسيس محاكم عرفية تقضي حكم الشريعة الإسلامية ، ثم صدر الظهير الثالث سنة 1930 وفيه اقصاءا الشريعة الإسلامية إقرار العرف وتوسيع مجال القانون الفرنسي، قوبل بالرفض من كل فئات الشعب المغربي للمزيد أنظر عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب ص 69 وما بعدها.

3- دعبل، المرجع السابق، ص 62 .

4- عبد الملك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص 188 .

5Saad eddine Bencheneb quelques historiens arabes modernes de l'Algerie revue africaine n°91(1956) p492

وتقاليدها فعلم أنها مغتفرة إلى كتاب في تاريخها يوضوح لها هذه المعالم ويبين لها تلك السبل خير تبيان.لأن المفكر والمؤرخ لا بأمن أن ينقلب أمر الأمة إلى غير ما كانت عليه، ويتغير على نحو سريع،بفعل التأثيرات الدعائية الاستعمارية أو بفعل التطور الحضاري، فإذا ما كان الجد يراه أن مثلا أعلى ويراه الأب مبدأ مقدسا، يراه الابن شيئا خسيسا من خرافات المخرفين، وشعبذة المشعبذين لا معنى له على الإطلاق"[1] بل أن هذا التأليف التاريخي عن الجزائر عبر عصورها وقيمته النفسية والروحية والأخلاقية يكاد يساوي ثورة عسكرية قائمة بنفسها ضد الاستعمار.

وعلى أن الثورة العسكرية يمكن أن تقمع بشوكة السلاح، أما الأفكاروالمبادئ، فإنها لا تموت بموت أصحابها، ولكنها تظل بعدهم حية نابضة بالحياة، تستثير النفوس فتثور، وتدفعها فتندفع، وتقودها فتنقاد[2]

ولقيمة هذا التأليف التاريخي فقد نوهت به الصحافة الوطنية ، كما أولته الصحافة التونسية أيضا عناية خاصة ورأت فيه بادرة تحول في خطة رجال الجمعية ، واعتبرته من الأعمال الجليلة التي جاءت في إبانها، لا تسد النقص الذي نشكو منه المكتبة الجزائرية فحسب، وإنما اعتبرته ضربا من ضروب المقاومة، وتصويبا للأخطاء والمغالطات التي نقصد إليها الأجانب من المستعمرين في خطة مبيتة لتشويه تاريخ الجزائر ، وعدت الصحافة التونسية ظهور هذا الكتاب بداية نهضة حقيقية قائلة بهذا الصدد:" نهضت الجزائر نهضة مباركة منذ سنوات قليلة ، وشعرت بأن الخطوة الأولى في سبيل النهوض لابد أن تعتمد على الأدب الذي هو قوام الروح وغذاء الفكر ، والدافع الأقوى إلى المشي نحو الأمام،[3] ثم يضيف"...قبل هذا الوقت .

كانت الجزائر لا تملك كتابا يحوي صحفا من تاريخها، ولا يعلم أبناؤها العالم منهم وغير العالم بما كان ماضيا زاهرا أوغير زاهر،حتى صدر كتاب(موجز التاريخ العام للجزائر)و(قرطاجة في أربعة عصور)[4]أخذت الأمة الجزائرية تشعر بذاتيتها، وتعلم أن لها مركزا بين الأمم كريما مشرفا، فبعث في همة أبنائها وحملهم على التأليف في تاريخها.[5]

وقد كان هذا الكتاب يهدف إلى تنوير الجزائريين الذين تقبلوه وأثنوا على صاحبه وبينوا قيمته.

1-مرتض، المرجع السابق، ص 188 .

2- نفس المرجع السابق، ص 189 .

3- محمد صالح الجابري، المؤرخ الجزائري مبارك ألميلي في الصحافة التونسية ، مجلة الثقافة الجزائرية عدد 102 (1989) ص 21 .

4-طبع بتونس سنة 1927 و كان الهدف المدني من تأليفه هو الإشادة برسوخ قدم هذه البلاد في مقاومة الاستعمار منذ فجر التاريخ وتقويض أسطورة التأثير المدني الروماني التي يتغنى بها المستعمرون الفرنسيون وبيان الأصول الواحدة للعنصرين الرئيسيين البربر و العرب اللذان حققا سعادة و وحدة البلاد منذ التحامهما إلى الأبد.

5- الجابري المرجع السابق ص 22

أما الإدارة الاستعمارية فقد فزعت وتوجست من هذا الكتاب خيفة حيث اهتمت التقارير الاستعمارية بمضمون ومحتوى هذا الكتاب، حيث اعتبرت الكتاب بمثابة المصنف المعتمد لدى طلاب المدارس الحرة،ونقلت من مقدمة الكتاب أنه في الوقت الذي حضرت فيه قرطاجة(1) البربر عمدت روما إلى إعادتهم إلى التخلف[2]كما راح التقرير يستحضر شواهد عديدة من الكتاب ليدلل على مدى خطورته كالحديث عن البطل يوغورطا والملك يوبا، وتاريخ الرمان في بلاد المغرب، وصمود المقاومة في مواجهته، وعدم الإذعان له[3]

كما يعد كتاب الجزائر" للأستاذ أحمد توفيق المدني الذي صدر سنة 1931م، إسهام كبير في عملية الإحياء التاريخي للجزائر.

وجاء هذا الكتاب التاريخي القيم في وقت كانت فرنسا قد أحيت الذكرى المئوية للاحتلال زيادة على إمعانها في تزييف وتحريف تاريخ الجزائر يقول الأستاذ المدني"...لقد كان كتاب الجزائر فتحا مبينا، نزع عن الشعب كل الشعب، غشاوة الجهل المطبق الذي فرضه الاستعمار، فيما يتعلق بالبلاد الجزائرية ،وكشف الزيف الاستعماري الخبيث الذي وضع الأباطيل والخرافات موضوع الحقائق وقد أطلقت لقلمي العنان فسجلت تاريخ البلاد الجزائرية، من أقدم عصورها إلى سنة 1830م كما يجب أن يسجل مطهرا من الكذب ومن الزيف الاستعماري."[$]

ثم راح يكشف عما وقع للجزائر في ظل السياسة الاستعمارية فيقول:"....ثم كان قسم الحالة الحاضرة بالبلاد الجزائرية سنة 1930م فأطنبت في ذكر النظام الإداري والسياسي والمالي والاقتصادي والقضائي وبينت خلو كامل ذلك النظام من العنصر الجزائري، وأخيرا كان فصل الختام، حالة المسلمين العامة، فذكرت فيه بإطناب وضعيتهم القانونية الحائرة المذبذبة، وقضية التجنس الفرنسي والحالة الصحية والعمال والمرآة والموسيقى ، والتمثيل والصحافة وحالة الدين الإسلامي وختمت بذكر الحالة الاقتصادية والعامة.

لقد كنت خلال ذلك كل ذلك صريحا أقول كلمتي التي اعتقدها ، مهما كانت قاسية ومهما كانت شديدة وأبدى فكري علنا في انتقاد الحالة بصفة موضوعية علمية ، وابشر بالمستقبل السعيد، القريب.في دائرة العروبة والإسلام والوطنية ..." [5]

1- الف المدني مسرحية حنبعل التي عرضت في الجزائر مع نهاية الاربعينات و يدور موضوعها حول البطل حنبعل ال>ي حارب الرومان ال>ي انتصر عليهم في معارك كثيرة قبل ان ينهزم في الاخير و المسرحيه عبارة عن تمجيدات و تقديسات للوطنية و الكفاح وكان المدني كان يكتب عن مجاهد جزائري لا عن مكافخ افريقي قديم و قد ختم مسرحيته به>ه التسبيحة على لسان اللكة الاغريقية هيلانا(لتعلم الامم و ليسجل التاريخ انه لا عظمة و لا مجد و لا خلود الا لمن عاش مجاهدا في سبيل الحرية و مات شهيدا في سبيل الوطن، انظر مرتاض : فنون النثر ص 206)

2-أنور الجندي، الفكر والقافة في شمال افريقيا، ص 296

3- أنظر تقرير فرنسي عن أهمية هذا الكتاب . A .O . M . 9 H 46

4- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر ، ص 198

5- المدني : المصدر السابق ص 199 .

وقد اعتبر المستشرق الأستاذ ديبارمي هذا الكتاب بأنه ألف بخلفية سياسية وطنية ولم يكن تأليف من اجل التأليف .[1]

وكتب التقارير الفرنسية تبرز أهمية الكتاب وخطورته على مستقبل الوجود الفرنسي في الجزائر فقد ذكرت أحد التقارير تكشف عن مستوى الكتاب مركزة على المحاور التي تبرز الهوية الجزائرية . مع ذكر خاتمة الكتاب بكاملها ، هذه حياة الجزائر الإسلامية يا أخي بين يديك وأنمت سليل الأبطال ، وفي عروقك يجري دم عظماء الرجال ، فارفع جرائرك عاليا وسر بها والله يرعاك في طريق النهضة الكبرى ، النهضة القومية العربية الإسلامية ، وإذا ما هتف الناس بحياة أوطانهم ، فلترفع الرأس شامخا ، والعزة والكرامة ملء جوانحك ، ولتهتف على رؤوس الملأ بصوت سمعه كل الناس : لتحيا الجزائر الخالدة ..." [2]

وفي تقرير من السيد مدير الشؤون الأهلية بالجزائر إلى الكاتب العام للحكومة مؤرخ بالجزائر في 9 جوان 1932 م كان الموضوع " كتاب الجزائر " للمدني ، جاء فيه أن المؤلف المنفي من الايالة التونسية منذ سنوات بسبب مساهمته في الحزب الدستوري المؤلف لكتاب الجزائر قد تلقى عنه استفسار من المقيم العام الفرنسي بتونس يسأل فيه عن الترخيص لنشر هذا الكتاب الذي يحتوي على انتقادات سياسية للوجود الفرنسي .[3]

وقد عمد التقرير إلى ترجمة مقتطفات من الكتاب يدلل فيها على مدى خطورته على الوجود الفرنسي في الجزائر في أكتوبر 1871 م ، ونزول القوات الفرنسية في الجزائر 1830 م ، الحضارة الإسلامية في الجزائر ، السياسية الاستعمارية .[4]

- كما أسهم الشيخ عبد الرحمن الجيلالي هو الأخر في إثراء التاريخ الوطني القومي للجزائر من خلال كتابه " تاريخ الجزائر العام " الذي استفاد صاحبه كثيرا من أخطاء من سبقه إلى الميدان ككتاب الشيخ الميلي ومن ثمة فقد جاء تاريخه أي الجيلالي أغزر مادة وتمسك بالمنهج العلمي ، والعرض التاريخي من تاريخ الميلي فعندما تقرأ تاريخ الجيلالي تجد نفسك أمام مؤرخ غني ،يريد أن يطلعك على كل شيء ويريد أن يجعلك تلم بما ألم وتفيد من كل ما قرأ أو درس من كتب تاريخية وغير تاريخية فالتاريخ للأمة الجزائرية وحدها ، ولكن الجيلالي لم يقتنع بهذا فمضى يتحدث لك عن الأمة العربية بوجه عام وأنهــا أعقــل الأمــم

1- voir des parmet – A – F – 1933 .

2- أنظر تقرير فرنسي يبرز أهمية الكتاب . A .O . M . 9 H 46

3- أنظر تقرير مرسل من مدير الشؤون الأهلية بالجزائر الكتاب العامة للحكومة حول " كتاب الجزائر " مؤرخ بمدينة الجزائر في 9 جوان 1932 م . A .O . M . 9 H 46

4- المصدر السابق . A .O . M . 9 H 46

و أرقاها تفكيرا[1].

ومن ثمة فإن قيمة الكتاب تكمن في موسوعيته وشموليته ، تمكن كل مطالع من الإحاطة علما ليس فقط بتاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى العهد العثماني بل يأخذ فكرة عامة من التاريخ العربي الإسلامي والدول التي اعتورت أرض الجزائر خلال العصور التاريخية المتباعدة[2] .

و كان قصد الجيلالي من ه<ا التأليف هو ابراز أهمية التاريخ في تنمية الحس الوطني و دلك من خلال(حمل الشاب الجزائري على احترام بلده و تمجيد تاريخه المشع لكي يمتلك في نفسه الثقه و تنغرس فيه الروح لبوطنية و تأهيله لربط حاضره بماضيه)(3)

ورغم أهمية الكتاب في تقرير الهوية الوطنية للجزائر إلا أنه لم يسلم من النقد . من خلال ذلك التتبع الدقيق لفصوله والكشف عن تلك المتالب التي يمكن أن يكون الجيلالي قد وقع فيها ، أو أن توجهها العام لم يكن ليستنس بها أو يرضى بها كل المثقفين من قبل الأستاذ محمد علي دبوز(4) الذي اشتعل هو الآخر بالكتابة التاريخية الوطنية على شكل مقالات في جريدة البصائر الثانية قبل أن يبرز بعد ذلك كمؤرخ عصامي من خلال مصنفه الكبير " تاريخ المغرب الكبير "

وإبان قضايا تاريخية غاية في الأهمية تعكس حذق هذا المؤرخ ومراسه وامتلاكه للحس النقدي التاريخي فقد تناول في الحلقة السابقة من سلسلة حلقات عرضه وتقييمه لتاريخ الجزائر العام أسباب ثورة البرر على الأمويين ، حيث نبه إلى ذلك الإغفال الحقيقي عن خلفية الثورة البربرية يتعمد الشيخ الجيلالي المرور مرار الكرام على فترة حكم الولاة السبعة الذين جاؤا عقب حسان بن النعمان ، والأوضاع السياسية التي عرفتها بلاد المغرب سيما فترة حكم الوالي عبيد الله بن الحبحاب الذي وقعت الثورة في عهده .[5]

وكشف الأستاذ ديوز غي العدد 328 من "البصائر" الثانية وهو العدد الذي أنهى به عرضه وتقييمه للكتاب أن الأستاذ الجيلالي جانب الحقيقة عندما اتهم البربر بالفوضى وأنهم قوم لا يرضون بأي سلطة ، فابتعد عن الصواب كل الابتعاد وظلم البربر ظلما لا يغتفر وشتم نفسه شتما لا يرضاه غيور وأورد كلاما لا يؤيده ما أورد في كتابه من وصف جميل لدول البربر فناقض نفسه مناقضة شنيعة وحشر في كتابه ما لم ما لم يتدبر معناه ولم يعرف مصدره .[6] ودلل على ذلك بما ذكره عن أسباب سقوط الأدارسة حيث عزا ذلك إلى البربر وهذا كلام غير صائب حسب ديوز ذلك أن البربر أحبوا دولة الأدارسة لعدل أئمتها فتشبثوا بها ولم يثوروا عليها ولم يخدلوها .[7]

1- أنظر مرتاض المرجع السابق ص 221 . 2- مرتاض المرجع السابق ص 224 .

3 Mahieddine Djender introduction à l’hustoire d’algerie d’algerie, SNED, Oran, 1968, p124

4 ولد ببريان 1919 درس بمسقط رأسه ثم بالقراره انتقل بعدها الى تونس حيث درس عاما واحدا بالزيتونة ثم يمم وجهه مصر التي بقي بها خمس سنوات قضاهما في البحث و التحصيل عاد الى الجزائر سنة 1948 حيث اصبح مدرسا بمعهد الحياه بالقرارة كما اهتم بالتأليف في التاريخ من مؤلفاته تارتخ المغرب الكبير في عدة اجزاء توفي رحمه الله سنة 1981 انظر فظلاءو من أعلام الاصلاح، ج 1 ص 131 و ما بعدها

5- أنظر جريدة البصائر عدد 321 جوان 1955 م .6- جريدة البصائر عدد 328 جويليه 1955 م .7- المصدر السابق .

والأكثر من هذا يؤاخذ الأستاذ دبوز الشيخ الجيلالي على نسبه للبربر الفوضى المقرونة بحب الحرية المفرط فيها . يقول على لسان الجيلالي في كتابه "...وكل ه الوقائع نشأت كما ذكرنا آنفا عما جبلت عليه أخلاق البربر وما تركز في غريزتهم من حب الحرية إلى حد الفوضى وكراهية السلطة عليهم كيفما كان نوعها ..." ويرد الشيخ ديوز على ذلك بقوله "...وأنا لا أتعب التقس بالرد على هذا البهتان أنه من أكاذيب الأوربيين الذين نظروا إلى ثورات البربر على الرومان والبزنطيين نظرات استعمارية فوصفوهم بعدم التشبث بالنظام وأنهم فوضويون ..." [1] ثم يكشف الأستاذ دبوز حقيقة البربر داحضا أكاذيب الأوربيين التي تسم البربر بالفوضى وعدم الإيمان بالحضارة فيقول "...وقد أورد عبد الرحمن الجيلالي هذه الغربة الأوربية فلم يتوقف في هذا التقليد ...ولم ولو تدبر أقل تدبير لرأي البربر مثالا للثبات والنظام وحب الهدوء وأن ثوراتهم كلها كانت للدفاع عن النفس أو للمنافسة ، ولو كان البربر حجرا متقلبا ما ثبت عليه بنيان وقد رأينا دولهم الكبرى قبل الإسلام ، والغريزة فيهم لا يقودها الدين وطبعهم لم تداخله السماء ودولهم الشاسعة الأطراف في الإسلام كالدولة الرستمية ودولة المرابطيين ، ودولة الموحديين، ودولة بني حماد ..." [2]

هذا ولم يمنع الأستاذ ديوز في الأخير أن يبدي رغم كل ما ذكره من إعجاب بالكتاب ودعوة لاقتنائه "...شكر الله للأستاذ ما أحيا من تاريخ المغرب لا يزال تلاعا صعبة وغابات شائكة لا يدرك عناء الاقتطاف منها إلا من حاوله .

ونرجو أن يدرك المثقفون في الجزائر جدوى هذا الكتاب النفيس وضرورته لهم فيتسابقوا لاقتنائه ، ويبدون حماسا نحو الكتاب كالذي أبداه الأستاذ لوطنه المغرب فقدم إليه هديته . [3]

إن سعي المثقفين المؤرخين الجزائريين في ترسيخ التاريخ الوطني شكل أكبر الأثر في تعزيز الهوية الوطنية بكل أبعادها الحضارية في نفوس الجزائريين الذي لا شك بانه يعد المفتاح الحقيقي لدوائر الإنتماء الحضاري بالنسبة للجزائر ، في فضائها العربي الإسلامي والتي وضع الشيخ ابن باديس أطرها التي تتمثل في دوائر الانتماء الحضاري بالنسبة للجزائر يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس " ...وأقرب هذه الأوطان إلينا هو المغرب الأدنى والمغرب الأقصى اللذان ما هما والمغرب الأوسط إلا وطن واحد لغة وعقيدة وآدابا وأخلاقا وتاريخا ، ومصلحة ، ثم الوطن العربي ثم وطن الإنسانية العام ...نعم إن انا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال ، ونحن فيما نعمل لوطننا الخاص نعتقد

1- المصدر السابق .

2- المصدر السابق .

3- المصدر السابق .

أننا لا بد أن نكون قد خدمناها وأوصلنا إليها النفع والخير عن طريق خدمتنا لوطننا الخاص وأقرب هذه الأوطان..." [1]

الهوية والوحدة العربية الإسلامية :

نظر المثقفون الجزائريون إلى مسألة الوحدة العربية الإسلامية نظرة واقعية بعيدة كل البعد عن كل طرح طوباوي وعاطفي . حيث كان لسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية سنة 1924م[2] منعطفا تاريخيا حاسما في تاريخ الشعوب العربية والإسلامية ، لم يترك لأي أحد خيارا في الطريقة التي يحافظ بها على كيانه الحضاري إن لم نقل على وجوده الإنساني ، فقد تأكدت القناعة بأن عناية كل قطر إسلامي بشؤونه خير من جدل عقيم يدور حول مسألة جمع أمور المسلمين في دولة واحدة في ظل ظروف سياسية صعبة وغير مشخعة صار فيها التشرذم والتفرق هو أبرز السمات الظاهرة على قسمات العالم الإسلامي ثم أن تصدي الغرب المسيحي لأي وحدة عربية إسلامية ما كان ليترك فرصة لأي مسعى في هذا السبيل ، وما اجهاض الغرب (فرنسا ، بريطانيا) لتجربة محمد علي في مصر والشام إلا الأخير دليل على ذلك :

أ- فالبنسبة لمسألة إعادة الخلافة الإسلامية : فإننا نجد الدعوة إلى إحيائها وبعثها من جديد لم يعد لها معنى،ولا دلالة وهكذا ترسخت القناعة عند الشيخ ابن باديس الذي ساءه كثيرا مشهد سقوط الخلافة بأن ما اعتبر في نظر جمهور المسلمين بأنه خلافة إسلامية لم يكن إلا حكما صوريا وشكليا بعد ان فقد الكثير من شروطه ومبررات وجوده(3) بل بدا وكأنه مخدر للمسلمين مما هم فيه من ضعف ووهن ، فلم يعودوا يبحثون عن سبيل لترقية أوضاعهم ، بل أن هذا التثبت به جعلهم تحت طائلة الرقابة الأوربية في كل حركاتهم وسكناتهم "...إن الخلافة هي المنصب الإسلامي الأعلى الذي يقوم على تنفيذ الشرع وحيا طه بواسطة الشورى من أهل الحل والعقد من ذوي العلم والخبرة والنظر وبالقوة والقواد وسائر الدفاع . ولقد أمكن أن يتولى هذا المنصب شخص واحد صدر الإسلام وزمنا بعده – على فرقة واضطراب – ثم قضت الضرورة بتعدده في الشرق والغرب ثم انسلخ من معناه الأصلي ، وبقي رمزا ظاهريا تقديسا ليس من أوضاع الإسلام في شيء ، فيوم ألغى الأتراك الخلافة – ولسنا نبرر كل أعمالهم- لم يلغوا الخلافة الإسلامية بمعناها

1- أنظر الشيخ ابن باديس : حياته وآثاره مجلد 2 ج 3 ص 237 .

2- من أهم الأسباب التي أدت إلى إنهيار الدولة العثمانية وتلاشيها أنظر ما كتبه الدكتور حسان حقي كملاحق مقالة لكتاب الدولة العلية العثمانية للأستاذ : محمد محمد فريد بيك المحامي من 715 وما بعدها .

3- لعل الشيخ عبد الخميد بن باديس قد أدرك بان سقوط بلده الجزائر كأول ضحية للاستعمار في غياب أي تحرك عربي و اسلامي ملموس لا من داخل الخلافة العثمانية و لا من خارجها هو كاف للدلالة على مبلغ التضعضع الدي آل اليه امر المسلمين الدين كانوا يتفرجون على سقوط مماليكهم و كياناتهم السياسية المستقلة الاحدة تلو الاخرى و أن التشبث بخيار الخلافة في وضعها الحالي لا يزيد المسلمين الا تخديرا و بعدا عن معالجة واقعهم معالجة صحيحة تجنبهم مغبة السقوط و مزيدا من الضياع لسيادتهم

الإسلامية بمعناها الإسلامي ، وإنما ألغوا نظاما حكوميا خاصا بهم وأزالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى وحاربتهم من أجله الدول الغربية المتعصبة من شبح الإسلام ..." (1)

ورفض الإمام ابن بأديس ما كان يروج له بعض العواصم العربية والإسلامية من دعوات إلى تنصيب هذا أو ذاك كخليفة للعرب والمسلمين فقد رأى في ذلك تكريس لحالة الانحطاط ومحافظة على أوضاع لا تكون في خدمة إلا الدول الغربية الاستعمارية يقول الشيخ ابن باديس "...قد زالت الخلافة بالمعنى الحقيقي ، والمعنى الصوري فلنعلم أنه لا خلافة بعد اليوم ، ولنرفض كل خليفة تشتم منه رائحة الأجنبي كائنا من كان ، ولتعمل كل أمة إسلامية على النهوض بنفسها إزاء التعارف والتعاضد على الحق مع إخوانها حسب الإمكان ولا يكونن مع ما وقع مضعفا لعزائمنا لأعمالنا ما دام الإسلام ديننا وهو الرابطة العظمى التي تربطنا والجامعة الكبرى التي تجمعنا ..." (2)

وأمام السخط الذي أبداه الرأي العام الإسلامي بسب إلغاء الخلافة في ذلك الوقت و الذي كان شيئا طبيعيا وكان من الطبيعي كذلك أن تنصب الانتقادات اللاذعة على رأس النظام العلماني الذي جاء إثر سقوط دولة الخلافة وقد انتبه الشيخ ابن باديس إلى هذه المسألة ورأى في شخص أتاتورك ليس ذلك الرجل الذي انقلب على نظام صار شكليا من زمان ولكن فكرة السلطان ظل الله في الأرض اخفت عليهم الحقائق المرة – ولكن نظر إلى أتاتورك من الناحية الواقعية العملية وهي أن جزءا من بلاد الإسلام قد جنبها لبطولاته العسكرية من مهاوي السقوط في قبضة الأوربيين وفي هذا الصدد "...فابن باديس يريد أن يقول هنا بأن مصطفى كمال غير مسيرة تركيا ومعها الشرق بانقاضهما من السقوط وربما من الزوال وأعاد لهما الحياة ودفع بهما إلى الأمام ..." (3)

وأكد أن مصطفى كمال قد بعث الشرق الإسلامي وتركيا من جديد ولولاه لما بقي لهما من أثر ، ذلك أن تركيا كانت هي حامية الشرق الإسلامي من العدوان والاستعمار النصراني فلما ضعفت وخرجت منهزمة من الحرب الكبرى قامت الدول الكبرى بتقسيم والاستيلاء على الأمم الشرقية .(4)

وفي نظر الشيخ ابن باديس فإن ثمة أسباب أدت إلى هذا الانقلاب "...ولكنني أرى من المناسب أو من الواجب أن أقول كلمة في موقفه إزاء الإسلام ، فهذه هي الناحة الوحيدة من نواحي عظمة مصطفى أتاتورك التي ينقبض لها قلب المسلم ويقف متأسفا ويكاد يولي مصطفى في موقفه هذه الملامة كلها حتىيعرف المسؤولين الحقيقيين الذين أوقفوا مصطفى ذلك الموقف فمن هم هؤلاء المسؤولون ؟

1- أنظر د / فهمي جدعان : أسس النقدم عند مفكري الإسلام ص 345 .

2- أحمد صاري : ابن باديس ومسألة إلغاء الخلافة مجلة الآداب والعلوم الإنسانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة العدد 1 محرم 1423 ه / أفريل 2002 م ص 145 .

3- نفس المرجع .

4- أنظر د / صاري نفس المرجع ص 147 .

هؤلاء هم : خليفة المسلمين ، شيخ إسلام المسلمين ومن معه من علماء الدين ، شيوخ الطرق المتصوفون الأمم الإسلامية التي كانت تعد السلطان العثماني خليفة لها. حيث قدم الشيخ ابن باديس شواهد عن خيانة هؤلاء يقصد الخليفة وشيوخ الصوفية المتواطئين مع الإنجليز ضد بلدانهم ودينهم .
ورغم هذا فإن الشيخ ابن بأديس لا يبرر لأتاتورك إقدامه على تعطيل مجلة الأحكام الشرعية وتهجمه على التقاليد الإسلامية .[1]

كما تعجب الشيخ عبد الحميد ابن باديس لموقف بعض علماء الأزهر الشريف وعن رجال السياسة في ذلك الوقت إزاء قضية الخلافة وتمسكهم بمنصب الخليفة وهم يعلمون أن الإنجليز ما اهتموا بقصة الخلافة إلا لجعلها وسيلة لانشغال الشعب عن التفكير في الاحتلال الإنجليزي فيقول:"ليس عجيبا من تلك الدول أن تحاول ما حاولت وغاياتها معروفة ومقاصدها بيّنة وإنما العجب أن يندفع في تيارها المسلمون وعلى رأسهم أمراء وعلماء في الشرق والغرب وتهتم له صحافة الإنجليز على الخصوص يتحدثون في مصر وفي الأزهر عن الخلافة كأنهم لا يرون المعاقل الإنجليزية الضاربة في ديارهم"[2]

ونستشف من خلال ما سبق تناوله في مسألة الخلافة وأتاتورك أن الأمر يكاد يقترب في تطابقه مع ما وقع في أوربا الحديثة والمعاصرة من رده فعل قوة على الكنيسة المتحالفة مع الملكية والإقطاع في القرون الوسطى ، ولذلك نجد الشيخ ابن بأديس يرجع أسباب هذه الحماقات المرتكبة ضد الإسلام من قبل الكماليين إلى المسلمين أنفسهم ، وحاول أن يقدم تفسيرا منطقيا لمجرى الأحداث في سياقها التاريخي ، إذ لا يعقل أن تقيم الدنيا ولا نقعدها على ما جاء كتحصيل حاصل وندع الأوضاع على ما هي عليه في انحطاطها وتخلفها في كل المجالات من دون محاولة تغيرها .

ومما ذكرناه يمكن القول بأن الوحدة الإسلامية بنمطها التقليدي في إطار الخلافة الإسلامية لم يعد في منظور رجال النهضة الجزائرية يستجيب لمعطيات العصر ، بعد أن افتقدت الكثير من شروط عودة دولة الخلافة الإسلامية ، بعد أن أطبقت أوربا على أغلب أنظار العالم الإسلامي وهذا الموقف من العلماء الجزائريين إزاء سقوط الخلافة هو نفس الموقف الذي اتخذه الشيخ عثمان ابن الخوجة من علماء الزيتونة حسب ما جاء بجريدة " الزهرة " يقول : لأن الخلافة في نظره لم تعد دينية لفقدها الشوكة التي هي شرطها الأساسي ودفع من الأتراك تهمة هدم ركن من أركان الدين لمجرد خلع الخليفة ، ورأى أنه لا يوجد نص أو سنة تجبر على وجود خليفة من آل عثمان بالآستانه وتساءل " ليس من التطاول على نظام النبي عليه الصلاة والسلام أن يقال لهؤلاء الأكاسرة أنهم خلفاؤه ونصراء شريعته فيما ذا خلفوه ؟ في حبسهم لأولياء العهد بعدما كانوا يقطعون رؤوسهم أم في إنشاء القصور أم في أخذ القناطر المقنطرة من الذهب من بيت مال المسلمين وبذلها في الملذات ..." [3]

1- الأستاذ مد ا يلي : ابن باديس وعروبة ا زائر ص 89 – 90 .
2- أنظر سلوادي، ـ نفس ا رجع ص 233
3- ا ناعي : ا ثقفون التونسيون وا ضارة العربية ص 157 – 158 .

ب – الهوية والوحدة العربية :

احتلت قضية الوحدة العربية حيزا كبيرا في اهتمام رجال النهضة الجزائرية والتطلعات بالنسبة لمستقبل الشعوب العربية والإسلامية ، وبعد أن نفضوا من التاريخ وعرفوا أن بسبب وقوعهم في مخالب الدول الاستعمارية هو تشرذمهم وتفرقهم وتضعضع قواهم . وروح الأنانية التي استحكمت في نفوس حكامهم ، فصاروا في حالة عداء ضد بعضهم البعض ، أكثر من أي عداء آخر لغيرهم الأمر الذي صير شعوبهم التي أعطتهم زمام أمورهم عبيد في أغلال عدوهم. وكان المفكرون الجزائريون ينظرون إلى الوحدة العربية نظرة إيمان بمستقبل بلادهم على غرار كل أبناء الأمة العربية الإسلامية وقد نما شعورهم القومي ووعيهم بمصاب أمتهم العربية بما أبصروه من ضروب التواطؤ بين الاستعمار والصهيونية فراحوا يدعون إلى مريد من التعاون بين أبناء العروبة ونبذ الفرقة التي لا تخدم إلا الأعداء ويعد الشيخ الأستاذ أبوا ليقظان في طليعة المثقفين الجزائريين الذين نادوا بالوحدة والتعاون وهو في دعوته هذه إلى الاتحاد والتضامن العربي " له غايات قومية وسياسية بعيدة وهو لا يتردد أن يصرح بها ، ولا يخيفه أن يحاسبه المستعمر الفرنسي عليها فلطالما اتهم بأنه ينزع منزعا وهابيا له صلة بالحجاز أو يتشوف تشوفا عربيا له إيحاءات من مصر " (1)

ومن ثمة فإنه ما انفك مذكرا العرب بواقعهم المرير مع الدول الأوربية ملحا على أمرائهم الوقوف أمام مطامع الغرب بالإتحاد وتناسي الخلافات. وقد قال معلقا على مقال لشكيب قارن فيه بين عظمة العرب في الماضي وهو أن أمرهم في الحاضر متسائلا: أيبقى أمرهم كما هو عليه أم سيعيدون ذات يوم مجدهم الغابر ؟ ويجيبه أبوا ليقظان وكله أمل واستبشار: ليس هذا بعيدا على أمراء العرب الأمجاد إذا لوا جهدهم في توحيد كلمتهم ، وتقريب المسافات التي بينهم وكونوا جبهة متراصة ضد الجشع والمطامع الأجنبية . (2)

_ وقد أثيرت مسألة الوحدة السياسية بين العرب بشكل لافت للانتباه عندما كتب الأستاذ شكيب أرسلان يقول بعدم إمكانية تحقيق وحدة العرب دفعة واحدة (3)بل كسائر المشروعات العظيمة غير قابلة للتحقيق إلا بالتدرج "...إن بلاد شمال إفريقيا أقطار عربية ، حتى البربر ترجحت عربيتهم ...فنحن مع شمال إفريقيا بجميع قلوبنا وأهالي شمال إفريقيا معنا بجميع قلوبهم ولا نفرقهم عن أنفسنا في شيء كما أنهم لا يفرقوننا عن أنفسهم في شيء ولكن وحدتنا معهم لا تتعدى الوحدة الدينية واللغوية والثقافية والاجتماعية.(4) فقد اعترض عليه الزعيم

1- د / مد ناصر : أبوا ليقظان وجهاد الكلمة ص 132 . 2 - نفس ا رجع ص 134 .

3- لقد رسم أرسلان خطة الوحدة العربية على ا الة السياسية بأقطار ا شرق وا غرب العربي حيث حدددها بثلاث موعات الأو الأكثر تقدما وهي مصر والعراق وسوريا ا فيها فلسط ، الثانية تظم ا جاز واليمن ومسقط وعمان والبحرين والثالثة طرابلس وتونس وا زائر ومراكش. أنظر : desparmet, Afrique du nord et panarabisme, A F, fevrier 1938, p 57.

4- دعبل : ا رجع السابق ص 72 .

سليمان باشا الباروني واعتبره تنكرا لعروبة شمال إفريقيا بل ومهادنة وتملقا للاستعمار الأوروبي .

_ وقد أدلى الشيخ بيوض رأيه في هذه المسألة حيث كتب سلسلة من المقالات بعنوان " الفرقان بين أميري السيف والبيان الباروني وشكيب أرسلان " ونشرها في جريدة الأمة .[1] وقد انحاز إلى الأمير شكيب أرسلان[2] يكون استحالة تحقيق وحدة سياسية بين بلدان مستعمرة ، وقد اعتبر ذلك منطقيا ولا يسيء من قريب ولا من بعيد لشعوب شمال إفريقيا ولا يطعن في عروبتها فقال ملخصا رأيه في الحلقة السادسة مناقشا هذه النقطة الباروني باشا مؤيدا الأمير أرسلان ومبرئا له من كل التهم التي ألصقت به "... تقولون يا سعادة الباشا :

- (وأما شكيب فيعلن - بدون داع وبدون أن يسأله أحد عن رأيه في الاتفاق مع المسلمين المصابين بالاستعمار - براءته الخ) وتقولون : (إنما أريد أن يعاتبوا - (السوريون) شكيبا على (...سؤال في ذلك) فأما كون الذي أعلنه الأمير براءة من مسلمي المستعمرات فأمر لم تقم عليه حجة ولا بيته ولم يدل عليه منطوق ولا مفهوم ، بل لم نشم له رائحة من كلام الأمير ، وأنه لصريح في الولابة والصداقة والإخاء - ولقد حققنا هذا في فصولنا الماضية ..." [3]

ثم يكشف عن أصالة أرسلان في الإيمان بقضية كل العرب والمسلمين موضحا طرح أرسلان بشكل صحيح يخالف تلك القراءة الخاطئة له من الباروني باشا فيقول : " ...إنكم تعلمون أن موضوع الخطبة (الوحدة العربية السياسية) أن الأمير يرى – كما ترون وكما نرى – عروبة شمال إفريقيا أصالة وثقافة ألحقت البربر السامين فيها بالعرب الأصلاء لا جرم كان شمال إفريقيا من أهم عناصر الموضوع فما بدا من أن يعرض الأمير له في خطابه ولا ينتظر به توجيه سؤال – ولو أعرض عنه وتركه لا حل بواجب عظيم وكان مليما ولخير والله من تناسيه لشمال إفريقيا والضرب عن ذكره صفحا في مثل ذلك النادي العظيم.

- أن يعرض له بيان إخوته الإسلامية ، وثقافته العربية ، وارتباطه بإخوانه في الدين والخلق والاجتماع ، والثقافة ، واللسان ، واتحاده معهم في الآلام والآمال والتعاطف والتواد ، والتراحم – مع بيان تعذر ...ضرورة الظروف والأوضاع السياسية – من عيب ولا عار – في بيانه عند الحاجة – من آهاته ولا احتقار وذلك أنبه لذكر شمال إفريقيا وأرفع لمقامه بين الشعوب – وأدل على خطر منزلته في القلوب ، وما نود أن يكون الأمير سكت عنه وأعرض عن ذكره كأنه محي من الوجود ، وانقطعت بينه وبين اخوانه العرب المسلمين الأسباب فماذا تريدون يا سعادة الباشا – من حضرة الأمير ؟ أيقرر الوحدة اليوم وهي بعد غير ممكنة ؟ أم يسكت مطلقا ولا يذكر هذه الأقطار بكلمة ؟ ..." [4]

1- الأعداد من 156 إ 161 وقعت باسم أفلح .

2- انظر عيسى قرقب دور الامام ابرهيم بيوض النهضة الوطنية ا زائرية و مقارنته بالعلامة ابن باديس الـلة التار ية ا غاربية عدد 87 -88 (1997) ص 481-482 .

3- الشيخ بيوض (أفلح) : الوحدة العربية ، الفرقان ب أم ي السيف والبيان البارو باشا و شكيب أرسلان .

جريدة الأمة عدد 5 أفريل 1938 م . 4- الشيخ بيوض : ا صدر السابق جريدة الأمة عدد 5 أفريل 1938 م .

بل ويرى الشيخ بيوض أن ذكرها في النادي [1] وعدم تناسيها هو المتوجب فعله وقد أحسن الأمير ذلك ، أما الإعراض عنها فهو تهوين من شأنها "... وإن نفوس النادي تناجي الأمير سائلة (عن رأيه في الاتفاق مع المسلمين المصابين بالاستعمار) ؟ بل وأن منهم لمن يرى وجوب ضم بلادهم إلى دول الوحدة وما أمرهم يخاف على الأمير ، فهل يحسن به بعد هذا أن يسكت أو يترقب ورود سؤال ؟ على أن توجيه السؤال إليه لا يقدم ولا يؤخر في القضية هو رأيه . أو ليس ذكرها إذن ، والاعتذار عن عدم ضمها في يسلك الوحدة بما لا يدفع خيرا لها وأولى . أو ليس ذلك رفعا لمقامها وأعلاها لشأنها ؟ واعترافا بسمو مكانتها في النفوس ، وأنها أخطر من أن تنسى وأكبر من ان تهمل أو يعرض عنها ، وأنها أحكم آصرة وأمتن وشيجة بأخواتها في المشرق الأدنى من كثير غيرها وأنها منها ولها ، ولو لا الظروف القاهرة ما أقصيت في الوحدة عنها ؟ وكفاها شرفا نباهة ..." [2]

كما أكد الشيخ ابن بأديس على الوحدة العربية [3] . لكن هذا لم يمنعه من تبني طرح الأمير أرسلان في ضرورة مراعاة شروط تحقيق هذه الوحدة.

حيث ذكر أن : الوحدة السياسية لا تكون إلا بين الشعوب تسوس نفسها فتضع خطة واحدة تسير عليها في علاقاتها مع غيرها من الأمم وتتعاقد على تنفيذها ، وتكون كلها في تنفيذها والدفاع عنها يدا واحدة ، فهي مقتدرة على الدفاع عنها كما كانت حرة في وضعها ، وأما الأمم المغلوبة على أمرها ، فهذه لا تستطيع أن تضع أمرا لنفسها ، فكيف تستطيع أن تضعه لغيرها ، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها ، فكيف تستطيع أن تدافع عما تقرره مع غيرها ، وهي لم تستطع أن تعتمد على نفسها في داخليتها ، فكيف يعتمد عليها في خارجيتها ؟ فالوحدة السياسية بين هذه الأمم أمر غير ممكن ولا معقول ولا مقبول ..." [4]

1- أين ألقى الأم شكيب أرسلان اضرته ا عنونة ب " الوحدة العربية " النادي العر بدمشق يوم 20 سبتم 1937 م .

2- الشيخ بيوض : ا صدر السابق .

3 – مقال مطول لديبارمي ث عنوان"القومية العربية وا زائر " كشف من خلال استعراضه واقف ا ثقف ا زائرين من القومية العربية عن مفهوم، القومية العربية خسب ماجاء جريدة ا زيرة الدمشقية عددها ا ؤرخ 02-04-1936 حيث نقل عنها بان هدف القومية العربية هو ايقاظ القوى ا ية للامة العربية ، وان الامة العربية هي ال تقطن كل البلاد العربية ا متدة من ا يط ا ا ليج، وان أسوأ أعداء القومية العربية هو الاستعمار للمزيد انظر J- DESPARMET LE PANARABISME ET L’ALGERIER A –F JUIN 1936 P 313

4- الشيخ ابن باديس : هل ب العرب وحدة سياسية ؟ لة الشهاب يناير 1938 م .

ثم يكشف الشيخ ابن باديس عن مقومات الوحدة وشروط تحققها فيقول " ... وإذا نظرنا إلى الأمة العربية على ضوء هذه الحقيقة فإننا نجد فيها شعوبا مستقلة استقلالا حقيقيا ، فهذه تمكن بينها الوحدة السياسية وتجد .... ثم نجد منها شعوبا أخرى وهي شعوب الشمال الإفريقي المصابة بالاستعمار فهذه لا وحدة سياسية بينها ، ولا بين غيرها ، ولا يتصور أن تكون وينصح أبناء الشمال الإفريقي عن الطريق الصحيح للوصول إلى تحقيق الوحدة فيقول: "... من الخير لها أن تعمل كل واحدة منها في دائرة وضعيتها الخاصة على ما يناسبه من الخطط السياسية التي تستطيع تنفيذها بالطرق المعقولة الموصلة، ومن الشعورالتام بالوحدة القومية والأدبية العامة والمحافظة عليها والمجاهرة بها..." (1)

وإذا كان رجال النهضة قد آمنوا بمبدأ الوحدة و الانتماء إلى عالم العروبة فإن غيرهم من أصحاب المطالب السياسية و الوطنية لا نكاد نعثر في أدبيات أفرابهم نصوص تشير إلى فكرة العروبة أو الوحدة العربية سواء من بعيد أو من قريب حيث كان تركيزهم على القطرية و على المطالب السياسية و على العربية باعتبارها اللغة الوطنية للشعب الجزائري يبدوا هذا في نصوص " نحو شمال إفريقيا " و " حزب الشعب الجزائري " و " حركة انتصار الحريات الديمقراطية " . (2)

وقد يكون لذلك ما يبرره إذا سلمنا بأن مشاغل الوطن الجزائري كانت تشكل أولوية في النظال الوطني من جهة ومن جهة أخرى نجد الصلات التي كنت بين زعماء القومية العربية الاسلامية كشكيب أرسلان وزعماء الوطنية الجزائرية كمصالي الحاج.(3) قد عملت مع الوقت على دعم البعد العربي الاسلامي لنجم شمال افريقيا فحسب مصالي فإن ارسلان دعم حركة النجم الوطنية وأعطاها دفعا جديدا وحاسما فأصبح حسبه من الممكن الاعتماد على تضامن العالم العربي الاسلامي بعد تضامن الحركة العمالية الفرنسية. (4)

1- الأستاذ ا يلي : ابن باديس وعروبة ا زائر ص 71 .

2- د / عبد ا ركي ، الفرنكفونية مشرقا و مغربا ، دار الأمة 1993 م ا زائر ص 59 .

3- ولد مصا أ د عائلة فلاحية صغ ة بتلمسان سنة 1898 أدى ا دمة العسكرية ا يش الفرنسي هاجر إ فرنسا سنة 1923 ومارس عدة حرف وكون نفسه ثقافيا حضر اضرات بالسربون وتابع دروسه امعة بوردو كمستمع حر اعتنق افكار الام خالد الوطنية كما تأثر بالاوساط الثورية بفرنسا وتزوج من شيوعية تدعى إميلي بوسكان ا خ مساعد له مهامه أصبح رئيسا لنجم ال افريقيا سنة 1927 وبعد حله سنة 1937 أسس حزب الشعب وبعده حركة الانتصار للحريا ت الد وقراطية يعد من دعاة الاستقلال وبسبب ذلك تعرض للسجن دة طويلة وعندما اندلعت ثورة أول نوفم تو سنة 1974. أنظر عنه: عبد ا ميد زوزو، دور ا هاجرين ا زائري بفرنسا ا ركة الوطنية بـ ا رب ، ش و ن ت، ا زائر، ص 58.

4- أنظر سعد ا ، أ اث وأراء، ج4، ص 126.

و في الحقيقة أن الإيمان بعروبة الجزائر لم تكن قناعة ظرفية عند رجال النهضة الجزائرية بقدر ما كانت شعور بالانتماء إلى فضاء حضاري واسع تشكل عبر القرون ، يمكن أن يكون أرضية حلبة و متثبة لتكتل سياسي يقف في وجه الغرب المسيحي المهيمن على غالبية البلدان العربية و الإسلامية في قالـب ثقافي و إيديولوجي فصارت تدافع عن مصالحه ، و تناهض عن وعي و عن غير وعي قناعات مجتمعاتها .

يقول أحد دعاة هذا التوجه و هو متوفي الحواسين " من الجنابة على النفس و من الخطأ السياسي السماح بانضمام منطقة المغرب إلى منطقة المشرق العربي أو استخدامها مطية لـــطموح الشعوب العـــربية المشرقية ، فالمغرب لم يكن أبدا مشرقيا و لم يكن عبر تاريخه إلا بعيدا عن تأثيرات المشرق لأن علاقته كانت مع القارة الأوربية(1) التي زادها التاريخ تلاحما ، فالمغرب منطقة وصل بين أوروبا و إفريقيا و المستقبل بالنسبة إليه يكمن في إنشاء الولايات المتحدة الأورو – إفريقية " .[2]

ومـا يـمكـن استنتـاجــه من تنـاول الـمثـقـفيـن الجـزائريـين لـمسألـة الـوحـدة الـعربية ، هـو ذلـك الـبـعـد الـعقلانــي الواقـعي ، والنـظر إلــى مقـومـات وشروط الوحدة على أنها جزء لا ينفصل منها ، وأنه إذا كان من الواجب على البلدان العربية المستقلة أن تسعى وتسرع لتحقيق الوحدة فيما بينها ، فإن أبناء شمال إفريقيا عليهم قبـل أن يفكـروا في مـثل هـذه الـوحـدة أن يسعـوا لتحـرير أوطــانهـم من ـبراثن الاستعمار ولكـل حـدث حديث وانه أمام استحالة الوحدة السياسية فـي نظرة (الشيــخ ابــن بــاديس) هو يـدعوا إلــى تـمتـيـن عـرى الوحدة القومية بــانـتـظـار أن يحقـق الــعـرب اسـتقـلالهم ومــن ثمـــة تحقيق الوحدة السياسية... "[3]

1- وهذه الدعوة هي نفسها تقريبا عند سلامة موسى ا شرق عندما تنكر لكل ا وروث الشرقي وحاول أن يربط مصر انتمائها ا ضاري التار ي بأوربا حيث يقول عن مذهبه هذا: "" هذا هو مذه الذي أعمل له طول حيا سرا وجهرا فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب". أنظر : سعيد بن سعيد، سلامة موسى وإشكالية النهضة، اة دراسات عربية، عدد8، 1983، ص 128.

2- أنظر مقال د / سعيدو ، جذور ا د الشعو ا زائر ، ريدة الشعب 17 فيفري 1990 م .

3- أسعد : حركة ابن باديس ص 112 .

4- التصدي لإعداء الهوية الجزائرية :

حضي بعد الدفاع عن الهوية في الخطاب النهضوي الجزائري بمكانة متميزة وعناية فائقة من منطلق الحرص على تماسك بنية المجتمع من التفكك والتمزق خاصة بعد أن تملك المثقفون الجزائريون شعور الخوف من تلك المساعي التي ما فتئت السلطات الاستعمارية تقوم بها بقصد فرنسة وإدماج النخبة الجزائرية المثقفة كمقدمة لدفع وفرنسة المجتمع الجزائري برمته . ومن المؤكد أن سياسة التجنيس والإدماج تعد من أخطر المخططات الاستعمارية التي واجهت الجزائريين واستهدفت كيانهم في الصميم ، وأن هذا الهجوم الذي شن على الهوية الجزائرية الأصيلة في الحقيقة كان أشد وقعا وأخطر من تلك الهجومات العسكرية التي تعرضت لها البلاد وأفقدت سيادة البلاد السياسة فترة طويلة من الزمن . ذلك أن آثار هذه الأخيرة قد انتهت بانتهاء الاحتلال ، أما آثار الأولى فان سلبياتها الكثيرة على مجتمعنا مازالت إلى اليوم تمثل عوائق حقيقة في مسار المجتمع الحضاري . (1)

أ) مشاريع التجنيس وظهور التيار الاندماجي :

كانت أكبر خطوة قامت بها فرنسا في القرن التاسع عشر في سبيل احتواء الكيان الجزائري تمثلت في استصدار قانون سيناتوس كونسيلت في (14-07-1865 م) هذا القانون لنيل المواطنة الفرنسية لم يستفد منه سوى اليهود الذين تنازلوا إراديا عن أحوالهم الشخصية أما المسلمون الجزائريون تبين مقدر فضلوا بصفة جماعية التخلي عن أحوالهم الشخصية (الشريعة الإسلامية) . (2)

ورغم أن هذا ا القانون لم يعرف طريقة إلى التطبيق وبقي حبرا على الورق إلا أنه لم يمنع من إثارة النقاش حول مسألة التجنيس وتناوله بالدرس والبحث عدد كبير من الفرنسيين

_ موريس فال : الذي كان يعمل كأستاذ للتاريخ بثانوية الجزائر الذي قال : " ...إن الأهلي المسلم ينبغي عليه أن يترك علاقته بالحوال الشخصية وعلاقته بالفرائض الإسلامية وبنظام العائلة بالزواج والطلاق . لأن كل هذا يختلف وضعه في القانون الفرنسي ، يجب عليه أن ينزع من نفسه جميع التقاليد التي ألفها وتغيير سلوكه ، وإدخال ثورة كاملة في حياته ...من القرآن إلى القانون المدني هناك شوط كبير يجب أن يقطعه ..." وهذه دعوة صريحة للتخلي عن الشريعة الإسلامية أما ميرسي فيقول : إنه لمن السخافة التفكير في إعطاء الحقوق السياسية التي يتمتع بها المواطن الفرنسي للمسلمين فـــي الجزائـــر فوضعهـــم

1- عدم إعطاء اللغة العربية مكانتها كما نصت على ذلك مواثيق الحركة الوطنية وإبقاء اللغة الفرنسية (لغة المستعمر) كلغة الإدارة للدولة الجزائرية . وفي الآونة الأخيرة نلحظ تراجعا رهيبا عن ما تحقق في السنوات الماضية في العمل باللغة العربية ، حيث صارت الإدارة العمومية تتراسل باللغة الفرنسية ضاربة عرض الحائط حتى مواثيق الدولة .

2- المؤسسات المدنية والعسكرية الفرنسية في الجزائر 1974/1830 تعريب علي تابليت .
مجلة أمل (التاريخ – الثقافة – المجتمع) عدد مزدوج السنة الثامنة 2001 الدار البيضاء المغرب ص 192 .

الاجتماعي من جهة . وكثرتهم من جهة أخرى لا تسمحان بذلك في الوقت الحاضر ، وبالطبع فـان بـــاب التجنيس الشخصي مفتوح أمامهم بصفة خطيرة لأنهم لو دخلوه ، فان الفرنسيين الحقيقيين يجدون أنفسهم في مازق بجابهم . ولكنهم لن يدخلوها لأن أهل جلدتهم يعتبرون المتجنس كافر "...وهو بهذا يطرح المشكل من الناحية السياسية ..." .(1)

وينصح الكاتب جان ميليا في الأسلوب الذي ينبغي انتهاجه لفرنسة الجزائريين فيقول : "...إن فرنسة الأهالي المسلمين في الجزائر هي عملية حب وأخوة وهي تشيرط أن يقبلها الأهالي المسلمون .....إن الأهلي المسلم يدرك جيدا التطور الذي وقع في العالم ، ولذا فهو لا يطالب بالجزائر كارت من أجداده ..." .(2)

كما راهنت الإدارة الاستعمارية لتحقيق مشروعها على تلك النخبة المفرنسة المتخرجة من مدارس ترشيح المعلمين ، حيث أولت لها عناية فائقة حتى تجعل منها مشتلة لتخريج المتجنسين ودعاة الإدماج في البلاد . فقد " امتلكوا ثقافة فرنسية متينة وتشبعوا بالتفكير العلماني وعملوا على نشر المدنية الغربية عن طريق المدرسة ، وتجلت مجهودا تهم خاصة في منطقة القبائل وكان شعارهم " بعيدون عن الأحزاب ، بعيدون عن العقائد في سبيل تطور الأهالي عن طريق الثقافة الفرنسية ، وقد آمنوا بخرافة الكيان البربري وبدؤا يجترون أطروحات المستشرقين حول جذور هذا الكيان وخصائصه المميزة وحاولوا أن ينبشوا طيات التاريخ وان يبرزوا شخصيات بربرية مثل يوغرطا وماسينيسا بل سار البعض منهم إلى أبعد من ذلك ، فقد قال حسناي لحمق في كتاب " رسائل جزائرية " (1931) بأن أغسطين أقرب إليه من سيدي عقبة ، وقد تأسف لأن الإسلام فرض على وطنه .....وأن مستقبل فرنسا في الجزائر يتجسد في البربر ..." . (3)

ويمكن لنا أن نستقصي ذلك من خلال بعض النماذج البارزة لهذا التيار المتغرب والذي صار أداة طيعة في أيدي دهانقة الإدارة الاستعمارية

_ بلقا سم بن سديرة : (4) تولى التدريس بمدرسة ترشيح المعلمين بالجزائر كرس نفسه لخدمة اللغة الفرنسية وتطويع اللهجة العربية والقبائلية لخدمـة اللـغـة الفرنسـيـة . أيضـا يرجـع الأسـتـاذ سـعـد الله

1- د/ احدادن الإسلام والتصدي للتجنيس من خلال موقف الأمير خالد منشورات المجلس الإسلامي الأعلى محاضرات الموسم الثقافي 1999/1998م 1420 ه ص 169 .
2- د/ احد ادن المرجع السابق ص 170 .
3- د/ عبد الكريم بو الصفصاف المجلة التاريخية المغربية عدد 64/63 1991 م .
4- ولد ببسكرة في بداية الأربعينات من القرن 19 م ، درس بالمدرسة الفرنسية بالعاصمة تخرج منها سنة 1836 م ، تابع دراسته بفرنسا على نفقة دولتها ثم عاد بعدها إلى إلى الجزائر وتولى التدريس بمدرسة ترشيح المعلمين .وفي سنة 1898 انتقل إلى المدرسة العليا للآداب التي تولت بعدها إلى جامعة الجزائر وعندما تقاعد عن العمل خلفه في منصبه السيد صوالح

كما عمل عضوا بالجمعية الآسيوية بباريس قام بمهمة بلاد القبائل وانجز مهمة منهل حول اللهجات البربرية وإدماج الأهالي ألف حوالي 12 كتاب توفي بالجزائر العاصمة سنة 1901 م للمزيد عنه أنظر سعد الله تاريخ الجزائر جزء 8 ص 52 وما بعدها .و Djebbari Mohammed Ben amar, op.cit pp 214-215

تجنيسه فإبنه يحمل اسم شارل بن سديرة. [1]

ساهم بن سديرة في تكوين عدد من التلاميذ المستعربين والجزائريين ومن تلاميذ المستشرق باصبيه. [2]

_ عمربن سعيد بوليفة .[3] كان من أوائل النخبة الذين وقعوا ضحية المخططات الفرنسية حيث استغل الفرنسيون و

ضعه الاجتماعي البائس فاحتووه منذ طفولته[4] عمل ممرنا مساعدا بمدرسة تامزريت بالقبائل ثم صار سنة 1890 م بعد فترة تكوين ببوزريعة مدرسا كما عمل معيدا للهجة القبائلية بمدرسة بوزريعة لكي يصبح بعدها معيدا بكلية الآداب بالجزائر من 1901 –1929 م . [5]

نشر سنة 1904 م مختارات شعرية قبائلية [6] ولعل من أبرز أعماله الفكرية كتابه (جرجرة عبر التـاريـخ)

الذي تناول تاريخ المنطقة من أقدم العصور إلى الاحتلال الفرنسي سنة 1830 م وقد ظهر الكتاب سنة 1925 م مؤشرا لعدة اعتبارات تتعلق بالتحضير للاحتفال المئوي للاحتلال الفرنسي وبداية نشاط الحركة الوطنية الجزائرية ونفي الأمير خالد من وطنه وكانت الحرب العالمية الأولى قد تركت بصماتها على الجزائريين ولاسيما العمال والجنود الذين كان شباب الجرجرة من أكثرهم عددا واغترابا في فرنسا ، وعليه لا ينبغي أن ينظر للكتاب بمعزل عن الظروف المحيطة به . وقد ألح بوليفة أن زواوة كانت مستقلة في العهد العثماني عن الإدارة المركزية وهو إلحاح لم يعجب الفرنسيين أيضا إلا بالمقدار الذي يباعد بين الزواويين العثمانيين .[7]

_ ابن السادات : [8] من دعاة تعلم الفرنسية أنذاك في وقت كانت فيه السلطات الفرنسية تقول (أن التعصب) ومعاداة الفرنسيين والخوف من تنصير الأطفال هي التي كانت حائلا دون الإقبال على المدارس الفرنسية،بينما كان الجزائريون يطالبــون بمدارس يشـــــــرفون عليها بـأنـفسـهـم ونـبـهـهـم إلــى أن اللـغـة

1- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 8 ص 55.

2- أنظر سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 8 ص 57 .

3- كانت ولادته بالقبائل ما بين (1863 – 1876 م)بقرية عدني بزواوة من عائلة متواضعة الدخل ادخله عمه للمدرسة الفرنسية كما تابع دراستم بمدرسة تكوين المعلمين ببوزريعة امتهن التعليم حتى وفاته سنة 1929

4- سعد الله تاريخ الجزائر جزء ثمانية ص 58

5-Christiane Achour Anthologie de la littérature ALGERIENNE de langue français– Borda s paris 1990 P 288 .

6- Hamet Les Musulmans français du Nord de l Afrique PARIS 1906. p 200 .

7- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 8 ص 61 و ما بعدها .
8- درس بالمدرسة الكتانية بقسنطينة التي أسسها الفرنسيون ، نشر مقال بالمبشر بتاريخ 1864/07/22م تحت عنوان :
(نصيحة وإرشاد لمن عطل عن مسابقة الأقلام وإهدار المداد) أنظر سعد الله تاريخ الجزائر جزء 6 ص 210 وما بعدها .

الفرنسية هي التي ستكون الجواز الوحيد إلى الوظائف . [1]

_ **محمود بن الشيخ علي** [2]: دعا قومه صراحة إلى ضرورة تعلم اللغة الفرنسية والأخذ بها لأن اللغة العربية في نظره لا تتسع لكل المصطلحات كما كانت في الماضي واعتبر الفرنسيين متفوقين ليس فقط على الجزائريين ولكن على الأجناس الأخرى أيضا . وقال أنه من الحماقة والبلادة عدم تعلم الفرنسية وعلومها فيقول : "... صارت اللغة الفرنسية وكتابتها في هذه العصر وسيلة لا غنى عنها في العلوم على اختلاف أنواعها وسائر الفنون وصنائعها خصوصا في الفن والهندسة والحساب والتنجيم والجغرافيا والطبيعيات والرياضيات وما يتفرغ عنها ...". [3] كان الشيخ محمود من المنبهرين بالرسالة الفرنسية في الجزائر وقد قامت دعوته على عدة عناصر وهي : ضرورة تعلم الجزائريين اللغة الفرنسية وعلوم الفرنسيين والإقتداء بهم في نظمهم السياسية كالانتخابات . [4]

_ **الحكيم مرسي الطيب** [5] : كان له احترام بين الأهالي رغم أنهم يعتبرونه (مطورني) أو متجنسا وهو في نظرهم خارج الدين الإسلامي . كان يعيش على الطريقة الفرنسية . دعا إلى الاندماج والمشاعر المشتركة التي رسخها كما قال الدم المشترك بين الفرنسيين والجزائريين بقصد الدماء التي سالت في المعارك التي خاضوها من أجل فرنسا حيث قال : (علينا أن نكون فرنسيين بالمشاعر والقلوب نحن الذين تربينا على نفس المقاعد كالفرنسيين الصغار[6]

بن تامـــــي[7]: من الذين آمنوا بالتجنيس الطوعي والمستبيدين بالفرنسية المكثفة للشعب الجزائري ومن أجل الدفاع على قناعاته هذه عمد إلى تأسيس جريدة التقدم في سنة 1920 م كان من المؤيدين للمطالبة بالمواطنة الفرنسية للجزائريين بدون أي تحفظ للأمر الديني [8] أسس مع الأستاذ صويلح في جويلية 1919 م ما عرف برابطة العمل الفرنسية الإسلامية لتوحيد القوى ضد المعمرين.[9]

1- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 211 – 212 .
2- هو ابن المفتي علي بن عبد القادر بن الأمين وكان والده شيخ جيل كامل من علماء الجزائر عشية الاحتلال وقد جاء ابنه كأبيه علما ولكن ليس كأبيه عملا . فلم يصل إلى رتبة الفتوى رغم انه من علماء الوقت . كان يرتزق بالوظيف الفرنسي بعلمه درس بالجامع الكبير بالعاصمة كما عمل إماما به كذلك . توفي سنة 1897 م وهو من أعيان مدينة الجزائر للمزيد عنه أنظر سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 213 وما بعدها .
3- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 215 .
4- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 218 .
5- طبيب من وهران ولد بوزرات بوهران سنة 1856 م أبوه ضابطا بالجيش الفرنسي لفرقة الصبايجية عمل في قسنطينة وشارك في نشاطاتها السياسية حيث وقع مع أعيان قسنطينة على عريضة 1891 م المقدمة لجول فيربي ، تزوج من فرنسية وتجنس بمقتضى مرسوم 1865 م الذي شرط التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية ألف كتابه سماه " المسألة الأهلية " وحتى سنة 1907 م ما زال طبيبا بقسنطينة أنظر سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 231 م وما بعدها وأنظر أيضا

Achour o p . cit . p . 301 .

6- - سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 232 .
7- ولد بلقاسم بن تامي في يوم 20 سبتمبر 1873 م بمستغانم كان يعمل طبيبا مكلفا بطلاب الثعالبية أين كان يتلقى محاضرات في الطب الوقائي نال في سنة 1929 ضابط فرقة الشرف كان يتقاضى حوالي 2000 فرنك سنويا على عمله بالمدرسة توفي سنة 193.
8- A.OM 14H 44

9-CharlesRobert Ageron .Le Mouvement Jeune Algérien in Etudes Maghrébines Mélanges Charles Andre julien P U.F Paris 1964 p 235

_ إسماعيل حامد [1] : كان من دعاة الاندماج الحضاري رغم إطلاعه على أحوال العالم الإسلامي ، وهو استثناء لأن معظم المستغربين كانوا منقطعين فكريا عن العالم الربي الإسلامي بل حتى عن مواطنيهم في الجزائر قلنا رغم ذلك فقد كان يدعو إلى تذويب المجتمع الجزائري في الحضارة الفرنسية [2] .

لم يعمد حامد إلى الدعوة إلى النهضة العربية الإسلامية بثورة ضد الخرافات والرجوع إلى الأصول والاستفادة من حضارة الغرب ، وإنما دعا إلى الانطلاق من الحاضر ، أي مما وصل إليه التأثير الفرنسي المتزايد في المجتمع الجزائري مطبقا للمخططات الفرنسية نفسها . ذلك أن هذه المخططات كانت تهدف منذ 1830 م إلى الوصول إلى هذه النتيجة ، وهي أن يتنكر الجزائري نفسه لماضيه وان يتسلب من هويته ويذوب في هوية أجنبية عنه دون شعور منه بذاته . ورغم معاصرة إسماعيل حامد لمدرسة الشيخ محمد عبده وزيارته للجزائر سنة 1903 م فإنه لم يتأثر بتعاليمه خلاف معاصيره من المثقفين الجزائريين كابن سماية وابن الخوجة وراسم ، وغيرهم وكل ما كان يعنيه هو وصف ما آل إليه المجتمع الجزائري في نظره من التأثير الفرنسي واستعداده للدخول في " الحرم والاحترام " الفرنسي حسب تعبير جريدة المبشر . [3]

_ أحمد بن بريهمات [4] : مثقف بالفرنسية وصاحب ترجمة رحلة العياشي من العربية إلى الفرنسية كما اشترك مع لويس رين في نشر كتاب في تعليم اللغة الفرنسية بعنوان (اللسان يكمل الإنسان) .

ساعدته ثقافته المزدوجة على الإطلاع على تراث العرب وحضارة الفرنسيين وربما كان مشاركا في إحدى الجمعيات الماسونية [5] يستشف هذا من كلمته التي ألقاها – دون غيره – في باريس سنة 1882 م فقد استدعته جمعية تدعى (الجمعية الفرنسية لحماية أهالي المستعمرات) ليشارك في أعمالها وفي كلمته التـــي

1- ولد بمدينة الجزائر في 4 أوت من سنة 1857 م ودرس بها العربية و الفرنسية ، حيث كان متمكنا من اللغتين . ولاسيما الفرنسية التي كتب بها كتبا ومقالات تاريخية وأدبية . عمل مترجما بارزا في الجيش الفرنسي ابتداء من سنة 1877 م حيث كان المترجم الرئيسي في قيادة الأركان العامة وكان هو نفسه من الضباط . ظهرت كتاباته منذ 1890 م كان يكتب في المجلة الإفريقية ثم مجلة العالم الإسلامي ، كان باحثا في الشؤون الإسلامية بإفريقيا (موريطانيا ، السنغال) . كتب بحثا سماه
(المدن الصحراوية) منها تمبكتو ، شنفيط ، وولاية وعايير منذ 1899أرسلته فرنسا إلى المغرب الأقصى في مهمة تخدمها ، تجنس وتزوج من فرنسية تقاعد عن العمل سنة 1913 م كمترجم وتوفي سنة 1933 م للمزيد عنه أنظر سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 233 وما بعدها و Achour o p . cit . p . 294.

2- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 238 .

3- نفس المرجع جزء 6 ص 239 .

4- هو أحد أبناء حسن بن بريهمات ، مزدوج الثقافة ومن أهل الحضر ولد بمدينة الجزائر . برز في الثمانينات من القرن 19 م ، دخل المدرسة السلطانية (الكوليج الإمبريالي) قبل إلغائها سنة 1871 م وتخرج مترجما عسكريا . للمزيد عنه أنظر سعد الله : تاريخ الجزائر 6 ص 249 وما بعدها .
5- نفس المرجع جزء 6 ص 249 - 250 .

ألقاها بمقر الجمعية اعتبر أن فرنسا اتخذت من محبة الإنسانية شعارا لها عوض محبة الإنجيل والقرآن والصليب والهلال [1] وأعلن أن هدف احتلال فرنسا للجزائر هو نشر الحضارة [2] . أيد بقوة التعليم الإجباري والمجاني للجنسين لأنه وسيلة " بعثنا ونهضتنا " [3] وإذا كان هذا الفعل يجعل منه رائد من رواد الاندماج في الجزائر إلا أن تشبعه بالثقافة العربية الإسلامية جعلت منه معارضا لسيلسة التجهيل الفرنسية وسياسة التخوف الأهلية . كان من المتجنسين ولم تؤثر فيه دعوة الشيخ محمد عبده [4]

_ مجذوب بن قلفاط [5] : إشتغل بالترجمة ، نشر كراسته في نفس الموضوع حوالي 1883 م وقد هاجم فيها المتعصبين الذين لا يؤمنون بإرسال أولادهم إلى المدارس الفرنسية خوفا عليهم من الأثر الفرنسي الديني ، ودعا صراحة إلى أن تقوم الحكومة (بإفتكاك) و الأبناء من أهلهم وإجبارهم على التعلم في مدارسها حتى يكون هذا الجزائري فرنسيا صالحا . وكان من أنصـــار التعليم اللائكي حسب ما يفهم من قوله : بتعلم الأخلاق المتحررة .

من الأفكار الدينية الضيقة والمتحيزة بل أننا نفهم أنه كان من المتجنسين [6] .

_ رابح زناتي [7] : ولد بمنطقة تاوريرت الحجاج بالبلدية المختلطة للأربعاء ناثرن . أخذ الجنسية الفرنسية سنة 1903 م [8] من المعاصرين لحركة النهضة والإصلاح والوطنية ، كان من المؤمنين المفرطين بالاندماج المأخوذين بالتأثير الفرنسي حتى لم يعد يرى الجزائر في غير الإطار الفرنسي [9] . وانطلاقا من هذه القناعة فقد رأى أنه يتوجب على المثقفين الآهالي توجيه الجماهير لربطها بفرنسا واخراجها من ركودها الحالي وتعزيز الصلات وايجاد نقاط التواصل مع الأوربيين من أجل الانعتاق من سطوة المرابطية وبعض الأوربيين الذين يقفون في وجه أي مسعى لترقية الأهالي(10)

أسس سنة 1922 م جريدة صوت المستضعفين ثم جريدة صوت الأهالي سنة 1929 م بقسنطينة التي صارت تعرف سنة 1847 م الصوت الحر [11] . وقد جعل من صوت الأهالي منبرا للـتبشـير والـدعـــوة

1- نفس المرجع جزء 6 ص 250 .
2- نفس المرجع جزء 6 ص 250 .
3- نفس المرجع جزء 6 ص 252 .
4- نفس المرجع جزء 6 ص 252 - 253.
5- من نواحي قسنطينة إشتغل بالترجمة ، وخاض في مسألة تعليم الأهالي والإندماج الحضاري ، كان يدعو لدراسة التاريخ والجغرافية لأبناء الأهالي وهذا طبعهم لا لحاقهم ثقافيا بفرنسا . للمزيد أنظر سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 253 وما بعدها .
6- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 253 – 254 .
7- كانت ولدته في حدود سنة 1877 م ، جمع بين السياسة والصحافة والتعليم ، عمل مدرسا ثم مديرا وتقاعد سنة 1934 م توفي سنة 1952 م . من مؤلفاته : المشكل الجزائري في نظر أهلي . طبع سنة 1938 م . أنظر عنه

Achour o p . cit . p . 305 .   وسعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 255 وما بعدها .

8- Achour o p . cit . p . 305 .

9- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 253 – 254 .

10- Zenati, les pauvres intelectuels , voix des humbles, n° 68, sept, dec 1928,

11- Achour o p . cit . p . 305.

إلى الاندماج جاعلا من افتتاحية العدد الأول من الجريده " يجب أن تصبح الجزائر فرنسية " (1) . كما عكست روايته " الفتى الجزائري بولنوار " الطرح الاندماجي ولا كيف نفسر بلوغ بولنوار غايته بالزهد في أسرته وممتلكاته والتنكر لكل تقاليده من أجل الحياة والزوجة والأسرة على الطريقة الفرنسية ووفق في الاندماج في المجتمع والقيم الجديدة أي مجتمع وقيم المستعمر (2) وهو نفس الطرح الذي نلمسه في رواية ابن الفقير لمولود ففرعون (3) التي يعود تاريخ كتابتها إلى سنة 1939 م حيث الإيمان بمبدأ سياسة الاندماج والتعايش بين الأوربيين و" الأهالي " وهي الفكرة التي غرستها في نفسيتة " دار المعلمين " ببوزريعة وقد كتب روايته " ابن الفقير " إنطلاقا من هذا المنظور حيث كان يعتقد أن " الأهالي " قد أتيحت لهم فرصة التعرف بلاد فرنسا وسكانها عن طريق الهجرة وعن طريق المدرسة " حتى أطفال القرية يعرفون من أين ينبع نهر اسين وما بقي إلا أن يسقط القناع " الوحشي " ، " البدائي " أو بعبارة مختصرة : اللاإنساني "الذي تختفي وراءه وجوه الأهالي ، وعنده ما يسقط القناع ، يتم التعارف من كلا الجانبين" (4)

_ سعيد الفاسي (5) : يعد من أبرز كتاب النخبة الاندماجية في فترة ما بين الحربين . كان متحمسا للاندماج الذي يرى فيه الخلاص الوحيد من حالة الاستضعاف (6) تجنس سنة 1906 م (7) يعد واحد من المؤسسين لجريدة صوت المستضعفين سنة 1922 م والتي بقيت تصدر مدة 18 سنة كاملة وكانت مواضيعها اندماجية ومتطرفة (8) . حيث طالبت بالاندماج الكامل قائلة أنه إذا بقيت بعض الجماعات متمسكة بدينها (غير متجنسة) وعاداتها فمن الممكن أن تصير أيضا فرنسية . تعمل على تشكيل شعب فرنسي محض علـــى هذه

1- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 257 .

2- أنظر فليب لوكا . جون كلود فاتان : جزائر الأنثروبولوجيين ، نقد السوسيولوجيا الكولونيالية ، ترجمة الأستاذ : محمد يحيا بن بشير بولفراق ، وردة لبنان الجزائر 2002 م ص 60 .

3- ولد في قرية من قرى منطقة القبائل في سنة 1913 م من عائلة فقيرة ، وعمل مدرسا للفرنسية أصدر زيادة على " ابن الفقير " رواية " الأرض والدم " سنة 1953 م وسنة 1957 م أصدر " الدروب الصاعدة " وهي رواية مكملة لرواية " الأرض والدم " استشهد في يوم 15 مارس 1962 م أنظر د / فريد أبو صدر : لمحة عن الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية مجلة ريس أفاق عربية السنة الثالثة عدد 3 نشر الثاني 1977 م بغداد ص 107 .

4- أنظر د / أحمد منور : ازمة الهوية .....ص 69 .

5- ينحدر من منطقة القبائل الكبرى ولد سنة 1880 م تعلم بمسقط رأسه وأكمل دراسته بمدرسة ترشيح المعلمين ببوزريعة سنة 1899 م حيث أصبح بعدها معلما وصحفيا ومؤلفا ، نشر مذكراته كمعلم خلال العشرينات . سعى إلى إنشاء جمعية ونقابة للمعلمين الأهالي خلال سنة 1921 م تقاعد عن العمل سنة 1927 م وأقام بتولوز بفرنسا للمزيد عنه أنظر سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 258 وما بعدها و Achour o p . cit . p . 291

6- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 258 .

7- Achour o p . cit . p . 291

8-لا تعكس عنوانها في شيء فعلى الرغم من أن محرريها الذين كانوا بصفة رئيسية من خريجي مدرسة بوزريعة التي تخرج منها من 1883 إلى الحرب العالمية الثانية زهاء ألف معلم جزائري وكان 57°/° منه من أبناء الفلاحين والعمال الزراعيين و°71°/° منحدرين من عاءلات لا تتمتع بأي نفوذ و 66°/° منهم من آباء أميين إلا أن صوت المستضعفيين لم تكن تدافع بثابتا عن مصالح المعوزيين والمتواضعين، فباعتبارها في المقام الأول لسان حال فئة أنتلجانسيا المعلمين التي كانت تعكس في الوقت نفسه آمال والبرنامج الاجتماعي لكل فئات الوسطى التي تعلمت في المدرسة الفرنسية والذين كانوا يسمون بلغة ذلك العصر المتطوريين .Evolués. أنظر : فلاديمير ماكسيمنكو، الانتلجانسيا المغاربية، تر عبد العزيز بوباكير، دار الحكمة، ط1، 1994، الجزائر، ص 67 – 68.

الأرض الجزائرية وليس فقط إنشاء حضارة لاتينية كما دعا إليها لويس بيرتران [1]

كان هدف صوت المستضعفين إذن هو إيجاد التقارب والاندماج ومزج الأجناس في الجزائر من خلال التعليم والتفاهم والزواج المختلط لإنتاج جيل راق من الجنسين الجزائري والفرنسي [2] . و حسب قاسي فإن المثقفين هم أحسن من يقدر أن يكون وسيطا بين فرنسا و الشعب المسلم : بحكم معرفتهم وإطلاعهم بمختلف الأوساط و بحكم ثقافتهم و شرفهم و استقلاليتهم و نزاهتم و ارتباطهم بفرنسا حيث هم القادرون على تحقيق الضمانات للسلطات العمومية . [3]

_ محمد صوالح بن معمر [4] : يعد من قدماء تلاميذ مدرسة ترشيح المعلمين ببوزريعة [5] كان من المتحمسين للاندماج . حتى وإن كنا غير متأكدين من كونه كان متجنسا أم لا . كما كان على إطلاع بأحوال المجتمع الجزائري حيث كان يعرف الفرنسيين بخصائص وطبيعة هذا المجتمع من تقاليد ودين وعادات وعقائد وفلكلور وتاريخ . اشتهر بكتابة المجتمع الأهلي في شمال إفريقيا و هو موجه لطلابه بالثانوية وهو بالفرنسية [6] . كما كان متعاونا مع نشرية تعليم الأهالي لأكاديمية الجزائر ، ساهم في تأسيس التعليم الفرنسي العربي بالمدرسة العليا للتجارة . كما ألف كتاب الإسلام وتطـور الـثقافـة الـعربيــة مــن الــقديـم

إلى اليوم [7] . كما ألف كتاب المناهج العلمية للعربية الصحيحة سنة 1900 م وكتاب تصحيح تمارين لمناهج العربية الصحيحة في سنة 1900 م وألف العربية الشفوية العملية والتجارية بالاشتراك مع فلوري FLEURY سنة 1901 م وكتاب دروس تحضيرية للغربية الشفوية - قسم التلميذ 1904 م دروس تحضيرية للعربية الشفوية – قسم المعلم 1905 م [8] ، من تلاميذه لويس برنوط المجاز في العربية والدكتور في الآداب الذي عمل مديرا للتعليم الأهلي بالمغرب ثم مديرا لمعهد الدراسات العليا المغربية بالرباط[9].

لقد راهن الاستعمار الفرنسي لتحقيق مشاريعه الرامية إلى ابتلاع الكيان الجزائري وإذابته في بوتقة الحضارة الفرنسية رغم أنفه على هذه النخبة المفرنسة حتى النخاع والتي صارت تسكن مع الفرنسيين وتسكن إليهم ، ومن ثمة تغربت وهي في عقر دارها ولم يعد يربطها بأبناء وطنها شيء بــل أنهـا أصبحت

1- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 259 .

2- نفس المرجع جزء 6 ص 259 .

3- Fanny Colonna : Instituteurs Algériens 1883- 1939 O . P . U Alger . 1975 . P 169 .

4- وولد ببلده فرندة تيارت عمالة وهران آنذاك سنة 1873 م ،انتسب إلى مدرسة ترشيح المعلمين ببوزريعة سنة 1888 م في البداية كان تلميذا، معلما ،ثم أصبح معيدا بها ثم صار عضوا في الجمعية التاريخية التي كانت تصدر المجلة الإفريقية ، ثم صار مدرسا بمدرسة بوزريعة حتى

1968 ثم أصبح كما كان أستاذا مبرزا ودكتورا في الآداب تولى التدريس في مدرسة التجارة والمعهد الفلاحي للمزيد أنظر سعد الله تاريخ الجزائر جزء 6 ص 260 وما بعدها و
Achour p. cit . p . 303. 304 .et Djebbari, op cit p 215.
5- Achour o p . cit . p . 303.
6- سعد الله : تاريخ الجزائر جزء 6 ص 260 .
7- Achour o p . cit . p . 303 .
8- Ismail hamet :les musulmans français du nord de l Afrique p 200 .
9-Djebbari, op cit p 215

معول هدم للبنية الثقافية والدينية الجزائرية ، تسعى بكل ما تقدر عليه من أجل سلخ الجزائر عن هويتها العربية الإسلامية وإلحاقها ثقافيا بفرنسا كما ألحقت الجيوش الفرنسية الجزائر بالقوة بفرنسا رغم التاريخ والجغرافية وقد كانت الإدارة الاستعمارية تدعمها ماديا وأدبيا في أعمالها بل يمكن القول أن إيجاد هذه النخبة من أبناء البلد كان يطمعهم أي الفرنسيين أكثر فأكثر لفتح الجزائر ثقافيا وحضاريا كما يزعمون ، مثلما راهنوا تماما على إيجاد رجال دين نصارى يكونون مبشرين للمسيحية في طول وعرض البلاد من الجزائريين المتنصرين رغبة أو رهبة ولكن هل وفق هؤلاء الاندماجيون في مسعاهم ؟ أم فشلوا كما فشل المبشرون في تحويل الجزائريون إلى نصارى ؟

ب) في الرد على الإندماجين و دعاة التجنيس : أمام الهجمة الشرسة على أركان الهوية الجزائرية لم يبق المثقفون الجزائريون مكتوفي الأيدي بل رفعوا عقيرتهم دفاعا عن هويتهم وأصلهم وفصلهم ، بل هذا التحدي الذي فرض على الناس في وطنهم لم يترك لهم خيارا في نهج أسلوب معين لمواجهة هذا العدوان الثقافي عليهم بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ودلالة ولذلك نجد المناضلون ضد أعداء الهوية الجزائرية . والقائمون بذلك لم يكونوا سوى المثقفين المتنورين من أبناء الشعب الذين راعهم ذلك الإصرار من قبل المحتلين على إلحاق الدمار بمقوماتهم الشخصية العربية الإسلامية . ورجع ذلك الصدى عند دعاة الإدماج من أبناء الجزائر المنسلخين من قيمهم الذين وجدوا في وعود نيل حقوق مقابل التخلي عن قانون أحوالهم الشخصية مبررا مقنعا – حسبهم – لمعاداة القيم الوطنية وإدراة الظهر لها . فقد ذكر الشهاب بتاريخ 1930 م أن المعلمين الجزائريين في المدارس الفرنسية قد عقدوا في شهر جوان من سنة 1930 م اجتماعا عاما لهم في الجزائر العاصمة وكان محور الخطب كلها عبارة عن تمرد على الماضي والانسلاخ منه ، وإنكار ما يربطنا به من عقيدة وقومية [1] . كما أن الجزائريين قد حز في نفوسهم التي امتلأت غيضا بما أقدمت عليه إدارة المحتلين بمناسبة مرور قرن على احتلال الجزائر من إحياء لهذه المناسبة الأليمة بالنسبة للأمة الجزائرية وامتدا هذا الاحتفال إلى باقي المدن الرئيسية للبلاد ، وإذ عرفنا كما قال الدكتور / خرفي أن هذه المدن لم تحتل في وقت واحد ، فإننا نستطيع أن نقول بأن عقد الثلاثينات كانت استعراضا مؤلما لمأساة الاحتلال من جديد [2] . ومستهدفة من وراء كل ذلك إلى غزو فكري ونفسي وتنفث من خلاله في روع الجزائريين بأنهم أصبحوا فرنسيين قلبا وقالبا [3] .

وعليه فقد كان لهذا الاحتقان الشعبي الذي كانت تغذيه سياسة الإدارة الاستعمارية أكبر الأثر في زيادة القلق الوطني على ما صار يبيت ضد الأمة الجزائرية فكان ذلك في الحقيقة امتحانا عسيرا للجزائريين الذين أدركوا مبلغ المخاطر التي باتت تهدد كيانهم من أولئك الذين كونتهم المدرسة الفرنسية لتمرير مخططاتها ما كان لها أن تؤتي أكلها خاصة بعد أن اشتد ساعد الحركة الإصلاحية فانتقلت من حالة

1- د/ صالح خرفي : الشعر الجزائري الحديث ص 108 .

2- المرجع السابق ص 22 .

3- د / ناصر : أبوا ليقظان وجهاد الكلمة ص 205 .

الدفاع إلى حالة الهجوم على مواقع المتجنسين والاندماجيين الذين صار موقعهم في الأوساط الاجتماعية متزعزعا بل ويبعث على الشفقة شأنهم شأن أولئك الذين ارتدوا عن دينهم وتنصروا . كما أسلفنا الحديث عنهم من قبل، ومن ثمة فقد أصبح المتجنسون منفصلون عن مجتمعهم عرضة لازدراء المجتمع الجزائري لقد كانوا يشعرون بعقدة الكمال بالنظر إلى المجتمع الجزائري ، ولكن يشعرون بعقدة النقص بالنظر إلى المجتمع الفرنسي [1] .

ولقد أعطى جان عميروش(2) أحسن صورة للجزائري المندمج في محاضرة ألقاها سنة 1955 م بالمعهد الفرنسي بباريس تناول فيها حالة الجزائريين المندمجين الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية انطلاقا من تجربته الشخصية "...إنني أقصد بالجزائري المندمج إنسان أمثله أنا أحسن تمثيل على ما أعتقد : وهو الذي اتخذ أسلوب الحياة الفرنسية وضوابط التفكير الفرنسية والتي تعتبر اللغة الفرنسية بالنسبة إليه ليست لغة ترجمة فقط ولكن لغة تعبير بلغ من عمق رسوخها أن أصبحت طبيعية له ..." [3] . ثم يضيف عن انفصام شخصية المتجنس فيقول : "...أن الفرنسي من أصل أهلي يجد نفسه موزعا بين مطلبين أو مطلب مزدوج الوفاء أي مزدوج الخيانة ، فهو كونه إما للمتمردين يشاركهم محنتهم بعمق ويشاركهم مشاعرهم يعتبر منهم وهو بوصفه فرنسا مطالبا بان يتحمل بصورة كاملة تضامنه مع فرنسا [4] .

بل أن هؤلاء المتجنسين تعرضوا للمقاطعة من أبناء جلدتهم فصاروا في عزلة ، وهذا ما أكده جوريس بقوله : "...لقد وضعنا الشباب الجزائري يتخبط بين حضارتين فمن جهة فقدوا وبسرعة اتصالهم مع حضارتهم ومن جهة أخرى يجدون صعوبة في التجاوب مع حضارتنا [5] .كما أكده ج مارسي عندما قال " مهما كان حرصنا في دار المعلمين على الانخلاع عنه(أي المعلم الأصلي)الطابع الإسلامي (ارتداء اللباس الأصلي، ومنع المشروبات ،صوم رمضان)تعني بالنسبة إلى بني جلدته أشبه ما يكون بالمرتد الذي لا يستحق الاحترام يمثل المعلم الأصلي لبسا خطيرا فهو من جهة مسلم، لكنه من جهة أخرى يعاشر الأوروبيين خاصة[6]

ولعل بروز الوعي الوطني الناضج عقب الحرب العالمية الأولى بظهور الأمير خالد الذي قامت حركته الوطنية على الإسلام جعلت جماعة المتجنسين والاندماجيين في اختيار حقيقي مع الشعب هل يؤمنون به أم يريدون فقط أن يتخذونه ظهرا يركب وضرع يحلب للوصول إلى مآربهم فقد أعلن خالد حربه على هذا الرهط من المنسلخين عن أصالتهم إلى حد استعمال العنف اللفظي كما نجده في هذا الرد على الأستاذ صوالح المتجنس فقد قال فيه :"...أن هذا الرجل يعتقد أن تجنسه ونكران اعتقاده وأصله ، وان تناوله لحم الخنزير ولباسه"الشابوا"من شأنه أن يخول له طابعا فرنسيا متميزا،والحق أنه لا يستحق إلا الخزي."[6]

1- سعد الله : الحركة الوطنية جزء 2 ص 187 نقلا عن حلوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ص 266 .

2- جان عمروش(1906 – 1962) شاعر ومترجم الشعر القبائلي الى الفرنسية.

3- محمد الميلى : الجزائر والمسألة الثقافية مجلة المستقبل العربي عدد 45 ص 44 .

4- محمد الميلي : المرجع السابق عدد 45 ص 44 .

5- حلوش : المرجع السابق ص 267 .
6- -محمد ززالشريف ساحلي،تخليص التاريخ من الاستعمار ص 89
7- د / زهير أحدادن : المرجع السابق ص 174 .

وفي معركة الانتخابات في مطلع العشرينات شكل خالد وجماعته كتلة منافسة لأنصار التجنيس الذين رشحوا أنفسهم أيضا في هذه الانتخابات ودارت الحملة الانتخابية حول قانون 1919 وقضية التجنيس حيث جاءت النتيجة بالفوز الساحق للخالدين في جميع المدن فقد تحصل خالد في مدينة الجزائر على 2995 صوت في حين لم يحصل منافسه د/ تامزالي سوى على 245 صوت [1] .

ثم انتظمت انتخابات أخرى في نفس السنة وخرج منها الخالدون منتصرين على خصومهم المتجنسين .

فتأكد لإدارة الاحتلال بما لا يدع مجالا للشك أن الموالين لها من المتتجنسين لا قاعدة شعبية لهم ومن ثمة تدخلت لنصرتهم عن طريق التزييف والتحريف حيث خسر الخالد يون انتخبات 1922 م وفاز الموالون للاستعمار تقول الأقدام "...نعم فاز المرشحون الخمسة الذين اختارهم الوالي ليـــس نتيجة للتصويت، ولكن تحت التهديد والترهيب ..." ويصرح خالد فيقول : "...أن الإسلام قوة عظيمة وهذه القوة تستطيع أن تلعب دورا كبيرا في الحضارة العالمية وحذا ري من نفي هذه القوة إلى الفوضى مع جميع الاحتمالات..."[2] .

_ وتختيم مرحلة الربع الأول من القرن العشرين بتحالف المتجنسين مع الإدارة الاستعمارية التي راحت تحكم خناق التضييق على الأمير خالد حتى انتهت إلى نفيه من وطنه سنة 1923 م [3] .

وهكذا ندرك بأن تيار التجنيس والإدماج ما هو في الحقيقة سوى الأداة التي كانت فرنسا تريد بواسطتها أن تحكم قبضتها على الكيان الجزائري من الداخل (4) بعد أن جردت هذا الشعب من كل مقومات الحياة . وإذا كان الأمير خالد قد نفي فأن أفكار الثورة ضد الإغتراب الحضاري لم ترحل معه فقد استلهم الذين جاؤوا من بعده روح المقاومة منه واستأنفوا مقاومة هذا المشروع الاستعماري الخطير .

وعندما اشتد ساعد النهضة والحركة الوطنية أصبح ثمة خطاب هجومي على تيار التجنيس والاندماج يهدف إلى صيانة المجتمع من كل ما من شأنه أن يزرع بذور الفتنة فيه وفي هذا الصدد يطالعنا الأستاذ السعيد الزاهري بمقال تحت عنوان " العربية والنواب " كله انتقاد لاذع واستنكار لتواطؤ بعض النواب الجزائريين مع الإدارة الاستعمارية من الذين كانوا يروجون لفكرة نيل الحقوق عن طريق التجنيس . وهو الأمر الخطير من الوجهة الاجتماعية والدينية والسياسية على الأمة الجزائرية التي لها من المناعة ما يجعلها قادرة على إفشال كل المخططات التي تريد أن تنال منها "...أن من يطلب من أمتنا المسلمة أن تخرج من إسلامها وجنسها كمن يطلب منها أن تخرج من لحومها، ودمائهـــا، وعظامها، وأمخاخها وان يكون

1- د / زهير احداد : المرجع السابق ص 174 .

2- احد ادن : المرجع السابق ص 175 .

3- عن حياة الأمير خالد ونشاطه السياسي والإصلاحي والوطني أنظ : د / محفوظ قداش: الأمير خالد ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرد– ت .

4- لقد كانت المدارس الفرنسية الأولى التي فتحت أبوابها لبعض أبناء المسلمين تخرج إطارات منظمة إلى صفوف المعمرين انظماما تاما ومن الأمثلة الدالة على ذلك المترجمين العسكريين وصار بعضهم ملاكا كبارا أو ضباطا مثل بن داود وقاضي أو مدرسين مثل فاتح الذي عمل خلال ثورة 1871 في مليشيا المعمرين في سور الغزلان أو الأستاذ مجدوب بن خلفات صاحب كتاب ادماج الأهالي وتعليمهم. أنظر: ساحلي، تخليص التاتريخ من الاستعمار، ص 88 – 89.

ذلك أبدا لدهر وافرى الليالي ، فليخرج الجادون في هذا الأمر أنفسهم ولا يتعبوا في طلب ما يرجعون منه بغير الخيبة والإخفاق ولا يرجع على الأمة إلا بالخسران ..." [1] .

_ وركز الشيخ أبوا ليقظان على مبلغ الأضرار التي تصيب الأمة من التجنيس بتعطيل شريعتها والانسلاخ من أورمتها فيقول " ...التجنيس الذي عرفوه هو الانسلاخ من الجنسية الإسلامية والدخول في الجنسية الفرنسية بمعنى الاعتراف بفساد الشريعة الإسلامية وعدم الالتزام بأحكامها والاعتراف بصلاحية التشريع الفرنسي الوضعي والالتزام بأحكامه عليه وعلى ذريته من بعده ..." [2] .

وانطلاقة من هذه القناعة فقد حكم على المتجنسين بالردة والخروج عن الجادة في ذلك يقول[3]. "...وأي ردة أكبر من الانسلاخ عن الجنسية الإسلامية والرجوع عن شريعة الإسلام إلى اعتناق الجنسية الفرنسية والنزول في الأحكام على الشريعة الوضعية الفرنسية . أم كيف يعد المتجنس مؤمنا والله سبحانه وتعالى يقول " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " [4] .

وهذا الموقف المبدئي الذي وقفه الشيخ أبواليقظان من مسألة التجنيس سار على نهجه أيضا الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي هاله هو الآخر ما كان يبيت ضد الأمة الجزائرية من مؤامرات على كيانها ومقوماتها فراح هو الآخر من خلال مقاله الطويل الذي نشره بجريدة الإصلاح تحت عنوان " بين الموت والحياة " يكشف من خلاله عن معاناة الأمة الجزائرية من أولئك الذين يردون أن يلحقون بها الضرر من حيث يريدون نفعها وهم في الواقع ضحايا من ضحايا الاستعمار فذكر في بداية مقاله " الخطر محدق بنا ، الهوة السحيقة فأغره فأهال ابتلاعنا وأنه لخطر الاحتمحلال ، وأنها لهوة الموت والفناء ، فإن كان البعض منا لا ينتبهون قد أصاب بالعمى قلوبهم التي في الصدور [5] .

وأوضح بأن طريقان قد فتحا أمام الجزائر الحديثة طريق التغريب الذي يتزعمه المتجنسون وطريق الأصالة والمحافظة على الشخصية الوطنية . فأي الطريقتين يتوجب على الجزائر سلكه وهي في فجر نهضتها ؟ إنه طريق الأصالة والمحافظة على الشخصية الوطنية العربية الإسلامية الذي يوصل إلى تحقيق مستقبلها الزاهر [6] .

1- الأستاذ محمد السعيد الزاهري : العربية والنواب ، جريدة البرق عدد 18 (11 – 7 – 1927 م) .

2- الشيخ أبواليقظان : رأينا في التجنيس ، جريدة وادي ميزاب عدد 70 (17 – 2 – 1928 م) .

3- أبواليقظان : المصدر السابق .

4- سورة النساء الآية 65 .

5- الأستاذ أحمد توفيق المدني : بين الموت والحياة ، جريدة الإصلاح عدد 27 / 2 / 1930 م.
6- نفس المصدر .

ويعود الأستاذ المدني إلى التاريخ مستحضرا الشواهد ليدلل بها عن استحالة ذوبان الكيان الجزائري في كيان كل مستعمر ومسيطر "...وهل يمكن لشعب الجزائر العربي المسلم أن يصبح شعبا فرنسيا خالصا في آدابه ولغته وتقاليده ، وعوائده ويتخلص ولم في عدة قرون من دمه الخاص ، وكل ميزاته ووراثته ؟

إن ذلك هو عين المستحيل ولا ريب أن أنصار التجنس والاندماج يدركون جد الإدراك أن الجزائر ليست بأول أمة احتلت أرضها أمة أخرى ، وأن الاحتلال الفرنسي ليس بأول احتلال وقع على أرض الجزائر ...لقد دام الاحتلال الروماني للجزائر رهيبا شديدا ، زهاء ستة قرون ، فما أصبح سكان الجزائر رومانيين أثناء تلك المدة ، ورضخوا قرنا لسلطة الوندال فما أصبحوا وندالا ، وأخيرا حكمهم الأتراك وهم أبناء دينهم زهاء ثلاثة قرون فلم يستتركوا ، فكيف تريدون أن تبتدع الجزائر سنة جديدة في سنن العمران وتسعى لأن تندمج في أمة غالبة ، متنازلة من كل ميزاتها الخاصة ؟ ذلك ما لم تقم به أية أمة من أمم العالم وقعت تحت الاحتلال الأجنبي ..." [1] .

ويستمر الأستاذ المدني في مقاله كاشفا زيف الوعود الفرنسية في تحقيق مساواة بين الجزائريين والأوربيين في الجزائر ، وخيبة آمال هؤلاء المتجنسيين في نيل أي حقوق مسهبا في شرح هذه الفكرة فيقول "...وقد تجنس قوم طمعا في الحصول على بعض الحقوق السياسية وعلى بعض المنافع المادية ، فخاب الأولون وخاب الآخرون فمن يجنس طمعا في الانتفاع . كما يرى أنه لا يستطيع بتجنسه أن يبتاع قطعة أرض استعمارية لأن الاستعمار يشترط عدم بيعها للعربي ولو كان متجنسا ، ومن تجنس طمعا في الحقوق السياسية كان يقول : لو أصبحت في الجزائر أغلبية متجنسة لنالت حقوقها ولتمكنت يوما من إدارة دفة الأمور في البلاد مع الفرنسيين . وخاب هؤلاء خيبة جديدة وتلقوا درسا قاسيا مؤلما أثناء الانتخابات البلدية الأخيرة . فهناك في مدينة " المكلا " أغلبية متجنسة دخلت الميدان الانتخابي مع الفرنسيين وفازت فكان المجلس البلدي هنالك يشمل أغلبية جزائرية انتخبها الأهالي المتجنسون وأقلية فرنسية مسيحية انتخبها الفرنسيون .(2)

فمن كان يدعي أن المتجنس ينال كل حقوقه السياسية فليستمع لهذه النتيجة : رفع أمر " المكلا " إلى مجلس العمالة في الجزائر فقرر حل المجلس البلدي لأن الأغلبية الجزائرية مسلمة و إن كانت معتنقة للجنسية الفرنسية ولهذا فسياسة التجنيس والاندماج قد أخفقت تماما وأفلست كل الإفلاس وهكذا يخيب ويفلس كل أمر مخالف للسنن الطبيعية وقوانين الاجتماع ..." [3] .

ويختم المقال بتأكيده ما بدأه من تقرير بمخاطر التجنيس والاندماج منبها الأمة الجزائرية بضرورة تمسكها بقيمها الحضارية العربية الإسلامية ، والاستمساك بعروة الوحدة الوطنية فيقول : " ...فيا شعب الجزائر :

1- نفس المصدر . 2- اعتبر عويداد أن إلغاء نتائج انتخابات(المكلا) يشكل حدثا ذا مغزى باعتبار أنه زرع الشك في نفوس المتجنسين ومسهم في كرامتهم كفرنسيين وأمام هذه الحقيقة المؤلمة لا يمكن مطلقا منع الاهالي المتجنسين من الاحساس بأنهم ليسوا إلا مواطنين من الدرجة الثانية.
أنظر: Aoudad, la naturalisation nous confère-t-elle le droit de cité ?, voix des humbles, aout 1929, n° 77
3- نفس المصدر .

عره بيتك ودينك في حالة تلاش واضتمحلال ، وناشئتك في جهل وإهمال ، وان مستقبلك كأمة إسلامية لبين يديك فإن شئت عملا صالحا فهذا أوان العمل الصالح ، ولا يكون العمل منتجا مثمرا إلا إذا كان رائده التضحية والإتحاد . ونبذ كل خلاف وشقاق وعدم النظر إلا للواجب المفروض ..." (1) .

أما الأستاذ الشيخ مبارك الميلي فقد اعتبر الادماج أخطر على الأمة من الأمية والجمود لأنه يستهدف كيان الأمة ومصيره الحضاري فيقول "...أن سياسة الإندماج هي القبر الذي لا نشور بعده ، إن البقاء على هذه الحال التي نحن متفقون على مقتها خير عندي من الاندماج ، لأن حياة منحطة خير من ميتة شاذة عن ميتة الأمم ، ولو أن المفكرين في صالح الجزائر و العاملين على تطهير عقولنا من الأوهام يتفقون كلهم – وهو ما لا يكون أبدا – على فكرة الاندماج لوقفت في صف دعاة الجمود ، ونصراء الخرافات والأوهام ، لأني أرى ذلك خير من الاندماج (2) .

واعتبر الشيخ الفضيل الورتلاني أن دعوة الاندماج ما هي إلا دعوة منافية لسياسة الأمر الواقع " الاستعماري " بحيث يبقى الجزائري محروما من كل حقوقه . بينما الفرنسي متمتعا بكل الامتيازات "...يجوز للفرنسي ، بل من حقه الطبيعي أن يتمتع بجميع وظائف الدولة الإدارية والقضائية والعسكرية ...أما الجزائري " المندمج " فإن القانون الفرنسي " الاندماجي "(3) لا يتيح له أن يتمتع بما فوق وظيفة مختار،لا يجوز له أن يكون قاضيا في محكمة أهلية ، ولا نائبا للقاضي و لا يجوز له كذلك أن يكون رئيس قسم بوليس ، ولا معاونا له ...هذا توضيح بسيط أقدمه إلى القارئ ليدرك أن الفرنسيين أنفسهم كانوا كاذبين في دعوى إدماج الجزائر في فرنسا و لا يزالون يكذبون حتى اليوم ويغالطون وأننا لنتحدى فرنسا أن نثبت غير ذلك ..." (4) .

ثم يضيف الشيخ الورتلاني مبرزا رفض الجزائريين لأي إلحاق أو إدماج مع غيرهم ما داموا قبل سنة 1830 م متمتعين بكامل السيادة على وطنهم فيقول "...أن الجزائر قائمة بذاتها مستكملة الشروط والخصائص ، وأنها كانت قائمة موجودة قبل وجود فرنسا ، ولا تزال وستضل موجودة إلى ما شاء الله رغم أن الجزائريين أحرار مثل الفرنسيين أنفسهم لا يريدون إدماجا و لا التحاقا ، و لا ذوبانا بأحد ، ولو أراد الجزائريون يوما ذلك الاندماج ، وكانت دواعيه وملابساته متوفرة وموانعه غير قائمة لما كان هذا الاندماج إلا بإخوانهم العرب دون سواهم ..." (5) .

وعلى هذا النسق يأتي مقال الأستاذ ابن بأديس هو الآخر ليكشف عن الحقيقة الخديعة الفرنسية للمتجنسين الجزائريين المغرر بهم الذين ما كان لهم أن يتجنسوا لولا ما وعدوا بــه مـــن حقوق وامتيازات

1- نفس المصدر .

2- الشيخ عبد الرحمن شيبان: الغزو الثقافي بين الحصانة الذاتية والبناء الحضاري مجلة الثقافة عدد 89 (1985م) ص 11

3- يتوافق هذا الطرح مع ما أقره الكاتب ألبير ميمي من مواليد تونس 1920 عنما اعتبر أن الاندماج لا يكفي لحصوله، التخلي عن الوسط الخاص بل يجب أن يتقبلك الوسط الآخر وهنا نجد الجدار المانع لذلك وهي عنصرية المعمرين وعقليتهم الاستعلائية. أنظر: ماكسيمنكو، نفس المرجع، ص .78

4- الشيخ الفضيل الورتلاني : الجزائر الثائرة دار الهدى عين ميلة الجزائر ط 3 د – ت ص 58 .

5- نفس المصدر ص 58 – 59 .

صدر هذا بعد أن نشر زعيم المتجنسين رابح زناتي عن مأساة المتجنسين وخيبة آمالهم في فرنسا حيث علق الشيخ ابن بأديس على مقال زناتي المعرب في الشهاب فقال "...لقد بات معلوما ضروريا أن رفض أحكام الإسلام هو ارتداد عنه ، وما كان أكثر الذين فعلوا هذه الفعلة على قلتهم عالمين بهذه الحقيقة وما أقدموا على ما أقدموا عليه من رفض الإسلام إلا ببواعث الرغبة في عرض الدنيا ودواعي الطمع في نيل الحقوق الفرنسوية كالفرنسيين الحقيقيين ، ولكن هذه الرغبة لم تتم ، وهذا الطمع لم يتحقق وبقي القوم ويا الأسف معلقين لا من ملة آبائهم ولا من الملة الأخرى ..." (1) .

و ليؤكد على حقيقة ضياع المتجنسين الذين خرجوا عن أصالتهم واندمجوا في غيرهم من دون أن يحصلوا على شيء وضاعوا متخبطين يقول رابح زناتي في صوت الأهلي 26 مارس 1930 م " اليوم أهالي الجزائر صاروا ما بين نارين : الظلاميين الرافضين لكل تقدم ، والمعمرين المعارضين لكل وفي مادي وأدبي لهم ومع استمرارنا في العمل بين القوتين لم نحصل على طائل ....أننا ضحايا ذهنيتين مختلفتين وحضارتين متعرضتين ، ولا أحد من أحد الطرفين يسعى لتسهيل التواصل الضروري ، كل طرف متشبث بمواقفه . هذه هي الحقائق الجزائرية التي نريد أن نتجاهلها ، والتي هي في الحقيقة تساعدنا على تنمية وتكوين علاقات تقوم على قاعدة احترام المواقف الشخصية لكل إنسان بغض النظر عن عرقه وديانته . وما دام الأمر لم نصل إليه لا نتوقع أي أمل للجزائر " (2) .

وفي خطوة غير مسبوقة يطلق الأستاذ فرحات عباس بعد عودته من فرنسا النار على أمته الجزائرية متنكرا لها وللوطن وللدين والتاريخ واللغة أي مكونات الهوية الجزائرية ، إنها الحرب على الذات لتدميرها وقفزة في المجهول للتناهي في الآخر ، فتحت عنوان أنا فرنسا كتب في جريدة الوفاق يقول "...أنني فتشت عن الأمة الجزائرية في التاريخ فلم أجد لها ذكرا ، ومكان لها بين الحضارات فلم أعثر لها على رسم ، وذهبت إلى القبور أسألها فلم أجد لها أثر ، فكيف تطلبون مني أن أومن بلا وطن لا وجود له ..." الوطنية هي ذلك الإحساس الذي يدفع بشعب أن يعيش داخل حدوده الإقليمية ، إحساس خلف هذه الشبكة من الأمم لو كنت اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنيا ، ولن أخجل من ذلك ، كما يخجل من جريمة فالرجال الذين ماتوا من أجل المثل الوطني هم يوميا مكرمون محترمون وحياتي ليست أهم من حياتهم ومع ذلك سوف لا أومن من أجل الوطن الجزائري ، لأن هذا الوطن غير موجود ولم أكتشفه .سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات وزرت المقابر ، ولم يكلمني أحد عنه ..." (3) .

ورب ضرة نافعة فنفي الثابت قابله الشيخ ابن بأديس بنفي النفي الذي يعني تأكيد الإثبات ، حيث كتب في شهابه ردا هادئا (4) ومقحما مترفعا عن كل ما يخدش كرامة الأشخاص ، وراح للبت الحقيقة

1- الشيخ ابن باديس : أقر الخصم وارتفع النزاع مجلة الشهاب ج 9 م 6 ص 574 (أكتوبر 1930 م) .

2- R zenati : Devaut les Réalités voix Indigène 26 mars 1938 .

3- FERHAT ABBAS :LA FRANCE C EST MOI L ENTENTE 23 FEVRIER 1936 .

4- هناك رد لمالك بن نبي على مقال فرحات عباس ولكن العمودي رفض نشره ، حتى قام صديق بن نبي حمودة بن ساعي بنشره باحدى جرائد قسنطينة سنة 1991 انظر SADEK SELLAM HAMOUDA BENSAI ISLAM DE France 3 -1999 P145

فأصاب كبدها ، ولم يترك لخصوم الهوية الجزائرية ثلمة ولا منفذ للطعن فيها وبدا ساعتها ليس كرمز للإسلام في الجزائر فقط بل أيضا زعيم للوطنية ألحقه وفي ذلك يقول "...أننا نحن لو فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة ، لوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ، ثم أن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ولو أرادت ، بل هي أمة بعيدة من فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمة في الدنيا لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة ..." (1)

وقد اعتبر الدكتور عبد الله شريط أن قوة الشيخ ابن بأديس ليس فقط في أمانته في التعبير عن روح شعبه عند رده على فرحات عباس بأن الجزائر ليست فرنسا و لا تريد أن تكون فرنسا و لا تستطيع أن تكون فرنسا وإنما كانت قوته في كون هذا الرد كان عمليا في حين بقي حكم فرحات عباس نظريا . (2)

وأكد الشيخ ابن بأديس على خطورة التجنيس على مستقبل الأمة الجزائرية(3) ولذلك لم يكمن يهادن ولا يداهن في هذه المسألة حيث أصدر فتوى صريحة على المتجنسين تجعلهم خارج دائرة الإسلام "...التجنيس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية ومن رفضه حكما واحدا من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع فالمتجنس مرتد بالإجماع والمتجنس بحكم القانون الفرنسي يجري تجنسه على نسله فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حضيرة الإسلام وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه وإثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدين خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته ..." (4) .

وقبل صدور فتوى الشيخ ابن بأديس التي أزالت كل لبس أو غموض اعتبر الشيخ أبو العباس أحمد بن الهاشمي أن مسألة " التجنيس " تعد محنة من المحن الذي ابتلي بها المجتمع الجزائري المغلوب على أمره والمطرود من أرضه وممتلكاته ، حيث صار بعض الناس يطمعون في نيل حقوق مقابل الإقدام على التجنيس معززا دعوته بشواهد دينية معتبرا أن الآية الكريمة " لتبلون في أموالهم وأنفسهم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وأن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور " تأمر بالصبر والتقوى إزاء الابتلاء فقال " ...فالصبر والتقوى من عزم الأمور ، والتجنـــس ليس من

1- أنظر مجلة الشهاب ج 1 م 12 أفريل 1936 م آثاره مج 3 ص 308 – 309 في عنوان : الرد على فرحات عباس .

2- د / عبد الله شريط : مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الإيديولوجي في الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 م ص 112 .

3- جاء في مراسلة المقيم العام الفرنسي بتونس إلى الوالي العام بالجزائر مؤرخة بتونس في 1937/01/19 أن من بين أهداف الشيخ عبد الحميد ابن باديس أثناء زيارته لتونس في ديسمبر 1936 م وهو البحث عن مزيد من التنسيق لتوحيد الخطة لمقاومة التجنيس"بين الأحزاب"الوطنية الجزائرية والتونسية حيث التقى مع زعماء الحزب الدستوري الجديد الحبيب بورقيبة الكاتب العام

للحزب والدكتور الماطري رئيس الحزب،كما التقى مع السيد محمد العيد جباري مؤسس الشبيبة الموحدة لشمال افريقيا والصحفي:الطيب بن عيسى وجمع من الطلبة الجزائريين الزيتونيين أنظر:A O M .9 H 46.
4- أنظر نص الفتوى في جريدة البصائر 14 جانفي 1938 م .

الصبر..." [1] .

ونظر إلى التجنيس كذلك على أنه تبديلا اختياريا وإتباع لغير سبيل المؤمنين ثم قال : "...نحن لاننكر ما نحن فيه من أنواع المحن ، وما يسد طريق المستقبل في وجه أولادنا ، ولكن هذه المحن بلغت ما بلغت لا تخرج من اصطلاح القرآن عن كونها فتنة ، والصبر على فتنة الناس أهون من التعرض لعذاب الله المشار إليه في قوله تعالى:" ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله "[2]

وكما أصدر الشيخ الطيب العقبي فتوى في جويليه 1937 م حيث اعتبر فيها التجنيس ردة عن الإسلام يتوجب على صاحبها التوبة " ...التجنيس بمعناه المعروف بشمال إفريقيا والإقدام عليه غير جائز بوجه من الوجوه ، ومن السحل استبدال حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بحكم من أحكام الشرع الإسلامي فهو كافر ومرتد عن دينه باجماع المسلمين "...واعتبر أن توبتهم بقيدهم إلى الإسلام كإسلام غيرهم من أصحاب الملل الأخرى ..." [3] ثم أعلن هذا الموقف شخصي لا يلزمه إلا هو وهو بهذا التعقيب يريد أن يضفي على موقفه طابع الاجتهاد الشخصي القابل للخطأ والصواب وبالتالي فهو ليس موقفا حاسما و لا باتا في قضية صعبة شائكة ولذا بقيت الأمور إلى حد ما ضبابية وقابلة للتأويل يمكن أن يجد فيها المتجنس متكأ يستند إليه . ويبدو أن هذا الموقف الشخصي للشيخ الطيب العقبي مستوحى من الفتوى التي أصدرها مجلسا الشرع في تونس المالكي والحنفي اللذين اعتبرا المتجنس مرتدا وأبقيا باب التوبة مفتوحة أمامه . ولكن بعد طول انتظار يأتي موقف الشيخ ابن بأديس الحاسم والبات ليزيل الضبابية . [4] كما سبق أن تناولناه وهنا تتضح حنكة جمعية العلماء في الربط المباشر بين الشعور الديني والشعور الوطني فقد أخرجت الجمعية الدين من حيزه الفردي الضيق إلى حيزه الوطني وجعلته خادما للقضية الوطنية فتحول المسلم على جنسية غير جنسيته في نظر ابن بأديس ارتداد بما يترتب عن هذا الارتداد من أحكام دينية (5) في الزواج والطلاق والميراث والموت ، وهذا إخلاف لفرحات عباس الذي فصل بين الدين والوطن فقال : "...أن الجزائر فرنسية وأننا فرنسيون لنا خضام إسلامي لأحوالنا الشخصية والمطلوب هو الإنتقال من المستعمرة إلى المقاطعة ..." [6] .

1- الشيخ أبو العباس أحمد بن الهاشمي : وإن تتولوايستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا مثالكم ، جريدة البصائر أوت 1936 م عدد 32 .
2- نفس السابق .
3- الشيخ الطيب العقبي : مطالب الأمة الجزائري جريدة البصائر جويليه 1936 م عدد 30 .
4- سالم الحداد : صراع الهوية بين الأنا و الآخر ص 222 – 223 .

5- لقد اعتبر زناتي فتاوى العلماء ومنها فتوى الشيخ عبد الحميد بن باديس التي تحرم على المسلمين الصلاة ودفن المتجنسين في مقابر المسلمين بمثابة منع بالفعل لأي احتكاك بالغرب واتصال مع فرنسا وكل فرنسة حقيقية. أنظر: R zenati, le probleme Algerien vu par un indigene, suplement de l'A, F, mai 1938, p 96.

6- نفس المرجع ص 224 .

صدرت هذه الفتوى حينئذ في فترة كان الشعب ينتظر من يرفع راية التحدي فتأججت المشاعر الدينية ضد فرنسا وضد المنذلين لها من المتجنسين ، وتحولت نظرة الشعب إليهم من الاحترام والتقديرباعتبارهم فئة متميزة محظوظة إلى الاستخفاف والاحتقار لأنهم من أهل الردة باعوا دينهم وخانوا وطنهم مقابل امتيازات مادية خدعتهم بها فرنسا [1] .

والوقع أن هذه الفتوى لا يجب أن ينظر إليها من زاوية الاجتهاد الديني ، هل أصاب ابن بأديس جوهر الحقيقة من الناحية الوطنية ومن حيث الدور الذي لعبته في المحافظة على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري . لقد أوقفت النزيف الذي كاد أن يعصف بالجزائر ويهوي بها إلى الفرنسية . [2]

فالمتجنس أصبح يشعر بأزمة داخلية نتيجة لاتهامه بالردة . بل أحس أنه مطارد أينما كان وفي كل لحظة، في البيت ، في الشارع ، حيا أو ميتا هو وذريته ويتخيل نفسه وهو ميت وقد انفض من حوله المسلمون ولا في المقابر الإسلامية ، وإنما تلقى جثته في مكان ناء منزو ومع الأوربيين " الكفرة " إنه شعور مرعب مخيف تقشعر له الأبدان وتهتز له الأحاسيس وتحتار له الالباب فتجعل المتجنس في معاناة دائمة ، كما اهتز النسيج العائلي الذي يتحرك فيه ، فير مضه الاحتكار للفضاء الإسلامي فقد وصايته على زوجته ، ولم تعد له صلاحية طلاقها ، فذاك من مشمولات المحكمة وطرح إشكال آخر حول الميراث بالنسبة للوارث والموروث هل يجوز أن يرث ؟ وأن يورث ؟ وإذا جاز ذلك فكيف توزع الثروة بين الذكر والأنثى هل بالتساوي حسب القانون الفرنسي ؟ أم للذكر مثل حظ الأنثيين ؟ ذلك هو الأثر النفسي والاجتماعي الذي أحدثته فتوى التجنيس فأصبحت الجزائر تعيش حالة من التوتر نجم عنها ظهور ثلاث مواقف :

1- السلطة الفرنسية : تنظر للفتوى نظرة عدائية لأنها تحرض على قتل المتجنسين مدام مرتدا عن دينه .

2- المتجنسون : يستنجدون بالسلطة تركزت حملتهم المضادة على :

- التشكيك في مصداقية الفتوى وعملوا على تشويهها وأن العلماء غير مؤهلين [3] .

- استعداء السلطة الفرنسية بعد 12 يوم من صور الفتوى في البصائر كتب الزناتي في صحيفة " الأهلي " مقال يحرض فيه السلطة الفرنسية على تتبع هؤلاء الذين يعملون جاهدين " على خلق جو من التوتر وتعميق الهوة بين فرنسا والأهالي في حين أن الرجال الواعين يسعون إلى راب الصدع الذي يأسفون لوجوده "

1- نفس المرجع ص 225 .

2- نفس المرجع ص 225 .

3- الحداد :المرجع السابق ص 226 – 227 .

وأشار كذلك " إلى أن الجزائر في حاجة إلى خطاب يوطد السلم والانسجام " كما بعث أحد الشعراء المتجنسين إلى هذه الصحيفة معربا عن عدم ارتياحه من موقف اللامبالاة تجاه الفتوى وطالب فرنسا بأن تختار بين أمرين : إما أن تدافع عن المتجنسين وتسكت أعداءهم الذين يهاجمونهم في كل مكان معتبرين إياهم مناوئين للإسلام . أو أن تسمح لهم بالعودة إلى إخوانهم .(1)

- الإمتناع عن إقامة صلاة الجنازة على المتجنسين وهذا الذي دفع الحاكم العام لوبو LEBEAU على عزل إمام مسجد ومؤذن وحزابا(2)لأنهم رفضوا أن يصلوا على أحد المتجنسين المسمىأوسعادة شاوش بالبلدية.(3)

- غلق المقابر لا تستغرب أن يهرع المسلمون في الجزائر إلى غلق مقابرهم في وجه المتجنسين كما فعل التونسيون من قبل في بنزرت والجلاز والمنستير فعندما مات ابن التهامي المتجنس وانخرط في الحركة الماسونية أغلق الأهالي مقبرة سيدي عبد الرحمن بالعاصمة حيث يقيم، كذلك فعل أهل مستغانم مسقط رأسه. ولم تتم عملية دفنه إلا بعد تدخل السلطة الفرنسية .

ثالثا : حصاد المتجنسين : بعد صدور الفتوى شعر المتجنسون بالخوف وبوخز الضمير ووجدوا أنفسهم محاصرين من شعبهم ومخدوعين في عدوهم لذا عبر البعض صراحة عن ندمهم وأعلنوا عن رغبتهم في العودة إلى جنسيتهم الأصيلة . ومن تونس بعث رئيس جمعية المسلمين المتجنسين رسالة إلى الشيخ ابن باديس عبر فيها باسمه وباسم رفاقه عن تقدير الجمعية له لمواقفه الحاسمة وتفسير سليم لموقف الشريعة من قضية التجنيس وفي هذه الرسالة انتقد مواقف رجال الشريعة في تونس (4) الذين لم يتحلوا بنفس الجرأة التي تحل بها الشيخ ابن باديس وخضعوا لضغوطات الإدارة الاستعمارية .

وفي الأخير قدم شكره لإصدار هذه الفتوى وأبرز أن المستعمرين يرفضون أن نعود إلى جنسيتنا التي يعترف الجميع بوجودها وأشار إلى أن هذه الفتوى جلبت احترام جميع المسلمين لجمعية العلماء . (5)

وصور الأمين العمودي هؤلاء المنسلخين عن جلدتهم بشكل يبعث على النفور من التجنيس والإدماج ما دامت النتائج لا تخدم الوطنية الجزائرية فقال نظما في طبيب مسلم متزوج من فرنسية وله منها غلام.

حي الطبيب ولا تنس قرينته ... هو سليمان والمدام بلقيس

له غلام أطال الله مـــــدته ... تنازع العرب فيه والفرنسيس

لا تعدلوه إذا خان أمـــــته ... فنصفه صالح ونصف موريس(6)

1- لقد أفتى مفتي بنزرت بخروج المتجنسين عن الإسلام ولقيت فتوته تأييد شعبا كبيرا ، أنظر المناعي المثقفون التونسيون ص 223 وما بعدها .

2- الإطارات الدينية المعزولة هي الغمام أبو زار محمد والمؤذن بوعاوش محمد والحزاب حراث علي، أنظر برقية بريدية من عامل عمالة الجزائر إلى الوالي العام، مؤرخة في الجزائر في 1937/9/2، AOM 9H47

3- Mostéfa Haddad, projets coloniaux au Maghreb de l'entre deux guerres, Revue d'histoire maghrébine, n° 63-64, 1991, p 285.

4- أنظر جريدة البصائر عدد 101، (جانفي 1938 م) .

5- Haddad, Op, Cit, p 285.

6- حمزة بكوشة، شخصيات منسية ، الأمين العمودي، مجلة الثقافة، عدد 6، 1972، ص 55 .

كما يجيء موقف حزب الشعب من التجنيس و الإدماج متوافقا كل التوافق مع العلماء المصلحين ستجد الرفض المطلق لهذا المشروع الإندماجي فحسب تصريح المكتب السياسي " ...فلا دمج و لا فصل ، بل تحرر . إن حزب الشعب يرفض كل سياسة تهدف إلى الدمج ، فلا يمكن لسياسة الدمج أن تستقيم ، لا حقوقيا و لا سياسيا و لا تاريخيا . و عندما يرفض هذا الحزب سياسة الدمج ، فإنه سيعمل للتحرير الكامل للجزائر من دون أن ينفصل من أجل ذلك عن فرنسا ... " . [1]

و يزيد على ذلك تأكيدا ما جاء أيضا في المقال الذي كتب في جريدة " البرلمان الجزائري " و الذي عنوانه " حزب الشعب الجزائري مع تحرر الشعب الجزائري " حيث تقرأ فيه العبارات التالية : إن التجنيس فيما يرى المسلم الجزائري (ذلك التجنيس الذي كان جزءا من مشروع بلوم(2) فيوليت)[3] يشكل من وجهة النظر الدينية و طبقا لنص القرآن و روحه نوعا من الرّدة و كذلك فإنه يشكل من وجهة النظر السياسية خيانة ، لأنه يتضمن إهمال الطائفة الإسلامية ".[4] كما اعتبر الحاج أحمد مصالي أن تفسير الجنسية مناف للهوية الجزائرية بكل أبعادها الحضارية والتاريخية"إنه من المستحيل تغيير جنسيتنا كما يغير رباط العنف،فجنسيتنا هي قبل كل شيء ماضينا. وتاريخنا وأخلاقنا وتقاليدنا وذكريات شبابنا وعاداتنا وكل ما هو في مكونات شخصيتنا ،لا نستطيع أن نفرغ الشخصية من محتواها عن طريق عمل إرادي وبعبارة أخرى :نحن عرب وقبائل لا نستطيع أن نكون من العائلة الفرنسية بين عشية وضحاها[5]

إن هذا التصدي لسياسة التجنيس و الإدماج من قبل المواطنين الجزائريين نابع من إيمان راسخ بأن هذا المشروع الاستعماري لا يرمي في أهدافه البعيدة سوى إلى تجريد الإنسان الجزائري من سلاح المقاومة الروحي المتمثل في مقومات الشخصية الوطنية ، و طاقتها الأدبية و من ثمة تكريس مزيد من الهيمنة على الجزائريين إن " ...الإدماج إلى جانب كونه وسيلة فعالة من وسائل الفرنسية اللغوية و الثقافية ، فهو سد منيع أمام أية محاولة من طرف الجزائريين للمطالبة بالاستقلال عن الكيان الفرنسي . و هو كما يبدو في ظاهره مفيدا لتحقيق المساواة بين الجزائريين و الفرنسيين في الحقوق و الواجبات ... إلا أنه في الواقع كان شيئا مخالفا تماما ؟ فالجزائريون من حيث القانون الدولي فرنسيون يقومون بواجباتهم ككل المواطنين الفرنسيين ... أما من حيث المعاملات في الواقع و من حيث الحقوق فهم في أدنى المراتب تحت اليهود و الإيطاليين و الإسبان الذين وطنتهم الإدارة الاستعمارية في الجزائر و أنعمت عليهم بجنسيتها الكاملة ليصبحوا أسيادا على أهل البلاد الأصليين . [6]

1- سليمان الشيخ : الجزائر تحمل السلاح ،تر محمد حافظ الجمالي، دار القصبة، الجزائر، 2003، ص 57 .

2- ليون بلوم سياسي فرنسي عاش ما بين 1872 – 1950 عين سكرتيرا للحزب الاشتراكي ثم أصبح رئيسا له عام 1929 تولى رئاسة الحكومة عام 1936 ثم عام 1938 . أنظر: Michel mourre, dictionnaire encyclopedique d'histoire, bordas, Paris, 1968, p 591.

3-موريس فيوليت رجل سياسة فرنسي يساري اشتراكي عاش في الفترة الممتدة ما بين 1870-1960 م كان حاكما على الجزائر ما بين 1925-1927م ثم أصبح بعدها عضوا في مجلس الشيوخ الفرنسي،عرف عن قرب مآسي الجزائريين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية واعتبر بقاء السيادة الفرنسية في الجزائر مرهونة بتحقيق مزيد من الإصلاحات لصالح الجزائريين "إن لم تنصف الجزائريين ونشرعبإدخالهم ضمن الأبوة الفرنسية متساويين في الحقوق والواجبات،سيتدفعون في الميدان الاستقلالي التحرري وعندئذ تخسر فرنسا أرض الجزائر نهائيا أنظر أحمد توفيق

المدني ،هذه هي الجزائر ، ص 170. وقد ضمن فيوليت مشروعه كتابا يتألف من ثمانية فصول وخمسين مادة بعنوان:-l'Algerie vivra-t elle ?

4- الشيخ نفس المرجع ص 57 .

5أنظر EL OUMA.Janvien.1938

6- أحمد بن نعمان : كيف صارت الجزائر مسلمة ، ص 109 .

إن سياسة الإدماج قد منع تحقيقها في الجزائر ما اشترطه الاستعمار على من يريد أن يصير مواطنا فرنسيا بأن يتخلى عن أحواله الشخصية الإسلامية و من ثمة يكون قد حمل بذور فنائه في أحشائه ، فقد ظل الحائل الأكبر دون نجاحها هو تمكسك أفراد المجتمع الجزائري بقانون الأحوال الشخصية الإسلامي[1] كما كانت معارضة الجزائريين للتجنيس أكبر عائق لسياسة الإدماج وإن كان الجزائريين قد رفضوا جماعيا الإدماج منذ 1830 م ، فقد أعتبر الإدماج في عيون الناس بمثابة عمل منكر للهوية[2].

كما انتبه رجال النهضة الجزائرية إلى ما كان يدور في الساحة المغاربية من أحداث خاصة عندما استصدرت فرنسا ما عرف ب " الظهير البربري " [3] في المغرب الأقصى الذي كان يرمي إلى إقصاء القضاء الإسلامي من حياة المغاربة " البربر " و في هذا تفكيك لعرى الكيان المغاربي و أن خطره لا يتوقف عند المراكشيين بل سيتعداه إلى باقي الأقطار المغاربية و هذا ما جعل العلماء الجزائريون يتوجسون منه خفية فراحوا ينددون ب " الظهير البربري " تجاوب معه الحركة الوطنية في المغرب مما أجبر السلطات الفرنسية على التراجع عنه بعد ذلك بنحو أربع سنوات .

أما الذين وقفوا و تعاطفوا مع " الظهير البربري " هم قلة من أولئك الذين تجنسوا بالجنسية الفرنسية و كانت لهم منابر صحفية محدودة التوزيع مثل " رابطة المواطنين الفرنسيين " من أجل مسلم و مثل " الاتحاد الكاثوليكي الأهلي " و كانت لهذه الجمعيات منابر صحفية عديدة مثل صحيفة صوت المستضعفين (la voix des humbles) و مثل صوت الأهالي(la voix Indigène) و مثل (Le Mtourni)أي المتجنس بالعربية الدارجة محرفة عن الفرنسية [4]

كما أصدروا مجلة أدبية باللهجة البربرية وبما أن البربرية ليس لها حروف، فقد أعاروها حروفا لاتينية، ومما لا شك فيه أن هذه المطبوعات قد لعبت دورا بارزا في تشجيع الحركة البربرية وسياسة التنصير والتجنيس بالجنسية الفرنسية (5).

1- د / أحمد بن نعمان ، فرنسا و الأطروحة البربرية في الجزائر ، منشورات دحلب 1919 م ص 89 .

2- Kharchi .op cit .p 363

3- كان الصدور الرسمي لهذا القانون بتاريخ 16 / 05 / 1930 م و هو يستند إلى العادات و التقاليد و الأعراف البربرية في محاكم قضائية يستبعد فيها التعاليم الإسلامية .

4- للمزيد أنظر علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي مطبعة الرسالة ط 1 1948 م ، القاهرة ص 161 و ما بعدها .

5- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وموقفها من ظهور الحركة البربرية في الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 63 – 64 ، 1991، ص 247.

و في الحقيقة أن ظهور التيار المعادي للجزائر العربية الإسلامية كان بوحي من الاستعمار الذي دأب على السعي لتفريق أبناء الشعب الواحد حتى يبقى هو السيد في هذه البلاد و إلى الأبد . و في هذا الصـــــدد كتب إميل شارل فيريا Echaweriat في كتابه " عبر بلاد القبائل و في المسائل القبائلية " سنة 1889 م فترجمته : " بأنه يوجد في الجزائر عنصران متميزان من حيث اللغة و العادات و حتى الدين ؟ و هما العنصر القبائلي و العنصر العربي،وفي هذا التوجه أيضا أورد في دليل بجاية guide de bougie الصادر في عام 1914 م بأن القبائل أفضل من العرب و لهم قابلية الاندماج فـــي بوتقة التقدم لحضارتنـــــــا (أي الحضارة الفرنسية) [1]

و حتى يمكن فصل القبائل عن باقي الجزائريين ، أصبح للقبائل تمثيل خاص في المجالس المالية عام 1898م كما واكب ذلك تشديد المراقبة للحيلولة دون عملية الامتزاج والتلاقي بين القبائل و باقي السكان مما ولد ردود فعل لدى أبناء منطقة القبائل ، معتبرين ذلك مسا بحقوقهم فوجهوا عرائض احتجاج للسلطات الفرنسية يطلبون فيها إلغاء تلك الإجراءات التعسفية ، و من ذلك العريضة المنشورة فـــــي جـــريـــــدة البصــــــائر الصــــــــادرة في 06 / 12 / 1948م بإمضاءات أصحابها كاملة [2] و التي علق عليها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بعد أن أشاد برجالات المنطقة و دور الزوايا بها المعارض للاستعمار بقوله " أن الغاية التي يرقى إليها الاستعمار من تمكين العوائد و جعلها أساسا للأحكام هو إبــــعاد طوائف من المسلمين عن الإسلام بالتدريج حتى وضعت فيهم النعرة الدينية و عاطفة التآخي الإسلامي و تصير الأمة الواحدة أمتين أو أمما " [4] .

1- د / سعيدوني ، الجزائر منطلقات و آفاق ، ص 90 .

2- نفس المرجع ص 90 .

3- محمد الميلي ، وضع العربية خلال العهد الاستعماري ، مجلة اللغة العربية اصدارات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2005 ، ص 65 – 66 .

4- نفس المرجع ص 90 .

و إن كانت الحركة الإصلاحية قد تجذرت في منطقة القبائل . وصارت تتعدى لكل معاول الهدم ليثبة المجتمع الجزائري و من ثمة أفشلت كل المؤامرات التي كانت تستهدف المنطقة في دينها و قيمها الروحية و الوطنية(1) ، فإن أفرادا من التيار التغريبي المعادي للتوجه العربي الإسلامي قد تمكن أن يتسلل إلى داخل التيار الوطني الاستقلالي و منهم من كان على مستوى معتبر في سلم نظرا لنيلهم حظا من التعليم مقارنة بغيرهم(2) مخفين إيديولوجيتهم المغايرة لإيديولوجيته و مبادئ الحركة الوطنية في الصميم ، و هم بذلك يكونوا متأثرين بالأفكار والأطروحات الاستعمارية الفرنسية ، بل أيضا متأثرين إلى حد بعيد بالإيديولوجية الشيوعية التي كان لها تأثير عميق في أوساط الطلبة المفرنسين (3) .

و قد قام بهذه الحركة مجموعة من النمنتسبين إلى اللجنة الفيدرالية لحزب الشعب و حركة انتصار الحريات الديمقراطية في فرنسا (1948 – 1946) على رأسهم أحد الطلاب الجامعيين و هو محند سي علي يحي المدعو رشيد و قد انتهجت هذه الجماعة إلى قناعات عنصرية و مواقف جهوية و ميول شيوعية معادية لمبادئ الوطنية الجزائرية و مدمرة لتماسك العمال الجزائريين في المهجر بفرنسا .

و بكل حزم تمكنت قيادة حزب الشعب أن توقف ا الخطر الذي بات يهدد التيار الاستقلالي للحركة الوطنية حيث طرت دعاة التفرقة و قد اطر أنصار هذا التوجه المعادي لعروبة الجزائر بعد طردهم من صفوف الحزب و فشلهم في تكوين تنظيم خاص بهـم عرف (حزب الشعب القبائلي) أن يبتعدوا عن المساحة الوطنية و أن يندمجوا في الحزب الشيوعي الجزائري بينما واصلت الحركة الوطنية مسيرتها بمنطقة القبائل و باقي أقاليم الجزائر لتنتهي بإعلان الثورة التحريرية في فاتح نوفمبر 1954م . لاسترجاع المقومات العربية الإسلامية للشعب الجزائري (4) .

1- عندما تأسست جمعية القبائل في 1936 بمساعدة الإدارة الاستعمارية هاجمها العلماء بشدة وقد كانوا أذكياء في إضعاف هذه الجمعية حيث أدخلوا عناصر منهم في عضويتها تمكنت من أخذ زمام القيادة وبذلك نجحوا في خطتهم الوحدوية، أنظر بوصفصاف، المرجع السابق، ص 250.

2- فقد ذكر الأستاذ جباري محمد في مذكراته على سبيل المثال لا الحصر إنه في سنة 1911 م كان عدد التلاميذ من منطقة القبائل الذين قبلوا في مدرسة بوزريعة 13 من مجموع 14 تلميذ ناجح في المسابقة، أنظر .Djebbari , op cit, p 213

3- د / نعمان ، فرنسا و الأطروحة البربرية ص 118 .

4- المرجع نفسه، ص 129 .

ويذهب الدكتورعثمان سعدي إلى أن دهاقنة الاستعمار هم الذين زرعوا بذور هذه الفتنة وشجعوا بأفكارهم المسمومة هذه النزعة البربرية الانفصالية المعادية للقيم العربية للإسلامية "لقد تعلم أتباع النزعة البربرية على أيدي فرنسيين وعلى أيدي الآباء البيض فغرسوا في نفوسهم كرههملكل ما هو عربي"(1) وعلموهم بالفرنسية(أن العرب غزاة وأن العربية لغة غازية وأن البربر جرمان هاجروا من أوربا) ليبرروا (فرنسة الجزائر) قبل 1962"(2).

وأمام هذه المؤامرة الاستعمارية التي باتت تشكل خطرا داهما على الهوية الوطنية راح الوطنيون الجزائريون يتصدون لها ويفضحون أهدافها الماكرة التي تستهدف ضرب الجزائر وكل بلاد المغرب في هويتها العربية الاسلامية.

فقد وقف الشيخ البشير الإبراهيمي يدفع عن الجزائر وكل البلدان المغاربية كل السهام الموجهة إليها والتي تريد إصابتها في مقتلها المتمثل في هويتها العربية الإسلامية ومن ثمة توهن عقيدتها الإسلامية التي تفعل بها مسيرتها التاريخية "ينكر الاستعمار عروبة الشمال الإفريقي بالقول، ويعمل لمحوها بالفعل، وهو في جميع أعماله يرمي إلى توهين العربية بالبربرية وقتل الموجود بالمعدوم، ليتم ما يريد من محو واستئصالهما معا، وإنما يعتمد العربية بالحرب لأنها عماد العروبة وممسكة الدين أن يزول...."(3)

ويكشف الشيخ الإبراهيمي عن أباطيل الاستعمار التي تريد أن تشوه الانتماء الحضاري للمجتمع المغاربي الذي صاغته قرون وقرون أوثقت هويته الحضارية في أبعادها العربية الإسلامية فيقول: éومن أباطيل الاستعمار وتفاهته أنه يسمي السوداني المتجنس بالجنسية الفرنسية ليومه أو لساعته فرنسيا، ويلحقه بنسبه ويساويه به في حقوقه ومميزاته ثم ينكر على البربري مثلا: أن يكون عربيا، بعدما مرت عليه في الاستعراب ثلاثة عشر قرنا وزيادة، وبعد أن درج أكثر من ثلاثين جيلا من أجداده على الاستعراب لا يعرفون إلا

1- لقد صرح الأب دوفوكو أن سكان امبراطوريتنا الافريقية على أنواع مختلفة منهم البربر وهم أقرب الناس إلينا ومنهم العرب وهم أقل استعدادا للتقدم وقال معلقا على تأسيس مدرسة فرنسية لاشك أن هذه المدرسة لن يدخلها إلا عدد قليل من الأطفال العرب ولكن الأطفال البرابرة الذين ينحدرون من سلالة طيبة (المسيحية) وهم على كامل الاستعداد للتأثر بالفكرة اللاتينية التي عرفوها من قبل سيدخلونها كلهم..."انظر إيسلي الحركة الدينية والإصلاحية، ماجستير ص128، 129

2- بن نعمان، نفس المرجع ص 129

3- محمد البشير الإبراهيمي، عروبة الشمال الإفريقي، جريدة البصائرعدد 150(1951)

العربية لغة يتكلمون بها و يتأدبون و يتعبدون فليث شعري أيهما أقرب إلى الواقع : البربري المستعرب أو السوداني المتفرنس ؟ و أيهما أنفذ ؟ أحكم الله أم حكم الاستعمار ؟ ..." [1] .

و في هذا المنحى كذلك نشرت جريدة البصائر قصيدة لأحد شعراء الجزائر بوادي ميزاب كلها إيمان بالشرف و اعتزاز بالانتماء و إلى الأمـــة العربية و فـــــي ذلك يقـــــول عيسى حمو النوي :

للشــرق مـــــن جمال خالـــــد * تفنوا لها في العالم الأقطـــاب
من رائعات الشرف ببوض الذي * نسل الشمال و أنجبت ميزاب
و العبقرية مـــن فضائــــل نبتــه * إن أرجعت لأصولها الأعشاب
و دم العروبة في العروق مراجل * تغلي و تومض تحتها الأنساب
أكذب بما قـــال المعمر ضــــله * أن المعمر ســـاحر كـــذاب [2]

كما اعتبر ابو اليقظان ان المارق عن دينه و المنسلخ من جنسيته شخص لا خلاق له، فهو اسير شهواته لا يثق فيه احد "...ان من ينسلخ من قوميته ، ويمرق عن بيئته لا خلق و لا حظ ، ولا شئن له، حتى من عند من يسخر لمآربه ، بل يبقى شئنه مدة حياته،شئن القرد الممسوخ، لان سيده يعلم حق العلم ما انسلخ من قوميته واندمج في عنصره الا وهو جديربأن يبيع هذا بقشرة بصل ما ترأى حاجته في ذلك فهو أسير شهوة لا أسير مبدأ. (3)

ما يمكن استنتاجه مما سبق ذكره هو أن الهوية الجزائرية إبان الحقبة الاستعمارية قد تعرضت إلى عملية تشويه و تمسيخ ، خاصة بعد أن نجح الاستعمار في إيجاد عدو لها من بني جلدتها أدار ظهره لمقومتها الحضارية العربية الإسلامية ثم جاهر و بادر في شن الحـرب عليها ، و من ثمة اجتمع على حرب الهوية الوطنية أعداد الداخل و الخارج . و لأن الإيمان بمقومات الهوية الجزائرية كان صلبا و متينا فإن مشاريع المحتلين من خلال سياسة الإدماج والتجنيس و الفرنسية و أعوانهم من أصحاب النزعات الطائفية ، لم يكتب لها النجاح حيث تحطمت على صخرة المقاومة الروحية الوطنية .

1- نفس المصدر .

2- أنظر بن نعمان ، المرجع السابق ص 130 – 131 . 3- بدون إمضاء، رأينا في التجنيس، جريدة وادي ميزاب، عدد 70 (17/ 2/ 1928).

5- الهوية و إشكالية الحداثة :

إذا كان الدفاع عن الهوية الجزائرية قد مثل تحدي حقيقيا بالنسبة للمثقفين الجزائريين إبان الحقبة الاستعمارية من منطلق الحرص على صيانة المجتمع الجزائري من كل عملية غزو و احتواء لكيانه الروحي و الأدبي ، و من عملية التذويب الثقافي و الحضاري . و تجلت مظاهر هذا التحدي في صور من الرفض لسياسة التجنيس و الإدماج فإن ذلك ليس معناه رفض كل ما هو غربي أو أوروبي ، فقد أدرك المثقفون الجزائريون أن ثمة فرق بين ما هو إستعماري يستهدف القضاء على مقومات الشخصية الوطنية يبغي مواجهته و التصدي له ، و بين ما هو مفيد و نافع يجب الإستفادة منه و ال'تراف من ينابيعه ، بل و ضروري لحياة الأفراد و المجتمعات .

إلا أن أولوية الأولويات عند المثقفين الجزائريين كانت تتمثل أنذاك في العمل على إدراك أولا كنه و ماهية و مكونات الكيان الجزائري كي يتسنى التفكير و معرفة حاجيات المجتمع و المشاريع التي يمكن أن تعمل على إنجازها قصد استعاده و ترقيته . ذلك أن تشدان الحداثة لا معنى له في مجتمع مازال لا يعرف نفسه كما يقول برهان غليون : " ...فالجماعة كالفرد لا يستطيع أن يتبادر إلى عمل أو تقوم بإنجاز مشروع مهما كان نوعه أو حجمه ، دون أن تعرف نفسها ، و مكانها و دورها ، و شرعية وجودها كجماعة متميزة أي تعرف أيضا ما هي و ما تريد أن تكون عليه ، و قبل أن أريد تحقيق شيء يجب أن أدرك من أنا ، و قبل أن أغير و أطور و أنهض لا بد لي من أن أكون ذاتا ، أي إرادة ... " . (1)

و انطلاقا من هذه القناعة كانت الجهود مضنية على تجذ ير الهوية الجزائرية في الأوساط الشعبية و تجلى ذلك في عملية الإحياء بكل ما يمس أطر الحياة الاجتماعية و الثقافية و الدينية التي تشكل الوجه الحضاري للجزائر .

و يبدو واضحا هذا الاهتمام بعملية الإحياء للتراث العربي الإسلامي ، و نفض الغبار على جهود علمية و معرفية كادت معالمها أن تنطمس و نتدرس زيادة على خنق الاستعمار لها و محاولة تغييبها على المشهد الثقافي عمدا و قصدا حتى يمكن تمهيد الطريق لعملية الفرنسية و التغريب للهوية الجزائريـة و هــذا كـــان

مطمع دهانقة الاستعمار من البداية . فقد وصفت جريدة القل سنة 1865 م أن النظام المنسجم الأمثل الذي ينبغي أن يتحقق في البلاد ، فكتبت تقول : " ... على كل واحد من سكان البلاد : الجندي بسيفه ، و المعمر بمحراثه ، و الراهب بصلاته ، و العربي بخضوعه ، على كل هؤلاء أن يجعلوا من هذه القوى كتلة واحـدة لكي تحقق للجزائر المستقبل الزاهر الذي كتبه الله لها ... " . (2)

1- د / برهان غليون : اغتيال العقل ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1990 ، ص 30 .

2- مصطفى الأشراف : الجزائر الأمة و المجتمع ، ص 315 .

و لأن البون الحضاري كان شاسعا بين الشرق و الغرب ، لم يكن خافيا على أحد عالما كان أو متعلما . فقد رأى المثقفون الجزائريون ضرورة العمل على تدارك الانحطاط الذي صار باديا على قسمات كل أقطار العالم الإسلامي و ذلك بالدعوة إلى الأخذ بأسباب القوة و الرقي ن و الاقتباس من حضارة الغرب من دون تفريط في موروثنا الحضاري لأن في الاعتماد على ما عندنا من تراث و قيم حضارية مغربلة كفيل بأن يفسح المجال واسعا لكل الإضافات الحضارية المفيدة و هذا الطرح نجده متجاوبا مع الدراسات الحديثة التي تعير اعتبارا كبيرا للتراث كعامل رئيسي في عملية التنمية الاجتماعية يقول الشريف الدشوني : "... إن التراث الذي خلفه الأجداد و الآباء بكل زحم حياتهم يسعى اليوم حيا بين ظهرانينا . إن التراث لا يعني فقط الإنكبات على النصوص و إحياء مواتها . فمن أجل الاقتراب من التراث و فهمه فهما عميقا و مفيدا من الناحية العلمية (التقدم و التنمية) لا بد من الأخذ بالمنهج العلمي و التحليل الموضوعي للخبرة التاريخية في الاقتصاد و الاجتماع و أيضا بشكل تركيزي للخبرة الراهنة في تجارب الجماهير في كيفية صنع معاشها الواقعي الراهن بكل تعقيداته و تصوراته و قيمه الاجتماعية بهدف اكتشاف مواقع (براعم) النمو فيه و من ثمة القدرة على دفع المجتمع إلى الأمام عن طريق هؤلاء (الأهالي) أنفسهم . [1]

و عندما نحاول أن ننهض لا ينبغي علينا أن نعرض عن تراثنا و ندير ظهرنا و نرتمي بكليتنا في الحضارة المعاصرة و كأننا كائنات لا تراث لها . كلا إن تأسيس " الحداثة " فينا و عندنا يتطلب إعادة الانتظام في تراثنا إعادة بناء علاقاتنا به بصورة حداثية : إن الحداثة تبدأ باحتواء التراث و امتلاكه لأن ذلك هو في الحقيقة وحده السبيل إلى تدشين سلسلة من " القطائع " معه إلى تحقيق تجاوز عميق له إلى تراث جديد تصنه ، تر اث جديد فعلا ، متصل بتراث الماضي على صعيد الهوية و الخصوصية منفصل عنه على صعيد الشمولية و العالمية . [2] بل وذهب زكي نجيب محفوظ إلى أن أم المشكلات في حياتنا الثقافية الراهنة هي محاولة الكشف عن صيغة لحياتنا الفكرية والعملية تجمع لنا في طيها طرفين إذ تحافظ على خصائصنا العربية الأصيلة وفي الوقت نفسه تفتح لنا الابواب على مصارعها لنستقبل في رحابة صدر أسس الحضارة العصرية كما يحياها اليوم روادها .(3)

و انطلاقا من هذه الخلفية القائمة على منطلق تجاوز مرحلة التخلف بالولوج في عالم الإبداع نلقى الأستاذ مالك بن نبي يسلط الضوء عل مسألة أساسية لا يمكن تجاوز التخلف بتجاوزها ، و القفز عليها إلا و هي طاقة الدفع الحضاري بالنسبة للعالم الإسلامي و التي تعد الأساس في عملية بناء الحضارة من خلال قراءة استقرائية له للتاريخ الإسلامي حيث انتهى إلى نتيجة هي أن العالم الإسلامـــي دخــل مرحلـــة الانحطـــاط

1- شريف الدشوني : بعض قضايا التنمية و التراث في الوطن العربي ، مجلة المستقبل العربي ، عدد 198 (8- 1995) ، ص 38 .

2- د / محمد عابر الجابري : حوار المشرق و المغرب ، دار طويقال الدار البيضاء ط1 1990 ، ص 70 .

3- عبد الباسط سيدا، الوضعية المنطقية والتراث العربي نموذج فكر زكي نجيب محمود الفلسفي، تقديم د/ طيب تزيني، دار الفرابي ، بيروت، ط1، 1990، ص 210.

منذ نهاية دولة الموحدين التي حاولت أن تتدارك عملية السقوط بإعطاء دفع جديد لحركية الأمة التاريخية ، إلا أنها لم تقدر على ذلك و خلفها من يكن في حالة صحية تمكنه من القيادة السليمة للأمة فانتهى الأمر إلى حالة الفوضى و طغيان التناقضات " ... يبدأ تاريخ الانحطاط بإنسان ما بعد الموحدين .....فإذا نظرنا إلى هذا الوضع نظرة اجتماعية ، وجدنا أن جميع الأعراض التي ظهرت في السياسة أو في صورة العمران ، لم تكن إلا تعبيرا عن حالة مرحلية يعانيها الإنسان الجديد . إنسان ما بعد الموحدين ، الذي خلف إنسان الحضارة الإسلامية و الذي كان يحمل في كيانه جميع الجراثيم التي سينتج عنها في فترات متطرفة جميع المشاكل التي تعرض لها العالم الإسلامي منذ ذلك الحين ، فالنقائص التي تعانيها النهضة الآن يعود وزرها إلى ذلك الرجل الذي لم يكن طليعة في التاريخ . [1]

الأمر الذي أحال العالم الإسلامي حضاريا على التقاعد بل ورهن مصيره بيد أعدائه بعد أن فقد صمام الأمان تسري الآخر إلى كيانه و التحكم في كل حركاته و سلكا ته و من ثمة كان طبيعيا و كتحصيل حاصل أن يفقد ليس فقط الريادة في العالم بل و حتى القوامة على نفسه . فمهد بالتالي هذا إلى تداعي أعدائه من الخارج فتم الإجهاز عليه فتقاده لكل سلاح روحي و مادي " رجل ما بعد الموحدين الذي لم يؤخذ دوره التاريخي الجمع قوي كثيرة لكي تحاول النفاذ إلى عمق الواقع الحضاري العربي و الإسلامي انطلاقا من المغرب العربي لتبدأ عملية الغزو بكل معانيه و تناوبت يد التجهيل و التفقير على العرب و المسلمين باسم الخلافة مع العثمانيين و باستعمار سافر مع الأوروبيين . [2]

و يرى الأستاذ مالك بن نبي أن مكمن الداء في العالم الإسلامي يظهر في فتور الإيمان بالعقيدة الأمر الذي جعل قطار العالم الإسلامي معطلا عن سيرة بعد أن فقد الطاقة الإيمانية التي كانت محركة له "...حتى إذا وهنت الدفعة القرآنية توقف العالم الإسلامي ، كما يتوقف المحرك عندما يستنزف آخر قطرة من الوقود . وما كان لأي معوض زمني أن يقوم خلال التاريخ مقام المنبع الوحيد للطاقة الإنسانية إلا و هو " الإيمان " و لذا لم تستطع (النهضة التيمورية) التي إزدهرت في القرن الرابع عشر حول معـاني سمرقند ، أو الإمبراطورية العثمانية . كلاهما أن تمنع العالم الإسلامي (حركة) لم يعد هو في ذاته يملك مصدرها... " . [3]

و كنتيجة حتمية لذلك دخل المجتمع الإسلامي في تخلفه بعد أن فقد القدرة على التفاعل مع الإسلام من الزاوية الروحية الأمر الذي أضعف العزم على المجابهة و التطوير ، فخارت القوى و تبددت الطاقات، لأن كل قوى العالم عاجزة عن النهوض إن لم يكن منبعثا من الذات . و لأنه ضعف الإيمان في دخائل الذات. و وهنت الروح القرآنية الدافعة إلى طلب الأفضل في الحياة الدنيا و الآخرة حصل الركود فكان التخلف في المجتمع الاسلامي. [4]

1- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص 37 .

2- د / سعد السحمراني : مالك بن نبي : مفكرا إصلاحيا ، دار النظائر بيروت ، ص 79 .

3- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص 31 .

4- السحمراني ، مالك بن نبي : ص 80 .

و حسب الأستاذ مالك بن نبي فإن المجتمع الإسلامي قد مر بثلاث أطوار حضارية في مساره التاريخي بدأت بعصر الفارابي الذي كان يخلق أفكارا ، و على عهد ابن رشد يبلغها إلى أوروبا ، و بعد إبن خلدون لم يعد قادرا على الخلق ، و لا على التبليغ . [1]

و الذي نفهمه من هذا أن الأستاذ بن نبي اعتبر طاقة الدفع الحضاري هي أولوية الأوليات في تجاوز حالة الانحطاط و التخلف .

و أن تجاوزها يرهن مستقبل الأمة و يجعلها تراوح مكانها حضاريا ذلك أن الولوج إلى الحداثة من غير ارتكاز على الأصالة التي هي جوهر الهوية .

سوف يجعل التعامل مع الآخر و هو الغرب لا يعدو أن يكون تعامل التاجر مع الزبون لا تعامل أستاذ مع تلميذ و في ذلك يقول بن نبي : " ...الحركة الحديثة ليس لها في الواقع نظرية محددة ، لا في أهدافها و لا في وسائلها ، و الأمر بعد هذا لا يعدو أن يكون غراما بالمستحدثات ، فسبيلها الوحيد هو أن تجعل من المسلم (زبونا) مقلدا - دون أصالة – لحضارة غربية تفتح أبواب متاجرها أكثر من أن تفتح أبواب مدارسها ، مخافة أن يتعلم التلاميذ وسائل استخدام مواهبهم في تحقيق مآربهم ..." . [2]

و هذه القابلية في العالم الإسلامي لولوج الحداثة من خلال عملية الاستهلاك و التكديس بطريقة بدائية ليست بالطريق الصحيح لبناء نهضة " ...إذ ليست الحضارة تكديسا للمنتجات بل هي بناء و هندسة ، فلو أننا قصرنا نظرنا على عناصر الحضارة و منتجاتها فلن نرى حتما بناء المجتمع الغربي ، لا ندرك ما ترمز إليه تلك الفضائل الدائمة المتجسدة في العامل ، و الفنان و العالم : و الفلاح البسيط على حد سواء بل ستخدع بما تدل عليه أشكالها المؤقتة كالطائرة و المصرف . و ليس في بناء العالم الإسلامي شيء يمكن إدراكه بوضوح ، فالناس هنا و هناك يأخذون بناحية ما يبدو لهم أكثر سهولة و يسرا ... " . [3] إن المسلم أصبح في اتصاله بأروبا لا يكترث بمعرفة كيف تم إبداع الأشياء؟ بل يقتنع بمعرفة طرق الحصول عليها فأدى هذا الوضع إلى تطور في الكم، زاد في كميات الحاجات دون أن يعمل على زيادة في وسائل إشباعها، فانتشر الغرام بكل ما هو مستحدث في جميع طبقات المجتمع فالطالب الذي يعيش في باريس لا يرى المرأة التي تجمع قبضان العشب لأرانيبها، وإنما يرى التي تصبغ أظافرها وشعرها وتدخن في المقاهي والندوات وهو لا يرى الصائغ والفنان منكبين على عملها ليحققا فكرة على صفحة المادة لأنه وقد خضع لتأثير معنى المنفعة، لم يعد يلاحظ الطاقات الخفية الطاقات التي تخلق القيم الأخلاقية والاجتماعية ،والتي تجعل الإنسان المتحضر في وضع يمتاز فيه عن الإنسان البدائي." فإن الثقافة تبدأ متى تجاوز الجهد العقلي الذي يبذله الإنسان حدود الحاجة الفردية" ولقد اكتفى الطالب المسلم بقراءة الحضارة ، فتعلمها دون أن يتذوقها،وقد أدى هذا إلى انعكاسات تمنع كل تفاعل بيننا وبين أوروبا يلحقنا في ركن الركب[4].

1- المرجع السابق ، ص 80 .

2- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص 71 .

3- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص 69 .

4- عمر كامل مسقاوي، حول فكر مالك بن نبي، دار الفكر دمشق ط(1) 1405 هـ-1985 ص 61 وما بعدها.

و إذا كان مالك بن نبي يرى من المحدثين و دعاة الإصلاح قصورا في إدراك حقيقة مصدر الهامة، فالإصلاحيون لم يتجهوا حقيقة إلى أصول الفكر الإسلامي ، كما أن المحدثين لم يعمدوا إلى أصول الفكر الغربي و مع ذلك فإن الفصل بين الحركتين ضروري من الناحية النفسية ، فلقد كان السلفي وحده هو الذي يمثل فكرة النهضة . و هو و إن لم يحقق شروطها العلمية بصورة منهجية ، فإنه على الأقل لم بضيع هدفها الجوهري ، لقد كان يعي تماما أوضاع بيئته ، حتى أنه ألح في المطالبة بأن يؤدي كل واجبه تاركا للمحدثين الضرب على نغمة (الحقوق) . [1]

إن فكرة النهضة عند المحدثين أمر ثانوي – حسب مالك بن نبي – لأنهم لم يخالطوا حياة بلدانهم إلا في الميدان السياسي أي أن المسألة في نظرهم لم تكن مسألة تجديد العالم الإسلامي و بعثه . و إنما كانت انتشاله من فوضاه السياسية الراهنة . و حتى في هذه النقطة لم يكونوا معيبين في نظر بن نبي لأنهم لم يعالجوا في الواقع مشكلة الإنسان المسلم ، بل مشكلة النظم الأوروبية . [2]

و كأن بمالك بن نبي على و عي تام و إدراك محقق بان المغلوب مولع بتقليد الغالب كما يقول ابن خلدون ، فقد أدرك أن بنية العالم الإسلامي إلى ضرورة التفكير في إعادة بناء حضارة تقوم على الموازنة بين الروح و المادة لا على أساس التهالك في التقليد الأعمى للغرب في بناء الحضارة بالارتداد عن المثل الأخلاقية و حصر العالم في حدودها القومية الخاصة مفهومة على أساس لغة المادة الخالصة " ...إن الحضارة العربية الإسلامية الجديدة ينبغي أن تقوم على أساس من التعادل بين الكم و الكيف ، بين المـــادة و الروح ، بين الغاية و السبب ، و بكلمة بين العلم و الضمير ، بتعبير آخر . إن نهضة العالم الإسلامي ليست في الفصل بين القيم و إنما في الجمع بين العلم و الضمير ، بين الخلق و الفن ، بين الطبيعة و ما بعد الطبيعة . فبهذا يتسنى له أن يشيد وجوده لقانون أسبابه ، و وسائله و طبقا لمقتضيات غاياته ... ".[3] ثم يضيف مبرزا دور المسلمين في المحافظة على القيم الحقيقية للحضارة فيقول : " ...و لا شك أن رائد الحضارة الجديدة هذه ينبغي أن يظل هو الحافظ على مضي " الحقيقة الخلقية " هذه القيمة التي فقدها الفكر الغربي الحديث الشائخ و التي تعني في نهاية التحليل التركيب بين الروح و المادة و ليس كالمسلمين من أحد بقادر على توجيه الحضارة وجهتها الصحيحة ، بفضل القيم الخلقية والإنسانية التي مازالوا يملكونها على الرغم من تخلفهم و من فقدهم لقدرعظيم من التعادل بين العلم و الضمير". [4] ويرى مالك أن الايمان بالحضارة لا ينبغي أن يكون حبيس الأفكار النظرية المجردة ومن ثمة كان اهتمامه بالانسان كحركة في الواقع وحركة في النهضة وحركة باتجاه الحضارة لأن معرفة انسان الحضارة كما يقول: أشق كثيرا من صنع محراث أو ترويض قرد، فالحركة أو الركود هو ما كان يقوده للبحث في سلوكية

1- مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي ، ص 71 .

2- يمينة شيكو : مشكلة التقدم في فكر مالك بن نبي ، رسالة ماجستير مخطوطة جامعية الجزائر ، ص 85 .

3- د / فهمي جدعان : أسس التقدم عند مفكري الإسلام ، ص 420 .

4- نفس المرجع ص 420 .

وظواهر الانسان المسلم لذي يهمه فيه إعداده للانتقال من مرحلة التدهور الى مرحلة الحضارة ولهذا وضع معضم كتاباته تحت عنوان مشكلات الحضارة. (1)

خلاصة :

بناء على ما تقدم نخلص إلى أن بعد الهوية في الخطاب النهضوي جاء كاستجابة لمنطق الصراع بين الآنا و الآخر ، بحيث تعرضت هوية الأمة لحرب إستدمارية استهدفت تمسيخها بالشكل الذي يقضي أي ارتباط لها بالماضي الذي شكلها ، و من ثمة يسهل توجيه المجتمع الجزائري الوجهة التي يريدها الاستعمار و هي إيجاد هوية جديدة له .

لا ننظر بعين العداء لذلك الآخر الذي صار مهيمنا على الواقع المعيش في البلاد و عليه فإن المثقفين النهضويين قد وقفوا في وجه كل الغارات التي تستهدف الاعتداء على الهوية الوطنية مثل سياسة الإدماج و التجنيس و محاربة اللغة العربية و الدين الإسلامي ، كما تصدوا لأولئك المتجنسين من الجزائريين الذين انسلخوا عن جلدتهم ، و خرجوا من ملتهم ، لكي ينالوا حقوقا وهمية .

كما عزز البعد العربي الإسلامي بعد الهوية الجزائرية .

وجد الخطاب النهضوي في الدفاع عن الهوية الوطنية بعدا في الحضور السياسي و دافعا قويا لاستنهاض الهمم و تعبئتها ، لمواجهة كل المخاطر التي تريد النيل من مقومات الأمة الجزائرية و تمسخها.

لم تكن المؤامرة الاستعمارية على الهوية الجزائرية سوى رغبة جامعة لتحطيم البنية الاجتماعية للجزائر و من ثمة لا تقوم لها قائمة .

1- علي القريشي، التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، مجلة الأمة، عدد 69، رمضان 1406هـ مايو 1986، الدوحة، ص 29.

الفصل السابع

الأبعاد الثورية والمواقف السياسية
في الخطاب النهضوي

- تمهيد

الدعوة إلى الوحدة الوطنية

البعد الثوري في الخطاب النهضوي

القضايا العربية الإسلامية في الخطاب النهضوي

- خلاصة.

تمهيد:

لقد كان للمثقفين الجزائريين في الفترة الممتدة ما بين بداية الربع الثاني من القرن العشرين وحتى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى إسهام كبير في تشكيل الوعي الوطني الناضج وذلك من خلال الدور الذي اضطلعوا به على مستوى "إعادة البناء للذهنية الجزائرية ، بالقدر الذي يعيد للإنسان الجزائري الثقة بنفسه التي تجعله في مستوى يؤهله لكي يفكر بمنطق عقلاني سليم ينحو به منحى التحرر من الاستعمار ومن القابلية لهذا الاستعمار.

وعليه نجد الأدباء والمفكرين الجزائريين قد سعوا من البداية إلى العمل على تحقيق أهدافهم المرسومة فكونوا جيلا من الشباب المؤمن بهويته وانتمائه الحضاري، والطامح إلى تغيير أوضاعه الاجتماعية والسياسية .وفي ظل ظروف استعمارية كانت تحصي على كل مثقف وطني أنفاسه.

ولعل في تتبعنا لما يمكن أن نسميه بأدب النضال أو الأدب القومي يمكن أن نتلمس تلك الروح الثورية الجياشة التي كانت مجسمة في مقال أو قصيدة أو بيان أو تصريح ، والتي كانت مقرونة بالمناسبات وبغير المناسبات وعلى أوتار إيقاعاتها كان الجمهور العريض من الجزائريين يتجاوب معها، ويتفاعل مع مضامينها، فكان ذلك يمثل البداية الحقيقية للثورة على الاستعمار والتمرد على الواقع الاستعماري المظلم ، الذي يرمز إلى العبودية والاستغلال.لأن تحرير الإنسان من الأوهام هو الكفيل وحده لجعله يعيش حقيقته المرة ومن ثمة يفكر في تغييرها والتمرد عليها، وإذا جاز التعبير نقول أن ثورة تحرير ا لعقول سبقت ثورة تحرير البلاد ، ثم أن تجاوز ما لا ينبغي تجاوزه بالضرورة لا يقدم شيئا إن لم نقل أنه يضيع الوقت حيث يرجع الإنسان إلى نقطة انطلاقه الأولى، وهذا ما وعاه المثقفون الجزائريون وعملوا به حيث تفادوا من البداية الانجرار إلى خطاب ثوري مباشر يعطي المبرر للاستعمار لكي يجهض كل المشاريع الوطنية ويزيد في عمره أكثر مما يساعد على رحيله.

والحق أن الخطاب النهضوي الجزائري في هذه الفترة مثل الصورة الحية التي تجلت فيها كل أشكال نضالات الشعب التواق إلى الانعتاق من الهيمنة الاستعمارية من خلال ذلك المجهود المبذول لترقية ذهنية الإنسان الجزائري، بما يسمح له من اكتساب وعي بذاته كنقطة انطلاق لتحديد أوليات كفاحه ضد المستعمر ومن خلال ذلك الحضور الفعّال في الوسط الاجتماعي الذي عرف كيف يكسبه ويطوعه بالقدر الذي يجعله يدرك واقعه ومن ثمة يتطلع لتغيير حاضره ورسم معالم مستقبله.

وانطلاقا من هذه القناعة نجد خطاب المثقفين الجزائريين بقدر ما هو يساهم في تكوين الوعي ، فهو يعيش عصره يتفاعل مع الأحداث التي كان يحسن استغلالها لكي يعبأ الجماهير بشحنات من الأدب الثوري ، تدفع به في الأخير إلى نهج العنف الثوري، وإذا كان هذا الخطاب قد بدأ هادئا وغير ملفت للانتباه على شكل شكوى من مأساة ، أو رثاء لضحايا، فإنه قد انتهى في الأخير إلى الدعوة الصريحة

للثورة على الاستعمار هذا على المستوى الداخلي أمـــا على مستـــــــوى الخارج فنجد الخطاب النهضوي الجزائري قد شدته الأحداث التي كانت تعصف بالعالم العربي الإسلامي وقضية فلسطين منها على وجه الخصوص ، حيث تفاعل معها وعايش كل لحظاتها بكل مشاعره وأحاسيسه . تغذيه في ذلك حميته الدينية والقومية .

وانطلاقا من هذا الذي ذكرناه سنتناول :

1- الدعوة إلى الوحدة الوطنية .

2- البعد الثوري في الخطاب النهضوي .

3- مناصرة القضايا العربية والإسلامية .

1- الوحدة الوطنية : أمام تلك السياسة الاستعمارية في الجزائر القائمة على مبدأ " فرق تسد " من خلال زرع ثقافة التفرقة بين أبناء الشعب الواحد حتى يسهل على الاستعمار تمرير مشاريعه وأحكام قبضته الحديدية على البلاد ، أدرك المثقفون الجزائريون مبلغ المسؤولية التي تقع على عاتقهم والمتمثلة في العمل على الكشف وإبراز تلك المؤامرات والدسائس التي تحاك ضد الأمة الجزائرية من جهة والدعوة إلى تجاوز أسباب الشقاق والخلافات وتمتين لحمة الوطنية من جهة أخرى . من خلال خطاب يقوم على تعزيز مزبدا من التضامن بين الجزائريين حتى يتقووا على مواجهة كل التحديات ويقدروا بالتالي على الانخراط في نسق التطور والازدهار .

- وقد عرفت هذه الدعوة إلى الوحدة الوطنية بشكل ملموس منذ مطلع العشرينات من القرن العشرين فقد أدرك الأمير خالد مرامي الاستعمار التي تستهدف هدم الأسس التي يقوم عليها المجتمع الجزائري ومن ثمة فقد دعا الجزائريين إلى مزيد من الاتحاد والأخوة والابتعاد عن التفرقة والتشرذم وعمد إلى تأسيس جمعية الأخوة الجزائرية في سنة 1922 م مع نخبة من المثقفين الجزائريين .[1] وقد كانت خطة هذه الجمعية تستهدف تحقيق جملة من الغايات الوطنية المتمثلة في البحث عن الوسائل للدفاع وترقية الحالة المعنوية والمادية والفكرية والاقتصادية والسياسية للمسلمين الجزائريين . [2]

كما دعا من خلال قصيدة ألقاها في اجتماع لجمعية الأخوة الجزائرية سنة 1922 م إلى نبذ الفرقة حاثا على التوحد مركزا في مداخلته على شرح كلمة "الاتحاد " فيقول :

إلى الشبيبة التي أبدي النصح أرشدها * فالله يـحفظهـا مـن زلـة القـــدم

سيروا على منهج الأسلاف واجتهدوا * وسارعوا لاكتساب العلم بالقلم

روحي فداكم وددت النصح فاتعضوا * بـمـا آتـانـا الـقـرآن مـن حكـــم

أن الـتـفـرق داء موصل بـكـــم * إلـى الـشـقـاق والـخسران والنقم . [3]

1-A . O . M 12 H 06 .

2- المصدر السابق .

3- أنظر جريدة الأقدام عدد 72 (21 – 03 – 1922) .

أما الشيخ أبو اليقظان فقد اغتنم مناسبة إصدار العدد الأول من جريدة وادي ميزاب سنة 1926 م لكي يجعل من افتتاحيتها دعوة للجزائريين لكي يعرفوا أنفسهم بأنهم يشكلون برمتهم كيانا واحدا مترابطا برباط الإسلام الوثيق ، يتوجب عليهم جميعا أن يحافظوا عليه بالتعاون والتكاتف مادام مصيرهم متوقف على ذلك في السراء والضراء "...أيها الشعب الجزائري الماجد ، اعلم أن القطر الجزائري مدينة تاريخية... واحدة مسورة بسورة واحدة وهو الإسلام ، وسكان دورها هم سكانه ، فلا يمنع انحياز كل في داره ، ومحافظته على مميزات عائلية فيه سائر سكان المدينة من التعاون والتعاضد على جلب المصلحة لها ، ودرأ المضرة عنها فإن مصلحة المدينة هي مصلحة ديارها ، ومضرتها هي مضرتـهـا ، إذا أقبـل النـهـار فإلى الجميع وإذا هجم الليل فعلى الجميع ..." [1] .

كما اعتبر الشيخ أبو اليقظان دعاة الفتنة من أصحاب الأقلام المسمومة التي تزرع سموم التفرقة في أوساط المجتمع الواحد ، خطرا على الوحدة الوطنية ونهضة الأمة المتوثبة إلى الأمام يوما بعد يوم ولذلك دعا إلى الكف عن كل ما من شأنه أن يشعر جزائري بأنه مختلف عن جزائري من طائفة أخرى . لأن في ذلك تضخيم لخصوصيات كل منطقة ، فيحصل من ذلك التناحر والضعف والثغرات التي يشغلها أعداء الوحدة الوطنية " ...كفى . كفى . أيها السادة من " نحن وأنتم " فقد جعل من قوتنا ضعفا ومن كثرتنا قلة ومن عزنا ذلة ، ومن غنانا فقرا ، ومن علمنا جهلا ...كفى . كفى . من قولكم هذا مالكي ، هذا حنفي ، هذا إباضي ، هذا تجاني ، هذا قادري ، وهذا عربي ، وهذا قبائلي ، وهذا شرقي ، وهذا غربي ..." [2] وكشف عما وصل إليه المجتمع من أضرار فيقول : " ...فقد فتح هذا بين صفوفنا المتراصة للغير ثغرات واسعة نعد منها إلى نفوسنا ، فأصبح نارها على بعضنا ، وإلى قلوبنا فأفعمها حقدا على بعضنا ، وإلى ألسنتنا فأنطقها ضد بعضنا ، وإلى جموعنا فشتت شملها ، وإلى أموالنا فبددها ، وإلى أخلاقنا فأسدها ، وإلى قوميتنا فأهانها ، وإلى بلادنا فجاس خلالها ، وإلى ديننا فهتك حرمته ...أفبعد هذا نبقى في (نحن وأنتم) ..." [3]

ونصح الأمين العمودي الجزائريين باختيار الرجال الذين يخدمونهم لا الرجال الانتهازيين(إن ذلك العدد غير الفعال لمثليكم في الجمعيات المحلية يدعوكم إلى اخذ أقصى حد من الحذر و التحفظ في اختيار منتخبيكم فلكونكم اخترتموهم بدون تروي و احتياط كانوا لكم في خالب الأحيان في مصاف الاضذاد(4).

أما الشيخ عبد الحميد ابن باديس فقد كان مؤمنا بالوحدة الوطنية التي تكونت بعاملين رئيسيين : التاريخ الذي صهر جميع الجزائريين في بوتقة واحدة والإسلام الذي شد برباطه القوي فجعل الجميع كلهم في الهم شرق فتحت عنوان " ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان " كتب يقول : "...أن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في

1- الشيخ أبوا ليقظان : الافتتاحيةجريدة وادي ميزاب عدد 1 (1 – 10 – 1926 م) .

2- الشيخ أبوا ليقظان : نحن وأنتم جريدة وادي ميزاب عدد 26 (1 – 4 – 1927 م) .   3- نفس المصدر .

LAMINE LAMOUDI. EST MAINTENANT AUX ACTES. LA DEFENSE N° 182(16-03-1938)   -4

الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء حتى كونت منهم في أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعادة كلمة الله وما أسالوا من محابر في مجالس الدرس لخدمة العلم فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم ..." [1]

بل أن الشيخ ابن بأديس يعتبر العمل على ترقية الحس الوطني وتنميته هو غايته في الحياة " ...ولأننا جزائريون نعمل للم شعب الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية في أبنائها وترغيبهم في العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة والانتفاع في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية وبالأخرى نحن من يحب وطننا ويخدمه ، ونبغض من يبغضه ويظلمه ، فلهذا نبدل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري وتحبيب بنيه فيه ، ونخلص لكل من يخلص له ونناوئ كل من يناوئه من بنيه ومن غير بنيه ..." [2] .

وحتى لا يتكدر صفو العلاقات المتينة بين أهل البلاد في الشمال والجنوب ولا يشعر أحد بالغبن وهو في وطنه فقد كان المصلحون حريصون على إصلاح ذات البين تفويتا لأية فرصة على الإدارة الاستعمارية وأعوانها لإحداث شرخ في بنية المجتمع فعندما وقع خلاف على مسألة الآذان في مدينة غرداية بين الاباضيين وإخوانهم المالكية تدخل الشيخ ابن باديس في الوقت المناسب مقربا وجهات نظر الطرفين في المسألة في حدود ما يقتضيه الشرع الحنيف وتمليه مصلحة عموم المسلمين "...فنحن بهذا قد برأنا الاباضية من تعصبهم على المالكية لأنهم مالكية ، ولكننا من ناحية أخرى نرى أنه حق عليهم أن يرجعوا عن رأيهم في هذه المسألة ويسمحوا لإخوانهم المالكية بالآذان .

أولا : إصلاحا لذات النية بين المسلمين وهي في الإسلام من أول ما تجب وتتأكد المحافظة عليه والقيام به .

ثانيا : مجاملة لبقية إخوانهم المالكية بالقطر الذين تربطهم بهم رابطة الدين والوطن والمصلحة . هذه كلمتنا نقولها بعهد الله لا نقصد بها إلا القيام بواجب الصدع بالحق والدعوة إليه والإصلاح بين المسلمين ..." [3]

كما نلمس في رد الأستاذ الزاهري على صاحب مقال " إخواننا في الدين " [4] وتسفيهه لمحمل ما جاء في مقاله الذي لا غرض من ورائه إلا زرع فتيل الفتنة وتسميم العلاقات بين المسلمين الكثير من

1- أنظر محمد الميلي : ابن باديس وعروبة الجزائر ص 50 .

2- محمد الميلي : نماذج من تفكير ابن باديس مجلة الثقافة عدد 14 1973 م الجزائر ص 25 .

3- أنظر مجلة الشهاب الجزء 12 المجلد 6 (جانفي 1931 م)

4- مقال لكاتب مجهول نشر بجريدة الليالي لصاحبها لعلي بن سعد كله قدح في الإخوان الميزابيين يظهران من وراء نشره دعاة فتنة لخدمة أغراض اليهود والمستعمرين .

بعد النظر والحنكة السياسية إلى درجة جعلت صاحب جريدة الأمة يكتفي به في الرد على صاحب المقال المغرض وقد قدم الشيخ أبوا ليقظان بكلمات جاء فيها "...في الوقت الذي وجب فيه جمع الجهود إلى الجهود وضم الصفوف إلى الصفوف ووضع الأيدي في الأيدي ، في وقت وجب فيه تعاون القوى وتكاتف الجموع وتساند الكفاءات ، في الوقت الذي أخذت تبدوا فيه ثمرات سعي الدعاة المرشدين ونتائج جهاد العاملين في توحيد كلمة المسلمين ...في هذه الآونة نفسها عينها تفتقت بيضة الليالي والأيام وفرخ زغب الحواصل لا يدري الإنسان إلى أي فصيلة من فصائل الطيور يلحقه : إلى فصيلة الحمام الداعية إلى السكينة والسلام ؟ أم إلى فصيلة الخفافيش وطيور الليل ..." [1]

وقد ابتدأ الشيخ الزاهري مقاله بإتهام صاحب المقال المغرض بأن سعيه لا يعدو أن يكون مكيدة استعمارية صهيونية".علم الله أن هذا المقال شر مستطير ومبدؤه فتنة مذهبية طائفية عمياء يجب أن يحذرها أهل هذا الوطن جميعا ، وإنها لمكيدة استعمارية تنصيرية سافلة وضيعة لا يريدها كاتبها وجه الله ولكن ليغري بها العداوة والبغضاء ..." [2]

ولأن صاحب المقال المغرض تجاوز كل حدود اللباقة وأخلاقيات الكتابة حيث وصلت به الدناءة إلى حد اتهام الاخوة الميزابيين بأنهم استعمار وأن اليهود والنصارى أرحم منهم للرعية فقد عمد الأستاذ الزاهري إلى دحض أباطيله وتنبيه المسلمين إلى ضرورة أخذ كل حيطة منه " ... إن وصف المزابيين بأنهم مستعمرون مستثمرون وزاد فوصفهم بأنهم أشد عداوة لنا من المستعمرين الأجانب ثم تجاوز كل فأثنى على المستعمرين الأجانب ووصفهم بأنهم ذوو عاطفة شريفة وشفقة إنسانية نحونا ...أما أن إخواننا المزابيون مستعمرون فهو منكر من القول وزور وكيف تصفهم بالاستعمار وهم منا ؟ وإلينا ؟ وكيف يجوز أن تصفهم بالاستعمار وهم ليسوا بأغنياء ولا ذوي ثراء فاحش إلى درجة تخولنا أن نسميهم مستعمرين . وكيف نسميهم مستعمرين وهم ليس لهم بنوك ومصارف مالية كبرى و لا شركة من الشركات المالية الكبرى ..." [3] لقد بالغ (سي زعفان) حتى جرد إخواننا في الدين من كل عاطفة إنسانية فزعم وزعمه باطل إنهم لم يعيبوا ولا أغاثوا بائسا ولا أعطوا سائلا..." أناشدك الله أيها القارئ الكريم هل يكتب هذا الكلام السفيه البذيء وهل يفتري الكذب الصريح إلا مبشر مسيحي من أخبث المضللين الأشرار الذين يسعون في الأرض فسادا ويريدون بالإسلام كيدا ..."[4]

1- هذه المقدمة للمقال الشيخ الزاهري بقلم الشيخ أبوا ليقضان جريدة الأمة عدد 80 .

2- الشيخ محمد الزاهري : حول أسطورة " إخواننا في الدين " جريدة الأمة عدد 80 .

3- نفس المصدر .

4- نفس المصدر .

ولما كان التآمر على الوحدة الوطنية وتماسكها يحاك من قبل أعداء الأمة التقليديين الذين لا يسرهم أن يكون أبناء المجتمع الجزائري متآلفين متعاونين فيما بينهم ويفكرون فيما يمكن أن يعود عليهم بالمنفعة والخير العميم فقد نبه الأستاذ أبوا ليقظان إلى مخاطر الدسائس اليهودية الذين كثيرا ما يعمدون إلى زرع بذور الشقاق بين الناس وذلك حتى يمكنهم أن يخلقوا التقاطع بين الناس فيستفيدون منه لتنمية تجارتهم وسيطرتهم على اقتصاد البلاد "...حذا ري ، حذا ري أيها المسلمون من استغلال اليهود لحسن نيتهم فيضرب بعضهم بعضا ، ويركب بعضهم رقاب بعض فيرقص اليهود على مصائبهم ومانحاتهم سرورا وطربا ويضحكوا شماتة وسخرية على بلهكم وغفلتكم ...ونحن على يقين من أن اليهود ولا سيما يهود قسنطينة منهم لن يهدأ لهم بال ويلذ لهم عيش إلا عندما يرونكم تخربون بيوتكم بأيديكم مبددي الشمل مفرقي الكلمة مهدمي الشرف مداسي الكرامة ولبلوغهم هذه الغاية السافلة تراهم هذه الأيام يبخرون بين المسلمين بمجامر من الفلفل ...ويسمع العالم الإسلامي ما يتصاعد من مسلمي الجزائر من الكحة والسعال إذا لم يقتحما عيونهم للمؤامرات التي تداس لهم في طي الخفاء ويتداركوا أمرهم بكل صدق وإخلاص وصفاء..."[1]

وعندما كانت القضية الجزائرية تمر بمرحلة حاسمة بعد المؤتمر الإسلامي سنة 1936 م[2] وما نتج عن هذا المؤتمر من اندلاع مظاهرات وطنية تاريخية ، فمن عقد المؤتمر إلى تكوين اللجان لتنفيذ مقرراته،إلى سفر الوفد إلى المدينة باريس ، إلى دعوته إلى الوطن واستقباله والتفاف الأمة حوله ذلك الالتفاف الرائع والتظاهر معه في عدة مواطن لم يلفت نظر أبي اليقظان ولم يملأ قلبه بالغبطة والسرور شيء كما ملأه ما تمخض عن هذه التجمعات من وحدة الأمة وتضامن صفوفها ، وتأسيسا على ذلك راح يؤكد على العمل الوحدوي لنجاح القضية الوطنية وفي ذلك يقول "......ظاهرة الوحدة التي تجلت في هذه الوحدات تجلي الشمس في رابعة النهار ، تلك الظاهرة التي تستحق كل عناية وتقدير وتستوجب إفراغ الوسع ، وبذل الجهد، في تغذيتها وتوثيقها تلك الظاهرة التي لا تقوم للأمة قائمة ولا تنال أي حق طلبته أو تطلبه ، ولا تعيش عيشة مرضية إلا إذا اتخذتها شعارا وتقدسه وقبلة تتوجه إليها كل وقت وحين ، وعلما تنضوي تحت ظله ، ومنهاجا تسلكه لا تنكب عنه بحال..."[3] ويزيد على ذلك بالمطالبة بتكوين حزب وطني ينضوي تحت لوائه الجميع من أجل القضية الوطنية التي بات أكبر سند لها هي تلك المحن والإحن التي تمر بها البلاد والتي أكسبت القضية الجزائرية أنصارا كبارا في الجزائر وفرنسا وعطفا عاما في العالم الإسلامي أجمع ، وهي التي أيقضت الأمة الجزائرية من سباتها وجمعت وحدتهـــا فـــي

1- اليهود يبخرون بالفلفل جريدة الأمة عدد 8 (6 -11 – 1934 م) .

2- يعد الشيخ ابن باديس هو صاحب فكرة عقد المؤتمر الاسلامي الذي اعتبره الأمين العمودي ضروري لوضع برناج يستجيب لكل مطالب طبقات المجتمع الجزائري المسلم وقد انعقد المؤتمر الأول بمدينة الجزائر يوم 07 جوان 1936 وترأسه الدكتور بن جلول ومشارك فيه العلماء والبيانيون والنواب الشيوعيون وغاب فيه النجميون ،أنظر Mahfoud ,Kaddache, Histoire du nationalisme Algerien,T1 p.427-462

3- الشيخ أبوا ليقضان : إلى قادة الإصلاح جريدة الأمة عدد 88 (1 – 3 – 1936 م) .

الإحســـــاس والشعــور والتفكيـــر والغاية..."[1] ولكن هذا لا يكفي عنده لتسيير القضية الجزائرية تسييرا رشيدا يقودها إلى أهدافها ويوصل سفينتها إلى بر الأمان بل ينبغي إيجاد أطر وهياكل تنظيمية وطنية لها ...لا تكتفي لتسيير القضية في طريقها إلا حب وبلوغ الغاية بها إنما الحوادث منبهات ومحفزات ...ولكن لا بد لهم من مسيرين حكماء ، وحماة يذودون منها ولا بد لهؤلاء المسيرين الحكماء والحماة الأبطال من مبادئ محددة وبرامج مسطرة يعمل داخل إطارها ومثل عليا يتوخاها ..." [2]

ونظرت صحافة الاصلاح إلى هذا التجمع الوطني بمدينة الجزائر على أنه انتصار للأخوة والوحدة وإعلان عن إجماع ست ملايين إنسان وأن هذا المؤتمر يمثل اللبنة الأولى التي وضعت من أجل بناء المستقبل الوطني(3) واعتبر جاك بيرك هذا المؤتمر بمثابة يوم الجزائر(4).

كما أن العلماء المصلحين كانوا ينظرون إلى جهودهم التربوية والثقافية على أنها تصب في خانة المصلحة الوطنية العليا من منطقة الحرص على إخراج الأمة من ظلام الجهل إلى نور العلم فتعرف من ثمة نفسها وعدوها . وتقدر على تنظيم نفسها لكي تحقق الأهداف التي تسطرها . والتفكير الذي يمكن أن يهتدي به لبلوغ الغاية من هذه النهضة الوطنية وانطلاقا من هذه القناعة فقد اعتبرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مكملة في عملها لنشاط الأحزاب الوطنية وأن تكون بانية لدعامة الاستقلال الأولى وهي العلم والتعليم .[5] كما اعتبرت نفسها فوق الأحزاب كلها ولقد اتصلت بجميع الأحزاب فرادى ومجتمعين في المصالح العامة ودعت الأحزاب إلى الصلح والاتحاد وجمعتهم للاشتراك في العمل .[6]

ولأن التعددية الحزبية قد تكون مدخلا لضرب القضية الوطنية من قبل الإدارة الاستعمارية وأعوانها فقد دعت جمعية العلماء المسلمين إلى التكتل السياسي معتبرة أن التعددية الحزبية في ظل السياسة الاستعمارية ليست مفيدة للأحزاب ولا مفيدة للقضية الوطنية وذلك لسببين وجيهين :

1- التعددية الحزبية تؤدي بالضرورة إلى إضعاف الأحزاب نفسها أمام الحكومة الاستعمارية ، لما تبثه من سموم التفرقة والخصام منعا لاتحادها واجتماعها على هدف واحد وهو خدمة القضية الوطنية .[7]

2- اختلاف الأحزاب على نفسها وما يجره الخلاف من تحاسد وأحقاد ينتقل إلى الأمة بكاملها من إضعاف قوتها وتمزيق وحدتها . [8] وتجعلها ضعيفة أمام خصومها من طبيعة الأمر "...إن من طبيعة الانتخابات في الأمم التي لم تنضج من آرائهم في الحياة ولم يتضح منهاج الحياة لها ، إن تشتت الشمل

1- الشيخ أبو اليقظان : هل من الإمكان إنشاء حزب وطني جزائري جريدة الأمة عدد 3 (2- 10- 1934) . 2- نفس المصدر .

3- Ch. R. Ageron, l'Algérie Algérienne de Napoléon III à De gaulle, la bibliothèque arabe sindbad, Paris, 1980. pp. 144 – 145.

4-Jacques Berque, le Maghreb entre deux guerres, céres éditions, Tunis, 2001, t2, pp 468 – 469.

5- الشيخ محمد الإبراهيمي : دعوة مكررة إلى الاتحاد ، جريدة البصائر عدد 15 (ديسمبر 1947 م).

6- الشيخ محمد الإبراهيمي : جمعية العلماء أعمالها ومواقفها جريدة البصائر عدد 4 (1947) .

7- أنظر الباحث : عبد الكريم بيسبيس ملامح المجتمع الجزائري من خلال جريدة البصائر ص 147 -148 .

8- نفس المصدر ص 148 .

المجمـــوع وتفـــرق الكتلة المتراصة الأجزاء فكيف بالشمل الممزق والرأي المفرق ؟ ..."[1]

ولم يتوان الشيخ الإبراهيمي في إطلاق صرخة مدوية مناشدا قادة الأحزاب بضرورة الحرص على الوحدة الوطنية (2) ضد الاعداء الذين أجمعوا أمرهم وجمعوا كل قواهم من اجل المحافظة على مصالحهم المتعارضة مع المصالح الوطنية "...وهانحن أولا نرى خصوم القضية الجزائرية من أئمة الاستعمار قد أجمعوا صفوفهم وأجمعوا أمرهم على حرب قضيتنا في منبتها اشد مما حاربوها في فرنسة ...إنهم قد تداعوا جهرة إلى الاتحاد هنا كما اتحدوا هناك . اتحدوا هناك على إحباط برامجكم فنجحوا وعلى تخييب مطالبكم فأفلحوا ، وأنهم قد اتحدوا هنا على إسكات أصواتكم وإخماد حركاتكم ، وبيدهم أزمة القوة من حكم ومال ومطابع وجرائد وقسيسين ...ولا تستيئسوا إن لم يكن لكم بعض ما لديهم من القوة ، فعندكم من القوة المعنوية ما لو أحسنتم تصريفه واستغلاله لغلب ضعفكم قوتهم . إن قوتكم في الاتحاد فاتحدوا ..."[3]

ويحذر من مغبة الانقسام والتناحر الحزبي لأن ذلك سيؤدي حتما إلى التمزق والتشتت في الأوساط الاجتماعية فيقول : "...إن الأمة من ورائكم ، وهي مختلفة باختلافكم ، فإن اتحدتم اتحدت . وأنها متألمة من اختلافكم في مثل هذا الوقت ، وفي مثل الموقف ، وأن التألم قد يفضي بها إلى اليأس وانعدام الثقة بكم ، فأنعشوا آمال أمتكم باتحادكم وقووا معنوياتها بجمع كلمتكم ... "[4] .

كما يهيب بأبناء الأمة الجزائرية لكي يحرصوا بدورهم على الوحدة ويعملوا من أجل الاتحاد لأنهم يشكلون مصدر قوة الشعب ومنبع إرادته فيقول : "...إن في أحزابنا كفاءات ، وفيها رجال ، وفيها كنوز من الإخلاص ، وقد غطى الخلاف على جميع ذلك فهل من يد جريئة تزيح ذلك الغطاء البغيض ؟ أيتها الأمة : أنت تلك اليد ، أنت وحدك القادرة على توحيد الأحزاب . إن قوة الأحزاب مستمدة من قوتك فاعرفيهم متحدين ولا تعرفيهم مختلفين ...". [5]

1- الشيخ محمد الإبراهيمي : دعوة صارخة إلى اتحاد الأحزاب والهيئات ، جريدة البصائر عدد 10 (أكتوبر 1947 م)

2- وفي هذا الصدد سبق للشخ ابن باديس ان اقترح من خلال جريدة الدفاع في عددها 3/ 1/ 1936 على كل الاحزاب الجزائرية للاجتماع من اجل وضع قائمة المطالب تتبنى بالاجماع. أنظر: Desparmet, contribution a l'histoire con temporaine de l'Algerie(1911- 1937), A F, Aout sept 1937, p 427.

3- نفس المصدر .4- نفس المصدر .

5- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي : دعوة مكررة إلى الاتحاد ، جريدة البصائر عدد 15 (1 – 12 – 1947 م) .

ولم يكن خطاب رجال النهضة في هذا الإطار ينحوا منحا نظريا فحسب ولكن نجده مسجلا حضوره بقوة في المشهد العملي حيث كان رجال النهضة موقعين لحضورهم بكل قوة في المناسبات والمواعد السياسية الوطنية وهذا ما نلمسه بكل وضوح في تأسيس " الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها " .[1] حيث كان للعلماء المصلحين الدور الرئيسي في تكوينها وإخراجها إلى عالم النور ، حيث كان للشيخ العربي التبسي رئيس اللجنة الإنشائية لها وصاحب اليد الأولى في بروزها سنة 1951 م مع باقي القوى والحساسيات السياسية في البلاد ، وكان خطابه الذي ألقاه في مؤتمر الجبهة التأسيسي ما يعكس ذلك الوعي الناضج عند العلماء المصلحين الذين استشعروا ذلك الخطر الذي بات يتهدد مصير القضية الجزائرية بعد أن وقعت الأحزاب السياسية الجزائرية في فخ نصبته لها الإدارة فقد غرقت الأحزاب في مسألة الانتخابات وكانت الإدارة تنجح من تشاء وتفشل نمن تشاء وضاعت بين ذلك الأهداف الوطنية وأصبح الصراع على الكراسي التي تسمح بها إدارة الاستعمار ..." [2]

فقد كشف الشيخ التبسي في خطابه عن مغزى هذه تأسيس هذه الجبهة حيث يقول : "...إن الاضطهاد قد شملنا جميعا فوقفنا ضد الاضطهاد وأنشأنا هذه الجبهة التي جاءها الجمع بقلب سليم لكي يناضل نضال الرجل الواحد حتى تشمل الحرية جميعنا وحتى يسود التساوي الحق بيننا وحتى يصبح جميــع من تقلهم أرض الجزائر إخواننا متضامنين في السراء والضراء ..." [3]

وقد اعتبر الأستاذ أحمد توفيق المدني إنشاء جبهة الدفاع عن الحرية بمثابة الحدث العظيم ومنطلق الثورة المباركة "...كانت جبهة الدفاع عن الحرية حدثا عظيما ، وكانت آلة صلبة للكفاح المنظم ، وكانت دون شك و لا ريب الومضة الأولى التي انبثقت من بعدها نور الجبهة العظمى جبهة التحرير الوطني ، جامعة بين اللجنة المركزية لحزب انتصار الحريات الديمقراطية وجمعية العلماء ، وحزب أحباب البيان واندفعت تشعل النار وتوقد النور وتبذل الدماء رخيصة في سبيل المنال الغالي ..." [4]

1- تأسست جبهة الدفاع عن الحرية في الجزائر سنة 1951 م وكانت تسعى للتعريب بين وجهات النظر والتوفيق بين النظريات وبين مناهج العمل بين قادة الأحزاب وكان انعقاد مؤتمرها التأسيسي بتاريخ 5 أوت 1951 م بقاعة ديازال وكان مجلسها الإداري مشكلا من جمعية العلماء المسلمين ، حزب انتصار الحريات الديمقراطية ، حزب البيان ، الحزب الشيوعي ، شخصيات مستقلة . أنظر أحمد توفيق المدني : الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها ، جريدة البصائر عدد 67 (13 – 8 – 1951 م) وأنظر أيضا جريدة المنار عدد 6 (30 يوليو 1951م 27 شوال 1370 ه)

2- د / سعد الله : جمعية العلماء والسياسة من كتاب لجان وآراء في تاريخ الجزائر جزء 4 دار العرب الإسلامي بيروت 1996 م ص 147 .

3- أنظر خطابه كاملا في جريدة المنار عدد 7 (15- 8 – 1951 م / 13 – ذي القعدة 1370 ه) .

4- أحمد توفيق المدني : حياة كفاح جزء 2 ص 403 .

وقد كان لهذه الجبهة صداها في الأوساط الاجتماعية حيث ما حلت من خلال وقودها إلى كل جهات الوطن وكان العلماء المصلحون هم الكثرة من تلك الوقود ، مثل الشيخين : الجيلالي الفارسي ومصباح الحويذق [1] واللذان امتازا أثناء خطبهما في الجماهير بإثارة الشعور وإيقاد نار الحمية وكان كما كان غيرهما يهيئ الأمة لليوم الأعظم يوم الجهاد . [2]

كما نلمس في مساندة نداء المقاطعة الصادر من حركة انتصار الحريات الديموقراطية تعزيزا للصف الوطني فخلال" محاضرة ألقاها الشيخ العربي التبسي في مدرسة تبسة في 17- 10- 1954 م اعتبر شرب المشروبات الكحولية وحتى التردد على المقاهي المسيرة من طرف الأوروبيين ممنوعة[3]

والحق أن ما صار يعصف بالبلاد مع مطلع الخمسينات من أحداث جسام وعجز التشكيلات السياسية عن الارتفاع إلى مستوى ما كان يفكر فيه الشعب من تطلعات وينشده من أهداف جعل من جمعية العلماء كما يذكر د / سعد الله تقريبا " ...هي الهيئة الوحيدة الفاعلة في المجتمع الجزائري عندئذ ولعلهم سيجدون أن أنصارها قد تكاثروا نتيجة الأزمة التي مر بها حزب الشعب سنة 1949 م وخصوصا منذ 1953 م لأن الشعب قد تزعزعت ثقته في الأحزاب السياسية عموما ..." [4] وجعل الأستاذ الشاعر مفدي زكريا يتشاءم من مستقبل البلاد السياسي آنذاك . ويعتبر أن الشعب لم يبق له من مؤمل يعقد عليه لواء العزم سوى جمعية العلماء المسلمين .

وما السياسة ضرب فوق مائد * إن السياسة إنشاء وتجديد
وما الزعامة أقوال وشقشقة * إن الزعامة إصلاح وتشييد
وما النضال احتجاجات على ورق * إن النضال كفاءات ومجهود
وما الجهاد (جدار أنت تكتبه) * إن الجدار كبعض الناس جلمود
هذه المدارس كالأعلام قائمة * للعلم يحرسها قوم منا جيد
جمعية العلماء المسلمين ومن * للمسلمين سواك اليوم منشود ؟
خاب الرجاء اليوم فاضطلعي * بالعيب مظفر دجال وعديد
أمانة الشعب قد شدت بعاتقكم * فما لغيركم تلقى المقاليد [5]

1- هو أحد المصلحين الجزائريين الذين اشتغلوا بالتعليم في المدارس العربية الحرة وكذلك القيام برسالة الوعظ والإرشاد بالمساجد كانت له مواقف وطنية شجاعة ضد أعداء القيم الإسلامية فترة الاستعمار وبعد الاستقلال.

2- نفس المصدر جزء 2 ص 403 – 404 .

Bulletin Mensuel .Les questions Islamiques .octobre. 1954 p 110.-3

4- نفس المرجع ص 147 .

5- أنظر جريدة البصائر عدد 250 (11 / 12 / 1953).

كما نلمس من الناحية العملية كذلك، كثيرا من التواصل بين زعماء نجم شمال افريقيا و حزب الشعب و قادة جمعية العلماء وقد كتيت جريدة الامة الباريسية مقالا تحت عنوان (نجم شمال افريقيا و جمعية العلماء) ذكرت فيه ان جمعية نجم شمال افريقيا استقبلت وفد المؤتمر الإسلامي الذي كان من اعضائه قادة جمعية العلماء بالتحية . وان العلماء بدورهم قاموا بزيارة بعض شخصيات النجم ، وحين اعتقل الشيخ العقبي و السيد عباس التركي وزع النجم عدة مناشير لدفاع عنهما في 18-08-1936 ولاحباط المؤامرة الاستعمارية ، وضد غلق نادي الترقي .(1)

كما وقف العلماء بدورهم الى جانب زعماء حزب الشعب في ساعات العسرة ، فعندما حكمت فرنسا على مصالي و بعض اخوانه بالسجن و التغريم في اوت 1937 اثارذلك موجة من السخط و الاستياء في أوساط العلماء، وقد اعتبر الساسة الاستعماريون ان جمعية العلماء جمعية سياسية في ثوب ديني وانها تستر القومية بستار ديني و تخفي الوطنية بغطاء العلم و العربية ، وهذا ما جعل اعضائها يقذف بهم في غياهب السجون و يلقى بهم في المعتقلات مع المجرمين (2) .

ورغم ان النجم و العلماء لم ينسقوا سياستهم رسميا فأنهم كانوا فعليا يعملون لغاية واحدة رغم اختلاف الطرق (3) .و هناك نقاط التقاء بينهما، منها أنهما كانا يعتمدان على مخاطبة الجماهير لا النخبة (4)

كما مثلث اللجان الرئيسية لجمعية العلماء في هذا السياق كذلك نوادى سياسية خالصة تلتحم في نظام ديني واحد وتضم جميع الاتجاهات السياسية وان سعيها في هذا المضمار ينشد تجميع القوى الوطنية في جبهة واحدة للتطهير البلاد من الجمود الفكري و العمل على ايجاد عقلية جزائرية متنورة ترفض ضلال شيوخ الزوايا وأعوان الاستعمار(5) .

انما يمكن استخلاصه من كل ما تقدم ذكره، ان بعد " الوحدة الوطنية في الخطاب النهضوي" قد احتل مكان هامة عند المثقفين الجزائرين من منطلق الحرس على تقوية الحس الوطني بما يمكن من تحقيق طموحات و امال شعب الجزائري في الحياة الحرة و المزدهرة .

---

1 – محمد قنانش الحركة الاستقلالية في الجزائر 1919 -1939 ش و ن ت الجزائر 1982 ص 73 و بوصفصاف جمعية العلماء ص 228

2- بوصفصاف نفس المرجع ص 228 و ما بعدها

3 – يظهر هذا جليا من خلال رفض الزعيم مصالي لمسألة ربط الجزائر بفرنسا حسب ماجاء ضمن مطالب المؤتمر الإسلامي امانا من مصالي بان ذلك مناف للقيم الوطنية القائمة على مبدأ ان الاستقلال حق لكل الشعوب الامر الذي جعل الاستاذ العمودي احد زعماء المؤتمر الاسلامي يقدم توضيح لمعنى كلمة ربط كما جاءت في روح ونص المطالب فحسبه كلمة ربط الجزائر بفرنسا لها مدلول اداري لا تتعداه الى أي معنى آخر فهي ترادف بالضبط الخاء قانون الانديجينا و نظام الحكومة العامة و السلطات المكاتب العربية للمزيد انظر محمد الطاهر فضلاء ، محمد الامين العمودي الكاتب الشاعر الاديب و السياسي البارع محاضرة في ندوة الامين العمودي وادي سوف 2-3-4 /1990 من تنظيم جمعية الامين العمودي الوطنية .

4- سعد الله الحركة الوطنية ج 2 ص 152 5- بوصفصاف جمعية العلماء ص 318

2- البعد الثوري في الخطاب النهضوي:

لم يكن العمل الدؤوب الذي كان رجال النهضة الجزائرية يضطلعون به من أجل الرفع من المستوى المادي والأدبي للأمة والذي كان يؤخذ منهم نفائس أوقاتهم ولا يترك لهم إلا قليلا من الراحة والتقاط الأنفاس، ليصرفهم عن ما كان الاستعمار يقوم به من جرائم جهارا في وضح النهار غير مبال بأحد، بعد أن عمى بصره وعميت بصيرته عن حقوق الشعب الجزائري بل صار يتربص الدوائر حتى بالمؤسسات الوطنية التي بناها الشعب من حر ماله من أجل النهوض بأدنى المطالب لأبنائه، في حقل التربية والتعليم فكم من مدرسة حرة أغلقت وكم من معلم عربية زج به في غياهب السجون، وكم من إمام منع من عمله وتعليم الناس لدينهم، وكم من تهمة باطلة لفقت بزعماء النهضة والإصلاح، تجنيا عليهم ودفعا بهم إلى المعتقلات وما كان ذلك ليمر بسلام على المتعسفين في حق الشعب من رجال الإدارة الاستعمارية وغلاة المعمرين الذين يحسبون أن الجزائر صارت مملكة خاصة بهم وإلى الأبد لا حق لغيرهم فيها حتى وإن كانوا من أبنائها حيث رفع المثقفون الجزائريون عقيرتهم ودخلوا في مواجهات ضد هذا الاستعمار البغيض حسب ما يتوافق و طبيعة عملهم.

والإمكانات التي عندهم، والظروف المحيطة بهم، وكم كانوا يصمتون عن ما يرتكبه المستعمرون من مناكر تفويتا للفرصة عليه حتى لا يجد الحجة فيعمد إلى تعطيل المؤسسات الوطنية، وفي ذلك تعطيل لمشروع المجتمع وحجب للنور عن أبنائه حتى يبقون في جهالة وهل يقدر الاستعمار على البقاء إلا مع الجهل.

ولكن عندما يصبح هذا الاستعمار معولا على استئصال كل المشاريع الوطنية وإقصاءها من النشاط، ويمتنع عن تلبية مطالب القضية الوطنية كان طبيعيا أن يدفع بالمثقفين الوطنيين لمواجهته والتصادم معه، ونحسب أن الخطاب النهضوي الجزائري وجد نفسه في المعركة مفروضا عليه فإما أن يكون أو لا يكون، ذلك أن البعد الثقافي والتربوي والديني الذي تدثر به لم يشفع له لدى هذا الاستعمار الذي عرف أن هذا الخطاب النهضوي صار يحفر له قبره كل يوم في الجزائر، وأنه صار أخطر على وجوده وبقائه عن أي نشاط آخر، لأنه حقا كان يحارب في العقليات التي تحافظ على هذا الوجود الاستعماري وعاجلا أم آجلا سيفقد مبررات وجوده في الجزائر ، فالثورة على الاستعمار في العقول سيكون مآلها كتحصيل حاصل ثورتها في الميدان، فلا عجب إذن إذا أقدم هذا الاستعمار على تضييق الخناق وخنق أنفاس كل الذين يرمزون ويرتبطون ويتحدثون باسم هذا الخطاب النهضوي.

ويمكن لنا أن تلمس الأبعاد الثورية في الخطاب النهضوي من خلال :

التنديد بالاستعمار واستبداده

الدعوة إلى الكفاح من أجل الحرية

أ-التنديد بالاستعمار واستبداده:

لما كان المستعمرون يمعنون في انتهاك حرية الجزائريين ويستهينون بكرامتهم ، ويثقلون كاهلهم بالواجبات ويمنعون عنهم كل حقوقهم، فقد كان مفكروا النهضة الجزائرية ينددون بكل الممارسات التعسفية الاستعمارية كاشفين عيوبها ومظالمها للناس خاصة،فشكل ذلك ميلاد ما اعتبره فرانز فانون[(1)] في كتابه" معذبو الأرض" بأدب النضال الذي اعتبره قبل كل شيء أداة للكفاح الذي يخوضه الشعب المستعمر في معركته ضد العدو[(2)] ثم يعرف في موطن آخر معنى أدب النضال فيقول" والحق أن تقد الوعي القومي لدى الشعب يبدل ويوضح التعبير الأدبي الذي يتولاه المثقف المستعمر ، إن استمرار اتحاد الشعب يهيب بالمثقف أن يتجاوز مرحلة الصراخ فإذا الشكوى تصبح نداء، ثم إن النداء يصبح في مرحلة تالية شعارا.....وابتداء من هذه اللحظة إنما نستطيع أن نتحدث عن أدب قومي..."[(3)]

فقد تصدى الأستاذ أبا اليقظان لأولئك الذين كانوا يسخرون من الدين الإسلامي من خلال مقال له تحت عنوان :" كيف يفهمون الدين" ردا على كاتبة فرنسية زارت تونس وحررت مقالا عما رأته من كثرة المتسولين ساخرة مزدرية بالإسلام مدعية بأن أولئك الأشكال من الناس هم تحت رعاية محمد صلى الله عليه وسلم حيث اعتبر أبو اليقظان مقالها هذا قلبا للحقائق ونسفها للحق وتعصبا ضد الإسلام والمسلمين وهو يدّل على حقد صليبي دفين أعمى في قلب هذه الكاتبة .

واعتبر ما لاحظه من ظواهر التسول مرده أساسا إلى ذلك الاستعمار الأوروبي الحقود الذي أبقى هذه الشعوب على تلك الحالة وغلق كل منافذ التحضر أمامها[(4)]

ثم بين لها بما حمله المسؤولية للحكومة الفرنسية على ذلك ما دامت راعية لشؤون هؤلاء المستعمرين " فلو كان لهذه إلهام بالأدب وذرة من الإنصاف لقالت أن هؤلاء الأشكال هم تحت رعاية فرنسا....فلو كان الأمر لمحمد وأتباع محمد لما تركوا أولئك على هاتيك الحال التي تسخر منها مدام سيلاربي......ولو كان لها ذرة من العقل لرفعت العار الذي يلحق فرنسا بإهمالهم وتشريدهمفي الطرقات بعد أن كانوا ذوي أملاك واسعة وأرض فسيحة ، ولكن هو التعصب الأعمى يسدل على صاحبه حجابا كثيفا يجعله يرى الأشياء مقلوبة"[(5)]

1- ينحدر عن أصول افريقيةمارتينيكية ،عاش في الجزائر،وكان يشتغل في طب الأمراض العقلية وشارك في الثورة التحريرية ، كما اهتم بحياة الفلاحين في الريف الجزائري له عدة مؤلفات منها والأرض للمزيد عنه أنظر محمد الميلي ، فرانز فانونوالثورة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر بيروت ط(1) 1393 هـ 1973 م .

2-أنظر أنيسة بركات، أدب النضال...ص 59

3-نفس المرجع، ص 59

4- قاسم أحمد الشيخ بلحاج، الشيخ أبو اليقظان ومعالم في جهاده الإسلامي مجلة الموافقات عدد 5 1417 هـ / 1996 م ص 504

5-نفس المرجع، ص 504

وعلى منوال الأستاذ أبي اليقظان عكف كذلك نفر من كتاب النهضة على تحرير مقالات تبحث في أعمال الاستعمار الاستدمارية فقد اعتبر الأستاذ فرحات الدراجي ، " الاستعمار هو الجريمة الكبرى التي انغمس فيها كثير من دول الدنيا وهو سبب أكثر الحروب السابقة واللاحقة، وهو أيضا سبب المشاكل التي تعترض طريق الأمن والسلام والأخوة بين الأمم والأجناس و لا ينقطع دابر الحروب من الدنيا ولا يستقر الأمن فيها ما دام الاستعمار –بأي شكل من أشكاله- موجودا وقد بلى وتخرق البرقع الذي كان يتستر به الاستعمار قبل اليوم وافتضحت مخازيه لجميع مخلوقات الله حتى الأمم التي ما تزال على الفطرة.."[(1)]ويواصل الكاتب إبرازه لمنطق الاستعمار بالكشف عن أسلوب هيمنته على الأمم واستعباد شعوبها بالعمل على النيل من قيمها الحضارية ومقوماتها الشخصية وبنيتها الاقتصادية" وللاستعمار أسلوب خاص في سياسته التي يسوس بها الأمم التي أوقعتها الأقدار تحت كلاكله ولا يجيد عن تلك السياسة في حال من الأحوال.

وهذه السياسة تتلخص في تجهيل الأمم التي يتسلط عليها وتفقيرها وقهرها وإذلالها ونزع ثروتها من أيد أبنائها وجعلها في يد أبنائه وتركها للأمراض الفتاكة تعمل فيها الأفاعيل وإفساد أخلاقها بفتح باب الإباحية على مصراعيه والعمل على نشر الفجور وتسهيل طرقه بكل الوسائل والمغريات وتفريق الأمة الواحدة إلى طوائف وشعوب متعددة تطبيقا للقاعدة المشهورة "فرق تسد".[(2)]

وهو تقريبا نفس ما ذهب إليه الأستاذ يوسف يعلاوي[(3)] عندما تعرض إلى الممارسات الاستعمارية في حق الشعوب وكيف يكيف علاقاته مع الشعوب المستعمرة حسب ظروف بما يبقي عليه جاثما على عاتق المغلوبين على أمرهم" للاستعمار حبائل وحيل ومكائد، يلبسها ثوب الرحمة المصطنعة ويبطن فيها القساوة الغريزية ، وله أساليب وطرق اتخذها عمادا لحركته الضالة وسياسته الفاجرة ....وهو في سياسته يتشكل بحسب الأحوال والأوقات، وينفذ قوانينه على مقتضى المقامات.."[(4)] كاشفا للناس مبلغ ما وصلته إليه الإدارة الاستعمارية من استهتار بكرامة الجزائريين بإقدامها على تزوير وتدليس الانتخابات التي كانت تنظمها، كي يتسنى لها إقصاء من تريد إقصائه، وإنجاح من تريد إنجاحه بما يتوافق ومصالحها"..وقد استتب له الأمر في انتخابات 4 أفريل ونال بعض رغائبه التي هي كالسراب على أنه ما أحرز على تلك الأصوات المزورة والأغلبية المختلسة إلا باستعمال السياسة الوحشية والعوامل الزجرية، وما قبض على زمام الأمر قبض الراكب على المطية المغصوبة إلا ما نشره على أبناء الأمة الجزائرية من سمـــــــــوم الترغيب والترهيـــــــــب وقدمته يده الأثيمة

1- فرحات الدراجي، منطق الاستعمار، جريدة البصائر عدد 19 1367 هـ/1948

2-نفس المصدر

3-هو من بلدة قنزات ببني يعلي ولد سنة 1918 درس على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس ليعمل بعدها مدرسا بمدارس التعيم العربي الحر ببني معوش والشريعة وقنزات ولما اندلعت الثورة المسلحة انخرط فيها ثم سرعان ما برز فيها حتى أصبح مسؤولا عسكريا سياسيا في الولاية الثالثة وبعد الاستقلال أصبح أمينا عاما للمنظمة الوطنية للمجاهدين توفي رحمه الله سنة 1994. أنظر عنه: Achour Cheurfi, Op. Cit, p 340
.

4-يوسف لعلاوي، الاستعمار جرثومة خبيثة وميبة فادحة ، جريدة البصائر عدد 38، 07 جوان 1948

من شر وقـــهر ورذيلة[1]

كما يجئ مقال الكاتب المغربي" اليزناستي" ليجلي حقيقة ما يقدمه عليه الاستعمار من ضروب التضليل لقتل كل شعور وطني أو قومي في نفوس مستعمريه، عندما أصبح يدرك أن الوعي القومي قد سرى في نفوس الشعوب المستعمرة بما صار يشكل تهديدا حقيقيا للوجود الاستعماري" يفرغ الاستعمار كل ما في جعبته من نبال للحيل والمكر والتضليل لبقاء الأمم الضعيفة الواقعة في قبضته مستعبدة يستنزف خيراتها ويعمل على محق شخصيتها وقومياتها والقضاء ....على سيادتها التي عاشت تحت ظلها عصورا مديدة، وقد استفزه في هذا العصر طغيان الشعور القومي في كامل الأمم المغلوبة على أمرها، وأصبحت حياته قلقة وأفكاره مبلبلة، لا يعلم لتلك مستقر ولا لهذه مجال وقد يلمس الإنسان ذلك القلق وهاته البلبلة في صحفه وأحاديث رجاله وأعماله المختلفة..."[2]ويورد أمثلة من الواقع العملي ليدلل بها على ذلك فيقول"...حتى أنه يعمد في كثير من الأحيان إلى أساليب من التضليلات يشعر بسخافتها كل من له أدنى مسكة من التفكير، فمن ذلك ما حدث لمحرر هذه الكلمة في هاته الأيام مع بعض رجال الاستعمار دعت الضرورة للاجتماع به، فكان أول شيئ فاتحه به ما يلي:" إنه لو قدر لمغربي أن يزور الأقطار الشرقية مثل مصر وسوريا ولبنان والعراق لما استطاع أن يتفاهم مع أولئك العرب بغير إحدى اللغات الثلاث الفرنسية والإنكليزية والإسبانية ومعنى هذا بلغة التضليل أن اللغة العربية انقرضت من العالم ولم يبق هناك ما يسمى بالعالم العربي لغته الرسمية العربية وليس له صحف عربية تعبر عن آماله وآلامه.."[3]

ودعا منشط النوادي الاصلاحية الى التمرد على الاستعمار وعدم الانصياع لاوامره الزجرية ومن ذلك ما قاله عمر دردور(4) أمام حشد من الناس " لا تخافوا أبدا من الموظفين وتهديداتهم ولا محاضرهم، إنهم كلاب والمتصرف الاداري لأريس أكبر الكلاب" وفي موطن آخر قال للناس تمردوا على السلطات الفرنسية ولا تسددوا القروض وارفضوا عمل السخرة.(5)

وإذا كان رجال النهضة لوطنية قد أسهموا بكتاباتهم في تصوير حقيقة الاستعمار وأغراضه النيئة وأساليبه الماكرة في التحكم في رقاب الشعوب والهيمنة على خيراتها، فإن ما كان يقترف في حق

1-نفس المصدر.

2- اليزناسني، من مبادئ الاستعمار، التضليل ، جريدة البصائر ، عدد ، 18جانفي 1948 3- نفس المصدر

4-ولد الشيخ عمر دردور بقرية حيدوسة بوادي عبدي في 13 أكتوبر 1913 وبعد ان حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه غلتحق بزاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة أين درس على يد مشايخها مختلف العلوم من توحيد وفقه ونحو وصرف وفلك وتفسير وحديث وفي سنة 1932 توجه الى قسنطينة حيث درس على يد العلامة ابن باديس الذي كلفه بعدها بإلقاء الدروس على الطلبة بمسجد سيدي قموش وسيدي بومعزة وفي سنة 1936 أسس مع جماعة من الطلبة الاوراسيين والعلماء القاطنين الشعبة الاوراسية لجمعية العلماء وقد قام مؤسس هذه الشعبة وزملاؤه بنشاط هام في ميدان التربية والثقافة والتكوين السياسي وبسبب هذا النشاط حنقت عليه الادارة الاستعمارية ولفقت له التهم المزيفة وألقت عليه القبض بتاريخ 19 اكتوبر 1937 وقدم للمحاكمة بباتنة في يوم مشهود حيث تظاهر الناس حول المحكمة وحضر في ذلك اليوم الى باتنة الشيخ بن باديس وبعد المداولات أصدرت المحكمة حكما ببراءة الشيخ الذي خرج إثر ذلك من السجن في 6 جانفي 1938 أستؤنف الحكم بعده حيث قضى وقتا في السجن ثم خرج منه وواصل نشاطه الاصلاحي والوطني. أنظر الشيخ الواعي محمود، حياة الشيخ عمر دردور ونظاله قبل الثورة المسلحة، تاريخ الأوراس ، جمعية أول نوفمبر في الأوراس، دار الشهاب باتنة، ص 260.

5- Zouzou , Op. Cit, p 975.

الشعب الجزائري من جرائم بشعة لم تمر عليهم مرور الكرام ، حيث كشفوا للناس مبلغ ما كان يقترفه الاستعمار الفرنسي من مظالم وما كان يعمد إلى استصداره من قرارات تعسفية مجحفة في حق المؤسسات الجزائرية، لشل نشاطاتها وتعطيل مسارها، فعندما عمدت الإدارة الاستعمارية إلى إقامة احتفالات بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال مدينة قسنطينة سنة 1937 التي كان الغرض المتوخى منها هو إشعار القسنطينيين والجزائريين عامة بعد مضي قرن من الزمن بالهزيمة والمذلة (1) استاء الجزائريون من تلك العملية المشينة أيما استياء فقد توحدت جهود العلماء والعديد من الجمعيات الإسلامية العاملة بقسنطينة وعقدوا اجتماعا يوم 1937/9/18 بنادي الاتحاد استنكروا فيه الاحتفالات واتفقوا على مقاطعته (2) كما اصدر الشيخ عبد الحميد بن باديس نداء إلى سكان قسنطينة المسلمين يطالبهم فيه بمقاطعة الاحتفالات وعدم المشاركة فيها " إخواني القسنطينيين في مثل هذه الأيام منذ قرن مات أجدادكم المجاهدون المدافعون والفرنسيون المهاجمون في ميدان البطولة والشرف وطويت صفحة من التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوب..أرادوا في هذه الأيام أن يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة قسنطينة تثير العواطف وتمس كرامة الأحياء منا والأموات وتتنافى مع الأخوة والرحمة التي ندعو إليها..."(3)

وعندما أصدرت فرنسا قرار 8 مارس 1938 الشؤم الذي ينص على منع تعليم اللغة العربية في أي مؤسسة كيفما كانت من دون حصول على رخصة إدارية وكان واضحا من ذلك أن الاستعمار بات يخشى على نفسه من هذه الصحوة العربية الإسلامية التي أخذت بعدا وطنيا وقوميا كتب ابن باديس ينعى على الادارة الاستعمارية إقدامها على هذا الفعل البشع الذي يرمي إلى إعادة الأمة إلى حالة الجهل بعد أن ضاقت طعم العلم وصارت تبحث عن المزيد "... لم ترق هذه النهضة الدينية والعلمية في نظر الحكومة فأخذت في مقاومتها وابتدأ ذلك بالامتناع من إعطاء الرخص ثم بغلق المكاتب في نواح عديدة ثم بسوق المعلمين للمحاكمة...ضجت الأمة من هذا واستاءت وتألمت فرفعت صوتها بالشكوى بلسان نوابها وأقلام كتابها وبلسان مؤتمرها العام وبلسان وفد ذلك المؤتمر فسمعت الوعود من حكومة باريس ومن ولاية الجزائر.

ثم بينما الأمة تنتظر الوفاء بتلكم الوعود رغم ما تشاهده من ازدياد الإدارة في الشدة إذا هي تفاجأ بقرار 8 مارس الذي كان مطبقا بفرنسا منذ أكثر من نصف قرن دون أن يكون له ذكر في الجزائر، فلما انبعثت الأمة في نهضتها الدينية العلمية بعث لها هذا القرار المشؤوم وأخذ في تطبيقه بكل شدة وصرامة فلم يبق أحد إلا فهم القصد من بعث هذا القرار المشؤوم في هذه الظروف وما سبقها وما لحقها وما زال مستمرا إلى اليوم، ألا وهو معاكسة تعليم الدين واللغة والدين وجاء قبله قرار منع النوادي الإسلامية من بيع المشروبات وهي مشروبات حلالية طبعا فانفضح القصد حتى لدى حمار ......وراكبه..."(4)

1-أحمد صاري، الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال قسنطينة ومواقف القسنطينيين منها، المجلة المغاربية، العددان،87 – 88،1997، ص 470. 2- الرجع نفسه، ص 474. 3- المرجع نفه، ص 475. 4- أنظر جريدة البصائر، عدد56، (10-3-1939)

وهال الشيخ أبو اليقظان ما وصل إليه الصلف الاستعماري من جنون في ارتكاب الحماقات، حيث روعته مأساة مدينة بسكرة وهزته من أعماقه عندما عمد البوليس الاستعماري في مناسبة انتخابية إلى إطلاق النار على الجزائريين فكان نتيجة ذلك قتلى وجرحى فراح يخاطب المستعمرين بأسلوب فيه مرارة وسخرية وقد تقمص شخصية السلطة الحاكمة وراح يوجه كلامه إلى الجزائريين على هذا النحو:"بعثنا الله إليكم لنبدل ذلكم عزا ولكن بصب كؤوس الهوان على رؤوسكم وفقركم غنى ولكن بابتزاز أراضيكم ومقدرات بلادكم ، وترك مئات الآلاف يلتحفون الغبراء، وجهلكم علما ولكن بإغلاق المدارس في وجوه أبنائكم وترك تسعمائة ألف نسمة يذرعون الطرقات وعبوديتكم حرية، ولكن بإحاطتكم بأسلاك من قيود القوانين الاستثنائية[1] ويستمر في ذم الاستعمار وممارسته التعسفية بصيغة المدح.." نحن نحترم آدابكم وثقافتكم ولكن بمطاردة لغتكم باعتبارها وهي لسانكم لغة أجنبية كلغة الألمان، والطليان نحن نتعهد باحترام ديانتكم ولكن بمضايقة رجال الدين وإطلاق العنان للمبشرين يجوسون خلال الديار يأخذون طريقهم إلى القلوب، لابتزاز العقيدة منها، ذوق سليم ومنطق مستقيم وعدل عميم ومنهاج قويم ، جاءتنا به أوروبا لتخرجنا من الظلمات إلى النور لتملي علينا دروس الحضارة والتمدن ما شاء الله لا قوة إلا بالله"[2]

وعندما وقعت حادثة سجن الكدية بقسنطينة سنة 1939م التي راح ضحيتها ثلاثة من رجال التعليم العربي الحر الذين زج بهم فيه بدعوى التدريس بلا رخصة وهم ابن الهاشمي وعلي ابن سعد وعبد القادر الياجوري(3)، استغل الشاعر محمد العيد آل خليفة هذه المناسبة الأليمة فقال:

يتساءل الشعب في ضيق وفي حـــرج هل للمساجين من عفو ومن فرج
قل للولاة دعوا التضــــــييق واقتــــصـــــدوا فربما جرنا التضييق للهــــــــــرج[4]

ولما خابت آمال الشعب الجزائري فيما قد يجنيه من حقوق من" المؤتمر الإسلامي" وتبخرت أحلامه على صخرة العناد الاستعماري الذي ضحك على أذقان ممثليه الذين حملوا مطالبه إلى باريس واستمروا في هذا المسعى ذهابا وإيابا بين الجزائر وباريس ردحا من الزمن عبر الشاعر محمد العيد آل خليفة بقصيد يكشف فيه وعود الاستعمار الكاذبة ويأس الشعب عن نيل حقوقه فقال:

متى توفي الوعود فقد مللنا تساؤلنا متى توفي الوعود
أصابتنا الجوائح والرزايا واعوزت المرافق والرفود
جنت أعناقنا الأغلاق ظلما وحزت في سواعدنا القيود
وأعلنا المظالم والشكايا فأخفتها الدسائس والكيود

1- أنظر د/ ناصر،أبو اليقظان وجهاد الكلمة....ص 114-115
2- نفس المرجع، ص 115
3- ولد عبد القادر الياجوري بوادي سوف حوالي 1912 حصل على شهادة التطويع من الزيتونة سنة 1934 ، غضو بجمعية العلماء منذ تلأسيسها ، درس بقمار بعد رجوعه من تونس، وبعد حوادث وادي سوف سجن ثم فرضت عليه الاقامة الجبرية في عدة مدن من الغرب الجزائري الى غاية 1946، حيث رجع الى التعليم في مدارس جمعية العلماء من 1946 الى 1956، اعتقل أثناء الثورة من 1956 الى 1962، وبعد الاستقلال عمل في وزارة الاوقاف ثم استاذ في التعليم الثانوي توفي رحمه الله سنة 1991، للمزيد أنظر: احمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، ص 49، وكذلك مقال سعد الله، مجاهد من نوع آخر، مجلة الثقافة، عدد 105 – 106، ص 53 وما بعدها.
4- د/ صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 197

ألم نوسعك في الجلى جهودا   ألم تحم الحمى تلك الجهود

فما هذا التجاهل والتناسي   وما هذا التنكر والجحود[1]

وكان إقدام المحتلين على اقتراف أبشع جريمة في حق الشعب الجزائري في 8 ماي 1945م، بالفتك بزهاء خمسة وأربعون ألف جزائري من دون ذنب اقترفوه ولا جريمة ارتكبوها سوى مطالبتهم الإدارة الاستعمارية بحقوقهم المستلبة ومنها حق تقرير المصير ورفع الراية الوطنية(علم الأمير عبد القادر)في المظاهرات، فكان أن عملت هذه الجريمة الاستعمارية البشعة عملها في إثارة المشاعر الوطنية، التي راحت تلعن في الاستعمار البغيض ، وتصور بشاعة ما ارتكبه في حق شعب مسالم على أديم أرضه ولم يفكر في احتلال أراضي غيره ، فكان ذلك الموقف الجليل من وراء تلك الأقلام التي راحت تحرر المقالات وتقرض الأشعار التي تعكس فضاعة تلك المأساة فقد كتب الأستاذ باعزيز بن عمر عن مذبحة 8 ماي 1945م يقول في جرائم الاستعمار:"........فلو ذهبنا نحصي مآسيه وضحاياه وجرائمه منذ نزل بأرضنا لما استطعنا أن نحصيها.

فذكرى 8 ماي ، هي ذكرى ضحاياه التي بلغت 400000 ألفا حصدتهم قوته العمياء بقنابلها بين عشية وضحاها فسقط الشيخ والكهل والشاب والفتاة....... وربة البيت والرضيع ومن يحبو من الصبية والأطفال .....وحشية جنوده وضحايا رصاصه

فاض الاستعمار في هذا اليوم المشؤوم كالبركان فقذفه كل ما في أحشائه من الحمم واليحموم والنار: فذبح تذبيحا وقتل تقتيلا فذكرى 8 ماي مؤلمة إيلام شديدا لا يفتأ يحز في النفوس إلى الأبد، وإنما لهولها وعموم فضائعها لتكاد تنسينا ما قبلها من ذكريات الظلم والعدوان.."[2]

أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فقد كانت مذبحة مايو بالنسبة إليه الخطب الأكبر الذي حل بالجزائر من أولئك الذين قدموا لهم أبنائهم في سبيل تحريرهم من عدوهم" لك الويل أيها الاستعمار أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأنجدك واستصرخته حين أيقنت بالعد فأوجدك؟ أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام، ويجوه أهله وأهلك ....، ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شفاعا؟

أشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله بعد أن شاركك .... في الغنيمة .فيجد الأب قتيلا والأم مجنونة من الفزع والدار مهدومة أو محرقة والغلة متلفة، والعرض منتهكا، والمال نهبا مقسما والصغار هائمين في العراء؟."[3]

ثم يضيف معتبرا الثامن مايو بأنه لا يمحى من ذاكرة الشعب الجزائري حيث ذاق في هذا اليوم كل ألوان الويل والقهر والدماء " يا يوم .....لله دماء بريئة أريقت فيك،ولله أعراض طاهرة انتهكت فيك،

1- صالح خرفي، الشعر الجزائري ..ص 203

2- أنظر جريدة البصائر، عدد 79(9-5-1949)

3- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر (2)

ولله أموال محترمة استبيحت فيك، ولله يتامى فقدوا العائل الكافي فيك ، ولله أيامى من فقدن بعولتهن فيك....يا يوم...لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى ، والذكرى التي لا تنسى ، فكن من أية سنة شئت فأنت يوم 8 ماي وكفى، وكل ما لك علينا من دين أن تحي ذكراك وكل ما علينا لك من واجب أن ندون تاريخك في الطروس لئلا يمسحه النسيان من النفوس"[1]

وعلى إيقاع هذه الأحداث المؤلمة تملك الشاعر الربيع بوشامة(2)الجزع راح يصور بشعره ما لحق البلاد من دمار وخراب معتبرا الذكرى رمزا للفواجع عند الشعب الجزائري فقال:

لي فيك يا(ماي) النوائب والردى ذكرى ستبقى طيلة الأعوام
فقدان خير أب، وأكرم صحبة وجحيم سجن حف بالإعدام
عجبا لوجهك كيف عاد لحاله من بعد أحداث عرتك جسام
فهلا غربت عن الزمان وأهله فتريح هذا الشعب من إيلام
أصبحت رمز الفاجعات بذي الحمى تبدو بهيما، مفزع الأظلام[3]

وتمتلئ نفس الربيع غيظا على الاستعمار ويتمكنى اليوم الذي يرحل فيه من هذه الديار ويرتاح منه العباد فيقول:

يا ماي مالك واجما لم تنتقم أو ما سقاك الظلم أسوأ جام
هذا حرامك بالدماء مسفوكة قد عج بالارواح والاجسام
فارفع الى مولاك شكوى ضارع يبرأ من الحكام والاحكام
واسأل يد الجبار عاجل نقمة للظالم المستهتر الهدام
يا مايو أنا في انتظار حكومة فمتى يساق الظلم للاعدام(4)

1- المصدر نفسه، ص 371 - 372

2- ولد الربيع بوشامة في قنزات بسطيف سنة 1916، حفظ القرآن الكريم بمسقط راسه وبعدها أخذ الدروس على أستاذين من المنطقة هما الشيخ الهاشمي بن الحاج الطيب والشيخ سعيد صالحي، وفي سنة 1938 التحق بالجامع الاخضر وبقي فيه ينهل من العلم والمعلرفة ثم عاد الى قنزات ليشارك في الحركة الاصلاحية وفي سنة 1944 اتجه الى خراطة إذ كان على اتفاق مع رجال مدرستها وكان من بين العاملين فيها الشيخان الهادي زروقي والعربي شريفي، ألقي عليه القبض اثناء حوادث 8 ماي 1945 وذاق ألوانا من التعذيب تقشعر منها الابدان، أطلق سراحه سنة 1946، عين بعدها مديرا لمدرسة الهداية بالعناصر بالعاصمة ثم صار مرشدا بنوادي جمعية العلماء بباريس وفيها تعرف على السيد عميروش الذي كان يتردد على دروسه. شارك في الثورة المسلحة واستشهد سنة 1959 وكان آنذاك مديرا لمدرسة الثبات بالحراش. للمزيد عنه أنظر : فضلاء، من أعلام الاصلاح، ج1، ص 287 وما بعدها وأيضا مقدمة جمال قنان لديوان الشاعر الربيع بوشامة، منشورات المتحف الوطني المجاهد.

3-البصائر، عدد 79، ماي 1949.

4- المصدر السابق

بناء على ما سبق عرضه وتناوله نتبين بكل جلاء كيف كان الخطاب النهضوي الجزائري على درجة كبيرة من الوعي بقضايا الجزائر والجزائريين، فقد أثبت هذا الخطاب مدى ارتباطه وتعلقه بهموم ومأساة الوطن التي كانت تمر وتعصف به من كل جهة من خلال حضوره ومشاركته بكل فعالية في كل المواعيد والمناسبات السارة والمحزنة التي مرت بها الأمة الجزائرية وبقدر ما كان هذا الخطاب فاضحا لمقام الاستبداد الاستعماري ومعرضا به بقدر ما كان أيضا ينتهز المناسبات الوطنية بالدعوة للتمرد على الاستعمار من خلال تحضير الشعب نفسيا وتهيئته أدبيا لكسر الأغلال وانتزاع الحرية مستعملا أحيانا الإيحاء والرمزية وأحيانا التصريح والمباشرة .

ب- في الدعوة إلى الثورة لاسترجاع السيادة الوطنية:

نستطيع أن نقرر بداية بأن روح الثورة ونزعة التمرد ضد كل أشكال وألوان الظلم والاستبداد الاستعماري كانت إحدى السمات البارزة التي يمكن أن نلمحها بكل جلاء عبر كل سنوات الاحتلال التي امتدت 1830 إلى غاية استعادة السيادة الوطنية في الأدبيات الجزائرية ، حيث نجد في القصيدة والمقالة والخطبة والعريضة وأنشودة الكشفية ، نوع من التمرد على الواقع المزري .(1)

فكم من معلم مدرسة عربية حرة وجد نفسه قابعا في زنزانة ، وكم من صاحب جريدة وطنية اقتيد إلى مخافر البوليس للتحقيق معه في مضامين مقال أو قصيدة ، وكم من كشاف أعدم أو زج به في زنزانة .

لكن الذي نعنيه هنا في هذا السياق هو ذلك الخطاب الذي صار يدعو صراحة إلى الثورة أو فيه من الإيحاءات التي تستنفر الناس للتمرد على الواقع ومواجهة الاستعمار، بعد أن استنفذت كل الدعوات والمطالب السياسية وفقد الناس مثقفين كانوا أو أميين كل أمل لنيل حقوقهم التي هي أحسن، وفاضت كأسهم غيضا، من فرط الظلم وامتلأت قلوبهم حقدا على الاستعمار، وكأن ثمة إجماع بدأت يتجسد في الواقع لتوحيد الكلمة قبل حدوث المواجهة مع العدو ، من خلال جبهة الدفاع عن الحرية التي جمعت كل الحساسيات الوطنية.

ومن هذا المنطلق نلمس في نداء الشيخ ابن باديس إلى شعبه في سنة 1937م تلك الدعوة إلى مزيد من الوحدة واليقظة والحذر، بعد أن تجاهلت فرنسا مطالب الأمة الجزائرية"....أيتها الأمة الكريمة اليوم وقد يئسنا من غيرنا يجب أن نثق في أنفسنا....اليوم وقد تجوهلت قيمتنا يجب أن نعرف نحن قيمتنا.....اليوم وقد خرست الأفواه عن إجابة مطالبنا، يجب أن نقول نحن كلمتنا اليوم، وقد أتى ماضي الاستعمار وحاضره، يجب علينا أن نتحد صفوفنا..."(2)

1- يرى ديبارمي أن المدرسة الاصلاحية سياسية أكثر منها دينية وهي علمية كالمدرسة الفرنسية ولها أهاف ترمي الى نهضة الشعب المسلم. أنظر: Le nationalisme à l'école indigene, A. F, fev 1935, p 104.

2- مريوش، دراسة النزعة العقلانية في منظومة ابن باديس الإصلاحية.ص 109

وفي موطن آخر يريد الشيخ ابن باديس أن يضع أمته أمام الأمر الواقع فيعمد إلى حثها على مزيد من العمل لانتزاع الحقوق المشروعة وأن لا يركبها الغرور بما سبق أن قامت به من الأعمال لأن ذلك في نظر الشيخ ابن باديس ما هو إلا خطوة في الطريق الصحيح للوصول إلى الهدف الوطني.

"......إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا، وفتحنا قلوبنا فإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد، وإن ضيعت فرنسا فرصتها هذه فإننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد أيها الشعب لقد عملت وأنت في أول عملك فاعمل ودم على العمل و وبه وراءه خطوات و ثبات، وبعدها إما الحياة وإما الممات"[1]

كما نستجلي في قصيد الشيخ ابن باديس" شعب الجزائر مسلم" نوع من الروح الثورية حيث فيه تقرير بالجزم عن الهوية الجزائرية العربية الإسلامية ، وكما فيه إنذار للمستعمر بأن استمرار هضم الحقوق ينذره بحرب عليه.

شعب الجزائر مســــلم   وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله   أو قال مات فقد كذب
من كان يبغي ودنــــا   فله الكرامة والرحب
أو كان يبغي ذلــــنــــا   فله المهانة والحرب[2]

وعندما تلبدت غيوم سماء أوربا تنذر بحرب عالمية ثانية راحت فرنسا تبحث عن الدول المساندة والتأييد لها وطرقت أبواب جمعية العلماء[3] بفكرة بعث برقية باسم الجمعية وباسم المسلمين الجزائريين إلى فرنسا تعلن فيها ولأهاليها بعضها حامية الديموقراطية والحرية في العالم وتدين فيها الدكتاتورية التي تهدد الحرية والديموقراطية في العالم ونوقش أمر البرقية في جلسات جمعية العلماء من خلال مجلسها الإداري الذي انتهى إلى رفض إرسال هذه البرقية بما يشبه الإجماع ، وقال ساعتها الشيخ ابن باديس:" إن الأغلبية لو وافقت لقدمت استقالتي وإنني لن أوقع هذه البرقية حتى لو قطعوا عنقي؟[4]وأكد الشيخ ابن باديس قولته المشهورة قلنا لفرنسا : إننا لسنا فرنسا، ولسنا أعداء فرنسا...ولكن فرنسا تجاهلت أقوالنا وأطالت أعمالنا ، فالمدارس مغلقة والمعلمون والمتعلمون مشردون مطاردون محاكمون، والمساجد موصدة أبوابها في وجوه العلم والعلماء....وحقوق الأمة معطلة في أبسط مطالبها[5]

ويبدو أن رفض إرسال البرقية ليس مرده فقط إلى قناعة ذاتية عند العلماء بل هو نتائج اتصالات

---

1 - آثار ابن باديس،ج3 ص 332
2- خرفي ، الشعر الجزائري، ص 206
3-لما أعلنت الحرب العالمية الثانية في 1939/9/3 م تطوع بعض الزعماء السياسيين للقتال إلى جانب فرنسا فتحسر الشيخ ابن باديس من ذلك وصرح أمام الشيخ حماني:" لو استشاروا لي لأشرت عليهم بالصعود إلى جبال الأوراس وشن الثورة منها على الاستعمار" أنظر علي تابليت عبد الحميد ابن باديس والهوية الجزائرية مطبعة تالة الجزائر 2004 ص 24
4(محمد عمارة ، مسلمون ثوار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط(2) 1979 ص 272
5-محمد الطاهر فضلاء، الطيب العقبي رائد حركة الإصلاح الديني في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1985 ص 76

تكون قد حدثت بين العلماء وحزب الشعب فحسب رواية قنانش فإن الشيخ ابن باديس قد تقابل في نهاية سبتمبر 1937 مع وفد في حزب الشعب هم السيد ين ارزقي كحال وقناش بنزل قصر الشتاء بالجزائر ، وكان موضوع اللقاء يدور حول حالة الجزائر وإنه خلال اللقاء صرح الشيخ ابن باديس أنه يتوق لاستقلال الجزائر وأن تجربة الجبهة الشعبية كانت أحسن درس ، وتم الاتفاق بين الطرفين بإعطاء التعاليم لوقف الانتقادات والتقارب أكثر فيما بين المنظمتين الأمر الذي جعل الإدارة الاستعمارية تضيق الخناق على العلماء أكثر فأكثر وحسب د/ سعد الله فإن هذا التوتر الحاصل بين العلماء والسلطة هو الذي يفسر لنا الموقف الذي اتخذه العلماء برفضهم تأييد فرنسا ضد ألمانيا عشية الحرب[1]

كما نستشف في مقاله الذي كانت افتتاحية لجريدة البصائر في عددها 175 بعنوان" أيتها الحرية الحبوبة أين أنت في هذا الكون" ذلك التطلع والاستشراق للمستقبل لنيل الحرية والعيش في كنف السيادة الوطنية حيث يقول بعض فقرات في مقاله".....كم من قوم نصبوا لك التماثيل في الأرض وقد هدموك في القلوب والعقول والنفوس.

وكم من خطيب فيك مفوه كمم عن ذكراك الأفواه وكم من شاعر فتنه جمالك ولكن لا شعور له مع المستعبدين.....وكم من دماء زكية كتبتب بها صحائف تاريخك ولكن محتها دماء قلوب تحدرت دموعا من الجفون...

أه آه أيتها الحرية المحبوبة ، وأشوقاه إليك......"[2]

ويلهج الشيخ أبا اليقظان هو الآخر بالحرية ويتمنى اليوم الذي يذوق طعمها الجزائريين ، كما ذاق الفرنسيون طعمها عندما أطاحوا بالملكية وصاروا يحتفلون بذكرى نيل حريتهم كل سنة في يوم 14 جوان:.....فيقول:"....يوم 14 جويلية [3]يحتفل الفرنسيون بذكرى نيل حريتهم بعد أن كانوا تحت نير الاستعباد والاستبداد الملوكي الفرنسي، وقد نالوها بعد جهاد طويل وتضحيات مريرة، نالوها بعد تان كانت فرنسا مثل الأمة الجزائرية اليوم، أما فرنسا فقد فازت وهي اليوم تتمتع بثمرات جهادها الوطني، فهل يسمح الدهر للأمة الجزائرية بشعاع من هذا العيد[4]

وإذا جئنا إلى قصيدة الشاعر محمد العيد المعنونة بـ" لا ينسى" نجدها تطفح بالمعاني التي فيها الكثير من الوعيد للمستعمر أكثر منها بكاء على الضحايا في ذكراهم الأليمة

فيالك من خطب تعذر وصـــــفه فلم تجرا أقلام به فوق قرطـــاس
ولا خير في عدد المظالم وحــدها إذا لم تـــبن عن مرهقات وأتراس
سئمنا من الشكوى إلى غير راحم وغير محق، لا يدين بقسطـــاس
فيا أيها المستعمرون تنــــزهوا ولا تسموا وجه الحياة يا رجاس

1- محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي، ج2 ص 287

2- الشيخ ابن باديس، أيتها الحرية المحبوبة أين أنت في هذا الكون؟ جريدة البصائر عدد 175 (21-07-1939)

3- يقصد بها ثورة 1789 م التي حملت شعار " الأخوة والحرية والمساواة.

4- خرفي، صفحات..ص 176

ويا أيها الشعب المروع، لا تضق بدنياك ذرعا واطرح خلق اليأس
وقل للذي آذاك، لا وصل بينـــنا وموعدنا العقبى ، فما أنا بالناشئ[1]

وفي قصيد " يا قوم هبوا " نجد الدعوة صراحة للثورة على الاستعمار فيقول:

الأسر طال بكم فطال عناؤكـــم فكوا القيود وحطموا الأغلال
والشعب ضج من المظالم فأنشدوا حرية تحميه واستقـــــلالا
لا أمن في ظلال مرفـــــرف حر لنا عال ينير هـــــلال
من فوق جند بالعتيد من القوى يلقى العدو ويصمد استبـسال[2]

وفي قصيد آخر لمحمد العيد نجد الدعوة لتغيير الاوضاع صراحة حيث يقول:

إلى حمل المشقات الى خوض الميادين
إلى ما فرض الله إلى ما سن ياسين
هبوا اجسامكم للموت إن الجسم من طين [3]

وقد نسج على هذا المنوال تقريبا الشاعر أحمد سحنون الذي اعتبر زمن الأقوال قد ولى وآن الآوان لتثمين الأعمال التي لا فرج للشعب إلا بها بعد أن ملّ من الوعود الكاذبة والخطب السياسية الجوفاء.

ليس التشدق بالكلام بسياسة كلا ولا ذكر المجازر والحروب
إن السياسة أن تفكر دائما فيما تعانيه بلادك من خطـــوب
أما التشدق بالسياسة وحده من غير تضحية فمن شر العيوب[4]

وفي سياق الدعوة إلى التمرد على الواقع المرير نلفي الشاعر عبد الكريم العقون يعرض في قصيده " تحية البصائر" على الثورة وفك القيود من دون خوف ولا وجل

بني وطني أعيدوا مجد قـــوم أقاموه على أقوى عمـــــاد
وأدوا ما عليكم من حـــقوق لشعبكم وذودوا كل عـــــاد
وفكوا قيده لا تتـــــركـــوه يعاني كل ظلم واضطـــــهاد
فهبوا يأســـود الله واحموه حمى قد بان في أسر الأعادي
وشيدوا مجدكم بجهاد صدق فإن المجد يدرك بالجـــــهاد[5]

ونفس هذه الدعوة تقريبا نلمسها كذلك في شعر مفدي زكريا الذي يتميز عن غيره بصراحة تعكس توجهه الثوري كونه عضوا قياديا بارزا في حزب انتصار الحريات الديموقراطية الذي نزع من بداية تأسيسه نحو الاستقلال الكامل للجزائر عن فرنسا حيث نظم في سنة 1936 نشيده الخالد الذي

1- خرفي، الشعر الجزائري. ص 213 2 - أنظر ديوان الشاعر محمد العيد..ص 339

3- محمد بن سمينة من الإرهاص بالثورة إلى الارهاص بالاستقلال في شعر محمد العيد، مجلة المصادر، ع 10، 2004، ص .120

4- خرفي، الشعر الجزائري، ص 206

5- أنيسة بركات ، أدب النضال، ص85

كشف من خلاله عن أمل شعبه في الاستقلال والحرية حيث يقول:

فداء الجزائر روحي ومالي   إلا في سبيل الحــرية
فليحي حزب الاستقـــلال   ونجم شمال إفريقيا
ولنحي الجزائر مثل الهلال   ولتحي فيها العربية [1]

وقد ظهر هذا التوجه الثوري عنده أيضا في ما نشره في العدد الأول من جريدة الشعب التي كان رئيس تحريرها فتحت عنوان صرخة الشعب مبدؤنا في طريق الجهاد كتب ما يالي: اقتربت الساعة أيها الشعب وانشق طريق الحياة ، وحق لك أيها الشعب أن تتمتع بصحافة حرة صادقة غير مخادعة ولا مخاتلة ولا مواربة لا تملك غير الحق سلاحا، ولا ترى غير الصراحة كفاحا .....وسلام عليك يا شعب يوم كنت حرا عزيزا ويوم أردت أن تسترجع عزك وحريتك، ويوم تعود بفضل جهادك واعتمادك على نفسك سيد أرضك ورب بلادك[2]

وعندما زج به في سجن بربروس الذي مكث فيه عامين كاملين ألف في غياهبه وبين جدرانه ، نشيده الثوري المدوي

أعصفي يا ريــاح   واقصفي يا رعود
وواثخني يا جراح   واحد في القيـــود
نحن قوم أبــــــاة   ليس فينا جــبان
قد سئمنا الحيــــاة   في الشقا والهوان
أدخلونا السجــون   جرعونا المــنون
ليس فينا خؤون   ينثني أو يهون
أجلدوا عذبوا
واشنقوا واصلبوا
واحرقوا واضربوا
نحن لا نرهب[3]

1- د/ ناصر ، مفدي زكريا ، نشر جمعية التراث ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1989، ص 47
2- نفس المصدر، ص 49
3- نفس المصدر ص 50

وهاهو ذا الشاعر أبو القاسم سعد الله[1] هو الآخر يستحث شعبه على الثورة(2) مع أول رصاصة تنطلق إيذانا بميلادها، فامتزجت بذلك لغة الشعر مع لغة السلاح معتبرا هذا الميلاد تجسيد لحلم سكن النفس والوجدان من زمان، ونقطة تحول من لحظة المعاناة إلى لحظة فك القيود والأغلال، وحتى الأرض الساكنة الوديعة ضجت هي الأخرى بعد نفاذ صبرها فثارت على المحتلين وانفجرت عليه كالبركان

كان حلما واختـــمارا
كان لحنا في السنـــين
كان شوقا في الصــدور
أن نرى الأرض تثــور
أرضنا بالذات ، أرض الوادعـــــــين
أرضنا السكرى ، بأفـــــــيون الولاء
أرضنا المغلولة الأعناق من قرن مضى
كان حلما ، كان شوقا كان لحــــــنا
غيـــــــــــر أن الأرض ثــارت
والهتافات تعالـــــت
من رصاص الثائرين
مثلما تهوى الظنون

1-ولد سنة 1930م في بلدة "قمار" بوادي سوف وبها حفظ القرآن الكريم مع اشتغاله بفلاحة التبغ والنخيل ، التحق بجامع الزيتونة في تونس سنة 1947م، وتحصل منها أولا على شهادة الأهلية في 1951 م وعلى التحصيل سنة 1954 م اشتغل سنة 1954 مدرسا بمدرسة الثبات بالحراش تحت إدارة الشهيد الربيع بوشامة ، ثم انتقل في ربيع 1955 إلى التعليم في مدرسة التهذيب بالعين الباردة وفي أكتوبر 1955 يمم وجهه شطرا مصر حيث سجل في جامع القاهرة كلية العلوم وحاز بها على شهادة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية سنة 1959 م وفي سنة 1960 انتسب إلى جامعة مينسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث نال فيها شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962 وعلى شهادة الدكتوراه في نفس المواد سنة 1965 م عمل أستاذ التاريخ الجزائر الحديث والمعاصر من منتصف الستينات إلى يومنا هذا وأشرف على عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه ، عضوا مؤسسا لاتحاد الكتاب الجزائريين وعضوا عاملا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، عمل مراسلا لجريدة البصائر من القاهرة وحرر في أغلب الجرائد العربية بالجزائر بعد الاستقلال ، كما حرر بجريدة النهضة والأسبوع التونسيتين والآداب اللبنانية وساهم في إنشاء رابطة القلم الجديد.له عشرات المؤلفات في التاريخ والأدب والفكر والثقافة . أنظر: مجلة الحياة الثقافية بتونس عدد 32، 1984.

2- كما نلمس للشاعر سعدالله في قصيدة أنشودة المزارع والحقول روح التمرد على الواقع الاستعماري عندما يقول:

يا مالكين...	شبحا واعصارا مبيد	أنا هنا
إنا هنا	لا شيء يمنع سيلنا	في أرضنا الملأى بجنات الحصيد
نحن العبيد	إن قعقعت في أفقكم	سنعيش أحرارا وصيد...
عرقا وأعصابا وروح	عزماتنا وصراخنا	في أرضنا البكر الولود . أنظر جريدة البصائر عدد 317، 1955.

وبراكين بلادي ....الدنيا وصارت[1]

وتلتهب شاعرية القائد الكشفي حسان بلكير بالثورة على الاستعمار حين يدعو صراحة إلى تسلق الجبال وجعلنا عرينا لمقارعة الاستعمار ، واسترخاص الحياة من أجل انتزاع الحرية والاستقلال كل هذا في الحقيقة كان بمثابة رد فعل على تلك الجريمة الشنعاء التي ارتكبت في حق الشعب الجزائري يوم 8 مايو من عام 1945 م، لأن ميلاد القصيدة جاء بعد مرور عام واحد عليها

من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا للاستقـلال

ينادينـا للاستقـــــــــــــلال لاستقـلال وطننا

تضحيتنا للـــوطـــــــــــن خير من الحـــياة

نحـــن أبناء الجـــــــــــزائر أهل عزم وثبات[2]

في سنة 1954 قام طلبة السنة الرابعة بمعهد ابن باديس بانجاز بحث عن العلم الوطني (3)

كما نلمس من خلال مقال الأستاذ عبد الرحمن شيبان(4) " القضية الجزائرية قضية موت أو حياة" ما يمكن أن نعتبره كذلك إيمان بمبدأ الثورة كخيار لا بديل عنه لانتزاع الحقوق ، واستعادة السيادة الوطنية حيث استهل مقاله بالتذكير بمقولة الشيخ ابن باديس عن الشعب الجزائري" إن استطاعت الظروف أن تكيفه فلن تستطيع أن تتلفه " ويعد تفنيده لمزاعم الإدارة الاستعمارية عن استنكار العلماء لأعمال الثوار في الوقت الذي تتهمهم بتحريض الشعب ضدها[5]، انتهى إلى التأكيد بعدالة قضية الجزائر ومذكرا المحتلين بثورتهم ضد العبودية بالأمس البعيد "......نستكشف الأيام القريبة للجاحدين والمعاندين من الساسة الاستعماريين بأن ليس في الجزائر قضية أخرى غير قضية الحرية، بل ستريهم بأن الشعور الإنساني النبيل الذي كان يحدو بالفلاح الفرنسي الجائع إلى أن يصبح بالأمس البعيد في وجه جلاديه ومستغليه من أبناء جنسه:" الحرية أو الموت"[6] لهو نفس الشعور الإنساني النبيل الذي يحدو بالفلاح الجزائري إلى أن يصبح اليوم في وجه غاصبي سيادته ومجده :" الحرية أو الموت"

فليدرك أحفاد الثورة الفرنسية هذه الحقيقة الناصعة، وليسارعوا إلى التفاهم مع رجال الثورة الجزائرية على أساسها وهداها ، حتى يتصافى الفريقان ويستقبلا عهدا جديدا حرا مستقلا تنسى فيه المظالم والمآسي وتتضافر جهود جميع على تبادل الخير والحب والسلام"[7]

بناء على ما سبق عرضه ندرك جليا أن البعد الثوري في الخطاب النهضوي جاء كنتيجة حتمية لذلك اليأس من جدوى الوصول إلى حل سلمي للقضية الوطنية بفعل التعنت الاستعماري من جهة

1- أنظر د/ صالح خرفي ، صفحات من الجزائر...ص 239 وما بعدها

2- أنظر د/ صالح خرفي ، الشعر الجزائري. ص218

3- Bull des questions islamiques, dec 1954, pp 134 – 135.

4- ولد عبد الرحمان شيبان بالشرفة بالبويرة في 1918 درس بالزيتونة وحاز منها على شهادة العالمية بعدها أصبح أستاذا بمدارس جمعية العلماء شارك في الثورة المسلحة وبعد الاسقلال أصبح مفتشا عاما للغة العربية بوزارة التربية ثم تقلد بعدها وزارة الشؤون الدينية وبعد اعادة هيكلة جمعية العلماء أصبح رئيسا لها. أنظر فضلاء من أعلام الاصلاح، ج2، ص 81 وما بعدها

5- الشيخ عبد الرحمن شيبان، القضية الجزائرية ، جريدة البصائر عدد 352، (1955)

6- نفس المصدر 7- نفس المصدر

وكاستجابة أيضا لتطلعات الرأي العام الوطني الذي كره من المماطلات والوعود الكاذبة ـ، وصار يتحسس كل حركة بل وكل همسة تنبعث منها روح الثورة والجهاد، وهذه الروح الثورية الوثابة التي تجلت في خطاب الأدباء والمثقفين الوطنيين سواء كانت تستعمل التصريح أو تلجأ إلى الإشارة والتضمين فإنها تعبر عن ذلك النضج في الوعي السياسي الذي وصلت إليه الجزائر آنذاك.

وإذا كانت سمات الخطاب الثوري في البداية ، منددا بالاستعمار وجرائمه إلا أنه سرعان ما انتقل إلى الهجوم بالدعوة إلى الثورة ولاستعادة السيادة الوطنية وإذا كان قضاء العمل بالنسبة للخطاب النهضوي مركزا قبل كل شيء على الجزائر فإن هذا لم يمنعه أن يتفاعل في السراء والضراء مع مجمل قضايا العروبة والإسلام على مدار الفترة التي تشكل الإطار الزماني لمحور دراستنا، مما يعكس بعد النظر عند المثقفين الجزائريين من منطلق الحرص على التضامن والتعاون ضد الاستعمار الأوروبي في العالم العربي الإسلامي.

3- القضايا العربية الإسلامية في الخطاب النهضوي:

إن إيمان رجال النهضة الجزائريين بعمق الصلات والروابط الموجودة بين الجزائر والعالم العربي الإسلامي، وكذا القواسم المشتركة الموجودة بينهما دينا ولغة وقيم حضارية وتاريخا ومصير مشتركا هو الذي وعوه وأملى عليهم ذلك الاهتمام بكل قضايا العروبة والإسلام بشكل ملفت فقد كانوا ينظرون إلى كل ما يصيب شعوب العالم العربي الإسلامي على أنه يهمهم ويشغل كل بالهم انطلاقا من حديث النبي (ص) من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، كما أن الجزائريين كانوا يقدرون أن ما يصيب العرب والمسلمين سينعكس سلبا على قضيتهم وأن ما تحرزه هذه الأقطار العربية الإسلامية من انتصارات سيقوى ويعزز جانب قضيتهم الوطنية.

وانطلاقا من هذه القناعة راح المثقفون الجزائريون يساهمون في نصرة القضايا العربية الإسلامية ويحرصون بقدر ما كانت تسمح به إمكاناتهم والظروف المحيطة بهم على التصدي لأعداء الأمة العربية الإسلامية، معتبرين المعركة ضد الاستعمار والصهيونية معركة واحدة، وقد تجسدت هذه المساهمة من خلال تلك المتابعات الدقيقة ورصد لكل الأخبار الإسلامية ومجمل القضايا الجوهرية وإيصالها إلى جمهور القراء بالجزائر حتى يكونون على دراية بما يدور حولهم من أحداث مهمة في أقطار العروبة والإسلام ، ومن ناحية أخرى نجد المثقفين الجزائريين قد كانت لهم مواقف مشرفة فيما يخص الدعم الذي قدموه لإخوانهم العرب المسلمين، بدء بالمغرب العربي وانتهاء بالمشرق العربي وفلسطين على وجه الخصوص.

أ- قضية المغرب العربي ومشروع الوحدة المغاربية

استأثرت قضية المغرب العربي باهتمامات المثقفين الجزائريين حيث أولوها عناية فائقة لا تقل عن العناية بوطنهم الجزائر، نظريا وعمليا، مشاركين بفعالية في مجمل أحداثها ، ذلك أن حضور

الجزائريين في كل التظاهرات السياسية المغاربية يعود إلى نهاية القرن 19 م ، حيث احتكوا بإخوانهم في تونس وليبيا والمغرب فرارا من بطش الاستعمار لهم تارة، وبحثا عن دعم مادي وعسكري لثوراتهم تاره أخرى ، وإذا كان من المعروف تاريخيا أن الأنظمة السياسية خاصة في تونس ومراكش كانت تدير ظهرها لهذه المقاومات بل وأحيانا رغبة ورهبة تتعب للقبض على زعمائها لتقديمهم هدية كعربون صداقة للفرنسيين عسى ذلك أن ينفع ويصرف نظرهم عن بسط هيمنتهم على بلدانها خاصة ملك المغرب مولاي عبد الرحمن أيام ثورة الأمير وعبد العزيز أيام بوعمامة فإن من المسلم به أن شعوب المغرب العربي كانت أكثر وعي وإدراك لمبلغ المخاطر التي تتهدد الجميع حيث مدت المساعدات لبعضها البعض في المعركة ضد الاستعمار وهذا ما نلمسه خاصة في ذلك الإسهام الكبير للجزائريين في المقاومة التونسية ضد الاستعمار الفرنسي لجزيرة طبرقة وجبال الخمير و وشتاقة والفراشيش وبني مازن[(1)] وكذا وقوف المغاربة مع إخوانهم الجزائريين أيام ثورة الأمير عبد القادر كذلك صلات بين دعاة الجامعة الإسلامية والحركة السنوسية وثورة الجنوب الجزائري.

وفي أثناء الحرب العالمية الأولى يظهر لنا ذلك التعاون بين أبناء القطرين التونسي والجزائري من أجل تحرير القطرين من قبضة الاستعمار الفرنسي بتشكيل وفد مشترك باسم" لجنة استقلال الجزائر وتونس لحضور أشغال المؤتمر الثالث للقوميات المنعقد بلوزان بتاريخ 27 جوان 1916 م[(2)]

كما تأسست مع نهاية سنة 1918 م " اللجنة الجزائرية التونسية"(3) التي طالبت بحق تقرير المصير للشعبين الجزائري والتونسي مرتكزة على مبادئ ولسون التي تقول بحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، وقدمت عرضة طويلة في هذا الصدد إلى مؤتمر الصلح قبل انعقاده بباريس في 18 جانفي 1919 م وأسهم الأمير عبد المالك[(4)] أثناء وجوده بالمغرب الأقصى في تفجير ثورة مسلحة على الفرنسيين مرسلا رسله ومناشيره إلى المغرب الأقصى والجزاير مبشرا بثورته، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث أرسل الرسل والمناشير كذلك إلى جنوب تونس لدعوة أهلها إلى الجهاد المقدس، مما يؤكد على نية الأمير عبد المالك في تحرير كل أقطار المغرب العربي انطلاقا من المغرب الأقصى[(5)]

وكان يمكن أن تكون لهذه الحركة الثورية آثارا إيجابية على بلدان المغرب العربي لولا خيبة أمل

1- أنظر د/ يحي بوعزيز ،دور تونس في دعم حركات التحرير الجزائرية ، مجلة الثقافة عدد 70 (رمضان شوال 1402/ يوليو ، أغسطس 1982 ص 52 2- محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي ، ماجستير مخطوطة ص 53

3- انظر مطالب اللجنة المرفوعة الى مؤتمر السلام موقعة من قبل الشيخ صالح الشريف التونسي ، الشيخ محمد الخضر حسين ، الشيخ محمد مزيان التلمساني ، محمد الشابي التونسي ، محمد بيراز الجزائري ، حمدان بن علي الجزائري ، محمد باش حمبة ، MOHAMMED DABBAB LES DELEGATIONS DESTOURIENNES 1919-1921 OU LA NAISSANCE DU DESTOUR MAISON TUNISIENNE DE l'EDITION 1980 PP 35- 41

4- المرجع السابق، ص 60

5- تمكن الأمير عبد المالك من الحصول على دعم عسكري ألماني وبات يهدد تهديدا حقيقيا الوجود الفرنسي في المغرب العربي لولا تغيير الظروف الدولية في غير صالحه حي انتهى الحلفاء السابقون وعجز عن إيجاد حلفاء جدد يدعمون ثورته، وبقي في منطقة الريف المغربية يجتهد في إعادة تنظيم قواته لمعاودة القتال ضد الفرنسيين حتى سقط شهيدا في حدود سنة 1924 أنظر محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي، ص 96

الأمير عبد المالك الذي افتقد كل أمل في الدعم بعد انكسار الأتراك وحلفائهم الألمان وعندما جردت إيطاليا حملتها العسكرية على ليبيا وشرعت في احتلالها لم يجد الأستاذ عمر بن قدور الجزائري ما يواسي به نفسه وما يدعم به إخوانه طرابلسيين في جهادهم ضد الغزاة سوى هذه القصيدة التي نشرها بجريدة الحضارة بعاصمة الدولة العثمانية يشيد فيها بصمود الطرابلسيين ضد عدوهم لعل ذلك يدفع المسلمين أن يشد أزرهم ويدعموا كفاحهم ضد الطليان.

رعى الله قوما من طرابلس الغـــرب تبين فضل الشرف منهم على الغرب

رجال أبوا أن يضمحل فخـــارهـم أمام العدو النهـــــم في طلب النهب

فأصلوه نار القهــــــر درءا لبغـيه وأبدوا مزايا الحزم والعزم من قلــب

فهم معشر أرضوا الإله وحسبـــهم مزية رفع الذل من عاتق الشعـــب[1]

بل إن الجزائريين وصل تظامنهم مع إخوانهم الطرابلسيين إلى حد تعليق الملصقات الحائطية الداعية للتظاهر امام قنصلية إبطاليا ومقاطعة التجار الغيطاليين كما عمت موجة من التضامن في شكل غكتتاب لفائدة الهلال الأحمر لجرحى طرابلس حملت لواءها جريدة الحق الوهراني وامكن في الجزائر تحويل مبالغ مالية هامة لفائدة الهلال الاحمر لجرحى طرابلس فاقت 410000 فرنك منها 344000فرنك من عمالة قسنطينة وحدها.(2)

ومع منتصف العشرينات يتلمس المتتبع لقضية المغرب العربي في اهتمامات المثقفين الجزائريين أكثر فأكثر بعد أن صارت بحوزة الجزائريين من الوسائل ما يمكنهم من التعبير ونقل ما يدور في كل الساحة المغاربية من أحداث من جهة وما يمكن أن يفسحه على أعمدة صحفهم من مساحات يعبر فيها أشقائهم في المغرب العربي عن انشغالا تهم وهمومهم الوطنية والقومية فقد اهتمت الصحف العربية الجزائرية بقضايا المغرب العربي من خلال تسليط الضوء على ما يدور في المغرب العربي من أحداث بما يعزز الرباط بين أبناء المغرب العربي ويحسسهم بمصيرهم المشترك. حيث يتجلى ذلك في جريدة البصائر والصحافة اليقظانية ، التي كانت تفرد ركنا خاصا للمغرب وركنا خاصا لتونس، كما أن لها مراسل خاص دائم الاتصال بها فعلى سبيل المثال كانت جريدة الأمة ترصد كل القضايا الهامة التي تحدث في تونس وتنشرها سواء بالنقل عن الصحف التونسية كجريدة الزهرة أو التي يحررها مراسلها وفي هذا الصدد يمكن أن نذكر بعض المقالات الهامة على سبيل المثال لا الحصر اشتراط الساعة ويدور حول إنذار السفارة العامة للحزب الحر الدستوري[2] تعطيل جريدة الإرادة بخلق النوادي الدستورية[4] مظاهرة كبرى " بنزرت" احتجاجا على إبعاد الوطني السيد حسن النوري الكاتب العـــــام

1- عمر بن قدور، فتاة طرابلس الغرب جريدة الفاروق عدد 16 1913/6/3
2- التليلي العجيلي، صدى حركة الجامعة الاسلامية في المغرب العربي، دار الجنوب للنشر، تونس، 2005، ص .152
3- تأسست بتونس سنة 1919 بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي وفي سنة 1934 وقع اشتقاق في صفوفه في غياب زعيمهم الذي كان بالمنفى ، حيث صار هناك الحزب الحر الدستوري القديم، والحزب الدستوري الجديد والتوجه التغريبي وكان بزعامة السيد الحبيب بورقيبة للمزيد عنه أنظر يوسف مناصرية، الحزب الدستوري التونسي دار الغرب الإسلامي ط 1 1988 بيروت
4- أنظر جريدة الأمة عدد 4 (9-10-1934)

لنقابة عموم العملة التونسية [1] وبارقة أمل في الحركة الوطنية، ويتعلق برجوع الزعيم عيد العزيز الثعالبي إلى بلده تونس من المنفى وما يؤمل فيه من رأب الصدع بين الدستوريين القدماء والدستوريين الجدد[2]

تصريحات الأستاذ محي الدين القليبي حول الحالة السياسية بتونس[3]

قنبلة الإلحاد في تونس وانفجارها في الفضاء أو كتابة إمرأتنا وهي دراسة نقدية لكتاب الطاهر الحداد، كشف الناقد عن جرأة الكاتب على الإسلام وتجنيه على أحكام الشريعة الإسلاميةّ[4] السياسة الرشيدة تحل محل الفسق والإرهاب بتونس[5]

كما تناول الأستاذ محمد المتيجي قضية الكفاح التونسي من خلال مقاله المنشور بجريدة المنار. "النصر للشعب التونسي"حيث أبرز معالم كفاح الشعب التونسي وكيف فشلت الآلة الاستعمارية في وضع حد له حيث يقول".....ها قد مرت الأيام فالشهور والخطوب تتهاطل على إخواننا التونسيين ، فهل فشلوا و وهنوا وتفرقوا؟ لم يفشلوا ولم يهنوا ولم يتفرقوا بل هم بمبادئهم القومية متمسكون وعلى تحقيقها عاملون.[6]

ويكشف عن قوة إصرار المقاومين التونسيين في سبيل حريتهم واستقلالهم فيقول"... إننا لنشعر بصدق عزيمتهم وقوة إيمانهم عندما نلاحظ أن رصاص الرشاشات وظلمات السجون وتبديد الأرزاق وهدم المنازل لم يفعل مفعوله السيئ في النفوس الشريفة ولم يحل دونها والإعراب عن رغبتها في الحرية والاستقلال .."[7]

ويعجب الكاتب من عناد الاستعمار وعمي بصيرته عن حقوق الشعب التونسي ولعل الدرس الذي تلقاه في الهند الصينية يجعله يراجع حساباته الخاصة ويعترف للشعب التونسي بحقه في الحرية والاستقلال ".....إن تجربة الهند الصينية الأليمة التي عادت على الشعب الفرنسي بالضرر الكبير من شأنها أن تفتح أعين الساسة الفرنسيين وأن تحملهم على وأد مبادئ الاستحواذية وأن تحدو بهم إلى الاعتراف للشعب التونسي بحقه في الحرية والاستقلال..[8]

1- أنظر جريدة الأمة عدد 156 (1-3-1938)

2- أنظر جريدة الأمة عدد 134 (17-8*-14937)

3 - تصريحات الأستاذ محي الدين القليبي حول الحالة السياسية بتونس لمراسل الأمة الخاص جريدة الأمة عدد 12 (4-12-1934)

4- أنظر مقال قنبلة الإلحاد بتونس وانفجارها في الهواء، بدون توقيع ، جريدة المغرب عدد 25 (18-11- 1930)

5- أنظر جريدة الأمة عدد 76 (26-5-1936)

6- الأستاذ محمد المتيجي النصر للشعب التونسي جريدة المنار عدد 18 19 جمادى (2) 1371 –14 3-1952

7- نفس المصدر

8- نفس المصدر

أما بالنسبة لطرابلس فيكاد الاهتمام بها يرتبط بقلم المجاهد الكبير سليمان الباروني باشا، وإلى جانبها مقالات أخرى أقل لبشير السعداوي الذي كان يكتب عن مطالب الطرابلسيين القومية[1]

أما بالنسبة للمغرب في صحافة أبي اليقظان بصفة عامة والأمة بصفة خاصة مكانة خاصة هي في الحقيقة امتداد لهذا الاهتمام الذي نراه في جريدة النور والنبراس[2]

وفي إعداد الأمة نلاحظ اهتماما بنشر البيانات الصادرة عن " لجنة الاستخبارات والدعاية" التابعة للحزب الوطني المغربي وهي البيانات التي كان القصد منها توجيه الشعب المغربي واطلاعه على إحداث بلاده السياسية ومن جهة أخرى تجعل الجزائريين على اطلاع بما يجري في المغرب وليكون التخطيط للقضاء على الاستعمار والعدو المشترك واحد[3] وكأمثلة على ما كانت تنشره الأمة عن المغرب نذكر نداء إلى إخواننا الوطنيين بالمغرب الأقصى لمفدي زكريا[4] مؤتمر الكاثوليك بفاس لمراسل الأمة بفاس، ماذا في المغرب، فليسجل التاريخ ولتشهد الأجيال المقبلة ؟ عن الحرب الوطني المغربي[5]بل إن الشاعر مفدي زكريا تجيش خواطره فتراه لا يعبأ بأي قوة طاعنة فيدعو صراحة أهل الريف إلى بذل النفوس والتضحية بكل شيء في سبيل الله والوطن وفي ذلك يقول:

بني ريفي من كان يهوى الحياة يهون عليه ركـوب الخطــر
فعرش السعادة لا يبتـــــــنى لقوم ، سوى فوق هام أخــر
وبين البلاد ودســـــــتورها ضحايا نفوس وسجن واسر
فحرية الشعــــــب صاح، دم وهل مهرها غير هام البشــر
فكونوا الفداء، وكونوا الضحايا ليحي الهلال ويبــقى الأثر[6]

1- د/ محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة ..ص 278

2- نفس المرجع ص 275

3- نفس المرجع ص 276

4- حيث دعا الشاعر مفدي زكريا إخوانه من زعماء الحركة الوطنية في المغرب إلى ضرورة تجاوز الخلافات لتفويت الفرصة على أعداء الأمة حيث يقول"...أيها الأخوة الكرام نناشدكم بحرمة الإسلام، وشرف العروبة، وقداسة الوطنية....وباسم الأمانة العظيمة التي أناطت الأمة على عواتقكم.أن تتحدوا وتتسما حوا و تتصافحوا ، وتنضم صفوفكم كوحدة متراصة قوية دعامتها الإيمان والعقيدة وقوامها الوطنية والعروبة ، فإن شمال إفريقيا ينظركم عن كثب...أنظر د/ ناصر المغرب العربي الكبير في شعر مفدي زكريا، الحياة انتفاضة تونس عدد 32 1934 ص 33

5- د/ محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة... ص 276

6- د/ ناصر ، نفس المرجع ، ص 27

وعندما أقدمت السلطات الاستعمارية على نفي الملك المغربي محمد الخامس[1] راح رجال النهضة الجزائرية ينعون على فرنسا فعلتها الشنيعة هاته فقد كتب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مقالا في هذا الصدد تحت عنوان" أرحام تتعاطف" كشف فيه عن مبلغ ما وصل إليه الاستعمار من استهتار بكرامة الشعوب بإقدامه على انتهاك الحرمات وإقصاء سادة الشعب من الحكم وتنصيبه في مكانهم لأذياله من الأتباع المتجردين من قيمهم و وطنيتهم إمعانا في إذلال الشعب المغربي في ذلك يقول" حلت المحنة بالمغرب الأقصى ، وجاءت فرنسا بالخاطئة فأهانت ملكا وهددت عرشا، وأذت شعبا وروعت سربا وانتهكت حرمات واعتقلت أحرار وكبلت أصواتا وأحطت أعلياء من مراتبهم ونصبت أدنياء في غير مناصبهم واستعانت على العقلاء بالسفهاء ......من كان يظن أو يتوقع أن يجلى الاستعمار على عرض عروش الإسلام العريقة- لا بخيله ورجله، بل يخيل المسلمين الذين رفعوا دعائمهم ورجلهم؟ من كان يظن أو يتوقع أن الاستعمار يبلغ منا هذا المبلغ فيدوسنا بأرجلنا ويريق دماءنا بأيدينا، وينتصر علينا بنا، ويصير من بعضنا لبعضنا "بعابع" تخويف و وحوش إرهاب، ويبلغ في ترويضنا إلى حد أن نصبح أذلة عليه، أعزة على قادتنا ورجالنا؟

" من كان لا يظن ذلك ولا يتوقعه فها هو ذا محقق غير مظنون و واقع غير متوقع ولئن وقع متفرقا في غير المغرب، فقد وقع كله مجتمعا[2] وفي هذا الصدد تلقى كذلك الكاتب "جزائري" من خلال مقاله ذكرى يوم الشهداء في المغرب الأقصى حيث هاجم فيه نظام الحماية الذي مرت عليه أربعة عقود من الزمن الذي كان كله مظالم في حق الشعب المغربي من سلب للحرية ، وهضم للحقوق، واضطهاد الوطنيين من أبناء الشعب"....أربعون سنة مرت على نصب الحماية في هذا القطر العزيز بدعوى السير به نحو الرقي والمدنية وإيصاله إلى المرتبة العليا من الحكم الديموقراطي ولكنها كانت كلمة خرجت من أفواههم مخالفة لما تنطوي عليه نفوسهم وأظهرت لنا الأيام بكامل الوضوح حقيقة هذه الرسالة التمدينية..وها هو تاريخ الاستعماريين أيدينا فلنفتح صفحة واحدة من صفحاته الكثيرة فلن ترى سوى محاربة الحركة الوطنية وقتل الروح التحريرية والسعي في إثبات دعائم استعماره....فالشعب يموت جوعا وأبناؤه يمسحون الأحذية لأن الاستعمار أغلق أبواب المدارس في وجوههم ورجال الدين يقاسون الآلام في

1- ملك مغر ناضل ضد الاستعمار الفرنسي والاسبا من أجل ربر وطنه وتعرض للمضايقات، والنفي من وطنه سنة 1953 م إ جزيرة مدغشقر ونصب مكانه شخص مغمور هو ابن عرفة ، و ت ضغط الشعب ا غر أعيد إ السلطة، لعب دورا كب ا قيق ا غرب لاستقلاله سنة 1956 م تو ر ه ا سنة 1961م

2- الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، أرحام تتعاطف، جريدة البصائر، عدد 148، 26 / 3/ 1951)

المعتقلات ،في أعماق السجون المظلمة هذه هي حقيقة الرسالة التمدينية وهذا هو وجه الحـــماية السافر..[1]..

ويسفه ادعاء الاستعمار للديموقراطية حيث يرى في ذلك طرافة وتضليل لأن الديموقراطية لا يمكن أن تكون في ظل الاستعمار و ممارساته المناقضة لها وإنما في الحكم الوطني الذي صار الشعب وملكه قاب قوسين منه"..إن الديموقراطية الحقيقية لن تكون إلا في ظل الحرية والاستقلال ولم تكن ولن تكون أبدا في ظل الاستعمار والديموقراطية والاستعمار بينهما ما بين السماء والأرض ، إن الشعب المغربي وعلى رأسه عاهل البلاد مولاي محمد الخامس سائر رغم أنف الاستعمار هو دنيا النور المشرق وسيكسر القيود الحديدية التي تكبله وتقعد به عن السير وسيهدم السورالحديدي الذي بناه الاستعمار لينطلق أذاك حرا في سماء مغربية يرفرف فوقها علم الأمة الخفاق..."[2]

وفسر الجزائريون البطش الإيطالي بإخوانهم اللبيين ، والإمعان في انتهاك حقوق الشعب الليبين، على أنه إعادة تمثيل لمأساتهم القومية بل صورة طبق الأصل لما حل بهم على يد الاستعمار الفرنسي....لا يرون أي اختلاف بيم ممارسة الفرنسيون ضدهم وبين ما ارتكبه الطليان في حق ليبيا، بل أصبحوا لا يرون أي فرق بين قضيتهم وقضية إخوانهم الليبيين."[3] وبناء على ذلك فقد كان اهتمامهم بكفاح الشعب الليبي على درجة كبيرة من الأهمية فقد خلد الشاعر الشهيد الربيع بوشامة بطولات الشعب الليبي في شخص زعيمها عمر المختار.

لا شيء أغلى من التحرر يكسبه مجاهد بعد آلام وإخطـــــــار

فك البـــــلاد وفادى مجد أمته من عيشة الذل بين السيف والنار

حبيت يا ليبيا السماء من الوطن معزز سيد الأبطـــــال مغوار[4]

وشهرت الشهاب بفضائح الطليان في ليبيا منددة بهذه السياسة بقولها :

" إيطاليا القاسية الدموية ماذا فعلت في ربع قرن بنصف مليون من المسلمين ؟أجدر بك أن تقضي أمام محكمة التاريخ وضمير الإنسانية لتجيبي جواب المجرمين عن هذا السؤال؟ وفي أثناء احتلال الطليان لواحة كفرة الليبية وتعرض اللبيين، لإعمال العنف والقسوة من طرف المستعمرين هاجمت الشهاب الإيطاليين بهذه العبارات المؤثرة :" ولا تزال إيطاليا توالي عملها التمدني....في طرابلس على مرأى وسمع المدنية نفسها....ومن دول العالم....ومن جمعية الأمم ...ومن محكمة لاهاي...ومن جمعيات الدفاع

1- جزائري، ذكرى يوم الشهداء في المغرب الأقصى ،ج جريدة المنار عدد 14 21 ربيع (2) 1371 17-01-1952

2- نفس المصدر

3- د/ ناصر الدين سعيدوني ، صدى كفاح عمر المختار في الجزائر ، مجلة الثقافة عدد 56 ربيع الثاني جمادى الأولى 1400 هـ/مارس أفريل 1980 ص 102

4- نفس المرجع ، ص 113

عن حقوق الإنسان....وحتى من جمعيات الرفق بالحيوانات....سجل أيها التاريخ فسيرجع الناس إلى سجلك العادل في مستقبل الأيام(1)

كما عمدت جريدة الأمة الجزائرية إلى إبراز حقيقة الكفاح الليبي من خلال مقال الأستاذ المجاهد سليمان الباروني الذي كشف من خلال مقال له تحت عنوان" حقيقة الحرب الطرابلسية" أصالة كفاح الليبيين الذين كانوا يضحون بالنفس والنفيس ، ضد الغزاة انتصارا للوطن وللدين نافيا أية صلة بين هذا الكفاح الوطني المشروع وأي قوة خارجية ، وفي ذلك يقول:"...إن الطرابلسيين ما حاربوا الطليان عند هجومهم على بلادهم سنة 1911 إلا بسائق الدين والوطن لم تحركهم يد من غيرهم، وما كانوا في يوم من الأيام مسوقين طريق من غير علمائهم ورؤسائهم وضمائرهم حتى الدولة العثمانية صاحبة السيادة على البلاد آنذاك.....هذه هي الحقيقة الناصعة في جهاد طرابلس وكل ما يخالفها زخرف من القول يجب تطهير التاريخ منه...."(2)

وعندما أقدمت القوات الإيطالية على إعدام شيخ المجاهدين عمر المختار راح المثقفون الجزائريون يعبرون عن أشجانهم من ذلك المصاب الجلل ومنددين بالطريقة الفضيعة التي لجأت إليها إيطاليا في إعدامه، فتحت عنوان سيد الشهداء ورأس الأبرار كشف الأستاذ أحمد توفيق المدني عن شيخ المجاهدين عمر المختار وعملية استشهاده دفاعا عن الإسلام والوطن يقول"..اغتالت يد الطليان الاستعماري بطلا من خيرة أبطال العرب، ورأسا من أعظم رؤوسهم ومجاهدا كان يقف في طليعة مجاهديهم....ذلك هو سيدي عمر المختار.....الذي جاهد عشرين عاما دفاعا عن بيضة الإسلام وكرامة الوطن ضد الطغاة المستعبدين ....إلى أن أقام الإيطاليون كمينال فأسروه إثر قتال عنيف وأبت الوحشية الإيطالية إلا أن تقيم برهانا جديدا على فقدها كل شرف وتجردها من كل عاطفة نبيلة فحكمت عليه حالا بالاعدم ونفذت ذلك الحكم شنقا" إلا في سبيل الله تلك الروح الطاهرة النقية التي رجعت إلى ربها راضية مرضية تستنزل نقمته وسوط عذابه على أدناس الاستعماري الإيطالي المتكالب"(3)

أما الشيخ البشير الإبراهيمي فقد اعتبر أن استشهاد عمر المختار كان ملهما لليبيين في كفاحهم حيث لم يفت في عضدهم بل كان دافعا وحافزا لهم للانتقام له وللدين والوطن".....قاوم هؤلاء الإخوان الكرام، الاستعمار الإيطالي، و وقفوا في وجهه وقفة المستميت لم يكفيهم التقتيل والتشريد حتى إذا استيئسوا وظنوا أن هذا الجبار العنيد ختم عليهم بالعبودية المؤيدة جاءت الحرب الأخيرة وعاد الرجاء ونبض عرف البطولة وهب المغاوير من سلالة العرب يثأرون لهم المختار والشهداء

1- أنظر نفس المرجع ، ص 107-108

2- سليمان باشا الطرابلسي،نزيل بغداد اليوم، حقيقة الحرب الطرابلسية ، جريدة الأمة عدد 87(25-8-1936)

3- د/ سعيدوني ، صدى كفاح عمر المختار ص 112

الأبرار وأوبقت إيطاليا جزائرها فأبادها الله...[1]

ونقلت الصحف العربية بالجزائر قصيدة أحمد شوقي في رثاء الشهيد عمر المختار التي جاء فيها.

ركزوا رفاتك في الرمال لواء   يستنهض الوادي صباح مســـاء
يا ويحهم نصبوا منارا من دم   يوحي جيل الغد البغضـــــــاء
يا أيها السيف المجرد بالغلان   يكسو السيوف على الزمان عضاء
في ذمة الله الكريم وحفظـــــه   جسد ببرقة وسد الصحـــــــراء
أيها الشعب القريب أسامـــــع   فأصوغ في عمر الشهيد رثـــاء
ذهب الزعيم وأنت باق خالد   فأنقذ رجالك واختر الزعمـــاء[2]

وعندما حصلت ليبيا على استقلالها سنة 1951م انتهز الأستاذ محمود بوزوزو هذه المناسبة لكي يشيد بهذا الحدث العظيم ويعتبر الاحتفاء به له نكهة خاصة لما يحمله في طياته من معاني لا يمكن أن ندرك أبعادها إلا إذا وضعناها في فضائها المغاربي والعربي الإسلامي الذي نعد نحن كذلك جزء لا يتجزأ منه، حيث يقول".....إن ابتهاجنا باستقلاله لا يمتاز امتيازا خاصا، وذلك لمتانة الروابط التي تربط شعوب المغرب به..فهي همزة وصل طبيعية بيننا وبين الشرق العربي والإسلامي، وستدخل ليبيا في هيئة الأمم المتحدة فيصبح للأمم العربية والإسلامية وللأمم المتحررة من الاستعمار وأنصار الحرية وصوت زائد كما أن ليبيا العربية ستنخرط في حضن الجامعة العربية فيزداد تفوقها، وستنظم ليبيا المسلمة إلى المؤتمر الإسلامي العالمي فتعدد مراكزه، ونبتهج ابتهاجا خاصا ، لأن الاستقلال قد دخل الآن أبواب المغرب وسينتشر فيه من ليبيا 'إلى المحيط الأطلسي....[3]

ويتفاءل الأستاذ بوزوزو بهذا الاستقلال خيرا معتبرا ذلك مقدمة لاستقلال الشعوب المغلوبة على أمرها لأن زمن الاستعمار قد ولى وشمسه تميل إلى الغروب.."نعم إننا بك لاحقون لأننا نؤمن بالحياة وسنرفع هذا المغرب الجليل إلى أوج سماء العز..نعم إننا لاحقون وجميع الشعوب لاحقة فهذه بوادر عهد جديد تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية حرب التحرير بوادر جاءت معلنة نهاية عهد الاستعباد والاستغلال، وبداية عهد الحرية والاستقلال...[4]

1-الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ليبيا موقعها منا ، جريدة البصائر، العدد

2- أنظر القصيدة المنشورة كاملة في جريدة النور الجزائرية ، عدد 13 (8-12-1931)

3- الأستاذ محمود بوزوزو، من وحي استقلال ليبيا، إننا لاحقون ، جريدة المنار ، عدد 14(21 ربيع الثاني 1952/1/19/1371)

4-نفس المصدر

وإذا كان المثقفون الجزائريون قد شاركوا إخوانهم في بلاد المغرب العربي همومهم وشاطروهم أحزانهم ، مسخرين أقلامهم لخدمة الشعوب المغاربية فقد شعروا كذلك بمبلغ المخاطر التي لحقت وما زالت تلحق ببلدان المغرب الربي من جراء الفرقة والتمزق والتشرذم الذي لم يستفد منه إلا الأعداء ومن ثمة دعوا إلى التكتل والوحدة المغاربية التي تتوفر كل عناصر وشروط إقامتها وتحقيقها وعوامل هذه الوحدة التي " تضرب جذورها الأصيلة في أعماق التاريخ الإسلامي للمغرب الكبير، إنها وجدت قلما وجدت في أي مكان من أمكنة العالم الأخرى، لأنها تتوفر على كل مقومات الوحدة الروحية التي يجسدها ويقوم بها الدين الإسلامي والوحدة اللغوية التي ينطق بها لسان عربي مبين واحـــد والوحدة[1] التاريخية التي تشمخ بها حضارة عريقة حافلة بالأمجاد والبطولات...وهذا ما يتجلى ويلمس في قصيدة مفدي زكريا التي ألقاها على مسامع المشاركين في مؤتمر سنة 1932 لطلبة شمال إفريقيا المسلمين التي جاء فيها :

نهوضا بنى إفريقيا من سباتكـــــم　　فإن عيون الحادثات بمرصـــاد
نهوضا بنا نحو الحياة ونظـــــــرة　　إلى أمة أمست ضحية أحقـــاد
كفانا شقاء من وبال شقاقـــنــــا　　وتمزيق مجموع وتشتــيت أواد
فهل نحن إلا أمة عربـــــيـــــة　　شقيقة أرواح قسيمة أكبـــــاد
وهل نحن إلا أمـــــة أحمــــدية　　مقدسة غراء سليلة أمجـــــاد
وهل نحن إلا في الجراحات أخوة　　بنو رحم شرقــــية ذات أولاد
وثيقة حب لا يفرق بيــــــــنها　　تباين مرعى في سهول وأنجاد[2]

ولما انعقد مهرجان ضخم بمدينة تونس سنة 1937م وحضره الوطنيون من المغرب العربي قصد توحيد خطط العمل السياسي الوحدوي اغتنم مفدي زكريا الفرصة بصفته ممثل للوطنيين الجزائريين فألقى قصيدته التي اعتبرها د/ محمد ناصر بمثابة" بردة الوطنية الجزائرية ما دامت تجسم بحق صوت الجزائر الذوي في خضم مؤامرات الاندماجيين وعزمها الصادق على التضامن المغاربي رغم المحن والإحن التي كانت تلاحق زعماءها

تونس والجزائر اليوم والمغــ　　رب شعب لن يستطيع انفصالا
وحدة أحكم الإله ســــــداها　　من يرد قطعها أراد محــــالا
نبتت مـــــــــن أب كريم وأم　　وسمت في الحياة عما وخالا[3]

1- د محمد ناصر، المغرب العربي الكبير في شعر مفدي زكريا...ص 28

2- د/ محمد ناصر، مفدي زكريا، نشر جمعية التراث ، غرداية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية رغاية 1989 الجزائر ص 88

3- د/ ناصر ، المغرب العربي الكبير في شعر مفدي زكريا...ص 31

ويبدي مفدي استياءه من الحدود الموضوعة كحواجز بين أقطار المغرب العربي، حيث يرى في ذلك اصطناع وهضم لحقوق الشعوب المغاربية حيث يرى في المغرب العربي وحدة وكيان لا يقبل التجزئة

نصبوا بينها حدودا من الألو   واح جهلا وخدعة وضلالا
فاجعلوا إن أرتم المون سدا   وضعوا البحر بيننا والجبالا
نحن روح مزاجه الضاد والد   ين فلمن يستطيع قط انحلالا
كلما رمتم افتراقا قربـــــنا   وعقدنا محبة واتصـــــالا[1]

ويرى في تقسيم ببلاد المغرب الكبير دول لا يعكس الواقع الحقيقي وكذا تطلعات وأماني الشعوب المغاربية

قسموها خديعـــــــــة لثلاث   كذبوا لن تزال شعبا وحيدا
وأقاموا على الهضاب عصيا   لقبوها يا للنـــــفاق حدودا
والجراحات بينها والأماني   والأمانات لا تزال شهودا
وطني بالدم الزكي أفدي   ك يمينا شريفة وعـــهود [2]

كما ينجلى الشعور المغاربي عند ابوبكر بن رحمون في قصيدته التي رثى بها رجال المغرب العربي كعلي الحمامي [3] الذين لقوا حتفهم إثر سقوط الطائرة التي كانت تقلهم اثناء عودتهم من المؤتمر الاسلامي المنعقد بكراتشي يوم 12 ديسمبر 1949 نقتطف منها هذه الابيات التي كانت كلها لهفة وتعطش لحرية واستقلال المغرب العربي:

آثروا الغربة والحر يرى   ضمأ العزة وردا شيما
وأبي النفس يختار النوى   ويود الموت عن أن يظلم
ويضام الحرفي أرض فلا   يجد العيش الا علقما
واذا الاحرار راموا غاية   أخذوا الجد سلما
لا ترى من نهضة قامت ولم   تر للاحرار فيها ميسما (4)

1- المرجع السابق، ص 34   2- د/ ناصر ، مفدي زكريا....ص 97
3- من مواليد مدينة تيارت سنة 1902 ناضل من أجل قضايا المغرب العربي كما اشتغل كاستاذ في مادة التاريخ والجغرافيا لفترة طويلة ببغداد نشر عدة مقالات وبحوث في الصحف والمجلات وكتب قصة (إدريس) التي تعد من ابرز آثاره الفكرية ضمنها آراءه في الاستعمار والمقاومة وأسباب الانحطاط المجتمع العربي وشروط نهضةالشعوب العربية الاسلامية التقى بموسكو الزعيم الفيتنامي (هوشي مينه) كما كانت له صلات بشكيب أرسلان وعبد العزيز الثعالبي وسليمان الباروني والاخوان محمد وعلي باش حمبه ومحمد بن عبد الكريم الخطابي في نوفمبر 1949 مثل الجزائر في أول مؤتمر عالمي اقتصادي اسلامي بكراتشي وأثناء عودته توفي في حادث طائرة بباكستان في 12 ديسمبر 1949. أنظر الشيخ بوعمران، علي الحمامي وقصة إدريس ، مجلة الثقافة، عدد 42، ديسمبر 1978، ص 75وما بعدها. وانظر عنه أيضا: Amar Belkhodja, centenaire Ali El Hammami, le martyr sans tombe ni souvenir, le quotidien d'Oran,22 / 12/ 2002.
4 – كمال عجالي، نفس المرجع، ص 117 وما بعدها.

كما تتجلى الأبعاد الوحدوية المغربية في مقال الأستاذ محمد السعيد الزاهري الذي اعتبر تاريخ المغرب بأنه"....تاريخ واحد متصل تمام الاتصال بعضه ببعض حتى لا يقوم تاريخ تونس مثلا بدون تاريخ الجزائر ومراكش إلا كما يقوم عضو من أعضاء الإنسان بدون غيره من بقية الأعضاء، وكذلك يكون تاريخ الجزائر، إذا هو استقل بنفسه عن تاريخ تونس ومراكش بمكان الورقة الواحدة من الكتاب الكامل.....وعندي تجزئة هذا التاريخ إنما تمكن بحسب الدول لا بحسب البلاد[1]

وأكد على فكرة الوحدة المغاربية في مقال له تحت عنوان" إلى الوحدة المغربية"، في معرض ثنائه على جريدة" الوزير" التونسية ومديرها الطيب بن عيسى القرواوي الذي سخر جريدته للأقلام الداعية لهذه الوحدة والتي كانت أصوات أصحابها تعلو على الدعوات الإقليمية قائلا بهذا الصدد " لقد أثبتت على (الوزير) وعلى أكثر الصحف التونسية لأنها أصبحت تشعر باحتياجها إلى صحافة مغاربية تهتم بسائر بلاد المغرب تونس والجزائر ومراكش، اهتماما كاد يكون سواء، فجعلت تنشر لكتاب تونسيين مقالات رشيدة وفصولا قيمة تلامس كل قلب من قلوب أهل المغرب جميعا حتى أنك إذا قرأتها لا تدري أهي بقلم تونسي أم جزائري أم مراكشي؟ وهو بشير يبشرنا بأن شباب المغرب الناهض لا فرق بين الجزائري منه والتونسي، ولا بين أحد منهما وبين المراكشي، بدأت عقليته تتجه في اتجاه واحد، وبدأ شعوره يكاد شعورا مغربيا واحدا....."(2) ثم يضيف " وإذا تم ذلك – وسيتم إنشاء الله- فسيكون كل مفكر في الجزائر أو في تونس أو مراكش، يفكر في المغرب لا في خصوص جهته، وسيكون كل عامل في واحدة من هذه البلاد يعمل لخير المغرب كله، لا يخص بعمله الصالح قطرا من أقطار المغرب دون قطر آخر سواه ويومئذ توجد جهودنا التي نجدها لصالح هذه البلاد المغربية"(3)

وفي منحى التوجه الوحدوي المغاربي يبرز كذلك الأستاذ محمد العيد الجباري[4] الذي نهض بهذه الدعوى بكل حزم وبكل ما تملكه من شعور عميق بمسؤولية العمل لهذه الوحدة غير مبـال

1- الأستاذ محمد صالح الجابري ، من تاريخ التواصل الثقافي بين تونس والجزائر، الحياة الثقافية ، تونس عدد 32 خاص بالجزائر، 1984 ، ص 18

2-نفس المرجع ،ص 18.

3- نفس المرجع ، ص 18

4- محمد العيد بن خليفة بن محمد لحساسنه المسمى محمد العيد إخباري (1911-1942) مصلح وطني جزائري ولد ببلدة عين أعبيد بعمالة قسنطينة سنة 1911م ابن خليفة وحليمة، تابع دراسته بجامع الزيتونة ، نال شهادة "التطويع" فيه سنة 1929 ساهم بقوة في تأسيس الحركة الوطنية التونسية حيث كان عضو مسؤول في تكوين الشبيبة في الحزب الحر الدستوري من 1934 وبسبب ذلك تعرض للسجن والإبعاد سبع مرات، كان له نشاط واسع في الصحافة التونسية حيث نشر أشعارا كثيرة من مؤلفاته(الفرائد في العلم والأدب والاجتماع) سنة 1937 وديوان (اللهيب) الذي نشر بتونس سنة 1974 م أنظر عنه وثيقة من أرشيف ما وراء البحار بأكس أونبروفانس، فيها نبذة عن حياته ونشاطه السياسي علبة 47 9 والحياة الثقافية عدد 32 (1984) ص 22.

بكل ما يمكن أن يجده في طريقه هذه من عقبات أو بطش استعماري حيث أقدم على تأسيس جمعية " الشبيبة الموحدة لشمال إفريقيا بمدينة تونس سنة 1936 م ، وراح يبث دعايته الوحدوية في أوساط الطلاب الزيتونيين، وفي سنة 1937 عاد إلى الجزائر ، حيث أسس فروعا لمنظمة " الشبيبة الموحدة لشمال إفريقيا[1] كفرع عنابة[2]. وكانت مرامي السيد العبد جباري من تشكيل هذه المنظمة هو الوصول إلى توحيد أقطار شمال إفريقيا[3]

ومن أجل مزيد من التقارب بين الأشقاء في أقطار المغرب العربي كانت زيارة الشيخ ابن باديس إلى تونس سنة 1937لتقديم تهانيه للشيخ عبد العزيز الثعالبي بعد عودته إلى وطنه[4]
وكذلك التباحث معه في مسألة" الوحدة المغاربية" وبالمناسبة نشرت جريدة " تونس" لمديرها الأستاذ زين العابدين السنوسي بتاريخ 31 ماي 1937 م صورة الشيخ ابن باديس تحت عنوان (اتحاد الشعوب العربية الشمال افريقية ليست فكرة جديدة ولكنها تعود إلى عشرات السنين(5)
و في هذا الإطار ألمغاربي اعتبر مفدي زكرياء عودة الثعالبي بمثابة حدث مغاربي هام حيث لمس في شخصه صورة الزعيم الذي يمكن أن يلتف حوله كل أبناء المغرب العربي ومن ثمة نجده قد اختار لقصيدته التي هنأ بها الثعالبي بعودته عنوانا له دلالته السياسية البعيدة (الشمال الإفريقي، يتحد) وفيها يقول:

أيها الشعب والتهـــــاني توالي والمسيرات ينتظمن عقودا
يا زعيم الشمال والشرق ويا من ملأ الشرق والشمال جهودا
إن شعب الجزائر اليوم قد جاء يهنئ لواءك المعقودا[6]

وبناء على ما تقدم نخلص إلى أن قضية المغرب العربي في خطاب المثقفين الجزائريين كان حضورها قويا وواضحا لا غموض ولا لبس فيه من منطلق الإيمان والوعي بأن آلام وآمال الجميع واحدة كما أن المصير مشترك و واحد على الرغم من تلك المحاولات الاستعمارية التي كانت تجتهد بكل وسيلة رادعة لإقامة أسوار تقاطع بين الأقطار المغاربية ، بل إن المثقفين الجزائريين تجاوزا ذلك إلى مشاركة أهل فلسطين وكل الشعوب العربية والإسلامية ، ما كانت تقاسيه من الاستعمار والصهيونية .

1- تقرير عنه مؤرخ في 16 فيفري 1938 A O M 9 H 47
2- الذي سمي بـ الشبيبة الموحدة لشمال إفريقيا العنابية" تأسس سنة 1938 أنظر تقرير سري لعامل عمالة قسنطينة إلى الوالي العام للجزائر، مؤرخ بقسنطينة في 25 مارس 1938
3- أنظر التقرير السابق
4- كانت عودة الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي ’إلى بلاده بتاريخ 1937م ، حاول أن يصلح ذات البين بين الدستوريين القدامى والجدد من خلال دعوته لأعضاء اللجنة التنفيذية للدستور القديم وأعضاء الديوان السياسي إلى اجتماع ودي بمنزله يوم 21- 7- 1937 فاجتمعوا بمحضر المصلح الجزائري ابن باديس. أنظر أحمد خالد، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي، الدار العربية للكتاب، تونس، 2001، ص 237 ومابعدها.
5- أنظر د/ يوسف مناصرية ، زيارة الشيخ عبد الحميد ابن باديس إلى تونس سنة 1937 وفكرة الوحدة المغاربية " / دراسات وشهادات مهداة إلى د/ أبو القاسم سعد الله دار الغرب الاسلامي ط (1) 2000 ، بيروت ص 293 وما بعدها
6- د/ناصر، المغرب العربي الكبير في شعر مفدي زكريا ...ص 96 .

ب- قضية فلسطين

احتلت قضية فلسطين حيزا هاما في اهتمامات المثقفين الجزائريين بعد أن شعروا بالأخطار التي باتت تتهدد فلسطين بعد أن صار الخطر الصهيوني حقيقة ماثلة للعيان ولا يختلف فيها اثنان وقد كان إيمان الجزائريين بالقضية نابع من قناعة راسخة لديهم بأن هذا الخطر كان يستهدف بابتلاع فلسطين وطرد أهلها منها .

وقد ظهر هذا في وقت مبكر على شكل تنبيه مما كان يبيت من مؤامرات ودسائس لفلسطين وقد ظهر هذا في مقال الأستاذ عمر راسم" المسألة الصهيونية" والذي يكشف عن بعد نظره واستشراقه للمستقبل حيث رأى في ضعف الدولة العثمانية وتغلغل الأيادي اليهودية وفي ذلك يقول:" وليعلموا أن انقسام الدولة العثمانية وانفصال بلغاريا وصربيا واليونان، وطرابلس، وتنازعها الداخلي ، كل ذلك مقدمة لاستقلال فلسطين وهكذا نتجه أعمال اليهود بواسطة أوربا من جهة ودسائسهم الدخيلة من جهة أخـــرى،(وإن استمر الحال على ما هو عليه وبقيت دولة الخلافة تحت سلطة (كارسو) وهو الذي خلع السلطان عبد الحميد) ورئيس حزب الاتحاد يهودي صهيوني وهو جاويد وحقي بائع طرابلس لأخيه لوزاتي، فلا شك أن تقع الدولة في مخالب اليهود في يوم ما ولا يكفيها حينئذ لنجاتها لا الست المدرعات التي أوصت عليها، ولا عشرون، فيجب عليها الانتباه وعلى أبناء العرب العمل..."(1)

ومع منتصف العشرينات من القرن العشرين بدأ المثقفون الجزائريون يلحظون ما يقوم به يهود الجزائر من جمع للأموال لصالح الحركة الصهيونية فراحوا يحذرون من مخاطر ذلك كاشفين للجمهور أبعاد تلك المؤامرة على فلسطين يقول : سعيد الزاهري " إن استعمار فلسطين هو ظلم كسائر الاستعمار، ولذلك لا نرضى أن تكون تلك الأموال التي اختلسوها منا ومن غيرنا بالربا وبالوجوه المعلومة أساسا لبقاء ملكهم ونفوذ سياستهم على المسلمين، أهالي البلاد الحقيقيين، فليتأمل "ناطان بيرن" وليتأمل هنري وشارل أبو الخير، وليتأمل كيرون وليتأمل شبيب بن سيمون كاتب الشبيبة الاشتراكية وليتأمل الروتشيلد نفسه، وليعلموا أن فلسطين أرض عربية إسلامية، وإن أموالنا وأرواحنا التي أزهقت في الحروب الأخيرة لا تذهب وراء سعي المرابيين.."(2)

كما عمدت جريدة الشهاب إلى إبراز ماهية الصهيونية للجمهور الجزائري من خلال مقال السيد عبد الرزاق الحسني سبق نشره بمجلة العرفان حيث سلط الضوء عن النشاط الحثيث للصهيونية بفلسطين عند القرن التاسع عشر وكيف أن خيارات الوطن القومي لليهود استقرت في الأخير على فلسطين " لم يكن غرض اليهود من إيجاد الوطن القومي لهم السكنى في أرض خاوية يعمرونها ليسكونها

1- محمد ناصر، فلسطين وأقلام جزائرية ، مجلة الثقافة عدد 37 صفر ربيع الأول 1397 هـ/ فيفري ، مارس 1977، ص 19

2-الشيخ محمد السعيد الزاهري ، أين تذهب أموالنا ، جريدة البرق عدد 15 (1927/06/20)

وأحياء مجد هذه الأمة المهيضة الجناح كما يدعون، ولو كان الأمر كذلك لقبلوا البلاد التي عرضتها الحكومة السوفياتية فرفضوها ولاقتنعوا بالاقتراح القائل اتحاد إفريقيا الشرقية موطنا لهم ولأصغوا إإلى نصائح بارون هيرش الذي أنفق مبالغ طائلة لإسكانهم في الأرجنتين وعمر لهم المقاطعات الجسيمة فتركوها، ولكنهم يريدون فلسطين فلسطين العربية التي يقدسها العالم الإسلامي بأسره، فلسطين الشهيدة التي يفتديها أحفاد قحطان بكل ما لديهم من غال وعزيز..."[1]

وعندما تفاقمت الأوضاع بفلسطين ونشبت حوادث البراق سنة 1929 راحت الشهاب تصور مشاهد المأساة الفلسطينية التي لم نكن سوى تحصيل حاصل لوعد بلفور المشؤوم" إن ما نشاهده هذه البلاد الإسلامية البائسة اليوم، لم تره من قبل في تاريخها منذ انتهت الحروب الصليبية الفتاكة المتوحشة، نشاهد الآن فتنة هوجاء ومذابح فضيعة ترتعد لهولها الفرائص، أما الأسباب فهي تكالب بعض غلاة الصهيونية وتنطعهم ومحاولتهم إذلال المسلمين، وقهرهم في عقر دارهم.

وقد توقع عقلاء اليهود وقوع هذه الحوادث من يوم أعلن فيه اللورد"بلفور" وعده المشؤوم، يجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود....ولقد كانت مسألة حائط المبكي هي الجذوة الأولى التي أوقدت هذه الفتنة"[2]

وتحت عنوان" فضائح الصهيونية في فلسطين" راح الأستاذ السعيد الزاهري يهيب بإخوانه الجزائريين على اختلاف طبقاتهم كي ينهضوا بدعم فلسطين والعمل على إنقاذها من مخاطر الصهيونية المتربصة بها الدوائر"....فعلى الأمة الجزائرية إذا أن تهب لنصرة " فلسطين" كما هبت بالأمس لنصرة " طرابلس" وعلى جميع طوائفها وطبقاتها أن تتساند وتعمل في تحقيق هذه الغاية:" أصحاب الجمعيات الخيرية الإسلامية المتنوعة هنا وهناك بمد يد البر، ورجال النوادي بقيامهم بالحفلات الخيرية لجمع الإعانات، ورجال الصحافة الإسلامية بتصوير المحن والشدائد التي ذاقها المسلمون هناك، حتى يهيجوا في الأمة عواطف الرحمة والعطف على فلسطين الشهيدة، والصحف الإسلامية بفتح الاكتتاب وجمع الإعانات والطرقيون بتبرعهم ببعض ما ينفقونه حول الأضرحة والقبور والمسلمون يصومون ثلاثة أيام من رجب واكتتاب نفقاتها لحراس البراق الشريف[3]

وفي هذا الصدد نسبح على منوال الأستاذ الزاهري، الأستاذ علي مرحوم الذي راعته مشاهد الاعتداءات على المقدسات الإسلامية من قبل الصهاينة وحكام العرب وشعوبهم وأولي أمرهم يقابلونها بالاستنكار والأقوال، فدعا المسلمين حكاما ومحكومين على استبدال الأقوال بالأفعال "...بالله

1- الصهيونية ، حاضرها، مستقبلها، مجلة الشهاب ، جزء 12 مجلد 5 شعبان 1348/ جانفي 1930

2- أنظر مجلة الشهاب، ج8 م +5 (سبتمبر 1929)

3- الشيخ محمد السعيد الزاهري، فضائح الصهيونية ، جريدة الإصلاح، عدد 09 (12-12-1929)

عليكم أيها العرب والمسلمون في الشرق والغرب أفلا تنتهون من دور الأقوال وتبرزون إلى دور الأعمال فتبرهنوا لإنكلترا المعتدية على إسلامكم الخالد وعروبتكم الشريفة بأنكم عرب أحرار خلف أولئك المجاهدين الأبرار.

أيها المسلم إن إسلامك في تلك البقاع الطاهرة يداس بنعال إنكلترا الظالمة الغاشمة، وتنتهك حرماته بتكالب الصهيونية الناقمة وعروبتك تهان وتظلم في عقر دارها فهل لك أن تقدم نفسك ونفيسك ضحيتها وفداها.....وأن التاريخ ليسجل جهادك الخالد في ميدان البطولة والشرف بمداد الذهب ويسجل على العرب والمسلمين دولا وشعوبا تفريطهم وتقاعسهم عن معاضدتك وانتشالك من مخالب الاستعمار الإنكليزي الجائر والأخطار الصهيونية اللعينة.."[1]

ولما أقدمت السلطات الاستعمارية البريطانية في فلسطين على تجزئة فلسطين إلى ثلاثة أقسام: وهي تهدف بذلك إلى تعزيز الوجود الصهيوني كمقدمة لإقامة دولتهم فيها كتب الأستاذ أحمد توفيق المدني ينبه معشر المسلمين إلى ضرورة الوقوف مع الشعب الفلسطيني ضد أعداء فلسطين المتكالبين عليها حيث يقول:".....إن الواجب المحتم على كل عربي مسلم في أي قطر من أقطار الأرض ، هو أن يقف إلى جانب أخيه العربي الفلسطيني..فالمسألة ليست مسألة بلاد نائية وليست مسألة محلية لا تهم إلا أهل فلسطين وحدهم، بل إنما هي مسألة العالم العربي بأسره،بل العالم الإسلامي برمته، وكال اقتطاع من أرض فلسطين إنما هو حر في رقبة العرب ونحر للعالم الإسلامي من وريده[2]

وناشد العرب والمسلمين كي يقفوا في وجه المؤامرات الإنكليزية والأطماع الصهيونية وأن يقرنوا أقوالهم بالأعمال إن أرادوا فعلا أن ينقذوا فلسطين ويجنبوها المآسي وفي ذلك يقول"...فليكشر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها عن أنيابهم لإنكلترا ويبرهنوا لها على أنهم قوة فعالة متضامنة تستطيع أن تضر وتستطيع أن تنفع، وعندئذ فقط يمكن لإنكلترا أن تتراجع أو تترك الصهيونيين وشأنهم أما ما دام الصهيونيون يقبضون على ناصية القوة والمال، والمسلمون يقبضون على ناصية الاحتجاج والأقوال، فيا ويل فلسطين من الذين يتكلمون ولا يعملون.."[3] وينعي على ملوك الرب وأمراؤهم تخاذلهم وعدم جديتهم في التصدي لأعداء فلسطين فيقول"....إننا لا نفهم إلى هذه الساعة ما هي هذه المواقف الضعيفة المخجلة التي يقفها ملوك العرب وأمراؤهم تجاه هذا الموقف الخطر، العظيم الداهم، فهل يكفي لأمثال يحي والملك عبد العزيز بن السعود أن يحتجوا ببرقيات يرسلونها إلى بيت المقدس ثم يسكتوا كأنهم قد أدوا الواجب المفروض عليهم؟

1- الشيخ علي بن أحم مرحوم المسلمي، في سبيل فلسطين ، جريدة الأمة عدد 145 (23-11-1937)

2- الأستاذ أحمد توفيق المدني ، حياة وكفاح جزء 2 ص 307

3-نفس المصدر، جزء2 ص 307

إن قدر الله وضاعت فلسطين فإنها والله لن نذهب ضحية الصهيونيين بل هي تذهب ضحية المسلمين الجامدين، وضحية الملوك المسلمين المتغافلين، فيا عامة المسلمين وخاصتهم، ويا ملوكهم وأمراءهم وقادتهم، هذه فلسطين الشهيدة ضائعة متلاشية فماذا أنتم فاعلون؟[1]

أما جريدة الأمة العربية بالجزائر من خلال مقال منشور بها تحت عنوان: " فلسطين على نطع الجلاد" فقد اعتبرت أن مرامي الإنكليز من تقسيم فلسطين من الناحية السياسية هو"..تهديد مصر تارة وسوريا تارة أخرى بالاتفاق مع فرنسا وطورا شرقي الأردن وحتى العراق بالدولة الصهيونية [2]

أما من الناحية الاقتصادية فهو" إنهم يريدون جعل المنطقة الصهيونية مستودعا صناعيا لما ينشئونه من مانع لإغراق أسواق الأقطار العربية بالبضائع ونشر المصنوعات الصهيونية ثم القضاء على تجارة البلدان الأوروبية واليابان مع الشرق الغربي وجعل ميناء تل أبيب بين أعظم الموانئ على البحر الأبيض المتوسط بغية منافسة الميناء العراقي الوحيد، بل ضربة الضربة القاضية بعد حين."[3]

أما الهدف العسكري البريطاني من وراء التقسيم فهو أن الغاية من وراء اقتطاع أهم المدن العربية الفلسطينية وأكبرها الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط والمجاورة لتلك السواحل ووضعها تحت انتدابها الفاشل الذي جرّ على العرب والأقطار العربية الويلات والرزايا التسلط من الوجهة العسكرية الفنية على البلاد العربية وسد المنافذ وإلى ذلك بوجهها، ولكي يسهل عليها إنزال زبائنها إلى البر العربي متى شاءت ولكي تأمن على سلطانها من الانهيار في مقبرة الإمبراطوريات[4]

"واليوم وفلسطين واقعة على نطع الجلاد الجبار وهي تستصرخ العالم العربي والإسلامي في طلب النجدة تخرج جموع الشعب العراقي النبيل كالخضم الزاخر ملبية نداء الواجب المقدس المفروض من العناية الإلهية على كل عربي ومسلم ورافعة صوتها الدوي مستنكرة تلك المحاولة الصهيونية الاستعمارية التي لم يسجل منها التاريخ في أسود صفحة من صفحاته."[5]

كما اعتبرت جريدة المغرب أن العمل لصالح الصهيونية قد احتضنته البلدان الغربية ومنها الولايات المتحدة الأمريكية ونبه إلى أن تلك الأموال الطائلة التي صارت تجمع للصهاينة، وكأنه أراد أن يقول للعرب إن كنتم صادقين حقا لإنقاذ فلسطين فعليكم بالدعم المادي لها مستشهدا في هذا المقام بما جمع للصهيونية في إحدى المرات بمدينة نيويورك، وفي ذلك يقول :" عقد في مدينة نيويورك الرأسماليون اليهود اجتماعا هائلا ألقيت الخطب في المسألة الصهيونية الفلسطينية وهتف الجميع لإخوانهم الصهيونيين وعقدوا الخناصر لإعانتهم ماديا وأدبيا بدون فتور ولا رجوع وكان من جملة ما

1- نفس المصدر ، جزء 2 ص 311

2- فلسطين على نطع الجلاد، الغاية الشيطانية من التقسيم ، جريدة الأمة عدد 170 (8 ربيع الثاني 1357-76-1938

3- نفس المصدر

4- نفس المصدر

5- نفس المصدر

قرر في هذا الاجتماع موالاة الجهود لإبقاء مذكرة بلفور تجري كما كانت من قبل وفي برهة عشر دقائق تبرع بعض الحاضرين بمبلغ 25 ألف دولار.وتعهدوا بمضاعفة المبلغ في الأسبوع القابل....."(1)

أما من الناحية العملية فقد راحوا الجزائريون يدعمون جهاد الفلسطينيين بما يقدرون عليه على الرغم من الظروف الصعبة التي كانت الجزائر تحياها في ظل السياسة الاستعمارية الجائرة فقد ذكرت التقارير الشرطة الاستعمارية خلال سنوات 1936-1937-1938 ذلك المسعى الحثيث الذي بدله بعض الوطنيين الجزائريين من أجل نصرة فلسطين فقد وقع بقسنطينة بتاريخ 1936/06/18 اجتماع بنادي الاتحاد تحت رئاسة الشيخ ابن باديس قصد تكوين لجنة تتكفل بجمع الأموال للفلسطينيين غير أنه لم يؤخذ أي قرار في هذا الشأن حسب ما جاء في تقرير الشرطة لذلك لقلّة الحاضرين و قد أجل الاجتماع إلى 1936/06/20 بعد أن وزعت قوائم للامضاء بين الشبان المسلمين و محبي الخير و متعاطفين مع فلسطين و قد تمخض عن هذا الاجتماع إنشاء لجنة خاصة بفلسطين تحت رئاسة الشيخ الطيب العقبي و ظهرت علنا في 1938 و قد أكدت الشرطة الاستعمارية انتشار الوعي عند الجزائريين بالقضية الفلسطينية و جمعهم الأموال لصالح ضحايا الصهيونية و أشارت في تقريرها المؤرخ للجزائر في 1938/09/22 إلى تكوين لجنة مؤقتة بمبادرة الشيخ العقبي و بعضوية كواسي رئيس نادي الإصلاح تهدف إلى جمع الأموال من مسلمي العاصمة للإغاثة فلسطين و لم يقتصر الأمر في جمع الأموال لصالح فلسطين على المدن الجزائرية الكبرى بل تعداها إلى توزيع قوائم الاكتتاب سريا بين أعضاء جمعية العلماء و بين محبي الخير بمدينة الجزائر و إرسال قوائم أخرى إلى داخل البلاد وبعض المدن المجاورة للعاصمة كما أعطت الجمعية أوامرها إلى الشيخ الفضيل الورتلاني ممثلها بباريس و الشيخ السعيد الصالحي ممثلها بمرسيليا لمواصلة الدعوة لنفس الغرض (2).

كما عمد أيضا حزب الشعب الجزائري إلى تشكيل لجنة للدفاع عن فلسطين العربية هدفها الأول إشراك الجزائر العربية في حركة الاحتجاج بالبلدان الإسلامية ضد تقسيم فلسطين أمّا هدفها الثاني فهو جمع التبرعات لصالح ضحايا الدعاية الصهيونية الفاشية و الحكم الانجليزي الضار و قد تركزت أعمال هذه اللجنة على تنظيم الاجتماعات في باريس و الجزائر العاصمة و بوفاريك و الحراش و دلس و رويبة و ضمّت خلالها عدد كبير من المسلمين قدّرت اللجنة عددهم بحوالي ستين ألف شخص احتجوا كلهم ضد المظالم الوحشية الصهيونية والانجليزية التي تهدف إلى تقسيم فلسطين و جعلها وطنا يهوديا و خصصت اللجنة ثلاثة أيام بالجزائر (الجمعة –السبت –الأحد) للقضية الفلسطينية و فتحت اكتتابا عاما لجمع الأموال و توجيهها إلى المجاهدين الفلسطينيين ثم وجهت عدة نداءات إلى الجزائريين دعتهم فيها إلى تقديم التبرعات المالية للإغاثة (فلسطين الشهيدة) التي تريد الامبريالية الانجليزية تقسيمها (3).

1- الاتحاد اليهودي، جريدة المغرب ،عدد23 (4-11-1930)

2-يوسف مناصرية بعض وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حول لجنة إغاثة فلسطين العربية (1936-1938) مجلة سيرتا عدد10 أفريل 1988 ص 178 و ما بعدها.

3-يوصف مناصرية بعض وثائق حزب الشعب الجزائري حول لجنة الدفاع عن فلسطين العربية مجلة الدراسات التاريخية عدد 03 جامعة الجزائر 1987 ص 144 و ما بعدها.

وعندما جاءت الحرب العالمية الثانية ، استغل الصهاينة ظروف الحرب فكثفوا من نشاطاتهم وحازوا على تواقيع عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ والنواب سنة 1942 على مذكرة رفعت إلى روزفلت تطلب فيه تبني القضية الصهيونية وفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية، الحرة الواسعة وتحقيق الوطن القومي بمعناه الشامل[2] وقد أشار كاتب جزائري إلى هذا الدعم الجديد للصهيونية من قبل الولايات المتحدة الأميركية بما يمكن لها من إقامة كيانها، فيكون بذلك فصل ثاني من الفصول التي استغرقها إقامة الكيان الصهيوني، وتكشف عن مدى قدرة الصهاينة على توظيف القوى العظمى لخمة أغراضهم القومية.

".....ظهر عامل جديد في الأفق الدولي ومزاحم خطير لأوربا في الميدانين السياسي والاقتصادي وحاضن أكبر للصهيونية ضلع كبر في سياسته وتوجيه حياته عندما وجدت من يكفيها مؤونة التنفيذ ويحمل عليها العبء الذي طالما كلفها خسائر جسيمة في الأموال والدماء وهي خارجة من الحرب منهوكة القوى..."[3] وينبه الكاتب إلى أنه إذا كانت أمريكا هي التي مثلت الفصل الثاني من هذه المأساة فإنه لا ينبغي أن ننسى بأن أوربا هي الممثلة لفصله الأول"يجب علينا معاشر العرب أن لا ننسى أصل الداء وأن لايقل- في نظرنا- حظ أوربا من المسؤولية عن حظ أمريكا التي جاءت تمثل الفصل الأخير من المهزلة كما يجب أن تحذرو ولا ننسى أن دول أوربا الغربية هي المتسببة والحاضنة للمأساة منذ تكوينها حتى اليوم.[4]

وما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها سنة 1945 م، وظهور هيئة الأمم المتحدة حتى وقع التصويت فيها على تقسيم فلسطين وتمت المؤامرة الغربية على فلسطين في غياب أية قوة عربية إسلامية قادرة على رفع التحدي وإبطال الباطل، وشكل الجزائريون في نادي الترقي سنة 1947 لجنة الدفاع عن فلسطين[5] ونظموا على غرار بلدان العالم العربي يوم فلسطين 3 أكتوبر 1947م الذي دعت إليه جامعة الدول العربية[6]وغطت جريدة الإصلاح أحداث الاحتفال بيوم فلسطين بنادي الترقي.وأسمته بيوم

1- الاتحاد اليهودي، جريدة المغرب ،عدد23 (4-11-1930)

2- محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة المجلد 2 الجزء 4 ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا 1950 ، لبنان ص 5

3- الطاهر علالي، قضية فلسطين ، محاولة أوروبية حاسمة، جريدة البصائر، عدد 17 (1947)

4- نفس المصدر

5- الأستاذ أحمد مريوش، القضية الفلسطينية في اهتمامات الشيخ الطيب العقبي ، مجلة الدراسات التاريخية ، جامعة الجزائر عدد 1415/09 هـ/ 1995 م ص 243

6-نفس المرجع ،ص 243

فلسطين العربية في الجزائر المسلمة العربية" تقول الإصلاح" حقا كان ذلك اليوم يوم الإسلام والعروبة ، يوم الإعلان بالجهاد في سبيل الحق وفي سبيل فلسطين، يوم الرابطة الإسلامية، والوحدة العربية يوم الشرق المسلم العربي والمغرب المسلم العربي...يوم الجزائر قلب الشمال الإفريقي، حيث تذكر كل مسلم أيام المسلمين الصالحين ومجد العرب الخالدين.."[1]

كما راحت جمعية إعانة فلسطين التي تشكلت في الجزائر لمساعدة فلسطين في سنة 1948م تعمل على تكوين لجان عاملة من أجل جمع المال بصفة سريعة باسم أمين المال للجنة الشيخ الطيب العقبي، وتضامنت اللجنة مع رئيس جمعية العمل من أجل إنقاذ فلسطين المجاهد الإسلامي الكبير الشيخ الصادق بسيبس[2] وبعثت للصحف التونسية ببرقية يوم 20 جوان 1948م، نشرتها جريدة الزهرة وبعض الصحف التونسية هذا نصها " إن لجنة إعانة فلسطين المتكونة تحت إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي والأستاذ فرحات عباس، قد بلغها بمزيد التأثر التهمة التي ألصقت بالوطني الغيور والمجاهد في قضية فلسطين العربية الشيخ محمد الصادق بسيس واللجنة تحتج لدى كل من الحكومتين التونسية والفرنسية ضد هذا القرار الجائر ، في الوقت الذي يعمل فيه الصهاينة بكل حرية ، وبهذه المناسبة ، فإن اللجنة المذكورة تؤكد للشيخ بسيس تضامنها التام معه ومع لجنة إعانة فلسطين العربية بتونس"[3]

ولما أعلنت الهدنة بين الدول العربية وبين الصهاينة رأى فيها المثقفون الجزائريون نكسة للأمة العربية أمليت على العرب من قبل مجلس الأمن الذي أدى لخدمة الصهيونية العالمية وكتب الأستاذ أحمد توفيق المدني مقالا تحت عنوان" مأساة مستمرة" نعى فيه على ساسة العرب وقادتهم انخذالهم أمام العدو، وانطواء الحيلة عليهم بما يخدم عدوهم، وفي ذلك يقول"...إننا من أمر هذه الهدنة المشؤومة لفي كرب عظيم.....وإلى متى يدوم أمر هذه الهدنة يا ترى؟ إن التحفظات التي قدمها العرب وجعلوها نوعا من الشرط لقبول تلك الهدنة التي فرضت عليهم فرضا، قد ألقيت في زوايا الإهمال ولم يأبه بها أحد، بل أن الكثير من رجال السياسة أصبحوا يعتبرون تلك التحفظات ستارا نشره ساسة العرب لإخفاء ما ينطوي عليه رضوخهم لمقررات مجلس الأمن من ضعف و وهن ولكنه ستار شفاف لم يستطع إخفاء أي أمر......وأصبح العالم كله يرى المأساة بوجهها الحقيقي، وإنها لمأساة ليست من صالح العـــــــــرب

1- أنظر جريدة الإصلاح عدد 64 (17 أكتوبر 1947)

2-محمد الصادق بيسبيس(1332-1398هـ)/ 1914-1978) وطني تونسي وأحد المثقفين الكبار بتونس، زاول دراسته بالمدرسة الخلدونية وجامع الزيتونة متشبع بآراء الإمام محمد عبده الإصلاحية وتلميذه الإمام رشيد رضا، ناضل في الحزب الدستوري الحر القديم ودافع دفاعا مجيدا عن قضية فلسطين، فقد اشتهر بكتاباته الصحفية الملتهبة عن القضية الفلسطينية. للمزيد عنه أنظر محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1 دار العرب الإسلامي بيروت 1982 ص 130 وما بعدها والهادي التيمومي، النشاط الصهيوني بتونس، دار محمد علي الحامي، تونس، 2001، ص 161.

3- الأستاذ أحمد توفيق المدني،حياة كفاح، جزء2 ص 387

في شيء[1] ويضيف على ذلك مميطا اللثام عن ظروف نشأة دولة إسرائيل حيث الدعم المادي والمعنوي للصهاينة من قبل الغرب، ورضوخ مطلق لقادة العرب، لقرار مجلس الأمن الداعم لإسرائيل وكأنهم لم يأخذوا العبرة مما وقع لهم من قبل على يد الإنكليز[2]"....فبينما نحن نرى العالم العربي يتهيج ويضطرب وتضطرم في قلوب أهله نيرانا الضغينة والحقد، ثم هو لا يستطيع أن يقوم بعمل إيجابي يرضي به ضميره، ويطفئ به سعير الرغبة الجامحة في الاندفاع نحو المعركة النهائية لأن ساسته وزعماءه وملوكه قد رضخوا مرغمين لقرار مجلس جائر، نرى في ذلك الحين نفسه رجال اليهود الذين نصبوا أنفسهم ونصبتهم الرأسمالية الأميركية دولة لإسرائيل في بلاد فلسطين يزدادون كل يوم قوة ومتعة ومكانة وتنتظم أمور دولتهم، وتعترف بهم الدول الواحدة تلوى الأخرى، ويرسلون من قبلهم السفراء إلى مختلف العواصم يتلقون السفن المشحونة عتادا حربيا وسلاحا فتاكا ورجلا أشداء أبعد كل هذا يطمع طامع، مهما كان قصير النظر، ومهما كان آفن الرأي، أن يحطم دولة إسرائيل الناشئة على هذه الصفة بواسطة مفاوضات سياسية، أو مذكرات دولية دبلوماسية ؟كذب والله ونفاق وتضليل.[3]

وعبر الشيخ البشير الإبراهيمي هو الآخر بمرارة عما لحق فلسطين من ظلم على يد مجلس الأمن الذي هو بإرادة الكبار الذي أوجدوه لخدمة مصالحهم ورأى في تلك المأساة(مأساة التقسيم) امتحان للعرب في أقدس مقدساتهم هل يقوون ويصمدون أم يضعفوا وينهزمون أمام عدوهم ورب ضرة نافعة فيقول:"..أما والله يا فلسطين، لكأن أعداء العرب أحسنوا إليهم بتقسيمك من حيث أرادوا الإساءة ولكأن المصيبة فيك نعمة، ولكأنهم امتحنوا بتقسيمك رجولتنا وإباءنا ومبلغ التضحية بالعزيز الغالي فينا..ولكأنهم حبسوا بتقسيمك مواقع الكرامة والشرف منا، وكأن كل صوت من أصواتهم على التقسيم جهير ينادي العرب: أين أنتم؟ فلا زلت مباركة على العرب يا فلسطين[4] ويعود البشير الإبراهيمي إلى الخلفيات التاريخية للقضية الفلسطينية معتبرا منطلقها الحاسم يوم وعد بلفور المشؤوم.

أما يوم التقسيم المشؤوم فحسبه لم يكن سوى تحصيل حاصل وحسبه فإن معشر اليهود عملوا على قدم وساق لتجسيده واقعيا، أما العرب فكانوا على النقيض من ذلك، وفاقد الشيء لا يعطيه".....يا قوم أما ظلمت فلسطين يوم قسمته، ولكنه ظلمت يوم بدل بلفور وعده للصهيونيين باسم حكومته، وما منّا – أهل هذا الجيل- إلا شهد يوم الوعد وشهد يوم التقسيم وشهد ما بينهما، ومن عرف مصادر الأمور

1- المصدر السابق، جزء 2 ص..

2- المقصود بذلك خديعة الإنكليز للشريف حسين الذي وعدوه باستقلال البلاد العربية المشرقية ثم نقذوا الوعد من خلال معاهدة سايسكو.بيكو 1916 بينها وبين فرنسا ثم بموجبها اقتسام المنطقة بينهما

3- الأستاذ أحمد توفيق المدني، حياة كفاح جزء2 ص 391

4- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ونعود إلى فلسطين ، جريدة البصائر العدد 21 (21 ربيع الأول .1367 هـ/1947

عرف مواردها- فانظروا ويحكم- ماذا فعل الصهيونيون من يوم الوعد إلى يوم التقسيم وانظروا ماذا فعلنا علم الصهيونيون أن الوعد لا يعدو كونه وعدا وأن نصه الطري اللين هو:
" إن إنكلترا تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين" فأعدوا لتحقيقه المال، وأعدوا الرجال، وأعدوا الأعمال، واتخذوا من الوقت سلاحا فلم يضيعوا منه دقيقة، واستعانوا بنا علينا... فاكتسبوا من ضعفنا قوة ومن جهلنا قوة ومن تخاذلنا قوة ومن غفلتنا قوة ، ومن أقوالنا الجوفاء قوة، وأصبحت هذه القوات كلها ظهيرا لهم علينا......"[1]

وكان الواجب حسب الشيخ البشير الإبراهيمي يملي على العرب أن يكونوا منذ ظهور الوعد المشؤوم عمليين في نقض الوعد بالسعي للتمكن من أسباب القوة التي تمكن من تحقيق النصر على العدو"...كان الواجب أن نعمل من يوم الوعد لما ينقض الوعد فنجمع الشمل المشتت والهوى المتفرق ونقضي على الصنائع التي اصطنعوها منا ومحارب الواعد والموعود بالسلاح الذي يحاربوننا به ونعلم أن اليهود لا يكاثروننا بالرجال فرجالنا أكثر، ولا يكاثروننا بالشجاعة فشجاعتنا أوفر ، وإنما يكاثروننا بالمال والعلم والصناعة ، فلو كنا ممن يفكر ويقدر ويأخذ بالأحوط الأحزم، لبدأنا من أول يوم بالإعداد والاستعداد، فأعددنا المال وأعادنا العلم واستعددنا بالصناعة...أما وإننا لم نفعل فلنعتبر أن صدمة التقسيم القاسية العنيفة هي تأديب إلاهي ينقي من هممنا الوهن والزغل، وينفي من صفوفنا الكل والوكل وإن الأمم التي تصاب بمثل تأخرنا وتخاذلنا وغفلتنا لمحتاجة إلى إحداث ترجها رجا وتزجها في المضايق زجا. لتنفض عنها أطمار الخمول والضعة " وتطهرنا من أدران الخور والغسولة "[2]

وبناء على ما تقدم يمكن القول أن قضية فلسطين قد اعتبرت عند المثقفين الجزائريين قضية جوهرية ارتفعت في أوقات كثيرة إلى نفس أهمية الوطن، فكانت أعمدة الصحف الجزائرية تغطي كل الأحداث التي كانت تتعلق بها، كما أن هذا الاهتمام لم يكن ظرفيا ولا مناسبتيا، بقدر ما كان اهتماما دائما يعكس مبلغ الوعي الذي وصل إليه الجزائريون آنذاك في مجال التعاطي الإيجابي مع قضية كانت وما زالت تعد من أبرز القضايا المحورية عند غالبية أبناء الأمة العربية الإسلامية، لم تستطع لا الظروف المحلية الصعبة ولا الأحداث الدولية الكبيرة أن تهون من شأنها ولا أن تغطي عليها .

جـ- قضايا المشرق العربي:

إن طوق العزلة الذي فرضه الاستعمار ظلما وعدوانا على الجزائر مع شقيقاتها في دنيا العروبة والإسلام ما كان له أن يقطع صلات الجزائريين بإخوانهم في المشرق العربي فقد كانت مشاهد الأحداث الجسام دائما ماثلة في عقول الجزائريين بل وأحيانا مالكة لكل مشاعرهم القومية الفياضة يتعاطفون معها ويتفاعلون مع أحداثها، وهذا ما نلمسه جليا في مظاهر وأشكال التعبير في الخطـــــاب

1- المصدر السابق.

2- المصدر السابق

النهضوي الجزائري، حيث كانت جرائم الاستعمار الأوروبي وصور البطولة في المقاومات والانتفاضات، ومظاهر النهضة الفكرية والثقافية هي الأخرى حاضرة بكل ملامحها عند الشعراء والكتاب الجزائريين.

فقد كتب الشيخ أبو اليقظان مقالا تحت عنوان " مستقبل جزيرة العرب" كشف من خلاله عن توجس الدول الأوروبية خيفة من التدخل المباشر في شؤون جزيرة العرب لأن ذلك حسبه سيجعل كل العرب والمسلمين في حرب على المعتدين لما تحتله تلك البلاد من مكانة متميزة عندهم وفي ذلك يقول:" جزيرة العرب من بلاد الإسلام كالقلب النابض من الجسد فهو أول ما ينفخ فيه الروح وآخرها. ينزع عنه، ويقدر سلامته وقوته يسلم الجسد وتقوى أعضاؤه والعكس.فلا غرابة إذن من اهتمام المسلمين بجزيرة العرب واعتنائهم بسير أحوالها، وتتبعهم لحركاتها لأن اهتمامهم بها هو اهتمام بمنبع حياتهم وإهمالهم لتلك إنما هو إهمالهم لهذه...وكل سعي من شأنه أن يزهدهم ويصرف نظرهم عنها ويصدهم عن وجهتها فإنما يعد اعتداء على المسلمين، وعملا عدوانيا ضد الإسلام.....[1] ولذلك نجد الدول الغربية تبحث عن أساليب وذرائع أخرى لاحكام قبضتها عليها "...لقد أدركت الدول الغربية هذا وخبرت نفسية المسلمين وعاطفتهم نحو قبلتهم جيدا. ولم تجبر في يوم م الأيام واحدة منهن أن تتدخل بقواتها الحربية لأنها تعلم أنها لغم من الديناميت امتدت عروقه إلى سائر البلاد إذ ألقت فيه شظية من شظاياها ينفجر بعروقه فيزلزل الكرة الأرضية ويقلبها عليها سافلها، ولذلك تجتهد بكل مالها من المهارة الآن إن لا تمس ذلك اللغم مباشرة وإنما تتذرع بذرائع أخرى لتتحكم فيها."[2]

كما أماطت جريدة الأمة اللثام عن مساعي بريطانيا لفرض هيمنتها على منطقة حضرموت العربية من خلال شراء ذمم بعض شيوخ المنطقة وفي ذلك يقول:" إن التنافس الشديد الواقع بين إنكلترا وإيطاليا في الشرق حمل إنكلترا من جديد على توطيد مركزها على ضفاف البحر الأحمر والبحر الهندي على حساب الأمم الضعيفة، ومن ذلك ما وقع أخيرا من ضم حضرموت الإسلامية العربية إلى جملة أملاكها. ولكن بدون جلبة ولا ضوضاء.وإنما عمدت للوصول لهذه الغاية إلى أساليبها السياسية المعاصرة المعروفة وذلك لما أزمعت على تنفيذ غرضها أوعزت إلى بعض خزيي الذمم وميتي الضمائر من المسلمين الذين هم في الواقع آلة هدم وتخريب في العالم الإسلامي أن يبثوا دسائسهم ويستخدموا نفوذهم في هذا السبيل فوعدهم شتى الوعود بأن يوفروا لهم كل أسباب الرفاهــية والراحة...."[3]

ويجئ مقال " ماذا يراد بسكتة حديد الحجاز؟ هو الآخر ليكشف عن مدى حرص المثقفين

1- الشيخ أبو اليقظان، مستقبل جزيرة العرب، وادي ميزاب عدد 46 (1927/8/26).

2-نفس المصدر

3- بدون إمضاء ، كيف أصبحت حضرموت من أملاك التاج البريطاني؟ جريدة الأمة عدد 126 (22-6-1937)

الجزائريين على مساندة إخوانهم في الجزيرة العربية ضد التآمر الانجلو فرنسي على سكة حديد الحجاز العربية الإسلامية حيث أبان صاحب المقال هذا التآمر بقوله:".. بينما نحن في انتظار البت في هذه المشكلة إذ حمل إلينا بريد الشرق ما يفزع كل مسلم ويكدر باله فقد روت لنا بعض الجرائد الشرقية الحرة تحت العنوان أعلاه ما يأتي :" علمنا أن فرنسا وإنجلترا اعتزمتا اقتسام سكة حديد الحجاز وأدواتها وتسجيل اتفاقية بذلك في جمعية الأمم لكي تكون حكومة الحجاز التي ما زالت تطالب بإعادة السكة إلى أصحابها تجاه أمر واقع ولا تقدر في المؤتمر المزمع عقده أن تطالب بحقوقها كما لو كانت الحكومتان غير متعاقدتين على ذلك..."[1]

وعلى لسان كل الجزائريين يستنكر الكاتب الجزائري هذا الفعل ويرى بأن خط السكة الحديدية هو ملك لكل المسلمين والاعتداء عليه هو اعتداء عليهم جميعا مطالبا فرنسا وبريطانيا أتن تركنا إلى الجادة وتعيد الحق إلى نصابه وأصحابه"... وتحن بلسان مسلمي القطر الجزائري نعرب عن انزعاجنا من هذا الخبر المقلق المزمع على إنجازه ، ولا نراه تدخلا غريبا فيما هو مختص بمصالح المسلمين و....عجيبا على حقوقهم المقدسة.

إن هذا الحق ليس حقا بجلالة ابن سعود فقط ولكنه حق لأربعمائة مليون من المسلمين. فالاعتداء على هذا الحق والتصرف فيه إنما هو اعتداء على أربعمائة مليون من المسلمين وتصرف في حقهم وجرح لعواطفهم وعرقلة في طريق الحج وصد عن المسجد الحرام....ولهذا فإننا نحتج ضد كل تصرف فيه من شأنه العبث بحق المسلمين في هذا الخط المكهرب باحساساتهم الدينية. وتطالب إنجلترا وفرنسا أن ترجعا عما اعتزمتا وتعيدا هذا الحق إلى أصحابه مراعاة لعواطف المسلمين واحساساتهم وجبر لخواطرهم، وهما أحوج الناس إلى اكتساب مودتهم وانعطافهم وليس من صالحها إقلاقهم وجرح عواطفهم."[2]

ويرى الشيخ أبو اليقظان أن زمن المد الاستعماري قد ولى فوعي الشرق الإسلامي بنفسه وبما يحاك ضده من مؤامرات كفيل بإفشال كل مسعى في هذا المنحى"..فلتبشر أوروبا جمعاء وخصوصا إيطاليا وألمانيا بأن شرق اليوم غير شرق الأمس، وإن زمان استبلاده الشرق قد فات ولتقتنع بحظها، ولتستمر بتوخي العدل والإنصاف وتعميم المساواة بين الناس ، فإن العدل هو أساس العمران ومصرع الظلم وخيم والإكثار من الأكل يسيئ الهضم ولها عبر وذكر في الأمم الماضية.
وليدأب ابن الشرق الناهض في سيره واسع الخطا إلى الأمام ولكن في دائرة الإسلام العزيز فإن الحرية والسعادة في انتظاره هناك.[3]

كما رأى في ظهور الحركة الوهابية في الحجاز بمثابة الحركة القومية الإسلامية التي تسعى

1- الشيخ أبو اليقظان ما ذا يراد بسكة حديد الحجاز ، جريدة وادي ميزاب عدد 70 (1927/7/15

2- نفس المصدر.

3- الشيخ أبو اليقظان، ماذا يخبئ الغرب للشرق، جريدة وادي ميزاب عدد 18) 28-1-1927

لتجديد شباب الجزيرة العربية التي هي قبلة المسلمين، مستبشرا بما يقوم به الإمام يحي في سبيل النهوض ببلاد اليمن، وإحياء مجد الإسلام بها، مطمئنا لما يسعى إليه الإمام الخليلي في استرداد مجد عمان وعظمتهم ، معتقدا بأن هذه الحركات إنما تدل على ظهور المملكة العربية في مسرح الدول الكاملة العدة والعتاد عما قريب بإذن الله(1)

وعندما اندلعت الثورة السورية ضد الاحتلال الفرنسي في سنة 1925 م راح الأستاذ أبو اليقظان يشيد بمآثرها، معرضا في نفس الوقت بالاستعمار الغربي وجرائمه في حق الشعوب المغلوبة على أمرها.

وفي ذلك نلمس ذلك الوعي الكبير عند المثقفين الجزائريين إزاء ما يتعرض له إخوانهم في المشرق العربي.

أين صرح المجد عن أسس الضحايا وأشد صرح العلا رغم البلايا
خضي غمار الهول خوضـــــا إنما لؤلؤ التيجان في بحر المنايا
إنما الدنيا جهاد..من ينـــــــــم يومه داسه أقدام الرزايـــــا
ولنيل الحق أدوار غدت خطوات حازها أهل البرايا(2)

ويرى بأن الحرية تؤخذ ولا تعطى وأن الحقوق لا تقابلها إلا التضحيات ليس حكم النفي والسجن، ولأن الحكم بالشنق له إلا مطايا

أي شعب؟ نال ما نال إذا لم يقدم سلفا تلك الهدايا
أي شعب نال حريته وهو لم يطلع لها تلك الثنايا (3)

ويسفه ما كان يبشر به الاستعمار الشعوب المغلوبة على أمرها من دعوى نشر الحضارة والمدنية كاشفا عن الوجه الحقيقي للاستعمار فيقول:

إن أهل الغرب خطوا خطة لبني الشرق بدت فيها خـــفايا
بدت البغضاء عن أفواههم وهي عنوان على ما في الطوايا
زعموا أنهم رسل السلام وهم غرقى بأوحال الخـــطايا
سفهوا أحلام (ولسون) وقد كان روح السلم في تلك الوصايا
وبأيدي هادمي (باستيلهم) هدموا في الشرق هاتيك البقايا (4)

1- د/ محمد ناصر ، أبو اليقظان وجهاد الكلمة ص 133-134
2- د/ صالح خرفي، صفحات من الجزائر .ص 298
3- نفس المصدر ، ص 298 .
4- نفس المصدر ، ص 298

ويتوعد الاستعمار بأوخم العواقب مبشرا الشعوب المستعمرة بنيا استقلالها بفضل الجهاد فيقول:

لا تته يا غرب فالظلم له: أمدان حل حلتـــك بلايا
فبنوك الصم طاروا وعلوا فأثاروا عنهم كل الرعايا
فلكم شعب ضعيف هب من نومه وافتــــــــــه
فإذا جاهد في استـــــقلاله مستميتا نال أنواع العطايا
إن للحق لسلطـــــــانا إذا خفقت رايته أيدي المزايا[1]

أما الأستاذ أحمد توفيق المدني فقد اغتنم مناسبة إجراء الانتخابات في مصر ليدافع عن خيار الشعب المصري معتبرا انتصارا حزب الوفد[2] في الانتخابات بمثابة عهد جديد بمصر كاشفا عن القوى السياسية المغرضة التي حاولت إفشاله ولكنها فشلت ولم توقف لثقة غالبية الشعب في الوفد. "....الأمر المحقق هو أن أغلبية الأمة تثق بحزب الوفد ثقة مطلقة . لقد عمل القصر من جهته، ولقد عملت سائر الأحزاب الأخرى من جهتها على تحطيم سمعة الوفد والحط من قيمة رجاله وزعمائه، وإلصاق التهم المختلفة بهم، فما أغنى ذلك عنهم شيئا ...إن مصر سائرة في طريق النهضة والاستقرار هذه حقيقة مسلمة لا ريب فيها...[3]

وحتى يكتب لهذه التجربة الديموقراطية الفتية النجاح والبقاء والاستمرار لا بد من وجود مصالحة بين الملك، وحزب الوفد من منطلق الإيمان بالمصلحة العامة ما دامت التجربة قد بينت بأن إرادة الشعب هي التي ستنتصر في النهاية مهما اعترى طريقها من عراقيل وعقبات داخلية أو خارجية "... لا شك أن التجربة الطويلة القاسية قد رأت الملك أن مغالب حكم الشعب المغلوب؛ وان الوفد الذي لم يستطع تحطيمه الإنكليز ولا القصر، ولا الدعايات المختلفة الطائلة ، ليس هو بالحزب الذي يلين ويستكين، فلعل الملك يكون مع المجلس الجديد ومع الوزارة الجديدة، الين عودا، واسلس قيادا وافهم مما كان لحقائق الأمور.

كما أنه لا شك بأن الوزارة الجديدة ، سوف تدرك أنه لا طائل من وراء استثارة الملك واستفزازه وإرغامه على قبول الدور الذي يقوم به ملك الإنكليز، وسوف نستفيد من دروس السنوات الطويلة التي مرت في الصراع قبل الحرب الأخيرة وبعدها؛ فتتألف جبهة مشتركة بين القصر وبين الشعب الذي تمثله حكومته وينطق باسمه مجلسه النيابي وعندئذ يمكن أن تقف الأمة المغربية وقفة الرجل الواحد لنسف ما بقي للإنكليز في البلاد من نفوذ وسلطان، وتفويض أخر ما بقي من آثار الاحتلال الأجنبي ، ولفـــــــض

1- المصدر السابق، ص 299

2- من الأحزاب السياسية الوطنية التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ مصر الحديث من رؤوسه نذكر السادة : محمود سليمان باشا، رئيس لجنة الوفد المركزية ،أحمد لطفي السيد كاتب الحزب الأول، سعد زغلول وأخوه، فتحي زغلول

3 أحمد توفيق المدني ،انتخابات مصر، جريدة البصائر، عدد 102 جانفي 1950

مشكل السودان المؤلم حقق الله الآمال"[1]

واضح من هذا أن الأستاذ المدني الذي تمنى على الوفدين ورجال القصر الملكي بمصر أن يتصالحا ويتعاونا على الاستعمار قد غاب عليه أن الحكم الملكي في البلاد المصرية لا يستند داخليا إلا القوى الرجعية المستفيدة منه وخارجيا على قوى الاستعمار الإنجليزي التي تريد فرض وصاية أبدية على مصر وتبقي على مصالحها وليس لها من معين على خطتها هذه إلا حكم صوري كحكم الملك فاروق. ولما بدأت أيام الاستعمار الإنجليزي معدودة ودخلت في عدّها العكسي ، وصار شغل الوطنيين المصريين الشامل هو البحث عن إحداث تغييرات جذرية في البلاد ترفع الغبن عن مصر والمصريين وقف الشيخ البشير الإبراهيمي بقلمه مع مصر وقفة حازم فكتب .....تحت عنوان" محنة مصر محنتنا" مع رياح هذا التغيير قال في مستهله "...تعاني مصر العزيزة هذه الأيام ما يعانيه الحر الأبي، أكره على الضيم أريد على ما لا يريد، وجرع السم مدوفا في الحنظل، وقطعت أوصاله وهو يشعر واستبيحت محارمه وهو يسمع ويبصر، حتى استيأس من الإنصاف ونفذ صبره، خطا الخطوة الفاصلة ، وأقدم على تحطيم القيد بنفسه، وعلى تمزيق الصحيفة التي أملتها القوة على الضعف، فقبلها مكرها كمختار وكانت أهون الشرين، فأصبحت بحكم الزمان، أثقل الخطبين."[2]

ثم يضيف حاثا المصريين على الثبات والصمود و وحدة الصف لاسترجاع الحقوق المسلوبة فيقول:"...الآن يا مصر....الآن وقد وقعت على مفتاح القضية وقد أقدمت فصممي واحذري النكول والتراجع فإنهما مضيعان للفرصة اجعلي من أرضك صعيدا واحدا واجمعي أبناءك كلهم فيه صفارا واحدا، بقلب رجل واحد على الحفاظ والنجدة والاستماتة في حقك والموت في سبيله، واجعلي من وجهيك وجها واحدا مستبين القسمات، واضح السنن يراه عدوك فلا يرى إلا الحق مشرقا، والغضبة بارزة العنوان...ليت شعري...لو لم تصنع مصر ما صنعت ، فماذا كانت تصنع؟ أكانت تستجدي للغاصب، فتبقي مقيدة به، يعادي فتعادي بلا سبب، ويحارب فتحارب بلا أجر ولا غنيمة ويرضى فترضي بلا موجب، ويواصل فتواصل على مضض[3] وباسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يقدم الشيخ البشير الإبراهيمي مساندته المطلقة للشعب المصري في معركته مع الاستعمار الإنجليزي فيقول:"..إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المعبرة عن إحساس الشعب الجزائري كله تعلن تأييدها للشعب المصري وتضامنها معه في موقفه الحازم، ولا تصدها عن أداء واجبات الأخوة هذه الحدود الوهمية التي خطها الاستعماريين التي أقامها بين أبناء الوطن الواحد لأن العواطف الجيّاشة كغثاثين السيل لا

1- المصدر السابق
2- الشيخ البشير الإبراهيمي، محنة مصر محنتنا، جريدة البصائر، عدد 174-1951
3-المصدر السابق

تردها حدود ولا سدود وجمعية العلماء تحي جهود الشعب المصري المجاهد في سبيل حريته واستقلاله، وتدعو له بالثبات في هذا المعترك الضنك وبالانتصار في هذه المعركة الحاسمة.."[1]

وفي مقاله "يا مصر." نرى الشيخ البشير الإبراهيمي يعود إلى التاريخ في قراءة حضارية لتاريخ مصر الحديث حيث يستوقفنا ....الشيخ البشير الإبراهيمي في تسليطه الضوء على زعماء مصر وعوائق النهضة والرقي مثل علي باشا"..خف إليك فالحقك بزمانك، وبالقوافل السائرة من بني زمنك، وأراد لك أن يكون محلك من الغرب أماما، وأن تكوني من الشرق أما وأمة وإماما، فما غابوك ولكنهم هابوك، فنصبوا لك في كل حفرة عاثورا. و وضعوا لك في كل فج فخا، واجمعوا على أن لا تكون لك جارية في بحر، ولا سارية في بر فمن بعض ذلك كل ما تعانين.."[2]

ولئن مصر آنذاك بما توفر فيها من مناخ سياسي وجو ثقافي فقد كانت مقصد كل مثقف وسياسي، فقد رأى فيها الشيخ البشير الإبراهيمي ملاذا للعروبة وقبلة للمسلمين"..أنت اليوم مثابة العروبة في ثراك حيي بيانها، وبسقت أفنانها ، وفي رياضك تفتحت أزهارها وغردت بلابلها، ففي ذمة كل عربي حر الدم لك دين واجب الوفاء وهذا أجل الوفاء، وأنت اليوم قبلة المسلمين، يولون وجوههم إليك كلما حزبهم أمر أو حلت بهم معضلة ، وينفرون إلى معاهدك ، يختارون العلم منها، وإلى كتبك يصححون الفكر والرأي عنها وإلى علمائك يتلقون...الفتيا الفاصلة في الدين والدنيا عنهم[3]فلك بذلك على كل مسلم حق وهذا أوان الحاجة إليه[3] .

ويقارن بين ما تطمح إليه مصر من بلوغ المعالي وما ترنو إليه الجزائر من نيل الحقوق، فيقول:" ويا مصر، نحن وأنت سواء في طلب الحق ومطاردة غاصبيه، ونحن وأنت مستبقون إلى غاية واحدة في ظلام دامس ، ولكنك أصبحت، فيا بشراك ويا بشرانا بك، ولم نزل نحن في قطع من الليل ، نرقب الفجر أن ينبلج نوره وما الفجر منا ببعيد"[4]

أما الكاتب (العربي) بجريدة المنار فقد ذهب في مقاله " بين مصر وإيران" إلى أن ما يقوم به المصريون من كفاح مجيد ضد الاستعمار الإنجليزي يستوجب على كل العرب المسلمين أن يدعموه بكل ما يقدرون عليه، معتبرا أن المعركة ضد الاستعمار هي معركة واحدة"

" وهذا الحساب لم يكن بين شعب مصر والإنكليز فقط بل سيكون لا محالة بين جميع العرب والمسلمين من جهة والمستعمرين الإنكليز وتوابعهم من جهة أخرى لأن العروبة والإسلام شيء واحد وجميع العرب والمسلمين قد وحدت بينهم زيادة على روابط التاريخ واللغة والعقيدة روابط الآلام والآمال[5]

1- المصدر السابق
2- الشيخ البشير الإبراهيمي، يا مصر جريدة البصائر ، عدد 178 1952
3- المصدر السابق.
4- المصدر السابق
5-العربي، بين مصر وإيران،جريدة المنار ، عدد 12 (1371 هـ-1951 م)

والأكثر من هذا نجد الكاتب يدعو صراحة أبناء الشعوب العربية الإسلامية إلى الاقتداء بكفاح المصريين فيثوروا هم بدورهم ضد الاستعمار لكي يطيحوا به، فيقول:"....وفي هذه المعركة الحاسمة يحتم الواجب على كل عربي وعلى كل مسلم في الشرق وفي المغرب العربي أن ينضوي تحت لواء الجهاد في سبيل الحق بكل ما يملك من غال وعزيز وأن يأخذ بيد كل من يأبى الخضوع والاستكانة وأن يمضي قدما غير هياب كما يفعل أبناء مصر اليوم وهم وجها لوجه مع العدو الذي عميت أبصاره عن الحق الصارخ ولتبرهن شعوب العرب والمسلمين في هذه الساعة الدقيقة عن تاريخ يقظتها لأنها شعوب آمنت بالله وحده وبوعده الحق وأنه لا غالب إلا الله."[1]

وعلى هذا النحو كذلك، يجئ مقال بدون توقيع تحت عنوان " الاستعمار الغربي في اندحار" لكي يسلط الضوء على نتائج الانتخابات في السودان حيث عبر الشعب السوداني عن قناعة في الحرية والاستقلال ورفض الوجود الإنجليزي في بلاد السودان مبتدءا مقاله بالجزم بأن النصف الثاني من القرن العشرين هو نهاية الاستعمار "..ولا شك في أن النصف الثاني لهذا القرن سيشاهد زوال البقية الباقية من الاستعمار الغربي زوالا تاما عن العالم، وبوادر ذلك تلوح واضحة تكاد في كينيا والهند الصينية والسودان وإفريقيا الشمالية التي تقاوم في سبيل تحررها من الأغلال الغربية مقاومة مستمرة مليئة بالأحداث المفاجئة[2]

ويعرض إلى خيبة الاستعمار الإنجليزي في السودان بناء على نتائج الانتخابات التي لم يتوقف التطلع فيها على الاستقلال فقط بل وأيضا في الطموح نحو الوحدة فيقول:"...أسفرت الانتخابات السودانية عن نجاح "الاتحاديين الذي يطالبون بوصل السودان بمصر بعدما فصله عنه الاستعمار الإنجليزي ، وقد جاء هذا النجاح باهرا رغم ما بذله الاستعمار من مناورات ومكايد لمنع" الاتحاد" بين مصر والسودان الذي هو جزء منها جغرافيا وجنسيا ودينيا ولغة وتاريخا ومصلحة"[3] وقريب من هذا الطرح تلفى مقال الكاتب"الحارث" تحت عنوان " في سبيل وحدة إسلامية" الذي لمس في التقارب السوري المصري ما يؤشر على تحقيق وحدة عربية إسلامية وذلك بمناسبة زيارة رسمية للعقيد أديب الشبشكلي رئيس أركان حرب الجيش السوري لمصر حيث يقول"..لعل أبرزها في هذه الزيارة الاتحاد الجدي إلى وحدة عربية إسلامية لأن الظروف السياسية والغاية التي تهدف إليها مصر والشعـوب

1- المصدر السابق

2- الاستعمار الغربي في اندحار ، جريدة المنار ، عدد 50 (5 ربيع الثاني 1373)

3- المصدر السابق.

العربية الحرة تحتم على المسلمين أن ينظروا نظرة جدية إلى واقعهم وأن يجابهوا أعدائهم لإفرادي كما كانوا يفعلون بل متكتلين متحدين...وعليه نحن الشعوب المغربية نسعى في إيجاد تجاوب عملي بين مساعي إخواننا المسلمين وبين مساعينا الداخلية المتنوعة فذلك خير لنا وأجدى"[1]

وفي سبيل التمكين لإرادة الشعب العربي هاجم الكاتب الطاهر حميدات" نظام نوري سعيد في العراق ورأى فيه كابوسا على كاهل الشعب العراقي الذي صار يرى كيف تنهب ثرواته وتصادر إرادته ولا يقدر على تغيير الأحوال من فرط التحالف القوي بين هذا الرجل العميل والاستعمار البريطاني الذي كان يرى في المحافظة على هذا الرجل في الحكم محافظة على مصالحه"..في العراق رجل معروف بسياسته القائمة على التقريب بن العراق وبريطانيا وهذا الرجل هونوري السعيد صديق لورانس الشهير وآخر أركان النفوذ الإنجليزي في الشرق العربي، وقد ظل هذا الرجل مسيطرا على الحكم في المملكة العراقية منذ نشأتها ولكن سياسته تجاه بريطانيا لم تتغير ولم تتحور ، والوجوه التي تتداولت معه على الحكم هي لم تتغير ولم تحور أساليب حكمها بينما الاستعمار الإنجليزي جاثم في مكانه لا تتزحزح ما دام باقيا باسم معاهدة 1933 م التي ينادي الشعب العراقي بإلغائها وباسم شركة البترول التي بحت حناجر العراقيين في المطالبة بتأميمها[2]."

ويكشف صاحب المقال عن أن السبب الذي يقف من وراء عدم خروج الاستعمار الإنجليزي من العراق هو سياسة النظام العميلة له"...والشعب العراقي على يقين بأن الإنجليز إذا لم يخرجوا" بعد من بلاده كما خرجوا من غيرها من البلدان والأوطان حسب سياسة القائمين على الحكم في العراق تلك السياسة التي تحتمي بالتشريعات الدستورية التي أنكرها...."[3] وتمنى في الأخير الكاتب للشعب العراقي مستقبلا زاهرا حيث يقول:"....أما نحن فأملنا الذي هو أمل كل عربي وكل مسلم أن يشرق على العراق عهد جديد يحفه العدل والطمأنينة والرفاهية ، وأن يحقق كل أمانيه في هدوء وسلام"[4]

وخلاصة ما يمكن استنتاجه مما سبق عرضه هو أن القضايا العربية قد احتلت مكانها المرموق في خطاب الجزائريين في بعده الثوري حيث رأى المثقفون الجزائريون في صراع إخوانهم المشارقة مع الاستعمار الغربي هو صراعهم أيضا ما دامت آلام وآمال كل العرب واحدة مشرقا ومغربا ، ومن ثمة نجد في كتابات الجزائريين تعريض بالاستعمار وأشكال التآمر على بلدان المشرق العربي، مساندة مطلقة لثروان المشرق العربي ضد الاستعمار.

1- الحارث ،في سبيل وحدة إسلامية ،جريدة المنار 199952

2- الطاهر حميدات، حوادث العراق ، جريدة المنار عدد 13 (26 ربيع الأول 1372 –1952/12/12

3- نفس المصدر

4- نفس المصدر

د- قضايا العالم الإسلامي:

اهتم المثقفون الجزائريون بمجمل قضايا العالم الإسلامي وحرصوا كل الحرص على الانفتاح عليها والتفاعل معها انطلاقا من الحديث النبوي الشريف " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" فقد كانت أصداء المؤثر الإسلامي الكبير المنعقد بالقدس سنة 1931 م حاضرة في الصحافة العربية بالجزائر، فتحت عنوان "اليوم المشهود للعالم الإسلامي بالقدس الشريف" كتبت جريدة النور الجزائرية عن مجمل ما جاء في هذا المؤتمر الذي سجل الحضور الجزائري فيه عن طريق الأستاذ الشيخ إبراهيم اطفيش، والذي تم انتخاب الحاج أمين الحسيني[1] مفتي فلسطين رئيسا لهذا المؤتمر، وثماني لجـان هي:1- لجنة القانون الأساسي 2- لجنة المحافظة على الأماكن المقدسة في لجنة الجامعة والثقافة 3- لجنة الجامعة والثقافة 4- لجنة النشر والدعاية 5- لجنة الدعوة والإرشاد 6- اللجنة المالية 7- لجنة السكة الحديدية الحجازية 8- لجنة الاقتراحات [2]

كما نقلت جريدة النور خطاب الشيخ أمين الحسيني في المؤتمرين والذي نبه فيه إلى المخاطر المحدقة بأقطار العالم الإسلامي حيث دعا إلى اليقظة والوحدة "..أيها الإخوان إن حالة المسلمين كما نشعر بها جميعا حالة تدعو إلى الانتباه والحذر وإلى العمل يدا واحدة على درء هذه الأخطار الجمة المختلفة النواحي والوجهات التي تكاثفت على هد الإسلام وتغريق حرمته وإضعاف شأنه..أيها الإخوان الكرام إن أكثر الأقطار الإسلامية قد فقدت عزها وسلطانها وأصيبت جميعا بمحن وكوارث عديدة أثقلت كاهلها ،. ولكن فلسطين هذه البلاد المقدسة التي قامت بالدعوة إلى هذا المؤتمر أصيبت زيادة على ذلك كله بمصيبة خطيرة تهدد كيانها بإنشاء وطن قومي صهيوني في هذه البلاد العربية الإسلامية المقدسة[3]

كما عبر الأستاذ الشيخ إبراهيم أطفيش عن قلقه العميق من ذلك التكالب الغربي الكبير على بلدان العالم الإسلامي عقب الحرب العالمية الأولى فكتب تحت عنوان " ماذا يراد بالإسلام والمسلمين " مقالا فيما جاء فيه"..لقد افتتحوا الممالك الإسلامية المستقلة فكانت من غنائمهم ...تعمل لفائدتهم وتفكر بآرائهم وتستجدي بنتائجهم ، وتتأدب بآدابهم وتتحلى بأزيائهم....إن غفلة المسلمين لعجيبة وهل تطويق جزيرة العرب بعيدة عنهم أمام الفتنة القائمة في الحجاز بخفية أم صفع الأمة الفارسية في مؤتمر السلام الماضي

1- هو مفتي فلسطين المجاهد الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني ، ولد سنة 1877 وتعلم القرآن الكريم والعلوم الشرعية والعصرية واللغات في المدارس العثمانية وتابع دراساته العليا بالجامع الأزهر وتتلمذ على يد الإمام الشيخ محمد عبده، قاوم طوال حياته الحركة الصهيونية والاستعمار الإنجليزي، للمزيد عنه أنظر ، زهير ما رديني ، فلسطين والحاج أمين الحسيني ط(1) دار أم بيروت 1986

2- أنظر جريدة النور عدد 15 (29-12-1931)

3- الشيخ الحاج أمين الحسيني ، الخطاب الافتتاحي للمؤتمر الإسلامي العام في القدس ، جريدة النور عدد 16 (5-1-1932)

لم يطرق آذانهم (1) .

أما الأستاذ حمد توفيق المدني ، فقد فضح من خلال مقاله في مجاهل الثورة الأفغانية " دور الإنكليز الماكر في إسقاط الأنظمة الوطنية الإسلامية وتشجيع القوى العميلة لكي تحل محلها ، ومن ثمة تستمر الهيمنة الاستعمارية على البلاد الإسلامية "..وكانت على حدود الأفغان يد تتستر بقفاز أسود، وتعمل في الظلمات أعمالها ، وتسهر على نسج الشباك التي توقع أمان الله تحت أقدام أعدائه ، وتحطم النفوذ التركي الذي أوجده الملك في بلاد الأفغان، وتجتث أصول النفوذ الروسي، وترفع على أنقاض ذلك صرحا مشيدا يخفق فوقه علم تنبين البحر الإنجليزي.."[2] ويمضي كاشفا عن الأدوات البشرية في تنفيذ هذه الخطة خطة الانقلاب على الأنظمة التي ل تريدها. فيقول".وما كانت تلك اليد التي وضعت الخنجر في كف الشريف حسين[3] ليطعن بها الأتراك عام 1915 م ، ووراء ظهورهم وهم يولون وجوه الحملة شطر ترعة السويس، وإنها لهي اليد التي قبضت على فيصل ملك العراق فوضعته على .....السياسة، وأثارت تلك الثورة العربية الشعواء في قفاز الجزيرة، ورفعت الحسين بن علي على عرش مكة الواهي إلى أن أسقطته عاصفة نجد، إنها يد الكولونيا لورانس[4] وما أدراك ما هي، وذلك هو الرجل الذي أسندت الدوائر الإنكليزية التي يهمها سقوط آمان الله مهمة تدبير إسقاطه[5]

وسلط الضوء على ما كان الإنكليز يقترفونه من جرائم في حق الشعب الهندي مبينا ذلك الفشل الذريع الذي مني به المستعمرون على يد أحرار الهند ومكافحيها " تعنت الإنكليز فأسرفوا في تعنتهم ، وحاولوا قمع حركة الأمة الهندية التواقة إلى الحرية ، الناشدة الاستقلال المستميتة في سبيل التحرير ، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

إلا أن إرادة الشعوب فوق كل إرادة، وقوة الأمم فوق كل قوة، وعزيمة الجماهير المتحدة إنما هي فولاذ متين ينكسر أحيانا إنما لا يلين أبدا[6].

ولما تأسست دولة باكستان الفتية بشطريها الشرقي والغربي سنة 1947 م ، وحدث الطلاق بينها وبين الهند البوذية، قدم لها الأستاذ مراد كيوان ترجمة صافية بجريدة المنار حيث قدمها إلى جمهور القراء كدولة إسلامية جديدة حيث عرض بداية إلى جهاد المسلمين ضد الاستعمار الإنكليزي ، ثم إلى

1- د/ محمد ناصر الشيخ إبراهيم أطفيش، في جهاده الإسلامي ...ص 73
2- الأستاذ أحمد توفيق المدني، في مجاهل الثورة الأفغانية ، مجلة الشهاب ، الجزء 1 المجلد 5 (رمضان 1347 هـ فيفري 1929)
3- قائد الثورة العربية وثق في الإنجليز و وعودهم الكاذبة وإنجاز إلى صفوفهم أثناء الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب لم يحصل على طائل وانطلت عليه الخديعة وكذلك من يأمن كافرا خارجا عن الملة.
4- ضابط إنجليزي شهير ساهم بقسط وافر في خدمة بلاده بالمشرق ، واختلط بالعرب للتمويه فأخذ كل المعطيات عنهم سمي لورانس العرب، ذكر في مذكرته " اهدافنا الرائيسية تفتيت الوحدة الاسلامية و دحر الامبراطورية العثمانية وتدميريها...." انظر زكرياء سليمان البيومي العرب بين القومية والاسلام، دار القاهرة 2002-ص 272
5- المصدر السابق
6- المصدر السابق

تأسيس الجامعة الإسلامية سنة 1906 كرد على تأسيس المؤتمر الوطني الهندي المعين من قبل الإنكليز انتهاء إلى الانفصال وتأسيس الدولة الباكستانية سنة 1947 م [1]

كما عرضت جريدة المنار أيضا من خلال مقال طويل من دون توقيع للحياة السياسية بدولة باكستان ، حيث كشف صاحب المقال عن قوة حزب الرابطة الإسلامية رائد كفاح الشعب الباكستاني قرابة نصف قرن من الزمن وكيف تمكن من الفوز على خصومه من باقي الأحزاب السياسية بما فيها الحزب الشيوعي الباكستاني الذي كان يهدف إلى قلب الحكومة ولو باستعمال القوة إذا تطلب الأمر ذلك وإنشاء الروابط المتينة مع الاتحاد السوفياتي[2]

وعندما تناول الكاتب(ابن عمار) مسألة الثورة الإيرانية لم يخف إعجابه بها، بعد أن تمكنت من أن تضع حدا للامتيازات الاقتصادية البريطانية في البلاد التي عاثت فيها فسادا مشيدا ف ذلك بالزعيم الدكتور مصدق الذي تجسدت فيه إرادة الشعب حيث يقول"..إن إيران أثقلت كاهلها المفاوضات والمباحثات في مسألة تأميم البترول، لولا إرادة الشعب التي مدها مصدق لتنتزع البترول من الإنجليز لما تم لها ذلك ولو مشت مطامح الشعب الإيراني على جسر المفاوضات لامتد هذا الجبن إلى لآخر الدنيا ومما حدث أخيرا في إيران ندرك أن المشكلة الإيرانية ليست مشكلة سياسية فحسب بل هي مشكلة شعبية ونزاع بين إرادة الشعب وبين الذين لا يمثلون هذه الإرادة"[3]

ومضى الكاتب ابن عمار في تصوير تعلق الشعب الإيراني بالدكتور مصدق ما دام حريصا كل الحرص على تأميم الثروات والسير ليلا نحو نهضتها فيقول متحدثا عن إرادة الشعب الإيراني" هذه الإرادة التي تقول: إن الاستعمار الإنجليزي لا ينبغي أن يتدخل في مسألة البترول ، ولا نريد مفاوضة ولا مباحثة وتقول: ليس لنا ثقة في أحد ما دام مصدق راغبا في تسيير شون البلاد وهو الأولى من غيره لقد ساس الدولة على مقتص إرادة الشعب، فيجب أن يمد بما طلب ليتم تسيير البلاد في السبيل الذي أرضته البلاد..إن إيران أعطت المثل الكامل في تنفيذ إرادة الشعب، فليعلم الاستعمار الإنجليزي أن الكلمة للشعب في النهاية ولن يخشى هذا الشعب صولة الأسطول البريطاني[4]

وفي مقال للأستاذ أحمد المتيجي تحت عنوان:"عبرة إيران" نجد الأبعاد الحقيقية لثورة إيران بقيادة الدكتور مصدق وخلفياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي جاءت كحتمية تاريخية لمبلغ ما وصل إليه امتهان الاستعمار الإنجليزي للشعب الإيراني في حقوقه السياسية والاقتصادية ، حيث يقول :"....إن كان التاريخ عبرة لمن اعتبر فإن القضية الإيرانية الإنكليزية أكبر عبرة للطغاة الظالمين وللضعفاء المظلومين، فبقدر ما أظهرت إنكلترا من الظلم والتجبر على إيران واستغلال ثروته برهنت

1- مراد كيوان، دولة باكستان ، جريدة المنار عدد 16 (1371 هـ /1952)
2- أنظر جريدة المنار عدد 5(27 رمضان 1371 هـ/ 20 يونيو 1952)
3- ابن عمار، ثورة إيران ، جريدة المنار ، عدد 8-10 ذي القعدة 1371 هـ 1 أوت 1951 م
4- المصدر السابق

إيران على مقاومة التصدي والتمسك بحقوقها المغصوبة"[1]

ثم يصور بكل دقة معاناة الإيرانيين التي دفعتهم للثورة والتمرد على الاستعمار من خلال استحضار مشاهد اجتماعية مزرية كان يعيش فيها الإيرانيون فيقول".نادى الشعب الإيراني فقال: إني جوعان وخبزي يأكله الإنكليز ولا نرضى أن نموت جوعا وخيراتنا يتمتع بها الأجانب بدعوى معاهدة فرضت علينا كما فرضت سائر المعاهدات على الأمم الضعيفة و لا نسمح لكائن أن يستثمر ثروة إيران والإيرانيون محرومون منها مهما كلفني الأمر ولذا فإنني أو مم نغطي لا يستفيد فيه كما استفاد الشعب الإنجليزي وغيره من تأميم معادنهم...[2]

ويدافع الكاتب عن الثورة كل المزاعم التي تريد أن تجردها من أصولها المحلية الوطنية حتى إن كان لها نصيب من العوامل الخارجية فيقول:"..إن هذا الانتصار الذي لم يكن ينتظره كثير من طغاة الاستعمار ولم يرجه ضعفاء الإيمان من المستضعفين ينسبه البعض إلى تعقل بريطانيا ويؤوله البعض بقرب روسيا من حدود إيران ويعلله آخرون بتعرض أمريكا للإنكليز في استعمال القوة ، نحن وإن كنا لا ننكر بعضا من هذه الأسباب فإننا نرى سببه الحقيقي راجعا إلى موقف الشعب الإيراني وزعمائه وثبات الإيرانيين الذين وهبوا أموالهم وأنفسهم وأقسموا يمينا ألا يحيوا إلا سادة في وطنهم وملوكا لثروة بلادهم..[3]

ونلمس في مقال " بين مصر وإيران" لصاحبه (العربي) تلك المتابعة الذكية لكل أوجه التوجهات الوحداوية التي ظهرت في مطلع الخمسينات بين بلدان المشرق العربي الإسلامي.

وهي في الواقع تطلعات شعوب المنطقة إلى التكتل لقطع الطريق على كل أشكال الاستعمار الغربي، وقد سبق هذا إنشاء حلف بغداد ، الذي ظهر سنة 1955 ليخدم المصالح الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية يقول صاحب المقال عن شعوب المنطقة".. لقد آمنت كلها وبيانه هذه المرحلة الأخيرة التي دخلت فيها سياسة التعاون الناجع بين دول الشرق الأوسط ، وليس أدل على هذا أيضا من الحلف المزمع إبرامه بين إيران ومصر عند مرور الدكتور مصدق بالقاهرة إثر عودته من الولايات المتحدة كما ينص عليه التصريح المشترك الرائع الذي أذيع في كل من طهران والقاهرة في وقت واحد يوم 22 نوفمبر 1951 .

وخلاصة القول أن هذا المسلك الجديد في سياسة الدول الشرقية التي أصبحت آيات وعي شعوبها بينات وهو وعي غرسه ونماه ألم الظلم الاستعماري الفادح الذي يحاول عبثا الغرب الحسود الهرم أن يهزأ به...."[4]

1- الأستاذ أحمد المتيجي ، عبرة إيران ، جريدة المنار ، عدد 10 /21 محرم 1371 1951/10/22

2- المصدر السابق.

3- المصدر السابق

4- (العربي) بين مصر وإيران ، جريدة المنار عدد 12 (1371 هـ)

وما يمكن استنتاجه مما سبق عرضه أن قضايا العالم الإسلامي كانت جزءا لا يتجزأ من انشغالات الجزائريين حيث لم تمر حادثة في بلد من البلدان الإسلامية من دون أن تجد لها صدى في أدبيات المثقفين نثرا أو شعرا ، مهما بعدت الدار ونأى المزار.

خلاصة:

إن أهم الاستنتاجات التي يمكن أن نخرج بها من خلال محاور فصلنا هذا المعنون بـ " الأبعاد الثورية والمواقف السياسية في الخطاب النهضوي" ما يمكن أن نبرزه في النقاط التالية:

- إن خلفيات الأبعاد الثورية في الخطاب النهضوي هي تعبير عن ضمير الأمة الحي الذي سرت فيه الروح بعد طول غيبوبة ، وترجمة كذلك لمعاناة شعب طال ليله فصار يفصح تصريحا وتلميحا عن رغبته في التحرر والانعتاق ، ولم يبال بلومة لائم أو سطوة ظالم.

- لم يكن ثمة تعبير في مستوى آلام وآمال الشعب لو لم تعرف الجزائر نهضة أدبية ثقافية أوجدت أقلاما وطنية ناضجة لعبت الدور المنوط بها، في تسجيل الأحداث الوطنية وتستجيب بها الجرائم الاستعمارية

- إذا كان خطاب الثورة على الاستعمار محتشما ورمزيا قبل أحداث 8 ماي 1945 فإنه بعد هذا التاريخ صار دعوة صريحة لتنظيم وتوحيد الصفوف استعدادا لتحرير البلاد من الاستعمار.

- كان البعد الثوري في الخطاب النهضوي حقيقة ملموسة عندما فشلت كل النضالات السياسية الوطنية في استفادة السيادة الجزائرية وتبدى ذلك في مظاهر وأشكال من الدعوات من نصوص وأشعار وأناشيد تحرض الشعب على خوض غمار الكفاح المسلح ضد عدوه.

- ساند المثقفون الجزائريون وهم في غمرة كفاحهم كل قضايا المغرب العربي والأمة العربية الإسلامية.

- ألقت القضية الفلسطينية بظلالها على الأحداث الوطنية وصار مع تزايد الخطر الصهيوني عليها هما وطنيا لا يزيد ولا ينقص عن الهم الوطني الجزائري.

- كما نلمس في تلك المتابعة مجمل أحداث العالم العربي الإسلامي وخاصة الحركات التحررية فيه توعية للشعب وحثه بطريقة غير مباشرة على نهج نفس النهج ألا وهو القيام بالثورة لاستعادة السيادة الوطنية.

خاتـمـــــــة:

نستخلص من بحثنا هذا "الخطاب النهضوي في الجزائر" جملة من النتائج نعرضها في النقاط التالية:

كانت حرب الإبادة الاستعمارية أكبر تحدى واجهته الأمة الجزائرية في العصر الحديث، حيث استهدفت إقصاء الجزائريين ليس من هويتهم وانتمائهم الحضاري، بل من الحياة وذلك من خلال مخططات ومشاريع استدمارية كانت غايتها الأساسية إفناء الإنسان الجزائري بمصادرة أرضه ومصادر رزقه وقوته، وتجريده من كل مقومات الحياة ،وفي مقابل ذلك راحت تشجع الأوروبيين الوافدين على الجزائر ماديا وأدبيا للاستيطان الأبدي وجعل الجزائر جزءا لا يتجزأ عن فرنسا رغم التاريخ والجغرافيا، هذا الواقع المتردي الذي آل إليه المجتمع الجزائري سياسيا ودينيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا كان منطلقا حقيقيا للتفكير في عملية الخلاص من براثين الاستعمار الذي حول الجزائر إلى سجن للجزائريين وجنة للمعمرين الأوروبيين ،وجعل للمثقفين الجزائريين ينهضون بمجتمعه لكي يخلصوه من الاستعمار ومن القابلية للاستعمار ويسعون لترقيته ماديا وأدبيا بالقدر الذي يسمح له أن يستعيد سيادته، والقدرة على الانخراط في الحضارة المعاصرة.

لم يكن ميلاد الخطاب النهضوي الجزائري سوى نتاج إسهام محلي لرواد النهضة والإصلاح في الربع الأول من القرن العشرين بالتفاعل مع مجهود النهضة في العالم العربي الإسلامي بواسطة الزيارات والصحف والمجلات.

- اتسم الخطاب النهضوي في الجزائر ببعده المكاني للجزائر خلافا لمجهود الربع الأول من القرن 20 الذي كان منحصرا في الحواضر الكبرى للبلدان الأمر الذي مكن في الأخير من صحوة ثقافية وفكرية كانت منطلقا لميلاد وعي وطني.

كانت وسائل الخطاب النهضوي متنوعة وتستجيب لمنطق العصر وتطوراته، فبالإضافة إلى المساجد والمدارس العربية الحرة ، نجد ثمة اعتمادا على وسائل وقنوات أخرى لتمرير الخطاب النهضوي وإيصاله لأغلب الشرائح الاجتماعية ، فكانت الصحف والمجلات والنوادي والجمعيات الثقافية والفنية مكملة للمؤسسات الدينية والتربوية ،وأحيانا معوضة لها عندما يتعرض للغلق والمصادرة.والوقف في مجالات التثقيف والتكوين والتوعية.

- كما أن اعتماد الجزائريين على وسائلهم الخاصة التي شادوها وأسسوها بحر أموالهم أعطى لجهودهم مصداقية وجعلها تعمل بكل حرية. بعيدا عن كل هيمنة و وصاية، حتى وإن كانت رقابة الإدارة الاستعمارية كثيرا ما تعمد إلى تجميع هذه المؤسسات وإسكات صوتها.

مثلت هذه الوسائل في حد ذاتها مظهرا هاما من مظاهر النهضة الوطنية بما أضفى عليها من أصالة أعادت الناس إلى أيام الحضارة العربية الإسلامية كمدرسة دار الحديث بتلمسان بطرازها العربي الإسلامي، ومعهد الحياة بالقرارة.

- شكل الإصلاح الديني في الكثير من وجوهه محورا أساسيا في الخطاب النهضوي إن لم أقل أنه متداخل معه شكلا ومضمونا.من منطلق الإيمان بأن تجاوز التخلف ومظاهر الانحطاط في المجتمع لا يمكن أن يتحقق الوصول إليه إلا بالتصدي لاصلاح الدين مما شابه من أشكال وبدع وخرافات وشعوذة، والوقوف في وجه الفكر الطرقي المنحرف عن الجادة(العلم والدين) بتعرية ممارساته الضالة أمام الرأي العام حي يكون من نتاج ذلك إيجاد ذهنية خالية من الأوهام يمكن أن يعتمد عليها في تشكيل أساس صحيح وقاعدة متينة لإقامة نهضة وفنية.

وعلى الرغم من تأثر واستلهام حركة الإصلاح الديني والنهضوي لأفكار المشرق الإسلامي من وهابية ودعوات ثورية وتربوية لمدرسة الأفغاني وعبده ورضا إلا أن ذلك لم يفقدها خصوصيتها الوطنية والمغاربية حيث عرفت الحركة كيف تستفيد من تجارب غيرها من دعاة الإصلاح والنهضة في العالم الإسلامي دون أن تذوب و تتعاهى في شخصياتهم، ومذاهبهم الإصلاحية والتحديثـــــية، أو تصير تابعة لهم وهكذا تكون الحركة الإصلاحية في الجزائر على الرغم ما يجمعها من روابط متينة مع حركات العالم العربي الإسلامي الأخرى إلا أنها امتازت بروح التميز والاستقلالية عن الآخرين نظريا وعمليا.

- الدعوة إلى التجديد كضرورة دينية ودنيوية في نفس الوقت وابراز صورة الإسلام الحقيقية كي تكون كمرجعية حضارية بالنسبة للأمة، والتفريق بين الإسلام الوراثي و التقليدي الذي كان الاستعمار يشجعه ويدعمه والإسلام الذاتي الذي يقوم على الفكر والنظر والذي ينبغي أن تعمل الأمة على التمسك به.

- التصدي لأعداء الإسلام من مبشرين وملحدين وحركات هدامة.

اعتبر المثقفون الجزائريون المسائل الاجتماعية والاقتصادية أخطر التحديات التي واجهتها الأمة الجزائرية ومن ثمة سعوا إلى معالجتها بما يستجيب لطموحات وتطلعات المجتمع الجزائري مركزين على النقاط التالية:

- محاربة الآفات الاجتماعية التي تشكل خطرا على الفرد والمجتمع
- الدعوة إلى العمل ونبذ التواكل والكسل
- العناية بالشباب الجزائري على اعتباره عماد النهضة الوطنية .
- السعي للنهوض بوضعية المرأة الجزائرية من خلال رفع الغبن عنها وترقية حياتها الاجتماعية لأن في ذلك ترقية للمجتمع برمته.
- التصدي للدعوات الهدامة والآثمة التي تريد أن تمسخ الأسرة الجزائرية وتغربها من أعداء الحجاب ودعاة السفور الذين أداروا ظهورهم لقيمهم الحضارية وراحوا يروجون في الأوساط الجزائرية لقشور

الحضارة الغربية، وفي المقابل نجد رجال النهضة الجزائرية قد حثوا على ضرورة إخراج المرأة الجزائرية من دياجير الجهل والظلام وفسح المجال أمامها لكي تأخذ حقها من التربية والعلم والمعرفة ومن ثمة تقدر على الاضطلاع بدورها الكامل في مجتمعها للدفع به قدما إلى الأمام على درب الرقي والازدهار والتطور، أما بقاؤها جاهلة وأمية فإنها لا تصير عاجزة على المساهمة الفعالة والإيجابية في بناء المجتمع فحسب بل عاجزة على تربية الناشئة ورعاية بيت الزوجية وفق ما تقتضيه قواعد التربية الحديثة.

لم يغفل رجال النهضة الجزائرية الجانب الاقتصادي من منطلق الحرص على ترقية المجتمع الجزائري من الناحية المادية حتى يقدر من ثمة على الانفاق على مؤسساته التربوية والثقافية والاجتماعية وهذا ما نلمسه في الدعوة إلى :

- النهوض الاقتصادي وذلك بالحث على إحياء الحرف والصنائع الجزائرية التي حاربها الاستعمار وأراد قبرها.

- الحث على إقامة المؤسسات الاقتصادية الجماعية للتخفيف من وطأة الفقر والحرمان والبؤس الاجتماعي .

- الدعوة إلى الاهتمام بقطاع التجارة وعصرنته بإقامة قواعده على أسس علمية تجنب مخاطر الوقوع في الأزمات الخانقة والمميتة لاقتصاد المسلمين ومن ثمة مواجهة هيمنة الاستعمار واليهود على هذا القطاع.

- معالجة مشاكل العمال الجزائريين كالبطالة والضمان الاجتماعي والعناية الصحية والاجتماعية.

- كما ركز المربون الجزائريون في مشروعهم التربوي على ضرورة إرساء دعائم مدرسة جزائرية أصيلة ومتفتحة تجمع في بعدها الفلسفي بين الأصالة والحداثة.

- جعل العملية التعليمية مرتبطة بالتربية ذلك أن التعليم المجرد من التربية مهما اعتنينا به لا يمكن أن نستفيد منه في منظور المربين الجزائريين الذين يعتبرون علما قليلا مع تربية أفضل من علم كثير مجرد من التربية، ومن ثمة فقد ارتكز الجهد التربوي آنذاك على تكوين مواطنين صالحين و واعين برسالتهم اتجاه أمتهم و وطنهم بغض النظر على القسط المعرفي الذي يأخذونه من مدارس التعليم العربي الحر قليلا كان أم كثيرا.

- عصرنة المدرسة العربية الحرة وذلك حتى تقوم بوظيفتها وتنجز أهدافها على أحسن ما يرام، فعمدوا إلى مراجعة المناهج التعليمية وأدخلوا البيداغوجيا الحديثة في المدارس كما اعتنوا بالعلم وترقيته ، والتلميذ وحالته الاجتماعية، وسهروا على تحسين المستوى العلمي من خلال توفير الوسائل البيداغوجية وإنشاء هيئة تفتيشية تعمل على مساعدة المعلمين في أداء وظيفتهم.

إبراز مكانة اللغة العربية في المناهج التربوية والعمل على ترقيتها بما يسمح لها من تبوء مكانتها التي احتلتها أيام العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية.

العمل على النهوض بالتاريخ الوطني، في المدرسة العربية الحرة بما يساعد على ترسيخ مقومات الشخصية الوطنية في نفوس الناشئة ويعزز روح الانتماء إلى الوطن، ويعمل على تشكيل وعي وطني ناضج يفكر بجدية في نهضة البلاد ومستقبلها.

شكلت الهوية بعدا هاما في الخطاب النهضوي حيث كانت إبان الحقبة الاستعمارية عرضة لكل أشكال التزييف والتدمير حرصا من الاستعمار على قطع المجتمع الجزائري عن كل صلاته الحضارية التاريخية ليس فقط مع إخوانه في المشرق الإسلامي وإنما مع أقرب جيرانه في المغربيين الأدنى والأقصى.

وعليه فقد أكد النهضويون الجزائريون في هذا الصدد على:

- التأكيد على الأسس الصحيحة التي تقوم عليها الهوية الجزائرية وهي الإسلام الذي جهز له كل العناصر السكانية مهما تعددت في بوتقة حضارية موحدة لم تزدها القرون المتفاوتة والدهور المتعاقبة إلا قوة وتماسكا.

- أكد رجال النهضة على أن اللغة العربية قد ساهمت بقسط وافر وما زالت في بلورة الشخصية الجزائرية ، كما أنها تعد اللغة القومية للجزائر وأحد الروابط المتينة التي تحدد المفهوم الصحيح للوطنية الجزائرية.

- **التاريخ الوطني**: كان سعي المؤرخين الجزائريين في ترسيخ التاريخ الوطني أكبر الأثر في تعزيز الهوية الوطنية بكل أبعادها الحضارية ، كما أن هذا التاريخ يعد المفتاح الحقيقي لدوائر الانتماء الحضاري بالنسبة للجرائر في فضائها المغاربي والعربي والإسلامي والإنساني.

- كما نظر المثقفون الجزائريون إلى فكرة مسألة الوحدة العربية بكل عقلانية و واقعية ذلك أن ما يهم أبناء شمال إفريقيا هو التفكير في تحرير أوطانهم من براثن الاستعمار قبل التفكير في الوحدة العربية

- التصدي لأعداء الهوية الجزائرية من دعاة التجنيس والإدماج لأن في ذلك صيانة للمجتمع من الانحلال والذوبان في الآخر (الاستعمار) وحفاظا على تماسك الوحدة الوطنية التي بدونها لا يمكن التفكير في أي عمل بدونها.

- نتلمس في أدبيات الخطاب النهضوي أبعادا ثورية حقيقية تنشد الوحدة الوطنية وتعزيز أواصرها، كما تتضمن بالتلميح تارة والتصريح تارة أخرى دعوة إلى الثورة على الاستعمار لاستعادة السيادة الوطنية

- الدعوة إلى تحقيق الوحدة المغاربية.ودلك لمواجهة التحديات الاستعمارية.

- مناصرة القضايا العربية الإسلامية ،ومنها قضية فلسطين التي استقطبت اهتمامات الجزائريين على اختلاف توجهاتهم السياسية والفكرية ونظروا إليها على أنها مكيدة غربية للامة العربية الإسلامية حتى لا يلتئم شملها وتتحقق وحدتها من جهة وتدعيما للمصالح الغربية في الوطن العربي.

- كان الخطاب النهضوي يعتمد على استرجاع الذاكرة التاريخية وعلى تعميق الوعي بالذاتية الجزائرية مما جعله متصادما مع الطروحات الاستعمارية ومناهضا للأفكار التي تولدت عن الوضع الاستعماري

والتي تحاول أن تكرس هيمنة اللغة الفرنسية وطريقة الحياة الغربية، وهذا ما جعل الخطاب النهضوي ضرورة تاريخية لا يمكن للجزائر مستقبلا أن تحقق مشروعها الاستقلالي من دون تكامل مع قناعات الخطاب النهضوي.

لم يكن التعليم في منظور النهضويين غاية في حد داته و لكنه كان وسيلة لتعزيز الشخصية الوطنية في ابعادها العربية الاسلامية. و من ثم يمكن القول ان رسالة المدرسة رسالة وطنية قومية كانت بمثابة سلاح حاد لتقويض المشاريع الاستعمارية الرامية الى طمس معالم الشخصية الوطنية.

استهدف المجهود النهضوي من خلال دلك الرصيد الهائل من المحصول الثقافي وضع قطيعة مع القحط الفكري و العمل على احياء و بعث التراث العربي الاسلامي من خلال التأليف و الصحافة.

الملاحق

التعريف بالملاحق

ملحق رقم 1:تقرير يدور حول جريدة وادي ميزاب و اهميتها قبل صدورها مرسل من عامل عمالة الجزائر الى الوالي العام مؤرخ بمدينة الجزائر في 16ـ9ـ1926.
ملحق رقم 2: رسالة من الشيخ ابو اليقظان الى مدير الشؤون الاهلية ميرانت تدور حول طلب منح الحقوق لجريدة وادي ميزاب كسائر الصحف مؤرخة بمدينة الجزائر في 17ـ4ـ1928.
ملحق رقم 3: تقرير من الوالي العام بالجزائر الى المقيم العام بالجمهورية الفرنسية يتعلق بمحاربة و مراقبة الصحافة العربية. مؤرخ بالجزائر في 31مارس 1922.
ملحق رقم 4: رسالة من الشيخ ابن باديس الى الوالي العام للجزائر تتعلق بقرار فرنسي صدر بتاريخ 1929/10/29, يمنع الشيخ ابن باديس من اعطاء دروس في المدارس اقرآنية.
ملحق رقم 5: تقرير فرنسي عن نادي الاتحاد بالبلدية المختلطة بالصومام مؤرخ بسيدي عيش في 1937/10/8.
ملحق رقم6: بطاقة عن جريدة الشريعة و مؤسسها.
ملحق رقم 7: تقرير مرسل الى الوالي العام من غرداية يكشف عن اسماء مجموعة من المشتركين في جريدة النور و نجد على رأس هؤلاء المشتركين: الشيخ بيوض كمراسل و مسؤول المشتركين. مؤرخ في 19 ماي 1933 بغرداية.
ملحق رقم 8: تقرير سري عن جمعية الفلاح الوهرانية مرسل الى الكاتب العام للشؤون الاهلية و الشرطة العامة. مؤرخ بوهران في 25 مارس 1937.
ملحق رقم 9: تقرير عن شخصية محمد العيد جباري. مؤرخ بتونس في 1938/2/16.
ملحق رقم 10: مراسلة من الوالي العام للجزائر الى المقيم العام الفرنسي بتونس مؤرخة بمدينة الجزائر 30-4-1933. تتعلق بجريدة النورو المغرب.
ملحق رقم 11: تقرير مرسل من عامل عمالة قسنطينة الى الوالي العام فحواه احكام صادرة ضد مسؤول المطبعة الجزائرية الاسلامية احمد بوشمالو بالقشي خليل و منع صدور جريدة الجحيم مؤرخ بقسنطينة في 1-7-1933.
ملحق رقم 12: يتعلق بقرار منع توزيع و تداول جريدة المنتقد صادر بباريس في 3 اوكتوبر1925 .
ملحق رقم 13: التقرير مرسل من المحافظ المركزي الى نائب العمالة بتلمسان, يدور حول مدرسة دار الحديث و نشاطاتها. مؤرخ بتلمسان في 1937/11/10.
ملحق رقم 14: يتعلق بجمعية حياة اللغة العربية. تقرير ممرسل من والي العاصمة الى الوالي العام مؤرخ بالجزائر في 1937/6/23.
ملحق رقم 15: نداء موجه الى اهالي جيجل من أجل تقديم الدعم المالي لبناء مدرسة الحياة موقع من طرف الشيخ محمد الطاهر ساحلي.
ملحق رقم 16: قرار عمالة قسنطينة يتم بموجبه وقف الدروس و غلق مدرسة الاصلاح ببجية. مؤرخ بقسنطينة في 1939.
ملحق رقم 17: برقية مرسلة من عامل عمالة الجزائر الى الوالي العام لفصل الامام ابوزار محمد و المؤذن بوعاوش محمدو الحزاب حراث علي باقتراح من رئيس دائرة تيزي وزو لرفض هؤلاء الصلاة على مسلم متجنس

ملحق رقم 18: تقرير من محافظ الشرطة الى رئيس دائرة سطيف يتعلق بمدرسة الفتح و سيرة مدرسيها , مؤرخ بسطيف في 1937/6/22م.
ملحق رقم 19: تقرير عن الجمعية الخيرية بالعاصمة و تجديد مجلسها الاداري , مؤرخ بالجزائر في 1936/2/6.
ملحق رقم 20: تقرير يتعلق بالعلاقة بين جمعية العلماء و حزب الشعب مرسل من المحافظ المركزي الى الوالي العام. مؤرخ بتلمسان في 1938/2/9.
ملحق رقم 21: تقرير من محافظ الشرطة الى رئيس دائرة تلمسان, مؤرخ ببني صاف 1937/11/26.
ملحق رقم 22: الزوايا و غاياتها للشيخ عبد الحميد بن باديس.
ملحق رقم 23: مادا يريد المبشرون بالمسلمين للشيخ ابو اليقظان.
ملحق رقم 24: الاسلام و التمدن العصري للشيخ الطيب العقبي
البشيخ الابراهيمي
ملحق رقم 25: رسمية لغتنا بايدينا للاستاد علي مرحوم
ملحق رقم26: العربية و فضلها على العلم و المدنية و اثرها في الام غير العربية , بقلم الشيخ.
ملحق رقم 27: التعليم و حاجته الى توحيد و نظام بقلم احمد بن ابي زيد الاغواطي.
ملحق رقم 28: من مدرسة الفرد الى مدرسة المجتمع. الشيخ ابو اليقظان.
الى الوالي العام مؤرخ بتلمسان في 9-2-1938.
ملحق 29: كيف يجب تسيير التجارة.
ملحق رقم 30: وحي الدكرى للشاعر الربيع بو شامة
ملحق رقم 31: و نعود الى فلسطين, للشيخ البشير الابراهيمي.
ملحق رقم 32 : للشيخ فرحات الدراجي منطق الاستعمار.
ملحق رقم 33: كشف نقاط لتلميذ من معهد بن باديس.

الملحق رقم 1

Préfecture d'Alger

Affaires Indigènes

N° 40.731

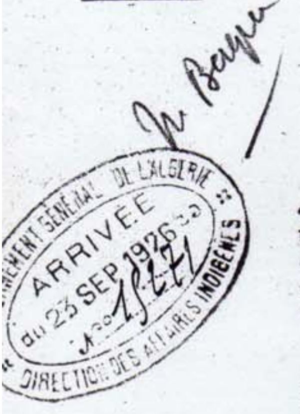
A/s du journal Oued M'Zab

Alger, le 16 Septembre 1926

Le Préfet du Département d'ALGER

à Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie

(Direction de la Sécurité Générale)



Comme suite à ma lettre du 10 Septembre, N° 40009, j'ai l'honneur de vous faire connaître que, d'après un rapport du Chef de la Sûreté départementale, des bruits circulent dans les milieux mozabites d'Alger sur la prochaine apparition, dans cette ville, du périodique imprimé en langue arabe, l'Oued M'Zab dont je vous ai entretenu.

Ce journal, qui ne s'occuperait d'abord que de questions économiques, serait, en réalité, à tendance destourienne et par conséquent anti-française. Il serait dirigé par le nommé OMAR ben Hadj Mehemed, négociant à El Madher (Constantine), mais ce dernier ne serait qu'un prête nom et le véritable directeur serait le nommé BRAHIM ben Aïssa, auteur du livre "ARCHAD EL HAIRIN" (guide des égarés).

BRAHIM ben Aïssa se trouve actuellement à Alger où il fait adresser sa correspondance chez Hadj Mohammed ben Messaoud, commerçant, 39, rue de la Lyre.

Une surveillance discrète est exercée sur les agissements de ces deux mozabites./.

Le Préfet,

signé: BORDES

COPIE TRANSMISE à Monsieur le Directeur des Affaires Indigènes.

P. LE DIRECTEUR DE LA SÉCURITÉ GÉNÉRALE
DE L'ALGÉRIE
LE SOUS-DIRECTEUR,

الملحق رقم ٤

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على جميع أنبيائه ورسله.

الجزائر ١٧ أبريل ١٩٢٨

جناب الهمام المحترم مسيو "ميرانت" مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة بالجزائر
سلام واحترام.

أما جناب المدير الموقر إن مقابلتكم لي في العام الماضي قد تركت في نفسي أثرا جميلا من مركزكم السامي ولا سيما تلك الكلمة الذهبية التي أظهرتم لي من خلالها أشعة العطف والحنان من أنكم تعتبرونني كولدكم البار. فقد جعلتني شديد التعلق بمقامكم العالي وما زلت أجد على ترسم نصائحكم الغالية. وهي التي دفعتني اليوم لتجديد عهد ذلك الاقتبال البهيج. جئت إليكم بعواطفي وإحساساتي لأقدم إليكم بعض رغائبي راجيا منكم تلقيها بحسن القبول.

أولا. أعلمكم أني الرئيس الشرفي للصحافة الأهلية بالولاية العامة فإني أتوسل إليكم بلسان جريدة "وادي ميزاب" أن تبلغوا ثناءها العاطر وتشكراتها العاطفة لسعادة واليها المحبوب مسيو بورد على اقتحامه مشاق الأسفار وزيارته لوادي ميزاب وعلى تعزيته الحركة المكمنة للشعب الميزابي المتدفقة إحساسا وشعورا وعواطف جميلة الممتلئة آمالا ورجاء. والشعب الميزابي يجعل تلك الزيارة العظيمة كأجمل ذكرى وأعظم علاقة بينه وبين فرنسا العظيمة. وكما أعرب لدى مقام فرنسا الخطير عن صدقه وإخلاصه عن رغائبه وأمانيه بلسان البارود فإنه يزيد يعرب لدى جنابه عنها بلسان جريدته "وادي ميزاب" راجيا من مقامه إنجازها على ما عهد منه من الحكمة والسداد.

ثانيا - منحنا رخصة الحضور في النوادي والمجتمعات والمجالس العمومية كبقية الصحفيين ليمكننا بذلك القيام بالواجب الصحافي كما ينبغي.

ثالثا منحنا تذكرة الركوب في السكك الحديدية تسهيلا للمهمة الصحافية العامة كما هو الشأن مع الصحف العربية. فقد أثقلت مصاريف الانتقال كاهلنا ونحن ضعفاء وأملنا وطيد أن تنظروا إلى الناطقين والصحف العربية بعين واحدة تحت ظل الأخوة والعدالة والمساواة.

وفي الختام أرجو لكم دوام العز وطول البقاء.

ولدكم المخلص أبو اليقظان

JOURNAL "OUED M'ZAB" وادي ميزاب 17 AVR 1928 37 RUE DE LA LYRE ALGER

الملحق رقم 3 .

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE

Direction
des
Affaires Indigènes

N° 3271

NOTA. — Prière de rappeler dans la réponse, la date et le numéro de la présente, ainsi que le numéro du bureau.

- Surveillance politique des indigènes

Presse arabe

EL BEDR

République Française

Alger, le 31 MARS 1922

Le Gouverneur Général de l'Algérie

à Monsieur le RESIDENT GENERAL de la REPUBLIQUE FRANÇAISE à TUNIS

J'ai l'honneur d'appeler votre attention sur le second numéro de la revue de langue arabe "EL BEDR", paru à Tunis à la date hégirienne du 15 safar 1340, et dont un exemplaire est parvenu à Souk-Ahras.

Ce numéro contient, entre autres articles, une étude du Cheikh Mohammed Lakhdar ben El Hocine, intitulée "La tolérance dans l'Islam". Bien que ce travail ne révèle aucune tendance antifrançaise et ne revête que les caractères techniques d'une étude philosophique, il n'en est pas moins établi que l'auteur est un agitateur dangereux qui s'est fait le propagateur des théories du nationalisme musulman dans ce qu'elles ont de plus xénophobe et de plus excessif.

Le Cheikh Mohammed Lakhdar ben El Hocine, né à Tolga, a fait ses études à Tunis. Il a émigré ensuite en Syrie et y a publié, dans divers organes de langue arabe, de très violents articles contre la France. Durant la dernière guerre, l'intéressé fut chargé, par les autorités allemandes, de gagner à la cause des Empires Centraux les soldats indigènes de l'Afrique du

Nord en captivité en Allemagne. Mohammed Lakhdar Ben El Hocine, qui réside en Europe, continuerait à avoir des attaches à Constantinople et à Berlin.

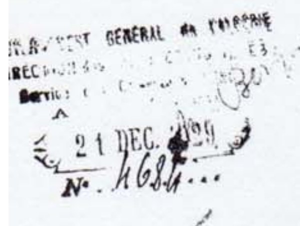
Le même numéro publie également une biographie élogieuse du Cheikh Salah Echcherif, dont les doctrines et le rôle antifrançais sont aujourd'hui bien connus.

Afin de me permettre d'examiner s'il ne conviendrait pas d'interdire la circulation de El Bedr en Algérie, je vous serais reconnaissant, Monsieur le Résident Général, de bien vouloir me donner tous renseignements utiles sur les tendances générales, l'esprit et l'attitude politique de cette publication./.

T. Steeg

الملحق رقم: 4

Constantine le I5 Décémbre 1929



A Monsieur le Gouverneur Général
de l'Algérie

GOUVERNEUR GÉNÉRAL de l'ALGÉRIE
CABINET
ARRIVÉE
17 DEC 1929
N°

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE
ARRIVÉE
19 DEC 1929
CABINET DU SECRÉTAIRE GÉNÉRAL

Monsieur le Gouverneur Général

Le service de la Sûreté Départementale de Constantine m'a notifié une Décision par vous prise en date du 29 Octobre I929 et par laquelle il m'est interdit de faire des cours d'éxégèse dans les écoles coraniques .

J'ai l'honneur de venir vous affirmer que jamais, à aucun moment et en aucune localité, je n'ai fait ou seulement songé à faire de cours dans une école coranique .

Il est cependant éxact qu'au cours des vacances de l'été dernier, étant de passage dans certaines villes du **Département**, j'ai été sollicité par les élus et notables pour faire des conférences sur des sujets de morale, ce que j'ai accepté et que j'ai fait avec l'assentiment des autorités locales . Ce faisant je ne m'immisçais en rien dans l'enseignement coranique ou autre .

Je me permets de préciser que ces conférences étaient publiques et qu'elles n'ont jamais eu pour sujet que des questions de morale . J'ajoute que jamais je n'ai frisé une question de politique et que d'ailleurs je professe pour l'Oeuvre Française une admiration telle et j'ai le sentiment d'appartenir à une famille dont l'attachement à notre Pays d'adoption est si ancien et si solide que je ne mérite

jec ne mérite vraiment pas d'être suspecté sur ce point .

Je m'incline, quoiqu'il en soit, devant votre décision et d'autant plus volontiers que je n'aurai aucun éffort à faire puisque l'objet qu'elle vise ne m'a jamais préoccupé

J'ai tenu cependant, Monsieur le Gouverneur Général, à vous fournir les précisions qui précedent pour rétablir la vérité et dans le souci de vous affirmer bien sincèrement les sentiments qui m'animent et auxquels je serais heureux de voir le plus haut représentant de la France accorder son crédit .

Veuillez agréer, Monsieur le Gouverneur Général , l'assurance de mon profond respect .

Abdelhamid Benbadis

5 الملحق رقم

COMMUNE MIXTE DE LA SOUMMAM

RAPPORT

concernant la création au douar Fenaïa, de l'Association d'enseignement dénommée "El-Ittihad".

1°/ Date de la déclaration : 7 Octobre 1937

2°/ Dénomination exacte : "El Ittihad" (Traduction française "l'Union"

3°/ Liste nominative des membres du bureau.

Noms et Prénoms	Fonctions	Affinités Politiques
HAMDANI Ali Ben Saïd	Président	Oulamas réformistes
HANIFI Ahmed ben Rabah	Vice-Président	
HADDADI HOCINE Ben Larbi	-d°-	
DJAMAA MOHAND Ben Larbi	Secrétaire	
BOULHAOUR ZAID Ben Tahar	Secrétaire adjoint	
SIMIANE CHERIF Ben Said	Trésorier	
ACHOUR MOULOUD Ben Mohand Amokrane	Trésorier adjoint	
DJAMAA Ali Ben Ali	Assesseur	
BOUCENNA BACHIR Ben Mohand Saïd	-	
BENATOU CHABANE Ben SALAH	-	
DJAMAA MOUSSA Ben KACI	-	
HAMANA ALI BEN MOHAMED AREZKI	-	
BENTAYEB TAHAR Ben RABIA	-	

4°/ But avoué : Cours d'arabe régulier et secours aux élèves ~~indigènes~~ indigents

5°/ But réel : L'association en formation ne constituerait qu'une filiale de la Société des Oulémas. Ses dirigeants reçoivent, à Bougie, où ils se rendent fréquemment, les directives des représentants dans cette ville du Cheikh BENBADIS. Le but réel de la nouvelle association serait donc de répandre dans le douar Fenaïa et dans la région, les doctrines des Oulémasréformistes.

6°/ Possibilités d'extension :

Les dirigeants du nouveau groupement peuvent trouver, dans le douar Fenaïa, un terrain favorable à l'extension de leur mouvement. S'ils font preuve d'habileté et d'activité, un facteur nouveau de perturbation aura été introduit dans cette région déjà soumise à diverses influence anti-administratives.

Sidi-Aïch, le 8 Octobre 1937

P. l'Administrateur Principal en congé
L'Administrateur adjoint

signé :

TRANSMIS à titre d'information par la Préfecture de Constantine le 29 Octobre 1937, sous le n° 5.591

الملحق رقم 6

NOTICE SUR LE JOURNAL PUBLIE A CONSTANTINE

ACH CHARIA.

NOM DU JOURNAL	ACH CHARIA
NUANCE POLITIQUE	Education sociale et religieuse des musulmans
ATTACHES POLITIQUES	Organe de l'association des Oulamas musulmans
INFLUENCE	Ssusceptible d'en acquérir
TIRAGE APPROXIMATIF	4.000 environ
NOM DU PROPRIETAIRE	Association des Oulamas
REDACTEUR EN CHEF	BENBADIS ABDELHAMID
GERANT	BOUCHEMAL AHMED
DIRECTEUR POLITIQUE	BENBADIS ABDELHAMID
SECRETAIRE DE LA REDACTION	BOUCHEMAL AHMED
REDACTEURS	CHEIKH EL OKBY & ZAHIRI
REPORTERS	"
COLLABORATEURS	"
REDACTION(BUREAUX DE LA)	Imprimerie du journal "Ach Chiheb 13 rue Lambert Alexis
SUBVENTIONNE PAR	"
NOM DE L'IMPRIMEUR	Imprimerie du journal/ach Chiheb

HISTORIQUE DU JOURNAL

Le jouenral " ACH CHARIA" dont le premier n° a été distribué le 17 Juillet courant, paraîtra hebdomadairement. Il succède au journal interdit "AS SOUNNAH" et ayant les mêmes dirigeants aura sans doute les mêmes tendances.

Transmis pour son information à Monsieur le Directeur des Affaires Indigènes./.

24 JUIL 1933

LE DIRECTEUR DE LA SECURITE GÉNÉRALE DE L'ALGÉRIE,

[signature]

...GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE
...AIRES INDIGÈNES
...É DU
...L 1933
...MMUNES MIXTES

Copié

GHARDAIA le 19 mai 1933

ملحق رقم 7

M. Berque

Monsieur le Gouverneur Général ALGER

Monsieur il est un devoir de vous indiquer ci-dessous certains noms de personne mozabite qui . . . . M. BOULIKDANI HADJ BRAHIM BEN HADJ AÏSSA, Directeur du Journal "Nour" premier village de Gerarah.

Le nommé BAYOUDE BRAHIM BEN OMAR correspondant et Chef des abonnés qui sont SAID BEN BALADJE et CHAIKH ABDELAH.

Le premier par les articles qu'il fait faire insérer dans ce journal cherche le moyen par lequel créer des incidents contre les populations. 2ème A El Ateuf. Il y a Slimane Ben Adj Aoude Ben Bassaïd, Alairamane Ben Omar Ben Aïssa, Bahmed Ben Hadj Yahia Ben Hadj Omar, Taleb Youcef, 3ème de Bounourah Kacem Ben Bassaïd Ben Baïssa, Hadj Daoud Ben Bamed Bahalbiche Bahamed Caïd, ce dernier est au courant de tout ce qui se passe, mais en ce qui concerne BAHAMED BEN HADJ YAHIA BEN HADJ OMAR et TALEB de la Medrassa soi-disant lieu où ces derniers se réunissent le soir pour lire ensemble ce journal et en répandre.

Beni-Isguen Zakri Ben Saïd, Hadj Salah Ben Yahia Tamina Mohamed Ben Hadj Salah Ben Yahia Tamina libraires actuellement à Tunis ce dernier président de la société de Beni-Isguen, Ben Zemlale Hadj Bakire Ben Naoud actuellement à Guelma, Ben Zemlale Hadj Brahim Ben Naoud, Bahalli Hadj Salah Ben Mohamed Khémare Aïssa Ben Omar, Ben Driss Brahim Ben Hadj Salah Taleb de la Médrassa soidisant, Bahrise Omar Ben Aïssa, Hadj Nacer Omar Ben Hadji, Khiat Mohamed Ben Hadj Mohamed, Bakaï Mohamed Ben Brahim actuellement à Alger, 3 rue de la Lyre.

De Ghardaïa Bachagha Hadj Abdellah, Cheikh Aïssa Youcef Ben Mohamed et il y en a bien d'autres ceux-ci sont une société qui ont une caisse uniquement pour aider cette presse car au début ce journal on l'a appelé "Oued Mzab", puis "M'Zab" après "El Maghreb" et on l'a baptisé pour "Nour". Toute cette bande s'intéresse qu'à ce dernier et cherche à ne pas laisser la paix entre le public vrais communistes ils ont les dépôts dans tous les bleds.

A Guelma chez BEN ZEMLALE Hadj Brahim et le chef de la Médrassa Bourasse Abdellah Mohamed Ben Bakire à Alger rue de la Lyre 3 à Tunis chez Tamina le libraire.

Une enquête vous affirmera ces renseignements et s'ils ne seront empêchés et punis comme ils le méritent certes une révolution se produira plus tard puisqu'ils s'intéressent qu'à la politique.

Je vous signale ce qui se passe mais il est à vous Monsieur le Gouverneur de juger.

Salutations les plus respectueuses.

Signé : Illisible

Transmis à Monsieur le Directeur des Affaires Indigènes la copie ci dessus d'une lettre anonyme, objet du bordereau N° 2242, du 26 mai 1933, de la Direction des Territoires du Sud.

Alger le 31 MAI 1933

LE DIRECTEUR DE LA SECURITE GÉNÉRALE
DE L'ALGÉRIE,

الملحق رقم: 8

CTURE D'ORAN
° DIVISION
N° 5569

ORAN, le 25 Mars 1937

N O T E

à Monsieur le SECRETAIRE GENERAL pour
les Affaires Indigènes et la Police Générale

-:-:-:-:-:-:-:-:-:-:-

S E C R E T

J'ai l'honneur de faire connaître à Monsieur le Secrétaire Général pour les Affaires Indigènes et la Police Générale qu'une Association dénommée "Djemia el Falah Oranaise" a déposé ses statuts le 16 Mars courant.

Son siège est situé à Oran, rue du général Négrier.

Elle a pour but de diffuser la langue arabe en donnant des cours à ses sociétaires, d'organiser des conférences en arabe littéraire sous les auspices de professeurs qualifiés, tant arabes que français, et de créer entre tous ses membres des liens d'amitié et de bonne camaraderie.

Son Comité est le suivant:

PRESIDENT actif: HADJ Cheikh Ahmed, 18, Bd Paul Doumer - Oran
Vice-PRESIDENTS: KANDSI Haouari, 6, rue Ouled Nails - Oran
MOHAMED BRAHIM Miloud, 5, rue Cambronne
Secrétaire Général: BRISINI Bel Abbès, 4, rue Habib Boukhari
Secrétaire Adjoint: NAFI Hamou, 4, place de la Liberté
Trésorier général: SEMGHOUNI Ahmed, 18, Bd Paul Doumer
Trésorier adjoint: REKIK Habib, 9, rue du Figuier
Contrôleurs: MEKKI Abdelkader, 13, rue Bayard
OSMANI Benaïssa, 13, rue agha Mazari
Assesseurs: BENABDALLAH HAOUARI, 5, place Daoudji
BELHARCHMI Mohamed, 2, rue de Constantine
DJEBAR Haouari, 12, rue de l'Etang
LACHLACH Bagdad, 35, rue du général Négrier

Récépissé a été délivré au Président le 19 Mars

Le Chef de la 1° Division

signé: illisible

VU

Le Secrétaire Général
signé: TRAISSAC

9 ۱۱۲ ۱۲

TUNIS, le 16 février 1938

09 ملحق رقم

N O T E

MOHAMED EL AID BEN KHELIFA BEN MOHAMED LAHSSASSNA,

dit MOHAMED EL AID DJEBARI,

algérien, né le 10 décembre 1911 à Aïn-Abid (Département de Constantine),

de Khelifa et de Halima bent x .....

ex-étudiant de la Grande Mosquée de Tunis, titulaire du diplôme "Tajouide" (1929).

a été antérieurement employé en qualité de secrétaire par feu Me AHMED ESSAFI, ex-président du vieux-destour, puis par Me TAHAR SFAR, secrétaire Général adjoint du néo-destour. Actuellement sans profession déterminée.

Moralité.- Très mal noté au point de vue moral. Réputé pédéraste actif : exclu de l'Association "Jeunesse libérale néo-destourienne" en décembre 1936.

Activité politique.- Jeune militant très actif depuis 1933.

En 1934 l'action politique de MOHAMED DJEBARI est caractérisée par la publication de poèmes composés par lui-même contenant de virulentes critiques contre les autorités françaises du Protectorat et également, contre les magistrats du Charaa.

Par arrêté résidentiel en date du 3 septembre 1934 MOHAMED EL DJEBARI est interdit de séjour dans les territoires du Contrôle Civil de la Régence. Il ne rentre à Tunis qu'après un an de résidence forcée en territoires militaires du Sud Tunisien.

Le jeune propagandiste néo-destourien ne tarde cependant pas à militer de nouveau activement en faveur de son parti. En date du 19 janvier 1936 il fait l'objet d'un arrêté d'expulsion de Tunisie, mesure dont les effets sont suspendus le 15 mars suivant.

De retour à Tunis le 4 juin 1936, MOHAMED EL DJEBARI est élu peu après vice-président de la "Jeunesse libérale néo-destourienne", association dont il est exclu en 1936 à cause de certains agissements immoraux.

A partir de ce moment l'intéressé se consacre à une propagande subversive très active dans les milieux d'étudiants de la Grande Mosquée de Tunis. "Secrétaire Général de la Jeunesse

..../

Ziteounienne" en favrier 1937, son action et son influence contribuent pour une large part au déclenchement de la grève des étudiants de l'Université "Ez-Ziteuna" qui devait durer environ six mois.

En septembre, quand surgit la rivalité qui oppose les chefs du néo-destour au cheikh TAALBI, MOHAMED EL DJEBARI se range parmi les partisans de celui-ci et devient un fervent militant du Vieux-Destour.

Fin 1937, MOHAMED EL DJEBARI se rend en Algérie en vue d'y faire de la propagande nationaliste et de créer dans la Colonie voisine des sections de la "Jeunesse Unie Nord-Africaine", association qu'il a fondée à Tunis en décembre 1936.

Il est arrêté à Guelma, au cours de sa tournée, et revient en Tunisie au début de cette année. Depuis son arrivée il continue sa propagande nationaliste et a déclaré vouloir consacrer toute son activité au développement de la "Jeunesse Unie Nord-Africaine".

9H47

Ziteounienne" en favrier 1937, son action et son influence contribuent pour une large part au déclenchement de la grève des étudiants de l'Université "Ez-Ziteuna" qui devait durer environ six mois.

En septembre, quand surgit la rivalité qui oppose les chefs du néo-destour au cheikh TAALBI, MOHAMED EL DJEBARI se range parmi les partisans de celui-ci et devient un fervent militant du Vieux-Destour.

Fin 1937, MOHAMED EL DJEBARI se rend en Algérie en vue d'y faire de la propagande nationaliste et de créer dans la Colonie voisine des sections de la "Jeunesse Unie Nord-Africaine", association qu'il a fondée à Tunis en décembre 1936.

Il est arrêté à Guelma, au cours de sa tournée, et revient en Tunisie au début de cette année. Depuis son arrivée il continue sa propagande nationaliste et a déclaré vouloir consacrer toute son activité au développement de la "Jeunesse Unie Nord-Africaine".

GOUVERNEMENT GENERAL
DE L'ALGÉRIE

DIRECTION DE LA SECURITE GENERALE.

N° 10130 B

NOTA. — Prière de rappeler, dans la réponse, la date et le numéro de la présente ainsi que le numéro du bureau.

A.S. du journal "EN NOUR"

République Française

Alger, le 30 AVR 1933

Le Gouverneur Général de l'Algérie

à Monsieur le Résident Général de France à

TUNIS

Par lettre n°7086 B du 19 Mars 1931 j'ai eu l'honneur de vous faire connaître que M. le Ministre de l'Intérieur avait interdit par arrêté du 9 Mars 1931 la circulation, la mise en vente et la distribution du journal arabe "EL MOGHRIB" paraissant à Alger. Le dernier alinéa de cet arrêté stipulait que cette interdiction s'étendait à tout nouveau journal de même tendance qui établirait en Algérie le siège de sa rédaction et de son administration, même s'il avait un autre gérant et s'il sortait d'une autre imprimerie.

J'ai l'honneur de vous aviser que par application de ces dispositions j'ai interdit à la date du 27 Avril 1933 la circulation la mise en vente et la distribution en Algérie du journal EN NOUR paraissant à Alger qui a remplacé "EL MOGHRIB" et qui a révélé les mêmes tendances contraires à l'ordre public dans les milieux indigènes de la Colonie./.

P. Le Gouverneur Général
Pour le Secrétaire Général du Gouvernement empêché.
Le Conseiller de Gouvernement
Adjoint au Secrétaire Général du Gouvernement,
SIGNÉ · LEMOINE

567

ملحق رقم 11

T.

PREFECTURE
de
CONSTANTINE

SECTION DES AFFAIRES ~~DIVERSES~~ INDIGENES

N° 11586

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

CONSTANTINE, le 1er Juillet 1933

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE CABINET ARRIVÉE 3 JUIL 1933

Le Préfet du Département de Constantine

OBJET :

Surveillance politique des indigènes

Presse indigène

Journal interdit "Ed Djahim"

Condamnation des co-propriétaires

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE ARRIVÉE 3 JUIL 1933 CABINET DU SECRÉTAIRE GÉNÉRAL

à M. le GOUVERNEUR GENERAL

(Direction des Affaires Indigènes)

ALGER

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE DIRECTION DES AFFAIRES INDIGÈNES ARRIVÉE DU -5 JUIL 1933 SERVICE DES COMMUNES MIXTES N°

J'ai l'honneur de vous rendre compte que les Nommés BELGUECHI Khellil et BOUCHEMAL Ahmed, co-propriétaires de l'Imprimerie Algérienne Musulmane de Constantine, ont été condamnés à l'Audience du Tribunal de Simple Police de cette ville, le 28 Juin 1933, à cinq amendes de cinq francs chacun pour défaut d'indication du nom de l'Imprimeur sur le Journal Ed-Djahim, par application de l'Article 2 de la Loi du 29 Juillet 1881 sur la Presse.

Ce Journal a été interdit par Arrêté de M. le Ministre de l'Intérieur en date du 3 Mai 1933 et a fait l'objet de votre Communication du 11 du même mois, N°10.538/B (Direction de la Sécurité Générale)./.

Le Préfet,

[signature]

[Un] exemplaire du présent rapport a été [ad]ressé à la Direction de la Sécurité Générale.

الملحق رقم 12

Ministère
de l'Intérieur

DIRECTION
DES
AFFAIRES ALGÉRIENNES

1° BUREAU

N°

République Française

Paris, le 19

Vu les articles 14 et 69 de la loi du 29 Juillet 1881 et l'article unique de la loi du 22 Juillet 1895 sur la presse;

Attendu que le Journal de langue arabe "EL MOUNTAKI publié à Constantine, révèle des tendances contraires à l'ordre public dans les milieux indigènes;

Sur la proposition du Gouverneur Général de l'Algérie;

Le Conseil des Ministres entendu;

A R R E T E :

ARTICLE UNIQUE.- La circulation du Journal de langue arabe "EL MOUNTAKID" publié à Constantine, est interdite en Algérie

Fait à Paris le 13 Octobre 1925

A. SCHRAMECK

Pour ampliation:

Le Maître des requêtes
au Conseil d'Etat
Directeur des affaires algériennes

Jean Mirante

TLEMCEN
Municipale
13.030

A.S. de la Médersa
BRAHIMI "DAR EL HADITS"

Tlemcen, le 10 Novembre 1937

Le Commissaire Central à

M. le Sous-Préfet
TLEMCEN

Comme suite à votre demande verbale de renseignements concernant le fonctionnement de la Médersa BRAHIMI, dite "DAR EL HADIDS", j'ai l'honneur de vous rendre compte que cet établissement est ouvert depuis quelque temps.

Dès les premiers jours et même avant l'achèvement et l'inauguration de l'immeuble, des cours coraniques et théologiques y furent donnés par les cheikhs BRAHIMI et EL HADI ce dernier, remplacé ensuite par un nommé BABA AHMED, de Tlemcen.

Les dirigeants de cette soi-disant Méderas espéraient être autorisés à l'utiliser, comme établissement scolaire et ils devaient y organiser 6 classes. Mais l'autorisation escomptée n'ayant pas été délivrée (je crois même qu'elle n'a pas été officiellement sollicitée), ils semblent vouloir actuellement passer outre et ils ont étendu sensiblement le champ de leur action.

C'est ainsi qu'il y a aujourd'hui 130 élèves environ répartis en plusieurs groupes qui fréquentent le dit établissement.

70 d'entre eux formant deux classes, âgés de 5 à 13 ans, sont confiés à BABA AHMED, susnommé qui leur enseigne l'arabe parlé et écrit.

Une quarantaine d'autres, âgés de 12 à 15 ans y apprennent le Coran et l'arabe avec pour maître un certain BAGHDADI Mouley Hassane, également de Tlemcen, sur le compte de qui je vous ai produit plusieurs rapports.

Vingt autres élèves environ, âgés de 15 ans et au-dessus sont confiés à l'oukil judiciaire MERZOUK Mohammed, conseiller muncipal dans notre ville, qui leur donne des leçons coraniques.

Enfin, M. le Cheikh BRAHIMI fait ses cours de théologie à peu près tous les après-midi à 16 heures et quelquefois, durant le Ramadan notamment, à 19 heures. Ces cours réunissent de 100 à 150 personnes adultes.

Les leçons que donnent MM. BARA Ahmed, BAGHDADI et MERZOUK, ont lieu lesjeudis et dimanches et les autres jours de la semaine, mais seulement pour ceux-ci après les heures de dortie des établissements scolaires officiels.

Signé : Romattet.

PREFECTURE D'ALGER
Affaires Indigènes
et Police Générale

n° I7.800/Z

Associations Musulmanes

"Hayat Ellougha Elaarabia"

Alger, le 23 Juin 1937

LE PREFET D'ALGER

à Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie
Direction Générale des Affaires Indigènes et des Territoires du Sud - Service de l'Economie Sociale Indigène et du Personnel.

J'ai l'honneur de vous rendre compte qu'une association musulmane dénommée "Hayat Ellougha Elaarabia" vient de se constituer à Alger, avec siège social, I3, rue Benachère.

Déclarée le I2 Mai dernier, cette Société a pour but l'enseignement de la langue arabe aux musulmans par voie de cours gratuits.

Elle comprend des membres actifs, honoraires et bienfaiteurs. Les premiers paient une cotisation annuelle de I80 frs et les seconds de 60 frs. Toute personne versant une sômme annuelle de 300 f, a le titre de membre bienfaiteur.

Le Conseil d'administration decette association est constitué de la façon suivante :

Président : ZAID Abdallah, receveur aux C.F.R.A. demeurant, 50, rue de Cambrai à Belcourt.
Vice-Président : DCHICHA Boualem, receveur aux C.F.R.A., demeurant 5ème Impasse Kléber, n° 2.
Secrétaire-Général : AIT Amar Mohamed, receveur aux C.F.R.A., 5, rue Renaud;
Secrétaire adjoint : KHIDER Mohamed, journalier, 8, rue St Vincent de Paul;

Trésorier Général : SEMRANI Meziane, wattmann aux C.F.R.A., villa Albertine, I, rue Van Wollem Howen.

Trésorier adjoint : HAMZA Saad, journalier, I2, rue du Divan.

Contrôleur : SAHROUI Abd-El-Baki, receveur aux C.F.R.A., 2, rue Bayard à Montplaisir
ALIOUET Ahmed, Receveur aux T.A. H.B.M. Bd de Verdun
MEZGHENNA Abderrahmane, journalier, villa Bella, Ch. Tufol, Colonne Voirol.
NESSARI Ali, receveur aux C.F.R.A. I, rue desMaseillais
BENSALEM Allaoua, garçon boucher, 6, rue Meissonnier
GUENDOUZ Mahdi, ferblantier, 8, Impasse Jenina
HAMOUD Ben Ahmed, commerçant, 40, rue Bologhine.

Les renseignements généraux recueillis sur les membres de ce Conseil d'Administration sont bons.

Au point de vue politique, ils adhèrent à la C.G.T. et sont partisans du Cheikh EL OKBI.

LE PREFET

signé : BOURRAT

* نـــداء *

* الى كل مسلم يغار على لغة الاسلام *

APPEL

A TOUS LES MUSULMANS JALOUX DE LA LANGUE DE L'ISLAM

O Musulmans Djidjelliens votre sommeil a trop duré !

A quand votre réveil !

Vous avez délaissé le Coran.

Quand regretterez-vous cela !

O nobles et généreux coreligionnaires, sachez qu'il n'y a de vie pour un peuple que si sa langue vit.

Par Dieu il est honteux pour vous de refuser de donner votre obole si minime soit-elle quand il s'agit de vivifier votre langue qui est devenue étrangère dans son propre pays et de conserver les traditions de votre vénéré prophète dont se détournent beaucoup de fidèles.

O croyants, faites tous votre devoir envers votre chère langue arabe :

Jeûnez Vendredi 16 du mois de Chaâbane et donnez le montant des écono-mies que vous réaliserez ce jour-là (en vous privant de déjeuner) à l'**Association Medersa El-Hayat** pour lui venir en aide et lui permettre de continuer son œuvre notamment en construisant l'an prochain une Medersa qui sera le foyer de votre langue maternelle et de l'Islam doctrine précieuse et humaine.

Unissez-vous et aidez-vous les uns et les autres pour l'intérêt de cette œuvre spécifiquement **MUSULMANE** et **HAUTEMENT ALGÉRIENNE**.

Pour le Comité de Propagande,
SAHALI Mohamed Tahar.

NOTA. — Les frères qui ne seront pas « touchés » par les personnes chargées de recueillir les fonds, sont priés de verser leur obole au siège du **Cercle Musulman,** 16, rue de la Guillotière, tous les soir à partir de 7 heures.

République Française

PREFECTURE de CONSTANTINE

ARRÊTÉ

Le PREFET du Département de CONSTANTINE,
Chevalier de la Légion d'Honneur,

Vu l'Arrêté Préfectoral du II Février 1935 autorisant la réouverture de l'Ecole Coranique de la Société " EL-ISLAH " de BOUGIE, et retirant au nommé BELARIBI EL HADI l'autorisation d'enseigner,

Vu le rejet, en date du 26 Octobre 1938, de la demande présentée par le nommé BOUANANI BACHIR BEN MOHAND, dit "Amar", à l'effet d'être autorisé à professer à l'Ecole Coranique dont il s'agit ,

Considérant que le Tribunal Correctionnel de BOUGIE, en son audience du 20 Janvier 1939, a condamné BELARIBI EL HADI à 10 jours de prison et 200 francs d'amende et BOUANANI Amar à 200 francs d'amende, pour avoir enseigné sans autorisation,

Considérant que ce même Tribunal a ordonné la fermeture de l'Ecole ouverte sous les auspices de la Société " EL-ISLAH " de BOUGIE,

Vu le Décret du 8 Mars 1938 rendant les sanctions prévues par l'Article 40 de la Loi du 30 Octobre 1886, applicables en cas d'infraction aux articles 49 et 51 du Décret du 18 Octobre 1892,

ARRÊTE

ARTICLE Premier.- L'Arrêté susvisé du II Février 1935 est et demeure rapporté .

ARTICLE 2.- L'Ecole Coranique privée ouverte sous les auspices de la Société " EL-ISLAH " à BOUGIE, sera fermée à partir du jour de la notification du présent Arrêté .

ARTICLE 3. M. Le MAIRE de BOUGIE est chargé de la notification et de l'exécution du présent Arrêté ./.

FAIT à CONSTANTINE, le 1939

LE PREFET de CONSTANTINE :

REFECTURE D'ALGER

ffaires Indigènes
; Police Générale

I°23583/C .

Alger, le 2 Septembre 1937

ملحق رقم 17

Télégramme postalisé

LE PREFET D'ALGER

à Monsieur le GOUVERNEUR GENERAL de l'ALGERIE

(Cabinet du Gouverneur Général)

Comme suite rapport que vous ai adressé 3I Août sous timbre mon Cabinet, ai honneur vous transmettre ci-joint copie rapport Sous-Préfet Tizi-Ouzou relatif réunion P.P.A du 5 août à Dellys.

Vous serais reconnaissant m'autoriser urgence retirer agrément Administration à Imam OUBOUZAR Mohammed, mouedden BOUAOUCH Mohammed et Hazzab HARRAT Ali - Sous-Préfet Tizi-Ouzou estime que pour que exemple soit salutaire, utile que sanction intervienne moindre délai.

Me permets appeler votre haute attention sur faute grave commise par ces agents en refusant prières rituelles occasion décès de musulmans naturalisés.

Dès que aurai réuni éléments nécessaires vous adresserai propositions complémentaires en ce qui concerne autres agents administratifs compromis incidents Dellys.

P. le Préfet

le Secrétaire Général:

......

ملحق رقم 18

COMMISSARIAT ... DE POLICE

115

20

SECRET.

Sétif, le 22 juin 1937.

Objet:
-
"Medersa-el Fetha".
-

Le Commissaire de police

à Monsieur le SOUS-PREFET de l'Arrondissement de Sétif

à Sétif.

En réponse à votre demande du 14 juin courant, n° 5185, j'ai l'honneur de vous donner sur MM. BENYAHIA Bachir ben Larbi, BESSAI Amor ben M'hand, BISKRI Amor et BATOUCHE Aït Amara, proposés pour donner des cours à la "Medersa El Fetha" de Sétif, les renseignements suivants :

1°) BENYAHIA Bachir ben Larbi :

Cet indigène est inconnu à Sétif. Il existe, néanmoins, un certain YAHIA Mohamed Saddek ben Ahmed. Celui-ci, âgé de 22 ans environ et originaire de Ksar-el-Tir (C.M. des Rirha) a, tout jeune, quitté sa Commune natale pour aller suivre les cours de la Mosquée Djamaâ Lakhdar à Constantine. Il aurait ensuite poursuivi ses études à l'Université musulmane de la Zitouna à Tunis.

Ses études terminées, il y a environ un an, YAHIA Mohamed Saddek est revenu auprès de sa mère, veuve depuis plusieurs années et domiciliée à Ksar-el-Tir.

Depuis lors, il n'est revenu que de temps à autre à Sétif, où il descend chez son oncle, YAHIA Cherif Abderrahman, dit "Bendidi", propriétaire à Ksar-el-Tir, mais qui possède un pied-à-terre rue du 61° de Ligne, près de l'Hôtel Continental à Sétif.

Il est donc difficile, en raison de ses récentes et courtes apparitions dans notre ville, d'apprécier exactement son attitude au point de vue national ; toutefois, on sait qu'il est un des fervents partisans de M. ABBAS.

2°) BESSAI Amor ben M'hand :

Agé de 20 ans et originaire de la Kabylie (plus exactement de la Commune de Sidi-Aïch), cet indigène ne réside à Sétif que depuis un an environ. Il vit actuellement chez son père, propriétaire et domicilié au Faubourg de l'Industrie à Sétif.

L'intéressé a fait ses études à l'Université musulmane de la Zitouna, d'où il est sorti il y a environ un an.

Il ne m'a pas été possible de savoir, jusqu'à présent, quels sont exactement ses sentiments à l'égard de notre Pays et s'il est destourien. Tout ce que l'on peut dire, c'est xxxxxxxx qu'il est fervent partisan de M. ABBAS.

575

3° ...

rete Départementale
d'Alger

n° 737

s. Société de Bienfaisance Musulmane "El-Kheïra"

19 . الملحق رقم 9496

Alger, le 6 Février 1936

RAPPORT

J'ai l'honneur de vous faire connaître que l'assemblée générale de la Société de Bienfaisance Musulmane "El-Kheïra", s'est tenue le Ier Février courant, à I7 heures, au siège social, Cercle du Progrès 9, Place du Gouvernement, en présence de 300 personnes environ.

L'ordre du jour était le suivant :

- compte rendu moral et financier
- modification des statuts
- renouvellement du bureau

Le bureau de séance était le suivant :

Président : TOUFFIK MADANI Ahmed

Assesseurs : (BEN TECHELLA Mohamed
) BEN EL BEY Mohamed
(ABBAS TURQUI Mohamed Ouali

CHERIF Zahar M'Hamed a fait le compte rendu moral et financier de l'association ppur l'année 1935

Les recettes s'élèvent à	70.000 frs
Les Dépenses "	53.000 "
Il reste en caisse	I9.000 "

Puis il est procédé au renouvellement du Conseil d'administration qui est composé de la façon suivante :

Président	Cheikh TAYEB EL OKBI
Vice-Présidents	TOUFFIK MADANI Ahmed
	ABBAS TURQUI Mohamed Ouali
Secrétaire Général	CHERIF ZAHAR M'HAMED
Secrétaire Adjoint	BEN TCHELLA MOHAMED
Trésorier	BEN EL BEY Mohamed
Trésoriers adjoints	ZEGGOUANE MOHAMED - BETHOUCHE Rachid
Contrôleur	DAMARDJI Youcef

Les assesseurs sont au nombre de 2I

TOUFFIK MADANI, Vice Président, prend la parole au nom du Cheikh TAYEB EL OKBI, malade.

Il remercie les membres de l'association d'avoir accordé leur confiance aux membres du précédent bureau.

En une courte allocution, il demande à chacun d'apporter une aide morale et matérielle à l'association.

Il adresse ses remerciements aux Oulémas ainsi qu'à EL OKBI, président de l'association.

La séance est levée à 20 h 30 sans incident.

Le Chef de la Sûreté Départementale
signé :

ALGERIE

VILLE DE TLEMCEN

POLICE MUNICIPALE

N° 1.691

A.S. d'une entente
entre les OULEMAS et
le P.P.A.
-:-:-:-:-:-:-:-:-:-

TLEMCEN, le 9 FEVRIER 1938.

9 H 47

LE COMMISSAIRE CENTRAL

à Monsieur le GOUVERNEUR GENERAL de l'ALGERIE

ALGER.

J'ai l'honneur de porter à votre connaissance, pour toutes fins que vous jugerez utiles, les renseignements ci-après qui me reviennent d'une sourceque je crois sérieuse.

A la suite d'incidents créés par l'obstruction de certains membres du P.P.A. au cours d'une réunion donnée par les OULEMAS au Majestic, à Alger, ces jours derniers, M.M. BENBADIS & BRAHIMI (Cheikh se seraient rencontrés avec Maitre KAHAL, Secrétaire Général du P.P.A. auquel ils auraient fait remarquer le tort qu'ils se portaient mutuellement en se combattant ainsi à tout propos. Ils lui auraient ensuite proposé une sorte d'alliance en vue d'une action commune qui se manifesterait en faveur de la réouverture des Médersas privées en particulier de DAR-EL-HADITS, et aussi en soutenant, le cas échéant, le Cheikh EL OKBI au préjudice duquel on craint le rebondissement de l'affaire concernant l'assassinat du Muphti d'Alger.

M. KAHAL aurait accepté cette proposition, mais, avec cette réserve qu'elle serait formulée par écrit et que la lettre rédigée en ce sens pourrait être publiée par le journal EL OUMA.

M.M. BENBADIS & BRAHIMI n'auraient pas cru pouvoir se soumettre à cette réserve laquelle serait de nature à leur attribuer des sentiments qu'ils ne jugent pas opportun de dévoiler quant à présent et l'affaire en serait restée là.

LE COMMISSAIRE CENTRAL,

Signé :

5H46 N° 5H46

Beni-Saf, le 26 Novembre 1937

ملحق رقم 21

LE COMMISSAIRE DE POLICE

à Monsieur le Sous-Préfet de l'arrondissement

TLEMCEN

Renseignements sur le Cercle "LETTIHADI" Groupement musulman à Beni-Saf

J'ai l'honneur de vous rendre compte à toutes fins que vous jugerez utiles, que le cercle dénommé "LETTIHADI" l'Union, Groupement musulman, récépissé de déclaration n° 25 du 27 août 1937, paraît sortir de son cadre statutaire. Quant aux membres composant son Conseil d'Administration, ils sont tenus pour des Nationalistes fervents. A l'heure actuelle 160 indigènes y adèrent.

La salle en tenant lieu, est sise au fond d'une cour et séparée de la voie publique par un immeuble.

Il m'est rapporté par un individu désirant garder l'anonymat et qui me paraît sincère, que le dénommé CHERGUI HADJ HAOURI, Secrétaire, aurait tenu il y a quelques jours, devant une nombreuse assistance, les propos suivants : "Les indigènes algériens se vendent à la " France lorsqu'ils partent au régiment 150 frs. A leur retour 100 frs. " Il faut nous unir ! Il faut chasser les Français ! l'Union existe en " Tunisie et au Maroc. Organisons-nous" !

A l'issue de ces réunions des collectes seraient faites pour venir en aide aux malheureux, ce qui aurait pour effet d'attirer des adeptes.

D'autre part, ce cercle est transformé en école coranique, par le nommé BENCHEKH LAHOCINE ABBAS BEN SMAIL BEN DAHMANE, né en 1912 au douar Sidi Khalifa, commune de Aïn Tinn (Constantine) lequel réside dans ce centre depuis quatre mois, se disant taleb et dénommé ainsi Si ABBES. Il a reconnu exercer sans autorisation et avoir une trentaine de clients de 15 à 25 ans. Son enseignement consisterait en prières coraniques, données d'après lui bénévolement (sic). Des renseignements obtenus, chaque élève lui verserait 10 frs par mois. Contravention a été relevée à son encontre, pour ouverture d'une école coranique sans autorisation. J'ajoute que les deux individus ci-dessus désignés, ont fait l'objet de votre note 7.369 du 28 septembre dernier, dont en mon absence il n'a pas été répondu.

LE COMMISSAIRE DE POLICE

signé : ICHAUSON

N°180 السنة الرابعة عدد ١٨٠ ثمن النسخة ٥٠ سانتيم

N°148 ثمن النسخة ٥٠ سانتيما السنة الرابعة عدد ١٤٨

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الرسائل: يوجه الى ادارة الجريدة ما يتعلق بها من مقالات ومكاتبات واشتراكات

الاشتراكات: عن سنة ٢٥ ف، عن نصف سنة ١٥ ف، عن سنة للتلامذة ٢٠ ف

الادارة
EL-BASSAIR
13, Rue A. Lambert, 13 CONSTANTINE

المدير ورئيس التحرير مبارك بن محمد الميلي
العنوان المالي Alger C/C 242 04
Monsieur BRAHIMI Mobarek
DIRECTEUR DU JOURNAL
13, Rue Alexis Lambert, CONSTANTINE
TÉLÉPHONE 25-15
صاحب الامتياز
الشيخ محمد خير الدين

قسنطينة يوم الجمعة ٢٢ ذي القعدة ١٣٥٧ — تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع — الموافق ليوم ١٣ جانفي ١٩٣٩

للحقيقة والتاريخ

(٧) الزوايـــــا وغـــــايـــــاتها

كفى بهم شهداء على انفسهم

عرفنا مما كتبه الاخ الشيخ حمزة بوكوشة في عدد ١٤٦ من «البصائر» ردا على بعض الناس أن ذلك المردود عليه زعم أن جمعية الزوايا تبنت القانون الاساسي لجمعية العلماء، وتمنى كذلك ـ ضـلة ـ ان تحل محلها. فدعاه الاستاذ بوكوشة الى نشر القانون الاساسي لجمعية الزوايا ليحكم القراء هل هو موافق لقانون جمعية العلماء او مخالف له مخالفة انجيل برنابا للقرآن الكريم ولما كان القانون الاساسي للجمعية الطرقية بقسنطينة قد وقع الينا منذ اكثر من سنة رأينا ان ننشره ليطلع عليه القراء ويعرفوا منه غاية هؤلاء الناس وما اليه يعملون.

علم الناس كلهم ان غاية جمعية العلماء هي تعليم الناس امر دينهم وتفقيههم فيه وتهذيبهم به واصلاح ما فسد من شؤونهم العامة والخاصة اصلاحا اسلاميا مستمدا من الكتاب والسنة وهدي صالح سلف الامة بلسان هذا الدين الكريم، اللسان العربي المبين، الى هذا دعت وفيه جاهدت، ومن اجله والاها من والاها وعاداها من عاداها، ومن جرائه هي تلقى الاذى والعنت والبلاء الشديد، ويلقى خصومها الولاية والرعاية والمدد والتاييد...

فاما كبراء الزوايا وجامعتهم فما هي غايتهم كما هي في الفصل الثامن من قانونهم:

«غاية هذه الجمعية هي أولا المحافظة على نفوذ الزوايا والطرق وعلى شهرتها وسمعتها ومكانتها».

— النفوذ! والشهرة! والسمعة! والمكانة! فهل ابقوا من مظاهر السلطان والسيادة والكبرياء والعظمة والاستيلاء شيء؟ هذه هي غايتهم: ان يبقوا سادة على الناس وان يبقى الناس مستعبدين لهم.

أين هي التربية؟ أين هو التعليم أين هو نشر الاسلام؟ أين هي مقاومة المفاسد والشرور؟ أين هو الوعظ والارشاد؟

هذه كلها أمور لا ذكر لها عندهم، لانهم يخافون منها على سلطانهم، ويخافون من ذكرها على انفسهم ممن يبتغون عندهم ما يبتغون

نعم من غايتهم في بقية الفصل السابق قولهم: «وثانيا الاهتمام بجيوش الفقراء المنتشرين في المساجد والزوايا واصلاح حالهم».

نحن نعلم ان ذكر الطعام والشراب لا يغضب عليهم احدا.... اذ هو شعبة من شعب «سياسة الخبز» المتبعة...... ولئنهم صدقوا فيما وعدوا وقاموا للمسلمين بهذه الناحية، ولكننا لا نرى في مدينة من المدن ولا في قرية من القرى ولا في مدشر من المداشر شيئا من ذلك. نعم في بعض من الزوايا قليل من الفقراء في حالة تعيسة يربح بهم اضعاف ما ينفق عليهم.

تكفي الاشارة بهذا الايجاز الى غايتهم كما شهدوا بها على أنفسهم، فان اعمالهم واقوالهم ومواقفهم كافية في بيان حقيقتهم وغاية قصدهم. وقد بقيت فيما نشرناه من قانونهم بقايا من فضائحهم لا تخفى على قرائنا الالباء.

فهذه الغايات وما وراء هذه الغايات وتلك الخفيات وما وراء تلك الخفيات، هي التي اخرجت رؤساء الزوايا من جمعية العلماء بعد ان كانوا من المؤسسين لها والواضعين لقانونها الاساسي الباقي الى اليوم، وبعد ما قضوا عامها الاول في عضويتها، وهي هي التي باعدت بينهم وبين العاملين لنفوذ الاسلام وشهرة الاسلام وسمعة ومكانة الاسلام لا لغيره من الافراد والجماعات كائنا من كان ذلك الفرد وكائنة من كانت تلك الجماعة

ووالله لو ان هؤلاء الناس استقلوا في ارادتهم، وتحرروا في عملهم من مسيريهم وطرحوا عنهم الاغلال التي وضعوها باختيارهم في اعناقهم، وجعلوا نشر العلم وخدمة الاسلام اقصى غاياتهم ــ لمدونا لهم يد الأخوة والاتحاد.

«فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم»

عبد الحميد بن باديس

ملحق رقم 23

ماذا يريد المبشرون بالمسلمين؟

عندما نزلت فرنسا با زائر سنة 1830 م إن أول ما تعهدت به للمسلم احترام ديانتهم وآدابم، وعندما نصبت ايتها على "وادي ميزاب" سنة 1853 م كان أول ما التزمت به للمسلم احترام ديانتهم وآدابم،وقد اعترف ساساتا بذلك التعهد وهذا الالتزام قراراتم ولوائحهم كلما مست إ ذلك حاجة وسنحت له فرصة وما زالوا ولا يزالون كذلك وإ الآن.

ولكن رغم هذا كله تفهم اعات ا بشرين ومن وازرهم من الرجال ا سؤول مع ذا الالتزام ولا فقهوا قيمة لتلك التعهدات بل أوغلوا كث من الإهانة الكيد والعدوان للإسلام وآلت با سلم وانتزاع آخر ما لكون من ب قلوبم ألا وهو (الإ ان) ويتخذون لذلك وسائل شيطانية لا يتفطن ا إلا النبهاء وا ذاق، ويلبسون تلك الوسائل بلباس ناعم من مداواة ا رضى والإحسان إ الفقراء وتلق ا هال والأمي مبادئ الفنون مسلولة بدعامتهم وتيش هم، ولأجل نيل مبتغاهم من طرف تصرة سهلة تراهم يرتادون دائما مواقع الضعف ومراتع ا هل فيحطون فيها رحا م ويتخذون منها مراكز لأعما م ولا يعوقهم ذلك عائق البعد أو ا ناخ أو تكبد ا صاريف الباهضة فإنم دون أمامهم من ا نشطات ا ادية والأدبية ما يذلل م كل عقبة ويعبد م كل طريق، وبكل سهولة نفهم إذ اذا يوجهون نشاطهم الغالب إ أراضي ا نوب ولا سيماالأغواط، غرداية القليعة وارجلان وغ ها، حيث ينبح الضعف وا رض وا هل.....وكيف يعيدون عن بينهم وهم دون ا كومة كل مناخ ومؤازر ويلاقون منها من وسائل التشجيع والتنشيط وهم على باطل ما يلاق ا سلمون منها عشر معشار وهم على حق وكيف لا يدأبون على خطتهم إ النهاية وهم أينما ساروا وجدوا أمامهم اية وعناية و دا؟ وكيف لا عنون

ويتغلغون دخائل المسلم وهم دوا أوساطهم إلا ا هل والبلة والغفلة إلا الاختلاف والشقاق وال اع عن السوافة وتوافه الأمور إلا ا مود وشلل العقول وفلج الفكر؟ وكيف لا يستغلونم من هم هذه ا الة ويستثمرونا إ أقصى حد؟ ما يقل م أحد (مكانم؟)...

ن شيدت هذه القلعة هناك يا ترى؟ ا ماه ا سيحي ا نشرين هناك لا وربك فليس هناك منهم إلا أفراد و ن شيدت إذا؟ أليس لغزو الإسلام القلوب واقتطاع مضغة الإ ان من ب ا نوب؟(يقصد الكنيسة ا ديدة بالقليعة)...

كفى كفى يا هؤلاء خففوا عن أنفسكم شيئا من العدوان للإسلام..فإنه غ ما تظنون إن الإسلام لو تعلمون هو لا غ ه الكفيل بسعادة الإنسانية رؤوف بالبشرية رحيم **للأسرة وا دنية.."()**

جريدة الأمة عدد 161 ( )

ملحق رقم 24

الإسلام والتمدن العصري

بقلم الأستاذ الطيب العق عضو عية العلماء ا سلم ا زائري .

السلام عليكم أيها ا اضرون، وعموا مساء أيها ا ستمعون، يقول ا اهلون قيقة الإسلام: إن تعاليمه لا تتفق مع روح العصر ا اضر: وباطل ما يقولون، بل ا ق الذي لا غبار عليه ولا مرية فيه لدى ا نصف، هو أن الإسلام دين كل تقدم ورقي يأمر بكل فضيلة وينهي عن كل رذيلة . أساسه ا ساواة ب ب البشر. وهيكله ا شاد على ذلك الأساس إ ا هو الر ة والعدل. برهان ذلك قوله عز وجل:(يا أيها الناس إنا

خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند ا أتقاكم) وقوله تعا :(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كث ا ونساء واتقوا ا الذي تساءلون به والأرحام إن ا كان عليكم رقيبا) آيات كث ة وأدلة غ قليلة.

علم ا سلمون السابقون الإسلام كما ب أن يعلم.وفهموه كما كان يفسر ويفهم. فاطمأنت إليه قلوبم وارتاحت به ضمائرهم وساروا بتعاليمه السامية ميدان ا ضارة وا دنية ذلك الشوط البعيد.

وهل كانت تلك العصور الذهبية، والآثار ال لا تزال تترجم عن تلك ا دنية إلا ظاهرة إسلامية ومظهرا من مظاهر تلك التعاليم ا ليلة؟

ليس الإسلام بتعاليم جافة وعقائد تفرض على الناس فرضا وتلزم العقول إليها إلزاما كما ترغم النفوس على العمل با إرغاما.ولكنه عقيدة هي وليدة الإ ان والعلم، وعمل صا لكل زمان ومكان، هو نتيجة ذلك العلم وذلك الإ ان.

ولولا ذلك ا لبث على ظهر الكرة الأرضية أربعة عشر قرنا ا فيهم من علماء وفلاسفة حكماء صون ئات ا لاي .

وإذا وجد الإسلام صور لعبادات صوصة (معقولة ا كمة لعارفيه) فإن فيه أيضا ذلك التشريع وذلك القانون الكفيل صا ب البشر وا نبع الفياض بسعادتم الروحية وا سدية معا، وليس هو الدين الذي مي الروح فقط أو افظ على ا سم فقط، ولكنه الذين الذي ي فظ يع ما للإنسان كروح وجسد.

وليس هو الدين الذي يأمر أتباعه بالعمل والتزود للآخرة ويهمل أمر العمل لدار الدنيا فإن كتابه ا قدس يقول(وابتغ فيما أتاك ا الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن ا إليك) ويقول دعاء الذين م نصيب ا كسبوا ربنا آتتا الدنيا حسنة و الآخرة حسنة) كما يقول ا ض على العمل الشامل ما معا(ليس للإنسان إلاّ ما سعى) ولا يهمل ا زاء ح على قليل العمل لقوله تعا :فمن

يعمل مثقال ذرة خ ا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) و ىعل جزاء تلك الدار مترتبا على العمل هذه الدار، ويقرر بأن لكل نفس ما كسبت كما عليها ما اكتسبت.

بنيت أحكام هذا الدين على قواعد هي أعلى مثل للحكمة وا ىداية للبشر.فمن قواعده أن درء ا ىفسدة مقدم على جلب ا ىصلحة) ومنها: (لا ضرر ولا ضرار) ومن أوليات أصوله" نفي ا ىرج الدين" ومن قضاياه ال لا تتخلق:أن" الضرورات تبيح ا ىظوران" وإن هذه الضرورات إ ا تقدرها،إذا ارتفعت رجع ا ىكم إ أصله.وقد روعي كث أحكامه العمل بقاعدة (سدّ الذرائع) وكل أحكامه معقولة ا ىكمة ىقة الفائدة والنفع.

وقد أعطانا فائدة جليلة التسامح وحرية الأديان بقوله: (لا إكراه الدين)كما أطلق للعقل عقاله ومنحه حرية التفك بل حثه على النظر والاعتبار واستفزه ملكوت ا الأعلى وملكه ا ىتسع الأرجاء ىثل قول القرآن: (إن خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك ال ىري البحر ا ينفع الناس وما أنزل ا من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتا وبث من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب ا ىسخر ب السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)

واستحثنا لاستثمار ما الكون بوله عز وجل ا =الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، وسخر لكم ما السماوات وما الأرض ىيعا منه، إن ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وبىذا كانت نفوس معتنقية مطمئنة وضمائرهم مرتاحة وبه سعدوا كل السعادة إذ ليس من وراء راحة الضم وصفاء ا ىاطر من غاية للسعادة ولا وسيلة ىلب السرور والراحة.

ومن عرف الإسلام ىقيقته ونظر إ حال أمم الغرب ا ىتقدمة اليوم أعما ا وحرية تفك ها ا نسميه(ىدنا وحضارة) حكم لأول وهلة بأن هذه الأمم هي إ دين الإسلام العملي أقرب من أهله إليه، و أخذها بوجوه هدايته جلب ا ىنافع ودرأ ا ىضار هذا العصر الأسبق من منتحليه ومعتنقيه،إذ الإسلام دين

علم ولا دين بطالة وكسل، يسـ مع العقل والعلم جنبا ـنب كل آن ومكان، ويساير ا ـدنية الصحيحة كل أدوارها وأطوارها النافعة لبـ الإنسان. و يعرف الإسلام بغـ هذا لا القد ولا ا ـديث، ولكن قوما من ا ـنتمـ إليه أبوا إلا تشويه ـاسنه ا هم فاعلون با ـه وناسبون إليه من أعمال وأقوال هو عنها بعيد ومنها برئ.

و ا يؤسف له كل الأسف أن ا ـسلمـ اليوم(إلا قليلا منهم) بعدوا عن الإسلام بعدهم عن العلم ا ـوجب للإ ـان الصحيح والعمل الصا الذي هو من مقتضيات ذلك الإ ـان ولوازمه.

وقد يهتدي ا ـفكر ا ـكيم إ أن الإسلام هو الدين الطبيعي للبشر، الصا للتـأليف بـ أجناسهم وأ ـهم كيفما كان لونـم وجنسهم، وأنه هو الدين الوحيد الذي يساير أدوار ا ـياة ويسـ مع كل مدنية ترتكز على قو العلم وا ـق.

ولا منقذ ـذه البشرية من كروبا الـ تعانيها وكل آلامها وأتعابا إلا احتذاء تعاليمه والسـ على نورها ا ـستبـ وأن لكل ما نشاهده من آثار ـدن العصر النافعة- صلة قوية وعلاقة متينة ـت بـا إ تعاليم القرآن ودين الإسلام،وكل ما تشتكي منه الإنسانية ا ـعذبة وتتأ له من هذا التمدن العصري وقد تتحمله مكهة وتتجرعه ولا تكاد تسيغه، و ا حذر الإسلام منه، ونـى عنه.

وليس التمدن عندنا بتلك ا ـظاهر الـ ـاقة والصوّر الرائعة ا ـلابة حال ترتكب فيها الأفعال ا ـخزية، والأعمال ا ـردية،كلا! ولكنه علم صا وعمل صا سعادة، ونظام، وأمن،وسلام، فمرحبا بكل ـدن نرى من نتائجه استتباب الأمن واستبحار العمران و ـهيد طرق طرق ا ـواصلات وسرعة السـ إ الأمام.واستثمار ما أودع ا الكون من خـ ـات وكنوز، ومرحبا بالتمدن الذي ـفظ مصا بـ البشر ا ـشتركة مرحبا، ومـ كان قوام هذا التمدن العصري وروحه ا ـقيي إ ا هو العلم النافع فمرحبا به ألف مرة ومرة.

ومرحى لأنصاره ومؤازريه، وأن دين الإسلام ليوجب تطلبه على أتباعه وشد الرحلة (ولو إ بلاد الصـ) للحصول عليه.

وما وقف دين الإسلام يوم من الأيام ولن يقف أبدا طريق دن مبدؤه العلم ومنتهاه العمل الصا وإسعاد ب آدم ا تصبو إليه فلويهم وتتمناه كل عصر وح ، نعم نرى دننا اليوم رغم حسناته الكث ة مساوئ لا سن السكوت عليها ولا يسوغ للمتشبع بالعقلية الإسلامية قبو ا وا وافقة عليها ال من الأحوال،ذلك ا فيها من ضرر ق وفساد للأخلاق تت أ منه وتت ه عنه شرائع الأخلاق.

جريدة السنة

عدد 1(20-1-1933)

رسمية لغتنا بأيدينا

بقلم علي مرحوم

ذات لغة شعب الا ذل ولا انحطت
كان أمره في ذهاب وادبار ، وليس
العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة
ها على لغة نفسها ».

(الرافعي)

الأخذ والرد في الأشهر الفائتة
لها يقلل حول رسمية اللغة العربية
زائر ، وقضى الساسة والمتسون
ساسة شطرا من أوقاتهم في الحديث
جعل العربية رسمية بجانب الفرنسية .
عت الأصوات المطالبة بهذا الحق
سي لهذه الأمة العربية الصميمة بين
ان البرلمان الفرنسي وقصر الجمهورية ،
ع صدى هذه الأصوات الى القاصي
ني ، ولكن... هل أفاد ذلك اللغة
ية أو أفادنا نحن شيئا ؟ كلا لم يفد
ية ولم يفدنا كل ذلك لا قليلا ولا كثيرا،
دامت نظرتنا نحن والاستعمار نحو هذ.
ية على ما هي عليه الآن ، فبينما ينظر
كرنا اليها نظرة استخفاف وتهاون وقلة
بالاة بشأنها ، نجد الاستعمار يرتاع كلما
كرت العربية بخير ، وينادي بالويل والثبور
والشر المستطير .

ان مسألة مثل هذه جديرة بأن تثار حولها
ضجة عظيمة ، وخليقة بأن تتفق من أجلها
كلمة رجالات الأمة وساستها ، وتتوحد في
سبلها واتجاهاتهم في الدفاع والهجوم ، لأنها
مسألة تمس الأمة في الصميم وتؤثر تأثيرا
محسوسا على مجرى حياتها وتطورها في
حاضرها ومستقبلها . ولكنا – مع الأسف
– نرى هذه القضية قد مرت مر السحاب
في معابر البرلمان ودوائر الجمهورية وطويت
صفحتها – مثل بقية الحقوق الجزائرية
القومية – كأن لم تكن شيئا مذكورا ،
طوينا نحن أيضا صفحتها وسكتنا –
السكوت دليل على الرضى – كما قيل .

والحق أن اللغة العربية كانت ولا زالت
ونة الحظ في الجزائر أشد الغبن – لا
طرف الاستعمار الفرنسي الذي جعل
منذ وطئت أقدامه أرض الوطن قتلها
ضاء عليها في عقر دارها فحسب – ولكن
الغبن جاءها كذلك من بنيها وأقرب
اليها وأولاهم بها ، لأنهم أهملوها
مديدة ، وأضاعوا حقها عليهم ،
ها تنشد في حقهم قول القائل :

ذوي القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

، بل اعتبرها فريق منهم لغة عتيقة ميتة
ستطيع مجاراة الحياة العصرية ، ولا مسايرة
الحاضرة ، وهي نغمة استعمارية قديمة
ع بها المخدوعون وارتاح لها أعداء العربية في الشرق والغرب وجعلت حافظا ابراهيم (رحمه الله) يخاطبهم على لسان العربية بقوله :

أيهجرني قومي عفا الله عنهم
الى لغة لم تتصل بــرواة
سرت لوثة الأعجام فيها كما سرى
لعاب الأفاعي في مسيل فرات

لو أحببنا أن نجعل لغتنا رسمية لكان ذلك بأيدينا وفي مقدورنا نحن قبل غيرنا . بيد أنه لا يمكن لنا مطالبة الاستعمار برسمية لغتنا – وهو عدوها اللدود – في الوقت الذي ترانا قد هجرنا هذه اللغة وتركناها وراءنا ظهريا – الا ما قل – فلم تنل من استعمالنا لها في شؤوننا وأمور حياتنا الا المرتبة الأخيرة وبأسلوب يزري بسمعة العربية ويمس شرفها ويحط من قيمتها في نظر الأجانب . فاذا استثنينا تلك الفئة القليلة القائمة على حفظ العربية وحمايتها وترغيب الأمة فيها ، وهي الفئة التي تفقهتها جيدا ، وتذوقت جمالها ، وفقهت أسرارها فعرفت لها قيمتها الممتازة ومكانتها الرفيعة التي صورها شوقي بقوله :

ان الذي ملأ اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره في الضاد

اذا استثنينا هذه الطائفة – التي تعمل ولا تقول – نجد سواد الشعب وأغلبيته الساحقة لا يستعملها الا في أمور محدودة ، وفيما لا يتصل غالبا بأمور الحياة الجوية . وان شئت الدليل على ذلك فاختر أي حي من الأحياء العربية في قسنطينة مثلا ، والق نظرة فاحصة على المحلات والدكاكين المشغولة بمختلف المهن والحرف والصناعات ، لترى بعينيك أي مظهر للعربية على واجهات تلك المحلات ، وأي حظ أخذته العربية عند أصحابها العرب المسلمين . سوف لا تجد على باب محلات غالبهم الا كتابة أجنبية ، ولغة أجنبية ، وان وجدت كتابة عربية ففي لغة ممسوخة مشوهة حسا ومعنى ، قد أخذت مكانها تحت ضرتها... ! باختيار ولدها العاق . بينما تجد الأخرى فوقها صحيحة المعنى والمبنى . ولولا ما تلمحه من بعض المظاهر الأخرى لخلت نفسك في حي أجنبي عن العرب والعربية ، وما تشاهده هنا تشاهده هناك .

وأنت اذا تصفحت دفاتر هؤلاء القوم وسجلاتهم وأوراقهم لا تجد للعربية فيها الا قسمة ضيزى ونصيبا مبخوسا .

وأنت اذا ملت الى مجلس من مجالس الشباب الخاصة – على سبيل الصدفة – رأيت أكثرهم يستنكف من اجراء الكلمات العربية على لسانه ، ويخجل من النطق بها ، كأن ذلك يلحق به عارا أو فضيحة ، ووجدت لغة التخاطب في أوساط شبابنا... المثقف بلغة غيره أجنبية خالصة .

وأنت اذا تجرأت ودسست أنفك في ملفات السادة المحامين والأطباء والصيدليين وغيرهم ممن على شاكلتهم لتستنشق عبير العربية وتشم نسماتها في مطبوعاتهم وجميع أمورهم التي تستعمل فيها مادة القراءة والكتابة ، فلا تكاد تشم لها رائحة ، ولو كان بعضهم يجيدها . وحتى في قاعات الانتظار عندهم لا ترى – غالبا – الا الجرائد والمجلات الأجنبية . كأن زبناءهم لا يكونون الا من الأجانب .

واذا تقدمت خطوة أخرى وخرجت من دائرة الأفراد الى دائرة الجماعات ، ودخلت في محيط الجمعيات العربية الجزائرية على اختلاف أنواعها من رياضية وكشافية واجتماعية وخيرية ، فانك ترى العجب العجاب الذي يحير الألباب . فهذه اجتماعات لا تكون لغة المناقشة والتحاور فيها الا أجنبية – غالبا – وتلك محاضر جلسات لا تسجل الا بلغة أجنبية . وتكاد تكون كل مصالح أكثر جمعياتنا وما يتصل بها لا تحرر الا بلغة غيرنا . وخذ لك – مثلا – كثيرا من الأسماء الغريبة لجمعيات عربية جزائرية والمصطلحات الأجنبية التي طغت على اللغة العربية وزاحمتها في الأماكن التي من حقها أن تسود فيها وتحتل المقام الأول من الاعتبار ، لأنها أماكن شعبية حرة لا دخل للاستعمار فيها . وحياة هذه الجمعيات والمؤسسات – كيفما كان نوعها – تعتمد في الدرجة الأولى على الشعب ، ومنه تستمد قوتها ، وهو يطالب اليوم برسمية هذه اللغة واجبار الغير على استعمالها والاعتراف بوجودها ، فلماذا لا يجبر جمعياته ومؤسساته وشركاته على استعمالها رسميا في أعمالها واحلالها المحل اللائق بسمو قدرها .

انى لو ذهبت أحصي هذه المظاهر الكثيرة الخاصة منها والعامة التي عزلنا فيها العربية عن ميدان الحياة ، وسجلنا عليها العجز فيها ، ظلما ، أمام الأجانب لسودت الصفحات الكثيرة ولا أوفى الموضوع حقه . ولكني ذكرت ما أمكن ذكره ليكون مثالا ملموسا لاساءتنا للغتنا ، وبيانا مكشوفا لهجراننا لها وايثارنا غيرها . وان عملا مثل هذا لمما يعين الاستعمار على محاربتها وتزهيد الأمة فيها وتناسيها لها . فاذا كنا نريد أن نكون أمة « عزيزة الجانب » فعلينا أن نجتنب تقديم لغة الغير على لغتنا ، لأن اللغة – كما قال الرافعي رحمة الله عليه – « هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه ، وحيث لا لغة فلا أمة » ولأن الشعب الذي يكون منه التراخي والاهمال نحو لغته وتركها للطبيعة السوقية ، واصغار أمرها وتهوين خطرها وايثار غيرها بالحب والاكبار هو شعب خادم لا مخدوم ، تابع لا متبوع ، ضعيف عن تكاليف السيادة ، لا يطيق أن يحمل عظمة ميراثه ».

واذا ما أردنا الحياة الحقيقية للغتنا ، والمحافظة عليها ، وحمايتها من عوادي الزمن ومصائب الأيام ، فلا نطلب ذلك عند الاستعمار ، ونهمل الجانب العملي من القضية وهو جانبنا . علينا أن نجعل العربية شعارا لنا في كل أمورنا ، وأن نفرضها فرضا على أنفسنا ، ومن هو تبع لنا ، فتعلمها صغارا وكبارا ذكرانا واناثا ، وتتوجه اليها بجميع احساساتنا وعواطفنا ، ونمنحها أقصى ما يمكن ، وفوق ما يمكن من مجهوداتنا وقواتنا الحسية والمعنوية . فان محافظتنا على اللغة هي المحافظة على الحياة والقومية التي تشخص وجودنا وتميزنا عن غيرنا ، وذلك هو المفتاح الذي يخرجنا من سجن الاستعمار ، لأن للغة أثرا فعالا في حياة الأمم والشعوب ، ولهذا جعلها الاستعمار هدفه الأول بالحرب ، والابادة . فواجبنا – أولا وأخيرا كشعب أو كأمة – تريد الحياة ، وتبغي السيادة ، وتتعشق الحرية ، أن تأتي البيوت من أبوابها ، فتعرف الأسباب والوسائل التي تمكنها من نيل العز ، وتوصلها الى السيادة والحرية ، وتسعى اليها بنفسها ، ولا تعتمد على غيرها ليسعى بها اليها .

ففي امكاننا واستطاعتنا أن نجعل نحن لغتنا رسمية لنا وأنف العدو راغم ، ولكن لا نستطيع أن نحقق ذلك عمليا الا اذا ضاعفنا مجهوداتنا ، وواصلنا العمل لتشييد المدارس وتنظيمها في المدن والقرى التي خلت منها ، وكنا في اعانة الموجود منها بالنفس والنفيس ، وأقبلنا بأولادنا عليها كما نقبل على غيرها ، وحطناها بالعناية والرعاية الكاملة ، وأعلناها حربا شعواء على الأمية والجهالة . فبذلك نبرهن لأعداء العربية في هذه البلاد على ارتباطنا بماضينا الزاهر ، وحيويتنا الزاهية ، وعملنا للمستقبل على أساس العقل والمنطق والحكمة .

ورحم الله حافظا ابراهيم مرة ثانية حيث يقول :

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة
وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا
فيا ليتكم تأتون بالكلمات

قسنطينة — علي مرحوم

الاشتراك

في شمال افريقيا العربي :

عن سنة	٥٠٠ ف
عن نصف سنة	٣٠٠ ف

Pour la légalisation,
L'Administrateur-gérant :
TALEB BACHIR

Impr. « La Typo-Litho »,
2, rue de Normandie, ALGER

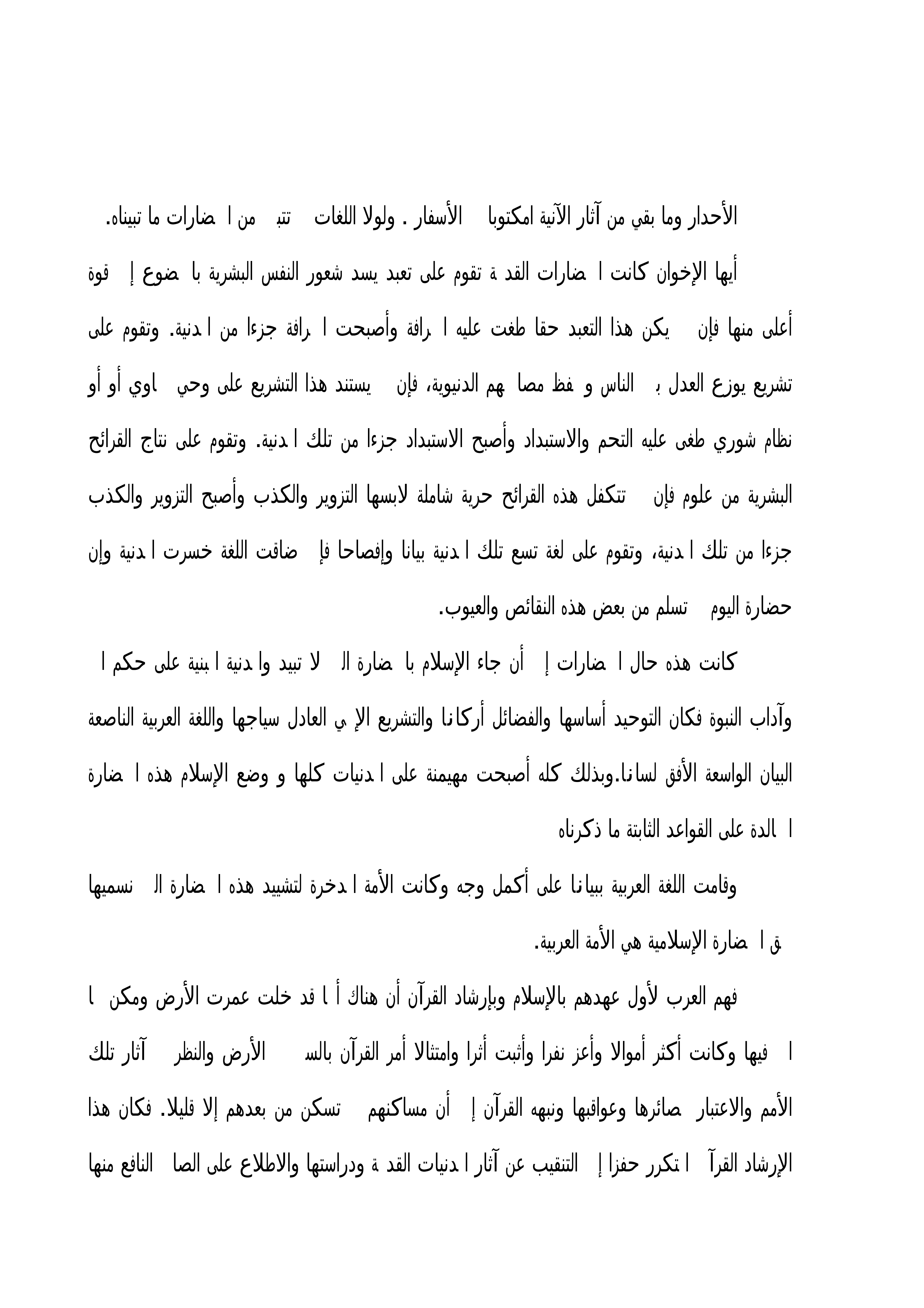
ملحق رقم26

العربية فضلها على العلم وا دنية وأثرها الأمم غ العربية

أيها الأخوة انشقت اللغة العربية من أصلها السامي عصور متوغلة وجرت ألسنة هذه الأمة ال اجتمعت معها مناسب الد وأرومات الفخر وشاء ا أن يكون ظهورها تلك ا زيرة ا امعة ب صحو ا و وصفو الد وا بوة مال الطبيعة و اسن الفطرة لتتفتق أذهان عمار تلك ا زيرة عن روائع ا كمة لوة معرض البيان بذا اللسان، وقد كانت هذه اللغة تر انا صادقا لكث من ا ضارات ا تعاقبة ال شادها العرب زيرتم،و أوضاع هذه اللغة إ الآن من آثار تلك ا ضارات بقايا وعليها من رونقها ات. و هذه اللغة من ا زايا ال يعز نظ ها لغات البشر الاتساع التعب عن الوجدانيات.والوجدان أساس ا ضارات والعلوم كلها...

ومن العجائب أن هذه ا ضارة القائمة الآن تساندت تكوينها و تلوينها عدة لغات تلفة الأصول و تستطع أمن تقوم با لغة واحدة على حد أن العربية قامت وحدها ببناء حضارة شا ة البنيان و تستعر من اللغات الأخرى إلا قليلا من ا فردات.

ازدهرت حضارات الأمم القد ة من العرب وفارس وا ند والص ومصر ويونان والرومان وزخرت علومها وكانت كلها مبنية على أصول عامة متشابة وكانت لكل حضارة لغتها ا ع ة عن اسنها والكاشفة عن حقائقها وكان لتلك اللغات أثر ب بقاء ا ضارة وانتشارها وكل من بقاء ا ضارة وانتشارها يتوقف على ما اللغة من قوة وحياة واتساع فاللغة من ا ضارة جزء لا كالأجزاء كاللسان من البدن عضو لا كالأعضاء. اندثرت تلك ا دنيات والعلوم إلا ما بقي من آثار الأو منقوشا على



الأحدار وما بقي من آثار الآنية امكتوبا الأسفار . ولولا اللغات تتب من ا ضارات ما تبيناه.

أيها الإخوان كانت ا ضارات القد ة تقوم على تعبد يسد شعور النفس البشرية با ضوع إ قوة أعلى منها فإن يكن هذا التعبد حقا طغت عليه ا رافة وأصبحت ا رافة جزءا من ا دنية. وتقوم على تشريع يوزع العدل ب الناس و فظ مصا هم الدنيوية، فإن يستند هذا التشريع على وحي اوي أو أو نظام شوري طغى عليه التحم والاستبداد وأصبح الاستبداد جزءا من تلك ا دنية. وتقوم على نتاج القرائح البشرية من علوم فإن تتكفل هذه القرائح حرية شاملة لابسها التزوير والكذب وأصبح التزوير والكذب جزءا من تلك ا دنية، وتقوم على لغة تسع تلك ا دنية بيانا وإفصاحا فإ ضاقت اللغة خسرت ا دنية وإن حضارة اليوم تسلم من بعض هذه النقائص والعيوب.

كانت هذه حال ا ضارات إ أن جاء الإسلام با ضارة ال لا تبيد وا دنية ا بنية على حكم ا وآداب النبوة فكان التوحيد أساسها والفضائل أركانا والتشريع الإ ي العادل سياجها واللغة العربية الناصعة البيان الواسعة الأفق لسانا.وبذلك كله أصبحت مهيمنة على ا دنيات كلها و وضع الإسلام هذه ا ضارة ا الدة على القواعد الثابتة ما ذكرناه

وقامت اللغة العربية ببيانا على أكمل وجه وكانت الأمة ا دخرة لتشييد هذه ا ضارة ال نسميها ق ا ضارة الإسلامية هي الأمة العربية.

فهم العرب لأول عهدهم بالإسلام وبإرشاد القرآن أن هناك أ ا قد خلت عمرت الأرض ومكن ا ا فيها وكانت أكثر أموالا وأعز نفرا وأثبت أثرا وامتثالا أمر القرآن بالس الأرض والنظر آثار تلك الأمم والاعتبار صائرها وعواقبها ونبهه القرآن إ أن مساكنهم تسكن من بعدهم إلا قليلا. فكان هذا الإرشاد القرآ ا تكرر حفزا إ التنقيب عن آثار ا دنيات القد ة ودراستها والاطلاع على الصا النافع منها

والأخذ به. وكان من آثار هذا التنبيه القرآ أن تفتحت أذهان ا سلم -ولا أعنيكم- إ دراسة هذه ا دنيات واقتباس النافع منها وكان من فضل القرآن على العا أنه أبقى بذا الإرشاد على

590

علوم كادت تندرس وعلى أثر مدنيات كادت تنطمس.

فإن الفائدة الك ى ال يعلقها القرآن على الس الأرض والوقوف على آثار الأمم البائدة هي الاعتبار ال الظا و عق الظا ليعلم ا عت ان الظلم هو سوس ا دنيات فيقيم العدل وإذا جاء العدل جاء العمران وإذا جاء العمران قامت ا دنية وكان العدل سياجها والعلم سراجها وهذه هي مدينة الإسلام..

أيها الإخوان هنا ا انب العامر من لغتكم وهنا النقطة ال سقنا هذا ا ديث كله من أجلها وهنا ا وضوع وهو فضل اللغة العربية على العلم وا دنية

أيها الإخوان

لو تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران ولو لو تكن لغة متسعة الآفاق غنية با فردات والتراكيب- ا استطاع- أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان- والآداب فارس وا ند. ولألزمتم ا اجة إ تلك العلوم بتعليم تلك اللغات ولو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية وأدمغة يونانية و لو وقع ذلك لتغ ى التاريخ الإسلامي برمته.

لو تكن اللغة العربية لغة عا ية ا وسعت علوم العا وما العا آنذاك إلا هذه الأمم ال نقل عنها ا سلمون.

قامت اللغة العربية أقل من نصف قرن بتر ة علوم هذه الأمم ونظمها الاجتماعية وآدابا. فوعت الفلسفة ميع فروعها. والرياضيات ميع أصنافها والطب وا ندسة والأدب والاجتماع وهذه هي العلوم ال تقوم عليها ا ضارة العقلية الأمم الغابرة وا اضرة. وهذا هو التراث العقلي ا شاع الذي لا يزال يأخذه الأخ على الأول وهذا هو ا زء الضروري ا ياة الذي أما أن تنقله إليك فيكون قوة فيك وأما هذا هو

ا زء الضروري ا ياة الذي أما أن تنقله إليك فيكون قوة فيك وأما أن تنتقل إليه لغة غ ك فتكون قوة لغ ك. وقد تفطن أسلافنا ذه الدقيقة فنقلوا العلم و ينتقلوا إليه.

وقد قامت لغتهم فظ هذا ا زء الضروري من الضياع.بانتشاله من أيدي الغوائل

وبنقله إ الأواخر عن الأوائل وبذلك طوقت العا منه لا يقوم با الشكر ولولا العربية لضاع على العا خ كث .

أيها الإخوان

إن كث ا من العلوم ال بنيت عليها ا ضارة الغربية تصلها إلا عن طريق اللغة العربية بإ اع الباحثون منا ومنهم وأن ا نصف منهم ليعترفون للغة العربية بذا الفضل على العلم وا دنية ويوفوها حقها من التمجيد والاحترام.ويعترفون لعلماء الإسلام بأنم أساتذتم هذه العلوم عنهم أخذوها وعن لغتهم تر وها وأنم مدون للدهر أن هيأ م اورة ا سلم بالأندلس وصقلية و ال إفريقيا وثغور الشام حـ أخذوا عنهم ما أخذوا واقتبسوا عنهم ما اقتبسوا ولا يزال هؤلاء ا نصفون يذكر ونفضل نعاهد الأندلس العربية ومعاهد ال إفريقية ومعاهد الشام على ا ضارة القائمة ولا يزالون ينتهجون بعض ا ناهج الدراسية الأندلسية معاهدهم إ الآن ولا يزالون يردون كل شيء إ أصله ويعترفون لكل فاضل بفضله.

أغلوطة ملأت كتب الكث منهم وترددت على ألسنتهم هدون با إ وصم العر بأنه بليد الفكر جامد القر ة سطحي التفك مسدود الشهية العلمية ويتوسلون بذلك إ تزهيد العر مزايا إسلامه واحتقاره ا و م.



وا قيقة الـ يؤيدها الواقع ويشهد بـا ا نصفون منهم أن العرب حينما نقلوا علوم الأوائل كما كانوا يسمونـا نقلوا بدافع وجدا إ العلم ورغبة ملحة فيه. وأنـم نقلوا ليستقلوا ولينتفعوا بثمرة ما نقلوا ولا يتم م هذا الاستقلال العلم إلا بالتمحيص والتصحيح.

ومن الثابت عندنا أن عهد التر ة كان عهد اضطراب هذه العلوم ا تر ة ردت فيه التبعة على ا تر ا لت الرغوة وعمل الفكر العر الوقاد عمله فصحح أغلاط الفلاسفة وصحح نظريات الرياضة وجاء دور الاجتهاد هذه العلوم استقل الفكر الر بالفلسفة وكيفها على ذوقه ا اص.واستنبط هذه العلوم طرائق وأنواعا تكن

معروفة من قبل الأوائل وصحح العلل وكشف عن الأوهام وانتقد انتقاد ا ستقل. وما كان الفارا وابن سينا وأبو سليمان ا نطقي ا شارقة ولا ابن خوجة وابن طفيل وابن برجان وابن رشد وأبو ا ذيل الأندلسي - با قلدين علوم الأوائل.

أيها الإخوان إن العربية دم مدنية خاصة بأمة. وإ ا خدمت ا دنية الإنسانية العامة نية ا العام والنفع العام و دم علما خاصا بأمة وإ ا خدمت العلم ا شاع بـ البشر ميع فروعه النافعة.ومن يستقرئ خاصة هذه اللغة لعلم الطب وحدة يتبي مقدار ما أفاءت هذه اللغة على البشرية من خـ و نفع.

وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كله يتخبط في ظلمات الجهل هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وآوته ونصرته.

أيها الإخوان هذا فضل لغتكم على ا دنية الإنسانية وفضلها على الأمم غـ العربية وأما فضلها على الأمم العربية فإنه يزيد قدرا وقيمة على فضلها على الأمم الأخرى وإذا قلنا- الأمم العربية فإننا نعـ الأمم الإسلامية كبلها، لأنـا أصبحت عربية كم الإسلام ولغة الإسلام.

فاللغة العربية منذ دخلت ركاب الإسلام على الأمم الـ أظلها ظله كانت سببا قفي تقارب تفكـ هم وتشابه عقلياتـم و ازج أذواقهم وتوحيد مشاربـم وإن هذا ن ا ناهج السديدة توحيد الأمم

المختلفة الأجناس. ولولا العربية لاختلفت الأمم الإسلامية فهم حقائق الدين باختلاف العقليات المنسية وقد وقع بعض هذا ولكنه من القلة بحيث لا يظهر أثره ا ركة العامة للامة.

واللغة العربية هي ال فضلت على علماء الإسلام بكنوزها ودقائقها وأسرارها وأمدتم بتلك الثروة ا ائلة من ا صطلحات العلمية والفنية ال تعجز أية لغة من لغات العا عن إحضارها بدون استعانة واستعارة.فبحثوا كل علم و ثوا كل فن وملأوا الدنيا مؤلفات ودواوين ومن عرف كتاب أ حنيفة الدينوري النبات وكتاب أبي عبيدة ا يل وكتاب ا مدا طيط جزيرة العرب وكتاب ا احظ ا يوان وكتب

الا ة الطب والنجوم والإبل رأى العجب العجائب من اتساع هذه اللغة وغزارة مادتا. وعلم مقدار أفضا ا على الأمة العربية.

كما أن من يقرأ شعر الشعراء النفسيين من الفرس بذه اللغة وشعر الشعراء الوصاف من الأندلس يتجلى له أي أفضال افضلته العربية على تلك القرائح الوقادة ال وجدت العربية فيضا لا ينقطع مدده. وإضافته إ فيض الاستعداد.

وما ام الإنتاج الأد إذا كان يصدر عن اتساع اللغة واتساع ا يال

أيها الإخوان

إن النهضة العربية ا اضرة الشرق مفتقرة إ كث من ا صطلحات العلمية والصناعية وما زلنا نقرأ من سنوات عن اهتمام قادة النهضة بذه ا شكلة وتقرأ اختلافا الوجهة وهل الأصلح البحث عن مصطلحات عربية أصيلة.واستعارة هذه ا صطلحات من لغات العم الأجنبية وإن غاية ما استنجد به أصحاب الرأي الأول ا عاجم اللغوية- واعتقد أنه لو كانت الكتب العلمية والفنية ال كتبها أسلافنا موجودة ب أيدينا

و تغلها غوائل الدهر لوجدنا فيها من هذه ا صطلحات ما يقي اجتنا أو يقارب ولكنها- ويا للأسف- ضاعت وضاعت بضياعها ثروة لا تقوم ال...

أيها الإخوان هذا عرض بسيط لبعض ما للغتنا من فضل على العلم وا دنية .وإن هذا ا بحث حد ذاته موضوع طريف تاج إ ث عميق ودراسة مستفيضة ويتطلب جهدا وقويا و وقتا متسعا ولو أن باحثا عربيا يساعده وقته وحاله على استقراء هذا ا وضوع لكتب فيه ا لدات ولبث ناشئتنا روحا جديدة من ا ماس للغتهم والتعلق با وللكد صيلها والتعاظم ما ا ولكان ذلك مقاوما لروح التزهيد ا بيئة ال لابست عقو م...

وعلى الله قصد السبيل

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

ص 5 مجلة الشهاب م 15 ج1 ص 11 إلى 20

594

ملحق رقم 27: التعليم و حاجته إلى توحيد و نظام :

أخذت مسألة التعليم عندنا و احتياجه إلى نظام و توحيد يلبي حتى حلت منه المحل الأول و صارت شغله الشاغل ، ذلك بعد أن تعاطيت تعاليم مختلفة ، و زاولت دروسي على أنظمة متباينة فضلا عما استفدته بالسماع من بعض الإخوان الجزائريين عن برامج كانوا قد نهجوها ببلدانهم فبل مجيئهم إلى تونس، غير أني كنت أتردد في إبراز ما يضطرم به خاطري من الملاحظات و النظريات في هاته المسألة التي أعدها حجرة أساسية في بناء صرح الجزائر الحديثة ، حتى طلع علينا نعل الأستاذ ساطع الحمري بك مدير دار الآثار العربية بالعراق ، بمجلة الرسالة الراقية تحت " نقد نظام التعليم في مصر " فوجدت فيه حافزا لتسجيل ما ترددت فيه طويلا لأني كلما قرأت فصلا في حركة من الحركات أو فن من الفنون إلا وتساءلت بعد الفراغ منه : و ما حظ الجزائر من ذلك يا ترى ؟

ثم أني أعتقد أن الجزائر الآن في حيرة شديدة و مشدوهة كمن استيقظ من رقدة طويلة لا يدري في أي مكان و لا أي زمان هو ، فهي لا زالت تتخلص من أسلاك سباتها الشائكة و ما زالت تنفض جفونها من بقايا نومها الثقيل و لا تدري بعد ذلك أي الأعمال تستوجب الابتداء و التقديم . إذن فلا بد لقادتها و ذوي الحل و العقد فيها من التدبير و التفكير العميق و الإمعان و التروي في الأمور قبل الشروع في تنفيذها ليسلكوا بالأمة طريق الكمال باعتدال و على هدى و بصيرة .

و لست من الغرور بمكان حتى أغالط نفسي و الوقع و أدعي أن الجزائر قد أخذت بنصيب وافر من الرقي الأدبي و الاجتماعي يليق بها بالأمم العريقة في المجد . و لا يفهم بعض المكابرين المخلصين ، بل أنني أومن بالمستقبل الزاهر إيمانا جازما ثابتا لا بالأحلام و الأوهام بل مع التمسك بالأسباب المشروعة الموصلة لسعادتنا المنشودة .

فهاته هي إحساساتي و عواطفي أبت إلا أن تفيض و سطر نفسها على صفحات هذا القرطاس غير أني أنبه أن ليس المراد بها إرشاد رجال الجزائر إلى هاته المسألة و لا إسعافهم بنظرياتي فيها ، فحاش أن يصدر مني هذا التطفل و إن كنت أيضا أكره الإسراف في التواضع في غير محالة . و كلاهما (أعني الإسراف في التواضع و التطفل على ما ليس في التناول و هو " الغرور ") له ميادين فسيحة الأرجاء بالجزائر بل المراد إنما هو

إلفات نظرهم إلى هاته الدعامة الحيوية لكل شعب من الشعوب فقد يكون الإنسان محبطا دراية بالشيء إلا أنه يعوزه الإهتداء إليه فلعلي أوفق إلى مرادي و لعلني أكون سعيدا بذلك .

-2-

لم أتخذ عنوان الأستاذ الحصري بك في هذا الفصل لأنه ليس لنا نظام تعليم – إن لم أقل ليس لنا تعليم أصلا- كنظام التعليم في مصر حتى أنقده كما فعل حضرة الأستاذ و إنما اتخذت له عنوانا خاصا ليشعر بحاجتنا إلى وجوب توحيد تعليمنا و تنظيمه و قبل أن أبدأ بالكلام هلى هاتين النقطتين فليسمح لي القارئ الكريم ببسط كلمة و جيزة في التعليم فأقول :

نعم أكرر أن التعليم هو الحجرة الأساسية و الدعامة الحيوية لهيكل كل أمة من الأمم ذلك أنا نرى أن الحركات الإصلاحية و الاجتماعية و السياسية في كل قطر من الأقطار إنما يكون لها ضمان البقاء والازدهار إذا كان الشعب الذي تدور فيه تلك الحركات على نصيب وافر من الثقافة و المعارف ، و نجد الأمم الحية المتمدنة كما ظهر فيها مصلح مخلص بمبدأ جديد إلا وحاز عطف شعبه و نصره و تأييده ، وكلما ظهر فيها متلاعب مراوغ يريد هدم كيانها إلا و لاقى المعارضة و الخذلان و الازدراء و قوبل بقلة الاهتمام حتى يسقط و يكون عبرة لغيره . و بخلاف ذلك نجد الأمم المتأخرة تميل – كالنعجة العجفاء – أينما هوت بها ريح المغرضين من ذوي الخزعبلات المريدين بها

شرا و بلاء و بالعكس – و العياذ بالله – تقف وقوف الجبابرة و الأعلام الراسيات أمام كل منقذ صادق يريد بها خيرا و هناء .

ففي الأمم المتعلمة المستنيرة المتهيئة الأفكار لجميع الطوارئ و المتأهلة لفهم كل ما يعرض لما في حياتها نجد المجددين المخلصين فيها و الزعماء المفكرين منها لا يلقون في طريقهم عوارض شاقة تعرقل أعمالهم و لا عناء شديدا في تحقيق آمالهم ، و بمجرد إدراك الأمة لكنه ما يرمون إليه و التحقق من صلاحيته تصبح مبادئهم محترمة معمول بها و تصير متداولة فاشية حتى لكأنها موجودة في عهد طويل . وبالضد نجد أمثال أولئك المجددين لا يعرفون النجاح و النصر و لا يتذوقون له طعما في الأمم المتأخرة ونجدهم

يكثرون من الدعايات الواسعة بلا أدنى فائدة . و يلاقون المصاعب الشاقة في طريقهم فينغلبون عليها حتى إذا كادوا أن يصلوا إلى غايتهم سرعان ما ينقلب عليهم الأمة بين عشية و ضحاها من دون موجب ، و لا سبب لذلك إلا أن الأمة جاهلة لا تفهم شيئا مما يراد بها ، و يشتبه عليها المخلص بالمذنب ويلتبس عليها النافع بالضار .

و قياسا على هاته الحقائق يجب على قادة الأمة الجزائرية الناهية و التي هي في حالة انتقال من طور الموت إلى طور الحياة ، يجب عليهم أن يبدوا من حركاتهم على أساس متين يضمن لهم النجاح في مأموريتهم و يبعث فيهم الارتياح و الاطمئنان لما أوجدته أياديهم البيضاء ، ألا وهو تعليم الشبيبة الناشئة لأن الشباب هم رجال المستقبل و هم حاملوا لواء مجد أمتهم فيه . و يجب عليهم – زيادة على الدعوة الإصلاحية و الاجتماعية – أن يعتنوا بالتعليم عناية كبرى و أن يعملوا بقاعدة " علمه و ربه و ترك حبله على غاربه " .

- 3 -

و كما أن التعليم ضروري لكل أمة و لا يمكن لها الحياة بدونه كذلك لا يمكن لها أن تأمل في الخير و النجاح إذا كان تعليمها القومي مختلف المناهج تتحكم فيه الفوضى و

الاضطراب إذن اختلاف برامج التعليم في الأمة الواحدة دليل على ضعفها و تقهقرها و هو من أعظم الآفات و أخطرها على " وحدة الشعور " التي يجب أن تسود البلاد و التي إذا فقدت معها قوة الشعب الأدبية و حل محلها الشقاق و كثرة المذاهب و الآراء التي من شأنها أن لا تعود بكبير فائدة على الشعوب الهزيلة المحتاجة إلى التغذية الأصلية مثل شمال إفريقيا و بالأخص الشعب الجزائري .

و من آثار هذا التعليم الفوضوي أننا نشاهد بين طلاب العلم من حيث هم فروقا عظيمة في المعلومات فضلا عن العمر و القابلة العقلية المعبر عنها ب " الاستعداد الفطري " .

و يتسبب عن هاته الفروق اختلاف الخاصة فيما بينهم في المسائل التي هي من حقها أن تكون من باب المتفق عليه بالطبع ، و لعل ذلك هو السبب في مخالفة بعض العلماء الجزائريين لإخوانهم في الحركات الاجتماعية و الاصلاحية إذ أنهم متأثرون بما قد تلقوه

في عهد تلمذتهم من أفكار و آراء شاذة لا تتفق و تلك الحركات . و في هذا المعنى يقول شاعر العصر المرحوم أحمد شوقي بك أمير الشعراء :

و إذا المعلم ساء لحظ بصيرة * جاءت على يده البصائر حولا

و كذلك نجد صغار الطلبة يتجادلون في أحقر المسائل التي لا طائل تحتها و نجد بعضهم شديدي التعلق بالمناقشة في الألفاظ أكثر منهم بها في المعاني الجوهرية و كثيرا ما يؤدي احتكاكهم بأتفه الأمور إلى إساءة الأدب و تحريج بعضهم بعضا من غير داع لذلك .

ثم إن اختلاف التعليم بالجزائر يظهر جليا في الزوايا القديمة و المدارس الحديثة ففي الزوايا نجد التعليم قاصرا على كتاب أو كتابين من كتب الفقه يحفظهما طلابها حفظا بمتنهما و شرحهما و حواشيهما بدون فائدة إذ لا يجدون أستاذا كفئا يرشدهم طريق الاستفادة منهما . و يترتب على ذلك أنك إذا سألت أحدهم في مسألة من المسائل أجابك

بتلاوة نصها بالحرف متنا و شرحا و حاشية من دون فهم لحقيقة المسألة أصلا. و كثيرا من أمثل هذا الجهول من يؤم المسلمين – و يا للحزن – في صلاتهم و يرشدهم إلى دينهم حسبما يمليه عليه جهله المركب معتقدا أنه أصاب شاكلة الصواب .

و في الزوايا نفسها نجد اختلافا عظيما في التعليم ، فبعضها يقرأ فيها القرآن الكريم قراءة جيدة باعتناء يستحق الثناء و الإعجاب إلا أن بقية العلوم المختلفة تكاد تكون فيها معدومة . و بعضها يقتصر فيه على إقراء كتاب الشيخ خليل و على خنة المرات عديدة في حين أن الفنون اللازمة لفهمه – كالنحو و الصرف و اللغة و البلاغة – لا اسم لها فيها . و غير ذلك من الأنواع المختلفة .

هذه الحالة بإجمال في منابع العلم العتيقة بالجزائر و أما المدارس العصرية الحديثة فإننا نجد اعتناء بعضها بقشور المسائل أكثر منه بمهماتها . و البعض الآخر يقتصر فيها – لعدم كفاءة معلميها – على التحمس و التخليط بين المسائل العلمية و الحوادث الاجتماعية و الإصلاحية العامة ، و بعض ثالث لا ينفك مدى الدهر عن الترنم بالقصائد و الأناشيد المدرسية و في هاته الأنواع الثلاثة نجد التلميذ متشعب الفكر أجوف من المعلومات

الصحيحة . و هناك بعض آخر نجده دائما بصدد كله هو السبب الوحيد الذي جعل البعض ينتقد على تلك المدارس عدم الإنتاج .

و هذه الثقافة المذبذبة سواء في الزوايا أو المدارس من أخطر الآفات على ذوق الأمة و الطلاب وفهمهما للعلم و العلماء كما يجب أن يفهموها فمن الواجب المحتم على رجال الجزائر أن يجعلوها تفقه معنى العلم و العلماء على المثل الأكمل و أن لا يعتبروا إلا الكفاءة ، و للوصول إلى هاته الغاية السامية يجب عليهم أن يبنوا منهجا للتعليم منظما على مبدأ " توحيد أسس الدراسة " .

- 4 -

هذا ما يتعلق بوحدة التعليم عندنا على سبيل الإجمال و هناك مسألة نظامه و نقصد بها نظام التعليم في المدرسة الواحدة أو الجامع الواحد أو الزاوية الواحدة و كان

من حقي تقديمها على مسألة توحيد التعليم إذ هي الأصل إلا أنني أخرتها لحاجتنا إلى توحيد التعليم مبدئيا و سهولة تنفيذه و لأن فائدته ترجع إلى عموم التهار و الشأن تقديم الفائدة العامة على الخاصة . و المسألتان كلاهما ضروريتان لنا و ضداهما شران علينا إلا أن بعض الشر أهون من بعض .

و من آثار النظام في التعليم أنا كنا نخرج من المكتب الأهلي الفرنسي بالأغواط و نذهب إلى المدرسة بتشوق إليها و ارتياح إلى دروسها إذ لا نجد في نظامها الذي ابتكره مديرها السابق المأسوف على فراقه لها أستاذنا الشيخ مبارك المبلي أكثر الله من أمثاله ، ما ينفر نفوسنا بل كنا لا نكاد نشعر بشيء يغاير نظام المكتب لولا اختلاف اللغة و المواد و قلة الوقت .

و ما رسوخ المعلومات و القواعد و انسجام الثقافة و متانتها إلا آثار من آثار التعليم المنظم و حسنات من حسناته فبه يتمكن الطالب من التحصيل تدريجيا بسرعة و اتزان كالطالع على السلم بخلاف المتعاطي للتعليم المعوج فهو كمن يتطلع إلى جبل صخري عظيم فتارة يجد الطريق منبسطا هيئا و أخرى تعترضه طريق عويصة تستغرق تمام وقته الثمين و آونة تصده عن التقدم صخور كبيرة لا طاقة له على تسلقها .

ففي بعض تلك المدارس و الزوايا تقرأ بعض الكتب العصرية المختصرة مع كتب أخرى مطولة بلغ بعضها النهاية في التطويل ، كالنحو الواضح مثلا مع خليل و الآجرومية مع السعد و الموطأ إلى غير ذلك من التناقض الفاحش .

و من آثار هذا التناقض أننا نجد التلميذ لا تطمئن نفسه لتلك الدروس و لا يجد فيها داعيا للإقبال عليها بشوق و اعتناء . مثال ذلك أننا نجد في بعض الأنظمة أن أول ما يلقيه الأستاذ على تلميذ يحضر لأول مرة أول درس في فن يجهله تمام الجهل كالنحو مثلا – هو قوله " بسم الله الرحمن الرحيم ...الباء حرف جر الخ ..." و الحال أن التلميذ لا يعلم ما هو حرف الجر و ما هو تعلقه مسع مجروره الخ ...و أمثال هاته الأمور التني تستحق الندب لا النقد كثيرة معهودة .

هنا نقف إذ ليس في مقدور قلمنا القاصر إعطاء هاته المسألة حقها في البحث و التحليل و لعل ما ذكرناه يكون كفيلا و كافيا لإلفات نظر من هم أهل لذلك إليها . و قد يحمل البعض كلامنا على المبالغة و المغالاة و إعطاء الأشياء أكثر مما يستحق و يقولون : أن ما تريده إنما هو من وظيفة الحكومات و على الأخص الأخص العربية منها في الشؤون العربية إذ لا يفلح عرب ملوكها عجم و ليس من وظيفة الأفراد أو المؤسسات الحرة فنقول لهم أن المدارس التي تتكلم عليها و على تعليمها لم تؤسسها حكومة و كذلك المساجد و الزوايا بل أسسها الشعب و لذلك نطلب إصلاح ما أسسه الشعب من الشعب نفسه إذ القادر على البناء لا شك قادر على صقله من بعد .

و نخاطب الشعب في شخص صاحبة الفضل الأكبر عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ليس لنا غيرها في تحقيق ما نريده منه . و لهذا نختم كلمتنا بتوجيه بع الملاحظات إليها في هذا الموضوع لارتباط له بها و انتفاع بها فيه فنقول :

أولا : يجب على جمعية العلماء المسلمين أن تهتم بالتعليم و شؤونه اهتماما عظيما اكثر من غيره ، فقد دلنا على غير ذلك عدم خوض صحابتها و محاضري نواديها في تلك المسألة و عدم تكوين لجنة للتعليم (و لو اسما كغيرها) .

ثانيا : يجب عليها أن تكون لجنة للتعليم يكون أفرادها من أكابر العلماء المباشرين للتعليم بإسناد رئاستها إلى أساتذتنا الشيخ مبارك الميلي لما جربناه و رأيناه فيه و تون تلك اللجنة بمثابة نظارة معارف أو أكاديمية في بقية الأمم .

ثالثا : أن تعقد هاته اللجنة اجتماعات خاصة تكون مباحثها في موضوع التعليم خاصة و تبادل الآراء فيه .

رابعا : أن تجعل مسابقة بجوائز مختلفة في تأليف كتب عصرية معتدلة الأسلوب في غالب الفنون المهمة و توزع هاته الكتب النافعة على كافة المدارس إجباريا .

601

خامسا : أن يكون لها مفتشون عامون يختلفون لجميع المدارس للإطلاع على فائدة النظام المتبع و نتائجه . و أن تكون لها شهادات مدرسية للتلاميذ و بعض الجوائز للنجباء منهم لتنشيطهم و ترغيبهم في العمل .

سادسا : أن ترسل جمعية العلماء على نفقتها بعثة علمية إلى مصر أو سوريا (عشرة أنفار على الأقل) لتعاطي العلوم المختلفة و أساليب الدراسة و فنون التربية و التعليم فتقرب بذلك حلم تأسيس كلية جزائرية إسلامية عربية .

و أهم ما نلاحظه على جمعية العلماء هو اعتبارها كفاءة علمية في معلمي المدارس و الكفاءة قبل كل شيء فقد يكون البعض آية في الخطابة و الدعاية إلا أنه لا يقدر على إفادة التلميذ و لو حرفا واحد و يكون بعض آخر ذا أثر محسوس في تكوين الطلاب إلا أنه لاحظ له فيما نبغ فيه الأول فيوجب ذلك الحكم عليه بعدم الكفاءة فينبذ .

فلا بد لجمعية العلماء من مراعاة المسألة من جميع وجوهها و إحاطتها بحثا و فحصا و تحقيقا ليتسنى لها إيجاد برنامج منظم يساعد على تكوين " جيل موحد الشعور " .
و الله نسأل توفيقها إلى ما فيه الخير و الصلاح .

(تونس) أحمد بن أبي زيد الأغواطي

المصدر :

مجلة الشهاب ج 1 م 13 14 مارس 1937 ، ص 9 .

ملحق رقم 28

من مدرسة الفرد إلى مدرسة المجتمع

من رمضان المعظم إلى الحج الأكبر

... مما لا شك فيه ان صوم رمضان بمعناه الشرعي كثير الفوائد... غزير الحكم منها ما يعود على الجسم ومنها ما يعود على العقل ومنها ما يعود على النفس

أما ما يعود على الجسم فذلك بما أن الصوم هو الإمساك عن الأكل والشراب واللذائذ والمحرمات طول النهار فهو من هذه الجهة كنظام طبي قوامه الإقلال من الأكل والشراب ونمن الحاجة الجنسية مدة شهر كامل يفرضه طبيب حكيم على مريض أنهكه ولعه وإسرافه في ذلك مدة أحد عشر شهرا حتى أفسد عنه نظام صحته فهو إذا اتبع نظام طبيبه لا يخرج منه إلا وهو صحيح الجسم شديد القوة بريئا معافيا.

وأما مايعود على العقل فبما أن العقل تبع للجسم يعتل باعتلاله ويصح بصحته كما قيل لايسكن العقل الصحيح إلا في الجسم الصحيح فإن مرآة العقل بالصوم تصبح مجلوة صقيلة لماعة بعد أن كانت منكسفة ... لا يكاد يرسم فيها شيء لاعتلال الجسم بتراكم الفضلات.

وأما ما يعود على النفس ... فإن الصوم يزكيها ويهذبها ويربي فيها ملكة الإخلاص والإرادة والشفقة والرحمة بالضعفاء والمساكين وحسن الإصغاء للحق وإنصاف للنظلوم والعفة والنزاهة وغير ذلك ويزيل منها الرياء والنفاق والقسوة والفضاضة والصلف والكبرياء والخلاعة والمجون وغيرها. ...

وأما الحج فإن فوائده العظيمة وحكمه البليغة ومراميه البعيدة وغاياته السامية أكبر من أن يستقسيها أحد أو يبلغ مداها عقل بشر ...

وبما أنه لايصح ولايتم للحاج إلا بزيارة تلك البقاع المقدسة وبآداء مناسك معلومة في وقت معلوم ... وبما أنه يجتمع في أحواله هذه بسائر إخوانه المسلمين من الصيني إلى المراكشي فإن الحج بهذه الاعتبارات مؤتمر عالمي إسلامي عام بل جامعة إسلامية كبرى يدرس فيها العلماء ما يهمهم من فنون العلم والحكماء ما يهمهم من فنون الحكمة والإداريون ما يهمهم من فنون الإدارة والاقتصاديون ما يهمهم من فنون الاقتصاد إلخ ...

بدون إمضاء، جريدة الأمة، عدد 17.

ملحق رقم 29

كيف يجب تسيير التجارة

... أولا أما واجبه في دكانه فهو أن يباشر إدارته وتسييره بنفسه ولا يتكل على احد سواه في ذلك فإن الأمانة قد قلت والخيانة قد فشت ...

وثانيا فهو أن يحسن اختيار البضائع التي تلائم أذواق الراغبين واقتناء الأصناف التي تستهوي نفوسهم وأن يكثر من الأنواع المرغوب فيها...

وأما ثالثا فهو أن يدقق في تنظيم دكانه وتنسيقه على أجمل ما يقتضيه الذوق العصري من ترتيب وتحسين حتى يكون بهجة للناظرين يستهوي غواة بضائعه ويستميل عشاق نفائسها وكل ما يبذله في ذلك من جهود فقد يسترده بمضاعفة أرباحه زيادة عما يجد إثر ذلك من الراحة واللذة وانشراح النفس وصيانة السلعة وحفظها من التآكل والتقطيع والتوسيخ...

أما رابعا فهو أن يوزع أعمال الدكان بعد أن يقوم هو بإدارته العليا بنفسه على عماله كل واستعداده ومواهبه فيخصص البارع منهم في فن الحسابات ومسك الدفاتر للقيام بشئون مكتبه... والحاذق منهم في البيع والشراء والأخذ والعطاء لمقابلة الحرفاء وعرض المبيعات عليهم بما يلزم من اللين والمجاملة والبشاشة مع الحذق والمهارة... والبعض منهم لتنظيف الدكان ونفض الغبار عن البضائع وتنسيقها وتنظيمها في رفوفها بكل دقة واعتناء إلى الخ...

وأما خامسا فينبغي أن يعتني هو وعماله بالنظافة وحسن الهيئة بما يقتضيه الذوق السليم ولا يخرج عن دائرة الشرع العزيز فإن ذلك أدعى لجلب النفوس واستمالة القلوب...

دون إمضاء، جريدة المغرب، عدد5

وحي الذكرى

عيد الهدى والعلا ما كان أحلاكا   وما أعز طوال الدهر محياكا
رجعت للكون رحمى لا حدود لها   ليسعد الناس والدنيا بمرآكا
وعدت بالسعد والبشرى تزفهما   الى بنى الضاد والاسلام : أبناكا
بشرى التحرر والنصر العزيز على   خصم لدود أبى للحق ادراكا
يتيح فى القول خيرا جهد مرحمة   وقد أعد وراء الستر أشراكا
دأبا يلون فى التخريب خدعته   ويجعل الكون نيرانا وأشواكا
ان فك فى اليوم قيدا حاك منه غدا   أشد من سابق الأغلال اهلاكا
يا ليت شعرى أيرجو أن تدوم له   أوطان أحمد عبدانا وأملاكا
كلا ، ورب السما ، لا يرتضى أبدا   شعب العروبة عيشا تحت أعداكا
ولن نكون عبيدا خضعا لهوى   حكم عثا بذرى الأوطان سفاكا
سنفتدى - رغم كل - من سلاسله   ونغتدى أمة بالعز تلقاكا
نعلى بيومك رايات الحمى ونرى   للخلق أنك تهوانا ونهواكا

* * *

هذى تهن من الشـ [illegible]   خذها لأحمد عهدا عند رجعاكا
واذكر له أننا قمنا على محن   شعبا كريما عزيز النفس دراكا
نبنى المعالى ونأتى كل صالحة   حسنى لدى الله ترضيه واياكا

* * *

يا مولد النور فى أعلى مراكزه   كرمت ذكرا ، وطاب اليوم مسراكا
هذى الجزائر فى أسمى عواطفها   قامت توفيك تكريما وترعاكا
هذى الشبيبة فى حب ومكرمة   حفت بعرشك أزهارا وأملاكا
تجمعوا من صميم العرب فى حرم   ليجتلوا حسنك الأحلى ومعناكا
اذ كنت يا عيد للأوطان رمز علا   وروح مجد سما ، توحيه ذكراكا
حملت ماضيها المحبوب فهى ترى   أيامها الغر تزهو فى محياكا
هذى قلوب بنى الاسلام طاهرة ،   قد هيئت لتكون اليوم مغناكا
فانزل بها خير ضيف ، وازدهر أبدا   فانها عرشك الأعلى ومأواكا
وارفع لنا صيحة كبرى مدوية   تحيا الجزائر فى جنات علياكا !

الجزائر   **الربيع بوشامة**

المصدر : جريدة البصائر عدد 24 (1948-2-23).

البصائر

تملكها جمعية العلماء ولسان حالها

شعارها العروبة والإسلام

المدير المسؤول وصاحب الامتياز ورئيس التحرير محمد البشير الابراهيمي

عنوان الجريدة ١٢ نهج بومبي
رقم الهاتف
الحساب
السجل

« EL-BASSAÏR »
Journal hebdomadaire
Directeur-Gérant : TALEB-BACHIR
12, Rue Pompée - ALGER
Teleph. : 278-47
C.C.P. 339-73 R.C. Alger 7124

الاثنين ٢٨ ربيع الاول عام ١٣٦٧هـ | تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع | الموافق ليوم ٩ فبراير سنة ١٩٤٨ م

من أدب القرآن

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »

... ونعود الى فلسطين

(٢)

ان الأقوياء الذين تولوا كبر التقسيم ، وحملوا اولئك الضعفاء بالوعد والوعيد على التصويت عليه – ما ارتكبوا تلك الجريمة الشنعاء وغمطوا حق العرب ، الا بعد أن غمزوا مواقع الاحساس من العرب ، فرأوهم جامدين كالهازلين ، ورأوا منهم ناكثين كالغازلين ، ورأوا في أمرائهم المقاومين على أعنف ما تكون المقاومة ، والمساومين على أخس ما تكون المساومة . وفي شعوبهم [illegible] فبنوا مقدمات الحكم على هذا التفاوت في الكيان العربي وغرهم بالعرب الغرور ، ولم يتبعوا الايام نظرهم . بل وقفت بينهم على يوم العرب وأغفلوا غدهم . ثم غفلوا الغفلة النكراء فوازنوا بين ما نملك من قوى مادية نستطيع بها المادة في الجهاد . وبين ما يملك الصهيونيون من ذلك . ودرسوا وقارنوا واستخدموا الجمع والطرح فأنتجت لهم المقدمات هذه الحقائق ، وهي أننا لا نملك مصنعا للسلاح ولا معملا للكيمياء ولا رجالا فنيين كالذي يملكه اليهود من كل ذلك ، وان ثلاثين سنة مرت – وكلها نذر بهذه العاقبة – لم توقظنا من غفلتنا ، ولم تدفعنا الى الاستعداد لها ، فقالوا : نقسمها ونربح اليهود لأن لنا فيهم فائدة معجلة ، ولا نخشى العرب لأنه ليس فيهم مضرة مؤجلة .

ولكن فات أولئك البانين لكل شيء على الماديات أن هناك سلاحا أمضى من جميع الأسلحة المادية . وأنه الشرط الاول في نفعها وغنائها . وهو سلاح الروحانيات ، من ايمان بالحق ، واعتداد بالنفس ، وحفاظ على الكرامة ، وتقديس للشرف ، وإباء للضيم ، ومغالاة بالتضحية والفداء ، واستخفاف بالظلم والظالمين . وفاتهم أن العرب وان نزر حظهم من القوى المادية التي لا يستهين بها الا جاهل . فان حظهم موفور من القوى الروحية التي لا يستهين بها الا مغرور . وستتقابل القوتان في فلسطين قوة الروح ومعها الحق ، وقوة المادة ومعها الظلم والباطل . وسيرى العالم أيتهما تحطم ، وأيتهما تحطم ؟ وكأن الله جلت قدرته أراد أن تجرى التجربة الثانية للسلاح الروحاني امتحانا لقدرته على المقاومة في أرض فلسطين منبع الروحانيات على يد وارثيها بالفرض من اسماعيل وابراهيم ، وسيفارق العرب اليهود [illegible] فضلوهم [illegible] الذخائر الروحانية التي اختصوا بها ، وستكون العاقبة للروح وعجائبه ، لا للمادة وغرائبها .

ويح الأقوياء !... أكانوا يتخيلون – يوم استهواهم البريق فرجحوا كفة صهيون – أن العرب يستسلمون للضيعة ، ويخضعون للهون والدون ، وصفقة المغبون؟ أو يرضون بحكومة أصوات معروضة للاعارة والاجارة ، هي عندهم من قبيل صوت الناعي ينعى من غير تأثر . والنادبة تندب من غير شجى ؟ فان لم يكن أولئك الأقوياء بتلك المخيلة فهل بلغ بهم الاستخفاف بدماء البشر أن يسببوا لاراقتها الأسباب ، ويفتحوا لهدرها الأبواب ؟ ألم تكفهم المجازر الكبرى حتى يخلقوا لها بنيات ، ويضيفوا الى امثالها مطالع وثنيات ؟

كذبتكم المخيلة أيها الأقوياء !... ان العرب اذا شيموا الحيف . حكموا السيف وانهم سيأخذون حقهم بالدم الاحمر في حين أراد اليهود استلابه منهم بالذهب الأصفر وان الزمان سيأخذكم بهذه الدماء المراقة . أخذ الأرض لفرس سراقة . وان التاريخ سيعصب بكم عارها وشنارها ، وسيئاتها وأوزارها .

ويح اليهود !... أبلغت بهم الغباوة أن يشتروا الحياة الموهومة بالموت المحقق ؟ أما وسعهم ما كانوا فيه من أخوة العرب لهم ، وعدل العرب فيهم ، وفضل العرب عليهم ، وانتصار العرب لهم ، حتى يكفروا ذلك كله ، ويلتمسوا النصفة ممن شرد آباؤه آباءهم وطرد أجداده أجدادهم ، ويستجدوه الرحمة فينجدهم بالعذاب ، وليس برحيم ، من ألقاك في جحيم ؟

وويح الجميع !... ان غرس صهيون في فلسطين لا ينبت . واذا نبت فانه لا يثبت. فانتظروا انا معكم من المنتظرين .

* * *

كان حظ فلسطين في أدوار الزمن . وأطوار التاريخ ، وعصور الفتوحات ، [illegible] ممهورة لا مقهورة . أخذها البابليون غلابا ، وأخذها الفرس اغتصابا ، وأخذها الرومان اقتسارا . وأخذها العرب اقتدارا . ولا يعد أخذ اليهود لها من كنعان في واحدة من هذه . وانما هي كتابة الله بشرطها . ومعجزة موسى في حدودها . ولكنها في هذا العصر عصر الحضارة . حضارة القرن العشرين ، وعصر الديموقراطية . ديموقراطية العالم الجديد . وعصر الحرية ، حرية الثورة الافرنسية . وعصر الشيوعية ، شيوعية ماركس ولينين – تؤخذ في سوق الأغراض والمنافع الخسيسة بيعا ومساومة ...

فات اليهود أن يأخذوها بالسيف من العرب فيكفروا بعد عشرات القرون عن سيئة اجترحها أسلافهم يوم قالوا : يا موسى ان فيها قوما جبارين ، فاتهم ذلك ، وأعوزتهم الخصائص الدموية التي يكونون بها كذلك . فلجأوا الى ما هو الأشبه بهم لا بها ، وهو... وهو الشراء .. شراء القوى ليكون لهم معينا ، وبحمايتهم فيها رهينا ، وشراء المعلنات اللاغية ، والأصوات ولو كانت ... خافتة ...

يا بخس فلسطين !... أيبيعها من لا يملكها ، ويشتريها من لا يستحقها ؟ يا هوان فلسطين !... أيكون من ذوى الحق في بيعها تلك الدويلات التي لم تخلق خلقا طبيعيا وانما خلقتها المنافسات ، والتي لم يبلغ الكثير منها جزءا مما بلغته فلسطين من مجد في التاريخ ، وسابقة في الحضارة [illegible] في نفع البشرية . بل لم تبلغ مجتمعة ما بلغته فلسطين من احتضان النبوات [illegible] استنباط الشرائع والعلوم والحكم؟

ويقولون ان فلسطين منبت الأديان السماوية الثلاثة [illegible] قبلة لأهل تلك الأديان جميعا ، فان [illegible] ما يقولون حقا – وهو حق في ذاته – فان أحق الناس بالائتمان عليها العرب ، لأنهم مسلمون ، والاسلام يوجب احترام الكتب والكتابيين ، ويوجب الايمان بجميع الأنبياء والمرسلين ، [illegible] لا اليهود الذين كذبوا الأنبياء وقتلوهم ، وصلبوا – بزعمهم – المسيح الصادق ، وشردوا حوارييه من فلسطين ، وكفروا بمحمد بعد ما جاءهم بالبينات .

ومن غريب ما صنعته الحضارة المادية بأهلها ، وما طبعت عليه نفوسهم من جفاء ، وما ابتلت به ضمائرهم من زيغ والتواء ، أن الدول والدويلات التي صوتت مستميتة على تقسيم فلسطين وغرس اليهودية في الجزء الأهم منها غرسا رسميا قانونيا – كلها دول تدين أممها بالمسيحية . وباعتقاد أن اليهود صلبوا المسيح ... فهل يلام العرب بعد هذا – والمسلمون من ورائهم – اذا اعتقدوا أنها حرب صليبية ، بعض أسلحتها اليهود ؟ وأنها مكيدة مكشوفة من الدينين الصالب والمصلوب على الاسلام ؟ نعم وان كلمة الماريشال اللنبي التي قالها يوم انتزع القدس من يد الأتراك لا تزال مأثورة مشهورة ، ولا يزال دويها مجلجلا في الآذان ، وصداها متجاوبا في الأذهان .

أيها العرب ، أيها المسلمون !

ان فلسطين وديعة محمد عندنا ، وأمانة عمر في ذممنا ، وعهد الاسلام في أعناقنا . فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة انا اذا لخاسرون .

محمد البشير الابراهيمي

(يتبع)

البصائر

ملك جمعية العلماء ولسان حالها

شعارها العروبة والإسلام

المدير المسؤول وصاحب الامتياز ورئيس التحرير محمد البشير الإبراهيمي

عنوان الجريدة ١٢ نهج بومبي
رقم التليفون ٦٧-٢٧٨
الحساب الجاري ٧٣-٥٣٩
السجل التجاري ٧١٢٤
الجزائر

« EL-BASSAÏR »
Journal hebdomadaire
Directeur-Gérant : TALEB BACHIR
12, Rue Pompée - ALGER
C.C.P. 539-73 R.C. Alger 7124

يوم الاثنين ٢٩ صفر عام ١٣٦٧ هـ || تصدر يوم الاثنين من كل أسبوع || الموافق ليوم ١٢ جانفي سنة ١٩٤٨ م

عدد 19

من الأدب النبوي

« اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ».

الملحق رقم 32

منطـــق الاستعمـــار

الاستعمار هو الجريمة الكبرى التي انغمس فيها كثير من دول الدنيا وهو سبب أكثر الحروب السابقة واللاحقة .

وهو أيضا سبب المشاكل التي تعترض طريق الأمن والسلام والأخوة بين الأمم والأجناس . ولا ينقطع دابر الحروب من الدنيا ولا يستقر الأمن فيها ما دام الاستعمار - بأي شكل من أشكاله - موجودا .

وقد بلي وتخرق البرقع الذي كان يتستر به الاستعمار قبل اليوم وافتضحت مخازيه لجميع مخلوقات الله حتى الأمم التي ما تزال على الفطرة .

وأصبح الناس يفهمون من مدلوله جميع اللاواذم التي يحملها في طياته كهدية للأمم التي تصاب بويلاته .

وللاستعمار أسلوب خاص في سياسته التي يسوس بها الأمم التي أوقعتها الأقدار تحت كلاكله ولا يحيد عن تلك السياسة في حال من الا وال .

وهذه السياسة تتلخص في تجهيل الأمم التي يتسلط عليها وتفقيرها وقهرها واذلالها ونزع ثروتها من يد أبنائها وجعلها في يد أبنائه وتركها للأمراض الفتاكة تعمل فيها الأفاعيل وافساد اخلاقها بفتح باب الاباحية على مصراعيه والعمل على نشر الفجور وتسهيل طرقه بكل الوسائل والمغريات وتفريق الأمة الواحدة والشعب الواحد الى طوائف شعوب متعددة طبيقا للقاعدة المشهورة « فرق تسد ».

فالاستعمار اذا غزا أمة لا يغزوها بقوة واحدة ومن ناحية دة وانما يغزوها بقوات متنوعة ومن نواح عددة . ومع هذا كله يسمى هذه القوات التي يغزو بها الشعوب الضعيفة وهذه الآثار التي يركزها فيها - كذبا ونفاقا - تمدينا وتهذيبا .

ومنطق الاستعمار في سياسته منطق معوج وحججه التي يتذرع بها في تقنين قوانينه وتحبيذ سياسته حجج متهافتة لا تثبت لنقد ولا تصمد لتمحيص ولولا قوة السلاح التي تسندها لما عاشت شهرا واحدا .

ولو ذهب الكاتب يستقرئ ويتتبع الاستعمار في متناقضاته لكتب فيها المجلدات الضخمة .

وايثارا للاختصار الذي يقتضيه منا الفن الصحفي نجتزئ هنا بيسير من الشواهد

في أثناء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥ كانت أنكلترا في أحط الدركات ونالت منها الاتعاب وصارت تتشبث بخيوط العنكبوت وفي تلك الظروف الحرجة التجأت الى زعيم العرب الشريف حسين أمير الحجاز اذ ذاك وأبرمت معه معاهدات سرية خلاصتها أن يثور الشريف على الأتراك ويطردهم من بلاد العرب وتضمن له انكلترا في مقابلة ذلك تأسيس امبراطورية تضم بلاد العرب كلها فوفى الشريف بوعده وقام بواجبه خير قيام .

وبعد الاتفاق معه بيسير أبرمت أنكلترا اتفاقا آخر مع اليهود يضمن لهم انشاء الوطن القومي بفلسطين وجاء على اثره تصريح بالفور فثارت ثائرة الشريف واحتج على أنكلترا وهددها وجعلها أمام الأمر المقضي فالتجأت كعادتها الى سياسة المراوغة لتكسب الوقت . وأجابته بأنه يجب الرجوع الى نصوص المعاهدة هل فلسطين داخلة في ضمن بلاد العرب أم لا وهل هي من مشمولات الامبراطورية العربية التي يطمح اليها الشريف أم لا . وفعلا رجعوا الى نصوص المعاهدة ووجدوا فيها غموضا وابهاما في حدود بلاد العرب واضطر الشريف وحلفته الى تكوين لجنة تنظر في نصوص المعاهدة وتفسرها تفسيرا واضحا .

وهذا الغموض مقصود من طرف أنكلترا لأنه يتركها في سعة من أمرها وتستطيع بذلك أن تبرم معاهدة أخرى مع اليهود .

وهل يختلف اثنان - يا عباد الله - في أن فلسطين من بلاد العرب وفي بلاد العرب والى العرب وأن الكثرة الساحقة من سكانها عرب أقحاح وأنها جزء من بلاد الشام الكبرى .

ولما عرضت قضية فلسطين - أخيرا - على منظمة الأمم المتحدة صوت أعضاؤها - بأغلبية ساحقة - على تقسيمها الى دولتين وكان نائب الحكومة الفرنسية في طليعة المصوتين .

أتعرفون - يا عباد الله - ما هي الحجة التي أنصفوا بها اليهود في زعمهم وأعطوهم بها حق انشاء دولة في قلب بلاد العرب .

حجتهم أن فلسطين كانت موطن اليهود قبل عشرين قرنا تقريبا وأن كثيرا منهم مشردون في الارض وليس لهم وطن قومي يجمع شملهم فيجب أن يجمع هذا الشمل المشتت على حساب العرب وفي بلاد العرب لأن العرب ليس لهم قنبلة ذرية يحسب لها حسابها في المستقبل .

ونحن نقول لهم : سلمنا لكم جدلا أن اليهود أحق من العرب بفلسطين أو مساوون لهم بحجة أنها كانت لليهود قبل عشرين قرنا تقريبا .

فهل تسلم لنا فرنسا وأنكلترا شمال افريقيا من « طرابلس » الى « طنجة » بهذا المنطق نفسه ، وهذه الحجة نفسها لأن شمال افريقيا كان لأهله قبل قرن على أكثر تقدير لا قبل عشرين قرنا .

ان مسلمي شمال أفريقيا ما زالو يضجون بالشكوى ويطالبون باستقلا أوطانهم وبخروج الغاصبين منها فهل تطبق عليهم القاعدة التي طبقت على اليهود و فلسطين وتنفذ نفس الحجة التي نفذت ب اليهود في فلسطين .

وهل تتخلى أنكلترا عن السودان المصري وقناة السويس لهذه الحجة وهذا المنط نفسه .

أغلب الظن أن غلاة الاستعمار من الأنكليز والفرنسيس يلوون رؤوسهم حن ويقولون بلسان الحال ان شعوبنا تقتله المجاعة وتخسر مراكز حربية هائلة اذا تخلينا عن الشمال الافريقي وخرجنا من القناة والسودان .

فرحات الدراجي

الى القراء

نظرا للأزمة المستحكمة من جراء قلة الورق بعثت الينا « ادارة مصلحة توزيع الورق للصحافة » خطابا ترجو منا فيه ان تصدر جريدة « البصائر » في ٦ صفحات بدل ٨ صفحات في اسبوعين من الشهر .

وقد الزمتنا الظروف لأسباب قاهرة بعضها اقتصادي وبعضها فني مطبعي ان تصدر « البصائر » كعادتها في ٨ صفحات ثلاث مرات في الشهر ، وعلى اربع صفحات مرة واحدة في كل شهر .

و« البصائر » تعتذر لقرائها عن هذا النقص العارض ، وتعدهم بانه متى زالت الموانع وارتفعت الاعذار تعود الى الصدور في ٨ صفحات كل أسبوع كعادتها .

ملاحق رقم 33

معهد عبد الحميد بن باديس
من فروع جامع الزيتونة
قسنطينة

ورقة اختبار السنة الاولى من المرتبة الاخيرة للعام ١٣ — ١٣ الدراسي ١٩٤٧ — ١٩٤٨

تخص التلميذ [illegible] بالقسم [illegible] عدد [illegible]

عدد دفتره من عمل [illegible] مشيخة [illegible]

القاطن ________

اسماء الفنون	اختبار الثلاثة الاشهر الاولى: العدد الكامل لكل فن	اعداد العلوم	اعداد السيرة والمواظبة	امضاء مشائخ الدروس	اختبار الثلاثة الاشهر الثانية: اعداد العلوم	اعداد السيرة والمواظبة	امضاء مشائخ الدروس	الدورة الاولى للاختبار السنوي: العدد الكامل لكل فن	العدد المحرز عليه	امضاء المشائخ المختبرين	الدورة الثانية للاختبار السنوي: العدد المحرز عليه	امضاء المشائخ المختبرين
حفظ القرآن	١٠							١٠	١٠	[illegible]		
القرآت رواية	١٠							١٠				
التوحيد	١٠		٩	النعيمي				٢٠	١٢			
السيرة النبوية	١٠	٤	٩	النجومي				١٠	٨			
الاخلاق	١٠	٦	٩	حيرش				١٠	٦			
الفقه	١٠	٧½	٨	[illegible]				٢٠	١٤			
النحو	١٠	٢	١٠	[illegible]				١٠	٦			
الصرف	١٠	٥	٩	حيرش				١٠	٦			
التراجم المفسرة	١٠							٢٠	١٢			
الانشاء	١٠	٤	١٠	احمد حسين				٢٠	٩			
المنتخبات	١٠	١	٩	حيرش				١٠	٧			
الرسم والاملاء	١٠							١٠	٤			
الحساب	١٠	٧	١٠	احمد حسين				١٠	٤			
الجغرافيا	١٠	٦	١٠	احمد حسين				١٠	٤			
التاريخ	١٠							١٠				
الخط	١٠							١٠	٧			
~~[illegible]~~	١٠							١٠	٣			
المجموع	~~١٧٠~~ ١٠٠	٥٥½		—			السيرة الشخصية	١٠	٧			
							المجموع	٢٣٠	١١٩			

معدل اعداد العلوم ________

« « السيرة ________

ماطرح من هذه الاعداد لسوء السلوك ...... ________

الباقي ________

اذا انقص المقدار المحصل عليه المختبر في الاختبار السنوي يزاد له من واحد الى خمسة من وفر اعداد اختباريه السابقين ويكون ذلك موجبا لتقدمه اذا كمل له مقدار المعدل .

الحمد لله شارك التلميذ المذكور أعلاه في الدورة الاولى لاختبار السنة المذكورة فانتج اختباره ان يستحق [illegible]

وكتب في ٨ شعبان ١٣٦٧ وفي ١٥ جوان ١٩٤٨ — امضاء لجنة الاختبار

[illegible]
عبد المجيد حيرش

المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة

ثم شارك في الدورة الثانية فاسفرت النتيجة عن استحقاقه ________

________ وكتب في ________ وفي ________ ١٣ — ١٩ — امضاء لجنة الاختبار

ا صادر وا راجع

1- الوثائق: تعريب الباحث:

- تقرير مركز الإعلام والدراسات حول العلماء الجزائريين المصلحين مؤرخ في 15 مارس 1937 A.O.M .9H 46
- تقرير مسؤول أمن عمالة الجزائر إلى الإدارة الفرنسية مؤرخ بمدينة الجزائر في 06 فيفري 1936 A.O.M 9 H 46
- تقرير مرسل من محافظ الشرطة ببسكرة إلى شيخ بلدية بسكرة مؤرخ ببسكرة في 9 جانفي 1932 أرشيف ولاية قسنطينة. علبة رقم (5-5)
- تقرير من الوالي العام بالجزائر إلى عامل عمالة قسنطينة مؤرخ بالجزائر في 14-12-1931 أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم (5-5)
- قرارات المؤتمر الخامس للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بتلمسان 1-6 سبتمبر 1935 A.O.M 9 H 46.
- تقرير سري من مسؤول أمن عمالة وهران إلى عامل العمالة حول تأسيس جمعية الفلاح مؤرخ بوهران في 12 /1938/04. A.O.M 9 H 46.

- تقرير من السيد عامل عمالة الجزائر إلى الوالي العام حول الجمعية الإسلامية التقوى مؤرخ بالجزائر في 14-01-1938. A.O.M 9 H 46.

- تقرير أرشيف ولاية قسنطينة تحت عنوان:

Prises de paroles dans les mosquées Notamment BENBADIS. N º 26

-تقرير إلى عامل عمالة الجزائر ،مؤرخ في 10 -03-1933. A.O.M 16 H 75.

-تقرير سري جدا عن الحالة الدينية والسياسية ببلدية ميلة مؤرخ بميلة في 10-06-1936 A.O.M 9 H 46.

- تقرير سري لمركز الإعلام والدراسات حول نشاط مختلف شعب جمعية العلماء لعمالة قسنطينة مؤرخ في 10-02-1938 A.O.M 9 H 46

- تقرير سري عبارة عن معلومات تتعلق بمناسبة دينية في أحد مساجد تلمسان مؤرخ بتلمسان في 26-04-1938. A.O.M 16 H 75.

- تقرير ضد جمعية العلماء من عامل عمالة قسنطينة إلى الوالي العام مؤرخ بقسنطينة في 13 – 06-1936 A.O.M 9 H 46

- تقرير من عامل عمالة وهران إلى الوالي العام مؤرخ بوهران في 247-09-1937 A.O.M 9 H 46.

- تقرير سري من عامل عمالة وهران إلى الوالي العام حول نشاط جمعية العلماء بتلمسان مؤرخ بوهران في 03-09-1937. A.O.M 9 H 46.

- تقرير من المسؤول المركزي للأمن بتلمسان إلى الوالي العام حول تظاهرة بمدرسة مؤرخ بتلمسان في 18-01-1937. A.O.M 9 H46.

-تقرير من عامل عمالة وهران إلى الوالي العام مؤرخ بوهران في 15-11-1937 A.O.M 9 H46.

تقرير عامل عمالة وهران إلى الوالي العام حول غلق مدرسة الحديث مؤرخ بوهران في 19-01-1937. A.O.M 9 H46.

- تقرير من عامل عمالة وهران إلى الوالي العام حول نشاط جمعية العلماء بالغرب الجزائري مؤرخ بوهران في 26-06-1938. A.O.M 9 H46.

- تقرير من محافظ الشرطة ببجاية إلى الوالي العام بالجزائر عن زيارة الشيخ ابن باديس إلى بجاية مؤرخ ببجاية في 01-10-1934 أرشيف قسنطينة علبة رقم (7-7).

-تقرير عن رئيس دائرة بجاية إلى عامل عمالة قسنطينة حول مدرسة الإصلاح،مؤرخ ببجاية في 25 جوان 1938. A.O.M 9 H46.

- تقرير سري من عامل عمالة قسنطينة إلى الوالي العام عن مدرسة الإصلاح ببجاية مؤرخ بقسنطينة في 29 جوان 1938. A.O.M 9 H46.

- عن مدرسة الحياة بجيجل أنظر أرشيف ولاية قسنطينة علبة رقم(7-7).

- عن مدرسة الفتح بسطيف أنظر أرشيف ولاية قسنطينة علبة(6-6)

-قرار تعطيل جريدة المنتقد من قبل الحكومة الفرنسية صدر بباريس بتاريخ 3-10-1925 A.O.M 15H23

- تقرير الوالي العام إلى الوزير كاتب الدولة المكلف بشؤون العمالات والبلديات حول جريدة الإصلاح ،مؤرخ بالجزائر في 26-12-1940. A.O.M 15 H21.

-تقرير محرر من قبل مسؤول أمن عمالة قسنطينة حول جريدة السنة النبوية مؤرخ بقسنطينة في 11-04-1944. A.O.M 15 H23

- تقرير من الوالي العام إلى وزير الداخلية الفرنسي حول توقيف جريدة السنة مؤرخ في 17-04-1933 A.O.M 15 H23

- مذكرة موجه, من نائب مدير الشؤون الأهلية إلى مدير الداخلية مؤرخة في 26-06-1933 A.O.M 15 H23.

- تقرير توقيف جريدة الشريعة المحمدية من قل وزير الداخلية الفرنسي إلى الوالي العام مؤرخ بباريس في 9-8-1933. A.O.M 15 H20.

-مذكرة توقيف جريدة الصراط موجهة لمدير الأمن العام مؤرخة في 3-1-1934 A.O.M 15 H20.

-رسالة المقيم العام الفرنسي بالرباط إلى الوالي العام بالجزائر حول منع تداول جريدة البصائر بالمغرب الأقصى مؤرخة بالرباط في 9-5-1936. A.O.M 15 H20.

-رسالة تحذير من جريدة ميزاب مراسلة من عامل عمالة الجزائر إلى الوالي العام مؤرخة بالجزائر في 16-9-1936 A.O.M 15 H23

- رسالة مرسلة من طرف مجموعة من الميزابيين إلى الوالي العام يحرضون فيها الإدارة الاستعمارية على جريدة وادي ميزاب مؤرخة بالعطف في 10-05-1929 A.O.M 15 H23

- تقرير الوالي العام إلى وزير الداخلية الفرنسي حول وقف جريدة وادي ميزاب مؤرخ بالجزائر في 22-02-1939 A.O.M 15 H23

-تقرير من مدير الأمن العام بالجزائر إلى مدير الشؤون الأهلية حول صدور جريدة ميزاب وطبعها بتونس مؤرخ بالجزائر.

- قرار توقيف جريدة المغرب من قبل وزير الداخلية التونسي مؤرخ بباريس في 9 مارس 1931 A.O.M 15 H22

-قرار وزير الداخلية يأمر فيه بتوقيف جريدة الثور مؤرخ بباريس في 30-05-1933 A.O.M 15 H22

-مذكرة حول جريدة البستان محررة من قبل مدير الأمن العام للجزائر مؤرخة بالجزائر في 10-05-1933 A.O.M 15 H20

-مذكرة ول جريدة الأمة موقعة من قبل مسؤول أمن عمالة الجزائر مؤرخة بالجزائر في 12-09-1933 A.O.M 15 H23

-- قرار منع وتداول جريدة الأمة موقع من قبل وزير الداخلية الفرنسي بتاريخ 24-05-1938 A.O.M 15 H20

-مذكرة حول جريدة الدفاع موقعة من قبل مسؤول أمن عمالة الجزائر بالجزائر في 29-01-1934 A.O.M 15 H20

- تقرير محافظ الشرطة بباتنة إلى نائب عمالة قسنطينة بباتنة في 19-01-19.7 A.O.M 15 H20

-تقرير حول جريدة أبو العجائب من مسؤول الشرطة بقسنطينة مرسل إلى الوالي العام مؤرخ بقسنطينة في 19-07-1934 A.O.M 15 H20

- مذكرة مرسلة إلى الكاتب العام للحكومة الفرنسية حول جريدة المرصاد وخطرها على فرنسا مؤرخة في 21 -09-1933 A.O.M 15 H22

-اقتراح وزير الداخلية الفرنسي وقف جريدة المرصاد يحمل تاريخ 30-10-1933 A.O.M 15 H20

- مذكرة حول جريدة المغرب العربي بتوقيع مسؤول شرطة عمالة وهران في 24-05-1937 A.O.M 15 H22

- رسالة السيد بن مرابط مسؤول نادي الترقي إلى الوالي العام حول منع تداول المشروبات بنادي الترقي مؤرخة في 22-03-1938 A.O.M 9 H46

-تقرير سري جدا عن الحالة السياسية بميلة مؤرخ في 01-06-1935 A.O.M 9 H46

-مركز الإعلام لعمالة قسنطينة دراسة إحصائية عن مدارس ونوادي الحركة الإصلاحية بعمالة قسنطينة مؤرخ بقسنطينة في 12-10-1937 A.O.M 9 H46

-تقرير محافظ الشرطة بسطيف إلى مدير الأمن العام بالجزائر مؤرخ بسطيف في 30-07-1937 A.O.M 9 H46

-تقرير سري لمركز الإعلام والدراسات عن نشاط نوادي العلماء بعمالة وهران مؤرخ بوهران في 07-02-1938 A.O.M 9 H46

- تقرير المتصرف الإداري لبلدية حمام قرقور عن نادي الشباب بقنزات مؤرخ بلافيات بوقاعة في 2-12-1937 A.O.M 9 H46

تقرير من رئيس دائرة سيدي بلعباس إلى عامل عمالة وهران حول نادي جمعية الشبيبة الأدبية مؤرخ ببلعباس في 15-07-1938 A.O.M 9 H46

-تقرير من عامل عمالة الجزائر إلى الوالي العام حول جمعية حياة اللغة العربية.. مؤرخ بالجزائر في 23-06-1937 A.O.M 9 H46

- تقرير من محافظ الشرطة إلى السيد رئيس دائرة تلمسان حول نادي " الاتحادي " مؤرخ ببني صاف في 26-11-1937 A.O.M 9 H46

- تقرير عامل عمالة الجزائر إلى الوالي العام حول جمعية"القلم" مؤرخ بالجزائر في 23-06-1937 A.O.M 9 H46

-تقرير عن نشاط العلماء في باريس وشمال إفريقيا في 19 جوان 1937 A.O.M 9 H46

- تقرير عن رحلة العمودي والهادي السنوسي إلى فرنسا مؤرخ في 13-10-1937 A.O.M 9 H46

-تقرير موقع من قبل رئيس دائرة باتنة، في باتنة 12-09-1934 يتعلق بالمراقبة السياسية للأهالي A.O.M 9 H46

-تقرير سري من عامل عمالة قسنطينة إلى الوالي العام حول نادي الشباب ببسكرة مؤرخ في 16-03-1937 A.O.M 9 H46

-تقرير من رئيس شرطة قسنطينة إلى الوالي العام حول جمعية النهضة التمثيلية مؤرخ بقسنطينة في 26-02-1933 أرشيف ولاية قسنطينة علبة (2-2)

- تقرير سري من عامل عمالة قسنطينة إلى السيد الوالي العام حول جمعية الهلال التمثيلي القسنطيني مؤرخ في 16-06-1938 A.O.M 9 H46

- تقرير المتصرف الاداري بسيدي عيش إلى عامل عمالة قسنطينة حول جمعية الاتحاد "بدوار فناية"مؤرخ بسيدي عيش في 08-10-1937 A.O.M 9 H46

-مراسلة من شيخ زاوية الهامل عبد القادر القاسمي إلى الوالي العام فيها تنبيه من مخاطر نشاط العلماء المصلحين الذي فيه تهديد للوجود الاستعماري في الجزائر،الرسالة مؤرخة بالجزائر في 07-09-1936 A.O.M 9 H46

- تقرير عن التعليم العربي الحر بمدارس جمعية العلماء المسلمين A.O.M 9 H46

– تقرير يبرز أهمية كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث للأستاذ مبارك الميلي A.O.M 9 H46

– تقرير مرسل من مدير الشؤون الأهلية بالجزائر إلى الحكومة يدور حول أهمية " كتاب الجزائر "للمدني مؤرخ بالجزائر في 09-جوان 1932 . A.O.M 9 H46

–تقرير عن زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس من المقيم العام بتونس إلى الوالي العام بالجزائر يدور حول أهداف الزيارة المتمثلة في مقاومة التجنيس ببلدان المغرب العربي مؤرخ في 19-01-1937 A.O.M 9 H46

– تقرير فرنسي عن جمعية الأخوة الجزائرية التي أسسها الأمير خالد في سنة 1922 . A.O.M 12 H06

–– تقرير يدور حول نشاط "جمعية الشبيبة الموحدة لشمال افريقيا "وفروعها مؤرخ في 16-فيفري 1938 A.O.M 9 H46

–تقرير سري عن نشاط المجاهد المغاربي محمد العيد جياري في سبيل تحقيق الوحدة المغاربية ،مرسل من عامل عمالة قسنطينة إلى الوالي العام مؤرخ بقسنطينة في 25 مارس 1938 A.O.M 9 H46

–– تقرير عن " مدرسة السلام" الميزابية" بمدينة تونس مرسل من الإقامة العامة الفرنسية بتونس إلى الوالي العام للجزائر ،الأرشيف التونسي M.N.C 19 D2

– رسالة الشيخ محمد بن بأكبر إلى الوالي العام فحواها السماح بتأسيس مدرسة قرآنية حديثة ببني يزقن مؤرخة بالجزائر في 22 ماي 1922 A.O.M 12 H06

– تقرير عن الأستاذ عمر بن بريهمات A.O.M 14 H446

أ- المصادر باللغة العربية

-النشرات والأطروحات والكتب والمقالات

1- النشرات :

- نشرة مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة عام 1936 م .

- نشرة أعمال جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين بتونس 1931.

-نشرة أعمال المؤتمر الثاني لطلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد بالجزائر سنة 1932 م مطبعة الاتحاد تونس.

- نشرة داخلية لجامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية العدد 1 ، 23 شوال 1365 هـ سبتمبر عام 1946 المطبعة الجزائرية الإسلامية .

2- المذكرات:

- بن العقون عبد الرحمن الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 3 أجزاء ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.

- ابن نبي مالك مذكرات شاهد القرن ترجمة مروان قنواتي ،دار الفكر دمشق طبعة 1969 و 1986.

-الشيخ خير الدين محمد،مذكرات ،جزئين، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، د.ت.

- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح (مذكرات) ، 3 أجزاء ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

-خوجة حمدان، المرآة، ترجمة محمد العربي الزبيري،ش،و،ن،ت، الجزائر، .1981

3- رسائل وأطروحات جامعية:

- آيت بعزيز عبد النور ،الشيخ المولود الحافظي جهوده الإصلاحية ونشاطه التربوي ،رسالة ماجستير مخطوطة ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر 1421-1422 هـ-2000-2001 م

- بن عدة عبد المجيد، مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي من خلال جهود الرواد المصلحين 1900-1925 ، رسالة ماجستير ، مخطوطة. قسم التاريخ ،جامعة الجزائر
- محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي ،رسالة ماجستير ،مخطوطة قسم التاريخ جامعة الجزائر 1414-1415-1993-1994.

-بيسبيس عبد الكريم ،ملامح المجتمع الجزائري من خلال جريدة البصائر مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،مخطوطة قسم التاريخ 2002-2003.

– خمري جمعي ،حركة الشباب الجزائريين 1900-1930 ، رسالة ماجستير مخطوطة جامعة قسنطينة 1993-1994.

– سعيدي مزيان ،الكنيسة والمشروع الاستعماري في الجزائر ،مذكرة سنة ؟أولى ماجستير مخطوطة قسم التريخ جامعة الجزائر 1993.

– علواش علي، حركة ابن باديس التربوية وأهدافها الإصلاحية رسالة ماجستير مخطوطة جامعة الجزائر 1984.

علواش علي ، منهج الإصلاح عند الإمام عبد الحميد بن باديس بين السلفية والنهضة أطروحة دكتوراه دولة ،مخطوطة جامعة الجزائر 1420 هـ-1999 م

– القورصو محمد ،تأسيس ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعمالة وهران رسالة دراسات معمقة ،مخطوطة جامعة وهران 1977 م .

– كنتور رابح ،أوقاف البليدة وفحصها(1791-1873) مذكرة ماجستير ،مخطوطة جامعة الجزائر 2001-2002.

-مريوش أحمد ،الطيب العقبي حياته ومواقفه مذكرة السنة الأولى ماجستير مخطوطة جامعة الجزائر 1983-1984م .

– مريوش أحمد ،الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ،رسالة ماجستير مخطوطة جامعة الجزائر 1993 م .

–منور أحمد ، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية أطروحة دكتوراه دولة مخطوطة في الأدب العربي 1420 هـ-2000 م

– مهيبل إسمى ، الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق نشاطه السياسي والفكري رسالة ماجستير مخطوطة جامعة اليرموك قسم التاريخ الأردن 2004 م .

– يسلي مقران ،الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل ،رسالة دراسات معمقة جامعة الجزائر مخطوطة 1403 هـ-1983.

– يسلي مقران ،الحركة الدينية والاصلاحية في منطقة القبائل رسالة ماجستير مخطوطة جامعة الجزائر 1411هـ-1991 م .

3- الكتـــــــــــب:

- آل خليفة محمد العيد ،ديوان محمد العيد ط (1) مطبعة البعث قسنطينة 1967.
– الابراهيمي محمد البشير ،سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دار الكتب الجزائر 1982.

– عيون البصائر جزء 2 ش-و-ن-ت الجزائر د.ت

– آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 5 أجزاء ،جمع وتقدم أحمد طالب الإبراهيمي ،دار الغرب الإسلامي ط (1) 1997 بيروت

– أبو اليقظان، تاريخ صحف أبي اليقظان تقديم وتعليق د/ محمد صالح ناصر ،دار هومة 2003 الجزائر

مختارات من صحف أبي اليقظان إعداد وتقديم محمد صالح ناصر مكتبة الريام 1424 هـ 2003م .

– أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ،مكتبة رحاب الجزائر 1410 هـ 1989 م

حاضر العالم الإسلامي الجزاء 1 دار الفكر العربي ط (3) بيروت 1391 هـ 1971 م .

– أطفيش إبراهيم ،الدعاية في سبيل المؤمنين ،المطبعة السلفية القاهرة 1923.

– أمين أحمد،زعماء الإصلاح في العصر الحديث ،دار الكتاب العربي بيروت 1979.

– ابن باديس عبد الحميد ،مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،مطبوعات وزارة الشؤون الدينية دار البعث قسنطينة 1402 هـ-1982

– ابن باديس عبد الحميد ،آثار الإمام عبد الحميد بن باديس الجزء 5، منشورات وزارة الشؤون الدينية دار البعث قسنطينة 1991

–ابن باديس ،حياته وآثاره 4 أجزاء ،جمع ودراسة عمار طالبي دار الغرب الإسلامي ط(2) 1403 هـ 1983 م بيروت طبعة الشركة الجزائرية 1968.

– ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة ط(4) بيروت د-ت

–ابن الخوجة مصطفى الاكتراث في حقوق الإناث مطبعة "قونطانا" الجزائر 1895

–إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام مطبعة قونطانة 1903.

– ابن زكري ،أوضح الدلائل في وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل ،مطبعة قونطانا الجزائر 1903.

–ابن عاشور محمد الفاضل ،الحركة الأدبية والفكرية في تونس الدار التونسية للنشر 1983.

– ابن عمر باعزيز، من ذكرياتي مع الإمامين الرئيسيين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، منشورات الحبر، الجزائر، 2006.

– ابن العنابي ،محمود ،السعي المحمود في نظام الجنود تقديم وتحقيق الأستاذ محمد عبد الكريم الجزائري ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري 1983.

–ابن شعيب محمد مهدي ،أم الحواضر في الماضي والحاضر ،تاريخ مدينة قسنطينة ، 1980.

– ابن نبي، شروط النهضة ترجمة عمر كامل مسقاوي ط(3)دار الفكر دمشق 1969.

" – وجهة العالم الإسلامي ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر ط(5) 1986.

" – في مهب المعركة ،دار الفكر بالجزائر ودمشق ط(1) +1991 م ، 1986 م

" – بين الرشاد والتيه ،دار الفكر دمشق 1978.

– أمين أحمد ،زعماء الإصلاح في العصر الحديث ،دار الكتاب العربي بيروت 1979.

– الباروني زعيمة،صفحات خالدة مصر –د.ت.

– بيرم الخامس محمد،صفوة الاعتـــــــــبار بمستودع الأمصار والأقطار دار صادر بيروت ط(1)1303 هـ.

– الجلالي،تقويم الأخلاق ،مطبعة البعث قسنطينة 1927 الجزائر.

– الجيلالي عبد الرحمن،محمد بن أبي شنب حياته وآثاره ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983.

–الإمام الشيخ العربي التبسي مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر جمع وتوثيق وتعليق شرقي أحمد الرفاعي دار البحث ط(1)1402 1981 م.مكتبة المنار ط(1)تونس 1961.

– الحداد الطاهر ،التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة تقديم وتحقيق محمد أنور بوسنينة ،الدار التونسية للنشر 1401 هـ1981م .

– حماني ،صراع بين السنة والبدعة ،مطبعة البعث قسنطينة ط(1)1405 هـ 1984 م .

-حماني ،شهداء علماء معهد بن باديس الشيخ الصادق بن رابح حماني قصر الكتاب البليدة 2004.

-خوجة حمدان ،إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء-ش-و-ت الجزائر ط(1)1968 تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري

- خوجة حمدان،المرآة، تعريب محمد العربي الزبيري ش.و.ن.ت الجزائر 1982.

- خير الدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك المطبعة التونسية للنشر ماي 1972.

-دبوز محمد علي،نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة الجزء 1 المطبعة التعاونية دمشق 1965.

دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة الجزء ،المطبعة العربية بالجزائر 1971.

دبوز ،نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة الجزء 3 المطبعة العربية 1969.

دبوز ،أعلام الإصلاح في الجزائر ،الجزء 1 مطبعة البعث قسنطينة 1974.

" أعلام الإصلاح في الجزائر الجزء2 مطبعة البعث قسنطينة 1976.

" أعلام الإصلاح في الجزائر ،الجزء3 ط (1)مطبعة البحث قسنطينة 1978.

" أعلام الإصلاح في الجزائر الجزء 5 البعث قسنطينة 1403 هـ 1982.

- دروزة محمد عزة،حول الحركة العربية الحديثة،مج 2،المكتبة العصرية صيدا لبنان،1950.

- الدرعي أحمد،دفاعا عن الحداد تقديم وتحقيق محمد أنور بوسنينة تونس 1976.

-الديسي عبد الرحمان، مناظرة بين العلم والجهل، مطبعة بيكار وشركاؤه، تونس، د. ت.

-رضا محمد رشيد،تاريخ الأستاذ الإمام 3 أجزاء ،مطبعة المنار القاهرة 1324 هـ.

- رمضان محمد الصالح ،الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة المصرية برئاسة نابغة المسرح العربي الأستاذ يوسف وهبي ط(2)مؤسسة العصر الجزائر 2003.

-الزاهري محمد السعيد،الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ،دار الكتب ،الجزائر 1983.

-الزركلي خير الدين،الأعلام ،أجزاء متفرقة

- الزواوي أبو يعلى،تاريخ الزواوة ،مراجعة وتعليق سهيل الخالدي ،منشورات وزارة الثقافة الجزائر ط(1)2005.

- زيادة خالد، ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس، تقديم وتحقيق المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979.

-زيدان جورجي ،بناة النهضة العربية ،دار الهلال ،القاهرة.

سعد الله،محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث ،دار المعارف مصر 1961-السنوسي محمد الهادي ،شعراء الجزائر في العصر الحاضر جزء 1 المطبعة التونسية 1926 الجزء 2 مطبعة النهضة تونس 1927.

- الصيد سليمان،صالح بن مهنا القسنطيني ،دار البعث قسنطينة، ط(1)، 1983.

الصيد سليمان ،نفح الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار طبع في المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد بوزريعة.

– الصيد سليمان ،مدرسة الإخاء في بسكرة 1931 ودورها في نشر الثقافة العربية الإسلامية في منطقة الزيبان وغيرها ،مطبعة ردمك الجزائر 2003.

– عباس فرحات ،ليل الاستعمار ،ترجمة أبو بكر رحال ،دار فضالة المغرب د–ت.

– عبدة محمد ،رسالة التوحيد ،تحقيق محمد عمارة ط (2)1981 بيروت.

–العدوي إبراهيم،رشيد رضا الإمام المجاهد الدار المصرية ،القاهرة 1964.

– الفاسي علال ،الحركات الاستقلالية في المغرب العربي مطبعة الرسالة ط(1)1948 القاهرة.

" المغرب العربي عند الحرب العالمية الأولى ،معهد الدراسات العربية ،القاهرة 1957.

– فريد محمد ،من مصر إلى مصر ،رحلة 902 م

– فضلاء محمد الحسن،المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر ،دار الأمة ،الجزائر 1999.

–فضلاء محمد الحسن،من أعلام الإصلاح في الجزائر، الجزء1 مطبعة هومة الجزائر 2000.

" من أعلام الإصلاح في الجزائر الجزء2

" من أعلام الإصلاح في الجزائر الجزء 3 ،دار هومة ،الجزائر 2002.

– قاسم محمود الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ،دار المعارف ط(2) 1979م.

– قنانش محمد الحركة الاستقلالية في الجزائر 1919 /1939 ش. و. ن. ت. الجزائر 1982

–كحول محمود،التقويم الجزائري 1912 ،مطبعة فونطانا ،الجزائر.

– المجاوي عبد القادر ،إرشاد المتعلمين ،القاهرة 1877.

– اللمع على نظم البدع شرح منظومة البدع للعلامة المولود بن الموهوب ،مطبعة فونطانا الجزائر 1912.

– المدني أحمد توفيق،هذه هي الجزائر ط(1)مكتبة النهضة المعربة ،القاهرة 1956..

" كتاب الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب 1984.

" تقويم المنصور ،السنة الخامسة 1929.

– مواعدة محمد ،محمد الخضر حسين حياته وآثاره ،الدار التونسية للنشر 1974م.

– الميلي محمد مبارك الهلالي،رسالة الشرك ومظاهره، المكتبة الجزائرية ط(2)، 1966 ، الجزائر.

-الورتلاني الفضيل،الجزائر الثائرة ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ط(3)د–ت .

4- المقالات :

– آل خليفة محمد العيد:– قصيدة " خيرية تحت حزب ظل يكلأها" في مدح الجمعية الخيرية ،مجلة الشهاب جزء 2 مج 11 ماي 1935.

– تحية دار الحديث قصيدة مدح في تدشين مدرسة الحديث بتلمسان ،مذكرات الشيخ خير الدين الجزء 1 ص 186.

– التربية المدرسية وأثرها في المجتمع، البصائر، عدد2 (1936/1/10).

–الإبراهيمي محمد البشير،تعالوا نسائلكم ،جريدة السنة عدد 5 (5 جوان 1933)

" العربية مجلة الشهاب مج 10 محرم 1358 فيفري 1939.

" عرض الحالة العلمية ،الشهاب جزء 9 مج 10 (أوت 1934.)

" مدارس جمعية العلماء ،جريدة البصائر عدد93 (1949/10/31).

" من مشاكلنا الاجتماعية الشباب والزواج ،البصـــائر عدد6 (12-09-1947).

" عروبة الشمال الإفريقي ،جريدة البصائر ،عدد150 (1951).

" دعوة مكررة إلى التحاد ،جريدة البصائر عدد15 (ديسمير 1947)

" جمعية العلماء أعمالها ومواقفها ،جريدة البصائر عدد 4(1947)

" دعوة صريحة إلى اتحاد الأحزاب والهيئات ،جريدة البصــائر عدد10(أكتوبر 1947).

" أرحام تتعاطف ،جريدة البصائر عدد 148(1951/3/26).

" ليبيا وموقعها منا ،جريدة البصائر عدد112 (20 مارس 1950)

" ونعود إلى فلسطين ،جريدة البصائر عدد 21 (1947)

" محنة مصر محنتنا ،جريدة البصــــــائر ،عدد 174 1951 و عدد 178 (1952)

" دروس الوعظ والإرشاد في رمضان ،جريدة البصائر عدد86 (جويلية 1949).

- أبو اليقظان،يتقمصون في تبشير هم جريدة وادي ميزاب عدد 76 (30-03-1928).
- " الإسلام يحتضر والمسلمون يهزلون ،جريدة وادي ميزاب عدد1
- " وظيفة العقل في الإنسـان ،جريدة وادي ميـزاب عدد 118(25 -01-1929)
- " نحن إلى التربية أحوج جريدة وادي ميزاب عدد2 (18-10-1926)
" " عدد3 (15-10-1926)

- " العلم والتعليم الصحيحان جريدة وادي ميزاب عدد6 (5-11-1926)
- " اللغة العربية غريبة في عقر دارها جريدة وادي ميزاب عدد55(3-11-1927)
- " تجارتنا وتجارتهم ،جريدة وادي ميزاب عدد 1 (1-10-1926)
- " " عدد3 (15-10-1926)
- " " عدد4(22-10-1926)
- " الانتحار التجاري وأخطاره ،جريدة الأمة عدد 7 (30-10-1934)
- " الانتحار الاجتماعي وأثاره في الأمم والجماعات جريـدة الأمـة عدد (8-9-1932)
- " همسة في أذن ناقد النديم ،جريدة وادي ميزاب عدد67 (11-02-1928)
- " أردنا نصيحة فأراد فضيحة ،جريدة وادي ميزاب عدد(3-2-1928)
- " المغالاة في المهور ،جريدة وادي ميزاب عدد108 (9-11-1928)
- " احسنوا رعاية الشباب ،جريدة وادي ميزاب ،عدد52 (7-10-1927)
- " وباء الفجور ،جريدة وادي ميزاب عدد 90 (6-7-1928).
- " الاعتماد على النفس ،جريدة وادي ميزاب عدد 17 (21-1-1927)
- " على أن يعمل وليس علي أن أنجح ،جريـدة وادي ميـزاب عدد 51 (30-9-1927)

- " الافتتاحية ،جريدة وادي ميزاب عدد1 (1-10-19*26)
- " نحن وأنتم ، " " 26(1-4-1927)
- " رأينا في التجنيس ،جريد وادي ميزاب عدد 70 (17-02-1928)

- 〃 اليهود يبخرون بالفلفل ،جريدة الأمة عدد8(6-11-1934)
- 〃 إلى قادة الإصلاح ،جريدة الأمة عدد88 (1—3-1936)
- 〃 هل بالإمكان إنشاء حزب وطني جزائري ،جريدة الأمة ،عدد3(2-10-1934)
- 〃 حاجة الجزائر إلى مصرف أهلي، جريدة وادي ميزاب عدد 89 (29-6-1926)
- 〃 مستقبل جزيرة العرب ،وادي ميزاب عدد46(26-8-1927)
- 〃 ماذا يراد بسكة حديد الحجاز ،جريدة وادي ميزاب عدد70 (15-07-1927)
- 〃 ماذا يخبئ الغرب للشرق ،جريدة وادي ميزاب عدد 18 (28-1-1927).
- أرسلان شكيب،ليس التبشير دعاية دنيوية كما يظن بعضنا ،الشهاب ،ج12، مج6، شعبان، 1349.
- الأطرش محمد خلود اللغة العربية ،جريدة البصائر ،عدد 305 (4 مارس 1955)
- الأغواطي أحمد بن زيد،التعليم عندنا وحاجته إلى التوحيد والنظام ،مجلة الشهاب جزء 1 مج 13 (14-3-1937)
- الأمير خالد،المجاعة ،جريدة الإقدام عدد9(15-11-1920)
- 〃 قصيدة في تأسيس جمعية الأخوة الجزائرية ،جريدة الإقدام عدد 72-3-1922
- 〃 العلم والتعليم ،جريدة الإقدام عدد 12 (30-12-1920)
- ابن باديس عبد الحميد،ما جمعنه يد الله لا تفرقه يد الشيطان ،البصائر عدد 3 جانفي 1936.
- مجهول لعله ابن باديس ،أمة فيها يعرضون طرق الوقاية والعلاج لا ينبغي أن تيأس ،مجلة الشهاب ج4 مج8(أفريل 1932،ذي الحجة 1350 هـ)
- ابن باديس عبد الحميد ،الصناعات ومالها من الأثر الفعال وحرمان الجزائر منها،مجلة الشهاب،ج9 مج 6.
- 〃 حول النادي لا تفاهم بغير العربية عدد 09 (27-8-1925)
- 〃 أساليب التعليم في منطقة الزواوة ،مجلة الشهاب ج2 مج9(شوال 1351 فيفري 1933)
- 〃 ضحية التحجير من الفقر إلى القبر ،جريدة الشهاب عدد 26 (13-5-1926)
- 〃 هل بين العرب وحدة سياسية ،مجلة الشهاب يناير 1938.
- 〃 أقر الخصم وارتفع النزاع ،مجلة الشهاب ج9 مج 6 (أكتوبر 1930)

- " أيتها الحرية المحبوبة أين أنت في هذا الكون؟جريدة البصائر عدد 175 (21-7-1939)
- " الخدمة الجزائريون في فرنسا ،جريدة النجاح ،عدد 136 (7-12-1923)
- بن بكير السعيد ،آفة اليأس ،جريدة الأمة ،عدد 89 (8-9-1936)

- بن بكير محمد ،التربية سبب رقي الأمة جريدة وادي ميزاب عدد 22 (4-3-1927)
- بن حلو ش مصطفى ، الإصلاح المنشود ،مجلة الشهاب جزء 6 مج 6 (فيرفري 1349)
- بن الدراجي فرحات ،منطلق الاستعمار ،جريدة البصائر عدد 19 (1367 هـ 1948 م)
- بن ذياب أحمد ،الأسرة في الشريعة ،جريدة البصائر عدد 75 (سبتمبر 1947)
- بن ذياب ليلى ،المرأة والمجتمع ،جريدة البصائر عدد 163 (جويلية 1951)
- " تعليم المرأة ،جريدة البصائر عدد 93 (1949)
- بن السايح اللقاني ،بني الجزائر ،جريدة الإقدام عدد 12 (30-12-1920)
- بن عاشور أحمد ،الهجرة من الجزائر إلى فرنسا ،جريدة البصائر عدد 43 (12-7-1948).
- بن عامر مليكة ،المرأة الجزائرية بين الحاضر والمستقبل ،جريدة البصائر ،عدد (20-5-1955)
- بن عمار ،حرية الدين،جريدة المنار عدد 7 (جمعة 26 شوال 19 يوليو 1952).
- بن عمر أحمد ،الحالة الاقتصادية في الجزائر ،جريدة المنار ،عدد 4 (21 ماي 1951)
- بن عمر عبد الرحمن ،القمار آلة الدمار ،جريدة وادي ميزاب عدد 40 (15-7-1927)
- " الحياة الصناعية والزراعية في الجزائر ،جريدة وادي ميزاب عدد 244 (6-1-1928).
- عبد الرحمن ،حالتنا التعليمية ،جريدة وادي ميزاب ،عدد 2 (18-10-1926)
- بن عمار باعزيز ،المثبطون للعزائم ،مجلة الشهاب ج11 مج ج (رجب 1349 هـ ديسمبر 1930).
- " اليد العاملة مهددة بانتشار المكيفات والآلات ، البصائر ،عدد 304 1955.

" الظاهرة القرآنية البصائر عدد102 (09-01-1950)

" يودعون عاما و يستقبلون عاما وهم على قارعة الطريق يتضورون

جوعا جريدة البصائرعدد301 (14-01-1955)

- " هل هذا من العناية بحياة عمالنا الجزائريين في فرنسا ،جريدة البصائر عدد 346 (23-12-1955)
- " هل التعليم مهنة شاقة؟ جريدة البصائر عدد 326 (8-7-1955)
- " الزوايا بزواوة ،مجلة الشهاب ج1 مج 9 (رمضان 1351 جانفي 1933) و ج 2 مج 9 شوال 1351 هـ فيفري 1933.
- " اللغة العربية بالمدارس الثانوية ،جريدة البصائر عدد
- " اللغة العربية والدين بالجامعة الجزائرية ،جريدة البصائر عدد 4 (1947)
- " الضمان الاجتماعي في الجزائر ،جريدة البصائر عدد 331 (25-3-1955)
- " المرأة والعمل خارج البيت ،جريدة البصائر .
- " مغادرة البيت الزوجية ،جريدة البصائر.
- " أثر التعليم والتطور الفكري في رفع المستوى الاجتماعي العام، البصائر، عدد320، 1955/5/27.
- " عيد الأمهات ،جريدة البصائر ،عدد 322 (10جوان 1955 19 شوال 1374)
- " يا ولدي ،جريدة البصائر ،عدد 308 (4-3-1955)
- بن قدور عمر،يجهل المرأة المسلمة الفاروق عدد 38 (23-11-1913)
- " التعليم والاقتصاد ،جريدة الصديق عدد 3(13-8-1920)
- " فتاة طرابلس الغرب (قصيدة)الفاروق عدد 16 (3-6-1913)
- بن بلقاسم أبو بكر، التلميذ والمنزل، البصائر، عدد93، 1949/10/31.
- ابن القطاط أحمد،التجارة والمسلمون ،جريدة المغرب عدد1(10-4-1903)
- ابن منصور عبد الوهاب ،التاريخ المفتري عليه جريدة البصائر عدد 205 (أكتوبر 1952)
- أوقاف الحرمين الشريفين بالجزائر ،جريدة البصائر عدد 160 (1951/1/18 هـ .
- بن الموهوب المولود،ضرر المسلمون من أنفسهم ،جريدة المغرب عدد 5 (29-5-1929)
- مسامرة في نادي صالح باي ،جريدة كوكب إفريقيا عدد 174 (12-9-1910)
- ابن الميلي حسين، يجب تحرير الدين الإسلامي ،جريدة المنار عدد 14 (26 /12 1952)
- ابن الهاشمي أحمد ،حول شروط الشيخ الحافظي ،جريدة السنة عدد10(18 صفر 12/1352 جوان 1933)

- " وأن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا مثلكم جريدة البصائر عدد 32 /أوت 1936.
- ابن الهاشمي عبد الحفيظ الإسلام لا تعمل فيه الأحلام الرد على أندري سرفييه ،جريدة النجاح عدد 110 (11-05-1922)
- " تهذيب التعليم بالمكاتب القرآنية الحالي،النجاح عدد 186 (12-12-1924)
- الباروني سليمان،حقيقة الطرابلسية ،جريدة الأمة عدد 87 (25-8-1936)
- باية،البدوية والحياة ،جريدة البصائر ،عدد 296
- البرزياني مصطفى ،التعليم المدرسي ،جريدة البصائر عدد.
- بريهمات عمر، قصيدة في مدح الشيخ سالم بوحاجب،جريدةالمغرب،ع11(1903/5/15)
- بوزوزو محمود ،ماذا تريد الكنيسة الفرنسية؟ جريدة المنار عدد11(14-11-1952)
- بوزوزو محمود ،من وحي استقلال ليبيا إننا لاحقون ،جريدة المنار عدد14(19-1952).
- بوزوزو محمود ،أهدافنا من تعليم التاريخ ،جريدة المنار عدد15 (1-2-1952)
- بسيس الصادق ،الاتحاد الفرنسي ومصرعه بالمغرب المسلم العربي،جريدة البصائر،عدد
- بوغزال صالح ،في التطور ،جريدة البصائر عدد 143(1951).
- ،الدعاية و حاجتنا اليها. جريدة البصائرو ع.......
- بوكوشة حمزة، قيمة المرأة في المجتمع ،جريدة البصائر عدد 51 (فيفري 1936)
- بوكوشة حمزة، القضاء الإسلامي في الجزائر ، البصائر عدد 1 (1-7-1947)
- بوشامة الربيع ،الحركة الإسلامية بفرنسا ،جريدة البصائر عدد144 (16-12-1938)
- بوشقرون محمد، بشائر النهضة الجزائرية، صدى الصحراء،عدد9،(1926/2/1).
- بوناب عمر العلم ، وسيلة الاستقلال ،جريدة البصائر عدد4.(29-08-1947)
- بيوض ابراهيم (افلح) في الوحدة العربية الفرقان بين اميري السيف والبيان الباروني باشا وشكيب ارسلان،جريدة الأمة عدد 58 أفريل 1938،
-التيسي العربي،فصل فرنسا عن الإسلام قضية لا قاضي لها ، المنار عدد 13 (12-12-1952)

- ″ حول فصل الدين عن الحكومة البصائر عدد 1777 (7-12-1951)
- الجلالي بن العابد :المولد في قسنطينة مجلة الشهاب جزء 4 مج 11 جويلية 1935 افتتاح نادي الاتحاد الشهاب جزء 8 (1932)

- ″ الجزائري ذكرى الشهداء في المغرب الأقصى جريدة المنار عدد 14 (21 ربيع الثاني 1371 هـ17-1-1952
- الجيلالي عبد الرحمن أخطار الخمر مجلة الشهاب ج7 9 صفر 1352 هـ جوان 1933
- الحارث، في سبيل وحدة إسلامية جريدة المنار عدد 52.
- الحسيني الحاج أمين الخطاب الافتتاحي للمؤتمر الإسلامي بالقدس ،جريدة النور عدد 16 (5-1-1932).
- حماني أحمد،تأثير الإسلام على النفوس ،جريدة البصائر عدد 130 (1938)
- حمود رمضان،الغناء الفاسق وتأثيره على الأخلاق ،جريدة وادي ميزاب عدد 95 (10-8-1928).
- ″ دعاة التجديد ،جريدة وادي ميزاب عدد 113 (21-12-1928)
- ″ العادات الفاسدة ،جريدة وادي ميزاب عدد 114 (28-12-1928)
- حميدات :الطاهر حوادث العراق ،جريدة المنار عدد 13 (1372 هـ-1952م)
- خبشاش محمد الصالح، هلم إلى تأسيس الشركات جريدة الحق عدد 10 (23-7-1926)
- ″ الاقتصاد اعمار والإسراف دمار،جريدة الحق عدد 11(25-7-1926)
- ″ افريقية غربية لا شرقية ،جريدة الشهاب عدد 7 (24-2-1925.
- دبوز محمد علي،تقييم لكتاب تاريخ الجزائر العام للجيلالي ،جريدة البصائر عدد 321 جوان 1955 وعدد 328 (جويلية 1955
- رمضان محمد الصالح، الطفل والرياضة البدنية ،جريدة البصائر عدد 93 (31-10-1949)
- الزاهري محمد السعيد،اعترافات طرقي قديم جريدة الصراط عدد 7 (11-9-1933)
- ″ ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف ويعتنقون الكاثوليكية جريدة الشريعة عدد 2 (24-7-1933)
- ″ حول أسطورة ″إخواننا في الدين″ جريدة الأمة عدد 80
- ″ العربية والنواب جريدة البرق.عدد 18 (11-7-1927)

- 〃 فضائح الصهيونية ،جريدة الإصلاح عدد9 (12-12-1929)

- 〃 الوهابيون سنيون حنابلة ،جريدة الصراط عدد 16 (5-10-1933)
- 〃 أين تذهب أموالنا ،جريدة البرق عدد 15 (20-6-1927)
- الزريبي المولود تقدم الأمة بتقدم تجارتها ،جريدة الصديق عدد 43 (12-9-1921).
- زكريا مفدي ،قصيدة في الإشادة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، البصائر عدد 250 .
- الزكري إسماعيل،هل من فضل للغة العربية بالجزائر ، البصائر عدد98 (5-12-1949)
- الزمراني عبد الكبير، البغاء ومفاسده، البصائر، عدد21،(1936/5/29).
- 〃 〃 〃 〃 〃 〃 22ن (1936/6/5).
-زمرلي مصطفى،اجتماع لنادي الشبان المسلمين بتبسة،البصائر عدد ،117 (10-6-1938)

- الزواوي أبو يعلي ،حول علمائنا وشبابنا ،جريدة البصائر عدد 136 (21-10-1938)
- 〃 تعدد الزوجات في الإسلام ،جريدة البصائر عدد 136
- 〃 تحديد النسل ليس حلا للمشكلة ،جريدة البصائر ،عدد 305 (1955)
- 〃 القضاء وحالته في الجزائر ،جريدة البصائر عدد 31 (1948)
- 〃 وهابي ،جريدة الصراط عدد23 (6 أكتوبر 1933)
- 〃 قضية ميراث الإناث عند قوم الزواوة ،جريدة البصائر عدد 67 (فيفري 1949)
- 〃 في البدع الاعتقادية ،جريدة البصائر عدد 142 (2-12-1938)
- 〃 نحن الإصلاحيين وخصماؤنا عدد البصائر عدد 5 (31-1-1936)
- 〃 بلاد القبائل والطريقة الحلولية ،جريدة الصراط (2-9-1933)

- سحنون أحمد ،حسن التوجيه ،جريدة البصائر ،عدد 305(1374 هـ)
- " الحسد ،جريدة البصائر ،عدد 336.
- " الغرور " "

إصلاح المال، البصائر، عدد220.

الكذب وخطره على المجتمع، البصائر، عدد46، (1936/12/4).

- سلطاني عبد اللطيف،الخمر وضررها في المجتمع الانساني، البصائر،عدد 182 فيفري 1952
- الشافعي عبد المجيد ،التقاليد وثقافة المرأة الجزائرية، البصائر عدد 295 (7-3-1954)
- " واجبات الشباب ،جريدة البصائر عدد :

- شبوب عثمان، رسالة الشباب الجزائري ،جريدة البصائر ،عدد 336.
- الشبوكي محمد ، التربية أساس التعليم ،جريدة البصائر ،عدد 2 (1-8-1947)
- شرفاء الأكحل،واجب الشباب المحمدي ،جريدة البصائر ،عدد 316 (1955)
- " " عدد317 (1955)
- الشرفاوي الرزقي ،أسباب الرقي ،جريدة الصديق عدد 36 (3-5-1921)
- الشرفي محمد ، ماذا تريدون يا أهل العمائم ،جريدة البصائر عدد 91 (1937)
- الشكيري ،الشعور الحي في نفوس أطفالنا ،جريدة البصائر عدد.
- شهرة محمد ،الشباب الجزائري كسول؟ جريدة البصائر عدد 322 (1955).
- شيبان عبد الرحمن ،القضية الجزائرية، جريدة البصائر عدد 352 (1956).
- الطرابلسي ،الكد والكسب ،جريدة وادي ميزاب ،عدد 29 (29-04-1927)
- " ،سخافات المبشرين ،جريدة وادي ميزاب عدد 116 (11-1-1929)
- العرباوي ،مشكلة البطالة في الجزائر ،جريدة البصائر ،عدد 277 (+2-7-1954)
- العربي إسماعيل ، مصر وإيران ،جريدة المنار عدد 12(1371 هـ-1951 م)
- العربي إسماعيل ، منهاج التربية القومية ، البصائر ،عدد 7 (19-9-1947)
- ، مذكرة توجيهية في التربية. البصائر، عدد93(1949/10/31)
- العقبي الطيب، نحن والطرقيون ،جريدة الشريعة عدد 6(21-8-1933)

- " مطالب الأمة الجزائرية ،جريدة البصائر ،عدد 101 (جانفي 1938)
- " في ذمة التاريخ أفضح حادث " جريدة الشهاب عدد 80 (20 جانفي 1927)
- " الإسلام والتمدن العصري ،جريدة السنة ،العدد 1 (1351 هـ)
- " السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ،جريدة السنة عدد 07 (27 ماي 1933)
- " الله أكبر خربت خيبر ،جريدة الشهاب عدد3(7-3-1926)
- " ألا فليعش المصلحون وليخسأ المبطلون ،جريدة الإصلاح عدد 3 (1929)
- علالي الطاهر ،قضية فلسطين ،محاولة أوروبية حاسمة، البصائر عدد (1947)
- العمودي محمد الأمين ،مقال فيه دفاع عن الحجاب ،جريدة الإصلاح عدد 8(28-9-1926).

- العيداني علاوة، احتفال بجاية بالمولد النبوي الشريف ،جريدة البصائر ،عدد 166 (19-5-1939).
- الغسيري ،التفتيش وأثره في سير التعليم ،جريدة البصائر ،عدد 93 (1949)
- الفارسي الجيلالي ،الأدب في نظر أدعيائه ،جريدة البصائر عدد 108 (15-4-1938)
- " رسالة المعلم ،جريدة البصائر عدد 93 (31-10-1949)
- فانلان روني ،ترجمة الشهاب الشهاب جزء 5 5 جوان 1929
- فضلاء محمد الحسين،، إلى معلمي المكاتب ،جريدة البصائر ،عدد 146 (30-12-1938)
- كيوان مراد، دولة باكستان ،جريدة المنار عدد 16 (1371 هـ-1952م)
- المجاوي عبد القادر ،العلم جريدة المغرب عدد 13 (19-5-1903)
- مجهول ، موقف العالم اعتدنا أمام طبقات الشعب ،الشهاب رجب 1349 ديسمبر 1930.
- مجهول ،ـالاستعمار الغربي في اندحار ،جريدة المنار،عدد 50(5 ربيع الثاني 1373)
- مجهول ،فلسطين على نطع الجلاد ،الغاية الشيطانية من التقسيم ،جريجدة الأمة عدد 170 .
- المتيجي محمد، النصر للشعب التونسي ،جريدة المنار عدد 18 (19 جمادى الثاني 1371 هـ-14-3-1952.
- المدني أحمد توفيق ،بين الموت والحياة ،جريدة الاصلاح عدد 27-2-1930.

- ″ الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها ،جريدة البصائر عدد 67 (13-8-1951) والمنار عدد 6(30 يوليو 1951 27 شوال 1370 هـ
- ″ انتخابات مصر ،جريدة البصائر عدد 102.
- مرحوم علي، في سبيل فلسطين ،جريدة الأمة عدد 145 (23-11-1937)
- ″ بناتنا في المكاتب الفرنسية ،جريدة البصائر عدد 80 (ماي 1949)
- ″ العامل المثالي في مدارس جمعية العلماء ،جريدة البصائر عدد 93 (31-10-1949)
- ″ رسمية لغتنا بأيدينا ،جريدة البصائر عدد 15 (1947)

- مزهودي ابراهيم، الأدب الجزائري،جمعية النادي السعيد ،جريدة البصائر ،عدد 104 18 مارس 1938).
- ″ مسلم عاقبة مدرسة بجاية ،جريدة البصائر عدد 149 (20-1-1939)
- مقيدش محمد ،الاحتفال بوضع الحجر الأساسي لمدرسة الحياة الجيجلية ،جريدة البصائر عدد 1666 (19-05-1939)
- ″ المطالع ،التاريخ في خدمة القومية ،جريدة المنار عدد 15(1-2-1952)
- ″ كيف تحمل الأطفال على الطاعة ،جريدة المنار ،عدد 11(8-12-1951)
- المكي الشاذلي ،معركة بين مصلح وطرقي ،جريدة البصائر عدد 149 (20-1-1939)
- ″ ″ إلى الشباب، جريدة البصائر، عدد36، (1936/9/25)

- مغرور، نداء لمن كان له قلب ،جريدة الصديق عدد 52 (6-3-1922)
- معمر عزوز ،حالة المرأة ،جريدة كوكب إفريقيا عدد 187 (2-12-1910)
- الميلي مبارك، تعليم المرأة الكتابة ،مجلة الشهاب ،جزء 6 مج 12.
- " الاجتماع للمولد النبوي ،جريدة البصائر ،عدد 112 ماي 1938.
- " عود إلى الحديث عن التصوف ،جريدة الشهاب ،شعبان1351 .
- " محاضرة في النادي الإسلامي بميلة ،حول إصلاح المجتمع ،مجلة الشهاب ربيع (2) 1354 هـ جويلية 1935 جزء 4 مج 11.
- " محاضرة بعنوان " العلم" في النادي الإسلامي الشهاب جزء4 مج 11 جويلية 1935.
- " الدعوة إلى تعلم اللغة العربية ،جريدة المنتقد عدد 14 (3-9-1925)
- النعماني أحمد،نظرة في علاقةالاستعماربعناصرالشعوب،البصائرعدد93(31-10-1949)
- النجار عمار: حول أرستقراطية الكتب ، البصائر عدد 357(1956)
- هواري مالك ،في طريق الهجرة ،تعريف بكتاب البصائر عدد 315 (22-4-1955)
- الورتلاني الفضيل، التربية والتعليم ،الشهاب 1936
- الورتلاني محمد الطاهر، العزوبة ،جريدة البصائر ،عدد 25-8-1938.
- " كيف السبيل إلى الزواج؟ جريدة البصائر عدد166 (19-5-1939)
- يعلاوي يوسف ،الاستعمار جرثومة خبيثة ،جريدة البصائر عدد 38 (1367 هـ 1948
- يزناسي ، من مبادئ الاستعمار التضليل ،جريدة البصائر عدد 156 (10-3-1939).

3- المراجع والدراسات: الكتب ،المقالات

1- الكتب:

- أجيرون شارل روبير ،تاريخ الجزائر المعاصرة ،ترجمة عيسى عصفور ،ديوان المطبوعات الجامعية ط(2) الجزائر 1982.

" المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية ،ترجمة وتقديم وتعليق محمد العربي ولد خليفة ،منشورات تالة ،الجزائر 2002.

- أعوشت بكير ،قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش، المطبعة العربية غرداية 1989.

- الأشرف مصطفى ،الجزائر الأمة والمجتمع ،ترجمة حنفي بن عيسى ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1980

-الأزرق أحمد، النهضة الثقافية الأصيلة في مدينة سيدي بلعباس ،دار الغرب للنشر وهران 2003.

- الأهواني محمد أحمد فؤاد ،التربية في الإسلام ،دار المعارف ،القاهرة ط(2) 1975

- بن ابراهيم الطيب ،الاستشراق الفرنسي ،دار المنابع ،الجزائر 2004

- بن بكير يوسف ،تاريخ بني ميزاب ،المطبعة العربية ،غرداية 1992.

- بن اشنهو،عبد اللطيف ،تكون التخلف في الجزائر 1830-1962 ،ترجمة نخبة من الأساتذة ش-و-ن-ت الجزائر 1979

- بن نعمان أحمد ،فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر منشورات دحلب 1991 الجزائر.

- " " كيف صارت الجزائر مسلمة عربية،دار الأمة، الجزائر.

- بركات أنيسة ،أدب النضال في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1984.

برنيان أندري وآخرون ،الجزائر بين الماضي والحاضر ،ترجمة رابح اسطمبولي ومنصف عاشور المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1984.

- بن قينة عمر ،أعلام وأعمال في الفكر والثقافة والأدب ،نشر اتحاد الكتاب العرب دمشق 2000

- " " عبد الرحمان الديسي، حياته وآثاره وأدبه، ش.و ن. ت. الجزائر، د ت.

- بقطاش خديجة ،الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر ،مطبعة دحلب ،الجزائر 1992..

بغورة الزواوي ،الخطاب الفكري في الجزائر، دار القصبة، الجزائر، 2003.

- بهلول محمد بلقاسم ،القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985

- بوعزيز يحي، الأمير عبد القادر ،رائد الكفاح الجزائري ،الدار الغربية للكتاب تونس 1983.
- بوعزيز يحي ، كفاح الجزائر من خلال الوثائق ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1986
- بوقلي حسن جمال الدين ،الإمام بن يوسف السنوسي وعلم التوحيد ش-و-ن-ت الجزائر 1985.
- تابليت علي، عبد الحميد بن باديس والهوية الجزائرية ،مطبعة تالة ،الجزائر 2004.
- بوحوش عمار ،العمال الجزائريون في فرنسا ش-و-ن-ت الجزائر 1974.
- بوالصفصاف عبد الكريم ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،مطبعة البعث ،قسنطينة 1981.
- الجيلالي عبد الرحمن ،محمد بن أبي شنب ،حياته وآثاره ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983.
- البوطي رمضان ،محمد السعيد ،تجربة التربية الاسلامية في ميراث البحث ،المطبعة التعاونية دمشق د-ت.
- بسيس محمد الصادق، محمد بن عثمان السنوسي حياته وآثاره ،الدار التونسية للنشر.
- التميمي عبد المالك ،خلف الاستطان الأجنبي في الوطن العربي ،الكويت 1983 .
- تركي رابح ،التعليم القومي والشخصية الجزائرية ش-و-ن-ت الجزائر ط(2)1981.
- " الشيخ عبد الحميد بن باديس ش-و-ن-ت الجزائر د.ت .
- تيمور محمود، مشكلات اللغة العربية، منشورات المكتبة العصرية ـبيروت د-ت .
- التجاني عبد الرحمن ،الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900-1977 ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983.
- التيمومي الهادي، النشاط الصهيوني بتونس، دار على الحامي، تونس، 2001.
- جابري محمد صالح النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس ،الدار العربية للكتاب ،تونس 1983.
- الجابري محمد ،العابد حوار المشرق والمغرب ،دار بقال ،الدار البيضاء ط 1(1990.
- الجيلالي عبد الرحمن ،تاريخ المدن الثلاث... الجزائر 1972.

- جاكر أحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران2003.
- جغلول عبد القادر ،الاستعمار والصراعات الثافية في الجزائر ،دار الحداثة ،بيروت 1984- جدعان فهمي ،أسس التقدم عند مفكري الإسلام ففي العالم العربي الحديث ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط(2) بيروت 1985.
- الجندي أنور ،الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ،القاهرة ،الدار القومية للطباعة والنشر 1965م .
- " العالم الإسلامي والاستعمار ،دار الكتاب اللبناني بيروت 1979 .
- جوليان شارل اندري ،إفريقيا الشمالية تسير ،تعريب المنجي سليم وآخرون ش-و-ن-ت تونس 1976.
- الجنحاني الحبيبي ،دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي ،دار الطليعة ط(1)بيروت 1980.
- الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ط(1) الاسكندرية 1999.
- الحاجري محمد طه ،جوانب من الحياة العقلية والأدبية في الجزائ\ر ،معهد والبحوث والدراسات. العربية 1968.
- الحداد سالم ،صراع الهوية بين الأنا والآخر ،نشر الأطلسية للنشر ط(1)2000.
- حلوش عبد القادر ،السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 1999.
- حشلاف الحبيب ،الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ،طبع بالجزائر
- خالد أحمد، أضواء على البيئة التونسية، الطاهر الحداد ونضال جيل، الدار التونسية للنشر، 1976.
- خالد احمد، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 2001.
- خرفي صالح، عمر بن قدور الجزائري ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984.
- " في رحاب المغرب العربي ،دار الغرب الإسلامي بيروت 1985.
- " شعر المقاومة الجزائرية ش-و-ن-ت الجزائر د-ت
- " محمد السعيد الزاهري ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.
- " الشعر الجزائري الحديث ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1984.

- ″ الجزائر والأصالة الثورية ش–و–ن–ت الجزائر د –ت
- ″ صفحات من الجزائر ،ش–و–ت–ت الجزائر
- ″ حمود رمضان ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.
- خضر سعاد ،الأدب الجزائري المعاصر ،المكتبة العصرية ،بيروت 1967.
- الخميسي،التربية وتحديث الإنسان العربي عالم الكتب ،القاهرة 1988.
- الخالدي مصطفى وعمر فروخ،التبشير والاستعمار في البلاد العربية ،بيروت ط(5) 1973.
- الخطيب سليمان ،فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ط(1)1413 هـ1993م.
- الدجاني محمد صدقي ،الحركة السنوسية دار لبنان للطباعة والنشر 1976.
- دودو أبو العيد ،الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان (1830–1855) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1989
- الدهان سامي شكيب ارسلان حياته وآثاره دار المعارف مصر 1976

- الدقي نور،المغرب العربي والاستعمار ،شركة سراس للنشر تونس 14997.
- الرافعي مصطفى صادق ،من وحي القلم ،الجزء 3 دار المعارف القاهرة 1972.
- ركيبي عبد الله،الشعر الديني الجزائري الحديث، ش–و–ن–ت الجزائر 1981.
- ″ تطور النثر الجزائري الحديث ،الدار العربية للكتاب ليبيا – تونس 1398 هـ–1978 م
- ″ الفرنكفونية مشرقا ومغربا ،دار الأمة 1993 الجزائر
- ″ عروبة الفكر والثقافة أولا مؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر 1986.
- الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 1999.

– رضوان فتحي، مصطفى كامل ،دار المعارف ،القاهرة 1974.

– الزرهوني الطاهر ،التعليم في الجزائر قبل وبعد الاحتلال ،مؤسسة موفم للنشر ،الجزائر 1993.

– زيادة خالد اكتشاف النقد الأوربي دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن 18 دار الطليعة بيروت ط(1)1981.

–السائحي محمد الأخضر ،تراجم ومختارات من الشعر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب 1986 الجزائر.

– السائحي عبد القادر الأخضر محمد الأمين العمودي ،المؤسسة الوطنية للكتاب 1988.

– الساحلي عبد العزيز قضية التربية والتعليم من خلال فكر علماء الاصلاح ط(1) بيروت 1995.

– ساحلي ،تخليص التاريخ من الاستعمار ،ترجمة محمد هناد ومحمد الشريف بن دالي حسين الجزائر 2002.

– ساحي احمد، اعلام من زواوة ايقواون. مطبعة الثورة الافريقية. د.ت.

– سالم عبد العزيز،تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية 1981.

– سعادة يوسف جعفر ،دور القراءات الخارجية في تدريس التاريخ ،مؤسسة الخليج العربي ،القاهرة 1985.

– سعد الله أبو القاسم،الحركة الوطنية الجزائرية ،الجزء1 القسم 1 ، الجزائر 1992.

– " الحركة الوطنية الجزائرية ج2 ،دار نافع للطباعة ،القاهرة ط(2) 1977 والطبـــــعة (3)ش–و–ن–ت الجزائر 1983.م

– " الحركة الوطنية الجزائرية الجزء3 ،معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1975.

– " قضايا شائكة ،دار الغرب الإسلامي بيروت 1990.م

– " ابن العنابي رائد التجديد الجزائري ش–و–ن–ت الجزائر 1976

– " حياة الأمير عبد القادر لتشرشل تعريب . ط2، الشركة الوطنية. الجزائ 1982

– " شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1986.

– " تاريخ الجزائر الثقافي الأجزاء 2–3–4–5–6–7 دار الغرب الإسلامي،بيروت 1998.

- ″ أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1996.
- سعيدوني ناصر الدين،الجزائر منطلقات وآفاق ،دار الغرب الاسلامي ط(1)2000 بيروت
- ″ دراسات في الملكية العقارية ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.
- ″ معجم مشاهير المغاربة بالاشتراك مع الأساتذة الشيخ بوعمران ،علي علواش، جلول حلمو،محمد الشريف قاهر،الزهير إحدادن، علي الإدريسي، مالحة بن إبراهيم ،منشورات جامعة الجزائر 1995.
- السحمراني سعد، مالك بن نبي ،مفكر ا اصطلاحيا ،دار المعارف بيروت.
_ سعد فهمي،حركة عبد الحميد بن باديس ودورها في يقظة الجزائر دار الرحاب بيروت ط(1)1983.

- سلوادي حسن عبد الرحمن ،عبد الحميد بن باديس مفسرا ،المؤسسة الوطنية للكتاب 1988 الجزائر.
- سيف الإسلام الزبير،تاريخ الصحافة في الجزائر الجزء6 القاهرة د.ت .
- سلامة بن الدواية: التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، الجزائر 1981
- شريف محمد بديع وآخرون ،دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ،دار اقرأ بيروت ط(2)1404 هـ 1984م.
- شريط عبد الله ومحمد الميلي ،مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.
- شمس الدين عبد الأمير.الفكر التربوي عند ابن سحنون و القابسي. دار اقرأ، بيروت1985الشيخ بوعمران محمد جيجلي ،الكشافة الإسلامية الجزائرية ،دار الأمة ط(1)1999 الجزائر .
- الشيخ سليمان ،الجزائر تحمل السلاح أو زمن اليقين ،ترجمة محمد حافظ الحمالي ،دار القصبة للنشر الجزائر 2003.
- شريط عبد الله،مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الايديولوجي في الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب 1986.
- صاري أحمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر ،المطبعة العربية غرداية 2003
- الطويلي حمد ،في الإصلاح والحنين إلى الأوطان ،دار أبو سلافة تونس 1984.
- طهاري محمد ،مفهوم الإصلاح ش-و-ن-ت الجزائر 1984.
- عبادة عبد اللطيف،صفحات مشرفة عن فكر مالك بن نبي،دار الشهاب باتنة ،1984.
- عبد القادر نور الدين،صفحات في تاريخ مدينة الجزائر،مطبعة البعث،قسنطينة 1965
- عقاب الطيب حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر 1985.
- عجالي كمال ، أبو بكر بن رحمون حياته وشعره ،ديوان المطبوعات الجامعية د-ت
- العجيلي التليلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي، تونس، 2005.
- عشوي مصطفى ،المدرسة الجزائرية إلى أين؟ دار الأمة الجزائر د-ت .

- عمارة محمد ،مسلمون ثوار ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت، ط(2)، 1979.

- عمارة محمد، جمال الدين الأفغاني ،ـدار المستقبل القاهرة ط(1) 1984.
- " الإمام محمد عبده مجدد الإسلام ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت د–ت.
- " تيارات الفكر الإسلامي، دار المستقبل، القاهرة، 1983.
- عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 2002.
- العقاد صلاح المغرب العربي من الاستعمار الفرنسي الى التحرر القومي ج2 مكتبة الأنجلو مصرية د–ت.
- عمارية حفناوي ،الصحافة وتجديد الثقافة بتونس في القرن 19 م ،الدار التونسية للنشر 1994.
- عيناد رضوان ،8 ماي 1945 م في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986.
- الغربال شفيق ،الموسوعة العربية الميسرة مج 1 ومج 2 ،دار إحياء التراث العربي بيروت 1965.
- غليون برهان، اغتيال العقل ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر 1990.
- غليسي جوان الجزائر الثائرة ط(1) تعريب خيري حماد. دار الطليعة بيروت 1961 .
- فركوس صالح أصالة وتغريب مشروع فرنسا الصليبية والمجابهة الإسلامية ،المطبعة المركزية عنابة 1991م.
- محمد الفقي. الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ط(2) 1965 مصر .
- فرصوص أحمد، أبو اليقظان إبراهيم ،كما عرفته دار البعث قسنطينة 1991.
- فوضيل عبد القادر و رمضان محمد الصالح إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس ،دار الأمة ط(1)1998 الجزائر.
- فضلاء محمد الطاهر، الطيب العقبي ،رائد حركة الاصلاح الديني في الجزا\ئر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1985.
- ناصر محمد ،الصحف العربية الجزائرية 1847-1939م الجزائر 1980.

- 〃 أبو اليقظان وجهاد الكلمة ،المؤسسة الوطنية للكتاب 1983.
- 〃 المقالة الصحفية الجزائرية جزئين ش-و-ن-ت الجزائر 1978.
- 〃 عمر راسم المصلح الثائر دار لافوميك الجزائر 1984م
- 〃 مفدي زكريا ،نشر جمعية التراث،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1989م.

- الشيخ إبراهيم اطفيش قفي جهاده الإسلامي،مكتبة التراث القرارة ،طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1991.
- 〃 أبو اليقظان في الدوريات العربية المطبعة العربية غرداية 1985.
- 〃 رمضان حمود ،المؤسسة الوطنية للكتاب ط(2) 1985
- قنان جمال، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
- نسيب محمد ،زوايا العلم والقرآن بالجزائر ،دار الفكر الجزائر د.ت
- النجار عبد المجيد ،المستقبل الثقافي للمغرب الإسلامي ،دار الغرب الإســــلامي ،بيروت ط(1)1997م
- كلود هنري وآخرون ،الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي ،تعريب محمد عيتاني ،مكتبة دار المعارف بيروت.
- كوليت وفرانسيس جونسون،الجزائر الثائرة ،ترجمة علوي الشريف وآخرون ،القاهرة 1957.
- لوكا فليب وفاتان جون كلود ،جزائر الأنثروبولوجين ،ترجمة محمد يحياتن وبشير بولعراق ،وردة لبنان الجزائر 2002.
- المالكي محمد ،الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ط(1)1994.
- ماكسيمنكو فلاديمير: الانتليجنسيا المغاربية، ترجمة عبد العزيز. 1994.
- مارديني زهير،فلسطين والحاج أمين الحسين دار اقرأ بيروت ط(1)1986
- مبروك مهدي ،هل نحن أمة ،دار البراق للنشر تونس 1989.

- "   المحافظة على الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ،الدار الأهلية بيروت 1983.
- مرتاض عبد المالك، الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق ،دار الحداثة ط(1) بيروت 1982.
- "   فنون النثر الأدبي في الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983.
- " نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر،ش و ن ت. الجزائر 1983

- مرابط جواد ،التصوف والأمير عبد القادر الحسيني الجزائري ،دار اليقظة العربية ،دمشق 1966.
- المراكشي محمد الصالح ،تفكير رشيد رضا من خلال جريدة المنار ،الدار التونسية للكتاب 1985.
- " قراءات في الفكر الغربي الحديث والمعاصر ،الدار التونسية للنشر 1992.
- المعاليقي منذر،معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية ،دار إقرأ بيروت لبنان د–ت.
- مسقاوي كامل، حول فكر مالك بن نبي ،دار الفكر ط(1) 1405 هـ 1985م دمشق.
- محفوظ محمد ،تراجم المؤلفين التونسيين ج1 دار الغرب الإسلامي بيروت 1982.
- المناعي الطاهر،المثقفون التونسيون والحضارة الغربية ،دار المعارف للطباعة سوسة تونس 2001.
- مناصرية يوسف، الحزب الدستوري التونسي ،دار الغرب الإسلامي بيروت 1988.
- الميلي محمد، ابن باديس وعروبة الجزائر ،دار العودة بيروت 1973.
- "   فرانز فانون والثورة الجزائرية ش–و–ن–ت الجزائر بيروت ط(1)1393 هـ–1973م.

- وقيدي محمد والنيغر حميدة،لماذا أخفقت النهضة العربية؟ دار الفكر المعاصر دمشق بيروت ط(1)1422 هـ 2002 م .
- وعلي محمد الطاهر ،التعليم التبشيري في الجزائر،منشورات دحلب دت
- يالجن مقداد، فلسفة الحياة الروحية منابعها ومشاربها ونشأتها ونشألأة التصوف والطرق الصوفية ،طبع دار الشروق ط(1)1405 هـ 1985 م بيروت.
- أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي ،تاريخ الأقطار العربية المعاصرة جزئين ،دار التقدم موسكو 1976.
- الوزير محمد السيد ،الأمير عبد القادر الجزائري ،ثقافته وأثرها في أدبه ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986.

2- المقالات والدراسات:

- ابن أبي شنب سعد الدين ،النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ،مجلة كلية الآداب ،جامعة الجزائر .عدد1 19 ،64.

- امقران علي، المعهد السحنوني بالأربعاء بني ايراثن بزواوة ،مجلة سيرتا ماي 1981 جامعة قسنطينة.
- أبو صلاح الدين ،المرأة العربية ودورها في التنمية،مجلة دراسات عربية ،العدد 2 السنة 27 ديسمبر 1990.
- بن ذياب أحمد فرحات بن الدراحي ،الأديب العالم مجلة الثقافة عدد 35 1976.
- احدادن زهير ،الإسلام والتصدي للتجنيس من خلال موقف الأمير خالد ،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ،محاضرات الموسم الثقافي 1998-1999م
- ابن عدة عبد المجيد،أحمد كاتب ابن الغزالي ،مجلة المبرز عدد11 1998.
- " صالح بن مهنا القسنطيني المجاهد الأسبوعي عدد23 جوان 1989.
- " الشيخ صالح بن يحي ودوره في نهضة القطريين الجزائري والتونسي ،مجلة المبرز عدد 14 (2000)الجزائر.
- ابن عبيد الطيب ،إشكالية الحفظ وعشوائية معالجته ،مجلة العربي فيفري 2003
- بن نعمان أحمد، الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية مجلة الأصالة عدد85-86 (1980).
- بن عيسى حنفي،تأثير جمال الدين الأفغاني على الفكر الجزائري المعاصر ،مجلة الثقافة عدد38 (1977)
- بن سمينة محمد ،من الإرهاص بالثورة إلى الإرهاص بالاستقلال في شعر محمد العيد آل خليفة ،مجلة المصادر عدد 10 (2004).
- بركات أنيسة :التأثير الثقافي في الأسرة الجزائرية من الاحتلال إلى استرجاع الاستقلال الثقافة عدد 82 (1984)
- بلقاسم محمد ،طلاب الوحدة ،جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين ،مجلة الرؤية ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 العدد3(1997).

- بقطاش خديجة،أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي1830الثقافةعدد62 (1982)

- برحاب عكاشة، الزوايا والطرقية في مخطط الإقامة العامة ،مجلة أمل عدد مزدوج 22-23(2001)مطبعة النجاح الجديدة ،الدر البيضاء المغرب.
- بلحاج قاسم ،الشيخ أبو اليقظان ومعالم في جهاده الإسلامي،الموافقات، عدد5 1996.
- بلقاسمي بوعلام ،البعد المغاربي في إيديولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية 1911-1937، مجلة المصادر، العدد 7، نوفمير 2002 .
- البوعبدلي المهدي،جوانب مجهولة عن آثار زيارة محمد عبده للجزائر،الأصالة عدد 79 –80 (1978).
- بوعزيز يحي، دور تونس في دعم حركات التحرر الجزائرية ،مجلة الثقافة عدد 70 (1402/1982 هـ)
- بوالصفصاف عبد الكريم، موقف العلماء المسلمين الجزائريين من تعليم المرأة الجزائرية إبان الربع الثاني من القرن 20 مجلة سيرتا ،جامعة قسنطينة عدد1 ماي 1979.
- " قراءة تحليلية ونقدية في رسالة "اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء" أعمال ملتقى دولي في التاريخ أفريل 2001 جامعة قسنطينة.
- أسس الدعوة الإصلاحية في حركة علماء الجزائر،مجلة سيرتا عدد 10، 1988.
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وموقفها من ظهور الحركة البربرية في الجزائر، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 63 – 64، 1991.
- بوكوشة حمزة، مع ابن باديس في ذكراه ،مجلة المعرفة أفريل 1964.
- " شيخ الجماعة عبد القادر المجاوي ،مجلة الثقافة عدد 10 (1972)
- " شخصيات منسية ،الأمين العمودي ،مجلة الثقافة عدد 6 (جانفي 1972).
- بن سعيد سعيد، سلامة موسى و اشكالية النهضة. دراسات عربية عدد8، 1983
- تابليت علي، حركة الترجمة عند العرب،دفاتر الترجمة،جامعة الجزائر عدد2 1996.
- " المؤسسة المدنية والعسكرية في الجزائر1830 تعريب تابليت مجلة أمل (التاريخ الثقافة المجتمع) عدد مزدوج السنة الثامنة 2001 الدار البيضاء
- التميمي عبد الجليل،التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19 م ،المجلة التاريخية المغربية عدد1، جانفي 1974.

- تركي رابح ،الشيخ الإبراهيمي في ذكراه العشرين ،مجلة الدوحة قطر أوت 1985 .
- " عبد الحميد بن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر ،مجلة الأصالة عدد 24 (1975).
- " الصراع بين جمعية العلماء وإدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر 1933-1939 ،مجلة الثقافة عدد85 (1405 هـ-1985م).
- التهامي ابراهيم ،الجانب العقيدي في جهود الإمام ابن باديس الإصلاحية ،مجلة الموافقات المعهد العالي لأصول الدين الجزائر عدد6 97-1998 .
- الجابري محمد الصالح،المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية ،مجلة الثقافة عدد 102 (1989)
- " من تاريخ التواصل الثقافي بين تونس والجزائر.مجلةالحياةالثقافية،تونس عدد32(1984
- جدي أحمد ،الإشكالية الاقتصادية في الفكر العربي الحديث مثال: أحمد أبي الضياف وخير الدين التونسي مجلة المستقبل العربي عدد196 (1995).
- جدي أحمد ،إشكالية النهضة في الفكر العربي المعاصر عمر فاخوري ،مجلة المستقبل العربي عدد 150 أوت 1991 م .
- جلولي عز الدين الاصلاح في اطاره الوحدوي عند الامام بيوض البصائر نوفمبر 2004 عدد 215
- الجنحاني الحبيب، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن 19 الأصالة ،عدد 16(1973).
- حاجيات عبد الحميد،الحياة الفكرية بتلمسان في عهد ابن زيان ،مجلة الأصالة عدد 26 (1975).
- حباسي شاوش،المظاهر الروحية الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر ،مجلة الدراسات التاريخية ،جامعة الجزائر عدد 10 (1997)
- حماني أحمد ،دور الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين ، الثقافة عدد 38(1977).
- الحبيب عبد الأمير، مقدمة في المسرح الجزائري المعاصر ،مجلة الثقافة العربية عدد3 (1977)طرابلس.
- خرفي صالح،الحركة الإصلاحية والانحراف الديني مجلة الثقافة عدد07 (1972)
- " عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة الوطنية الجزائرية ،مجلة الحياة الثقافية عدد 32 (1984)تونس.

- سهام خرفي، الجزائر تودع علما من اعلامها المصلحين. اسبوعية السفير 2005/7/29
- دعبل احميد ساحد ،الشيخ عبد الحميد بن باديس والوعي القومي العربي ،مجلة المستقبل العربي ،عدد254 أفريل 2000.
- الدشوني شريف، بعض قضايا التنمية والتراث في الوطن العربي ،مجلة المستقبل العربي عدد 198 أوت 1995.
- رزاقي عبد الرحمن ،الضرائب في الجزائر ما بين 1871 و 1974 ،مجلة الباحث ،نوفمبر 1985 عدد 3.
- رمضان محمد الصالح،تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية مجلة الثقافة العدد 70 (1402هـ1982).
- " محمد العابد الجلالي ،شخصيته وجوانب من تفكيره الثقافة عدد 82 (1984).
- " جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والأخلاقي ،مجلة الثقافة عدد 83 (1984)
- زنبير محمد ،دور الثقافة في بناء المغرب الكبير ،مجلة المستقبل العربية عدد79 (1985).
- نسلامي مليكة، الصحافة الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي ،مجلة التاريخ ،المركز الوطني للدراسات التاريخية عدد 21 (1986).
- سعد الله أبو القاسم، اللغة العربية في مواثيق الحركة الوطنية ،مجلة الكلمة ،جمعية الدفاع عن اللغة العربية ،الجزائر عدد 4 جانفي 1993.
- " الشيخ البشيرالإبراهيمي في تلمسان من خلال الوثائق الإدارية 1933الثقافة عدد 1988
- " سليمان الباروني أضواء وملاحظات ،مجلة الثقافة عدد 110-111(1995).
- " محضر جلسة جمعية العلماء المسلمين 1954 ،تقديم سعد الله ،مجلة التاريخ عدد8. (1980)
- سعيدوني ناصر الدين، الدراسات التاريخية في الجزائر بين الأمس واليوم مجلة "المبرز" المدرسة العليا للأساتذة الجزائر عدد 12(1999)
- " جذور المد الشعوبي في الجزائر جريدة الشعب 17 فيفري 1990.
- " صدى كفاح عمر المختار في الجزائر ،مجلة الثقافة عدد 56 ((1400 هـ-1980م)

- " الحركة الإصلاحية الجزائرية في مواجهة العوائق الداخلية والتحديات الخارجية محاضرة مخطوطة.
- شرف الدين أحمد، محمد الشريف الساحلي فيلسوف ومؤرخ المدرسة التاريخية الجزائرية ،منشورات اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر 1998.
- شعبان مالك ،منظور مالك بن نبي لمشروع المجتمع الجزائري ،جريدة الشــــروق اليومي (15-11-2002).
- الشناوي فهمي ،قضية المطابع الأولى في العالم العربي ،مجلة الدوحة مارس 1986.
- شيبان عبد الرحمن ،الغزو الثقافي بين الحصانة الذاتية والبناء الحضاري ،مجلة الثقافة عدد 89 (1985)
- صاري أحمد ،ابن باديس ومسألة إلغاء الخلافة ،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة الأمير عبد القادر ،قسنطينة عدد1 أفريل 2002.
- صاري أحمد ، عبد العزيز الهاشمي والإصلاح ،المجلة التاريخية المغاربية العددان 99-1000 (ماي 2000).
- صاري أحمد، الاحتفالات المئوية لاحتلال قسنطينة وموقف القسنطينيين منها، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 87 – 88، 1997.
- صاري الجيلالي ،إبادة قبيلة العوفية (وادي الحراش) مجلة الثقافة عدد 77(1983).
- الصديق محمد الصالح، عبد الحميد بن باديس ، صوت الأحرار 25 أفريل 2000 حلقة (3)
- " " باعزيز بن عمر ،مجلة أول نوفمبر عدد38 (1979)
- الصغير مريم، إسماعيل العربي السياسي المؤرخ، المدرسة التاريخية الجزائرية ،نشر اتحاد المؤرخين الجزائريين ط (1)1998 الجزائر.
- الطالبي عمار، محاضرة النزعة العقلانية والأخلاقية عند ابن باديس ،محاضرة ألقيت في الملتقى الأول حول الثقافة السلم في فكر ابن باديس (16-8-2000 أفريل جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة .
- الطوزري ابراهيم ،مراكز الثقافة بافريقيا خلال القرون الخمسة الأولى، مجلة مرآة الساحل عدد 5(أفريل 1967)

- عبادة عبد اللطيف ،الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد ،دراسة مقارنة ،مجلة الثقافة عدد 85 (1985).
- عبد القاضي أحمد ،الإسلام والعروبة في المغرب العربي،قضايا عربية،عدد 2 جوان 1979
- عبيد الله مسعود. محمد الغسيري، حياته و عمله،تاريخ الاوراس، انتاج جمعية اول نوفمبر، دار الشهاب ، باتنة
- عرابي عبد القادر،أزمة المثقف العربي ،مجلة المستقبل العربي عدد 196(1995)
- العريبي علي،أصداءجزائرية في جريدة الحاضرة،الحياة الثقافية عدد 32 (1984)تونس.
- العماري الصادق،التواصل و وحدة المغرب العربي في أدب السيرة الذاتية المغربية الحديثة ،مجلة المستقبل العربي عدد 194 (1995).
- العلوي الطيب ،محمد بن العابد الجلالي المربي ورائد الأنشودة المدرسية للأطفال ،مجلة الثقافة عدد 107-108 مارس أفريل 1995.
- عميراوي أحميدة، وثيقة نادرة عن المؤسسات الثقافية بمدينة قسنطينة في بداية الاحتلال، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 87 – 88، 1997.
- عويس عبد الحليم ،أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإصلاحي بالجزائر ،مجلة كلية العلوم الاجتماعية ،جامعة محمد بن سعود 1981 عدد 05.
- محمد غالم، انتفاضة معسكر أو ديناميكية النضال الشعبي في مطلع القرن العشرين ،مجلة التاريخ ،منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية العدد 21 الجزائر 1986.
- الغيطاني جمال ،الأمير عبد القادر البطولة بعين فرنسية ،العربي عدد 297-1983.
- فراد ارزقي،قراءة نقدية في كتاب اصلاح الزوايا ببلاد القبائل. الشروق اليومي 2003/5/19.

- فضلاء، من أعلام النهضةالوطنيةالشيخ الطيب العقبي، الثقافةعدد66(ديسمبرنوفمبر 1981)
- فيلالي عبد العزيز، جوانب من الحياة الثقافية و الفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، سيرتا عدد، 1988,10
- قاسم محمود ،مناهج الإصلاح في الشرق منذ أواخر القرن 19م حتى عصر النهضة المعاصرة فكرة جمال الدين الأفغاني في الإصلاح ،مجلة الثقافة عدد 81 (1984).

- قرم، نحو استقامة حضارية جديدة ،مجلة دراسات عربية السنة 16 عدد 3(198)
- قرقب عيسى، دور الإمام إبراهيم بيوض في النهضة الوطنية الجزائرية ومقارنته بالعلامة ابن باديس، المجلة التاريخية المغاربية، عدد 87 – 88، 1997.
- القريشي علي، التغييرالاجتماعي عند مالك بن نبي، الأمةالقطرية، عدد69 (رمضان 1406
- قنان جمال، الشعب الجزائري في مواجهة الاحتلال ،جريدة الشعب عدد 1984/10/10 1984/10/11.
- " مشاغل المجتمع الجزائري من خلال الصحافة 1882–1914 ،مجلة المصادر ،المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ،عدد9(2004)
- كشاش محمد، رؤية نهضوية لتطوير العربية ،رشيد رضا نموذجا، مجلة المستقبل العربي عدد 196 (1995).
- كوثراني وجيه، الإسلام والمركزية الغربية ،مجلة الفكر العربي ،بيروت عدد21 (1981)
- كولونا فاني، المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، تلخيص الأصالة عدد 6 1972.
- مراد ابراهيم ، تحديد مفهوم "النهضة " في الفكر العربي ، الفكر العربي 1985، عدد39.
- كريستلو آلان ،حول بداية النهضة الجزائرية ،كتيب عبد القادر المجاوي الثقافة عدد 46.
- " المكي بن باديس مجلة الثقافة عدد61.
- المرزوقي أبو يعرب ،مصطلحات النهضة وعلاقتها بالنظريات الخلدونية ،مجلة شؤون عربية عدد24(1983).

- مرحوم علي، جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي ،مجلة الثقافة عدد 83(1984).
- "   جمعية العلماء مرور خمسين عاما على تأسيسها مجلة الثقافة عدد 66، 1981.
- مريوش أحمد،دور جمعية العلماء المسلمين تلجزائريين في الحركة الوطنية الجزائرية ،مجلة الرؤية ،الجزائر عدد2 ماي –جوان1996.
- "   القضية الفلسطينية في اهتمامات الشيخ الطيب العقبي ،مجلة الدراسات التاريخية جامعة الجزائر عدد09 1415 هـ1995م .

- "   دراسة النزعة العقلانية الوطنية في منظومة بن باديس الإصلاحية (1912–1940)مجلة المصادر ،المركز الوطني للدراسات والبحث وثورة أول نوفمبر 1954 م العدد 7(1423–2002)الجزائر.
- مزيان عبد المجيد ،مظاهر المقاومة في الثقافة الجزائرية ،مجلة الثقافة عدد08 (1972).
- منجنيقة محمد جميل، فجر النهضة العربية مرحلة الريادة ،دراسة نقدية في فكر الطهطاوي مجلة الفكر العربي عدد 39.
- مناصرية يوسف، زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تونس 1937 وفكره الوحدوي المغاربية دراسات وشهادات مهداة إلى د/أبو القاسم سعد الله ،دار الغرب الإسلامي ط(1)بيروت2000.
- منور أحمد،جمعية المزهر القسنطيني ،جريدة الشروق 31 مارس 2002.
- الميلي محمد ،الجزائر والمسألة الثقافية ،مجلة المستقبل العربي عدد45.

- " وضع اللغة العربية خلال العهد الاستعماري مجلة اللغة العربية ؟،إصدارات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2005.
- " نماذج من تفكير ابن باديس ،مجلة الثقافة عدد 14 (1973)
- نايت بلقاسم ميلود،العربية في التعليم العام والعالي وأساليب النهوض بها في الجزائر ،مجلة الثقافة عدد 101(1988).
- ناصر محمد ،المغرب العربي الكبير في شعر مفدي زكريا ،مجلة الحياة الثقافية ،تونس عدد 32(1984)
- " فلسطين وأقلام جزائرية ،مجلة الثقافة عدد 37 (1397-1977).
- " عمر راسم ،المصلح الثائر ،مجلة الثقافة ،عدد30-31(1974)
- " " 34 (1976).
- ناصف ،الاصلاح الاقتصادي في مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،شركة آمال للشمال الإفريقي ،نموذج حي جريدة العصر عدد 6 (8 ذي الحجة 1417 هـ أفريل 1997).
- هلال عمار ،النوادي الثقافية قبل الحرب العالمية الثانية ،مجلة الدراسات التاريخية جامعة الجزائر العدد7(1414هـ-1993م).
- وقفة سلطة التربية ومجازفات التسلط ،مجلة العربي عدد 526 سبتمبر 2002.
- يحياوي مسعودة ،الجزائر من خلال المنظار الاستعماري،مجلة الدراسات التاريخية عدد07 1414 هـ-1993.

المصادر و المراجع باللغة الاجنبية

أ- **الكتب**:

-Abbe Burzet, histoire des désastres de l'Algerie, imprimerie centrale, Alger, 1869.
-Achour Christiane, anthologie de littérature algerienne de langue française, E. A. P, Paris, 1990.
-Ageron . ch. R, l'Algérie Algérienne de Napoléon III à Degaulle, la bibliothèque arabe sindbad, Paris, 1980.
-Ageron Charles Robert, histoire de l'Algerie contemporaine(1871-1954), p.u.f ,1979, tome II ,paris.
-Ageron. Ch. R, les algeriens musulmans et la France(1871-1919),p.u.f, Paris, 1968.
-Baghli Abdelouahab, scouts musulmans Algeriens groupe,El Mansoura ;Tlemcen , 1936 1962 .
-Belamri Rabah, l'oeuvre de Louis Bertrand ,miroir de l'edéologie colonialiste -Bentems-Claude, manuel des institutions Algeriennes de la domination Turque. tome, éditions Cujas France, 1976.
-Belloula Taib, les Algeriens en France, Alger, 1965.
-Berque, J, Maghreb histoire et sociétés, S.N.E.D., Alger .1974.
- Berque, j, le Maghreb entre deux guerres, cérès éditions, t1, t2, Tunis, 2001.
-Charnay-J.Paul, la vie musulmane en Algérie d'après la jurisprudence de la première moitié du XX siecle p.u.f, paris, 1965.
-Chedly Khairallah, le mouvement jeune tunisien, Tunis.
-Cheurfi Achour, la classe politique algérienne, Casbah editions, Alger, 2001.
-Christelow Allan, Musulim law courts and French colonial stat in Algeria.
-Colonna Fanny, instituteurs algeriens, 1883-1939, O.P.U.,Alger.
-Colonna Fanny, savants paysants, éléments d'histoire sociale sur l'algérie rurale, O.P.U., Alger, 1987.
- Collot Claude, Henry Jean Robert, le mouvement national algérien, opu, Alger, 1978.
- DABBAB MOHAMMED LES DELEGATIONS DESTOURIENNES 1919-1921 OU LA NAISSANCE DU DESTOUR MAISON TUNISIENNE DE LIEDITION 1980
-Derouiche Mohamed, le scoutisme :école du patriotisme, opu,Alger,1985.
-Djeghloul Abdelkader, éléments d'histoire culturelle algérienne, E. N. A. L, Alger, 1984.
- Djender mahieddine, introduction à l'histoire de l'Algérie, sned, Alger, 1968.
-Dulout Fernand, le habous dans le droit musulman et la législation nord Africaine, la maison des livres, Alger, 1938.
- Egretaud Marcel, réalité de la nation algérienne, éd sociales, Paris, 1961.
-Faucon Narcisse, le livre d'or de l'Algérie, Paris, 1889.
-Hamit Ismail, les musulmans francais du nord de l afrique, Paris colin,1906.
-Hellal Amar, le mouvement réformiste Algérien ,O.P.U.,Alger, 2002 .
-Ihdaden Zahir, histoire de la presse indigene,E.N.A.L.,Alger ,1983.
-Julien Charles André,une pensée anticoloniale, édition sandbad, Paris, 1979 .

-Julien Charles André ; histoire de l'Algerie contemporaine ;1827-1871 . T1.Ed. PUF. 1964 .
-Jurquet Jacques, la révolution nationale Algerienne et le parti communiste français, T2, Paris, 1973.

-Kaddache Mahfoud, histoire du nationalisme Algerien , sned,Alger,2ème ed .,1981.
-Kaddache Mahfoud, la vie politique à Alger 1919 1939,SNED,1975.
- Kaddache Mahfoud, Sari djilali, l'Algerie dans l'histoire(5), opu, Alger, 1989.
-Khaled l' Emir, la situation des musulmans d Alger, 1924, Alger .

-Kharchi Djamel, colonisation et politique d assimilation en algerie 1830 1962, Casbah éditions, Alger,2004.
-Kasbadji, Nadya Bouzar, l'émergence artistique algérienne au XXè siècle, O. P. U, Alger.

-Lacheraf Mostepha, des noms et des lieux, mémoires d une Algerie oubliée, édition Casbah Alger, 1998.
-Lacouture Jean, cinq hommes et la France, edition du seuil Paris, 1963 .
-Laroui Abdellah, les origines sociales et culturelles du nationalismes marocain, centre culturel arabe casablanca, 1993.

-Merad Ali, Ibn Badis, commentateur du coran, Paris, 1971.
-Merad Ali, le réformisme musulman en Algérie, édition el hikma, Alger, 1999.
-Meynier Gilbert, l Algerie révelée, Geneve, 1981.

- Mourre Michel, dictionnaire encyclopédique d'histoire, Bordas, Paris, 1968.
- Najah Ahmed, le Souf des oasis, ed la maison des livres, Alger, 1971.
- Nouschi, Andre, la naissance du nationalisme Algerien, Paris; De minuit, 1962.

-Piquet Victor, la colonisation Francaise dans l' Afrique du nord, lib.colin, Paris, 1912 .

-Rinne Louis, Marabouts et Khoun, étude sur l'Islam en Algérie, Alger, 1884.

-SAYADI MONGI al jam'iyya AL KHALDONIYYA 1896 -1958 maison tunisienne de   l'édition 1974
-Simian Marcel, les confreries Islamiques en Algérie, Alger, 1910.
-Stora Ben jamin, Zakia Daoud, Ferhat Abbas, une autre Algerie, éditions Casbah, Alger, 1995.

-Tabti Bouba Mohammedi, la société algérienne avant l'indépendance dans la littérature, O. P. U, Alger, 1986.
-Turin Yvonne, affrontements culturels dans l Algerie coloniale,E.N.A.L.,Alger,1983.

-Violette Maurice, l'Algérie vivra t elle? Librairie Felix Alcan, Paris, 1931.

-Yahiaoui Fadhila, roman et société coloniale dans l Algerie de l entre des deux guerres, E.N.A.L. Alger,1985.

ب- الرسائل الجامعية والمذكرات :

El Korso Mohamed, politique, religion en Algérie L'Islah : ses structures et ses hommes, le cas de l'association des ulama musulmans Algeriens en Oranie, 1931-1945. T1, thèse d'histoire, Paris, 1989.

Haggui Djamel, les Algeriens originaires du sud dans la ville de Tunis pendant l'époque coloniale, mémoire de D.E.A., université de Manouba,Tunis, 2003-2OO4.
Zouzou Abdelhamid, l' Aurès au temps de la France coloniale, T2, édition Houma, 2ème éd, 2002.
El Kechai, années de luttes, imprimerie Aurèsi Draa Benkhedda , Tizi Ouzou,1997.
Benamar Mohamed Djebbari, mémoires d' un enseignant de la vieille génération T1, O.P.U.,imprimerie régionale, Oran, s.d.
Bachetarzi Mahieddine, mémoires tome1, S. N. E. D, Alger, 1968.
" " , mémoires tome2, E. N. A. L, Alger, 1984.
Aly El Hammamy, Idris, S. N. E. D, Alger, 1976.

ج المقالات:

- ABBAS Ferhat, LaFrance c'est moi l'entente 23 Février 1936.
- Ageron. CH. R, M'hamed Ben Rahal, revue les africains, t XIII, Paris, 1977.
-Ageron Charles Robert, le mouvement « jeune Algerien » in etudes maghrébines, mélanges, Charles André Julien, P.U.F., Paris, 1964.
- Ageron. CH. R, Jules Ferry et la question algérienne 1882, revue d'histoire moderne et contemporaine, avril, juin, 1963.
- Alger républicain N° 261 Samedi 24/06/1939
- Aoudad, la naturalisation nous confère- T- elle le droit de cite, voix des humbles, n° 77, 1929.
- Aouimeur Mouloud, l'action de l'association des oulemas algériens en France 1936 – 1954, in mélanges mediterranneens d' amitié et de reconnaissance a André Remond, t1, pub de fondation Temimi pour la recherche scientifique et l' information, Tunis, 2004.
- Aumerat (j. f), la propriété urbaine et le bureau de biens faisance musulman d'Alger, in R A, t43, 1899.
- Belguedj. M. S, Ben Badis et le Mutazilisme, in revue de l'occident Musulman et la mediterrannee, n° 1, 1973.
- Belkhodja, centenaire Ali El Hammami, le martyr sans tombe ni souvenir, le quotidien d'Oran, 22/12/2002.
- Ben Chneb Rachid, une correspondance entre savants maghrébins et orientaux au début du XX siècle, from. arabia XXXI, juillet, 1984.
- Ben Chneb Saadedine, quelques historiens arabes modernes de l'Algérie, revue africaine, n° 91, 1956.
- Benrahal, s.m, apprenez le Coran aux indigènes, l'écho d'Alger, 18-1 – 1921.
Berque , Augustin , « un mystique moderniste ,Le cheikhe Benalioua » R.A.LXXIX (1936).
- Bouvreuil, AG, agitation politique et religieuse chez les musulmans d'Algérie, A. F, novembre 1936.

- Christelow Allan, Bashir Ibrahimi and the Islamic Encounter with European Secular and Religious Faiths, conference présentée au colloque, Alger, 2005.
- Collot, Claude, le régime juridique de la presse musulmane algérienne, R. A. S. J. E. P. V. V, n° 2, jiun1969.
- Cuperly , Pierre, Muhammad Atfayyas et sa risala, I, B, L, A, Tunis, n° 132, 1972.
-Desparmet , Afrique du Nord , et panarabisme .A.F. février 1938

- Desparmet , un réformateur contemporaine en Algérie A.F.Mars 1933

-Desparmet .J. Le nationalisme à l'école indigène en Tunisie et en Algérie .A-F. Février 1935.

-Desparmet .Naissance d'un Histoire Nationale de l'Algérie .A.F. Juillet 1933

-ELKORSO Mohamed, structure Islahistes et dynamique culturelle dans le mouvement National Algérien in- lettres Intellectuels et Militants .O.P.V. Alger

-ELKORSO Mohamed, Les affinités politiques des Islahistes à partir d'une approche Monographique , le cas de l'oranie 1931-1940. in l'étoile Nord Africaine et le mouvement national Algérien . Actes du colloque du 27/02 au 01/03/1987 publication du centre culturel Algérien Paris 1988

- Haddad, Mostéfa, projets coloniaux au maghreb de l'entre deux guerres, revue d'histoire Maghrebine, n°63 – 64, 1991.

- LACHERAF MOSTEFA , le Nationalisme ,Algérien , « sens d'une révolution » revue du temps modernes (sept Octobre 1956)

-Merad Ali : l'enseignement politique de Muhammed Abduh , aux Algériens (1903) in revue d'orient Paris N° 28 1963 .

-Merad Ali , la formation de la presse musulmane en Algérie 1919 -1939, in R. I .B.L.A. N° 105 (1964) Tunis.

-Merad Ali regards sur l'enseignement des musulmans en Algérie (1880-1960) in revue conflient Paris juin juillet 1963.

.

-Perveille Guy, Le mouvement étudiant Algérien à Alger et à Paris à partir de 1939 in L'Etoile nord Africaine et le mouvement national Algérien. Actes du colloque du 27/02 au 01/03/1987, publication du centre culturel Algérien, Paris 1988.

Saäd Allah, Figures Illustrés 2[éme] partie in El Moudjahid 12/10/1988.

- SELLAM SADEK MOHAMED HAMOUDA BENSAI , Nécrologie Islam de France 3 -1999 .

-Zeghir Louail , L'Aid El Kebir à Paris Cheikh Foudil parmi nous, la défense, 23/2/1938.

-Zenati .R. devant les réalités , Voix Indigène 26 Mars 1938.

- Zenati, R, le problème algérien vu par un indigène, supplément de A. F, mai 1938.
- Zenati, R, les pauvres intellectuels indigènes, voix des humbles, n°68, 1928.

د- الصحف :

-Afrique française , suppl. sep 1921.mai 1938

- BULLETIN mensuel des questions islamiques Mars 1954 octobre. Décembre 1954

-El ouma janvier 1938

L'ENTENTE LE 20/01/1938
LA DEFENSE LE 05/11/1937.

REVUE DU MONDE MUSULMAN T6 -1908

الفهارس

– الأعلام

– الأماكن

– الدوريات والجرائد

– فهرس الجمعيات والمؤتمرات والأحزاب السياسية

– النوادي

– الجمعيات الفنية

– الصور

– المختصرات

– الموضوعات

فهرس الأعلام:

-أ-

الآبلي: 412
آشيل: روبير: 253
آل خليفة محمد العيد: 104-105-117-134-207-213-313-339-508-85-
86-99-100-123-134-135-137-144-169.
الإبراهيمي محمد البشير: 173-202-208-224-231-232-239-241-251-
384-297-298-347-350-351-352-532-535-391-401-410-438-
476-478-494
أبو زهر: 290-291 .
أبواليقظان: 150-151-157-195-311-354-359-389-390-466-491-
492-78-145-243-262-288-289-330-332-353-489-499-500-
503-508-534-535-536.
أبيض جورج: 82.
الأخضري عبد الرحمن: 68.
الأخضري عبد العالي: 122.
ارسلان شكيب: 193-246-247-450-451-
أرسطو: 50
أبو بكر: 368
آرنو: 35.
الأغواطي: أحمد: 350
أطفيش امحمد: 57.

أطفيش ابراهيم: 77-192-133-410-415-416-417-418-542

أفلاطون: 50

الأفغاني: 42-71.

الأمير خالد: 464-465-488.

أوزقان : (القديس) 456

الأيوبي صلاح الدين 82

ابن الأكحل مصطفى 81

ابن باديس عبد الحميد: 54-66-76-85-88-92-93-94-99-101-103-112-119-123-124-130-131-134-142-143-146-156-160-164-170-137-138-140-148-173-179-181-188-189-190-191-192-207-211-214-218-219-220-221-223-226-227-283-254-455-278-292-301-305-312-313-316-317-318-326-339-348-350-371-372-381-382-388-390-391-409-414-415-435-436-437-440-446-447-448-449-452-453-454-469-470-472-489-502

ابن باديس الزبير: ص163

ابن باديس المكي :ص51.

ابن بكير أبو سعيد عدون: 273-274-376-377

ابن بكير عمر، 158

ابن بكير محمد: 78-265-116

ابن تامي: 458

ابن تيمية: 187-213-214-255

ابن تومرت: 68

أمين عثمان: 71

ابن جلول محمد الصالح: 142

ابن جلول سليمان: 168

الاحمدي موسي: 154
ابن حمانة عباس: 79
ابن حلوش: 293
ابن حملاوي /ابن حواء: 96،
ابن الحفاف: 79
ابن خبشاش: 178
ابن خلدون: 412
ابن الخوجة فهد المصطفى (الكمال)60-61-71-80-81
ابن الدراجي فرحان: 175-500
ابن الدرويش: 173
ابن ذياب أحمد: 306
ابن ذياب ليلى: 318
ابن رحال محمد: 386
بن رحمون: 264-338
ابن رشد: 383-424
ابن الشريف رشيد : 178
ابن شنب محمد: 65-66
ابن رشيق: 412
ابن زقوطة الطاهر: 90
ابن زكري محمد السعيد: 62
ابن سلامة أحمد : 180 ابن سليمان : 313
ابن السادات: 457
ابن الساعي : 178
ابن السعود عبد العزيز: 528
ابن سحنون: 46

ابن سديرة: 456-457
ابن سماية عبد الحليم: 63-64-71-80-81
ابن سينا: 424
ابن نبي مالك: 154-194-227-255-341-280-307-328-329-481-482-483-484
ابن الهاشمي عبد الحفيظ: 359-153
ابن الهاشمي عبد العزيز
ابن الوليد: 187
ابن يوسف محمد: 68-412
ابن الوطاف: 158
ابن يحي صالح: 77-78
ابن يحي عمر: 91

ب-

الباروني سليمان: 520
باش طارزي: 200
باي عبد المجيد" 180
بربوشة ابراهيم: 107
برتيلو: 254
بريهمات احمد: 459-460
بريهمات حسن
بريهمات عمر: 81-82
الشكيري عمر: 143-144
بنسيس محمد الصادق: 531
بطحوش رشيد: 128
بكلي عبد الرحمن: 355

بكليرد حسان : 114

بلال بن رباح: 117

بلقشي الزواوي: 179-180

بلكحل 178

بلوصيف: 179

بلفورر–اللورد: 527-532

بوبريط: 112

بوجناح سليمان الفرقد : 116-242

بوحو: 13

بوحاجب سالم: 76-81-82

بودة احمد : 118

بوديشون (الدكتور) : 3

بوراس محمد: 113

بوروج: 59

بورمون(الكونت): 21-15

بورنان: 172

بوزوزو محمود: 155-248-426-521

البوزيدي الشريف: 56

بوشامة الربيع: 505-519

بوشمال أحمد: 146-149-154-156-173-179

بوصلاح: 168

بوفربة: : 24

بوعناني: عمر: 141

بوقندورة: 81

بوكوشة حمزة: 175-406-157

بولبينة السعيد: 457

بوهالي : 168
البوطي : 371
البيباني السعيد : 140-174-175
بيرك اغسطين : 233
بيرك جاك : 45
بيرم الخامس : 70-79
بيليسيه : 13-14
بيراتران : 253-35
بيوض ابراهيم: 120-131-132-327-328-419-452

– ت –

التبسي العربي : 88-139-220-221-235-236-237-365-375
التركي عباس : 495

– ث –

الثعالبي عبد الرحمن
الثعالبي عبد العزيز

– ج –

الجابري : 40-41
جاويد : 526
جاويش : 38
الجباري محمد العيد : 524
الجباري محمد : 397
الجلالي : 153-359
جمعة محند : 181
الجنان عبد الحفيظ 179
الجنيدي : 180
الجزائري عبد المالك : 514
جودي عباس : 107
جوليان : 228
جوريس : 464
الجيلالي : 444-445-446-282

جيرارد: 2

-ح-

حافظ مصطفى"129-128
الحافظي المولود: 211
حامد اسماعيل: 459
الحداد الطاهر: 312
حوشاوي: 169
الحسني: 542
حسين محم
الخضر: 80-81
حقي: 526
حمادي: 178
الحمامي علي: 523
حماني أحمد: 154-207-435
حماني الصادق: 154
الحكيم توفيق: 266
حمداني: 181
حمو الحاج: 284
حمود زمضان: 267-268-285-286-309-403-404
حميدات الطاهر: 541
حنيفي: 181
حوحو أحمد رضا: 154-155-306-179-180-107
الحويذق مصباح: 496-143-144

-خ-

خالد الأمير: 464-465-488

خبشاش محمد الصالح: 178-253-264-314
خبزي محمد: 107
خلاصي: 178
الخليلي: 536
خليل: 141
الخطابي عبد الكريم: 51
الخنقي عاشور: 56
خوجة حمدان: 29-48
خير الدين (االتونسي): 365-325-90-107

-د-

دامارجي: 128
دبابش: 107
دبوز: 445-446
دراز: 175
الدكالي شبيب: 85
الدكالي عبد الرحمن: 165
الدشوني: 481
الدرويش: 173
دوبوش: 24-25
دوروفيقو: 12
ديبارمي: 397
دي قيدون: 19-28
الديسي: 57

-ر-

راسم عمر: 52-57-74

راندو: 35

الراشدي عبد القادر: 46

الرحموني: 179

رضا محمد رشيد: 43-385-312-314-188

ركيبي عبد الله: 203

رمضان محمد الصالح: 154

رودوسي محمود: 154

رويني: 35

-ز-

الزاهري محمد السعيد: 148-149-155-181-222-223-225-247-248-249-252-310-440-490-491-524-526-527

الزاهي: 174

الزاوش: 110

الزبابري: 172

زروق: 213

الزروقي الهادي: 140-140

الزبيري المولود: 63

زكريا مفدي" 116-496-509-510-517-423

الزكري: 400

الزموشي السعيد: 143

زنلتي: 460-469-152

الزواوي أبو يعلى: 161-225-294-314-319-321.

زيدان جورجي: 50

-س-

ساحلي محمد الطاهر: 143
سحنون أحمد: 265-277-509
السحنوني علي امقران: 374
سعدان أحمد: 176
سعال بوزيدد: 116
سعد الله أبو القاسم: 511-106-456
سعدي عثمان: 478
سغاري: 12
سفير خالد: 165
سفير محمد: 69
السنوسي محمد: 201
السنوسي الهادي: 174-175
سيدي البصر: 23
سيدي بوناب: 22
سيدي الرحبي: 21
سيدي عمار: 21
سيدي عبد الرحمن الثعالبي: 22
السيدة مريم: 21
سيدي المناطقي: 22
سيدي الطانجي: 22
سيدي الفروسي: 22
سيدي بن عيتاس: 22
سيدي الجودي: 22
سيدي عبد الهادي: 22
سيدي لخضر: 23سيدي لمليح: 23

سيديالموهوب: 23
سيدي التواتي: 23
سيدي النجار
سيدي خموس: 122-123
سيدي عبد الموغى: 121
سيدي فتح الله: 1121
سير فنبيه اندريه: 252-253

-ش-

الشافعي عبد المجيد: 321-322
الشاطبي: 192
الشاطبي: 77
شاندرلي عمر: 158
الشبوكي: 367
الشرايبي: 84
شرفاء الأكحل: 300
الشرفاوي الرزطي: 409
شريط عبد الله"384
شفاعي: 137
الشماخي: 137
الشيشكلي أديب: 540
شنتير علي: 141
شكيري عمر: 266
شيبان عبد الرحمن: 145

- ص-

الصادق: 70

صالحي السعيد: 124
الصائغي: 169
صفاقسي: 177
صفر البشير: 76
صوالح: 462

-ط-

طالب عبد السلام: 168
الطاهر محمد علي: 208
الطرابلسي: 244-291
الطهطاوي: 48-346

-ع-

عاشور مولود: 181
عبابسة محمد: 154
عباس فرحات: 2-3-167-173-469-471-431
عبد الحميد (2) السلطان: 526
عبد القادر الأمير: 23-50-70-128
عبد المالك الأمير: 514
عبد الوهاب حسن حسني: 66
عبده محمد: 314-43-64-70-71-73-187-460-346-447-383
عبدي باشا: 21
العرباوي: 341
العربي اسماعيل: 154-155-369
العروي: 84
العقبي الطيب: 85-102-103-125-147-148-281-282-399-471-537
العقون عد الكريم: 509
علي محمد: 411-447

عمروش: 464
العمودي محمد الأمين: 99-152-153-174-315
العموشي إبراهيم: 178-179
العنق بكير: 131

-غ-

غليسي: 4
غرافة ابراهيم: 116 غريب عبد الرحمن: 153
الغزالي أحمد: 387-212
الغسيري محمد: 140
غوتيه: 35
الغيطاني جمال: 50
الغرابي: 253
الفارسي الجيلالي: 368-496
الغاطوري: 40
الفاسي سعيد: 461
فضلاء محمد الطاهر: 84 فضلاء محمد الحسن: 140-422
الغكون عبد الكريم: 68
الغفون مولود: 461
فريد محمد: 38
فيثاغورس: 50
خوري شارل: 4
فيوليت غوريس: 474

-ق-

القاسمي عبد القادر: 228
قداش محفوظ: 112
القاسمس مصطفى: 226-228

قايد علي : 71

قلفاط 460

القلبيي : 516

القنبيعي : 17

قرم : 41

قزال : 35

القسنطيني رشيد : 283

القشاش : 21

القشيري : 201-212

القطاط: 325

-ك-

كامل مصطفى : 74

كارسو : 523

الكبابطي مصطفى : 24

الكتاني : ابراهيم : 85

كحال ارزقي : 508

كريس بلقاسم : 169

الكعاك عبد الرحمن : 109

كلوزيل : 2-16

كمال مصطفى : 448

-ل-

لافيجري : 227-28

لحمق : 456

لاموريسير : 24

لفقون : 24-68-69
اللقاني : 159-388-413
لوبو : 473
لوبون : 254
لوزاتي : 526
لورانس : 541

—م—

ماسينيسا : 456
مامي اسماعيل : 153-156
كاركس : 256
المجاجي : 69
المجاوي : 51-52—80--325
المتيجي : 516
المختار عمر : 520
مصالي : 474
مراد علي : 303
المدني توفيق : 17-91-104-154-396-427-443-444-467-495
مرحوم علي : 306-378-379-395-5
مرزوق : 136
المرزوقي : 40
مرسلي الطيب : 458
مزهودي ابراهيم : 171
المشدالي : 372
مصدق الدكتور : 544
مصطفاوي : 362

المقري أحمد: 412
المنجلاتي علي: 82
الموالي الشاذلي: 77
موريل: 21
مولاي عبد الرحمن: 514
المهاجي الطيب: 57
ميرانت: 99
ميشال: 125-123-136
الميلي مبارك: 89-90-99-148-149-166-181-213-216-218-221-222-279—280-293-317-318-441-465

-ن-

ناجي: 171
ناصر محمد: 242
الناصري: 372-394
الناصري أبو راس: 69
النخلي محمد: 76
النعماني: 393
النوري: 515
هانوتو: 254

-و-

وارنبيه: 343
واري: 343
الورتيلاني الحسين: 56
الورتيلاني محمد الحسن: 107
الورتيلاني الفضيل: 124-174-175-468
وهبي يوسف: 144
الوزاني محمد الحس: 107

-ي-

الياجوري عبد القادر:
يعلاوي يوسف

اليلولي عبد الرحمن : 200
اليزناسي : 501
يوغرطا : 456

فهرس الأماكن:

-أ-

آسيا: 2
الأربعاء : 460
الأرجنتين : 526
الاردن : 529
إسرائيل : 532
إسطانبول : 45
أقبو : 28
الإسكندرية : 24
الاغواط: 14
إفريقيا : 2
إفريقيا الإسلامية : 25
إفريقيا الشرقية : 527
أمريكا : 245
الأندلس : 65
أوروبا : 11
أوربا الغربية : 530

-ب-

باتنة : 80
باريس : 109-78

بجاية : 141-181-140البحر الهدي : 534
البحر العربي : 529

القنطرة : 120
برج البراق : 527
بريطانيا : 5534
بريان : 116
بلدان العالم العربي : 82
البلاد السورية : 11
البليدة : 18-25
البلاد الغربية : 528
بلغتاريا : 526
بسكرة : 90-147-176-180
بنزرت : 515
بوزريعة : 461
بني صاف : 171
بني يزقن : 78
بوقرة : 20

-ت-

تبسة : 78-80-170
تطوان : 109
التل : 9
تل أبيب : 529
تلمسان : 11-18-23-70-98-109-111-135-168-179-178-180-75
تونس : 47-71-76-78-81-85
تيزي وزو : 28

تيمقاد: 423

-ج-

جرجرة: 457
الجزائر: 2-3-4—5-6-7-11-12-15-16-17-18-19-20-21-23-24-27-29-30-31-32-34-36-38-39-44-47-49-58-63-68-69-70-71-72-73-76-79-80-81-82-84-88-94-96-97-98-101-109-110-116-124-135-144-151-152-170-172-177-185-197-198-232-236-239-248-259-263-299-300-335-347-372-376-385-398-399-400-421-427-443-444-446-454-456-460-467-476-478-479-488-521
جزيرة العرب: 253-534
جلفة: 121
الجغبوب: 70
الجنوب الجزائري: 77
جيجل: 143

-ح-

الحجاز: 85-88-534
الحراش: 12
الحنايا: 75
حمام قرقور: 169

-خ-

الخمير جيال: 514

-د-

الدانمارك : 12

دمشق : 85

دوار فناية : 181

-س-

سطيف : 11-86-142-167

سكيكدة : 20-180

السودان : 20-180

سوريا : 11-29-74-529

سوق اهراس : 80

سيدي بلعباس : 169-173

–ش–

الشام : 401

شمال افريقيا : 96-149

شرشال : 423

شلغوم العيد : 180

الشلف : 20

الشواطئ البربرية : 3

-ص-

صربيا : 526

صقيلية : 401

الصومام : 5

الصين : 246

-ط-

طبرقة : 514

طرابلس : 517-520

-ع-

العالم الإسلامي : 44-48-49-67-72-482-483-484

العالم العربي : 74-76-82-533

العلمة : 20-180

العراق : 529

العطف : 116

عنابة : 180

عين البيضاء : 80

عين الحمام : 20-28-29

-غ-

غرداية : 116

-ف-

الفاتيكان

فاس : 85-517

فج اغزالة : 123

فراسا : 2-3-11-12-115-17774-456-523

فرفار : 91

فلسطين : 67-88-526-527-529-528-530-531-533

-ق-

قالمة : 180
القدس : 542
القصبة : 128
القرارة: 120
قرطاجة : 442
قسنطينة : 11-18-22-24-85-87-88-123-130-137-149-325
قنزات : 124

- ك-

الكويت : 145

-ل-

ليبيا : 519-521

-م-

مارسيليا : 180
المحيط الأطلسي : 521
مازونة : 23
المدينة (المنورة) : 16-18
المشرق : 72-138
مستغانم : 20-23-75
المشرق العربي : 533
مكة (المكرمة) : 16

مصر: 38-71-102-145-537-538-539
معسكر: 18-23-143-169
المغرب: 24-65-72—78-381-446-514-517-518-522
المغرب الأقصى: 134-517-518-514
المغرب العربي: 111-514-515-522
ميلة: 167

-ن-

ندرومة: 75
نيويورك: 529

-هـ-

الهند الصينية: 516

-و-

وادي ميزاب: 117-244-418-479
الولايات المتحدة الأمريكية: 529-530
وهران: 18—23-25-111—171-137-143

-ي-

اليابان: 529

فهرس الدوريات و الجرائد:

أبو العجائب: 153

أخبار العالم: 75

الإخوان المسلمون: 74

الإسلام: 74

الإصلاح: 147

إفريقيا: الشمالية: 154

الإقدام: 465

الأمة: 151، 152

الأهرام: 74

البرلمان الجزائري: 474

البرق: 148

البستان: 151

البصائر: 149

البلاغ: 151

التونسي: 75

الجحيم: 153

ثمرات الفنون: 73

الحاضرة: 75

الحق الوهراني: 75

الحق العنابي: 75

الدفاع: 152

الرائد التونسي70

الرشاد : 228
الزهرة: 75
سبيل الرشاد : 75
السنة : 148
سوريا الجديدة: 74
الشريعة : 149
الشعب : 152
الشعب التونسية : 311
الشعلة : 153
الشهاب146
الشورى : 74-209
صدى الصحراء : 147
الصديق : 75
الصراط: 149
الصوان : 75
الصوت الأهلي : 460
صوت المستضعفين : 152
الطان : 71
العروة الوثقى : 72
العمران : 75
الفاروق : 67-91
الفتح: 74-209
الفرقان: 152
الفلاح : 74
القبلة 680

اللواء: 74
التقدم: 74-75
المبشر: 75
المرصاد: 154
مرشد الأمة: 74-75
المنار (المجلة): 73
المنار الجريدة: 155-196-357-539
المعيار: 153
المغرب العربي: 155
المغرب: 150-151
المنتقد: 146
المنهاج: 192
المؤيد: 74
ميزاب: 150
النبراس: 151
النجاح 153
النديم: 311
النور: 151
النيل: 74
وادي ميزاب: 150—338
وادي النيل: 74
الوفاق: 155
الوزير التونسية: 524

فهرس الجمعيات و المؤتمرات و الأحزاب السياسية:

الاخوة المسلمون: 27

إخوان العقيدة المسيحية: 29

الأخوات البيض: 27

أحباب البيان: 495

الجامعة الإسلامية: 126

الجامعة العربية : 126

جبهة التحرير الوطني: 495

جبهة الدفاع عن الحرية: 495-496

الجبهة الشعبية: 508

جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال لإفريقيا: 67

جمعية الإخاء: 106

جمعية الإخاء العلمي: 97

جمعية الأخوة: 488

الجمعيات الماسونية: 459

جمعية حياة الشباب: 167

جمعية حياة اللغة العربية: 170

جمعية الشبيبة الادبية 169

الجمعية الفرنسية لحماية أهالي المستعمرات: 459

جمعية القلم 172

الجمعية الخيرية: 102-103-104-105

جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين: 107-108-109-110-111

جمعية العروة الوثقى 70

جمعية علماء السنة: 209

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 97-98-99-100-101-145-169-174-181-347-348-364-365-375-380-396-473-493

جمعية الطرق و الزوايا: 228
جمعية النهوض 172

-ح-

حركة انتصار الحريات الديمقراطية: 496-509
حزب البيان: 495
الحزب الدستوري التونسي الحر: 91-92-515
حزب الشعب الجزائري: 474-477
حزب الشعب القبائلي: 477
الحزب الشيوعي: 495
الحزب الوطني المغربي: 517
حزب الوفد (المعري): 537

-ك-

الكشافة الإسلامية: 112-113-114-115-116

-ل-

لجنة الدفاع عن فلسطين: 530
لجنة الاستخبارات و الدعاية التابعة للحزب الوطني المغربي: 517
لجنة استقلال الجزائر و تونس: 514
اللجنة الجزائرية التونسية: 514
اللجنة العليا للتعليم: 377

-م-

المكتب الخيري الإسلامي: 18
المكتب العربي: 19
المؤتمر الإسلامي الجزائري: 492-503
المؤتمر الإسلامي: القدس: 542
المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء: 98
مؤتمر الفلاحين الكولون: 31
مؤتمر مديري عمالة قسنطينة: 375
مؤتمرات جمعية طلبة شمال إفريقيا: 108-109-110-111
المؤتمر الوطني الهندي: 544

-ن-

نجم شمال إفريقيا: 453
نقابة عموم العملة التونسية: 516

-و-

ودادية تلاميذ شمال إفريقيا 96.

النوادي

- نادي الاتحاد (قسنطينة) 163-164 -156
- نادي الاتحادي 171
- نادي الإقبال 96
- نادي الإرشاد 67
- النادي الإسلامي 165-166
- نادي الإصلاح (الجزائر) 172
- نادي الإصلاح(باتنة) 167
- نوادي التربية(باريس) 174
- نادي الترقي 98-101-104-105-159-160-161-162-163-
- نادي التقدم 177
- نادي الجمعية الخيرية 168
- نادي السلام 167
- نادي السعادة (قسنطينة) 158
- نادي السعادة (القنطرة) 176
- نادي السعادة (تلمسان) 168
- نادي الشباب الأهلي (معسكر) 169
- نادي الشباب (قنزات) 169
- نادي الشباب (تلمسان) 96
- نادي الشباب (بسكرة) 176
- نادي الشبيبة الأدبية 169
- نادي صالح باي 69
- نادي عبد الحميد بن باديس 167
- نادي مدرسة الحياة 181
- نادي النجاح 170

-نادي النهضة 177

الجمعيات الفنيـــــة

أحباب الفن 179

الأندلسية 182

الجزائرية 182

الشباب الفني (قسنطينة) 179

الشباب الفني (بجاية) 181

الغرناطية 182

المزهر البوني للتمثيل 180

المزهر القسنطيني 179

المطربية 182

الموصيلية 182

النهضة التمثيلية 178

الهلال التمثيلي القسنطيني 178

فهرس الصور:

- صورة تعكس محاربة الهوية الجزائرية من قبل المدرسة الاستعمارية ص 32 مكرر

-صورة الكاردينال لافيجري بين الأطفال الأيتام سنة 1868.ص27

-صورة أثرية لزيارة المصلح الكبير الإمام محمد عبده سنة 1903 لمدينة الجزائر ص 70

-صورة البعثة العلمية الميزابية بتونس في سنة 1924 ص78.

ـ صورة مكتبة المدرسة الخلدونية بتونس سنة 1906. ص81

-صورة رائد النهضة الجزائرية الحديثة عبد الحميد بن باديس ص92.

-صورة لأعضاء من المجلس الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص98

-صورة تاريخية لمجلس الجمعية الخيرية الإسلامية بالعاصمة ص102.

-صورة فوج الفلاح للكشافة الإسلامية الجزائرية يوجد محمد بوراس في الوسط ص113.

-صورة العلامة الشيخ إبراهيم بيوض مؤسس معهد الحياة ص132.

-صورة احتفال مدينة تلمسان بافتتاح مدرية الحديث ص133

-صورة تذكارية لمعلمات التعليم الغربي يتوسطهن الشيخ الرئيس البشير الإبراهيمي ص136.

-صورة الشيخ أبو اليقظان عميد الصحافة الجزائريةص150.

-صورة الحجاج الذين احتفلت بهم جمعية التربية والتعليم بنادي الاتحاد ص164.

-صورة تذكارية للشيخ عبد الحميد بن باديس مع الشيخين الابراهيمي و العقبي

ـ صورة الجامع الاخضر و مدرسة الحديث، ص 122.

-صورة تاريخية لأعضاء لجنة إعانة فلسطين ص531.

-صورة دار الفلاح تحتفل بغزوة بدر وصورة مدرسة دار الفلاح بوهران ص144.

فهرس الموضوعات

المقدمة

الفصل التمهيدي : حرب الإبادة الاستعمارية ضد الأمة الجزائرية

توطئة...2

1- الإبادة المادية...15

2-الإبادة الروحية...36

خلاصة...36

الفصل الأول: أصول الخطاب النهضوي وإرهاصاته الأولى قبل 1925.

تمهيد

....38

1-مفهوم النهضة ومدلوله التاريخي...................................... 39-45

2- دور الرواد المصلحين والمجددين.................................... 45-67.

3-صدىالحركتين السلفيتين الوهابية والسنوسية 68-70

4- صدى جمعية العروة الوثقي وزيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر ص......... 72/70

5- دور الصحافة العربية الإسلامية :.......................................72-75

6- الصلات الثقافية بين الجزائر والعالم الغربي............................ 76-85

7-عودة بعض المتعلمين الجزائريين وثورة بن باديس التعليمية.................... 85-94

خلاصة:..94

الفصل الثاني : وسائل الخطاب النهضوي وبنيته التنظيمية

تمهيد 96

1–الجمعيات والمؤسسات التنظيمية 96-118
2– المساجد: 118-127
3– المدارس: 127-145
4– الصحافة: ....145-155.
5– المطابع ودور النشر: ....156-157.
6– النوادي الثقافية والفنية : ....157-181.
خلاصة : ....182.

الفصل الثالث:البعد الديني في الخطاب النهضوي

تمهيد: 184-185
1– الدعوة إلى التجديد: 186-197
2– محاربة الطرقية الميتدعة : 197-209
3– جمعية علماء السنة ومؤامرة القضاء على الإصلاح: 209-212
4– مآخذ العلماء المصلحين على الطرقيين 212-230
5– الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة الفرنسية.................................230-238
6– الدفاع عن القضاء الإسلامي...238-241
7–مقاومة التبشير : 241-250
8– التصدي للإلحاد...250-255
خلاصة: 256-257

الفصل الرابع: الخلفية الاجتماعية والاقتصادية للخطاب النهضوي

تمهيد...259-260
1– التصدي للآفات الاجتماعية والعادات الوافدة 261-287
2– الدعوة إلى العمل ونبذ الكسل:..288-292

3- العناية بالشبيبة الجزائرية:....................302-292
4- النهوض بالمرأة الجزائرية :....................323-303
5- الدعوة إلى النهوض الاقتصادي.................... 343-323
خلاصة :....................344

الفصل الخامس: ملامح المشروع التربوي في الخطاب النهضوي

تمهيد:....................348-346
1-التربية اساس التعليم....................358-349
2-إصلاح المناهج التربوية وتنظيم الإدارة المدرسية :....................384-358
3- ترقية اللغة العربية وآدابها:....................407-384
4- في سبيل تعليم أصلي وعصري:....................421-408
5- العناية بالتاريخ الوطني :....................428-421
خلاصة:....................429

الفصل السادس: الهوية في الخطاب النهضوي

تمهيد....................431
1- مفهوم الهوية:....................434-432
2- مكونات الهوية الجزائرية :....................447-434
3- الهوية والوحدة العربية الإسلامية:....................454-447
4-التصدي لأعداء الهوية الجزائرية :....................479-455
5- الهوية وإشكالية الحداثة:....................484-480
خلاصة:....................485

الفصل السابع: الأبعاد الثورية والمواقف السياسية في الخطاب النهضوي

تمهيد:....................487
1- الدعوة إلى الوحدة الوطنية :....................497-488

2- البعد الثوري في الخطاب النهضوي :..498-512
3- القضايا العربية الإسلامية في الخطاب النهضوي :..........................513-546
خلاصة:..547
الخاتمة :...548-552
الملاحق :...553-608
المصادر و المراجع...610-654
الفهارس 655-690